

ادب - ع

صفحه دوم

2022/12/20

ص 426



1033



كتاب

عليه السلام

مقالات

لمشاهير العرب

على الجزء الثاني

من

عليه السلام

جمع الاب لويس شيخو البعلبي

ASIAN JUNG ESTATE LIBRARY
(Oriental Section)
ARABIC PRINTED BOOKS
Accession No. 121, No.
Subject 121, No.



حق الطبع محفوظ للمطبعة

طبع في مطبعة الاباء المرسلين البسويين

بيروت سنة ١٨٨٩

مَقَامُ الْكَلَامِ

لبعض مشاهير كتاب العرب

في الخطابة والشعر

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

في علم الخطابة

الفصل الاول

في تعريف الخطابة واقسامها ومنافعها

البحث الاول

في تحديد الخطابة وما تشتمل عليه بوجه الاجمال

(عن كليات ابي البقاء ومقدمة ابن خلدون ورسائل ابن سينا)

(راجع صفحة ٣ من الجزء الثاني من علم الادب)

الخطابة في اللغة كالخطاب وهي المكالة أو اللفظ المتواضع
عليه المقصود به افهام من هو متعني لفهمه وهو يطلق على الكلام
النفسي الموجه نحو الغير للافهام. وعند الحكماء الخطابة هي
القياس المفيد ترغيب الجمهور وحملهم على المراد منهم وما يجب أن

يُسْتَمَلَّ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَقَالَاتِ. وَلَمَّا ظَهَرَ أَرِسْطُو فِي يُونَانَ وَهَذَبَ
مَبَاحِثَ الْمُنْطِقِ وَرَتَّبَ مَسَائِلَهُ وَقُصُولَهُ وَجَعَلَهُ أَوَّلَ الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ
وَفَاتِحَتَهَا جَعَلَ الْخُطَابَةَ أَحَدَ أَقْسَامِهِ الثَّمَانِيَةِ. وَهَذِهِ الْأَقْسَامُ تَشْتَمِلُ
عَلَى ثَمَانِيَةِ كُتُبٍ أَرْبَعَةٌ مِنْهَا فِي صُورَةِ الْقِيَاسِ وَهِيَ كُتُبُ الْقَوْلَاتِ
وَالْعِبَارَةِ وَالْقِيَاسِ وَالْبَرْهَانِ وَأَرْبَعَةٌ فِي مَادَّةِهِ وَهِيَ كُتُبُ الْجَدَلِ
وَالسُّفْطَةِ وَالْخُطَابَةِ وَالشِّعْرِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْمَطَالِبَ التَّضَدِّيَّةَ عَلَى
أَنحَاءِ قِتْنِهَا مَا يَكُونُ الْمَطْلُوبُ فِيهِ الْيَقِينَ بَطْنِيهِ دَهُو تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ
الْكُتُبُ الْأَرْبَعَةُ الْأُولَى. وَمِنْهَا مَا يَكُونُ الْمَطْلُوبُ فِيهِ الظَّنُّ وَهَذَا
تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْكُتُبُ الْأَرْبَعَةُ الْآخَرَى. وَفِيهَا تَدْخُلُ الْخُطَابَةُ.
وَتُرْجِمَتْ كُلُّهَا فِي أَلِفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَكُتِبَتْهَا وَتَدَاوَلَهَا فَلَا سَقَةَ الْإِسْلَامِ
بِالشَّرْحِ وَالْتَّخْيِصِ كَمَا فَعَلَهُ الْفَارَابِيُّ وَأَبْنُ سِينَا ثُمَّ ابْنُ رُشْدٍ مِنْ فَلَا سَقَةِ
الْأَنْدَلُسِ. وَلِأَبْنِ سِينَا كِتَابُ الشِّفَاءِ اسْتَوْعَبَ فِيهِ عُلُومَ الْفَلَسَفَةِ
كُلَّهَا. ثُمَّ جَاءَ الْمُتَأَخِّرُونَ فَغَيَّرُوا أَصْطِلَاحَ الْمُنْطِقِ وَحَصَرُوا مَطَالِبَهُ فِي
كُتُبٍ خَمْسَةِ الْبَرْهَانِ وَالْجَدَلِ وَالْخُطَابَةِ وَالشِّعْرِ وَالسُّفْطَةِ وَرَبَّمَا يُلِمُّ
بَعْضُهُمْ بِأَلَيْسِيرٍ مِنْهَا إِمَّا مِمَّا وَاعَقَلُوهَا كَانَ لَمْ تَكُنْ هِيَ أَلْهَمُ الْمُعْتَمِدِ
فِي الْقَرْنِ. وَأَمَّا الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ كِتَابُ الْخُطَابَةِ فَهُوَ تَعْرِيفُ الْقَائِيْدِ
الْخُطَابِيَّةِ الْبَلَاغِيَّةِ النَّافِعَةِ فِي مُحَاطَبَاتِ الْجُمْهُورِ عَلَى سَبِيلِ الْمَشَاوَرَاتِ
وَالْمُحَاطَبَاتِ فِي الْمَشَاجِرَاتِ أَوْ الْمَذَحِ أَوْ الذَّمِّ أَوْ الْحِيلِ النَّافِعَةِ فِي
الْإِسْتِغْثَافِ وَالْإِسْتِمَالَةِ وَالْإِغْرَاءِ وَتَضْيِيقِ الْأَمْرِ وَتَعْظِيمِهِ وَوُجُوهِ
الْمَعَاذِيرِ وَالْمُعَاتَبَاتِ وَوُجُوهِ تَرْتِيبِ الْكَلَامِ فِي كُلِّ قِصَّةٍ وَخُطْبَةٍ

البحث الثاني

في تعريف الخطابة وموضوعها

(من تلخيص كتاب خطابة ارسطاطاليس لابن رشد)

(راجع صفحة ٥ من الجزء الثاني من علم الادب)

(قَالَ) الْخُطَابَةُ هِيَ قُوَّةٌ تَكْلَفُ الْإِقْتَاعَ الْمُمْكِنَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَفْرَدَةِ . وَنَعْنِي (بِالْقُوَّةِ) الصَّنَاعَةُ الَّتِي تَفْعَلُ فِي الْمُتَقَابِلِينَ . وَلَيْسَ تَتَّبِعُ غَايَتَهَا فَعَلَهَا ضَرُورَةً . وَنَعْنِي (بِالتَّكْلَفِ) أَيِ تَبْدُلِ تَجْهُودِهَا فِي اسْتِقْصَاءِ فَضْلِ الْإِقْتَاعِ الْمُمْكِنِ فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ الَّذِي فِيهِ أَقُولُ وَذَلِكَ يَكُونُ نَيْاتِهِ مَا يُمَكِّنُ فِيهِ . وَنَعْنِي بِقَوْلِهِ : (فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَفْرَدَةِ) أَيِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَفْرَدَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي مَقُولَةٍ مِنَ الْقَوْلَاتِ الْعَشْرِ (١) . وَهَذَا هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي تَقْصِلُ بِهِ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ عَنْ سَائِرِ الصَّنَائِعِ الَّتِي يُظَنُّ أَنَّهَا قَدْ تُنْفَعُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي تَنْظَرُ فِيهَا . وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ صِنَاعَةٍ إِنَّمَا هِيَ مُعَلَّةٌ أَيْ مُبَرِّهَةٌ وَمُشْعَّةٌ فِي الْجِنْسِ الَّذِي تَنْظَرُ فِيهِ لَا فِي جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ . وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الطَّبَّ إِنَّمَا يُعَلِّمُ عَلَى طَرِيقِ

(١) المقولة لغة المفعول من القول والثناء للمبالغة بمعنى الملقوظ وهي في اصطلاح الحكماء ما جاء عنه القول وأبرز فيه الحكم من الاجناس العالبة المجردة من المحسوسات التي ليس فوقها جنس . والمقولات عشر : الجوهر والمكان والكيف والاضافة والفعل والاتفعال (ويقال لها يفعل وينفعل) والزمان والمكان (ويقال لها متى واين) والهيئة والوضع (ويقال لها ان يكون له والموضوع)

الْبُرْهَانُ وَيُقْبَعُ فِي الصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ وَفِي أَنْوَاعِهَا . وَكَذَلِكَ الْهَنْدَسَةُ
إِنَّمَا تُطْلَمُ عَلَى طَرِيقِ الْبُرْهَانِ وَعَلَى طَرِيقِ الْإِقْنَاعِ فِي الْأَعْطَامِ
وَالْأَشْكَالِ الَّتِي تُوَحَّدُ فِي الْأَجْسَامِ . وَأَمَّا الْخُطَابَةُ فَهِيَ تَتَكَلَّفُ
الْإِقْنَاعَ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ فِي أَيِّ مَقُولَةٍ كَانَتْ وَأَيِّ جِنْسٍ كُنْ وَلِذَلِكَ
لَيْسَ تُنْسَبُ إِلَى جِنْسٍ خَاصٍ .

المبحث الثالث

في المناسبة الموجودة بين الجدل والخطابة

(عن تلخيص كتاب خطابة ارسطاطاليس لابن رشد)

(قَالَ) إِنَّ صِنَاعَةَ الْخُطَابَةِ تُنَاسِبُ صِنَاعَةَ الْجَدَلِ . وَذَلِكَ أَنَّ
كِلَاهُمَا يُؤْمَرُ غَايَةً وَاحِدَةً وَهِيَ مُخَاطَبَةُ الْغَيْرِ إِذَا كَانَتْ هَاتَانِ
الصَّنَاعَتَانِ لَيْسَ يَسْتَعْمِلُهُمَا الْإِنْسَانُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ كَالْحَالِ فِي
صِنَاعَةِ الْبُرْهَانِ بَلْ إِنَّمَا يَسْتَعْمِلُهُمَا مَعَ الْغَيْرِ وَتَشْتَرِكَانِ بِمَحْوٍ مِنْ
الْأَلْحَادِ فِي مَوْضُوعٍ وَاحِدٍ إِذَا كَانَ كِلَاهُمَا يَتَعَاطَى النَّظَرَ فِي جَمِيعِ
الْأَشْيَاءِ وَيُوجَدُ اسْتِعْمَالُهُمَا مُشْتَرَكًا لِلْجَمِيعِ . أَنَّنِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ
يَسْتَعْمِلُ بِالطَّبَعِ الْأَقْوِيلَ الْجَدْلِيَّةَ وَالْأَقْوِيلَ الْخُطْبِيَّةَ . وَإِنَّمَا كَانَ
ذَلِكَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا عِلْمًا مِنَ الْعُلُومِ مُفْرَدًا بِذَاتِهِ
وَذَلِكَ أَنَّ الْعُلُومَ لَهَا مَوْضُوعَاتٌ خَاصَّةٌ وَيَسْتَعْمِلُهَا أَصَافٌ مِنَ النَّاسِ
خَاصَّةٌ . وَلَكِنْ مِنْ جِهَةٍ أَنَّ هَذَيْنِ (أَيَّ الْخُطَابَةَ وَالْجَدَلَ) يَنْظُرَانِ
فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ وَجَمِيعِ الْعُلُومِ تَنْظُرُ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ فَقَدْ

تُوجَدُ جَمِيعُ أَلْوَمٍ مُشَارَكَةً لَهَا بِخَوَرٍ مَا . وَإِذَا صَافَتْ هَاتَانِ
الصِّنَاعَتَانِ مُشْتَرَكَيْنِ فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ النَّظَرُ فِيهَا إِصْاعَةً
وَاحِدَةً وَهِيَ صِنَاعَةُ النَّطْقِ

المبحث الرابع

في ان الخطابة تحرري للتصديق اكثر منها للتأثير

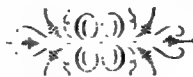
(عن تلخيص كتاب خطابة ارسطاطاليس لابن رشد بتصرف)

(راجع صفحة ٦ من الجزء الثاني من علم الادب)

وَرَأَى مَنْ رَأَى أَنَّ اسْتِعْمَالَ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَهَا تَأْثِيرٌ فِي
التَّصَدِيقِ فِي تَثْبِيتِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُرَادُ تَثْبِيتُهَا بِطَرِيقِ الْخُطَابَةِ هُوَ
الصَّوَابُ . وَخَلِيقٌ إِنْ اسْتَعْمَلَ أَحَدُ هَذَا انْتِمَانُونَ أَنْ يَكُونَ
بِاسْتِعْمَالِهِ بَصِيرًا فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لِيَأْذِيًا . وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
الْأُمُورَ الَّتِي مِنْ خَارِجٍ لَيْسَ لَهَا كَبِيرُ جَدْوَى فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَنَّ
الَّذِي يُرَدُّ أَنْ يُثْبِتَ شَيْئًا بَيْنَ يَدَيِ الْحُكَّامِ فَهُوَ إِمَّا أَنْ يُثْبِتَ
أَنَّ الشَّيْءَ مُوجُودٌ أَوْ غَيْرُ مُوجُودٍ فَقَطْ أَعْنَى أَنَّهُ كَانَ أَوْ لَمْ يَكُنْ .
وَذَلِكَ إِذَا احْتَدَّ صَلَبُ الشَّرِيعَةِ أَنَّ ذَلِكَ الشَّيْءَ الَّذِي فِيهِ الشُّكُورَى
عَظِيمٌ أَوْ يَسِيرٌ وَأَنَّهُ عَدْلٌ أَوْ جَوْرٌ . وَإِمَّا أَنْ يُثْبِتَ الْأَمْرَيْنِ وَذَلِكَ
إِذَا لَمْ يُحْدِدِ الشَّرِيعَةُ ذَلِكَ الشَّيْءَ الَّذِي فِيهِ الْكَلَامُ . قَامًا اسْتِعْمَالُ
الْإِنْفِعَالَاتِ فِي تَثْبِيتِ أَنَّ الْأَمْرَ جَوْرٌ أَوْ عَدْلٌ فَقَدْ تُمْكِنُ . وَذَلِكَ
أَنَّ الْأَنْفِعَالَاتِ بِالرَّحْمَةِ أَوْ الْبَغْضَةِ إِنَّمَا يَكُونُ لَشَيْءٍ جُزْئِيٍّ وَالْعَدْلُ

وَالْجَوْرُ أُمُورٌ كُتِبَتْ. وَأَمَّا اسْتِعْمَالُهَا فِي أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ أَوْ لَمْ يَكُنْ
فَلَهُ فِي ذَلِكَ تَأْيِيدٌ لِكُنْهٖ لَيْسَ يُوجِبُ أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ أَوْ لَمْ يَكُنْ
بِالذَّاتِ بَلْ إِنَّمَا يُعِيلُ الْحُكْمَ إِلَى أَنْ يَقُولُوا إِنَّهُ عَدْلٌ فِيمَا ادَّعَى
أَوْ لَمْ يَضِدْ وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْدُثَ لِلْحَاكِمِ أَوْ الْمُنَاطِرِ بِذَلِكَ تَصَدِيقٌ
زَائِدٌ بِالشَّيْءِ الَّذِي فِيهِ الْكَلَامُ

(قَالَ) وَقَدْ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ السُّنَّةُ هِيَ الَّتِي تُحَدِّدُ أَنَّ الْأَمْرَ
جَوْرٌ أَوْ عَدْلٌ وَتَقْوُضُ أَنَّ الْأَمْرَ وَجَدَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ أَوْ لَمْ
يُوجَدْ إِلَى الْحُكْمِ. وَبِالْجَمْعِ قُضِيَ إِلَيْهِمُ الْأُمُورُ الْيَسِيرَةُ وَذَلِكَ
لِشَيْئَيْنِ: (الْأَوَّلُ) أَنَّهُ قَلَّ مَا يُوجَدُ حَاسِبٌ يَقْدِرُ أَنْ يُمَيِّزَ الْأُمُورَ
عَلَى كُنْهَا فَيَضَعَنَّ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ جَوْرٌ وَهَذَا عَدْلٌ إِلَّا فِي الْأَقْلِ مِنْ
الزَّمَانِ وَاصْطَرَّ الْحُكْمُ الْمَوْجُودِينَ فِي الْمَدِينَةِ لَيْسَ لَهُمْ هَذِهِ
الْقُدْرَةُ. (وَالثَّانِي) فَلَا يَنْ أَلَوْ قُوفَ عَلَى أَنَّ الشَّيْءَ عَدْلٌ أَوْ جَوْرٌ
يَحْتَاجُ فِيهِ وَاضِعُ السُّنَّةِ إِلَى زَمَانٍ طَوِيلٍ وَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ فِي الزَّمَانِ
الْيَسِيرِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ التَّنَاطُرُ فِي الشَّيْءِ بَيْنَ يَدَيِ الْحُكْمِ فَلَمَّا كَانَ
هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ يَضْبُ أَنْ يَقْوُضَ إِلَى الْحُكْمِ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ عَدْلٌ
أَوْ جَوْرٌ نَافِعٌ أَوْ ضَارٌّ بَلْ إِنَّمَا يَقْوُضُ إِلَيْهِمُ أَنَّ الْأَمْرَ وَقَعَ مِنْ
هَذَا الشَّخْصِ أَوْ لَمْ يَقَعْ وَذَلِكَ لِإِسْنَانِهِ وَلَا لِهٖ أَمْرٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ
يَضَعَهُ صَاحِبُ السُّنَّةِ



المبحث الخامس

في فوائد علم الخطابة

(عن تلخيص كتاب خطابة ارسطاطاليس لابن رشد بتصرف)

(راجع صفحة ٧ من الجزء الثاني من علم الادب)

(قَالَ) وَلِلْخُطَابَةِ مَنَفَعَتَانِ إِحْدَاهُمَا أَنْ يُحَثَّ الْخَطِيبُ الْمَدِينِينَ عَلَى
الْأَعْمَالِ الْفَاضِلَةِ. وَذَلِكَ أَنَّهُمْ بِالطَّبَعِ يَمِيلُونَ إِلَى ضِدِّ الْقَضَائِلِ
الْعَادِلَةِ فَإِذَا لَمْ يُضْطَبُوا بِالْأَقَارِيلِ الْخَطِيئَةِ غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ أَعْدَادُ الْأَفْئَالِ
الْعَادِلَةِ. وَذَلِكَ شَيْءٌ مَذْمُومٌ يَسْتَحِقُّ قَاعِلَهُ أَتَانِيَبٌ وَالتَّوْبِيخُ أَغْنِي
الَّذِي يَمِيلُ إِلَى ضِدِّ الْأَفْئَالِ الْعَادِلَةِ أَوْ الْمَذِيرِ الَّذِي لَا يُضْطَبُ
الْمَدِينِينَ بِالْأَقَارِيلِ الْخَطِيئَةِ عَلَى الْقَضَائِلِ الْعَادِلَةِ الَّتِي هِيَ قَضَائِلُ
بَيْنِ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ غَيْرِهِ أَغْنِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَشَارِكَةِ لَهُ فِي أَيْ شَيْءٍ
كَانَتْ الشَّرَكَةُ لَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ. (وَالْمَنْعَةُ الثَّانِيَةُ) أَنَّهُ لَيْسَ
كُلُّ صِنْفٍ مِنَ أَصْنَافِ النَّاسِ يَتَّبِعِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ مَعَهُمُ الْبَرَهَانُ
فِي الْأَشْيَاءِ النَّظَرِيَّةِ الَّتِي يُرَادُ مِنْهُمْ اعْتِقَادُهَا. وَذَلِكَ إِمَّا لِأَنَّ
الْإِنْسَانَ قَدْ نَشَأَ عَلَى مَشْهُورَاتٍ تُخَالِفُ الْحَقَّ فَإِذَا سَلَكَ بِهِ نَحْوَ
الْأَشْيَاءِ الَّتِي نَشَأَ عَلَيْهَا سَهْلَ اقْتِنَاعِهِ. وَإِمَّا لِأَنَّ فِطْرَتَهُ لَيْسَتْ مُعَدَّةً
لِقَبُولِ الْبَرَهَانِ أَصْلًا. وَإِمَّا لِأَنَّهُ لَا يُعْكِسُ بَيَانَهُ لَهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ
الَّذِي يُرَادُ مِنْهُ وَقُوعُ التَّصَدِّقِ فِيهِ. فَهَذَا قَدْ فَضَّلْتُ إِلَى أَنْ
تُحْصَلَ التَّصَدِّقُ بِالْقَدَمَاتِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُخَاطَبِ أَغْنِي

بِالْمَحْمُودَاتِ. وَهَذِهِ الْمُنْعَةُ تُشَارِكُ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ فِيهَا صِنَاعَةُ الْجَدَلِ
كَمَا ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي كِتَابِ الْجَدَلِ. وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ يُمَكِّنُهَا الْإِقْتَاعُ فِي
الْمُتَضَادِّينَ جَمِيعًا كَمَا يُمَكِّنُ ذَلِكَ فِي أَلْقِيَاسِ الْجَدَلِيِّ. وَذَلِكَ أَنَّا
قَدْ نَفَعْنَا فِي أَلْبَابِي أَنَّهُ آسَاءُ وَأَنَّهُ لَمْ يُسَى وَلَسْتُ أَعْنِي أَنَّا نَفْعُلُ
الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ بَلْ نَفْعُلُ هَذَا فِي وَقْتٍ وَهَذَا فِي وَقْتٍ
يُحَسَّبُ الْإِنْفَعُ. وَذَلِكَ أَنَّهُ كَثِيرًا مَا يَكُونُ الشَّيْءُ نَافِعًا فِي وَقْتٍ
وَضِدَّهُ نَافِعًا فِي وَقْتٍ آخَرَ. وَأَيْضًا قَالَهُ إِذَا كَانَتْ الْأَشْيَاءُ أَلْتِي
تُبَيِّنُ الشَّيْءَ وَضِدَّهُ عِنْدَنَا عَتِيدَةً وَسَمِعْنَا مُتَكَلِّمًا قَدْ أَقْبَعَ فِي
الضِدِّ الَّذِي لَيْسَ يَدُلُّ أَمَكَّنَا هَذِهِ الْقُوَّةُ أَنْ نَقْضَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ.
فَمَا كَانَ الْمُنْفَعَانِ مَوْجُودَتَانِ فِي الْقُدْرَةِ أَلْتِي فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَلَى
الْإِقْتَاعِ فِي بَيِّنَةٍ مِنَ الصَّنَائِعِ أَلْقِيَاسِيَّةٍ إِلَّا فِي هَاتَيْنِ الصَّنَاعَتَيْنِ هُمَا
هُمَا تَانِ بِالطَّبَعِ وَعَلَى السَّوَاءِ لِلْإِقْتَاعِ فِي كِلَا الْمُنْقَابِلَيْنِ. أَعْنِي أَنَّهُ
أَنْسَ وَاحِدَةً مِنْهُمَا تُوجَدُ أَشَدُّ اسْتِعْدَادًا لِلْإِقْتَاعِ فِي أَحَدِ الْمُنْقَابِلَيْنِ
مِنْهَا فِي الْآخَرِ بَلْ الْإِسْتِعْدَادُ الْمَوْجُودُ فِيهَا عَلَى الْإِقْتَاعِ فِي الْمُنْقَابِلَيْنِ
هُوَ عَلَى السَّوَاءِ. فَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الْمَوْضُوعَةُ لِهَاتَيْنِ الصَّنَاعَتَيْنِ أَعْنِي الْأَشْيَاءَ
الَّتِي فِيهَا تُنْفَعُ فَلَيْسَ اسْتِعْدَادُهَا يَقُولُ الْإِقْتَاعُ عَلَى السَّوَاءِ لَكِنْ
إِذَا كَانَتْ الْأُمُورُ الَّتِي تُنْفَعُ فِيهَا صَادِقَةً كَانَتْ أَلْقَابِلُ الْخُلُيَّةِ
وَالْجَدَلِيَّةِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِيهَا أَفْضَلُ وَأَبْلَغُ... فَقَدْ اسْتَبَانَ مِنْ هَذَا
أَنَّ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ لَيْسَ تَنْظُرُ فِي أَحَدِ الْمُنْقَابِلَيْنِ وَلَكِنَّهَا تَنْظُرُ
فِيهِمَا عَلَى السَّوَاءِ كَالْحَالِ فِي الْجَدَلِ وَأَنَّهَا نَافِعَةٌ لِهَذَا جِدًا. وَلَيْسَ عَمَلُ

هَذِهِ الصَّاعَةُ أَنْ تُشْتَعَ وَلَا بُدَّ . أَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ يَتَّبِعُ فَعْلَهَا الْإِقْتَاعُ
 ضَرُورَةٌ كَمَا يَتَّبِعُ فَعْلَ التَّجَارِ وَجُودُ الْكُرْبِيِّ ضَرُورَةٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ
 هُنَاكَ عَاقِبٌ مِنْ خَارِجٍ بَلْ عَمَلُهَا هُوَ أَنْ تُتَرَفَّ بِجَمِيعِ الْمُفْتَعَاتِ فِي الشَّيْءِ
 وَتَأْتِي بِهَا فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ وَإِنْ لَمْ يَتَّبِعْ إِقْتَاعٌ . وَالْحَالُ فِيهَا فِي هَذَا
 الْأَعْنَى كَالْحَالِ فِي صِنَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ مِثْلَ صَاعَةِ الطَّابِ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِعْلُهَا
 الْإِبَاءُ وَلَا بُدَّ . بَلْ إِنَّمَا فَعْلُهَا أَنْ تَبْنَى مِنْ ذَلِكَ غَايَةَ الشَّيْءِ الْمُمْكِنِ
 فِعْلُهُ فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ الْمُتَصَوِّرُ بِالْإِبَاءِ . وَلِذَلِكَ قَدْ يَشَارِكُ فِي أَعْمَالِ
 هَذِهِ الصَّنَائِعِ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا مِثْلَ أَنْ يُرَى مَنْ لَيْسَ بِطَبِيبٍ
 وَيُشْتَعَنْ مَنْ لَيْسَ بِجَطِيبٍ لَكِنْ الْفِعْلُ الْحَقِيقِيُّ إِنَّمَا هُوَ لِصَاحِبِ
 الصَّنَاعَةِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْغَايَةَ تَتَّبِعُ فِعْلَ هَذَا عَلَى الْأَكْثَرِ وَذَلِكَ عَلَى
 الْأَقَلِّ . وَكَمَا أَنَّ فِي الْجَدَلِ مَا هُوَ قِيَاسٌ وَمَا يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ قِيَاسٌ
 وَلَيْسَ بِقِيَاسٍ وَهُوَ أَيْتَاسُ السُّوْفِيَّاتِ كَذَلِكَ فِي الْأَقَاوِيلِ الْمُفْتَعَةُ
 الْمُسْتَعْلَى فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مَا هُوَ مُقْنِعٌ وَمَا يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ مُقْنِعٌ مِنْ غَيْرِ
 أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ . لَكِنْ لَمَّا كَانَ السُّوْفِيَّاتِيُّ لَيْسَ إِنَّمَا يَكُونُ
 سُوْفِيَّاتِيًّا مِنْ قِبَلِ الْقُوَّةِ وَالْمَلَكَةِ الَّتِي بِهَا يَفْعَلُ الْأَقَاوِيلُ
 السُّوْفِيَّاتِيَّةَ بَلْ إِنَّمَا هُوَ سُوْفِيَّاتِيٌّ مِنْ قِبَلِ مَا يَقْصِدُهُ بِتِلْكَ
 الْأَقَاوِيلِ مِنَ الصَّكْرَامَةِ وَالتَّخَيُّرَاتِ الْخَارِجَةِ وَذَلِكَ لِإِيْهَامِهِ أَنَّهُ
 حَكِيمٌ وَكَانَ لَجْدِيٍّ إِنَّمَا هُوَ جَدِيٌّ بِالْمَلَكَةِ الْخَاصَّةِ لَهُ عَنِ الصَّنَاعَةِ
 فَيُلَاحِظُ لَمْ تَكُنْ الْأَقَاوِيلُ السُّوْفِيَّاتِيَّةُ جُزْءًا مِنْ صِنَاعَةِ الْجَدَلِ
 أَعْنِي الَّتِي يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا مَقَابِيِسُ جَدِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ جَدِيَّةً

إِذَا اسْتَعْلَمْتَ تَحْوِ هَذِهِ الْقَائِيَةِ . وَأَمَّا إِذَا اسْتَعْلَمْتَ عَلَى طَرِيقِ
 الْأَمْتِحَانِ فَمِنْ جِزْئِهَا . وَأَمَّا الْخَطِيبُ فَلَمَّا كَانَ خَطِيبًا مِنْ أَجْلِ
 الْأُمُورِ الَّتِي مِنْ خَارِجٍ وَشَلَّ الْكَرَامَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ
 الْخَيْرَاتِ أَوْ مِنْ قَبْلِ مَلَكَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ كَانَتْ الْأَقَاوِيلُ الَّتِي
 يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا مُثْمَعَةٌ وَلَيْسَتْ بِمُثْمَعَةٍ جُزْءًا مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ . لِأَنَّ
 الْقَصْدَ بِهَذِهِ الْأَقَاوِيلِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ قَدْ يَكُونُ بِعَيْنِهِ مَقْصُودُ
 السُّوفِطَائِيِّ . وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَصْدَ بِهَذِهِ
 الصَّنَاعَةِ مِنَ الَّذِي يُرَادُ اقْتِنَاعُهُ إِنَّمَا هُوَ الْفِعْلُ أَوْ الْإِنْفِعَالُ فَإِذَا
 حَصَلَ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ حُصُولُهُ عَنْ أَقَاوِيلٍ هِيَ
 مُثْمَعَةٌ فِي الْحَقِيقَةِ أَوْ عَنْ أَقَاوِيلٍ يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا مُثْمَعَةٌ وَلَيْسَتْ بِمُثْمَعَةٍ .
 فَإِنْ كَانَ هَذَا الْفِعْلُ الْمَقْصُودُ مِنَ الْمُخَاطَبِ أَوْ الْإِنْفِعَالُ حَرَامًا
 لَهُ لَا لِلْخَطِيبِ كَانَتْ الْأَقَاوِيلُ الَّتِي يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا مُثْمَعَةٌ وَلَيْسَتْ
 بِمُثْمَعَةٍ دَاخِلَةً فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ بِالْجِهَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فِي صِنَاعَةِ الْجَدَلِ
 الْأَقَاوِيلُ الَّتِي يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا جَدَلِيَّةٌ إِذْ لَمْ يُقْصَدْ بِهَا مَقْصَدُ السُّفِطَةِ .
 وَإِنْ كَانَ مَقْصَدُ الْخَطِيبِ خَيْرًا يَبَالُغُهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ الَّتِي يَقْصُدهَا
 السُّوفِطَائِيُّونَ كَانَ الْقَوْلُ الَّذِي يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ مُثْمَعٌ وَلَيْسَ بِمُثْمَعٍ
 مِنْ جِهَةِ مَا هُوَ سُوْفِطَائِيٌّ جُزْءًا مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ إِذْ قَدْ يَشَارِكُ
 الْخَطِيبُ السُّوفِطَائِيَّ فِي غَايَتِهِ . فَلِذَلِكَ قَدْ تَدْخُلُ الْأَقَاوِيلُ
 السُّوفِطَائِيَّةُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَلَا تَدْخُلُ فِي صِنَاعَةِ الْجَدَلِ



المبحث السادس

في ان الخطابة صناعة اصلها في طبع الانسان

(عن تلخيص كتاب خطابة ارسطاطليس لابن رشد)

(راجع صفحة ٨ من الجزء الثاني من علم الادب)

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ يُوجَدُ مُسْتَعِيلاً لِيُخَوِّ مَا مِنْ أَنْكَاهِ الْبَلَاغَةِ
وَمُسْتَهَيِّماً يَنْهَا إِلَى مَقْدَارٍ مَا وَذَلِكَ فِي صَنْفِي الْأَقَاوِيلِ الَّذِينَ أَحَدُهُمَا
الْمُظَاهَرَةُ وَالْثَانِي التَّحْلِيمُ وَالْإِرْشَادُ . وَأَكْثَرُ ذَلِكَ فِي الْمَوْضُوعَاتِ
الْخَاصَّةِ بِهَذِهِ الصِّاعَةِ وَهِيَ مِثْلُ الشِّكَايَةِ وَالْإِعْتِذَارِ وَسَائِرِ الْأَقَاوِيلِ
الَّتِي فِي الْأُمُورِ الْخُرَيْيَةِ . وَيُوجَدُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَلْتَفُونَ مَقْصُودَهُمْ
بِهَذَا الْفِعْلِ . فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِإِلَاتِقَاءٍ مِنْهُمْ مَنْ يَفْعَلُهُ
بِالْإِعْتِيَادِ وَبِمِلْكَةِ ثَابِتَةٍ . وَمَعْلُومٌ أَنَّ الَّذِي يَفْعَلُ هَذِهِ الصِّاعَةَ
بِمِلْكَةِ ثَابِتَةٍ أَنْضَلُ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُهَا بِإِلَاتِقَاءٍ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ
كَذَلِكَ فَالَّذِي يَفْعَلُهَا بِمِلْكَةِ ثَابِتَةٍ وَعِلْمٍ بِالسَّبَبِ الَّذِي بِهِ يَفْعَلُ
فَعَلَهُ يَكُونُ أَتَمَّ وَأَفْضَلَ . وَهَذَا أَمْرٌ يَرَفُهُ الْجُمْهُورُ فَضْلاً عَنْ
الْخَوَاصِّ . وَلِذَلِكَ كَانَ وَاجِباً أَنْ تُثَبَّتَ أَجْزَاءُ هَذِهِ الصِّاعَةِ فِي
كِتَابٍ وَلَا يُقْتَصَرُ عَلَى مَا يُوجَدُ مِنْ ذَلِكَ بِالطَّبْعِ قَطُّ وَلَا بِالْإِعْتِيَادِ
فِي كَثِيرٍ مِنَ الصَّنَائِعِ الْفَيَّاسِيَةِ



الفصل الثاني

في بلاغة الخطيب

البحث الاول

في تعريف البلاغة الجديرة بالخطيب

(عن كتاب الصائغين اختصار)

قَالَ مَعْمَرُ أَبُو الْأَشْعَثِ قُلْتُ لِبَلَّةَ الْهِنْدِيِّ أَيَّامَ اجْتَلَبَ نَحْيِي
 ابْنُ خَالِدٍ أَطْبَاءَ الْهِنْدِ : مَا الْبَلَاغَةُ عِنْدَ أَهْلِ الْهِنْدِ . قَالَ بَلَّةُ :
 عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ صَحِيفَةٌ مَكْتُوبَةٌ وَلَكِنِّي لَا أَحْسَنُ تَرْجُمَهَا وَلَمْ
 أَعْلَجْ هَذِهِ الصَّاعَةَ فَأَتَى مِنْ نَفْسِي بِالْقِيَامِ بِمَخَصَصِهَا وَلَطِيفِ
 مَعَانِيهَا . (قَالَ أَبُو الْأَشْعَثِ) فَتَلَقَّيْتُ تِلْكَ الصَّحِيفَةَ الْمُرْجَمَةَ فَإِذَا
 فِيهَا : أَوَّلُ الْبَلَاغَةِ اجْتِمَاعُ آلَةِ الْبَلَاغَةِ وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْخَطِيبُ
 رَابِطًا أَجْلَاشِ سَاكِنِ الْجَوَارِحِ مُتَّحِدًا لِلْفِظِ لَا يُكَلِّهُ سَيِّدَ الْأَمَةِ
 بِكَلَامِ الْأَمَةِ وَالْمُلُوكِ بِكَلَامِ السُّوقَةِ وَيَكُونُ فِي كَلَامِهِ التَّصَرُّفُ فِي
 كُلِّ طَبَقَةٍ وَلَا يُدْفِقُ الْعَامِي كُلَّ التَّدْقِيقِ وَلَا يُتِمُّ إِلَّا لِقَاطَ كُلِّ التَّكْمِيلِ
 وَيُصَفِّيهَا كُلَّ التَّضْفِيفِ وَيَهْدِيهَا كُلَّ التَّهْدِيبِ وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى
 يُضَادِفَ حَكِيمًا وَفَيْلَسُوفًا عَظِيمًا . وَمَنْ تَعَوَّدَ حَذْفَ فُضُولِ الْكَلَامِ
 وَاسْقَاطَ مُشْتَرَكَاتِ الْأَلْقَاطِ وَنَظَرَ فِي صَاعَةِ التَّنْقِيطِ عَلَى جِهَةِ

الصِّنَاعَةِ وَالْمُبَالَغَةِ فِيهَا لَا عَلَى جِهَةِ الْأَعْرَاضِ (١) ، وَالْمَصْحُوحُ وَلَا عَلَى
وَجْهِ الْأَنْبِطَرِافِ وَالْأَنْطُرُفِ (٢) لَهَا . (قَالَ) وَأَعْلَمُ أَنَّ حَقَّ الْمَعْنَى
أَنْ يَكُونَ الْأَنْسَمُ لَهُ طَبَقًا وَتِلْكَ الْحَالُ وَقَفًا وَلَا يَكُونَ الْأَنْسَمُ
فَاضِلًا وَلَا مُعْجَرًا وَلَا مُشْتَرَكًا وَلَا مُضْمَنًا وَيَكُونُ تَصْفِيحُهُ لِصَادِرِ
كَلَامِهِ بِقَدَرِ تَصْفِيحِهِ لِمَوَارِدِهِ وَيَكُونُ لَفْظُهُ مُوْنَقًا وَمَعْنَاهُ نَبِيْرًا
وَإِضْحَاقًا وَمَدَارَ الْأَمْرِ عَلَى إِفْهَامِ كُلِّ قَوْمٍ بِقَدَرِ طَائِفَتِهِمْ وَالْحَمْلُ
عَلَيْهِمْ عَلَى قَدَرِ (٣) مَنَازِلِهِمْ وَأَنْ تُؤَاتِيَهُ آتَاهُ وَيَتَصَرَّفَ مَعَهُ أَدَاتُهُ
وَيَكُونُ فِي أَتَمِّهِ لِنَفْسِهِ مُعْتَدِلًا وَفِي حَسَنِ الظَّنِّ أَوْدَعَهَا تَهَاوُنَ
الْأَمِينِ وَإِنْ تَجَاوَزَ مِقْدَارَ الْحَقِّ فِي أَتَمِّهِ ظَلَمَهَا وَأَوْدَعَهَا ذُلَّ
الْمُظْلُومِينَ وَلِكُلِّ ذَلِكَ مِقْدَرٌ مِنَ الشُّغْلِ وَلِكُلِّ شُغْلٍ مِقْدَارٌ مِنَ
الْوَهْنِ وَلِكُلِّ وَهْنٍ مِقْدَارٌ مِنَ الْجَهْلِ

فَقَوْلُهُ: (أَوَّلُ الْبَلَاغَةِ اجْتِمَاعُ آلَةِ الْبَلَاغَةِ) أَيُّ أَوَّلِ آلَاتِ الْبَلَاغَةِ جُودَةُ
الْقَرِيحَةِ وَطَلَاغَةُ اللِّسَانِ وَذَلِكَ مِنْ يَهْلِي اللَّهُ تَعَالَى لَا يَقْدِرُ الْعَبْدُ عَلَى
اِكْتِسَابِهِ لِنَفْسِهِ وَاجْتِلَابِهِ لَهَا . وَمِنْ النَّاسِ مَنْ إِذَا خَلَا بِنَفْسِهِ وَاعْمَلْ
فِكْرَهُ اتَّقَى بِالْيَأْنِ الْعَجِيبَ وَالْكَلَامَ الْبَدِيعَ الْصَلِيبَ وَاسْتَحْجَجَ
الْمَعْنَى الرَّائِقَ وَجَاءَ بِالْفُظْهِ الرَّاسِخِ . وَإِذَا حَادَرَ وَنَظَرَ قَصَرَ وَتَأَخَّرَ
فَحَقُّ هَذَا أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ لِأَرْجَحَالِ الْخُطْبِ وَلَا يُجَارِي أَصْحَابَ
الْأَبْدَانِ فِي مَيْسَدَانِ الْقَرِيضِ وَيَكْتَفِي بِتَأْنِيهِ فِكْرِهِ وَالنَّاسُ فِي

(١) ويروي على جهة الافتراض (٢) وفي نسخة الاستطراف والانتطرف

(٣) ويروي في اقدار

صِنَاعَةُ الْكَلَامِ عَلَى طَبَقَاتٍ مِنْهُمْ مَنْ إِذَا حَاوَرَ وَنَظَرَ أَبْلَغَ وَأَجَادَ
وَإِذَا كَتَبَ وَآمَلَى أَخْلَى وَتَحَلَّفَ . وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا آمَلَى بَرَزَ وَإِذَا
حَاوَرَ وَكَتَبَ قَصَرَ . وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا كَتَبَ أَحْسَنَ وَإِذَا حَاوَرَ وَآمَلَى
أَسَاءَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يُحْسِنُ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْحَالَاتِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُسِيءُ
فِيهَا كُلِّهَا فَأَحْسَنُ حَالَاتِ الْمُسِيءِ الْإِمْسَاكُ وَأَحْسَنُ حَالَاتِ الْحَسَنِ
التَّوَسُّطُ فَإِنَّ الْأَكْثَارَ يُورِثُ الْإِمْلَالَ وَقَلٌّ مَا يَنْجُو صَاحِبُهُ مِنَ
الزَّلَلِ وَالصَّبِّ وَالْخَطْلِ . وَلَيْسَ يَتَّبِعِي لِلتَّحْسِينِ فِي أَحَدِ هَذِهِ الْقُنُونِ
الْمُسِيءُ فِي غَيْرِهِ أَنْ يَتَجَاوَزَ مَا هُوَ مُحْسِنٌ فِيهِ إِلَى مَا هُوَ مُسِيءٌ فِيهِ
فَإِنْ أَضْطَرَّ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ إِلَى تَجَاوُزِهِ فَخَيْرٌ سُبُلُو فِيهِ قَصْدُ
الْإِخْتِصَارِ وَتَجَنُّبُ الْأَكْثَارِ وَالْإِهْذَارِ لِيَلْ السَّقَطُ فِي كَلَامِهِ وَلَا
يَكْثُرَ الْعَيْبُ فِي مَنْطِقِهِ . وَقِيلَ لِأَبْنِ الْمُقَنَّنِ لِمَ لَا تُطِيلُ الْقَصَائِدَ .
قَالَ : لَوْ أَطْلَقْتُهَا عَرَفَ صَاحِبُهَا . يُرِيدُ أَنَّ الْحَدِيثَ يَنْشَبُ بِالْقَدِيمِ فِي
الْقَلِيلِ مِنَ الْكَلَامِ فَإِذَا طَالَ اخْتَلَفَ فَعَرِفَ أَنَّهُ كَلَامٌ مَوْلُودٌ عَلَى
أَنَّ السَّابِقَ فِي مَيَادِينِ الْبَلَاغَةِ إِذَا كَثُرَ سَقَطَ فَكَيْفَ الْمُقْصَرُ عَنْ
غَايَتِهَا وَالتَّخَلُّفُ عَنْ أَمْدِهَا . وَمِنْ تَامِ آلَاتِ الْبَلَاغَةِ التَّوَسُّعُ فِي
مَعْرِقَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَوُجُوهِ الْأَسْتِفْهَالِ لَهَا وَالْعِلْمُ بِفَخْرِ الْأَلْقَاظِ
وَسَائِطِهَا وَمُتَحَيَّرِهَا وَرَدِّهَا وَمَعْرِقَةِ الْمَقَامَاتِ وَمَا يَضِلُّ فِي كُلِّ وَاحِدٍ
مِنْهَا مِنَ الْكَلَامِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ

وَقَوْلُهُ : (وَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِلْخَطِيبِ رَابِطٌ لِبَلَّاشِ سَاكِنِ النَّفْسِ)
هَذَا لِأَنَّ الْحَيَرَةَ وَالْأَدَهَشَ يُورِثَانِ الْجُنْسَةَ وَالْحَصَرَ وَهُمَا سَبَبَا الْإِرْتَاكِجِ

وَالْإِتِّحَامَ . وَبَلَّغَكَ مَا أَحَبَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ أَوَّلَ مَا صَدَّ الْمَسِيرَ
فَارْتَجَعَ عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ الَّذِينَ قَبْلِي كَانُوا يُعَذِّبُونَ لِهَذَا الْقَتْلِ مَقَالًا وَأَنْتُمْ
إِلَى إِمَامٍ عَادِلٍ أَخْرَجَ وَنَسَّكُمْ إِلَى إِمَامٍ قَاتِلٍ وَسَتَأْتِيكُمْ الْخُطْبَةُ
عَلَى وَجْهِهَا . وَصَعِدَ بَعْضُ الْعَرَبِ مِنْهَا نَجْرَاسَانَ فَارْتَجَعَ عَلَيْهِ فَقَالَ
جِئْتُ تَرَى :

قَالَ : لَمْ أَصُنْ فِيكُمْ خُطْبِيًا فَإِنِّي بِسِنِّي إِذَا جَدَّ الْوَعْدُ خُطْبِي
وَمِنْ حُسْنِ الْإِعْتِدَادِ عِنْدَ الْإِرْتِاجِ مَا أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ
عَلِيٍّ قَالَ : فَلَمَّا قَالَ (أَمَّا بَعْدُ) أَمْتَعَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ
فَقَدْ يُجِدُّ الْمُسِيرَ وَيُصِرُّ الْمُسِيرَ وَيَقِلُّ الْحَبِيدَ وَيَقْطَعُ الْكَلِيلَ . وَإِنَّمَا
الْكَلَامُ بَعْدُ لِإِتِّحَامِ كَالِإِسْرَاقِ بَعْدَ الظَّلَامِ وَقَدْ يَغْرِبُ الْبَيَانُ وَيَعْتَمِدُ
الصَّوَابُ وَإِنَّمَا الْإِسَانُ مُضْمَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ يَشُدُّ بِشُورِهِ (١) إِذَا
تَكَلَّمَ وَيُثَوِّبُ بِأَنْسَاجِهِ إِذَا ارْتَجَلَ . أَلَا وَإِنَّمَا لَا نَنْطِقُ بَطَرًا وَلَا نَسَكْتُ
حَصْرًا بَلْ نَسَكْتُ مُعْتَبِرِينَ وَنَنْطِقُ مُرْشِدِينَ . وَنَحْنُ بَعْدَ ذَلِكَ
أَمْرَاءُ الْقَوْلِ فِيْنَا وَنَحْنُ أَعْرَاقُهُ وَعَلَيْنَا نُطْفِتُ أَغْصَانُهُ وَلَكِنَّا تَهْدَلْتُ
تَمَرُّهُ فَتَحْيِرُ مِنْهُ مَا أَهْلَوْلَى وَعَذَبَ وَطَرَحَ مِنْهُ مَا أَمْلَوْحَ وَحَبَثَ .
وَوْنُ بَعْدِ مَقَالَتِنَا هَذَا مُقَامٌ وَمِنْ بَعْدِ أَيَّامِنَا أَيَّامٌ . وَعَلَامَةُ سُكُونِ
نَفْسِ الْخُطْبِيِّ وَرَبَاطَةِ جَانِبِهِ هُدُوهُ فِي كَلَامِهِ وَتَهْمَلُهُ فِي مَنْطِقِهِ .
قَالَ ثَمَامَةُ : كَانَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى جَانِبُهُ هُدُوهُ فِي كَلَامِهِ وَتَهْمَلُهُ فِي
مَنْطِقِهِ . وَقَالَ ثَمَامَةُ : كَانَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى أَهْلَقَ النَّاسَ قَدْ جَمَعَ أَمْدُودُ

وَالْتَمَهْلَ وَالْجَزَاةَ وَالْحَلَاوَةَ وَلَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ نَاطِقٌ يَسْتَعِينِي عَنْ
الْإِشَارَةِ لَكَانَهُ

وَقَوْلُهُ : (مُتَّحِيزَ الْأَلْفَاظِ) فَلَانَّ مَدَارَ الْبَلَاغَةِ عَلَى تَحْيِيزِ الْفِعْلِ
وَتَحْيِيزِهِ أَصْعَبُ مِنْ حَمِيهِ وَتَأْلِيْفِهِ. وَقَوْلُهُ : (وَيَكُونُ فِي قَوْلِهِ فَضْلُ
الْتَّصَرُّفِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ صَانِعُ الْكَلَامِ قَادِرًا عَلَى
جَمِيعِ ضُرُوبِهِ مُتَمَسِّكًا مِنْ جَمِيعِ قُوَّهِ لَا يَتَقَاصُّ عَلَيْهِ قِسْمٌ مِنْ
أَقْسَامِهِ فَلَنْ كَانَ شَاعِرًا تَصَرَّفَ فِي وَجُوهِ الشِّعْرِ مَدِيحِهِ وَهَجَاةِ
وَمَرَاثِيهِ وَعِفَافِهِ وَمَفَاجِرِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَصَافِهِ. وَلَا خِلَافَ قُوَى
النَّاسِ فِي الشِّعْرِ وَقُوَّهِ مَا قِيلَ : كَانَ أَمْرُهُ أَلْقَيْسَ أَشْعَرَ النَّاسِ إِذَا
رَكِبَ وَالنَّائِبَةَ إِذَا رَهَبَ وَزُهَيْرًا إِذَا رَغِبَ وَالْأَعْشَى إِذَا طَرِبَ .
وَكَذَلِكَ الْكُتَّابُ رُبَّمَا تَقَدَّمَ فِي ضَرْبٍ مِنَ الْكِتَابَةِ وَتَأَخَّرَ فِي غَيْرِهِ
وَسَهَّلَ عَلَيْهِ نَوْعٌ مِنْهَا وَعَسَّرَ نَوْعٌ آخَرُ وَاجْتَبَاهُ أَحَدُ بَنِي يُوسُفَ
قَالَ : أَمَرَنِي الْمَأْمُونُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى الْقَوَاحِي فِي الْإِسْتِكْثَارِ مِنْ
الْقِتَادِيلِ فِي الْمَسَاجِدِ . قَبْتُ لَا أَذْرِي كَيْفَ احْتَدَيْتَ فَأَتَانِي آتٍ فِي
مَآيِمِي فَقَالَ : قُلْ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ عِمَارَةً لِلْمَسَاجِدِ وَأُنْسًا لِلْسَّائِلَةِ
وَأَذَاءَةً لِلْمُتَّحِيزِينَ وَنَفْيًا لِمَكُونِ الْزَيْبِ وَتَذْيِيبًا لِيُوسُفَ اللَّهِ جَلَّ
وَعَزَّ مِنْ وَحْشَةِ الظُّلْمِ . فَأَنْتَبَهْتُ وَقَدْ انْتَفَحَ رِي مَا أَرِيدُ فَأَبْتَدَأْتُ
بِهَذَا وَاعْتَمْتُ عَلَيْهِ. وَالْقَدَمُ فِي صِنْعَةِ الْكَلَامِ هُوَ الْمُسْتَوِي عَلَيْهِ مِنْ
جَمِيعِ جِهَاتِهِ الَّتِي تُمْكِنُ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِهِ وَبِهَذَا فَضَّلُوا جَرِيدًا عَلَى
الْقَرَزْدَقِ وَقَالُوا : كَانَ لَهُ فِي الشِّعْرِ ضُرُوبٌ لَا يَرِفُهَا الْقَرَزْدَقُ . وَسُئِلَ

بَعْضُهُمْ عَنْ أَبِي نُوَّاسٍ وَمُسْلِمٍ قَدْ ذَكَرَ أَنَّ أَبَا نُوَّاسٍ اشْتَرَى لِنَصْرِهِ فِي
وُجُوهِ الشَّعْرِ وَكَثُرَتْ مَذَاهِبُهُ فِيهِ. (قَالَ) وَمُسْلِمٌ جَارٍ عَلَى وَبِدَةٍ لَا
يَتَغَيَّرُ عَنْهَا. وَأَبْلَغُ مِنْ هَذِهِ الْمَثَلُ أَنْ يَتَقَنَّ صَانِعُ الْكَلَامِ فِي قَوْلِهِ
أَيُّ يَأْتِي مَرَّةً بِالْجَزْلِ وَآخَرَى بِالسَّهْلِ قَبْلَيْنِ إِذَا شَاءَ وَيَشْتَدُّ إِذَا
أَرَادَ. وَمِنْ هَذَا أَلَوْجِهِ فَضَلُّوا جَرِيرًا عَلَى الْقُرْزَدِيِّ وَأَبَا نُوَّاسٍ عَلَى
مُسْلِمٍ . . .

وقوله: (وَلَا يُكَلِّمُ سَيِّدَ الْأُمَّةِ بِكَلَامِ الْأُمَّةِ وَلَا الْمَلُوكَ
بِكَلَامِ السُّوقِ) لِأَنَّ ذَلِكَ جَهْلٌ بِالْمَقَامَاتِ وَمَا يَضِلُّ فِي كُلِّ وَلِيْدٍ
مِنْهَا مِنَ الْكَلَامِ. وَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي قَالَ: يَكُلُّ مَقَامٌ مَقَالًا.
وَرُبَّمَا غَلَبَ سَوَاءُ الرَّأْيِ وَقِفَةُ الْمَثَلِ عَلَى بَعْضِ عُلَمَاءِ الْغُرَبَاءِ فَيُخَاطَبُونَ
السُّوقِيَّ وَالْمَلُوكَ الْأَنْعَجِيَّ بِالْقَاطِ أَهْلِ تَجْدٍ وَمَا فِي أَهْلِ السَّرَاوِ.
كَأَيِّ عِلْقَةٍ إِذْ قَالَ لِجَنَابِهِ: أَشَدُّ لِقَاصِبِ الْمَلَاذِمِ وَأَرْهَفُ ذُبَابِ
الْمَشَارِطِ وَأَمِيرُ الْمَنَحِ وَأَسْخِلِ الرَّثَمَ وَخَفِّفِ الْوُطْءَ وَتَحْمِلِ الدَّرْعَ
وَلَا تُكْرِهَنَّ آيَا وَلَا تُثَمِّنَنَّ آيَا. فَقَالَ لَهُ الْجَنَابُ: لَيْسَ لِي عِلْمٌ
بِالْحُرُوبِ. وَأَخَذَ أَبُو الْمَقَالِ الضَّيُّعُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ لَنَا جَادٌ
بِالْكُوفَةِ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِالْعَرِيبِ فَخَرَجَ إِلَى صَيْقِلِهِ عَلَى حِمْرٍ مَعَهَا
مُهْرٌ. فَانْقَلَبَتْ فَذَهَبَتْ وَمَعَهَا مِهْرُهَا فَخَرَجَ يَسْأَلُ عَنْهَا فَرَّ بِجِيَاظٍ
فَقَالَ: يَا ذَا الْقِيَاسِ وَذَاتِ السُّمِّ الطَّالِعِينَ بِهَا فِي غَيْرِ وَغَى لِيَتَرَى عَدَى
هَلْ رَأَيْتَ لِحِفَاةَ الْقَبَاءِ يَنْبُعُهَا الْحَاسِنُ الْمُسْرَفُ (١) كَانَ

غُرَّتْهُ الْقَمَرُ الْأَزْهَرُ يُنِيرُ فِي حُضْرِهِ كَأَخْلَبِ الْأَجْرَدِ (١). قَال
 الْحَيَّاطُ أَظْلَمَ فِي بَرٍّ لَفْظٍ (٢). قَال: وَبَلَّكَ وَمَا تَقُولُ فَجَعَلَ اللَّهُ
 مَا أَعْلَمُ رَحْمَانَتَكَ. قَال: لَمَنْ اللَّهُ أَبْغَضَنَا لَفْظًا وَأَخْطَأْنَا مَطْلَقًا
 وَقَوْلُهُ: (وَلَا يُدَقِّقُ الْمَعْنَى كُلَّ التَّدْقِيقِ) قَالَ أَبُو هِلَالٍ: لِأَنَّ
 الْقَائِمَةَ فِي تَدْقِيقِ الْمَعْنَى سَبِيلٌ إِلَى تَقْيِيدِهِ وَتَقْيِيدِهِ الْمَعْنَى تُكْنِئُهُ إِلَّا
 إِذَا أُريدَ بِهِ الْإِلْقَازُ وَكَانَ فِي تَقْيِيدِهِ قَائِدَةٌ مِثْلُ اثْبَاتِ (٣)
 الْمَعْنَى وَمَا يُجْرِي مَعَهَا مِنَ الْخَوْنِ الَّتِي اسْتَعْمَلُوهَا وَكُنُوا بِهَا عَنِ الْمُرَادِ
 لِبَعْضِ الْقَرَضِ. فَأَمَّا مَنْ أَرَادَ الْإِبَانَةَ فِي مَدِيحٍ أَوْ صِفَةٍ شَيْءٍ
 فَاتَى بِإِعْلَالٍ دَلَّ عَلَى عَجْزِهِ فِي الْإِبَانَةِ وَقُصُورِهِ عَنِ الْإِفْصَاحِ
 وَقَوْلُهُ: (وَلَا يُتَّبَعُ إِلَّا لِقَاطُ كُلِّ التَّتَبُّعِ) فَتَتَّبَعُ اللَّفْظُ أَنْ
 يُبْنَى مِنْهُ بَنَاءٌ لَا يَكْثُرُ فِي الْإِسْتِعْمَالِ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ
 الْوُزَرَاءِ: أَحْسَنَ اللَّهُ إِبَانَتَكَ. قَال لَهُ الْوَزِيرُ: عَجَلَ اللَّهُ إِمَاتَتَكَ.
 وَيَدْخُلُ فِي تَتَّبِعِ اللَّفْظُ اسْتِعْمَالُ وَخَشْيَةُ وَتَرْكُ سَلْبِهِ. وَقَدْ أَخَذَ
 الرُّوَاةُ عَلَى زُهَيْرٍ قَوْلَهُ:

تَتَّبِعِي نَعْمِي لَمْ يُكْثَرْ غَيْبَةٌ بِهَكَّةَ ذِي الْقَرْبَى وَلَا بِجَمَلٍ
 فَاسْتَبَشَرُوا (الْحَمْلُ) وَهُوَ السَّيِّئُ الْخَلْقِ وَقَالُوا: لَيْسَ فِي لَفْظِ زُهَيْرٍ
 أَنْكَرُ مِنْهُ. قَالَ أَبُو عُمَانَ: رَأَيْتُهُمْ يَرِيدُونَ فِي كَثِيرٍ هَذَا الْكَلَامَ
 فَإِنْ كَانُوا إِثْمَارَ رَوْوَهُ وَدَوَّنُوهُ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى قَصَاحَةٍ وَبِلَاغَةٍ فَهَذَا

(١) وفي رواية: ينير في حضره كالأخضر (٢) ويرى: في غير بلغ

(٣) وفي رواية: إيات المعاني

بَاعَدَهُ اللَّهُ مِنْ صِفَةِ الْبَلَاغَةِ وَالْقَصَاحَةِ. وَإِنْ كَانُوا قَالُوا ذَلِكَ لِأَنَّهُ غَرِيبٌ فَأَيُّاتٌ مِنْ شِعْرِ انْتِجَاجِ وَالطَّرِمَاحِ وَأَشْعَارِ هَذِيلٍ يَأْتِي لَمْ مَعَ الرُّضْفِ الْحَسَنِ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ. وَلَوْ خَاطَبْتُ الْأَصْمَى بِغُلِّ هَذَا الْكَلَامِ لَطَنْتُ أَنَّهُ سَجْهَلٌ بَعْضُهُ وَهَذَا خَارِجٌ عَنْ عَادَةِ الْبُلَغَاءِ

وَقَوْلُهُ: (وَيَصِفُهَا كُلُّ التَّضْفِيَةِ وَيَهْدِيهَا كُلُّ التَّهْذِيبِ) مُضْفِيَةٌ تَقْرِيئُهُ مِنَ الْوَحْشِيِّ وَتَفْنِي الشَّوَاعِلَ عَنْهُ وَتَهْذِيبُهُ وَتَبْرِئُهُ مِنَ الرَّدِيِّ الْمُرْذُولِ وَالسُّوقِ الْمُرْدُودِ فَمِنْ الْكَلَامِ الْمُهْذَبِ قَوْلُ بَعْضِ الْكُتَّابِ: مِثْلُكَ أَوْجَبَ حَقًّا لَا يَجِبُ عَلَيْهِ وَتَسَمَّحَ بِحَقِّ يَجِبُ لَهُ وَقِيلَ وَاصِحَ الْعَذْرِ وَاسْتَكْثَرَ قَلِيلَ الشُّكْرِ لِأَنَّكَ أَيْدِيكَ فَوْقَ شُكْرِ أَوْلِيَانِكَ وَنِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ فَوْقَ آمَالِهِمْ فِيكَ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ آخَرَ: مَا أَنْتَ بِي إِلَى غَايَةِ مِنْ شُكْرِكَ إِلَّا وَجَدْتُ وَرَاءَهَا حَادِثًا مِنْ بَرَكَ فَلَا زَالَتِ أَيْدِيكَ مُمْدُودَةٌ بَيْنَ أَمَلٍ لَكَ تَبْلُغُهُ وَأَمَلٍ فِيكَ تَحْقِيقُهُ حَتَّى تَمُوتَ مِنَ الْأَعْمَارِ أَطْوَلَهَا وَتَمَالَ مِنْ الدَّرَجَاتِ أَفْضَلَهَا. وَقَوْلُ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ: يَوْمَئِذٍ لَيْنُ الْحَوَاشِيِّ وَطِيءُ التَّوَاجِي وَهَذِهِ سَمَاءٌ قَدْ تَهَلَّتْ بِوَدْقِهَا وَضَحِكَتْ لِعَابِسٍ غَيْمِهَا وَلَا مَعَ بَرَقِهَا وَأَنْتَ قُطْبُ الشُّرُورِ وَظَلَمُ الْأُمُورِ فَلَا تَبَّ عَنَّا قَتِيلٌ (١) وَلَا تُغَرِّدُنَا (٢) فَتَسْتَوْحِشَ فَإِنَّ الْحَبِيبَ بِحَبِيبِهِ كَثِيرٌ وَبِمُسَاعَدَتِهِ جَدِيرٌ وَقَوْلُهُ: (وَلَا تَفْعَلْ ذَلِكَ حَتَّى تُضَادَفَ حَكِيمًا وَفَيْلَسُوفًا عَظِيمًا وَمَنْ

تَعَوَّدَ حَذْفَ فُضُولِ الْكَلَامِ وَمُشْتَرَكَاتِ الْأَلْفَاظِ وَمَنْ نَظَرَ فِي
 الْمُنَطِقِ عَلَى جِهَةِ الصَّنَاعَةِ فِيهَا لَا عَلَى جِهَةِ الْأَسْطِرَافِ وَالتَّطَرُّفِ
 لَهَا فَقَوْلُ يَتَّبِعِي أَنْ يَتَكَلَّمَ بِفَاخِرِ الْكَلَامِ وَتَأْذِيرِهِ وَرَصِينِهِ
 وَتَحْكِيمِهِ عِنْدَ مَنْ يَفْهَمُهُ عَنْهُ وَيَقْبَلُهُ مِنْهُ يَمَنْ عَرَفَ الْمَعَانِي
 وَالْأَلْفَاظَ عِلْمًا شَافِيًا لِنَظَرِهِ فِي اللَّفْظِ وَالْإِعْرَابِ وَالْمَعَانِي عَلَى جِهَةِ
 الصَّنَاعَةِ لَا كَنْ أَسْطِرَافٍ شَيْنًا مِنْهَا تَنْظُرُ فِيهِ نَظْرًا غَيْرَ كَامِلٍ أَوْ
 أَخَذَ مِنْ أَطْرَافِهِ وَتَنَاوَلَ مِنْ أَطْرَافِهِ فَحَلَّى بِأَسْبِهِ وَخَلَّابِينَ وَنَسَبِهِ
 فَإِذَا سَمِعَ لَمْ يَفْقَهُ وَإِذَا سُئِلَ لَمْ يَفْقَهُ وَإِذَا تَكَلَّمَ عِنْدَ مَنْ هُوَ
 صِفَتُهُ ذَهَبَتْ قَائِدَةُ كَلَامِهِ وَغَاضَتْ مَنَقَعُهُ مَنَظِيرُهُ لِأَنَّ الْمَعَانِي
 إِذَا كَلَّمَتْهُ بِكَلَامِ الْعُلِيَّةِ سَخِرَ مِنْكَ وَزَرَى عَلَيْكَ كَمَا رُوِيَ عَنْ
 بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ لِيَعْبُزَ الْعَامَّةُ: يَمِ كُذِّمُ تَنْتَقِلُونَ الْبَارِعَةَ
 (يَعْنِي عَلَى الْأَسْبِ). فَقَالَ: بِالْحَمَالِينَ. وَلَوْ قَالَ لَهُ: (أَيْشُ كَانَ
 تَعْلُكُمْ) لَسِمَ مِنْ نَحْرِيَّتِهِ. فَيَتَّبِعِي أَنْ يُخَاطَبَ كُلُّ قَوِيْقٍ يَمَا يَعْرِوْنَ
 وَيَتَجَنَّبُ مَا يَجْهَلُونَ

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (مَنْ تَعَوَّدَ حَذْفَ فُضُولِ الْكَلَامِ الْخ) هُوَ أَنْ
 يُنْقِطَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ الْكَلَامُ مَعَ إِسْقَاطِهِ كَمَا غَيْرُ
 مَتَّقُوسٍ وَلَا يَكُونُ فِي زِيَادَةِ قَائِدَةٍ. وَذَلِكَ مِثْلُ مَا رُوِيَ عَنْ
 مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ قَالَ لِيُحَارِبِ الْعَبْدِي: مَا الْبَلَاغَةُ فَقَالَ: أَنْ تَقُولَ فَلَا
 تُحْطِيءُ وَتُسْرِعَ فَلَا تُبْطِئُ. ثُمَّ قَالَ: أَقْلِي هَوَانَ (لَا تُحْطِيءُ وَلَا
 تُبْطِئُ). فَأَلْقَى اللَّفْظَيْنِ لِأَنَّ فِي الْأَوَّلِيِّ أَبْعَى عَنْ عَهْهَا وَعِوَضًا مِنْهَا.

قَامًا إِذَا كَانَ فِي زِيَادَةِ الْأَلْفَاظِ قَائِدَةٌ فَذَلِكَ مَحْمُودٌ وَهُوَ مِنْ بَابِ
التَّذْيِيلِ. وَقَوْلُهُ: (وَشَرَكَاَتِ الْأَلْفَاظِ) قَبُولُ أَنْ يُرِيدَ الْإِبَانَةُ
عَنْ مَعْنَى فَيَأْتِي بِالْأَلْفَاظِ لَا تَدُلُّ عَلَيْهِ خَاصَّةً بَلْ يَشْتَرِكُ مَعَهُ مَعَانٍ
أُخَرُ فَلَا يَعْرِفُ السَّامِعُ أَيَّهَا أَرَادَ. وَرَبَّمَا اسْتَبَيَّحَ الْكَلَامَ فِي نَوْعٍ
مِنْ هَذَا الْخَلْسِ حَتَّى لَا يُوقِفَ عَلَى مَعْنَاهُ إِلَّا بِالتَّوَهُّمِ. فَمِنْ الْخَلْسِ
الْأَوَّلِ قَوْلُ جَرِيرٍ:

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ يَوْمَ الرَّجِيلِ قَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ
قَوْبُهُ الْأَشْتِرَاكِ فِي هَذَا أَنَّ السَّامِعَ لَا يَدْرِي إِلَى أَيِّ شَيْءٍ
أَشَارَ مِنْ أَفْعَالِهِ فِي قَوْلِهِ (قَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ) أَرَادَ أَنْ يَنْكِحَ
إِذَا رَحَلُوا أَوْ يَهَيِّمَ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْقَمَرِ الَّذِي لَحِقَهُ أَوْ يَبْمُغُهُ فِي
الْمُضِيِّ عَلَى عَزْمَةِ الرَّجِيلِ أَوْ يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا يَتَذَكَّرُهُمْ بِهِ أَوْ يَدْفَعُ
إِلَيْهِمْ شَيْئًا يَذْكُرُونَهُ بِهِ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ بِمَا يَجُوزُ أَنْ يَفْعَلَهُ أَخْلِيلٌ عِنْدَ
فِرَاقٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ. فَلَمْ يُبَيِّنْ عَنْ غَرَضِهِ وَأَخْرَجَ إِلَى أَنْ يَسْأَلَهُ عَمَّا أَرَادَ
فَعَلَهُ عِنْدَ رَجَائِهِمْ. وَلَيْسَ هَذَا كَقَوْلِهِمْ: (لَوْ رَأَيْتَ عَلِيًّا بَيْنَ الصَّمَيْنِ).
لِأَنَّ دَلِيلَ الْبَسَاطَةِ وَالنَّكَاتَةِ فِي هَذَا الْكَلَامِ بَيْنُ وَآمَارَةُ
النَّقْصَانِ فِي بَيْتِ جَرِيرٍ وَارْتِجَاءٍ مَنْ يَسْمَعُهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ
الْبَلَاغَةِ يَسْتَدْرِدُهُ وَيَسْتَعْتُهُ وَيَسْتَرْجِعُ الْآخَرَ وَيَسْتَحْيِدُهُ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ
سَعِيدِ بْنِ مَالِكٍ الْأَزْدِيِّ:

فَإِنَّكَ لَوْ لَاقَيْتَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ لَلَّاقَيْتَ مِنْهُ بَعْضَ مَا كَانَ يَفْعَلُ
فَلَمْ يُبَيِّنْ عَمَّا أَرَادَ بِقَوْلِهِ: (لَلَّاقَيْتَ) أَخِيرًا أَرَادَ أَمْ شَرًّا إِلَّا

أَنْ تَسْمَعَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ قَبَّيْنِ مَعْنَاهُ وَأَمَّا فِي نَفْسِ الْبَيْتِ
فَلَا يَبَيِّنُ مَعْرَاهُ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

وَقُمْنَا قَتْلَنَا بَعْدَ أَنْ لَوْدَعَ الْوَرَى بِهِ مَا يُقَالُ فِي السَّكَايَةِ تُقَامُ
قَوْلُ النَّاسِ فِي السَّكَابِ إِذَا أَنْلَعَ عَلَى وَجْهِهِمْ مِنْ يَدِّهِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْمُهُ وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُجِبُ انْتِلَاعَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْرَهُ انْتِلَاعَهُ
عَلَى حَسَبِ مَا كَانَتْ حَالَتُهَا عِنْدَهُمْ وَمَوَاقِعُهَا مِنْهُمْ فَلَمْ يَسِيقْ
بِقَوْلِهِ مَعْنَى يَتَعَدُّهُ السَّامِعُ. عَلَى أَنَّ الْمُخْتَصِمَ لَهُ لَوْ قَالَ : إِنْ أَبْكَرَ
الْمَادَّةُ فِي السَّكَابِ أَنْ يُحْمَدَ أَثَرُهُ وَيُسْتَنَى عَلَيْهِ بَعْدَهُ لَمْ يَكُنْ مُبْدَاهُ
وَلَمْ يَرِدْ عَيْبَ أَبِي تَمَّامٍ. يَا قُلْتُ وَأَنَّمَا أَرَدْتُ الْإِخْبَارَ عَنْ وَجْهِهِ
الْأَشْتَرِ الْكَوْكَبِ وَذَكَرَ مَا يَتَّسَعِبُ مِنْهُ وَمَا يَقْرُبُ مِنْ بَابِهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ
مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ. وَمِنْ اللَّفْظِ الْمَشْتَرَكِ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :

وَعَبْنُ مَا يُخْبِتُ مِنْ آخِرِ مِنْهُ وَالطَّالِبِينَ أَهَارَ (١)

الْأَهَارُ هَاهُنَا جَمْعُ مَهْرٍ مِنْ قَوْلِهِمْ : مَهْرٌ يَمُورُ هَذَا. وَالْمَصَادِرُ لَا
تُجْتَمِعُ وَلَا يَشْكُ سَامِعُ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُ يُرِيدُ جَمْعَ مَهْرٍ فَشَكِلَ
الْمَعْنَى عَلَيْهِ. وَخَطَبَ بَعْضُ الْمُسْكِلِينَ فَقَالَ فِي صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى :
لَا يُقَاسُ بِالْقِيَاسِ وَلَا يُدْرَكُ بِالْأَلْسَانِ. أَرَادَ جَمْعَ لِسَانٍ فَاسْتَبَدَّ
السَّجْمُ وَخَطَأَ الْمَعْنَى. وَأَمَّا مَا يَنْبَغِيهِمْ فَلَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ إِلَّا بِأَتْرُوهِهِمْ. وَبِزَيْنِ
الْكَلَامِ لِقَائِي مِنَ الْأَشْتِمَالِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ لِأَخِي لَهُ أَرَادَ فِرَاقَهُ :

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ فِي دِيوانِ أَبِي نُوَّاسٍ :

وَعَبْنُ مَا يُخْبِتُ مِنْ بَعْدِهِ مِنْهُ وَالطَّالِبِينَ أَهَارَ

لَا تَصِفَتْ أَخْلَاقَكَ فَوَجَدَتْهَا مُبَايَنَةً لِلسَّائِلِي رَائِنَةٍ عَنْ قَصْدِ
طَرِيقَتِي صَدَتْ عَلَيْهَا رِيَاضَةٌ لِنَفْسِي عَلَى الصَّيْرِ لِمَسَاوِي أَخْلَاقِ
الْمُعَاشِرِينَ وَلِئَلَّمَنِي بِكَامِنِ الْعُدَوَانِ فِي جَمِيعِ الْعَالَمِينَ. وَالَّذِي رَجَوْتُ
مِنْ مَرَمَوْ خِصَالِكَ بِمَا أَقَابَهَا بِهِ مِنَ التَّجَاوُزِ وَأَخْبُ عَنْ سُوءِ أَثَارِهَا
أَذْيَالِ التَّقَاضِي. وَأَنْتَ مَعَ ذَلِكَ لَا تُعْزِمُ أَعْوَجَاجَ مَذَاهِبِكَ وَلَا
يَنْطِفُ بِكَ الرَّأْيُ عَلَى رُشْدِكَ. فَلَمَّا قَنَيْتَ حِيلَتِي فِيكَ وَأَنْقَطَعَتْ
أَسْبَابُ أَمَلِي مِنْكَ وَرَأَيْتُ الدَّاءَ لَا يَزِيدُ عَلَى التَّعَهُدِ بِالْإِدْوَاءِ
إِلَّا فُسَادًا وَالْحَرْقَ عَلَى التَّرْقِيعِ إِلَّا اتِّسَاعًا قَدَّمْتَ الْيَأْسَ مِنْكَ عَلَى
الرَّجَاءِ فِيكَ فَاحْتَسَبْتُ أَيَّامِي السَّالِفَةَ فِي اسْتِصْلَاحِي لَكَ

وَقَوْلُهُ : (وَحَقُّ الْمَعْنَى أَنْ يَكُونَ لَهُ الْإِسْمُ طَبَقًا) أَيُّ
يَكُونَ الْإِسْمُ طَبَقًا لِلْفِعْلِ بِقَدْرِ الْمَعْنَى غَيْرَ زَائِدٍ عَلَيْهِ وَلَا نَاقِصٍ
عَنْهُ فَكَانَ كَالطَّبَقِ عَلَى الْإِنَاءِ لَا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْءٌ

وَقَوْلُهُ : (وَلَا يَكُونَ الْإِسْمُ فَاضِلًا وَلَا مُقْصِرًا) فَهَذَا دَاخِلٌ فِي
الْأَوَّلِ مِنْ قَوْلِهِ : وَحَقُّ الْمَعْنَى أَنْ يَكُونَ لَهُ الْإِسْمُ طَبَقًا . وَمِثَالُ
الْفَاعِلِ مِنَ الْفِعْلِ عَنِ الْمَعْنَى قَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ أَدْنَةَ :

وَأَسْقِ الْعَدُوَّ بِكَأْسِيهِ وَأَعْلَمْ لَهُ بِالنَّيْبِ أَنْ قَدْ كَانَ قَبْلُ سَقَاكُمَا
وَأَجْزَرَ الْكَرَامَةَ مَنْ تَرَى أَنْ لَوْ لَهُ يَوْمًا بَذَلَتْ كَرَامَتُهُ لِحُزْنِكُمَا
وَمَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ تَحْضُورُ تَحْتَ ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ : اجْزُرْ كَلَامًا

بِفِعْلِهِ . وَكَانَ السُّكُوتُ لِعُرْوَةَ خَيْرًا مِنْهُ . وَمِنْ الْكَلَامِ الْفَاعِلِ
عَنْ مَعْنَاهُ قَوْلُ أَبِي الْيَمَالِوُ الْهَذَلِيِّ :

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي صَدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَعْبُ
 فَذَكَرْتُ الرَّأْسَ مَعَ الصَّدَاعِ فَضِلُّ
 وَالْمَقْصَرُ مِنَ الْكَلَامِ مَا لَا يُنَبِّئُكَ بِمَعْنَاهُ عِنْدَ سَمَاعِكَ إِيَّاهُ
 وَيُخَوِّجُكَ إِلَى شَرْحِ كَيْتِ الْحَارِثِ بْنِ حِلْزَةَ:
 وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَالٍ أَلْوَكِ مِنْ رَامٍ كَدًّا
 وَقَوْلُهُ: (وَلَا مُضْنًا) التَّضْيِينُ أَنْ يَكُونَ الْفَضْلُ الْأَوَّلُ
 مُفْتَقِرًا إِلَى الْفَضْلِ الثَّانِي وَالْيَتِ الْأَوَّلُ مُخْتِجًا إِلَى الْآخِرِ كَقَوْلِهِ
 الشَّاعِرُ:

كَانَ الْقَلْبَ لَبَّةً قِيلَ يُضْدَى بِلَيْلَى أَلَمِيرِيَّةٍ أَوْ يَرَاخُ
 نَظَاةً عَرَهَا شَرَكُ قَبَاتٍ تُجَادِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ
 فَلَمْ يَتِمَّ الْمَفْنَى إِلَّا فِي أَلْيَتِ الثَّانِي وَهُوَ قَبِيحٌ . وَمِثَالُهُ مِنْ
 نَثَرِ الْكِتَابِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ: وَجَعَلَ سَيِّدًا أَخَذًا مِنْ كُلِّ مَا دُعِيَ
 وَيُدْعَى بِهِ فِي الْأَعْيَادِ بِأَجْزَلِ الْأَقْسَامِ وَأَوْفَرِ الْأَعْدَادِ
 وَقَدْ نَسِيَ اسْتِعَارَتَكَ الْأَنْصَافَ وَالْأَيَّاتِ مِنْ شِعْرِ غَيْرِكَ
 وَإِذَا خَالَكَ إِيَّاهُ فِي أَثَاءٍ قَصِيدَتِكَ تَضْيِينًا . وَبَاقِي كَلَامِهِ
 يَتَضَمَّنُ صِفَةَ التَّكَلُّمِ لَا صِفَةَ الْكَلَامِ إِلَّا قَوْلُهُ: (وَيَكُونُ تَضْيِيقُهُ
 لِمَوَارِدِهِ بِقَدْرِ تَضْيِيقِهِ لِمَوَارِدِهِ) وَسَنَأْتِي عَلَى الْكَلَامِ فِي هَذَا
 وَنَسْتَفْصِيهِ فِي فَضْلِ الْقَاطِعِ وَالْمَبَادِي



البحث الثاني

في وسائل الاقتناع التي يتخذها الخطيب البليغ

(من تلخيص كتاب ارسطاطاليس في الخطابة لابن رشد)

أَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَفْعَلُ التَّصْدِيقَاتِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَهِيَ مَا
 هِيَ صَائِغَةٌ وَتِلْكَ هِيَ الَّتِي وَجُودُهَا لِاخْتِيَارِنَا وَرَدِّيَّتِنَا وَنَحْنُ
 الْقَائِلُونَ لَهَا. وَمِنْهَا مَا هِيَ غَيْرُ صَائِغَةٍ وَهِيَ الَّتِي لَيْسَ وَجُودُهَا لِاخْتِيَارِنَا
 وَرَدِّيَّتِنَا مِثْلُ الشُّهُودِ وَالتَّعْذِيبِ وَالْمَقُودِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَالْأَشْيَاءُ
 الصَّائِغَةُ الَّتِي نَحْنُ الْقَائِلُونَ لَهَا مِنْهَا أَشْيَاءٌ قَدْ نَقَدَّمْ غَيْرَنَا فَصَنَعَهَا مِثْلُ
 الْأَخْتِاجِ بِالْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ الَّتِي قَدْ وُضِعَتْ وَأَشْتَهَرَتْ وَمِنْهَا مَا
 نَخْتَرُهَا نَحْنُ عِنْدَ الْقَوْلِ فِي الشَّيْءِ الَّذِي فِيهِ الْإِقْنَاعُ وَنَسْتَنْبِطُهَا.
 فَأَمَّا التَّصْدِيقَاتُ الَّتِي نَفْعُهَا نَحْنُ وَنَخْتَرُهَا فَهِيَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ :
 (أَحَدُهَا) اثْبَاتُ التَّكَلِّمِ فَضِيَّةَ نَفْسِهِ الَّتِي يَكُونُ بِهَا أَهْلًا أَنْ
 يُصَدَّقَ وَأَنْ يَكُونَ عِنْدَ التَّكَلِّمِ بَهِيَّةً فِي وَجْهِهِ وَأَعْضَائِهِ شَائِنًا
 أَنْ تُوقَعَ التَّصْدِيقُ بِالشَّيْءِ التَّكَلِّمِ فِيهِ مِثْلُ التَّرْدَدَةِ وَأَنْوَاقٍ وَغَيْرِ
 ذَلِكَ. وَالْفَضِيَّةُ الَّتِي شَائِنًا هَذَا هِيَ الَّتِي يَعْنِي أَرِسْطُو بِالْكَفَيْسَةِ.
 وَالْمُهَيِّئَةُ الَّتِي شَائِنًا هَذَا هُوَ الَّذِي يَعْنِي بِالْسَّتِّ. وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
 لِلْفَضِيَّةِ تَأْثِيرًا فِي التَّصْدِيقِ أَنَّ الصَّالِحِينَ الْقَاضِلِينَ يُصَدِّقُونَ سَرِيعًا

دُونَ قَوْلِ يَكْلَفُوهُ فِي الشَّيْءِ. وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْأُمُورِ الظَّاهِرَةِ
 لِحَسَنِ الْإِتْيِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَحْسَوْهَا. فَبَلَّ قَوْلُهُمْ: إِنَّهُ شَرِبَ أَوْ قَتَلَ.
 قَامًا إِخْبَارُهُمْ عَنِ الْأُمُورِ الْخَفِيَّةِ عِنْدَ الْحَسَنِ وَهِيَ الْإِتْيِ يُظَنُّ أَنَّهُ خَفِيَ
 عَنْهُمْ مَا أَحْسَوْا مِنْ ذَلِكَ أَوْ وَهَمُوا فِيهِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ
 مُمَكِّنًا أَنْ يَمَّ فِيهِ الْحَسَنُ فَلَيْسَ يُصَدِّقُونَ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَدْعُونَهَا
 فِي أَمثَالِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ دُونَ أَنْ يَسْتَعْمِلُوا فِي تَثْبِيتِ ذَلِكَ الشَّيْءِ
 الْقَوْلَ. وَعَلَيْهِ قَدْ أَخْطَأَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا فِي الْخَطَابَةِ
 فَهَبُوا إِلَى أَنَّ الْقَضِيَّةَ وَالْأَنَاءَةَ إِنَّمَا هِيَ نَافِئَةٌ فِي بَابِ الْإِنْفِعَالِ
 قَطُّ. وَأَمَّا (الْصَّنْفُ الثَّانِي مِنَ التَّصْدِيقَاتِ) فَهُوَ الصَّنْفُ الَّذِي
 يَكُونُ بِأَنْ يَكْسِبَ السَّامِعُ بِالْقَوْلِ أَنْفِعَالًا مَا بُوْجِبَ لَهُ التَّصْدِيقُ
 بِالشَّيْءِ الَّذِي فِيهِ الْقَوْلُ. فَإِنَّهُ لَيْسَ تَصْدِيقُنَا بِالشَّيْءِ وَأَقْرَارُنَا بِهِ
 وَنَحْنُ فِي حَالِ الْقَرَحِ أَوْ الْحَزَنِ تَصْدِيقًا وَاحِدًا. وَكَذَلِكَ إِذَا كُنَّا
 فِي حَالِ السُّخْطِ عَلَى الشَّيْءِ أَوْ حَالِ الرِّضَاعَةِ. وَهَذِهِ هِيَ الْأَشْيَاءُ
 الَّتِي تَكَلَّمْنَا فِيهَا أَوْلَانِكَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا فِي هَذِهِ
 الصَّنَاعَةِ. وَأَمَّا (الْصَّنْفُ الثَّلَاثُ مِنْ هَذِهِ التَّصْدِيقَاتِ) فَهُوَ تَثْبِيتُ
 الشَّيْءِ بِالْكَلَامِ النَّفْعِ أَوْ مَا يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ مُنْعَجٌ وَذَلِكَ فِي الْأُمُورِ
 الْخُرْنِيَّةِ الَّتِي تُنْعَجُ فِيهَا هَذِهِ الصَّنَاعَةُ. وَإِذَا كَانَتْ التَّصْدِيقَاتُ إِنَّمَا
 تَكُونُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ بِهَذِهِ الْوُجُوهِ فَهُوَ بَيِّنٌ أَنَّ الَّذِي يَتَقَبَّرُ أَنْ
 يُنْعَجَ الْأَقْنَاعُ أَلَمْ يَكُنْ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِنَّمَا هُوَ الَّذِي
 يَكُونُ عَالِمًا بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: (أَوَّلُهَا) مَعْرِفَةُ الْأَقَابِيلِ الْمُفْتَعَةِ. (وِثَانِيهَا)

مَعْرِفَةُ الْأَخْلَاقِ وَالْفَضَائِلِ . (وَقَالَتْهَا) مَعْرِفَةُ الْأَنْفِعَالَاتِ (١)
وَذَلِكَ بِأَن يَعْرِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْفِعَالَاتِ مَا هُوَ وَمِنْ أَيْ
شَيْءٍ يَكُونُ وَمَتَى يَكُونُ وَكَيْفَ يَكُونُ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ
فَهَذِهِ الصَّاعَةُ كَانَتْهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ صِنَاعَةِ الْكَلَامِ وَالصَّنَاعَةِ لِحَقِيقَةِ
أَعْيُنِ الْمَدِينَةِ . وَإِنَّمَا لَمْ يُوجَدْ لِمَنْ تَقَدَّمَ قَوْلُ مُسْتَوْفٍ فِي أَجْزَائِهَا
إِمَّا مِنْ قَبْلِ جَهْلِهِمْ وَإِمَّا مِنْ قَبْلِ أَنَّهُمْ صَنَعُوا عَلَى غَيْرِهِمْ وَتَجَلَّوْا
عَلَيْهِمْ بِمَا وَقَعُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ لِمَكَانِ الْخَيْرَاتِ الَّتِي وَنَ حَاجِرٍ .
فَهَذِهِ الصَّاعَةُ هِيَ جُزْءٌ مِنْ صِنَاعَةِ الْوَلَدِ وَهِيَ شَيْءٌ بِالْجَدَلِ
فِي أَنَّهَا تَنْظُرُ فِي كِلَا التَّمَايِلَيْنِ وَفِي أَنَّهَا لَيْسَا يَنْظُرَانِ فِي شَيْءٍ
مَحْدُودٍ نَظَرًا يَتَأَمَّنُ بِهِ الْيَقِينُ لَكِنْ إِنَّمَا يَتَأَمَّنُ مِنَ النَّظَرِ مَا
دُونَ الْيَقِينِ

(١) هذا التقسيم قد اخذهُ عن ارسطاطليس كل من تكلموا في الخطابة .
وناهيك به من تقسيم يفي بالمقصود ويشمل كل اجزاء الخطابة والفرع يدعوون
هذه الاقسام الثلاثة (Preuves, mœurs oratoires, passions)



الفصل الثالث

في الاقاول المقتعة

البحث الاول

في ان الخطيب لا بد له للاقتناع من معرفة القياس وعلم المنطق

(من تلخيص كتاب ارسطاطاليس في الخطابة لابن رشد)

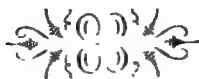
مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ الْأَشْيَاءَ الْمُنْسُوبَةَ إِلَى هَذِهِ الصَّنَاعَةِ
إِنَّمَا يَتَصَدَّقُ بِهَا التَّصْدِيقُ وَالْإِعْتِرَافُ مِنَ الْمُخَاطَبِ بِالشَّيْءِ الَّذِي فِيهِ
الدَّعْوَى وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِتَحْيِثِ الشَّيْءِ عِنْدَ الْمَعْرِفَةِ بِهِ. وَذَلِكَ
أَنَّا إِنَّمَا نَعْرِفُ بِالشَّيْءِ الَّذِي رَأَيْنَا أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَنَا وَالشَّيْءِ الَّذِي
تَثَبَّتْ بِهِ الْأَشْيَاءُ عَلَى طَرِيقِ الْخَطَابَةِ هُوَ الضَّمِيرُ (١) لِأَنَّ هَذَا هُوَ
أَصْلُ التَّصْدِيقِ وَعَمُودُهُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي تُوقِعُ هَذَا التَّحْوُّجَ مِنَ التَّصْدِيقِ
أَعْنِي التَّصْدِيقَ الْبَلَاغِيَّ. وَالضَّمِيرُ هُوَ نَوْعٌ مِنْ أَعْيَانٍ وَمَعْرِفَةٍ
أَقْيَاسٍ جُزْءٍ مِنْ صِنَاعَةِ الْمُنْطِقِ فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ
الْمُنْطِقِ هُوَ الَّذِي يَنْظُرُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ إِمَّا فِي كُلِّهَا وَإِمَّا فِي أَحْزَاءِ
مِنْهَا. وَبَيِّنُ أَنْ الَّذِي يَعْرِفُ الْقِيَاسَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَلْتَمِزُ وَيَكُونُ وَمَتَى
يَكُونُ فَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى عَمَلِ الضَّمِيرِ مِمَّنْ يَعْرِفُ الضَّمِيرَ فَقَطْ دُونَ أَنْ

(١) يريد بالضمير القياس الاضماري (Enthymème) وهو القياس

الذي قدرت احدى مقدمتيه اما الكبرى واما الصغرى

تَرْفَ الْقِيَاسَ الَّذِي هُوَ جَنْسُهُ. وَالَّذِي يَزِيدُ عَلَى هَذَا فَيَعْلَمُ لَمَّاذَا
تُعْمَلُ الصَّامِرُ وَالْفُضُولُ الَّتِي بَيْنَ الضَّيْرِ وَبَيْنَ سَائِرِ الْقِيَاسِ الَّتِي
تُسْتَعْمَلُ فِي الصَّامِرِ الْآخَرِ فَهُوَ أَقْدَرُ مِنْ ذِيكَ. وَالْعُرْفَةُ بِهَذَا كُفْلُهُ
إِنَّمَا هُوَ لِصِنَاعَةِ النُّطْقِ. فَإِنَّ لِقُوَّةَ الْوَاحِدَةِ بَيْنَهَا أَعْنَى لِصِنَاعَةِ
الْوَاحِدَةِ بَيْنَهَا أَنْ تُعْرَفَ الشَّيْءُ الَّذِي هُوَ حَقٌّ وَالَّذِي هُوَ شَيْءٌ
بِالْحَقِّ. وَالتَّضْدِيقَاتُ الْخَطِيئَةُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَقًّا فَهِيَ شَيْءٌ بِالْحَقِّ
وَأَيْضًا فَإِنَّ النَّاسَ مُتَشَبِّهُونَ بِطَبِيعَتِهِمْ كُلَّ انْتِهَاءِ نَحْوِ الْوُقُوفِ عَلَى
الْحَقِّ نَفْسِهِ. وَهُمْ أَكْثَرُ ذَلِكَ بِأَمْرِهِ وَيَقْنَعُونَ عَنْهُ. وَالْحُجُودَاتُ
وَهِيَ الَّتِي تَكُونُ مِنْهَا الصَّامِرُ شَيْءٌ بِالْحَقِّ مِنْ قَبْلِ أَنَّهُ نَائِبَةٌ عِنْدَ
الْجَاهِ مُنَابَ الْحَقِّ. وَالشَّيْءُ بِالْحَقِّ قَدْ يَدْخُلُ فِي عِلْمِ الْحَقِّ
الَّذِي هُوَ عِلْمُ النُّطْقِ. وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَقَدْ اسْتَبَانَ أَنَّ
قُصُورَهُ لَا، فِيمَا تَكَلَّمُوا فِيهِ مِنْ أَمْرِ الْخَطَايَةِ إِنَّمَا كَانَ مِنْ أَجْلِ
أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ بِالنُّطْقِ وَأَنَّ سَائِرَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي
الْخَطَايَةِ وَمَنْ يَسْتَعْمِلُ الْأَقَاوِيلَ الْخَطِيئَةَ فَقَطَّ مِنْ غَيْرِ أَنْ
يَتَقَدَّمُوا فَيَعْرِفُوا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي هِيَ عُمُودُ الْبَلَاغَةِ إِنَّهُمْ إِنَّمَا
يَتَكَلَّمُونَ فِي أَشْيَاءٍ تَحْجِي مِنْ الْبَلَاغَةِ تَحْجِي الدِّينِ وَالْتِمِيقِ
الَّذِي يَكُونُ فِي ظَاهِرِ الشَّيْءِ وَصَفَتِهِ لَا فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَسْذُلُ
وَمِنْهَا سَذَلَةٌ مَا بِهِ قِيَامُ الشَّيْءِ وَوُجُودُهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ يُظَنُّ بِمَا فَعَلُوا
مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا الْقَايَةَ مِنَ الْأَقَاوِيلِ الْإِقْنَاعِيَّةِ وَجَرَوْا فِي
ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الصَّوَابِ وَالْعَدْلِ

تُفَعِّلُ مِنْهَا أَلْمَقَائِيسُ فِي صِنَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ الَّتِي ذَكَرْنَا
بَلْ فِي جَمْعِهَا إِذَا كَانَتْ لَا تُسْتَعْمَلُ نَفْسُهَا وَإِنَّمَا تُسْتَعْمَلُ قُوَّتُهَا. وَأَمَّا
الْأَوَّلُ مَعَ قَبِيضِ الْمَقَدَّمَاتِ الْخَاصَّةِ بِصِنَاعَةٍ صِنَاعَةٍ وَنَ الصَّنَائِعِ الْخُرْنِيَّةِ مِثْلُ
الْمَقَدَّمَاتِ الَّتِي تُفَعِّلُ مِنْهَا الْمَقَائِيسُ فِي الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ فَإِنَّهَا لَا تُفَعِّلُ
مِنْهَا الْمَقَائِيسُ فِي الْأُمُورِ الْخَلْقِيَّةِ وَلَا الَّتِي فِي الْأُمُورِ الْخَلْقِيَّةِ تُفَعِّلُ
مِنْهَا الْمَقَائِيسُ فِي الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ. وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَإِذَا ذُنُ
الْمَوَاضِعِ لَا يُؤَلَّفُ مِنْهَا قِيَاسٌ فِي صِنَاعَةٍ مُخْصُوصَةٍ إِذَا مَا يُتَصَوَّرُ مِنْهَا
هُوَ عَامٌّ لِأَكْثَرِ مِنْ صِنَاعَةٍ وَاحِدَةٍ. وَأَمَّا الْأَنْوَاعُ فَهِيَ الَّتِي
تُؤَلَّفُ مِنْهَا الْمَقَائِيسُ الَّتِي تَلْتَمِشُ مِنْهَا الصِّنَاعَةُ الَّتِي تِلْكَ الْأَنْوَاعُ
مُخْصُوصَةٌ بِهَا. لَكِنَّ الْأَنْوَاعَ الَّتِي تَحْتَ عَازِمُونَ فِي هَذَا الْكِتَابِ عَلَى
ذِكْرِهَا لَيْسَتْ هِيَ مُقَدَّمَاتٌ يَقِينَةٌ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ
لَكَانَتْ الْمَقَائِيسُ الْخَلْقِيَّةُ مَقَائِيسَ يَقِينَةٍ وَلَمْ تَكُنْ مَقَائِيسَ
جَدَلِيَّةَ فَضْلًا عَنْ خَطِيئَةٍ. وَالضَّمَائِرُ الْمَعْمُولَةُ فِي هَذِهِ الصِّنَاعَةِ أَكْثَرُ
ذَلِكَ إِنَّمَا تُؤَلَّفُ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مَا كَانَ مِنْهَا خَاصًا بِمَجْنَسٍ جِنْسٍ
وَنَ أَجْنَاسٍ الْخَطَابَةِ أَثَلَاثَةٌ وَمَا كَانَ مِنْهَا عَامًّا لِلْأَجْنَاسِ الثَّلَاثَةِ
الَّتِي تُحَدِّدُ بَعْدُ



البحث الرابع

في التعريف والحد والرسم

(من كتاب الشفاء لابن سينا والمواقف للاببي وغيرهما)

(راجع صفحة ١٤ من علم الخطابة)

التعريف عند أهل العربية هو جعل الذات مشاراً بها إلى خارج إشارة وضعية ويعاينها التكثير. وعند المنطقيين هو الطريق الموصول إلى المطلوب التصوري ويسى معرفة وقولا شارحا أيضا ويسى حدا أيضا عند الأصوليين. وذلك المطلوب التصوري يسى معرفة وتحدودا. وبالجملة فالعرف ما يكتسب به التصور فخرج ما يحصل بطريق الخدس وما يحصل من الملزومات البينة من العلم باللوازم فإن الاستسباب إنما هو بالنظر. وقال المنطقيون: لا بد في العرف من مميز فإن كان المميز ذاتيا سمي العرف حدا وإن كان عرضيا سمي العرف رسما. وقال المتقدمون: إن الرسم منه تأم يميز الرسوم من كل ما يمايزه وهو يركب من الجنس القريب والخاصة كتعريف الإنسان بالحيوان الضاحك. ومنه ناقص يميزه عن بعض ما يمايزه ويكون بالخاصة وحدها أو بها وبالجنس البعيد كتعريف الإنسان بالضاحك أو بالجنم الضاحك أو برخصيات تختص بجملتها بحقيقة واحدة كقولنا في

تَعْرِيفِ الْإِنْسَانِ: إِنَّهُ مَا شِ عَلَى قَدَمَيْهِ عَرِيضُ الْأَطْفَارِ بِأَيْدِي الْبَشَرَةِ
 مُسْتَقِيمُ الْقَامَةِ ضَخَّاكُ بِالطَّبْعِ. وَصَرَّحُوا بِأَنَّ الْمَسَاوَاةَ شَرْطُ الْجُودَةِ
 الرَّثِمِ. وَجَرَّدُوا الرَّثِمَ بِالْأَعْمِ وَالْأَخَصِ وَأَيَّدَ ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَعْرِفَ
 لَا بُدَّ أَنْ يُفِيدَ التَّمْيِيزَ عَنْ بَعْضِ الْأَغْيَارِ كَمَا يَقْتَضِيهِ تَعْرِيفُهُمْ
 لِلْمَعْرِفِ بِمَا يَسْتَلْزِمُ مَعْرِفَتَهُ. فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ تَقْتَضِي التَّمْيِيزَ فِي الْجُلَّةِ.
 وَأَمَّا التَّمْيِيزُ عَنْ جَمِيعِهَا فَلَيْسَ بِشَرْطٍ لِأَنَّ التَّصَوُّرَاتِ الْمَكْتَسِبَةَ
 كَمَا قَدْ تَكُونُ يَوْجِبُ خَاصٍ بِالشَّيْءِ إِمَّا ذَاتِيٍّ أَوْ عَرَضِيٍّ كَذَلِكَ
 تَكُونُ يَوْجِبُ عَامٍّ ذَاتِيٍّ أَوْ عَرَضِيٍّ. فَجَبُّ أَنْ يَكُونَ كَأَيْسَبِ كُلِّ
 مِنْهَا مَعْرِفًا قَالِ الْمَسَاوَاةَ شَرْطُ الْمَعْرِفِ التَّامِّ ذَوْنِ غَيْرِهِ حَدًّا كَانَ
 أَوْ رَسْمًا

قَالَ الْأَيْحِي: (*) الْمَعْرِفُ تَجِبُ مَعْرِفَتُهُ قَبْلَ الْمَعْرِفِ فَيَكُونُ
 غَيْرُهُ أَوْ أَجْلَى مِنْهُ فَلَا يَعْرِفُ بِمَا لَا يَعْرِفُ إِلَّا بِهِ بِعَرْتَةِ أَوْ أَكْثَرِ.

شرح مقالة الايحي للجرجاني

يقول: (المعرف تجب معرفته قبل معرفة (المعرف) لان معرفته طريق الى
 معرفته وسبب لما فلا بد ان تتقدمها. (فيكون غيره) اذ لو كان عينه لم كون
 الشيء معلوما قبل ان يكون معلوما (او) يكون ايضا (اجلى منه) اذ لو ساواه في
 الجلاء او كان اخفى منه لم يكن معلوما قبله. (فلا يعرف) هذا تفرع على كونه
 اجلى اي لا يعرف الشيء (بما لا يعرف الا به) فانه لا يكون اجلى منه سواء توقف
 معرفته على معرفته (بمرتبة) واحدة ويسمى دورا صريحا كقولك: الشمس
 كوكب خادى والنهار زمان مكون الشمس طالعة. (او اكثر) ويسمى دورا
 مضرا كقولك: الحركة خروج الشيء من القوة الى الفصل بالتدرج والتدرج
 وقوع الشيء في زمان والزمان مقدار الحركة. (ولا بد) اشارة الى شرط آخر للمعرف
 اي لا بد من (ان يساويه في المصوم والمخصوص ليحصل) به (التميز). (اذ لواه)

وَلَا بُدَّ أَنْ يُسَاوِيَهُ فِي الْعُمُومِ وَالْخُصُوصِ لِيَحْصَلَ التَّسَاوِيُ إِذْ لَوْلَاهُ
لَدَخَلَ فِيهِ غَيْرُ الْمَعْرِفِ فَلَمْ يَكُنْ مَانِعًا وَمُطَرِّدًا. أَوْ خَرَجَ عَنْهُ بَعْضُ
أَفْرَادِهِ فَلَمْ يَكُنْ جَامِعًا وَمُنْعَكِسًا وَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ تَمَيُّزٍ فَإِنْ كَانَ
ذَاتِيًّا سُمِّيَ حَدًّا وَالْأَسْمَى رَسْمًا. وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ فَإِنْ ذُكِرَ
فِيهِ قَامُ الدَّائِي الْمَشْتَرَكُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ أَلْسِنَى بِالْجُنْسِ الْقَرِيبِ
قَتَامٌ وَالْأَفَنَاقِصُ. وَالْمُرَكَّبُ يُحَدُّ دُونَ الْبَسِيطِ فَإِنْ تَرَكَّبَ عَنْهُمَا
غَيْرُهُمَا حَدٌّ بِهِمَا وَالْأَفَلَا. وَكُلُّ كَسْنِي لَهُ حَاصَّةٌ بَيْنَهُ يُرْسَمُ وَالْأَفَلَا.

اي لولا كونه مساويا (للدخل فيه غير المعرفة) على تقدير كونه اعم مطلقا او
من وجه (فلم يكن مانعا) من دخول غير المعرفة فيه (و) لا (مطردا) وهو ان
يكون بحيث كلما صدق على شيء صدق عليه المعرفة ايضا. (او خرج عنه بعض افراده)
على تقدير كونه اخصا مطلقا او من وجه (فلم يكن جامعا) لجميع افراد المعرفة
(و) لا (منعكسا) وهو ان يكون بحيث يصدق على كل ما صدق عليه المعرفة.
واعلم ان اشتراط المساواة في الصدق ما ذهب اليه المتأخرون اذ حينئذ يحصل
التميز التام بحيث يمتاز جميع افراد المعرفة عن جميع ما عدلها ولا يلتبس شيء منها
بغيرها... (ولا بد فيه) اي في المعرفة (من مميزات مساو للمعرفة) (فان كان) المميز
(ذاتيا سمي) المعرفة (حدًا) (والا سمي رسما). وعلى التقديرين فان ذكر فيه قامة
الذاتي المشترك بينه وبين غيره المسمى بالجنس القريب قتام (اما حد تام مركب
من الجنس والفصل القريبين واما رسم تام مركب من الخاصة والجنس القريب.
(والا فناقص) اما حد ناقص سواء كان بالفصل وحده او مع الجنس البعيد او
المرض العام عند من يجوز اخذه في الحد. واما رسم ناقص بالخاصة وحدها او مع الجنس
البعيد او المرض العام عند من يجوز اخذه في الرسم. (والمركب) اذا لم يكن بدعي
التصور (يحد) باجزائه حدًا تامًا وناقصًا (دون البسيط) فانه لا يمكن تحديده اذ لا
جزء له (فان تركب عنها) عن المركب والبسيط (غيرهما) ولا يكون ذلك النذر
بدعي التصور (حد بهما والا فلا) يحد بهما اذ لم يقعا جزء الشيء (وكل) متصور
(كبي) مركب او بسيط (له خاصة) شاملة لازمة (بينه) بحيث يكون تصورهما

فَإِنْ كَانَ مُرَكَّبًا أَمَكْنَ رَسْمُهُ أَلْتَامُ وَإِلَّا فَلَانَقِصُّ. وَهَهُنَا نَوْعَانِ
آخَرَانِ مِنَ التَّعْرِيفِ الْأَوَّلِ بِأَلْتِمَالٍ وَهُوَ بِالْحَقِيقَةِ تَعْرِيفٌ بِأَلْمُشَابَهَةِ.
فَإِنْ كَانَتْ مُفِيدَةً لِلتَّمْيِيزِ فَبِهِيَ خَاصَّةٌ فَيَكُونُ رَسْمًا نَاقِصًا وَإِلَّا
لَمْ تَصْلُحْ لِلتَّعْرِيفِ. وَالثَّانِي التَّعْرِيفُ اللَّفْظِيُّ وَهُوَ أَنْ لَا يَكُونَ اللَّفْظُ

مستلزمًا لتصوره (يرسم. والا) اي وان لم تكن له خاصة كذلك (فلا) يرسم. (كان)
كان) ذلك الكسبي الذي له تلك الخاصة (مركبًا امكن رسمه التام) بتركيب
جنسه القريب مع خاصته (والا فلاناقص. وههنا نوعان آخران من التعريف الاول)
التعريف (بلكل) سواء كان جزئيًا للمعرف كقولك الاسم كزيد والفعل كضرب
او لا يكون جزئيًا له كقولك: العلم كالنور والجهل كالظلمة. (وهو بالحققة
تعريف بالمشابهة) التي بين ذلك المعرف وبين المثال. (فان كانت) تلك المشابهة
(مفيدة للتمييز فهي خاصة) لذلك المعرف (فيكون) التعريف بها (رسمًا ناقصًا)
داخلاً في الاقسام الاربعة المذكورة للمعرف (والا) اي وان لم تكن تلك المشابهة
مفيدة للتمييز (لم تصلح للتعريف) جافليس التعريف بالتال قسيماً على حدة. ولما كان
استنباس العقول القاصرة بالامثلة أكثر شاع في محتضبات المتعلمين (التعريفات بها.
(والثاني التعريف اللفظي. وهو ان لا يكون اللفظ واضح الدلالة) على معنى (يفسر
بلفظ اوضح دلالة) على ذلك المعنى كقولك: التضنفر الاسد. وليس هذا تعريفاً حقيقياً
يراد به افادة تصور غير حاصل. انما المراد تعيين ما وضع له لفظ التضنفر من بين
سائر المعاني يلتفت اليه ويعلم انه موضوع بازانته. فآله الى التصديق وهو طريقة
اهل اللغة وخارج عن المعرف الحقيقي واقسامه الاربعة التي ذكرت. وحقه ان
يكون بالفاظ مفردة مرادفة فان لم يوجد ذكر مركب يقصد به تعيين المعنى لا
تفصيله. واعلم ان التعريف الحقيقي الذي يقصد به تحصيل ما ليس بمجاصل من
التصورات يتقسم الى قسمين: احدهما ما يقصد به تصور مفهومات غير معلومة
الوجود في الخارج ويسمى تعريفاً بحسب الاسم. فاذا طلم مثلاً مفهوم الجنس
اجمالاً واريد تصوره بوجه اكمل فان فصل نفس مفهومه باجزائه كان ذلك حداً
له اسماً. وان ذكر في تعريفه عوارضه كان ذلك له رسماً اسماً. والثاني ما يقصد
به تصور حقائق موجودة ويسمى تعريفاً بحسب الحقيقة اما حداً او رسماً...

وَاصِحَ الدَّلَالَةِ فَيَقْسَرُ بِلَفْظٍ أَوْصَحَ دَلَالَةً. ثُمَّ إِنَّهُ يُقَدَّمُ فِي التَّعْرِيفِ
الْأَعْمَ وَيُخْتَرُ عَنْ الْأَلْفَاظِ الْقَرِيبَةِ الْوَحْشِيَّةِ وَعَنِ الْمَشْتَرَكِ وَالْجَازِ
بِلَا قَرِيبَةٍ وَبِالْجُمْلَةِ مَعَ كُلِّ لَفْظٍ غَيْرِ ظَاهِرِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ

البحث الخامس

في الكلي والحزني

(من كتاب الشفاء لابن سينا وتمرينات السيد الجرجاني وشرح التسمية

(راجع صفحة ١٦ من الجزء الثاني من علم الادب)

الْكَلِمَةُ عِنْدَ الْمُتَلَفِّينَ هُوَ الْمَفْهُومُ الَّذِي لَا يَتِمُّ تَصَوُّرُهُ مِنْ
وُقُوعِ شَرَكَةٍ كَثِيرِينَ فِيهِ بِحَيْثُ يُمْكِنُ تَقْسِيمُهُ إِلَى أَجْزَاءٍ. وَالْمُعْتَبَرُ
فِي الْكَلِمَةِ امْكَانُ فَرْضِ صَدَقِهِ عَلَى كَثِيرِينَ سَوَاءً كَانَ صَادِقًا أَوْ
لَمْ يَكُنْ وَسَوَاءً فُورِضَ الْعَقْلُ بِصِدْقِهِ أَوْ لَمْ يَفْرَضْ قَطُّ. وَيَقَابِلُهُ

(ثم انه يقدم في التعريف الاعم) لكونه اظهر عند العقل فتقديمه اولى ولان الاخص
فيد له محصص اياه فكان تقديمه عليه انب وما يقل من انه واجب في الحد التام
بحصل لجزئه الصوري حتى اذا أثر المفرد فيه كان حدا ناقصا فليس بشيء اذ
ليس للحد التام جزء خارج عن اجزاء الماهية المنحصرة في الجنس وفصل. (ويحترز)
فيه (عن الالفاظ القرية الوحشية) التي لا يفهم السامع معناها فيحتاج الى تفسيرها
فتطول المسافة ولذلك ما يختلف بالقياس الى السامعين فان اصطلاحات كل قوم
مشهورة عند اربابها غريبة عند غيرهم. (وعن المشترك والمجاز بلا قرينة) ظاهرة
فيتردد السامع حينئذ في المشترك بين المصور وغيره ويتبادر ذهنه في المجاز الى
غيره. (وبالحيلة فمن كل لفظ غير ظاهر الدلالة على المقصود) وذلك لانه يصدر
الانتهار والتوضيح فلا بد من ظهور الدلالة

الجزئي وهو المفهوم بما يدرك منه وعن غيره شيء سواء كان
موجوداً في الخارج أو في العقل. والكلية تشيقات فهو إما
حقيقي وهو الذي مرّ تحديده. وإما اعتيادي وهو ما أدرج تحته
شيء آخر في نفس الأمر وهو آخص من الكلّي الحقيقي.
والكلّي أيضاً إما جنس أو نوع أو فصل أو خاصة أو عرض
عام. ويشتم أيضاً إلى كلّي طبيعي أو عقلي على حسب ما
يكون موجوداً في الخارج أو يعترضه العقل وأعلم أن كل مفهوم
آخر سواء كانا كليّين أو جزئيين أحدهما كلياً والآخر جزئياً
فالنسبة بينهما مُحَصِّرة في أربع: المساواة. والعوم مُطلقاً.
والعوم من وجه. واللبائية الكلية. وذلك أنه إن لم يتصادقا على
شيء أصلاً فهما متباينان تبايناً كلياً. وإن تصادقا فإن تلازماً في
الصدق فهما متساويان وإلا فإن استلزم صدق أحدهما صدق
الآخر فبهما عموم وخصوص من وجه وكل منهما: (اعم) من
الآخر من وجه وهو كونه شاملاً للآخر ولغيره. (واخص) منه
من وجه وهو كونه مشمولاً للآخر فالمساواة بينهما أن يصدق
كل منهما باللعن على كل ما صدق عليه الآخر سواء وجب ذلك
الصدق أو لا

وأعلم أن في الكتابة والخطابة والشعر موقفاً للكلّي
والجزئي. وعند البديعيين نوع يعرفونه بمحضر الجزئي والخاصة
بالكلّي. فمحضر الجزئي هو أن يأتي التكميم إلى نوع من

الأنواع فقيمتها جنساً تعظيماً له وتثخيناً لأمرو بعد أن يحصر جميع أقسامه. والمراد عندهم بالأنوع أعم من أن يكون صادقاً على متعدّد ذمناً كما هو أشوع الممهور عند علماء المنطق أو لا يصدق إلا على فرد واحد كالجزئي المعروف عندهم. والمراد بالكلي الجنس وهو ما صدق على متعدّد اختلفت حقيقة أفرادوه. ومثال ذلك عندهم كقول المتنبي:

هي الغرض الأقصى ورويتك ألتى

ومثال الدنيا وأنت الخلاق
قد قصد تعظيم تدويعه فجعل منزلة الذي هو جزئي كلياً وهو الدنيا وجعل ذاته التي هي جزئية كليةً وهي الخلاق. وأما حضر أقسام الجزئي فلأن العالم عبارة عن حيوان ونبات وجماد والمزحل شامل لها

البحث السادس

في الجنس والنوع

(عن السيف الأمدي وشرح التيسية وانجاة لابر سينا)

(راجع صفحة ١٧ من علم الخطابة)

الجنس في اللغة الضرب في كل شيء وهو أعم من النوع. يقال: الإنسان نوع والحيوان جنس. ويراد به عند أهل العربية ألامية. وكل ما دل على شيء وعلى كل ما أشبهه وبالنظر إلى

هَذَا قِيلَ أَسْمُ الْإِنْسَانِ أَسْمُ وَضْعٍ لِلْمَاهِيَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ . وَالْإِنْسَانُ
 عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ مَقُولٍ عَلَى كَثِيرِينَ مُخْتَلِفِينَ بِالْأَغْرَاضِ دُونَ الْحَقَائِقِ .
 وَقِيلَ أَيْضًا . الْإِنْسَانُ هُوَ الْمَقُولُ عَلَى أَفْرَادٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ حَيْثُ الْمَقَاصِدُ
 وَالْأَحْكَامُ . وَالتَّنَوُّعُ كُلُّهُ مَقُولٌ عَلَى أَفْرَادٍ مُتَفَعِّةٍ مِنْ حَيْثُ الْمَقَاصِدُ
 وَالْأَحْكَامُ مُخْتَلِفِينَ بِالْعَدَدِ فَقَطْ كَالْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ مَقُولٌ عَلَى رَيْدٍ
 وَعَمْرٍو وَبَكْرٍ فِي جَوَابِ مَا هُوَ . وَرَبَّمَا أُطْلِقَ الْإِنْسَانُ عَلَى الْأَمْرِ
 أَلْعَامِ سِوَاهُ كَانَ جِنْسًا عِنْدَ الْفَلَاسِفَةِ أَوْ نَوْعًا . كَالْحَيَّةِ وَالْعَبْدِ مَثَلًا
 فَهَمَا نَوْعَانِ يَتَدَرَّجَانِ فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ وَيَشْتَرِكَانِ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ .
 ثُمَّ إِنْ الْإِنْسَانُ يُقَرَّبُ إِلَى قَرِيبٍ وَيَبْعَدُ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْجَوَابُ عَنْ
 الْمَاهِيَةِ وَعَنْ جَمِيعِ مُشَارِكَيْهَا فِي ذَلِكَ الْإِنْسَانُ وَاحِدًا فَهُوَ قَرِيبٌ .
 وَيَكُونُ الْجَوَابُ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ فَقَطْ كَالْحَيَوَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِنْسَانِ
 وَعَنْ جَمِيعِ مَا يَشَارِكُهُ فِي الْحَيَوَانِيَّةِ كَالْقُرْسِ وَالنَّعَمِ وَالْبَقَرِ وَنَحْوِهَا .
 وَإِنْ كَانَ الْجَوَابُ عَنْهَا وَعَنْ جَمِيعِ مُشَارِكَيْهَا فِي ذَلِكَ الْإِنْسَانُ
 مُتَعَدِّدًا فَهُوَ بَعِيدٌ وَيَكُونُ الْجَوَابُ هُوَ غَيْرُهُ كَالْجِنِّ النَّاسِ
 بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ جَوَابٌ عَنِ الْإِنْسَانِ وَعَنْ بَعْضِ
 مُشَارِكَيْهَا فِيهِ كَالنَّبَاتَاتِ . . وَالْأَجْنَاسُ تَدْرَبُ مُتَصَاعِدَةً وَالْأَنْوَاعُ
 مُتَنَزِّلَةً إِلَى أَنْ تَبْلُغَ إِلَى جِنْسٍ لَيْسَ قُوَّةُ جِنْسٍ آخَرَ وَهُوَ الْإِنْسَانُ
 الْعَالِي وَالْإِنْسَانُ لَيْسَ تَحْتَهُ نَوْعٌ آخَرُ وَهُوَ الْإِنْسَانُ الْمَفْرُودُ



البحث السابع

في تعريف العلة والمعلول

(من كتاب المواقف لعبد الرحمن الأبيجي)

راجع صفحة ٢٠ من علم الخطابة

اعْلَمْ أَنَّ الْعِلِّيَّةَ وَالْمَعْلُولِيَّةَ مِنَ الْقَوَارِضِ الشَّامِلَةِ لِلْمَوْجُودَاتِ
 عَلَى سَبِيلِ التَّعَابُلِ كَأَلَمَكَانٍ وَالْوُجُوبِ. وَتَصَوَّرُ أَحْتِيَاجَ الشَّيْءِ
 إِلَى غَيْرِهِ ضَرُورِيٌّ. فَالْحَتَّاجُ إِلَيْهِ يُسَمَّى عِلَّةً وَالْحَتَّاجُ مَعْلُولًا.
 وَالْعِلَّةُ إِمَّا جُزْءُ الشَّيْءِ أَوْ خَارِجٌ عَنْهُ. (وَالْأَوَّلُ) إِنْ كَانَ بِهِ الشَّيْءُ
 بِالْفِعْلِ كَالْهَيْئَةِ لِلسَّرِيرِ فَهُوَ الصُّورَةُ. وَإِنْ كَانَ بِالْقُوَّةِ كَالْخَشَبِ لَهُ
 فَهُوَ الْمَادَّةُ. وَلَهَا أَسْمَاءٌ بِاعْتِبَارَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ: قَادَّةٌ إِذَا تَتَوَارَدُ عَلَيْهَا
 الصُّورُ الْمُخْتَلِفَةُ. وَقَابِلٌ مِنْ جِهَةٍ اسْتِعْدَادِهَا لِلصُّورِ. وَعَنْصَرٌ إِذَا مِنْهَا
 يَبْتَدَأُ التَّرَكِيبُ. وَاسْطَقْسٌ إِذَا إِلَيْهَا يَنْتَهِي التَّحْلِيلُ. وَهَاتَانِ عِلَّتَانِ
 لِلْمَاهِيَةِ كَمَا أَنَّهَا عِلَّتَانِ لِلْوُجُودِ فَيُحْصَانِ بِأَسْمِ عِلَّةٍ أَلْمَاهِيَّةِ.
 (وَالثَّانِي) إِمَّا مَا بِهِ الشَّيْءُ كَالنَّجَارِ لِلسَّرِيرِ وَهُوَ الْفَاعِلُ. وَإِمَّا لِأَجْلِ
 الشَّيْءِ كَالْجُلُوسِ عَلَيْهِ لَهُ وَهُوَ الْغَايَةُ. وَهَاتَانِ مُحْصَانِ بِأَسْمِ عِلَّةٍ
 الْوُجُودِ. وَالْأَوَّلَيْنِ لَا تَوْجِدَانِ إِلَّا لِلْمَرْكَبِ. وَالْغَايَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا
 لِفَاعِلٍ بِالْإِخْتِيَارِ. وَقَدْ تُسَمَّى قَائِدَةً فِعْلٍ الْمَوْجِبِ غَايَةً أَيْضًا تَشْبِيهَا
 وَالْغَايَةُ مَعْلُولَةٌ فِي الْخَارِجِ وَإِنْ كَانَتْ عِلَّةً فِي الذِّهْنِ فَلَهَا عِلَاقَةٌ

العلية والعلولية. ويسمى جميع ما يحتاج إليه الشيء، علة تامة وهي
قد تكون علة فاعلية أو مع الفاعية كما في البسيط. وقد تكون
مجموعة من الأجزاء كما في المركب... والفرق بين العلة والشرط
أن العلة مطردة فحينما وجدت وجد الحكم وتأثيرها بالذات. أما
الشرط فتوقف عليه تأثير المؤثر لا ذاته كنبوة الخطب للأخراق
إذ النار لا تؤثر في الخطب بالأخراق إلا بعد أن يكون يابسا

الفصل الرابع

في آداب الخطابة

المبحث الأول

في آداب كلام الخطيب

(من كتاب الدنيا والدين للآوردي)

(راجع صفحة ٣٨ من الجزء الثاني من علم الأدب)

أَعْلَمُ أَنَّ لِكَلِّ كَلَامٍ آدَابًا إِنْ أَغْفَلَهَا اَلْمُتَكَلِّمُ أَذْهَبَ رَوْقِي
كَلَامِهِ وَطَمَسَ بَهْجَةَ بَيَانِهِ وَلَمَّا أَتَى عَنْ حَافِظِي فَضْلِهِ عِيسَاوِي آدَابِهِ
فَعَدُّوا عَنْ مَنَاقِبِهِ بِذِكْرِ مَثَالِهِ . (فِي آدَابِهِ) أَنْ لَا يَتَجَاوَزَ فِي
مَدْحٍ وَلَا يُسْرِفَ فِي ذَمٍّ وَإِنْ كَانَتْ اَلزَّاهَةُ عَنْ اَلذَّمِّ كَرَمًا .
وَالَّتَّجَاوُزُ فِي اَلْمَدْحِ مَلَقًا يَصْدُرُ عَنْ مَهَابَةٍ وَاَلسَّرْفُ فِي اَلذَّمِّ اِنْتِقَامًا

يَصُدُّ عَنْ شَرِّهِ. وَكِلَاهُمَا شَيْنٌ وَإِنْ سَلِمَ مِنَ الْكَذِبِ. عَلَى أَنْ
السَّلَاطَةَ مِنَ الْكَذِبِ فِي الدَّخْرِ وَالَّذِمُ مُتَعَدِّدَةٌ لَأَسِيًّا إِذَا مَدَحَ
تَقَرُّبًا وَدَمَّ مُخْتَفًا. وَحُكِيَ عَنِ الْأَخْفَرِ بْنِ قَيْسٍ أَنَّهُ قَالَ سَهَرْتُ
لَيْلِي أَفَكَّرْتُ فِي كَلِمَةٍ أَرْضِي بِهَا سُلْطَانِي وَلَا أُخْطِ بِهَا رَبِّي فَمَا
وَجَدْتُهَا. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَدْخُلُ عَلَى
السُّلْطَانِ وَمَعَهُ دِينُهُ فَيُخْرِجُ وَمَا مَعَهُ دِينُهُ. قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ.
قَالَ: يُرْضِيهِ بِمَا يُخْطِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَسَمِعَ ابْنُ الرُّومِيِّ رَجُلًا
يَصِفُ رَجُلًا وَيَبْلُغُ فِي مَدْحِهِ قَائِلًا يَقُولُ:

إِذَا مَا وَصَفْتَ أَمْرًا لَا مَرِيءَ قَلَّا تَغْلُ فِي وَضْعِهِ وَأَقْصِدِ
فَأَنْتَ إِنْ تَغْلُ تَغْلُ الظُّنُّ نَ فِيهِ إِلَى الْأَمَدِ الْأَبَدِ
فِيضَالٌ مِنْ حَيْثُ عَظُمَتْهُ لِفَضْلِ الْغَيْبِ عَلَى التَّشْهَدِ
(وَمِنْ آدَابِهِ) أَنْ لَا تَبْعَثَ الرَّغْبَةَ وَالرَّهْبَةَ عَلَى الْإِسْتِزَالِ
فِي وَعْدٍ أَوْ وَعِيدٍ يَحْجُزُ عَنْهُمَا وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِمَا. فَإِنْ مَنْ
أَطْلَقَ بِهِمَا لِسَانَهُ وَأَرْسَلَ فِيهِمَا عَيْنَهُ وَلَمْ يَسْتَقْبِلْ مِنَ الْقَوْلِ مَا
يَسْتَقْبِلُهُ مِنَ الْعَمَلِ صَارَ وَعْدُهُ نَكْثًا وَوَعِيدُهُ عَجْزًا. (وَمِنْ آدَابِهِ)
إِنْ قَالَ قَوْلًا حَقًّا يَفْعَلُهُ وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ صَدَقَهُ يَسْمَعُو قَانَ
إِرْسَالَ الْقَوْلِ اخْتِيَارَ وَالْعَمَلِ بِهِ اضْطِرَّارَ وَلَئِنْ يَفْعَلْ مَا لَمْ يَقُلْ
أَحْمَلُ مِنْ أَنْ يَقُولَ مَا لَمْ يَقُلْ. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: أَحْسَنُ
الْكَلَامِ مَا لَا يُجْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْكَلَامِ أَيَّ يَكْتَفِي بِالْفِعْلِ مِنْ
الْقَوْلِ. وَقَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ:

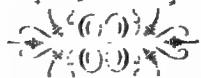
أَقُولُ مَا صَدَقَهُ الْفَعْلُ وَالْفَعْلُ مَا وَكَدَهُ الْعَقْلُ
 لَا يَثْبُتُ الْقَوْلُ إِذَا لَمْ يَكُنْ يُقَالُ مِنْ تَحْتِهِ الْأَصْلُ
 (وَمِنْ آدَائِهِ) أَنْ يُرَاعِيَ خَارِجَ كَلَامِهِ بِحَسَبِ مَقَاصِدِهِ
 وَأَغْرَاضِهِ فَإِنْ كَانَ تَرْغِيئًا قَرَنَهُ بِاللَّيْنِ وَاللَّطْفِ. وَإِنْ كَانَ تَرْهِيئًا
 خَاطَطَهُ بِالْخُشُونَةِ وَالْعَنْفِ. فَإِنَّ لَيْنَ اللَّفْظِ فِي التَّرْهِيْبِ وَخُشُونَتَهُ فِي
 التَّرغِيْبِ خُرُوجٌ عَنْ مَوْضِعَيْهَا وَتَطْيِيلٌ لِلْمَقْصُودِ بِهَا فَيَصِدُّ الْكَلَامُ
 لَفْظًا وَاتَّعَرَضَ الْمَقْصُودُ لَهَوًا. وَقَدْ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدِّيلِيُّ لِأَبْنِهِ :
 يَا ابْنِي إِنْ كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَلَا تَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ مِنْ هُوَ قَوْلُكَ
 فَيَمُتُّوكَ. وَلَا بِكَلَامٍ مِنْ هُوَ دُؤُوكَ فَيَذَرُوكَ. (وَمِنْ آدَائِهِ) أَنْ
 لَا يَرْفَعَ بِكَلَامِهِ صَوْتًا مُسْتَنَكِرًا وَلَا يَنْزِعَ لَهُ أَتْرَعًا مُسْتَهْجَأًا
 وَلِيَكْفَ عَنْ حَرَكَةٍ تَكُونُ طَيِّشًا وَعَنْ حَرَكَةٍ تَكُونُ عِيًّا. فَإِنْ
 نَقَصَ الطَّيِّشُ أَكْثَرَ مِنْ فَضْلِ الْبَلَاغَةِ. وَقَدْ حَكِيَ أَنَّ الْحَجَّاجَ قَالَ
 لِأَعْرَابِيٍّ : أَخْطِيبُ أَنَا. قَالَ : نَعَمْ لَوْ لَا أَنَّكَ تُكْثِرُ الرَّدَّ وَتُمَيِّزُ
 بِالْيَدِ وَتَقُولُ أَمَّا بَعْدُ. (وَمِنْ آدَائِهِ) أَنْ يَتَجَانَى هَجَرَ الْقَوْلِ
 وَمُسْتَهْجِ الْكَلَامِ وَلِيَعْدِلَ إِلَى الْكِفَايَةِ عَمَّا يُسْتَهْجَى صَرِيحُهُ
 وَيُسْتَهْجَنُ فَصِيحُهُ لِيَتَلَفَّزَ الْقَرِضَ وَلِسَانَهُ تَرَةً وَأَدَبُهُ مَصُونٌ كَمَا أَنَّهُ
 يَصُونُ لِسَانَهُ عَنْ ذَلِكَ فَهَكَذَا يَصُونُ عَنْهُ سَمْعُهُ فَلَا يَسْمَعُ خِيًّا وَلَا
 يُضْغِي إِلَى تَحْشٍ فَإِنَّ سَمَاعَ الْفَحْشِ دَاعٍ إِلَى إِظْهَارِهِ وَذَرِيْمَةٌ إِلَى
 انْكَارِهِ وَإِذَا وُجِدَ عَنْ الْفَحْشِ مُعْرِضًا كَفَّ قَلْبُهُ وَكَانَ إِغْرَاضُهُ
 أَحَدَ التَّكْيِيزِينَ كَمَا أَنَّ سَمَاعَهُ أَحَدَ الْبَلَعَيْنِ. وَأَنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ

أَبْنُ الْخَارِثِ الْهَاشِمِيُّ :

تَحَرَّ مِنْ الطَّرْقِ أَوْ سَاطِهَا وَعَدَّ عَنِ الْمَوْضِعِ الْمَثْبُتِ
وَسَمِعَكَ صُنَّ عَنْ قَبِيحِ الْكَلَامِ كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ انْفِطَاقِهِ
فَأَنَّكَ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقَبِيحِ شَرِيكَ لِقَائِهِ فَأَنْتَبَ
وَمَا يَجْرِي تَجَرَّى فَخَسِرَ الْقَوْلُ وَهُجِرُوا فِي وَجُوبِ اجْتِنَابِهِ وَلُزُومِ
تَنَكُّهِ مَا كَانَ شَنِيعَ الْبِدْيَةِ مُتَنَكِّرَ الظَّاهِرِ وَإِنْ كَانَ غُشِبَ
أَتَّامِلُ سَلَامًا وَبَعْدَ الْكُشْفِ وَالرَّوْيَةِ مُسْتَقِيمًا كَالَّذِي رَوَاهُ الْأَزْدِيُّ
عَنِ الصَّوْلِيِّ لِبَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ الشُّعَرَاءِ :

إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ كَافِرٌ بِاللهِ سِيرِي
أَنْتَ رَبِّي وَالهِي رَازِقُ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ

يُرِيدُ بِقَوْلِهِ (كَافِرٌ) أَيَّ لَا يَسُُّ لِأَنَّ الْكُفْرَ اتَّعَنِيَّةً. وَبِذَلِكَ
سُمِّيَ الْكَافِرُ بِاللهِ كَافِرًا لِأَنَّهُ قَدْ عَطَى نِعْمَةَ اللهِ بِمَخْصِيَّتِهِ. وَقَوْلُهُ :
(بِاللهِ سِيرِي) يُقْسِمُ عَلَيْهَا أَنْ تَسِيرَ. وَقَوْلُهُ : (أَنْتَ رَبِّي) يَعْنِي رَبِّي
وَلَدَكَ مِنَ الْأَرْثِيَّةِ. وَالهِي رَازِقُ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ كَمَا أَنَّهُ رَازِقُ الْوَلَدِ
الْكَبِيرِ. فَانْظُرْ إِلَى هَذَا اتَّكَلُّفِ الشَّنِيعِ وَالتَّعَنُّقِ الْبَشِيعِ مَا
أَعْتَاضَ مِنْ حَيْثُ الْبِدْيَةِ إِذَا سَلِمَ بَعْدَ الْفِكْرِ وَالرَّوْيَةِ إِلَّا لَوْ مَا
إِنْ حَسُنَ فِيهِ الظَّنُّ أَوْ دَمَا إِنْ قَوِيَ فِيهِ الْإِزْتِيَابُ. وَقَلَّمَا يَكُونُ
ذَلِكَ إِلَّا مِنْ خَلِيعٍ بَطَرٍ أَوْ مُرْكَابٍ أَشْبَرَ



المبحث الثاني

في خصال الخطيب

(عن الماوردي والقرابي بعض تصرف)

(راجع صفحة ٣٩ من علم الخطابة)

إِنَّ الْخَطِيبَ الْحُرِّيَّ بِالْإِزْشَادِ مَنْ قَدْ اسْتَكْمَلَتْ فِيهِ خَمْسُ
 خِصَالٍ : (إِحْدَاهُنَّ) عَقْلٌ كَامِلٌ مَعَ تَجَرِبَةٍ سَالِقَةٍ فَإِنَّ بِكَثْرَةِ
 التَّجَارِبِ تَصَحُّهُ الرُّوْيَةُ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : اسْتَشِدُّوا الْعَاقِلَ
 تَرَشَّدُوا وَلَا تَعَصُّوه قُنْدُمُوا . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ لِأَبْنِهِ مُحَمَّدٍ :
 احْذَرُوا مَشُورَةَ الْجَاهِلِ وَإِنْ كَانَ نَاصِحًا كَمَا تُحْذَرُ عِدَاوَةُ الْعَاقِلِ
 إِذَا كَانَ عَدُوًّا فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يُورِثَكَ بِمَشُورَتِهِ فَيَسْبِقُ إِلَيْكَ
 مَكْرُ الْعَاقِلِ وَتَوَرِّطُ الْجَاهِلِ . وَقِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ عَبَسَ : مَا أَكْثَرَ
 صَوَابَكُمْ . قَالَ : نَحْنُ أَلْفُ رَجُلٍ وَفِينَا حَازِمٌ وَنَحْنُ نُطِيعُهُ فَكَأَنَّا
 أَلْفُ حَازِمٍ . وَكَانَ يُقَالُ إِيَّاكَ وَمَشَاوَرَةُ رَجُلَيْنِ شَابٍ مُتَجَبِّ
 بِنَفْسِهِ قَلِيلُ التَّجَارِبِ فِي غَيْرِهِ أَوْ كَبِيرٌ قَدْ أَخَذَ الدَّهْرُ مِنْ عَقْلِهِ كَمَا
 أَخَذَ مِنْ جَنْبِهِ . وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحِكْمِ : كُلُّ شَيْءٍ لَا يَحْتَاجُ إِلَى
 الْعَمَلِ وَالْعَمَلُ يُحْتَاجُ إِلَى التَّجَارِبِ . وَلِذَلِكَ قِيلَ : أَلَا يَأْمُرُكَ لَكَ عَنْ
 الْأَسْتِزَارِ الْكَامِنَةِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : التَّجَارِبُ لَيْسَ لَهَا غَايَةٌ
 وَالْعَاقِلُ وَهِيَ فِي زِيَادَةٍ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : مَنْ اسْتَعَانَ بِذَوِي
 الْأَعْمَالِ فَلَا يَدْرِكُ الْأَمُولِ . وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدِّبَلِيُّ :

وَمَا كُلُّ ذِي نُفْحٍ يُؤْتِيكَ نُفْحَهُ وَلَا كُلُّ مُوتٍ نُفْحَهُ يَلِيْبُ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجَمَاعِنْدَ صَاحِبٍ فَحَقَّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِصِيبٍ
(وَالْحَلَّةُ الثَّانِيَّةُ) أَنْ يَكُونَ الْخَطِيبُ ذَا دِينٍ وَتَقَى قَانَ
ذَلِكَ عِمَادُ كُلِّ صَلاَحٍ وَبَابُ كُلِّ نَجَاحٍ وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الَّذِينَ فَهُوَ
مَأْمُونُ السَّرِيَّةِ مُوَقَّقُ الزَّيْمَةِ. (وَالْحَلَّةُ الثَّلَاثَةُ) أَنْ يَكُونَ
نَاصِحًا وَدُودًا فَإِنَّ النُّصْحَ وَالْمُودَّةَ يُصْدِقَانِ الْفِكْرَةَ وَيَخَصَّصَانِ الرَّأْيَ.
وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لَا تُشَاوِرْ إِلَّا الْحَاظِمَ غَيْرَ الْخُودِ وَاللَّيْبَ
غَيْرَ الْحَقُودِ وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةُ النِّسَاءِ فَإِنَّ زَأْيَنَ إِلَى الْأَفْنِ وَعَزَمُنَ
إِلَى الْوَهْنِ. وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ مَشُورَةُ الْمَشْفِقِ الْحَاظِمِ ظَفَرُ
وَمَشُورَةُ غَيْرِ الْحَاظِمِ خَطَرٌ وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

أَصْفِ ضَيْرًا لَنْ تُعَايِرُهُ وَأَنْصَحْ إِلَى نَاصِحٍ تُشَاوِرُهُ
وَأَرْضَ مَنْ أَمَّرَ فِي مَوَدَّتِهِ بِمَا يُؤْدِي إِلَيْكَ ظَاهِرُهُ
مَنْ يَكْشِفُ النَّاسَ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا تَصْحَعُ مِنْهُمْ لَهُ سَرَاوِرُهُ
أَوْشَكَ أَنْ لَا يَدُومَ وَصْلُ أَخٍ فِي كُلِّ زَلَّاتِهِ تُنَافِرُهُ

(وَالْحَلَّةُ الرَّابِعَةُ) أَنْ يَكُونَ سَلِيمَ الْفِكْرِ مِنْ هَمٍّ قَاطِعٍ
وَعَمٍّ شَاغِلٍ. فَإِنَّ مَنْ عَارَضَتْ فِكْرُهُ شَوَائِبُ الْمُسُومِ لَا يَسْلَمُ لَهُ
رَأْيٌ وَلَا يَسْتَقِيمُ لَهُ خَاطِرٌ. وَكَانَ كِنَرِي إِذَا دَهَمَهُ أَمْرٌ بَعَثَ إِلَى
مَرَاتِبِهِ فَاسْتَشَارَهُمْ فَإِنْ قَصَرُوا بِالرَّأْيِ ضَرَبَ قَهَارِمَتَهُ وَقَالَ: أَبْطَأْتُمْ
بَارِزَاتِهِمْ فَأَخْطَرُوا فِي أَرَانِهِمْ. وَقَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ:

وَلَا مُشِيرَ كَذِي نُفْحٍ وَمُقَدَّرَةٌ فِي مُشْكِالِ الْأَمْرِ قَاخَذَ ذَلِكَ مُتَّصِحًا

(وَالْخُصْلَةُ الْخَامِسَةُ) أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ فِي الْأَمْرِ الْمُسْتَشَارُ
غَرَضٌ يُتَابِعُهُ وَلَا هَوًى يُسَاعِدُهُ فَإِنَّ الْأَغْرَاضَ جاذِبَةٌ وَالْهَوَى صَادٌ
وَالرَّأْيَ إِذَا عَارَضَهُ الْهَوَى وَجاذِبَتُهُ الْأَغْرَاضُ فَسَدَ. وَقَدْ قَالَ
الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ :

وَقَدْ يُخَيِّمُ الْأَيَّامُ مَنْ كَانَ جَاهِلًا

وَيُرِيدِي الْهَوَى ذَا الرُّأْيِ وَهُوَ لَيْبٌ

وَيُخَمِّدُ فِي الْأَمْرِ الْقَتَى وَهُوَ مُخْطِئٌ :

وَيُعْذَلُ فِي الْإِحْسَانِ وَهُوَ مُصِيبٌ

فَإِذَا اسْتَكْمَلْتَ هَذِهِ الْخُصَالَ لِحُسْنِ فِي رَجُلٍ كَانَ أَهْلًا
لِلْإِشَارَةِ وَالْمَشُورَةِ وَمَعْدِنَا لِلرَّأْيِ فَلَا تَعْدِلْ عَنْ اسْتِشَارَتِهِ اعْتِيَادًا
عَلَى مَا تَتَوَهَّمُهُ مِنْ فَضْلِ رَأْيِكَ وَثِقَةٍ بِمَا تَسْتَشِيرُهُ مِنْ صِحَّةِ رُؤْيَيْكَ.
فَإِنَّ رَأْيَ غَيْرِ ذِي الْحَاجَةِ اسْلَمَ وَهُوَ مِنَ الصُّوَابِ أَقْرَبُ لِخُلُوصِ
الْفِكْرِ وَخُلُوعِ الْخَاطِرِ مَعَ عَدَمِ الْهَوَى وَارْتِفَاعِ الشَّهْوَةِ وَقَدْ وَرَدَ فِي
الْحَدِيثِ : إِنَّ رَأْسَ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ وَمَا
اسْتَفْنَى مُسْتَفِدُّ رَأْيِهِ وَمَا هَلَكَ أَحَدٌ عَنْ مَشُورَةٍ فَلَذَا أَرَادَ اللَّهُ
بِعَبْدٍ هَلَكَةً كَانَ أَوَّلُ مَا يَهْلِكُهُ رَأْيُهُ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :
الْإِسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهُدَايَةِ وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَفْنَى بِرَأْيِهِ. وَقَالَ لُقْمَانُ
الْحَكِيمُ لِابْنِهِ شَاوِرَ : مَنْ جَرَّبَ الْأُمُورَ فَإِنَّهُ يُعْطِيكَ مِنْ رَأْيِهِ مَا
قَامَ عَلَيْهِ بِالْقَلَاءِ وَأَنْتَ تَأْخُذُهُ بِجَنَانَا. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : يَضْفُ
رَأْيُكَ مَعَ أَخِيكَ فَشَاوِرُهُ لِيَكُنْكَ الرُّأْيُ

البحث الثالث

في طباع الناس على اختلاف اطوار الحياة

(من كتاب مشهد الاحوال لفتح الله مراش)

(راجع صفحة ٤٣ من علم الخطابة)

(حَالُ الطُّفُولِيَّةِ) هَذَا هُوَ الدَّوْرُ الْأَوَّلُ لِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ. وَالْقَلْوَةُ
 الْأُولَى فِي طَرِيقِ الزَّمَانِ. حِينَ يُقَالُ لِلدَّخْلِ طِفْلٌ مَوْلُودٌ.
 وَلِلخَارِجِ شَيْخٌ مَمْقُودٌ. وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ فِي هَذَا الدَّخْلِ عَالِمٌ
 الْبَصِيرَةِ. خَالِي السَّرِيرَةِ. عَارِيًا مِنْ كُلِّ الْكَمَالَاتِ الْأَدَبِيَّةِ. غَيْرِ
 حَاصِلٍ عَلَى قَامِ الْوُطَائِفِ الْعَقْلِيَّةِ. فَلَا يَرَى إِلَّا مَا يَقُومُ قُرْبَهُ. وَلَا
 يَشْعُرُ إِلَّا بِمَا يَسْتَعِظُ قَلْبَهُ. فَيَلْتَمِسُ بِالْأَدَبِ وَيَذَرِيهِ. وَيَبْتَثُ بِالْبِرِّ
 وَيَذَرِيهِ. وَيَسْتَحِرُّ بِالْمَقْبُولَاتِ وَلَمْزُودَاتِ. وَيَضْحَكُ عَلَى كُلِّ
 الْاُجُودَاتِ. فَلَا يَتَمُّ إِلَّا بِطَلَبِ الْغِذَاءِ. وَلَا يَخْفَلُ إِلَّا بِمَا يُورِثُ
 الْأَذَى. وَإِذَا لَا يَدْرِكُ طَائِشًا بِحَقَّةِ بُيْتِهِ. وَضَائِعًا فِي تِهْ بَيْتِهِ. فَلَا
 يَسْمَعُ دَوِيَّ ضَوْضَاءِ الْعَوَالِمِ. وَلَا دَوِيَّ قَوَائِي الْعَطَائِمِ. بَيْنَمَا
 يَكُونُ بِاصِيًا تَحْتَ تَأْثِيرَاتِهَا وَقَوَائِلِهَا. وَمُتَحَرِّكًا وَسَاكِنًا تَحْتَ
 جَوَازِيهَا وَعَوَامِلِهَا. وَمُسْرِعًا فِي طَرِيقِ حَيَاتِهِ إِلَى الدَّخُولِ فِي
 أَبْوَابِهَا. وَالْقَوْصِ فِي بُعَابِهَا. فَلَيْتَ عَيْنُهُ تَرَى مَا يَسْتَقْبِلُهُ مِنَ
 الْأَوْصَابِ. وَمَا يَسْتَنْظِرُهُ مِنَ الْأَتْعَابِ. فَمَا أَتَدْنِي الْأَرْضُ الْأَرْدَى
 فِي طَلَبِ الْقُوتِ. وَمَا أَتَهْدِي إِلَّا إِشَارَةَ التَّابُوتِ

(حَالُ الْفُتُورَةِ) هَذَا هُوَ الدَّوْرُ الثَّانِي لِحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ . وَالْمَسَاحَةُ
الْأُولَى لَا تَشَارُ الْقُوَى الْعَقْلِيَّةَ أَوْ الثَّلُ الْأَوَّلُ فِي طَرِيقِ الْأَجَلِ .
وَمِنْكَ الْعَمَلُ . فَيَصْعَدُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ وَيَنْظُرُ الْعَالَمَ بِعَيْنَيْهِ . فَيَرَاهُ
مَشْهُدًا بِدَيْعِ الْجَمَالِ . وَمَاذَا تَلَبُّ بِهِ الْآ مَالُ . وَتَرْقُصُ فِيهِ
الْمَلَذَاتُ وَالْأَمَانِي . وَتَحُومُ حَوْلَهُ الْبَشَائِرُ وَالْتِهَانِي . فَتَشْلُهُ سُحُولُ هَذَا
الظُّهُورِ . وَتَلَبُّ بِرَأْسِهِ حِمَّةُ هَذِهِ الْأُمُورِ . فَيَسْتُ سَكْرَانًا بِالْأَفْرَاحِ .
وَمَاخُودًا بِرَيْنِ تِلْكَ الْأَقْدَاحِ . فَيَتَسَمُّ مَدَى الْأَوْقَاتِ . وَلَا يَعْلَمُ مَا
الْآ قَاتُ . إِذْ يَطْلُ مُتَلَمِّيًا بِكِسَاءِ الْآ مَالِ . وَمُتَحَنِّنًا بِأَوْهَامِ الْأَعْمَالِ .
وَلَا يَنْظُرُ إِلَّا إِلَى ذَاتِهِ . وَلَا يَخْفُلُ إِلَّا بِجَفَانِهِ . هَانِيًا فِي مَلَاهِي
دُنْيَاهُ . وَمُتَهَافِنًا عَلَى حَدَاثَةِ قُرْأِهِ . وَهَكَذَا يَهْبِطُ فِي وَادِي هَذَا
الْعَالَمِ الْمَلِيمِ . وَيَخْطُ فِي ذَلِكَ الْبَحْرِ الْخِضَمِ . وَلَا يَزَالُ بَيْنَ هُبُوبِ
وَأَنْكِبَابِ . إِلَى أَنْ يَنْشَلُهُ الصَّوَابُ . وَيُذِرْكَهُ الشَّبَابُ
(حَالُ الشُّبُوبَةِ) أَمَّا الشُّبُوبَةُ فَهِيَ الدَّوْرُ الثَّلَاثُ لِلْأَجَلِ . وَحَلُّ الْكَدِّ
وَالْعَمَلِ . وَمَوْقِعُ الْيَأْسِ وَالْأَمَلِ . حَيْثُمَا يُوجَدُ الْإِنْسَانُ ضَائِعًا فِي مَقَازَةِ
الْعُزْرِ . حَائِرًا فِي تَنَوُّهِ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ . فَيَرَى نَفْسَهُ قَائِمًا فِي وَسْطِ
هَذِهِ الدُّنْيَا . مُتَمَطِّيًا بِكَأَفَةِ الْأَشْيَاءِ . مُتَلَطِّيًا بِأَمْوَاجِ الْعَالَمِ وَأَهْوَاتِهِ .
مَضْرُوعًا وَمَاخُودًا بِعَجَائِهِ وَضَوْغَانِهِ . وَهَكَذَا تَهَضُّ فِي قَلْبِهِ ثَوْرَةُ
الْحَوَاسِ . وَتَشْبُ فِي دِمَاجِهِ نَارُ الْوَسْوَاسِ . وَتَضْفِرُ فِي سَرِيرَةِ رَيْحِ
الْأَفْجَاسِ . فَيَتَدَفَّعُ إِلَى مُسَاوَاةِ الْأَقْدَارِ وَالْآيَامِ . وَمُقَاتَلَةِ الْحَقَائِقِ
وَالْأَوْهَامِ . فَتَارَةً تَهْبُ بِهِ الْآ مَالُ إِلَى أَوْجِ الْأَفْرَاحِ وَالْأَسْرَاتِ .

وَطَوْرًا تَكْبُهُ الْحَيَاتُ فِي حَضِيضِ الْأَتْرَاحِ وَالْحَسَرَاتِ يَرَى
 الْعَالَمَ قَرِيبَ الْمَالِ . فَيَنْدَفِعُ وَرَاءَهُ عَلَى سُتُونِ الْأَهْوَالِ . حَتَّى إِذَا
 مَا ظَفِرَ بِالْبَعْضِ طَعِمَ بِالْكَلِّ . وَإِذَا قَادَ بِالسَّجْمِ رَغَبَ فِي الْفُتْلِ .
 فَلَا يَكُونُ إِلَّا مُضْمَةً فِي أَفْوَاهِ الطَّامِعِ . وَكَرَّةً تَتَلَقَّهَا الْقَوَامِعُ .
 وَذَلِكَ إِنْ مَا يُوجَدُ مُهَيَّطًا لِحَوَادِثِ الْجِدَانِ . وَهُوَ سَهْطٌ بِحَاثِبِ
 الزَّمَانِ . وَلَا تَرَالُ زَهْرَةٌ هَذَا الشَّبَابِ الزَّاهِي بَيْنَ ذُبُولٍ وَأَقْتِرَارِ .
 وَلَا يَبْرَحُ بَذَرُ هَذَا الْعَصْرِ الْبَاهِي بَيْنَ خُسُوفٍ وَأَسْفِرَارِ . إِلَى أَنْ
 تَشُوَّ الشَّيْخُوخَةُ تَلَجَ تِلْكَ الزَّهْرَةِ . وَيَضْمَعُ الْمَرْمُ وَجَهَ هَائِكَ الْقَدَرَةِ .
 حِينَئِذٍ يَسْفُطُ الشَّبَابُ مِنْ قَرْبِهِ . وَيَرْتَفِعُ الْمَشِيبُ عَلَى عَرْشِهِ .
 (حَالُ الشَّيْخُوخَةِ) فَلَا يَزَالُ الْإِنْسَانُ سَاهِرًا فِي طَرِيقِ غَمْرِهِ
 سَيِّدَ الْمَسَافِرِ فِي الْقَفَارِ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ رَابِعَ الْأَدْوَارِ . وَهُوَ دَوْرُ الدُّنَا .
 هَذَا إِذَا امْكَنَهُ الْخِلَاصُ مِنْ لُحُوصِ الْحَوَادِثِ . وَالْمُنَاصَرُ مِنْ أَسْدِ
 الْكَوَارِثِ . وَنَهَبَ الْأَعْرَاضِ . وَقَتَلَهُ الْأَمْرَاضُ قَلْبَتْ هُنَاكَ مِنْهُوَكَ
 مِنْ تَعَبِ الْمَسِيرِ . وَمَضَى التَّأْيِيرُ . إِذْ يَعُودُ مُنْجِيًا تَحْتَ أَحْمَالِ الْحَيَاةِ
 وَأَثْقَالِهَا . وَمَرْتَوْضًا مِنْ عَمَلَاتِ الدُّنْيَا وَأَهْوَالِهَا . فَضَضَتْ ضَوْضَاهُ
 حَوَاتِيهِ وَهَوَاجِسِهِ . وَيَخْرُسُ رَيْنُ أَنْفَاسِهِ وَدَسَوسِهِ . فَيَكْفُ بِصَرِّهِ .
 وَيَجْفُ فِكْرُهُ . وَيَقِلُّ دَوْنُهُ . وَيَكْثُرُ شَوْقُهُ . وَيَجْلُ حَتَّى بِالْقَلَسِ .
 وَيَرِيدُ جَرُّهُ عَلَى النَّفْسِ . وَيَعُودُ بِالْقَلَسِ . فَإِذَا أَتَتْ إِلَى وَرَائِهِ
 وَرَأَى الدُّنْيَا أَلْفَ طَعْمَةٍ . وَالْخَارِيقَ أَلْفَ تَنْبَهَةٍ . ظَهَرَتْ لَهُ الْأَشْيَاءُ
 أَشْبَاحَ أَحْلَامِهِ . وَمَلَاعِبَ أَوْهَامِهِ . وَكُلُّهَا تَجْرِي ظَاهِرُهُ إِلَى الْوَدَالِ .

كَالطَّيْفِ وَالْخَيَالِ . فَيَضْحَكُ عَلَى الْجَمِيعِ . ضَحْكُ الْوَلَدِ الرَّضِيعِ . أَمَّا إِذَا أَتَتْ إِلَى الْأَمَلِ . وَطَمَعَ بِنَيْتِهِ الْأَيَّامِ . حَنَّ إِلَى الْوُجُودِ . وَهَامَ بِحُبِّ الْخُلُودِ . وَلَا يَزَالُ الْمَاضِي يَدْفَعُهُ . وَالْحَاضِرُ يَدْعُهُ . وَالْمُسْتَقْبَلُ يُطْعِمُهُ . حَتَّى تَخْطِفَ يَأَمَةً نَفْسُهُ بِرَأَةِ الْمُنَى . وَتَسْلِبَهُ كُلَّ بُنْيَةٍ وَأَمْنِيَةٍ . فَهَيْطَ هَيْبُوطِ الْبُنْيَانِ . وَيَعُورُ فِي قَبْرِ الْإِنْسَانِ . حَيْثُمَا تَتَرَجَّعُ الْكَلِمَاتُ جُزْئِيَّاتِهَا . وَتَسْرُدُ الْجُمُوعَاتُ مُفْرَدَاتِهَا .

البحث الرابع

في سياسة الخطيب مع الجمهور ومواخاة طباعهم

(عن رسائل خط الفارابي بتصرف)

(راجع صفحة ٤٥ من الجزء الثاني من علم الادب)

إِنَّ الْخَطِيبَ إِذَا مَا أَرَادَ بُلُوغَ غَايَتِهِ وَحَسَنَ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ فِي أَوْرِهِ فَلْيَتَوَخَّ طِبَاعَهُمْ وَتَلَوْنَ أَخْلَاقَهُمْ وَتَبَايُنَ أَحْوَالِهِمْ . قَالَ أَفْلَاطُونُ : لِكُلِّ أَمْرٍ حَقِيقَةٌ . وَلِكُلِّ زَمَانٍ طَرِيقَةٌ . وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ خَلِيقَةٌ . فَعَالِلِ النَّاسَ عَلَى خَلَائِقِهِمْ وَأَتَمِّسْ مِنَ الْأُمُورِ حَقَائِقَهَا وَاتَّبِعْ مَعَ الزَّمَانِ عَلَى طَرَائِقِهِ (١٠) . وَهَذِهِ قَوَائِنُ تَنْفَعُ الْخَطِيبَ فِي مُتَصَرِّفَاتِهِ مَعَ كُلِّ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ طَبَقَتِهِ وَمَنْ دُونَهُ وَمَنْ فَوْقَهُ عَلَى سَبِيلِ الْإِيحَازِ وَالْإِخْتِصَارِ . عَلَى أَنَّهُ لَا يَتِمُّ قَوْلُنَا هَذَا مِنْ ذِكْرِ مَا يَخْتَصُّ بِاسْتِعْمَالِهِ طَائِفَةٌ دُونَ طَائِفَةٍ وَوَاحِدٌ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فِي وَقْتٍ

دُونَ وَقْتٍ وَمَعَ قَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ إِذَا الْوَاحِدُ مِنَ النَّاسِ لَا يُمَكِّدُهُ
أَنْ يَسْتَعْمَلَ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ كُلَّ ضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِ
السياسات. وَنُقَدِّمُ لِذَلِكَ مُقَدِّمَاتٍ وَهِيَ أَنَّ نَقُولَ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ
مِنَ النَّاسِ مَتَى مَا رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَتَأَمَّلَ أَحْوَالَهَا وَأَحْوَالَ غَيْرِهِ
مِنْ فِتْنَاتِ النَّاسِ وَجَدَ نَفْسَهُ فِي رُتْبَةٍ يَشْرَكُهُ فِيهَا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ .
وَوَجَدَ فَوْقَ رُتْبَتِهِ طَائِفَةٌ هُمْ أَعْلَى مَرْتَبًا مِنْهُ بِجِهَةٍ أَوْ جِهَاتٍ . وَوَجَدَ
دُونَهَا طَائِفَةٌ هُمْ أَوْضَعُ مِنْهُ بِجِهَةٍ أَوْ جِهَاتٍ . لِأَنَّ أَلَمَّكَ الْأَعْظَمُ مَثَلًا
وَأَنَّ وَجَدَ نَفْسَهُ فِي مَحَلٍّ لَا يَرَى لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ فِي دَرَجَاتِهِ مَثَلَهُ
أَعْلَى مِنْ مَرَاتِبِهِ فَإِنَّهُ مَتَى تَأَمَّلَ حَالَهُ يَجِدُ وَجَدَ مِنْهُمْ مَنْ يَفْضَلُهُ
بِنَوْعٍ مِنَ الْقُضِيَّةِ الْقَضِيَّةِ إِذْ لَيْسَ فِي أَجْزَاءِ الْعَالَمِ مَا هُوَ
كَامِلٌ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ . وَكَذَلِكَ الْوَضِيعُ الْخَامِلُ الَّذِي يُجِدُ
فِي نَفْسِهِ أَشْيَاءَ لَمْ يَفْزِ بِهَا مِنْهُ فَوْقَهُ . فَقَدْ صَحَّ مَا وَصَفْنَا . وَيَنْتَفِعُ
الْخَطِيبُ بِاسْتِعْمَالِ السِّيَاسَاتِ مَعَ هَذِهِ الْأَطْبَقَاتِ أَلْتَلَاثِ ... وَنَقُولُ
أَيْضًا إِنَّ أَنْفَعَ الطَّرِيقِ الَّتِي يَسْلُكُهَا الْخَطِيبُ فِي ذَلِكَ تَأَمُّلُ أَحْوَالِ
النَّاسِ وَأَعْمَالِهِمْ وَمَتَصَرِّفَاتِهِمْ مَا شَهِدَهَا وَآغَابَ عَنْهَا بِمَا سَمِعَهُ
وَتَنَاسَى إِلَيْهِ مِنْهَا وَأَنْ يُعَيِّنَ النَّظَرَ فِيهَا وَيُنْزِلَ مُحَاسِنَهَا وَمَسَاوِيَهَا
وَبَيْنَ النَّافِعِ وَالضَّارِّ لَهُمْ مِنْهَا ثُمَّ لِيَجْتَهِدَ فِي التَّشَكُّكِ بِخَاسِنِهَا وَحَضَرَ
النَّاسِ عَلَى ظَلَمِهَا لِيَسْأَلُوا مِنْ مَنَافِعِهَا بِمِثْلِ مَا تَالَهُ مِنْ تَقَدُّمِهِمْ وَيَجْتَهِدَ
فِي التَّكْيِيبِ عَنْ مَسَاوِيهَا لِيَأْمَنَ مِنْ مَضَارِّهَا وَيَسْلَمَ مِنْ غَوَائِلِهَا
بِمِثْلِ مَا سَلِمُوا . وَنَقُولُ أَيْضًا إِنَّ لِكُلِّ شَخْصٍ مِنْ أَتَخَاصِ

أَدَّاسٌ قُوتَيْنِ إِحْدَاهُمَا نَاطِقَةٌ وَالْأُخْرَى بَهِيمَةٌ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا
 تِرَاعٌ غَالِبٌ. فَتِرَاعُ الْقُرْءَةِ الْبَهِيمَةِ نَحْوُ اللَّذَاتِ الْعَاجَةِ الشَّهَوَانَةِ مِثْلُ
 أَنْوَاعِ الْغِذَاءِ وَتِرَاعُ الْقُرْءَةِ النَّاطِقَةِ نَحْوُ الْأُمُورِ الْحَمُودَةِ الْعَوَاقِبِ..
 فَعَلَى كُلِّ مَنْ يَرْتُدُّ الْجُمْهُورَ وَيُخْضِرُهُمْ عَلَى نَيْلِ الْقَضَائِلِ أَنْ لَا
 يَتَعَاقَلَ عَنْ تَحْرِيزِهِمْ عَلَى مَا هُوَ أَسْلَخٌ لَهُمْ وَأَنْ لَا يُهْمِلَهُمْ قَلْبُهُ مَتَى
 مَا أَهْمَلَهُمْ تَحَرَّكُوا نَحْوَ الطَّرَفِ الْآخِرِ الَّذِي هُوَ الْبَهِيمِيُّ. وَإِذَا
 تَحَرَّكُوا نَحْوَهُ تَشَبَّهُوا بِبَعْضِ مَنْهُ حَتَّى إِذَا أَرَادَ رَدُّهُمْ عَنْهُ تَحَرَّكُوا
 نَحْوَهُ لِحَقِّهِ مِنَ النَّصَبِ أَعْصَافَ مَا كَانَ يَلْقَاهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَهْمَلَهُمْ.
 وَنَقُولُ أَيْضًا إِنَّ الْخَطِيبَ لَا يُتَّبَعُ فِي جَمِيعِ مُتَصَرِّقَاتِهِ مِنْ أَنْ يَلْقَى
 الْجُمْهُورَ مَائِلًا إِلَى أَمْرِ تَحْمُودٍ أَوْ أَمْرٍ مَذْمُومٍ. وَلَكِنْ فِي كُلِّ وَاحِدٍ
 مِنْ الْأَمْرَيْنِ قَائِدَةٌ وَمَوْضِعٌ رِيَاضَةٌ لِلتَّصَرُّفِ وَهُوَ أَنْ يُجَاهِدَ دَفْعَ
 السَّامِعِينَ إِلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ الْحَمْدُ الَّذِي يَلْقَاهُ إِنْ وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَى
 الدَّفْعِ إِلَيْهِ وَيَنْتَهِيهِمْ عَلَى قُضِيَّتِهِ وَيُوجِبُ عَلَيْهِمُ التَّمَسُّكَ بِهَا مَتَى
 وَجَدَ الْفُرْصَةَ لِذَلِكَ. وَإِذَا يَلْقَاهُ الْأَمْرُ الْمَذْمُومُ فَلْيَتَّخِذْ فِي التَّعْدِيرِ
 مِنْهُ وَالْتَجَنُّبِ مِنْهُ. وَإِنْ لَمْ يَجِدْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا فَلْيَنْتَهِيهِمْ عَلَى
 الْإِعْتِبَارِ بِمَنْ نَأَلَهُمْ مَضَارَّ مِثْلَهَا. فَقَدْ ظَهَرَ أَنَّ لِلْخَطِيبِ فِي جَمِيعِ
 أَحْوَالِهِ جُلُهَا وَدَقِيقَا خَيْرِهَا وَشَرِّهَا مَوْضِعَ الرِّيَاضَةِ لِنَفْسِهِ وَارْتِشَادِ
 الْجُمْهُورِ. وَإِذَا تَيَقَّنَ ذَلِكَ فَيَتَّبِعِي أَنْ يُقَدِّمَ عَلَى سِيَاسَةِ الْأَحْوَالِ
 بِقَلْبِهِ قَوِيٍّ وَنِيَّةً صَادِقَةً وَعَدْرٍ وَاسِعٍ وَثِقَةٍ أَنْ مَا يَأْتِيهِ مِنْ ذَلِكَ
 وَإِنْ قَلَّ يُجِدِّي عَلَيْهِ نَفْعًا يُجِلُّ. وَنَبْدَأُ بِتَعْدِيدِ الْخَطِيبِ لِلرُّؤَسَاءِ إِنَّهُ

يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُلَازِمًا لِمَا هُوَ فِي صَدْرِهِ مُوَاطِّئًا عَلَى مَا قُوضَ
إِلَيْهِ وَلَا يَخْشَى أَلَلَالًا وَخَصُوصًا مِنَ الْمُلُوكِ. وَأَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا فِي
طَلَبِ وَجْهِهِ حَسَانِ لِكُلِّ مَا يَطْلُبُهُ مِنْهُمْ إِذْ لَا شَيْءَ مِنَ الْأُمُورِ
فِي الْعَالَمِ إِلَّا وَكَلَهُ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا جَمِيلٌ وَالْآخَرُ قَبِيحٌ فَلْيَطْلُبْ لِكُلِّ
أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ وَجْهًا جَمِيلًا يَصْرِفُهُ إِلَيْهِ وَيَتَكَلَّفْ لِدُرُكِهِ بِحَضْرَةِ
فَأَنَّ الْخَطِيبَ الْقُوضُ إِلَيْهِ تَذِيرٌ ذَلِكَ الرَّئِيسُ كَالسَّيْلِ الْمُتَحَدِّدِ مِنَ
الرُّبُوعَةِ إِنْ أَرَادَ الْمَرْءُ أَنْ يُوَاجِهَهُ أَهْلَكَ نَفْسَهُ وَآتَى عَلَيْهِ السَّيْلُ
فَافْرَقَهُ. وَإِنْ سَعَى مَعَهُ وَعَلَى جَانِبِهِ وَتَلَطَّفَ لِيَصْرِفَهُ إِلَى النَّاحِيَةِ
بِأَنْ يَطْلُحَ فِي بَعْضِ جَوَانِبِهِ مَقْدَارًا مِنَ الشَّدِّ وَيَطْرُقَ لَهُ مِنْ
أَلْجَانِبِ الْآخَرِ لَا يَنْشَبُ أَنْ يَصْرِفَهُ إِلَى حَيْثُ شَاءَ. فَيَنْبَغِي لَهُ كَذَلِكَ
أَنْ يَسْتَعِيلَ مَعَ الرَّئِيسِ فِي صَرْفِ وَجْهِهِ عَمَّا يُرِيدُ صَرْفَهُ عَنْ أَمْرٍ
يُرِيدُ أَنْ يُجْرَى مَعَهُ فَيَا هُوَ جَارِ نَحْوَهُ وَلَا يُوَاجِهَهُ وَإِنْ كَانَ فِي
غَايَةِ الْأَنْفِصَاطِ مَعَهُ وَلَا يُقَرِّبُ مَا يُقْبَلِي مِنْهُ إِلَى النَّاسِ بِمَا يُسْتَحْتَجُّ
فَسَيَانِ بَيْنَ الْخَبَرِ وَالْإِقْرَارِ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَلَطَّفَ كُلُّ الْمُتَلَطِّفِ فِي
مِثْلِ الْمَنَافِعِ مِنْ جِهَةِ الرُّؤَسَاءِ بِأَنْ لَا يُبْلِغَ فِي السُّؤَالِ وَلَا يُدِيحَ
وَلَا يُظْهِرَ الطَّعْنَ وَالشَّرَّ مِنْ نَفْسِهِ وَيَجْتَهِدُ فِي أَنْ يَطْلُبَ مِنْ
الرُّؤَسَاءِ أَسْبَابَ الْمَنَافِعِ لَا الْمَنَافِعَ أَنْفُسَهَا. وَيَجْتَهِدُ فِي أَنْ يُظْهِرَ
فِي كُلِّ مَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَفْعَلُهُ زِينَةً وَجَمَالًا لِلرَّئِيسِ لَا
لِنَفْسِهِ وَأَنَّهُ يُرِيدُ وَجْهَ الصَّلَاحِ فِي خِلَافِ مَا يَأْتِيهِ وَيَذْكُرُ لَهُ فِي
الْوَقْتِ بَعْدَ الْوَقْتِ عَلَى سَبِيلِ الْحِكَايَاتِ عَنْ غَيْرِهِ وَالْحِيلِ الطَّيْفَةِ

الشيخ
محمد بن
عبد الله

بَعْضَ مَا يَفْرُضُ يَمَّا هُوَ فِيهِ. فَإِنَّهُ مَتَى مَا اسْتَعْمَلَ هَذِهِ الطَّرِيقَ لَا يَنْشُبُ أَنْ يَسُودَ الْحَالُ بُرَايَهُ.. وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ لِلرُّؤَسَاءِ هِمًّا يَتَقَرَّدُونَ بِهَا عَنْ سِوَاهُمْ مِنَ النَّاسِ وَهِيَ أَنَّهُمْ يَتَّقِدُونَ فِي جَمِيعِ مَنْ دُونَهُمْ الْأَسْتِحْدَامَ وَالْإِسْتِعْبَادَ وَفِي أَنْفُسِهِمِ الْإِعَابَةَ فِي جَمِيعِ مَا يَأْتُونَ وَإِنَّا نَحْدُثُ هَذَا بِحَيْثُمْ لِكَثْرَةِ مَدْحِ النَّاسِ لَهُمْ وَإِطْرَائِهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَتَضَوِّيهِمْ آرَاءَهُمْ

فَهَذِهِ قَوَائِنُ يَنْتَفِعُ بِاسْتِعْمَالِهَا الْخَطِيبُ فِي مَعَاشِرِ الرُّؤَسَاءِ الَّتِي يَتَّبِعِي أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا الرَّجُلُ مَعَ الْأَكْفَاءِ فَسَنَذْكُرُ مِنْهَا جُمْلًا وَنَقُولُ إِنَّ الْأَكْفَاءَ لَا يَخْلَوُ مِنْ أَنْ يَكُونُوا أَدْبِقَاءَ أَوْ أَعْدَاءَ أَوْ لَيْسُوا بِأَصْدِقَاءَ وَلَا أَعْدَاءَ. وَالْأَصْدِقَاءُ عِشْقَانِ أَحَدُهُمَا الْأَعْفِيَاءُ الْخُلُصُونَ فِي الصَّدَاقَةِ فَيَتَّبِعِي لِلتَّكَلُّمِ أَنْ يُدِيمَ مُلَاطَقَتَهُمْ وَتَهْدَأَ أَسْبَابُهُمْ وَرَاهِدَاءُ مَا يَسْتَحْسِنُهُ وَمَا يَتَسَرَّلُهُ إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ. وَيَجِيءُ الْحَالُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ بِذَلِكَ بِغَيْرِ أَنْ يُظْهِرَ مِنْهُ مَلَالًا أَوْ تَقْصِيرًا وَيَجْتَهِدُ فِي الْإِكْتِسَارِ مِنْهُمْ غَايَةَ الْجُهِدِ فَإِنَّ الصَّدِيقَ زَيْنُ الرَّجُلِ وَعَضْدُهُ وَعَوْنُهُ وَنَاصِرُهُ وَمُذِيعُ قَضَائِهِ وَكَاتِمُ هَفَوَاتِهِ وَخُجِّي زَلَّاتِهِ وَهَمًّا كَانَ هُوَ لِأَوْلَادِهِ أَكْثَرَ كَانَتْ أَحْوَالُ الْخَطِيبِ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَحْسَنَ وَأَقْوَمَ. وَالصَّنْفُ الْآخَرُ آيُ الْأَصْدِقَاءِ فِي الظَّاهِرِ عَنْ لَا صِدْقٍ فِيمَا يُظْهِرُونَهُ بَلْ يَنْشُبُ وَتَضَعُ فَيَتَّبِعِي الْخَطِيبُ أَنْ يُعَامِلَهُمْ بِمُدَارَاةٍ وَيُحْسِنَ إِلَيْهِمْ وَلَا يُطْلِعَهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَسْرَارِهِ وَخُصُوصًا مِنْ عِيُوبِهِ. وَلِيَجْتَهِدَ فِي اسْتِئْثَانِهِمْ وَالصَّبْرَ مَعَهُمْ وَمُعَامَلَتِهِمْ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ

دُونَ أَخَذِهِمْ بِالْبَاطِنِ وَلَا يَأْخُذُهُمْ بِالتَّقْصِيرِ فَإِنَّهُ مَهْمَا عَمِلَ ذَلِكَ
 يُرْحَمِ عَمَلُهُمْ وَرُجُوعُهُمْ إِلَى مُرَادِهِ وَاعْلَمَهُمْ يَصِيرُونَ فِي رُتْبَةِ
 الْأَصْفِيَاءِ لَهُ . أَمَّا الْأَصْفَاءُ الْأَعْدَاءُ فَيَنْبَغِي لِلْخَطِيبِ أَنْ يَجْعَلَهُمْ
 وَيَكْشِفَ دَسَائِسَهُمْ وَدَغَلَ نِيَّاتِهِمْ . وَأَمَّا سَائِرُ النَّاسِ الَّذِينَ لَيْسُوا
 بِصَدِيقٍ وَلَا عَدُوٍّ فَهُمْ طَبَقَاتٌ سَنَذُرُ جُلُهَا قِسْمَهُ الْأَتْخَعَاءَ الَّذِينَ
 يَتَّبِعُونَ بِالنَّصِيحَةِ قَالُوا لَوَاجِبُ أَنْ لَا يَذْكُرَ كُلُّ مَا يُنْهَى إِلَيْهِ
 وَيُعْزَمَ عَلَى قَلْبِهِ أَوْ لَا يَنْ لَا يَقْتَرِبَ كُلُّ قَوْلٍ يَسْمَعُهُ بَلَى يَتَأَمَّلُ
 أَقَاوِيلَهُمْ وَيَتَعَرَّفُ أَغْرَاضَهُمْ غَايَةَ التَّعَرُّفِ لِيَقِفَ مَعَ مَعْرِفَةِ أَغْرَاضِهِمْ
 عَلَى حَقِيقَةِ أَقَاوِيلِهِمْ فَإِذَا لَاحَ لَهُ وَجْهُ الصَّوَابِ حَقِيقَةً بَادَرَ إِلَى
 إِنْغَازِ الْأَمْرِ . وَمِنْهُمْ الْأَضْلَاجُ وَهُمْ أُنَاسٌ يَتَّبِعُونَ لِإِغْلَاحِ
 مَا بَيْنَ النَّاسِ فَجِبُّ عَلَى الْخَطِيبِ أَنْ يَدْحَهُمْ أَبَدًا عَلَى مَا يَفْعَلُوهُ
 وَأَنْ يَتَشَبَّهَ بِهِمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ فَإِنَّ مَذَاهِبَهُمْ مَرْضِيَّةٌ عِنْدَ
 كُلِّ النَّاسِ وَمَهْمَا مَالَ الْخَطِيبُ إِلَيْهِمْ عُرِفَ بِالْخَيْرِ وَحَسَنِ
 النِّيَّةِ . وَمِنْهُمْ السُّفَهَاءُ فَجِبُّ عَلَى الْخَطِيبِ أَنْ لَا يُؤَاتِيَهُمْ وَلَا
 يُقَابِلَهُمْ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ السَّفَاهَةِ بَلَى يَتَلَقَّاهُمْ أَبَدًا بِحِلْمٍ وَرِزِينِ
 وَسُكُونٍ بَلِغٍ لِيَسْأَوْا مِنْ مَنَالَتِهِمْ بِمَا هُمْ فِيهِ وَلَا يُؤْذُوهُ بَعْدَ
 ذَلِكَ مَتَى يَقْوَاهُ بِالْمُشَافَهَةِ فَجِبُّ أَنْ يَتَلَقَّاهُمْ بِقِلَّةِ الْأَكْثَرَاتِ .
 وَمِنْهُمْ أَهْلُ الْكِبَرِ وَالْمُنَاقَشَةِ فَجِبُّ أَنْ يُقَابِلَهُمْ بِخِلْفِهِ لِأَنَّهُ إِنْ
 تَوَاضَعَ لَهُمْ أَحْشَوْا مِنْهُ بِضَعْفٍ وَتَرَقَّوْا أَنْ فَضَّلَهُمْ ذَلِكَ صَوَابٌ
 وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوَاضُعِ لَهُمْ . وَمَتَى تَكَبَّرَ أَلَمَهُ عَلَيْهِمْ

وَكَاثُرُهُمْ فِي الْأَحْوَالِ وَكَادُوا بِهِ عِلْمُوا أَنَّ الذَّنْبَ فِي ذَلِكَ لَهُمْ
وَرَجَعُوا إِلَى التَّوَّاضُعِ

وَأَمَّا الَّذِي يَنْبَغِي لِلْخَطِيبِ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ مَعَ مَنْ دُوْنَهُ مِنَ
النَّاسِ فَلَا نَا نَصِفُ مِنْهُ مَا قَسَرَ وَنَقُولُ : فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ
يَتَعَدَّهُمْ بِأَلْوَأَسَةِ وَرَقَةِ الْكَلَامِ بِقَايَةِ مَا أَمَكَّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ
يُخِلَّ بِأَحْوَالِ نَفْسِهِ . وَمِنْهُمْ الْمُتَعَلِّمُونَ فَإِنْ كَانُوا أُولَى طَبَائِعِ رَدِيئَةٍ
يَقْصِدُونَ الْعُلُومَ لِيَسْتَعْمِلُوهَا فِي الشَّرُورِ فَعَلَى الْخَطِيبِ أَنْ يَحْمِلَهُمْ
عَلَى تَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ وَلَا يَعْلِمُهُمْ شَيْئًا يَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَسْتَعْمِلُونَهُ فِيمَا لَا
يُحِبُّ وَيَجْتَهِدُ فِي كَشْفِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ رَدَاءَةِ الطَّبْعِ لِيُجَدِّدَهُمْ مِنْهُ .
وَمِنْهُمْ الْبُلَدَاءُ الَّذِينَ لَا يُرْجَى ذِكَاؤُهُمْ وَبِرَاعَتِهِمْ فَيَنْبَغِي أَنْ يُحْشَهُمْ
عَلَى مَا هُوَ أَعُوذُ عَلَيْهِمْ . وَمِنْهُمْ الْمُتَعَلِّمُونَ دَوَا الْأَخْلَاقِ الطَّاهِرَةِ
وَالطَّبَائِعِ الْحَيَّةَةِ فَيَحِبُّ أَنْ لَا يَدْخِرَهُمْ شَيْئًا يَمَّا عِنْدَهُ مِنَ الْعُلُومِ .
فَهَذِهِ أَصُولٌ وَقَوَائِينُ مَتَى مَا اسْتَعْمَلَهَا الْخَطِيبُ فِي كَلَامِهِ وَقَاسَ
عَلَيْهَا فِي مُتَصَرِّقَاتِ أُمُورِهِ وَأَسْبَابِ اسْتِقَامَتِ بِهِ أَحْوَالِهِ وَتَجَمَّعَ فِي
الْقَوْمِ كَلَامُهُ



الفصل الخامس

في الاخلاق والاهواء

البحث الاول

في تعريف الاخلاق

(من كتاب خذيب الاخلاق لكرابا بن مدي)

(راجع صفحة ٣ من الجزء الثاني من علم الادب)

إِنَّ الْخُلُقَ هُوَ حَالٌ بِهِ يَفْعَلُ الْإِنْسَانُ أَعْمَالَهُ بِسَلَا رَوِيَّةٍ وَلَا
 اخْتِبَارٍ. وَالْخُلُقُ قَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ النَّاسِ غَرِيْزَةً وَطَبْعًا وَفِي بَعْضِ
 النَّاسِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالرِّيَاضَةِ وَالْإِجْتِهَادِ. وَقَدْ يُوجَدُ فِي كَثِيرٍ
 مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رِيَاضَةٍ وَلَا تَعَلُّمٍ كَالسَّجَاعَةِ وَالْجِلْمِ وَالْعِقَّةِ وَالْعَدْلِ
 وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحُسْنَى وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُوجَدُ فِيهِمْ
 ذَلِكَ. فَيَنْهَوْنَ عَنْ يَصِيرِ إِلَيْهِ بِالرِّيَاضَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْقَى عَلَى عَادَتِهِ
 وَيَجْرِي عَلَى مَسِيرَةٍ. فَأَمَّا الْأَخْلَاقُ الذُّمُّومَةُ فَلَهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ
 النَّاسِ كَالْجُلِّ وَالْجُنِّ وَالْثَّرَرِ فَإِنَّ هَذِهِ الْعَادَاتِ غَالِبَةٌ عَلَى أَكْثَرِ
 النَّاسِ مَالِكَةٌ لَهُمْ مُتَسَلِّطَةٌ عَلَيْهِمْ بَلْ قِيلَ لَا يُوجَدُ فِي النَّاسِ مَنْ
 يَخْلُو مِنْ خُلُقٍ مَكْرُوهٍ وَيَسْلَمُ مِنْ جَمِيعِ الْغُيُوبِ وَلَكِنَّهُمْ يَتَقَاضُونَ

فِي ذَلِكَ كَمَا يَتَفَاضِلُونَ فِي الْأَخْلَاقِ الْحَمُودَةِ. وَقَدْ يَخْتَلِفُ النَّاسُ
فِي الْأَخْلَاقِ الْحَمُودَةِ بِالتَّفَاضُلِ إِلَّا أَنَّ الْحَبِيبِينَ عَلَى الْأَخْلَاقِ
الْجَمِيلَةِ قَلِيلُونَ جِدًّا وَالْمُبْتَضِينَ لَهَا كَثِيرُونَ. فَأَمَّا الْحَبِيبُونَ عَلَى
الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ فَكَثُرَ النَّاسُ لِأَنَّ الْقَالِبَ عَلَى طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ
الشَّرُّ. وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أُنْتَرَسِلَ مَعَ طَبِيعِهِ وَلَمْ يَسْتَعْمِلِ
الْفِكْرَ وَلَا التَّنْبِيذَ وَلَا الْحَيَاءَ وَلَا التَّحْفُظَ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ كَانَ الْقَالِبُ
عَلَيْهِ أَخْلَاقَ الْبَهَائِمِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يَشِيرُ عَنِ الْبَهَائِمِ
بِالْفِكْرِ وَالتَّنْبِيذِ فَقَطُّ فَإِذَا لَمْ يَسْتَعْمِلْهَا كَانَ مُشَارِكًا لَهَا فِي
عَادَاتِهَا وَالشَّهَوَاتِ مُسْتَوِيَةً عَلَيْهِ وَالْحَيَاءَ غَائِبٌ عَنْهُ وَالْقَضْبُ مُسْتَقْبَرٌ
بِهِ وَالسَّكِينَةُ غَيْرُ حَاضِرَةٍ عِنْدَهُ وَالْجُرْصُ وَالْإِحْتِشَادُ دَيْنُهُ وَالشَّرُّ
لَا يُفَارِقُهُ. وَإِذَا كَانَ النَّاسُ مَطْبُوعِينَ عَلَى الْأَخْلَاقِ الرَّدِيئَةِ
مُنْقَادِينَ لِلشَّهَوَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَقَعَ الْإِفْتِقَارُ إِلَى الشَّرَائِعِ وَالسُّنَنِ
وَالسِّيَاسَاتِ الْحَمُودَةِ وَعَظُمَ الْإِثْتِقَاعُ بِاللُّوْكَ الْحَسَنِ السَّيِّدِ
لِيَرُدَّعُوا الظَّالِمَ عَنْ ظُلْمِهِ وَيَتَعَوَّاهُ الْقَاصِبَ عَنْ قَضْبِهِ وَيُعَاقِبُوا الْقَاجِرَ
عَلَى فُجُورِهِ وَيَقْضُوا الْجَائِرَ حَتَّى يَعُودَ إِلَى الْإِعْتِدَالِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ.
أَمَّا الْأَخْلَاقُ الْمَكْرُوهَةُ فِي طَبَاعِ النَّاسِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَظَاهَرُ بِهَا
وَيَتَفَادَى إِلَيْهَا وَهُمْ أَشْرَارُ النَّاسِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَنَبَّهُ بِجُودَةِ الْفِكْرِ وَقُوَّةِ
التَّنْبِيذِ عَلَى قِيَمِهَا فَيَأْتِفُ مِنْهَا وَيَتَصَنَّعُ لِاجْتِنَائِهَا (١) وَذَلِكَ يَكُونُ
عَنْ طَبِيعِ كَرِيمٍ وَنَفْسِ شَرِيفَةٍ. وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَتَنَبَّهُ لِذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ

إِذَا بُنِيَ عَلَيْهِ أَحْسَنُ بَيْتِهِ فَرَبَّمَا حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى تَرْكِهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا
تَنَبَّهَ إِلَى مَا فِيهِ مِنَ النَّعَاصِ أَوْ بُنِيَ عَلَيْهَا وَدَامَ الْعُدُولُ عَنْهَا تَعَدَّرَ
عَلَيْهِ ذَلِكَ وَلَمْ يُطَاوِعْهُ طَبْعُهُ وَلَوْ كَانَ مُؤْتَرًّا لِلْعُدُولِ عَنْهَا مُجْتَهِدًا فِي
ذَلِكَ. وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ تَحْتَاجُ أَنْ تُرْشَدَ إِلَى طَرِيقِ التَّدْرِبِ وَالتَّعَلُّمِ
بِالْعَادَاتِ الْحَمُودَةِ حَتَّى يَصِيرَ إِلَيْهَا عَلَى التَّدْرِيجِ. وَمِنْ النَّاسِ مَنْ
إِذَا تَنَبَّهَ عَلَى الْأَخْلَاقِ الرَّوِيَّةِ أَوْ بُنِيَ عَلَيْهَا فَلَا يَجْنُ إِلَى مُجْتَهِدًا وَلَا
تَسْمَحُ نَفْسُهُ بِمُفَارَقَتِهَا بَلْ يُؤْثِرُ الْأَضْرَارَ عَلَيْهَا مَعَ عَلَيْهِ بِرَدَائِئِهَا
وَقَبِيحِهَا وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ لَيْسَ إِلَى تَهْذِيبِهَا طَرِيقٌ إِلَّا بِالْقَهْرِ
وَالْعُقُوبَةِ إِنْ لَمْ يَرُدَّهَا التَّخْوِيفُ وَالتَّرْهيبُ. فَأَمَّا الْأَخْلَاقُ الْحَمُودَةُ
فَالنَّاسُ وَإِنْ كَانَتْ فِي بَعْضِ النَّاسِ غَرِيزِيَّةً فَلَيْسَتْ فِي جَمِيعِهِمْ
فَعَلَى الْبَاقِينَ أَنْ يَصِيرُوا إِلَيْهَا بِالتَّدْرِبِ وَالزِّيَادَةِ وَيَرْتَقُوا إِلَيْهَا
بِالْإِعْتِيَادِ وَالتَّأَلُّفِ وَقَدْ يُوجَدُ فِي بَعْضِ النَّاسِ مَنْ لَا يَقْبَلُ
طَبْعُهُ الْعَادَاتِ الْحَسَنَةَ وَلَا الْأَخْلَاقَ الْجَمِيلَةَ وَذَلِكَ يَكُونُ لِرَدَاةِ
جَوْهَرِهِ وَخُبْثِ غَضَرِهِ. وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَشْرَارِ الَّذِينَ لَا
يُرْجَى صَلَاحُهُمْ. وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقْبَلُ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْلَاقِ
الْحَمُودَةِ وَيَأْتِي طَبْعُهُ عَنْ بَعْضِهَا فَلَا يُمْدُّ هَذَا يَتَرَبَّيًّا بَلْ تَكُونُ
رُتْبَتُهُ فِي الْخَيْرِ وَالتَّهْذِيبِ بِحَسَبِ مَحَاسِنِهِ



البحث الثاني

في الاخلاق الحسنة

(من كتاب عذيب الاخلاق لكريا بن عدي)

(راجع صفحة ٤٧ من الجزء الثاني من علم الادب)

أَمَّا الْأَخْلَاقُ الَّتِي تُعَدُّ فُضَائِلَ فَإِنَّ مِنْهَا (الْبِقَّةُ) وَهِيَ ضَبْطُ
النَّفْسِ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَقَرُّهَا عَلَى الْأَصْغَرِ بِمَا يُعْمِدُ أَوْدَ الْجَسَدِ
وَيَحْتَفُظُ صِحَّتَهُ قَطُّ وَاجْتِنَابُ السَّرَفِ وَالْتِقَاصُ فِي جَمِيعِ اللَّذَاتِ
وَقَضْدُ الْأَعْتِدَالِ . وَإِنْ يَكُونُ مَا يُقْتَصَرُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ عَلَى
الْوَجْهِ الْمُسْتَحَبِّ الْمُتَقَرِّ عَلَى الْإِرْتِضَاءِ بِهِ وَفِي أَوْقَاتِ الْحَاجَةِ الَّتِي لَا
غِنَاءَ عَنْهَا وَعَلَى الْقَدْرِ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْهُ . وَهَذِهِ أَلْهَالَةُ هِيَ
غَايَةُ الْبِقَّةِ

(وَمِنْهَا أَيْضًا الْقَنَاعَةُ) وَهِيَ الْإِقْتِصَادُ عَلَى مَا سَخَّرَ مِنَ الْعَيْشِ
وَالرِّضَى بِمَا تَسَهَّلَ مِنَ الْمَعَاشِ وَتَرَكَ الْخِرَاصَ عَلَى اكْتِسَابِ الْأَمْوَالِ
وَطَلَبِ الْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ مَعَ الرِّغْبَةِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَإِثَارِهِ وَالْمِيلَ إِلَيْهِ
وَقَهْرُ النَّفْسِ عَلَى ذَلِكَ وَالْقَنَعُ بِالْيُسْرِ مِنْهُ . وَهَذَا الْخُلُقُ مُسْتَحْسَنٌ
مِنْ أَوَاسِطِ أَنْاسٍ وَأَصَاغِرِهِمْ فَأَمَّا أَمْلُوكُ وَالظُّطَاءُ فَلَيْسَ ذَلِكَ
مُسْتَحْسَنًا مِنْهُمْ وَلَا تُعَدُّ الْقَنَاعَةُ مِنْ فُضَائِلِهِمْ
(وَمِنْهَا التَّصَوُّنُ) وَهُوَ التَّحَفُّظُ مِنَ التَّبَدُّلِ . فَمِنْ التَّصَوُّنِ التَّحَفُّظُ

مِنْ اهْزَلِ الْقَبِيحِ وَمُخَاطَلَةِ أَهْلِهِ وَحُضُورِ تَجَالِيهِ وَضَبْطِ اللِّسَانِ عَنْ
الْفُحْشِ وَذِكْرِ الْحَيَا وَالْمَرْحِ وَالسَّخِيفِ وَخَاصَّةً فِي الْحَافِلِ وَتَجَالِسِ
الْمُتَحَشِّينِ إِذْ لَا أُهْمَ لِمَنْ يُسْرِفُ فِي الْمَرْحِ وَيُفْجِسُ فِيهِ. وَمِنْ
الْتِمُوسِ إِلَى نَقِيضِ عَنْ أَدْنَاءِ النَّاسِ وَأَصَاغِيرِهِمْ وَمَصَادِقِهِمْ وَتَجَالِسِهِمْ
وَالْعُزْزِ مِنَ الْعَيْشَةِ الْوَرِيَّةِ وَاصْتِسَابِ الْآلِ وَالِ مِنْ أَلْوَجُوهِ
لِلْحَيْسَةِ وَالْإِثْرَفُ عَنْ طَلَبِ لِحَاجَاتِ مَنْ لِيَامِ النَّاسِ وَسَفَلَتِهِمْ
وَالْتَوَاضِعِ لِمَنْ لَا قَدْرَ لَهُ وَالْأَقْلَالِ مِنَ الْبُرُودِ أَغْنَى الطَّوْفِ مِنْ
غَيْرِ اضْطِرَارٍ وَالتَّبَدُّلِ بِالْجُلُوسِ فِي الْأَسْوَاقِ وَقَوَارِعِ الطَّرِيقِ مِنْ
غَيْرِ حَاجَةٍ حَيْثُ إِنَّ الْأَكْثَارَ مِنْ ذَلِكَ لَا يَخْلُوْنَ مِنَ الْعُيُوبِ
فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ قَدَرًا كَمَا قِيلَ مَنْ ظَهَرَ أَسْهُ وَخَفِيَ جِسْمُهُ

(وَمِنْهَا الْحِلْمُ) وَهُوَ تَرْكُ الْإِنْتِقَامِ عِنْدَ شِدَّةِ الْقَضَبِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى
ذَلِكَ وَهَذَا أَحَالُ مَحْمُودٍ مَا لَمْ يُوَدَّ إِلَى ثَلَمٍ جَاءَ أَوْ فُسَادِ سِيَاسَةٍ وَهُوَ
بِالْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ أَحْسَنُ لِأَنَّهُمْ أَقْدَرُ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْ مُفْضِيهِمْ.
وَلَا يُعَدُّ فَضِيلَةً حِلْمُ الصَّغِيرِ عَلَى الْكَبِيرِ وَإِنْ كَانَ قَادِرًا عَلَى مُقَابَلَتِهِ
فِي أَحَالِ قَاتِلِهِ وَإِنْ أَمْسَكَ عَنْهُ فَإِنَّمَا يُعَدُّ ذَلِكَ مِنْهُ خَوْفًا لَا جَلَمًا
(وَمِنْهَا الْوَقَارُ) وَهُوَ الْإِمْسَاكُ عَنْ فَضُولِ الْكَلَامِ وَالْعَشْبِ

وَكَثْرَةِ الْإِشَارَةِ وَالْحُرُوكَةِ فِيمَا يُسْتَعْنَى عَنِ التَّحَوُّكِ فِيهِ وَقِلَّةُ الْقَضَبِ
وَالْإِضْمَاعِ عِنْدَ الْإِسْتِفْهَامِ وَالتَّوَقُّفُ عِنْدَ الْجَوَابِ وَالتَّحْفُظُ عِنْدَ السَّرْعَةِ
وَالْمُبَادَرَةِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ. وَمِنْ قِيَلِ الْوَقَارِ أَيْضًا الْحَيَاءُ وَهُوَ
غَضُّ الطَّرْفِ وَالْإِنْقِيَاضُ مِنَ الْكَلَامِ حِشْمَةً لِلْمُسْتَحْيِينَ مِنْهُ وَهَذِهِ

الْعَادَةُ مَحْمُودَةٌ مَا لَمْ تَكُنْ صَادِرَةً عَنْ عِيٍّ أَوْ عَجْزٍ
 (وَمِنْهَا الْوُدُّ) وَهُوَ الْحُبُّ الْمُتَعَدِّلُ مِنْ غَيْرِ اتِّبَاعِ الشَّهْوَةِ
 وَالْوُدُّ مُسْتَحْسَنٌ مِنَ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ لِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْثَبَلِ
 وَذَوِي الْوَقَارِ وَالْأَبْيَةِ وَالْمُسْتَعِزِّينَ مِنَ النَّاسِ. فَأَمَّا اتَّوَدُّ إِلَى أَرَاذِلِ
 النَّاسِ وَأَصَاغِيرِهِمْ وَأَهْلِ الْخِلَاعَةِ وَمَا شَابَهُمْ فَكَرُوهٌ جِدًّا. وَحُسْنُ
 الْوُدِّ مَا نَسَجْتُهُ عَلَى مَنَوَالٍ مُنَاسِبٍ لِلْفَضَائِلِ وَهُوَ أَرْثَى الْوُدِّ وَاقْتَنَهُ
 فَأَمَّا مَا كَانَ أَبْدَاؤُهُ أَجْمَاعًا عَلَى هَزَلٍ أَوْ طَلَبِ لَذَّةٍ وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ
 فَهِيَ بَخْهٌ وَلَا بَاقٍ وَلَا ثَابِتٌ وَرُبَّمَا أَفْضَى إِلَى الشَّرِّ

(وَمِنْهَا الرَّحْمَةُ) وَهِيَ خُلُقٌ مُرَكَّبٌ مِنَ الْوُدِّ وَالْجَرِّ وَالرَّحْمَةُ لَا
 يَكُونُ إِلَّا لِمَنْ يَظْهَرُ مِنْهُ لِإِجْمَاعِهِ خِلَةُ مَكْرُوهَةٍ أَمَّا نَقِصَةُ فِي
 نَفْسِهِ وَأَمَّا مَحَبَّةٌ عَارِضَةٌ لَهُ. فَالرَّحْمَةُ هِيَ مَحَبَّةٌ لِلرَّحُومِ مَعَ جَزَعٍ مِنْ
 الْحَالَةِ أَلَيْ رُحِمَ لِأَجْلِهَا. وَهَذِهِ الْحَالَةُ مُسْتَحْسَنَةٌ مَا لَمْ تَخْرُجْ بِصَاحِبِهَا
 عَنْ الْعَدْلِ وَلَمْ تَنْتَسِبْ بِهِ إِلَى الْجَوْرِ وَإِلَى فَسَادِ السِّيَاسَةِ. وَلَيْسَتْ
 بِمَحْمُودَةٍ رَحْمَةً الْقَائِلِ عِنْدَ الْقَوْدِ وَالْجَانِي عِنْدَ الْقِصَاصِ

(وَمِنْهَا الْوَفَاءُ) وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى مَا يَبْذُلُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ
 وَيَرْهَنُ بِهِ لِسَانَهُ وَعَدَمُ الْخُرُوجِ ثَمًّا يَضُنُّهُ وَلَوْ كَانَ مُفْرَطًا وَلَا
 يُعَدُّ وَفَاءً مَنْ لَمْ يُلْحَقْهُ بَوْفَانِهِ أَذِيَّةٌ وَلَوْ قَلِيلَةٌ وَكُلَّمَا أَضَرَّ بِهِ الدُّخُولُ
 تَحْتَ مَا حُكِمَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ كَانَ أَبْلَغَ فِي الْوَفَاءِ. وَهَذَا الْخُلُقُ
 مَحْمُودٌ يَنْتَفِعُ بِهِ جَمِيعُ النَّاسِ فَإِنْ مَنْ عُرِفَ بِالْوَفَاءِ كَانَ مَقْبُولًا
 الْقَوْلُ عِنْدَ النَّاسِ فِي جَمِيعِ مَا يَبْذُلُ بِهِ وَمَنْ كَانَ مَقْبُولًا كَانَ عَظِيمًا

أَتْلَاهُ إِلَّا أَنْ أَمْتِنَعَ أَمْلُوكَ بِهَذَا الْخَلْقِ أَنْفَعُ وَحَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ أَشَدُّ
لِأَنَّهُ مَتَى عُرِفَ مِنْهُمْ قِسْلَةُ الْوَفَاءِ لَمْ يُوثِقْ بِمَوَاعِيدِهِمْ وَلَمْ تَتِمَّ
أَعْرَاضُهُمْ وَلَمْ تَسْكُنِ إِلَيْهِمْ جُنْدُهُمْ وَأَعْوَانُهُمْ

(وَمِنْهَا آدَاءُ الْأَمَانَةِ) وَهُوَ التَّعَفُّفُ عَمَّا يَتَصَرَّفُ الْإِنْسَانُ فِيهِ
مِنْ مَالٍ غَيْرِهِ وَمَا يُوثِقُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْرَاضِ وَالْحَرَمِ مَعَ الْقُدْرَةِ
عَلَيْهِ وَرَدَّ مَا يُسْتَوْدَعُ إِلَى مُودِعِهِ

(وَمِنْهَا كَيْفَانُ السِّرِّ) وَهَذَا الْخَلْقُ مُرَكَّبٌ مِنْ الْوَقَارِ وَآدَاءِ
الْأَمَانَةِ. فَإِنْ أَظْهَرَ السِّرَّ مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ. وَلَيْسَ بِوَقُورٍ مَنْ
تَكَلَّمَ بِالْفُضُولِ وَالْفُضُولِيُّ نَاقِصُ الشَّرَفِ. فَكَمَا أَنَّ مَنْ أَسْتَوْدَعَ
مَالًا فَأَخْرَجَهُ إِلَى غَيْرِ مُودِعِهِ قَدْ حَقَرُ الْأَمَانَةَ كَذَلِكَ مَنْ أَسْتَوْدَعَ
سِرًّا فَأَخْرَجَهُ إِلَى غَيْرِ صَاحِبِهِ قَدْ حَقَرُ الْأَمَانَةَ أَيْضًا. وَكَيْفَانُ السِّرِّ
مَحْدُودٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَخَاصَّةً مَنْ يَضَعُ السُّلْطَانَ وَأَوْلِيَاءَ الْأُمُورِ
فَإِنْ أَخْرَجَهُ أَسْرَارَهُمْ قَبِيحٌ فِي نَفْسِهِ يُرْدِي إِلَى ضَرَرٍ عَظِيمٍ وَبَلَاءٍ
جَبِيمٍ

(وَمِنْهَا التَّوَاضُعُ) وَهُوَ تَرْكُ التَّوَدُّسِ وَأَظْهَارُ الْخُضُوعِ وَكَرَاهِيَةُ
التَّعْظِيمِ وَالزِّيَادَةِ فِي الْأَحْكَامِ وَأَنْ يَحْتَبِ الْإِنْسَانُ أَلْبَهَاءَهُ بِمَا
فِيهِ مِنَ الْقِصَالِ وَالْمُفَاخَرَةِ بِالْمَالِ وَالْجَلَاءِ وَأَنْ يَحْجَرَ مِنَ الْإِعْجَابِ
وَالْكِبَرِ وَلَا يُجْعِدُ التَّوَاضُعُ إِلَّا مِنْ أَكْبَرِ النَّاسِ وَرُؤَسَائِهِمْ وَأَهْلِ
الْقُضْلِ وَالْعِلْمِ وَأَمَّا مَا سِوَى هَؤُلَاءِ فَلَا يَكُونُونَ مُتَوَاضِعِينَ
بِالتَّوَاضُعِ لِأَنَّ الْأَضْعَ هِيَ مَحَلُّهُمْ وَمَرَقَبَتُهُمْ وَلَوْ كَانُوا غَيْرَ مُتَضِعِينَ

(وَمِنْهَا الْبَشَرُ) وَهُوَ إِظْهَارُ السُّرُورِ لِمَنْ يَلْقَاهُ الْإِنْسَانُ مِنْ
 إِخْوَانِهِ وَأَوْدَادِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَوْلِيَّائِهِ وَمَعَارِفِهِ وَالتَّبَسُّمُ عِنْدَ الْلِقَاءِ. وَهَذَا
 الْخَلْقُ مُسْتَحْسَنٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَهُوَ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْظُّمَاءِ أَحْسَنُ
 لِأَنَّ الْبَشَرَ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْوُلَاةِ تَتَأَلَّفُ بِهِ قُلُوبُ الرِّعْيَةِ وَالْأَعْوَانِ
 وَالْحَاشِيَةِ وَيَزْدَادُ بِهِ تَحَبُّبًا إِلَيْهِمْ وَلَا يَبْدُو سَعِيدًا مِنَ الْمُلُوكِ أَوْ الْوُلَاةِ
 مَنْ كَانَ مُبْتَغِضًا لِرِعْيَتِهِ لِأَنَّ ذَلِكَ رُبَّمَا أَدَّى إِلَى فَسَادِ أَمْرِهِ
 وَذَوَالِ حُكْمِهِ وَمُلْكِهِ

(وَمِنْهَا صِدْقُ اللَّهِ) وَهُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ
 وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَحْسَنٌ مَا لَمْ يُؤَدَّ إِلَى ضَرَرٍ مُفْرِطٍ فَإِنَّهُ لَيْسَ
 يُسْتَحْسَنُ عِنْدَ الْإِنْسَانِ إِنْ سُئِلَ عَنْ فَاحِشَةٍ كَانَ ارْتِكَابُهَا فَائِدَةً لَا
 يَنْبَغِي حُسْنَ صِدْقِهِ بِمَا يُلْحَقُهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْعَارِ وَالنَّقْصَةِ الْبَاقِيَةِ
 الْأَظْهَرُ. وَكَذَلِكَ لَيْسَ يُحْسَنُ صِدْقُهُ إِذَا سُئِلَ عَنْ مُشْجِرٍ أَسْتَجَارَهُ
 فَأَخْفَاهُ وَلَا إِنْ سُئِلَ عَنْ جُنَايَةٍ مَتَى صَدَقَ عَنْهَا عَوَّبَ عَلَيْهَا عُقُوبَةُ
 مُؤَلَّمَةٍ. وَالصِّدْقُ مُسْتَحْسَنٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَهُوَ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْظُّمَاءِ
 أَحْسَنُ فَلَا يَسَمُّهُمْ الْكَذِبُ مَا لَمْ يَبْدُ الصِّدْقُ عَلَيْهِمْ بِضَرَرٍ

(وَمِنْهَا سَلَامَةُ النَّيَّةِ) وَهُوَ اعْتِقَادُ الْخَيْرِ بِجَمِيعِ النَّاسِ وَتَتَكَبَّرُ
 الْخُبْرَةُ وَالنِّيَّةُ وَالْكُرُ وَالْحَدِيثُ وَهَذَا الْخَلْقُ مُتَحَدِّدٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ
 إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ يَضْحَكُ لِلْمُلُوكِ أَلَّا يَكُنْ لَهُمْ دَائِمًا وَقَدْ لَا يَتِمُّ أَمْرُهُمْ إِلَّا
 بِاسْتِعْمَالِ الْكُرِّ وَالْجَلِيلِ وَالْإِعْتِيَالِ مَعَ الْأَعْدَاءِ وَلَكِنْ لَا يُحْسَنُ
 بِهِمْ اسْتِعْمَالُهُ مَعَ أَخِصَانِهِمْ وَأَصْفِيَانِهِمْ وَأَهْلِ طَاعَتِهِمْ

(وَمِنْهَا الشَّحَاءُ) وَهُوَ بَدَلُ أَلَالٍ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا اسْتِحْقَاقٍ.
وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَحْسَنٌ مَا لَمْ يَلْتَمِسْ إِلَى السَّرَفِ وَالتَّبَذِيرِ فَإِنَّ مَنْ بَدَلَ
جَمِيعَ مَا يَمْلِكُهُ لَمْ يَلْتَمِسْهُ لَا يُسْتَحِقُّهُ لَا يُسْنَى سَخِيًّا بَلْ يُسْنَى مُبَذِّرًا
وَمُضَيِّعًا. وَالشَّحَاءُ فِي سَائِرِ النَّاسِ قُضِيَّةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ وَأَمَّا فِي الْمُلُوكِ
وَأَوْلِيَاءِهِمْ فَآمَرٌ وَاجِبٌ لِأَنَّ الْبُخْلَ يُؤَدِّي إِلَى الْفُرَرِ الْعَظِيمِ فِي
الْأَحْكَامِ. وَالشَّحَاءُ وَالْبَذْلُ تَرْتَبُطُ بِهِمَا قُلُوبُ الرِّعْيَةِ وَالتَّجِدُّ
وَالْأَعْوَانُ فَيَنْظُمُ الْإِتِّبَاعُ بِهِ

(وَمِنْهَا الشُّجَاعَةُ) وَهِيَ الْأَقْدَامُ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالْمَهَالِكِ عِنْدَ
الْحَاجَةِ إِلَى ذَلِكَ وَثَبَاتُ النَّاسِ أَيِ الْقَلْبِ عِنْدَ الْخَوَافِ وَالْإِسْتِغْنَاءِ
بِالْمَوْتِ. وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَحْسَنٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَهُوَ بِالْمُلُوكِ
وَأَعْوَانِهِمْ أَلْيَقُ وَأَحْسَنُ بَلْ لَيْسَ يُسْتَحَقُّ لِلْمَلِكِ مِنْ عَدَمِ هَذِهِ
الْجَلَّةِ. وَكَأَكْثَرِ النَّاسِ أخطارًا وَأَحْوجُهُمْ إِلَى أَفْهَمِ أَعْمَارِهِمْ
الْمُلُوكُ وَالْأَحْكَامُ فَالشُّجَاعَةُ إِذَا مِنْ أَخْلَاقِهِمْ الْخَاصَّةِ بِهِمْ

(وَمِنْهَا الْمُنَافَسَةُ) وَهِيَ مُنَادَاةُ النَّفْسِ إِلَى التَّشَبُّهِ بِالتَّغْيِيرِ فِيمَا
يَرَاهُ وَيَرْغَبُ فِيهِ لِتَفْسِيهِ وَالْأَجْتِهَادِ فِي التَّرَقِّيِ إِلَى دَرَجَةٍ أَعْلَى مِنْ
دَرَجَتِهِ. وَهَذَا الْخَلْقُ مُحْمَدٌ إِذَا سَكَتَ الْمُنَافَسَةُ فِي الْقَضَائِلِ وَالْمَرَاتِبِ
الْعَالِيَةِ أَوْ فِيمَا يُكْسِبُ تَجْدًا وَسُودَدًا قَامًا فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ اتِّبَاعِ
الشَّهَوَاتِ وَالْمُبَاهَاةِ بِاللَّذَاتِ وَأَزْيِنَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَكُرُوهُ جِدًّا
(وَمِنْهَا الصَّبْرُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ) وَهَذَا الْخَلْقُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْوَقَارِ
وَالشُّجَاعَةِ وَهُوَ مُسْتَحْسَنٌ جِدًّا مَا لَمْ يَكُنْ الْخِرْعُ نَافَاً وَالْحُزْنُ وَالْقَلَقُ

مُجْدِيًّا وَلَا اجْتِهَادَ دَافِعَةً ضَرَرَ تِلْكَ الشَّدَائِدُ فَمَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ إِذَا
عَدِمَتْ الْحِيلَةُ وَمَا أَقْبَحَ الْجَزَعَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُفِيدًا

(وَمِنْهَا عِظَمُ الْهَمَّةِ) وَهُوَ اسْتِصْعَافُ مَا دُونَ الْإِثَابَةِ مِنْ مَعَالِي
الْأُمُورِ وَطَلَبُ الرَّاغِبِ السَّامِيَةِ وَاسْتِغْفَارُ مَا يُؤَدُّ بِهِ الْإِنْسَانُ عِنْدَ
الطَّيِّبَةِ وَالْإِسْتِغْفَافُ بِإِوَاسِطِ الْأُمُورِ وَطَلَبِ أَعْيَانِهَا وَالتَّهَانُ بِمَا
يَمْلِكُهُ وَبَذْلُهُ لِمَنْ يَسْأَلُهُ مِنْ غَيْرِ امْتِنَانٍ وَلَا اعْتِدَادٍ بِهِ. وَهَذَا الْخَلْقُ
مِنْ خُصُوصِيَّاتِ الْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ وَقَدْ يُجَسَّنُ بِالرُّؤَسَاءِ وَالظُّلَمَاءِ
وَمَنْ تَسْمُو نَفْسُهُ إِلَى مَرَاتِبِهِمْ . وَمَنْ عَظِمَ الْهَمَّةُ الْأَنْفَعَةُ وَالْحَلِيَّةُ
وَالْقَيِّدَةُ . فَالْأَنْفَعَةُ هِيَ بُدْءُ النَّفْسِ عَنِ الْأُمُورِ الدُّنْيَا وَالْحَلِيَّةُ الْقَيِّدَةُ
مَعَ الْقَضْبِ عِنْدَ الْإِحْسَاسِ بِالنَّقْصِ . وَتَلْقَى الْإِنْسَانُ الْقَيِّدَةُ عَلَى
الْحَرَمِ لِأَنَّ فِي التَّعَرُّضِ لَهَا عَارًا وَمَنْقُصَةً فَإِنَّ التَّعَرُّضَ لِلْحَرَمِ
مُهْتَضَمٌ لِصَاحِبِهَا وَمُتَعَرِّفٌ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَالْإِهْتِظَامُ نَقِصَةٌ
وَمَنْ عَظِمَ الْهَمَّةُ الْأَنْفَعَةُ مِنْهُ . وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَحْسَنٌ جِدًّا مِنْ جَمِيعِ
النَّاسِ

(وَمِنْهَا الْعَدْلُ) وَهُوَ التَّمْطُّ الْأَلَزِمُ لِلِاسْتِثْوَاءِ وَأَسْتِثْنَاءِ
الْأُمُورِ فِي مَوَاضِعِهَا وَأَوْقَاتِهَا وَدُجُوهِهَا وَمَقَادِيرِهَا مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ
وَلَا تَقْصِيرٍ وَلَا تَقْدِيرٍ وَلَا تَأْخِيرٍ



البحث الثالث

في الاخلاق الرديئة

(من كتاب غذيب الاخلاق لكريا بن عدي)

فَأَمَّا الْأَخْلَاقُ الرَّدِيَّةُ الَّتِي تُعَدُّ نَقَائِصَ وَمَعَائِبَ فَإِنَّ مِنْهَا
الْفُجُورَ وَهُوَ الْإِنْهَاكُ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْإِسْتِكْثَارُ مِنْهَا وَإِثَارُ اللَّذَاتِ
وَالْإِدْمَانُ عَلَيْهَا وَارْتِكَابُ الْقِرَاحِشِ وَالْمُجَاهَرَةُ بِهَا وَبِالْجُلُوعِ السَّرْفُ
فِي جَمِيعِ الشَّهَوَاتِ. وَهَذَا الْخَلْقُ مَكْرُوهٌ جَدًّا يَهْدِمُ الْحَيَاءَ وَيَذْهَبُ
بِمَاءِ الْوَجْهِ وَيَخْرُقُ حِجَابَ الْحِشَّةِ

(وَمِنْهَا الشَّرُّ) وَهُوَ الْجُرُصُ عَلَى اصْتِسَابِ الْأَمْوَالِ وَجَمْعِهَا
وَطَلِبُهَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ وَلَوْ قُبْحَ طَرِيقِ اصْتِسَابِهَا وَالْمُلَاوَنَةُ عَلَيْهَا
وَالْإِسْتِكْثَارُ مِنَ الْقَنِيَّةِ وَادِّخَارُ الْأَعْرَاضِ. وَهَذَا الْخَلْقُ مَكْرُوهٌ مِنْ
جَمِيعِ النَّاسِ إِلَّا مِنَ الْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْأَلَةِ وَالِ
وَالذَّخَائِرِ وَالْأَعْرَاضِ تُعِينُهُمْ وَتُرِيدُهُمْ هَيْبَةً فِي نُفُوسِ رَعِيَّتِهِمْ
وَأَعْوَانِهِمْ وَأَعْدَائِهِمْ وَأَضْدَادِهِمْ

(وَمِنْهَا التَّبَذُّلُ) وَهُوَ أَطْرَاحُ الْحِشَّةِ وَتَرْكُ النَّقْطِ وَالْإِسْتِكْثَارُ
مِنَ الْهَزْلِ وَاللَّهْوِ وَمُخَالَطَةُ الشُّفَهَاءِ وَحُضُورُ مَجَالِسِ السُّخْفِ وَالْهَزْلِ
وَالْفُحْشِ وَالنُّغُوهِ بِالْحَيَاةِ وَذِكْرُ الْأَعْرَاضِ وَالنَّحْرِ وَالْجُلُوسُ فِي
الْأَسْوَاقِ وَعَلَى قَوَارِعِ الطَّرِيقِ وَالتَّكْسِبُ بِالْمَتَائِشِ الزَّرِّيَّةِ وَالنَّوَاضِمِ

لِلْغُلَاءِ وَهَذَا الْخَلْقُ قَبِيحٌ بِجَمِيعِ النَّاسِ
 (وَمِنْهَا السَّفَهَاءُ) وَهُوَ ضِدُّ الْجِلْمِ وَهُوَ سِرْعَةُ الْقَضْبِ وَالطَّبْشِ
 بِنِ يَسِيرِ الْأُمُورِ وَالْمُبَادَرَةُ فِي الْبَطْشِ وَالْإِيْقَاعُ بِالْمُؤْذِي وَالسَّرَفُ
 فِي الْعُقُوبَةِ وَإِمَارَةُ الْجُرْعِ مِنْ أَدْنَى ضَرَرٍ وَالسَّبُّ الْفَاحِشُ وَهَذَا الْخَلْقُ
 مُسْتَقْبِحٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ إِلَّا أَنَّهُ بِالْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ أَقْبَحُ مِنْهُ بِغَيْرِهِمْ
 (وَمِنْهَا الْخَرَقُ) وَهُوَ كَثْرَةُ الْكَلَامِ وَالْعُرْكَ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ
 وَشِدَّةُ الصَّحِيحِ وَالْمُبَادَرَةُ إِلَى الْأُمُورِ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ وَسُرْعَةُ
 الْجَوَابِ وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَقْبِحٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ وَهُوَ بِأَهْلِ الْعِلْمِ
 وَذَوِي التَّبَاعَةِ أَقْبَحُ وَمِنْ قَبْلِهِ قِلَّةُ الْإِحْتِشَامِ لِمَنْ يَحِبُّ احْتِشَامَهُ
 وَالْحُجَامَةُ بِالْأَجُوبَةِ الْفَلِيطَةِ الْفَلِيطَةُ الْمُسْتَشْنَعَةُ وَهَذَا الْخَلْقُ مَكْرُوهٌ
 وَخَاصَّةً بِذَوِي الْوَقَارِ

(وَمِنْهَا الْهَوَى) وَهُوَ إِفْرَاطُ الْحُبِّ وَالسَّرَفُ فِيهِ وَهَذَا الْخَلْقُ
 مَكْرُوهٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ يَحْمِلُ صَاحِبُهُ عَلَى الْفُجُورِ وَارْتِكَابِ
 الْفَوَاحِشِ وَكَثْرَةِ التَّبَدُّلِ وَقِلَّةِ الْحَيَاءِ وَهُوَ يَشِينُ الْإِنْسَانَ كَثِيرًا
 (وَمِنْهَا الْقَسَاوَةُ) وَهَذَا الْخَلْقُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْبُغْضِ وَالشَّجَاعَةِ
 وَهُوَ اتِّهَامُونَ بِمَا يَلْحَقُ الْغَيْرَ مِنَ الْأَلَمِ وَالْأَذَى وَهَذَا الْخَلْقُ مَكْرُوهٌ
 مِنْ كُلِّ أَحَدٍ إِلَّا مِنَ الْخُنْدِ وَأَصْحَابِ السِّلَاحِ وَالْمُتَوَلِّينَ
 الْحُرُوبَ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مَكْرُوهٍ مِنْهُمْ إِذَا كَانَ فِي مَوْضِعِهِ
 (وَمِنْهَا الْقَدَرُ) وَهُوَ الرُّجُوعُ عَمَّا يَبْذُلُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ
 وَيَضْمَنُ الْوَفَاءَ بِهِ وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَقْبِحٌ إِنْ كَانَ لِصَاحِبِهِ فِيهِ مَضْلَعَةٌ

وَنَفَقَةٌ. وَهُوَ بِأَمْوَالِكَ وَالْحُكْمِ أَقْبَحُ وَأَظْرَقَانِ مَنْ عُرِفَ بِهِمْ
بِالْقَدْرِ لَمْ يَزُكَّنْ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَلَمْ يُتَّقَ بِهِ إِنْسَانٌ فَلَذَا كَانَ كَذَلِكَ
فَسَدَ نِظَامُ مُلْكِهِ

(وَمِنْهَا الْحَيَاةُ) وَهِيَ الْأَسْتِدَالُ بِمَا يُؤْتَمَنُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ مِنَ
الْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْحَرَمِ وَتَمْلِكُ مَا يُسْتَوَدَعُ وَتُجَاهِدُ مُوَدِّعَهُ.
وَوَنَ الْحَيَاةُ أَيْضًا طَلَبُ الْأَخْبَارِ إِذَا نَدَبَ الْإِنْسَانُ لِتَأْدِيتِهَا وَتَحْرِيفُ
الرَّسَائِلِ إِذَا حَمَلَهَا وَصَرَفَهَا عَنْ وَجْهِهَا. وَهَذَا الْخَلْقُ أَعْنَى الْحَيَاةِ
مَكْرُوهٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَيَتْلَمُ آخَاهُ وَيَقْطَعُ وَجْهَهُ الْمَلَأَشِ

(وَمِنْهَا إِفْشَاءُ الْبَرِّ) وَهَذَا الْخَلْقُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْخَرَقِ وَالْحَيَاةِ
فَإِنَّهُ لَيْسَ بِوُثْقٍ مَنْ لَمْ يَضْطَبْ لِسَانَهُ وَلَمْ يَلْبَسْ صَدْرَهُ لِحِفْظِ مَا
يُسْتَسْرَى بِهِ وَالْبَرُّ أَحَدُ الْوَدَائِعِ وَإِفْشَاؤُهُ تَقِيعَةٌ عَلَى صَاحِبِهِ
فَالْفُشْيُ بِالْبَرِّ خَائِنٌ وَهَذَا الْخَلْقُ قَبِيحٌ جِدًّا وَخَاصَّةً بَيْنَ يَضْحَبُ
الْمُلُوكِ وَأَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ وَيَتَدَاخَلُ مَعَهُمْ . وَمِنْ قَبِيلِ إِفْشَاءِ الْبَرِّ
أَيْضًا الْغِيبةُ وَالنِّسِيَةُ وَهِيَ أَنْ يَبْلُغَ إِنْسَانٌ إِنْسَانًا عَنْ آخِرِ قَوْلَا
مَكْرُوهًا وَهَذَا الْخَلْقُ قَبِيحٌ جِدًّا وَلَوْ لَمْ يُسْتَسْرَأْ أَيْضًا بِمَا يَسْمَعُهُ أَوْ
يَتْلَقُهُ فَتَقَهُ إِلَى مَنْ يَكْرَهُ قَبِيحٌ لِأَنَّهُ فِي ذَلِكَ إِيقَاعٌ وَخَسَّةٌ بَيْنَ
الْمُبْلَغِ وَالْمُبْلَغِ عَنْهُ وَذَلِكَ غَايَةُ الشَّرِّ

(وَمِنْهَا الْكِبَرُ) وَهُوَ اسْتِعْظَامُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَاسْتِحْسَانُ مَا
فِيهِ مِنَ الْقَضَائِلِ وَالْإِسْتِهَانَةُ بِالنَّاسِ وَاسْتِغْفَارُهُمْ وَالْتِرْفَعُ عَلَى مَا
يَحِبُّ التَّرَاضُعُ لَهُ. وَهَذَا الْخَلْقُ مَكْرُوهٌ جِدًّا وَمُضِرٌّ بِصَاحِبِهِ لِأَنَّهُ

مَنْ أَنْجَيْتَهُ نَفْسَهُ لَمْ يَسْتَرْزِدْ مِنْ أَصْحَابِ الْأَدَبِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَرْزِدْ
بَقِيَ عَلَى نَفْسِهِ إِذْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَخْلُو مِنْ النَّقْصِ قَبْلَ مَا يَنْتَهِي
إِلَى غَايَةِ الْكَمَالِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ هَذَا الْفِعْلَ يُعْنِيهِ عِنْدَ النَّاسِ وَمَنْ
تَبَعُضُهُ النَّاسُ سَاءَتْ أحوَالُهُ

(وَمِنْهَا الْعَبُوسُ) وَهُوَ التَّقَطُّبُ عِنْدَ اللَّعَاءِ وَقِلَّةُ التَّبَسُّمِ وَإِظْهَارُ
الْكِرَاهِيَةِ. وَهَذَا الْخَلْقُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْكِبَرِ وَغِلْظِ الطَّبْعِ. فَإِنَّ قِلَّةَ
الْبَشَاشَةِ هِيَ اسْتِهَانَةٌ بِالنَّاسِ وَالْإِسْتِهَانَةُ بِالنَّاسِ تَكُونُ مِنَ الْإِعْجَابِ
وَالْكِبَرِ وَقِلَّةِ التَّبَسُّمِ أَيْضًا خَاصَّةٌ عِنْدَ لِقَاءِ الْإِخْوَانِ تَكُونُ مِنَ
غِلْظِ الطَّبْعِ. وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَعْجِلٌ وَخَاصَّةً بِالرُّؤْسَاءِ وَالْأَفَاضِلِ

(وَمِنْهَا الْكَذِيبُ) وَهُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا هُوَ
عَلَيْهِ. وَهَذَا الْخَلْقُ مَكْرُوهٌ وَهُوَ بِالْمُلُوكِ وَالرُّؤْسَاءِ أَكْثَرُ قُبْحًا
لِأَنَّ الْيَسِيرَ مِنَ النَّقْصِ يَشْتَبُه

(وَمِنْهَا الْخُبْتُ) وَهُوَ إِضَارَةُ الشَّرِّ لِلْفَيْرِ وَإِظْهَارُ الْخَيْرِ لَهُ رِيَاءً
وَأَسْتِعْمَالُ الْحِيلَةِ وَالْمَكْرِ وَالْحَدِيدَةِ فِي الْعُمَلَامَاتِ وَهَذَا الْخَلْقُ
مَكْرُوهٌ جِدًّا. (وَمِنْ قَبِيلِ الْخُبْتِ الْخُفْدُ) وَهُوَ إِضَارَةُ الشَّرِّ لِلْحَيِّ إِذَا لَمْ
يَتَكَنَّ مِنَ الْإِتِّقَامِ مِنْهُ فَتُجَنَّبُ إِلَى وَقْتِ الْفُرْصَةِ وَهَذَا الْخَلْقُ
مِنْ أَخْلَاقِ الْأَشْرَارِ وَهُوَ مَذْمُومٌ جِدًّا

(وَمِنْهَا الْجُلُّ) وَهُوَ مَنْعُ الْمُسْتَطِيعِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى إِعْطَائِهِ.
وَهَذَا الْخَلْقُ مَكْرُوهٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَخَاصَّةً الْمُلُوكِ وَالْعُظَمَاءِ
وَذَلِكَ لِأَنَّ الْجُلَّ يُنْقَضُ مِنْهُمْ أَكْثَرُ مِمَّا يُعْضُ مِنْ غَيْرِهِمْ وَيَقْدَحُ

فِي حُكْمِهِمْ وَيَبْغِضُهُمْ إِلَى رَعِيَّتِهِمْ
(وَمِنْهَا الْخَلْقُ) وَهُوَ تَوْفُّمُ الْخَوَافِ وَتَمَكُّنُهَا فِي الْقَتْلِ بِدُونِ
طَائِلٍ وَعَدَمُ الْإِقْدَامِ عَلَى الْأُمُورِ عِنْدَ الزُّرْمِ وَالرَّغْبِ مِنْ مُوَاجَهَةِ
ذَوِي الْأَمْرِ عِنْدَ الْإِتْبَاعِ . وَهَذَا الْخَلْقُ مَكْرُوهٌ إِلَّا أَنَّهُ بِالْجُنُودِ
وَأَصْحَابِ الْحُرُوبِ مُضِرٌّ جِدًّا

(وَمِنْهَا الْحَسَدُ) وَهُوَ التَّالُمُ بِمَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ لِعَلِيهِ مِنْ الْخَيْرِ
وَيَحْدُهُ فِيهِ مِنَ الْقَضَائِلِ وَالْأَجْهَادِ فِي إِعْدَامِ الْغَيْرِ مَا هُوَ لَهُ . وَهَذَا
الْخَلْقُ مَكْرُوهٌ وَقَبِيحٌ بِكُلِّ أَحَدٍ

(وَمِنْهَا الْجَزَعُ عِنْدَ الشَّدَةِ) وَهَذَا الْخَلْقُ مَرْكَبٌ وَنَ الْخَوْفِ
وَالْخَبْلِ . وَهُوَ مُسْتَشْفَعٌ جِدًّا إِذَا لَمْ يَكُنْ مُجَدِّيًا نَفْعًا وَأَمَّا إِظْهَارُهُ
لِلْحَيَّةِ عِنْدَ الْوُقُوعِ فِي الشَّدَةِ أَوْ لِامْتِنَانَةِ مُنِيثٍ أَوْ اجْتِلَابِ مُعِينٍ
لِلْمُسَاعَدَةِ فَغَيْرُ مَكْرُوهٍ وَلَا يَمُدُّ نَقِصَةً

(وَمِنْهَا بَغْرُ الْهَمَّةِ) وَهُوَ ضَعْفُ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمَرَاتِبِ
الْعَالِيَةِ وَقُصُورُ الْأَمَلِ عَنْ بُلُوغِ النِّهَايَاتِ وَاسْتِكْنَارُ الْيَسِيرِ مِنْ
الْقَضَائِلِ وَاسْتِعْظَامُ الْقَلِيلِ مِنَ الْعَطَايَا وَالْإِعْتِدَادُ بِذَلِكَ وَالرِّضَى
بِأَوَاسِطِ الْأُمُورِ وَأَصَاغِيرِهَا . وَهَذَا الْخَلْقُ قَبِيحٌ بِكُلِّ أَحَدٍ وَهُوَ
بِالْمُلُوكِ وَالْأَظْمَاءِ أَقْبَحُ بَلْ لَيْسَ يُسْتَحَقُّ لِلْإِعْتِبَارِ مَنْ صَغُرَتْ هِمَّتُهُ
(وَمِنْهَا الْجَوْرُ) وَهُوَ الْخُرُوجُ عَنِ الْقَدْرِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ
كَأَخْذِ الْأَمْوَالِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهَا الْحَلَالِ وَالطَّلَابَةِ بِمَا لَا جُوبَ مِنْ
الْحَقُوقِ وَفَضْلِ الْأَشْيَاءِ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا وَلَا أَوْقَاتِهَا وَلَا عَلَى الْقَدْرِ

الَّذِي يُحِبُّ لَهَا وَعَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُسْتَحَبُّ فِيهَا وَمِنْ قِيلَ ذَلِكَ
السَّرَفُ وَالتَّبَذِيرُ أَيْضًا

المبحث الرابع

في بعض الاخلاق التي تكون في بعض الناس
فضيلة وفي بعضهم رذيلة

(من كتاب عذوب الاخلاق لتركيا بن عدي)

(مِنْهَا حُبُّ الْكَرَامَةِ) وَهُوَ أَنْ يُسَرَّ الْإِنْسَانُ بِالْمُعْظِمِ
وَالْتَّجِيلِ وَالْمُقَابَلَةِ بِالْمَذْحِ وَأَنْشَاءِ الْجِيلِ . وَهَذَا الْخَلْقُ مُخَوِّدٌ فِي
الْأَحْدَاثِ وَالصِّيَانِ لِأَنَّ حُبَّ الْكَرَامَةِ تَحْتُمُّهُمْ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي اكْتِسَابِ
الْفَضَائِلِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْخَدَثَ وَالصَّبِيَّ إِذَا مَدَّحًا عَلَى فَضِيلَةٍ وَجَدَتْ
فِيهَا كَانَ ذَلِكَ دَاعِيًا لَهُمَا إِلَى الْإِزْدِيَادِ فِي الْفَضَائِلِ . وَأَمَّا الْأَفَاضِلُ
مِنَ النَّاسِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُعَذِّبُهُمْ تَقِيصَةً . لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَدَّحُ
عَلَى الْفَضِيلَةِ إِذَا كَانَتْ مُسْتَعْرَبَةً مِنْهُ لَمَّا إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ
فَلَا يَبْغِي أَنْ يُسَرَّ أَوْ يَسْتَرْبَ مَا يَطْهَرُ مِنْهُ مِنَ الْفَضَائِلِ . وَكَذَلِكَ
الْإِكْرَامُ وَالْتَّجِيلُ إِذَا كَانَ زَائِدًا عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ فَإِنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى
الْمَلَقِ وَالسُّرُورِ بِالْمَلَقِ غَيْرُ مُخَوِّدٍ لِأَنَّهُ مِنْ جَنْسِ الْخَيْرَةِ

(وَمِنْهَا حُبُّ الرِّيَّةِ) وَهُوَ التَّصَنُّعُ بِلبسِ أَثْيَابِ الْفَاسِخَةِ
وَرَكُوبِ الْخَيْلِ وَكَثْرَةِ الْحَدَمِ وَالْحَشَمِ وَهَذَا مُسْتَحْسَنٌ مِنَ الْمُلُوكِ
وَالْظُمَاءِ وَالْأَحْدَاثِ وَالظُّرَفَاءِ وَالنِّسَاءِ . قَامًا الرُّهْبَانُ وَالرُّهَادُ

وَالشُّيُخُ وَأَهْلُ الْعِلْمِ وَخَاصَّةً الْخَطَبَاءُ وَالْوَاعِظُونَ وَرُؤَسَاءُ الدِّينِ
فَإِنَّ التَّصَنُّعَ بِالرِّيَاسَةِ مُسْتَنْجَبٌ مِنْهُمْ وَالْمُسْتَحْسَنُ بِهِمْ هُوَ لِبَسُ
الْحُسْنِ وَكَرَاهِيَةُ التَّعَمُّ وَلِزُومُ يُبُوتِ الصَّلَاةِ

(وَمِنْهَا لِمُجَازَاةٍ عَلَى الْمَدْحِ) وَهُوَ مُجَازَاةٌ مَنْ يَمْدَحُ الْإِنْسَانَ
وَيَشْكُرُهُ فِي الْحَاجِلِ وَالْحَاقِلِ . وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَحْسَنٌ مِنَ الْمُلُوكِ
وَالرُّؤَسَاءِ لِأَنَّهُ يَدْعُو الْمَادِحَ إِلَى الْإِزْدِيَادِ فِي مَدْحِهِ فَيَكْتَسِبُ
الْمَدْحُ ذِكْرًا جَمِيلًا يَبْقَى إِلَى الدَّهْرِ . وَمِنْ فَضَائِلِ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ
بَقَاءُ ذِكْرِهِمُ الْجَمِيلِ . وَمَا نَحَبْتُهُمْ سَمَاعَ الْمَدْحِ مِنَ الْمَادِحِ مُوَاجَهَةً
فَذَلِكَ غَيْرُ مُسْتَحَبٍّ مِنْهُمْ لِأَنَّهُ مِنْ جِنْسِ الْمَلَقِ وَحُبُّ الْمَلَقِ مَكْرُوهٌ
لِكَوْنِهِ مِنْ قِبَلِ الْخِدِيعةِ كَمَا تَقَدَّمَ . فَأَمَّا إِثَارَتُهُمْ أَنْشَارَ ذِكْرِهِمْ
وَمَدْحِهِمْ وَتَنَادُلُ النَّاسِ لَهُ وَبَقَاؤُهُ بَعْدَهُمْ فَإِنَّهُ مَحْمُودٌ . وَمُجَازَاةُ الْمَادِحِ
مُسْتَحْسَنَةٌ مِنَ الْمُلُوكِ وَمِنْهُمْ مُسْتَنْجَبٌ وَعَادَ عَلَيْهِمْ لِأَنَّ ذَلِكَ يَدْعُو
إِلَى ذَمِّهِمْ وَذَمُّهُمْ يَبْقَى أَيْضًا إِلَى الدَّهْرِ فَيُنْشِئُ لَهُمْ ذِكْرًا قَبِيحًا
وَذَلِكَ مَكْرُوهٌ مِنَ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ . أَمَّا أَحَاغِيرُ النَّاسِ فَحَبَبُهُمْ جَزَاءُ
الْمَادِحِ لَهُمْ غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ لِأَنَّ الْمَادِحَ إِذَا مَدَحَ الدِّينَ مِنْ النَّاسِ
فَأَنَّمَا يَجِدُّهُ فَإِذَا أَجَاهَهُ اعْتَقَدَ أَنَّهُ أَخَذَ مِنْهُ تِلْكَ الْجَازِةَ بِالْحِيلَةِ .
وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا مَدَحُوا بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ يُبَادِرُونَ إِلَى مُجَازَاةِ
الْمَادِحِ فَيَكُونُونَ قَدْ وَضَعُوا الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَلَوْ صَرَفُوا ذَلِكَ
الشَّيْءَ إِلَى الضُّعْفَاءِ وَأَهْلِ الْمُسْكِنَةِ كَانَ ذَلِكَ أَجْمَلَ بِهِمْ وَأَلْقَى
(وَمِنْهَا الرُّهْدُ) وَهُوَ قِلَّةُ الرَّغْبَةِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْإِذْخَارِ وَغَيْرِهَا

وَأَيْتَارُ الْقَنَاعَةِ بِمَا يُعِيمُ الرِّمَى وَالْإِسْتِحْقَافُ بِالدُّنْيَا وَحَاسِنُهَا وَلَدَانِهَا
وَقَوْلُهُ الْأَكْثَرَاتُ بِالْمُرَاتِبِ الْعَالِيَةِ وَاسْتِغْفَارُ الْمُلُوكِ وَتَمَالِكُهُمْ
وَأَرْبَابِ الْأَمْوَالِ وَأَمْوَالِهِمْ. وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَحْسَنٌ جِدَامِينَ الْعُلَمَاءِ
وَرُؤَسَاءِ الدِّينِ وَالْخُطَبَاءِ وَالْوَاعِظِينَ وَمَنْ يُرْقَبُ النَّاسُ فِي الْمَعَادِ
وَالْبَقَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ. فَأَمَّا الْمُلُوكُ وَالْخُطَبَاءُ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ
مِنْهُمْ وَلَا لَائِقٌ بِهِمْ لِأَنَّ الْمَلِكَ إِذَا أَظْهَرَ الزُّهْدَ صَارَ نَاقِصًا إِذَا
مُلِكُهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِاخْتِشَادِ الْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ وَادْخَالِهَا لِيُدَبَّرَ
بِهَا مُلْكُهُ وَيَصُونَ بِوِاسِطَتِهَا حَوَازِةَ وَيَتَقَدَّرَ بِهَا رِيعَتُهُ وَهَذَا مُضَادٌّ
لِلزُّهْدِ فَإِنَّهُ إِذَا تَرَكَ الْأَذْخَارَ أَبْطَلَ مُلْكُهُ وَصَارَ مَعْدُودًا فِي
جَمَلَةِ الْمُلُوكِ الْخَائِدِينَ عَنْ طَرِيقِ السِّيَاسَةِ

فَهَذِهِ الْأَقْسَامُ الَّتِي ذَكَرْتَهَا هِيَ أَخْلَاقُ جَمِيعِ النَّاسِ .
أَمَّا الْمَدْعُودَةُ مِنْهَا الْمَعْدُودَةُ فَضَائِلُ قَلِيلًا تَجْتَمِعُ كُلُّهَا فِي
إِنْسَانٍ وَاحِدٍ وَأَمَّا الْمَذْمُومَةُ مِنْهَا الْمَعْدُودَةُ فَتَقَارِصُ وَمَعَائِبُ
قَلِيلًا يُوْجَدُ إِنْسَانٌ يَخْلُو مِنْ جَمِيعِهَا حَتَّى لَا يَكُونَ فِيهِ خَلْقٌ مَكْرُوهٌ
وَخَاصَّةً مَنْ يَرُوضُ نَفْسَهُ وَيُؤَدِّبُهَا. فَإِنَّ مَنْ لَا يَتِمَّعُ لِضَبْطِ نَفْسِهِ
وَتَقَدَّرَ عُيُوبُهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ عُيُوبٍ كَثِيرَةٍ وَإِنْ لَمْ يُحْسَ بِهَا وَلَمْ يَفْطَنْ
إِلَيْهَا. وَإِذَا كَانَ الْحَالُ عَلَى مَا ذَكَرْتَاهُ كَانَ أَوْلَى الْأُمُورِ
بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَتَّقَدَّ اخْلَاقَهُ وَيَتَأَمَّلَ عُيُوبَهُ وَيَجْتَهِدَ فِي إِصْلَاحِهَا
وَنَفِيهَا عَنْ نَفْسِهِ وَيَتَّبِعِ الْأَخْلَاقَ الْحَمِيدَةَ وَيَجْهَلَ نَفْسَهُ عَلَى
اعْتِيَادِهَا وَالْخَلْقِ بِهَا لِأَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِفَضَائِلِهِمْ

لَا كُنَّا يَتَّبِدُ الْجَهْلُ وَالْمَأْمَةُ أَنَّهُمْ يَتَفَاضِلُونَ بِأَحْوَالِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
وَكَثْرَةِ ذَخَائِرِهِمْ. وَاتِّخَارُ أَكْثَرِ النَّاسِ بِالْأَمْوَالِ وَالذَّخَائِرِ وَالْآلَاتِ
وَتَعْظِيمُهُمُ الْأَغْنِيَاءَ وَذَوِي لُبَاو لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ. وَذَلِكَ لِأَنَّ كَثْرَةَ
أَمْوَالِهِمْ إِنَّمَا تَتَفَاضَلُ بِهَا أَحْوَالُ النَّاسِ وَأَمَّا نُفُوسُهُمْ فَلَا تَكُونُ
أَفْضَلَ مِنْ نُفُوسِ غَيْرِهِمْ بِكَثْرَةِ أَمْوَالِهِمْ. وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَاجِرَ السَّيِّئَ
الْجَاهِلَ الشَّرِيذَ وَإِنْ حَوَى أَمْوَالًا عَظِيمَةً فَلَا تَكُونُ بِأَفْضَلَ مِنْ
الْعَظِيمِ الْحَكِيمِ الْحَقِيرِ الْعَالِمِ وَلَوْ كَانَ قَعِيرًا بَلْ إِنَّمَا يَكُونُ
بِكَثْرَةِ أَمْوَالِهِ أَغْنَى مِنْهُ إِذَا كَانَ ذَاكَ مُعْسِرًا قَعِيرًا وَأَمَّا التَّفْضِيلُ
فَلَا يَكُونُ إِلَّا بِكَثْرَةِ الْفَضَائِلِ فَقَطْ. وَلَكِنْ إِنْ اجْتَمَعَ بِالْإِنْسَانِ
مَعَ الْأَخْلَاقِ الْجَيِّدَةِ وَالْعَادَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ الْفَنَى وَالثَّرْوَةُ أَيْضًا
فَلَعَمْرِي إِنَّهُ يَكُونُ أَحْسَنَ حَالًا مِنَ الْفَاجِلِ الْمُعْسِرِ لِأَنَّ ذَلِكَ
مِنْ خَمَلَةِ سَعَادَاتِ الْإِنْسَانِ وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ فَاضِلًا عَادِلًا غَنِيًّا
يَصْرِفُ مَالَهُ فِي وَجْهِهِ وَيُذِنُّهُ فِي حَقِّهِ وَيَتَّقَدُّ بِهِ مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ
وَلَا يَتَهَامَلُ فِي مَكْرَمَةٍ تَرِيدُ فِي تَحَابُّهِ

أَمَّا النَّاقِصُ الْجَاهِلُ السَّيِّئُ الْعَادَاتِ فَإِنَّ الْفَنَى رُبَّمَا زَادَهُ
نَفْسًا وَعُيُوبًا وَآضَافَ إِلَى مَعَانِيهِ عُيُوبًا أُخْرَى. وَلَا يُعَدُّ بِجَيِّلًا
مَنْ لَا مَالَ لَهُ وَإِنْ كَانَ الْجَلُّلُ مِنْ طَبَقِهِ لِأَنَّ قُوَّةَ يُجْنِي ذَلِكَ
مِنْهُ وَمَتَى لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ هَذَا الْأَمْرُ فَلَا يُعَابُ عَلَيْهِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ
إِنَّمَا يُعَابُ بِمَا يَظْهَرُ مِنْهُ وَأَمَّا مَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَإِسَارٍ وَلَمْ يَجِدْ بِهِ
ظَهَرَ بُخْلُهُ فَيَصِيرُ أَمَّا لُجَالِبًا عَلَيْهِ عَارًا. وَأَيْضًا فَإِنَّ أَكْثَرَ الشُّجُورِ

وَالْمَحْظُورَاتِ وَالشَّهَوَاتِ الرَّدِيئَةِ لَا تُنَالُ غَالِيًا إِلَّا بِالْأَمْوَالِ
فَالْفَقِيرُ الْمَغْبِرُ وَإِنْ كَانَ فَجُورًا فَلَا يَكَادُ يَظْهَرُ ذَلِكَ مِنْهُ أَمَّا إِذَا
كَانَ ذَا مَالٍ تَمَكَّنَ مِنْ شَهَوَاتِهِ فَتَظْهَرُ حِينَئِذٍ عُيُوبُهُ . وَبَاءَ عَلَيْهِ
يَكُونُ الْفَتْنَى مُكْسِبًا لِصَاحِبِهِ أَحْيَانًا عُيُوبًا وَنَقَائِصَ وَالْفَقْرُ فَضَائِلَ
وَمَحَاسِنَ . فَيَنْتَجِ مِنْ ذَلِكَ إِذَا أَنَّ النَّاسَ لَا تَتَفَاضَلُ حَقِيقَةُ بِالْأَمْوَالِ
وَالذَّخَائِرِ بَلْ إِنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ بِالْآدَابِ وَالْحَاسِنِ الدَّائِيَّةِ . فَالْحَلِيقُ
بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَسُوسَ نَفْسَهُ بِالْآدَابِ الْمُتَحَنُّنَةِ وَيَسْأَلَ بِهَا
الطَّرِيقَ الْمَحْمُودَةَ فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَكُونُ مَحْبُوبًا عِنْدَ النَّاسِ مَقْبُولًا
لَدَيْهِمْ مُعْظَمًا فِي نَفْسِهِمْ مُعْضَلًا عَنْ غَيْرِهِ مُوقَرًا عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ
وَالْمُلُوكِ مَقْبُولًا الْقَوْلُ عَظِيمٌ أَجَاهُ

فَهَذِهِ حَالَةُ الْعَظْمَةِ الْحَقِيقَةِ الْمَكْتَسَبَةِ بِالْأَمْوَالِ لِأَنَّ أَلَمَالَ
قَدْ تَلَقَّاهُ الْمَصَائِبُ فَإِذَا فَارَقَ صَاحِبَهُ سَقَطَتْ مَرْئِيَّتُهُ مِنْ نَفْسِ النَّاسِ
وَسَاوَى الْعَامَّةِ وَالسُّوقَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَظِيمَ لَهُ كَانَ مَالُهُ لَا نَفْسَهُ
فَقِيَ زَالَ ذَلِكَ الْمَالُ لَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ يُعْظَمُ مِنْ أَجَلِهِ . وَلَيْسَ
كَذَلِكَ الْعَالِمُ الْفَنِيِّ الْفَاضِلُ الْمُهَذَّبُ الْإِخْلَاقِي لِأَنَّ عَظَمَتَهُ
بِفَضَائِلِهِ وَهِيَ غَيْرُ مُفَارِقَةٍ لَهُ فَهُوَ مُعْتَبَرٌ دَائِمًا وَمُعْظَمٌ مِنْ أَجْلِ
ذَاتِهِ لَا لِشَيْءٍ خَارِجٍ عَنْهُ



البحث الخامس

في الارتياض بمكارم الاخلاق (*)

(من كتاب تهذيب الاخلاق لتركيباً بن هدي)

وَبِمَا أَنَّ الرَّائِبَ فِي سِيَاسَةِ نَفْسِهِ الْمُوَثَّرَ تَهْذِيبَ أَخْلَاقِهِ إِذَا
 بُنِيَ عَلَى خُلُقٍ مَذْمُومٍ وَجَدَ فِيهِ وَاحِبَ اجْتِنَابِهِ رُبَّمَا صَبَّ عَلَيْهِ
 الْإِتِّعَالُ عَنْهُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَرُبَّمَا لَمْ يَتَلِ الْفَخْلُصَ مِنْهُ وَلَمْ يَطَاوِعْهُ
 طَبْعُهُ أَوْ رُبَّمَا اسْتَحْسَنَ أَيْضًا خُلُقًا مَحْمُودًا لَا يَجِدُهُ لِنَفْسِهِ وَآثَرَ التَّخَلُّقِ
 بِهِ لَمْ تَسْخَعْ لَهُ عَادَتُهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى مُرَادِهِ. لِذَلِكَ وَجِبَ أَنْ تُرْسَمَ
 لِلرَّائِبِينَ فِي السِّيَاسَةِ النُّحُودَةُ طُرُقًا يَتَدَبَّرُونَ بِهَا وَيَتَدَرَّجُونَ فِيهَا
 حَتَّى يَلْتَهُوا إِلَى مُرَادِهِمْ مِنْ اِعْتِيَادِ الْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ وَالْإِطَاعِ عَلَيْهَا
 وَتَحْبُطِ الْأَخْلَاقِ الْقَبِيحَةِ وَالتَّغَرُّغِ مِنْهَا وَلِهَذَا تَذَكَّرُ طَرِيقَ الْإِرْتِيَاضِ
 بِالْأَخْلَاقِ النُّحُودَةِ وَالتَّعَمُّلِ لِإِعْتِيَادِهَا لِكَيْ يُمَكِّنَ لِلرَّائِبِ
 أَنْ يَحْكَمَ بِهَا فَنَقُولُ:

إِنَّهُ لَأَمْرٌ مُعَرَّرٌ أَنَّ سَبَبَ اخْتِلَافِ الْأَخْلَاقِ فِي النَّاسِ هُوَ
 اخْتِلَافُ قُوَى النَّفْسِ الثَّلَاثِ فِيهِمْ وَهِيَ الشَّهَوَانِيَّةُ وَالْقَضِيَّةُ وَالْعَاقِلَةُ
 وَأَنَّ إِصْلَاحَ الْأَخْلَاقِ هُوَ تَذْلِيلُ الشَّهَوَانِيَّةِ مِنْهَا وَالْقَضِيَّةِ وَتَمْيِيزُ

(*) اعلم ان ما يقوله هنا لتركيباً بن هدي في سياسة الانسان نفسه يعلم
 للطبيب لسياسة غيره. لانه موكول بتحسين طباع الجمهور منووض اليه حملهم
 على الخير وصرفهم عن مضار الاهواء المخرقة

عَادَتِ النَّفْسُ الْقَاطِطَةَ وَاسْتِعْمَالَ الْحَمْدِ مِنْ أَفْعَالِنَا. فَطَرِيقُ التَّدرِجِ
لِاسْتِعْمَالِ الْعَادَاتِ الْجَمِيلَةِ وَالذُّلُولِ عَنِ الْعَادَاتِ الْقَبِيحَةِ هُوَ التَّدرِجُ
فِي تَذَلُّلِ هَاتَيْنِ الْقُوَّتَيْنِ

أَمَّا النَّفْسُ الشَّهْوَانِيَّةُ فَالطَّرِيقُ إِلَى قَبْعِهَا أَنْ يَتَذَكَّرَ الْإِنْسَانُ فِي أَوْقَاتِ
شَهْوَاتِهِ وَعِنْدَ شِدَّةِ الزَّمْرِ إِلَى لَذَائِهِ أَنَّهُ يُرِيدُ تَذَلُّلَ نَفْسِهِ الشَّهْوَانِيَّةِ
فَيَعْدِلُ عَمَّا تَأْتَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّهْوَةِ الرَّدِيئَةِ إِلَى مَا هُوَ مُسْتَحْسَنٌ
مِنْ جِنْسِ تِلْكَ الشَّهْوَةِ وَتَتَّقَى عَلَى ارْتِضَائِهِ وَيَقْتَصِرُ عَلَيْهِ. فَإِنْ لَمْ
تُنْكَسِرْ شَهْوَاتُهُ يُعَلِّلْهَا وَيَعِدَّهَا فَإِنْ سَكَنْتِ اتَّصَرَ وَالْأَعَادُ الْفِعْلُ
مِنْ الْوَجْهِ الْمُسْتَحْسَنِ. بَلَّغَهُ إِذَا قَلَّ ذَلِكَ وَكَرَّرَهُ كَفَّتِ النَّفْسُ وَإِذَا
اسْتَمَرَّ عَلَى هَذَا الْحَالِ أَلْقَتْ هَذِهِ الْعَادَةَ وَتَأَنَّتْ بِهَا وَاسْتَوْحِشَتْ
بِمَا سِوَاهَا. وَيَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ قَعْمَ نَفْسِهِ الشَّهْوَانِيَّةِ أَنْ يَكْثُرَ مِنْ
مُجَالَسَةِ الزُّهَّادِ وَالرُّهْبَانِ وَالنَّسَاكِ وَأَهْلِ الْوَرَعِ وَالْوَاعِظِينَ وَيُلَازِمَ
مُجَالِسَ الْأَرْدَاسِ وَأَهْلَ الْعِلْمِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ وَخَاصَّةً رُؤَسَاءَ الدِّينِ
يُعْظِمُونَ مَنْ كَانَ مَعْرُوفًا بِالْعَقَّةِ وَيَسْتَذَرُونَ مَنْ كَانَ قَاجِرًا مِنْهَا.
فَيُجَالِسُونَهُ وَمُلَازِمَتُهُ لِهَذِهِ الْمُجَالِسِ قُضْرُهُ إِلَى اتِّصَانِهِ وَالتَّعَفُّفِ
وَالْتَّجَمُّلِ لِدَوَقِهِمْ لِئَلَّا يَسْتَذَرُوهُ وَيَحْضُرُوا مِنْهُ وَيَلْحَقَ بِرُبُوبِهِ مَنْ
يُعْظَمُ فِي الْحَافِلِ وَالْمُجَالِسِ. وَيَنْبَغِي لَهُ أَيْضًا أَنْ يُدِيمَ النَّظَرَ فِي
كُتُبِ الْأَخْلَاقِ وَالنِّيَاسَةِ وَأَخْبَارِ الزُّهَّادِ وَالرُّهْبَانِ وَالنَّسَاكِ وَأَهْلِ
الْوَرَعِ وَيَتَجَنَّبَ مُجَالِسَ الْخُلَمَاءِ وَالسُّفَهَاءِ وَالنَّهْجِيِّينَ وَمَنْ يَكْثُرُ
الْمَزَلُ وَاللِّبُّ وَحِينَئِذٍ يَلْحَقُ بِرَبِّهِ وَيُعْظَمُ فِي الْحَافِلِ. وَكَثُرُ مَا

يَحِبُّ لَهُ أَنْ يَحْتَبِ السُّكْرَ فَلَهُ مَا يُشِيرُ نَفْسُهُ الشَّهْوَانِيَّةُ وَيُقَوِّمُهَا
وَيَحْمِلُهَا عَلَى التَّهْتِكِ وَأَرْكَابِ الْقَوَاجِشِ وَالْجَاهَرَةِ بِهَا... وَيَنْبَغِي لَنْ
أَرَادَ قَمَعَ نَفْسِهِ الشَّهْوَانِيَّةُ أَنْ يُقِلَّ مِنْ أَسْتِمَاعِ الْمَاءِ وَخَاصَّةً مِنْ
الْإِسَاءِ الْمُتَضَعَاتِ وَالشَّبَابِ الظُّرْفَاءِ فَلَنْ لِسَمَاعِ قُوَّةٍ عَظِيمَةٍ فِي إِثَارَةِ
الشَّهْوَةِ... أَمَّا الطَّعَامُ فَيَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ غَايَتَهُ هُوَ الشَّبْعُ إِذْ فَعَلَ أَلَمْ
الْجُوعِ. وَفَإِخْرُ الطَّعَامِ وَدَفِئُهُ جَمِيعُهُمَا مُشْعَانِ قَلِيلٌ لِلْبَالِقَةِ فِي
تَجْوِيدِ الطَّعَامِ الْكَثِيرِ حَظٌّ وَلَا فَايْدَةُ. وَالْأَوَّلَى هُوَ التَّوَسُّطُ فِي
أَنْوَاعِ الْمَأْكَلِ وَأَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْجَنَسِ الَّذِي نَشَأَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ
وَأَعْتَادَهُ وَالْفَقْرُ... وَطَرِيقُ التَّدْرِجِ إِلَى الْإِقْتِصَارِ فِي الطَّعَامِ هُوَ أَنْ
يُبَادِرَ ذُو الشَّهْوَةِ إِلَى أَيْ شَيْءٍ وَجَدَهُ مِنَ الْمَأْكَلِ فَإِنْ كَانَ
الْمُشْتَعَى الَّذِي تَأَتَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ خُلُوقًا أَلَا أَيْ حَلَاوَةً وَجَدَهَا
وَأِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَأَلَا مَا يَشْتَهِيهِ بَيْنَ الطَّعَامِ فَإِنَّهُ إِذَا تَنَاوَلَ
الْإِنْسَانُ مِنْ ذَلِكَ تَكَرَّرًا وَشَبَعَ مِنْهُ سَكَنَتْ شَهْوَتُهُ وَكَفَّتْ
نَفْسُهُ بَعْدَ ذَلِكَ

وَيَنْبَغِي لَنْ أَحَبَّ الْعَقَّةُ أَنْ يَكُونَ أَبَدًا مُتَقِظًا ذَاكِرًا لِمَا يَلْحَقُ
الْقَاجِرَ وَالْهَيْمَ وَالشَّرَّ وَالْمُتَهْتِكَ مِنَ الْقَبَاحَةِ وَالْعَارِ فِي الدُّنْيَا جَاعِلًا
ذَلِكَ دَيْدَنَهُ وَشِعَارَهُ وَمَدَاوِمًا عَلَى ذِكْرِهِ. فَإِنَّ نَفْسَهُ حِينَئِذٍ تُبْغِضُ
الشَّهْوَاتِ الرَّدِيئَةَ وَتَشْتَاقُ إِلَى التَّعَفُّفِ وَالْقَنَاعَةِ وَطَرَبُ عِنْدَ الْمُدُولِ
عَنِ الْقَوَاجِشِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَتَرْتَاحُ لِمَا يُنْشَرُ عَنْهَا وَمَا يُلْقَمُهَا عَنْ
النَّاسِ مِنْ أَشْيَاءِ الْجَوَلِ عَلَى صَاحِبِهَا. فَهَذَا هُوَ طَرِيقُ رِيَاضَةِ النَّفْسِ

إِلَى قَهْرِ الْقُوَّةِ الشَّهَوَانَةِ وَتَذْلِيلِهَا وَقَبْضِهَا أَعْنِي طَرِيقَ الْإِزْتِيَاذِ
بِالْعَادَاتِ الْحَمُودَةِ الْمَرْضِيَّةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ الدَّيْنِيَّةِ
فَأَمَّا النَّفْسُ الْقَضِيَّةُ فَإِنَّ طَرِيقَ قَبْضِهَا وَتَذْلِيلِهَا هُوَ أَنْ يَصْرِفَ
الْإِنْسَانُ هِمَّتَهُ إِلَى تَفَقُّدِ السُّقْمَاءِ الَّذِينَ يُسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْغَضَبُ فِي
أَوْقَاتِ طَيْشِهِمْ وَحِدْيَتِهِمْ وَيُلَاحِظُ تَسْفُهُمْ عَلَى أَخْصَابِهِمْ وَعُقُوبَتِهِمْ
لِحَدِيثِهِمْ وَعَيْبِهِمْ فَإِنَّهُ يُشَاهِدُ إِذَا ذَلِكَ مَنْظَرًا شَنِيعًا يَأْتِي مِنْهُ
الْخَاصُّ وَالْعَامُّ وَأَنْ يَتَذَكَّرَ فِي أَوْقَاتِ غَضَبِهِ وَعِنْدَ جَنَائَاتِ خَدَمِهِ
وَعَيْبِهِ وَرُثُوبِ إِخْوَانِهِ وَأَوْدَانِهِ فِي جَمِيعِ مُحَاورَاتِهِ وَمُعَامَلَاتِهِ مَا
شَهِدَهُ مِنْ أَوْلِيكَ. فَإِنَّهُ إِذَا تَفَكَّرَ فِيمَا كَانَ اسْتَحَقَّهُ مِنْهُمْ
فَتَكْسِيرَ بِذَلِكَ سَوْدَةَ غَضَبِهِ وَيُخْجِمُ عَمَّا هُمْ بِالْإِقْدَامِ عَلَيْهِ مِنْ
السَّبِّ وَالْوُثُوبِ فَإِنَّ لَمْ يَكْفِ بِالْكُلِّيَّةِ قَصْرٌ وَلَمْ يَتَبَّهِ إِلَى غَايَةِ
النَّفْسِ

وَيَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقَهِّرَ نَفْسَهُ الْقَضِيَّةَ أَنْ يَتَذَكَّرَ فِي
أَوْقَاتِ غَضَبِهِ عَلَى مَنْ يُؤْذِيهِ أَوْ يَجْحَنِّي عَلَيْهِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ هُوَ الْجَانِي
مَا الَّذِي كَانَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعَاقَلَ بِهِ عَلَى جَنَائِهِ فَإِنَّ هَذَا الْفِعْلَ يَسْتَعِدُّ
أَنْ دَرَكَ تِلْكَ الْجَنَائِيَةَ وَذَلِكَ الْأَذَى يَسِيرٌ. جِدًّا فَإِذَا اعْتَقَدَ ذَلِكَ
كَانَتْ مُعَاقَلَتُهُ لِلْجَانِي الْمُؤْذِي بِحَسَبِ اعْتِقَادِهِ خَفِيفَةً وَجَيِّدَةً لَا
يُسْرِفُ فِي الْإِتِّقَامِ وَلَا يَفْخَشُ فِي التَّعْضِيقِ فَفَلِ ذَلِكَ دَائِمًا
وَجَهْدٌ دَائِمًا وَتَفَقُّدٌ مَعَاقِبِ السُّقْمَاءِ وَمَنْ يُسْرِعُ إِلَيْهِ الْغَضَبُ لَمْ
يُبْعِدْ أَنْ تَتَكَبَّرَ نَفْسُهُ الْقَضِيَّةُ وَتَتَفَادَّ إِلَيْهِ وَإِذَا اسْتَمَرَّ عَلَى هَذَا

الْعَمَلُ مُدَّةً صَارَ لَهُ خُلُقًا وَعَادَةً

وَيَتَّبِعِي لِمَنْ رَغِبَ فِي تَذَلُّلِ قُوَّةِ الْقَضِيَّةِ أَنْ يَتَجَنَّبَ حَمْلَ السِّلَاحِ
فِي مَجَالِسِ الشَّرَابِ وَحُضُورِ مَوَاضِعِ الْقِتْلِ وَمَقَامَاتِ الْحُرُوبِ وَفِي
مَجَالِسَةِ الْأَشْرَارِ وَيَتَجَنَّبَ مَعَاشِرَتَهُمْ وَمُخَالَطَةَ الشَّرِطِ فَإِنَّ هَذِهِ
الْمَوَاضِعَ تُكْسِبُ قِدَازَةَ الْقَلْبِ وَتَغْلُظُهُ وَتُعَدِمُهُ الرِّقَّةَ فَتَشْتَدُّ
إِذْكَ الْقُوَّةُ الْقَضِيَّةُ فَإِذَا أَرَادَ تَذَلُّلَهَا وَتَسْكِينَهَا يَجِبُ أَنْ يَجْعَلَ
مُجَالِسَتَهُ لِأَهْلِ الْوَقَارِ وَالشُّيُوخِ وَالرُّؤَسَاءِ وَلَا قَاضِيٍّ وَمَنْ يَقِلَّ غَضَبُهُ
وَيَكْثُرَ جُلُوسُهُ وَوَقَارُهُ

وَيَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يَتَجَنَّبَ الْسُّكْرَ مِنَ الشَّرَابِ فَإِنَّهُ يُعْجِزُ الْقُوَّةَ
الْقَضِيَّةَ أَكْثَرَ مِمَّا يُعْجِزُ أَقْوَةُ الشَّهَوَانَةِ ...

وَيَتَّبِعِي لِمَنْ أَرَادَ تَذَلُّلَ قُوَّتِهِ الْقَضِيَّةِ وَالشَّهَوَانَةِ مَعَا أَنْ
يَسْتَعِينَ فِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ الْفِكْرَ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ
يُورِي فِيهِ وَيَجْعَلَ الْفِكْرَةَ وَاتِّبَاعَ الرَّأْيِ دَيْدَنَهُ وَعَدَنَهُ فَإِنَّ الرَّأْيَ
وَجُودَةَ الْفِكْرِ يُقْتَضِيَانِ لَهُ نَافَقَةً وَبِزْرَعَةً الْقَضَبِ وَالْإِنْهَادَ فِي
الشَّهَوَاتِ وَاتِّبَاعَ اللَّذَاتِ . فَإِذَا اسْتَشْفَعَ ذَلِكَ أَحْجَمَ عَنْهُ وَعَدَلَ إِلَى
مَا يَقْتَضِيهِ الرَّأْيُ وَالْفِكْرُ وَإِنْ لَمْ يَرْتَمِعْ بِالْكَلِمَةِ لَا بُدَّ أَنْ يُوَرَّرَ
فِيهِ ذَلِكَ فَيَقْتَصِرَ عَمَّا يُرِيدُ السَّرْعَ إِلَيْهِ

وَمِلَاكُ الْأَمْرِ فِي تَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ وَضَبْطِ الْقُوَّةِ الشَّهَوَانَةِ
وَالْقُوَّةِ الْقَضِيَّةِ هِيَ الْقُوَّةُ النَّاجِثَةُ فَإِنَّ هَذِهِ الْقُوَّةَ تَكُونُ جَمِيعُ
النِّسْيَانَاتِ فَإِذَا كَانَتْ قُوَّةً مُتَمَكِّكَةً مِنْ صَاحِبِهَا أَمَكْنَهُ أَنْ

يُسَوِّسَ بِهَا قُوَّتَيْهِ الْبَاقِيَتَيْنِ وَيَكُفَّ نَفْسَهُ عَنْ جَمِيعِ الْقَبَاحِ وَيَبِيعَ
أَبَدًا تَحَايِنَ الْأَخْلَاقِ وَإِذَا لَمْ تَكُنْ قُوَّةً فِي صَاحِبِهَا كَانَتْ
مَضْرُوبَةً خَافِيَةً

قَالَ مَا يَتَّبِعِي أَنْ يَتَّبِعِدُهُ فِي سِيَاسَةِ أَخْلَاقِهِ هُوَ أَنْ يُرَوِّضَ هَذِهِ
الْقُوَّةَ. وَتَرْوِيضُهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ فَإِنَّهُ إِذَا نَظَرَ فِي هَذِهِ
الْعُلُومِ وَدَقَّقَ النَّظَرَ فِيهَا وَدَرَسَ كُتُبَ الْأَخْلَاقِ وَالسِّيَاسَةِ وَدَاوَمَ عَلَيْهَا
تَبَيَّنَتْ نَفْسُهُ وَتَنَبَّهَتْ مِنْ شَهَوَاتِهَا وَأَتَمَّعَتْ مِنْ ثَمَمِهَا وَاحْتَسَتْ
بِفَضَائِلِهَا وَارْتَفَتْ مِنْ رَذَائِلِهَا لِأَنَّ هَذِهِ الْقُوَّةَ إِنَّمَا تَضَعُفُ وَتَخْفُفُ
إِذَا عَدِمَتْ الْقَضَائِلَ وَالْمَنَاقِبَ وَاسْتَوَلَتْ عَلَيْهَا الرَّذَائِلُ. أَمَّا إِذَا
اِقْتَنَتِ الْقَضَائِلَ وَاسْتَلَسَبَتِ الْأَدَابَ تَبَيَّنَتْ مِنْ غَشِيَّتِهَا وَكَارَتْ
بِزُكْرَاهَا وَقَوِيَتْ بَعْدَ ضَعْفِهَا. وَفَضَائِلُ هَذِهِ الْقُوَّةِ هِيَ الْعُلُومُ
الْعَقْلِيَّةُ وَخَاصَّةً مَا دَقَّ مِنْهَا قَلَاذِ أَرْكَاضِ الْإِنْسَانِ بِهَا شَرَفَتْ نَفْسُهُ
وَعَظُمَتْ هِمَّتُهُ وَقَوِيَ فِكْرُهُ وَتَمَكَّنَ مِنْ نَفْسِهِ وَمَلَكَ أَخْلَاقَهُ
وَقَدَّرَ عَلَى إِصْلَاحِهَا وَأَنْقَذَ لَهُ طَبْعَهُ وَسَهَّلَ عَلَيْهِ تَهْدِيئَهُ وَأَذْنَعَتْ لَهُ
الْقُوَّةُ النَّصِيئَةُ وَالشَّهَوَانِيَّةُ وَهَانَ عَلَيْهِ ثَقَمُهَا وَتَهَذَّبَتْ بِهَا

وَأَوَّلُ مَا يَتَّبِعِي أَنْ يَتَّبِعِدَ بِهِ مَنْ يُحِبُّ سِيَاسَةَ أَخْلَاقِهِ هُوَ أَنْ تَنْظُرَ
فِي كُتُبِ الْأَخْلَاقِ وَالسِّيَاسَاتِ ثُمَّ الْأَرْيَاضُ بِالْعُلُومِ الْحَقَائِقِ فَإِنَّ
أَشْرَفَ مَا يَكُونُ لِلنَّفْسِ إِذَا رَاسَّهَا حَقَائِقُ الْأُمُورِ وَأَطْلَاعُهَا عَلَى
هَيْئَاتِ الْمَوْجُودَاتِ فَتَشْرَفُ نَفْسُ الْإِنْسَانِ وَعَلَتْ هِمَّتُهُ رَفِيَ إِلَى
مَرَاتِبِ الْفَضْلِ

وَمَا يُضِلُّهُ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ وَيُعَوِّزُهَا أَيْضًا بِمَجَالَسَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ
وَبِمُخَالَطَتِهِمْ وَالْإِقْتِدَاءِ بِأَخْلَاقِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَخَاصَّةً أَصْحَابَ عُلُومِ
الْحَقَائِقِ وَالْمُتَقَيِّطُونَ مِنْهُمْ الْمُسْتَعْمِلُونَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ مَا تَقْتَضِيهِ
عُلُومُهُمْ وَتَوْجِيهَ عُقُولُهُمْ

أَمَّا تَمْيِيزُ عَادَاتِ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ وَأَسْتِعْمَالُ مَا حَسُنَ فِيهَا وَأَطْرَاحُ
مَا قَبِحَ فَإِنَّمَا يُمَكِّنُ وَيَسْهَلُ إِذَا رَاضَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ النَّاطِقَةَ فَلَمَّا
إِذَا ارْتَضَتْ بِالْعُلُومِ الْحَقِيقِيَّةِ وَتَقَطَّطَتْ وَتَشَرَّفَتْ أَيْفَتْ مِنْ
الْعَادَاتِ الْمُسْتَفْجَةِ وَتَذَرَتْ عَنِ التَّدْنِيسِ بِهَا فَيَهْوُ حِينَئِذٍ عَلَى
الْإِنْسَانِ مَحَبُّ مَا يُسْتَكْرَهُ مِنَ الْعَادَاتِ وَيَغْلِبُ عَلَيْهِ اسْتِحْسَانُ
الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ الْجَلِيلَةِ وَالْخَلْقِ بِهَا

فَقَدْ بَيَّنَّ مِنْ جَمِيعِ مَا ذَكَرْتَاهُ أَنَّ طَرِيقَ الْإِرْتِيَاضِ بِالْأَخْلَاقِ
الْمَحْمُودَةِ وَالْتَّصُّعِ لِأَعْيَادِهَا وَاتِّبَاعِ التَّحْمُودِ الْمَرْضِيِّ مِنْهَا وَتَرْكِ
الْمَذْمُومِ الْمُسْتَفْجِ وَتَذَلُّلِ قُوَّةِ الشَّهْوَةِ الْعُضْويَّةِ وَضَبْطِهَا وَقَهْرُهَا هُوَ
إِصْلَاحُ الْقُوَّةِ النَّاطِقَةِ وَتَقْوِيَتُهَا وَتَحْلِيلُهَا بِالْقَضَائِلِ وَالْأَدَابِ
وَالْحَمَاسِ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ آلَةُ السِّيَاسَةِ وَمَرْكَبُ الرِّيَاضَةِ

وَمَنْ يَتَسَكَّنُ مِنْ أَكْثَابِ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْإِمْعَانِ فِيهَا
وَتَعَدَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ فَلْيَسْذِلْ جُهْدَهُ فِي تَذَقُّقِ الْفِكْرَةِ وَمُجَاهَدَةِ
النَّفْسِ وَيُصَوِّرِ الْفَرْقَ مَا بَيْنَ عَادَتِهِ الْقَبِيحَةِ وَالْجَلِيلَةِ وَيَنْظُرْ إِلَيْهَا
أَجْدَى عَلَيْهِ وَانْفَعُ وَإِلَيْهَا أَجْدَرُ عَاقِبَةً وَأَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ فَإِنَّهُ
إِذَا صَدَقَ مَا تَأَكَّدَهُ نَفْسُهُ وَجَدَ أَنَّ شَهْوَاتِهِ وَلَذَائِعَ إِغْمَاقِهِ مُدَّةُ

وَقَدْ اسْتَعْمَلَهَا قَطُّ أَمَّا بَعْدَ مُفَارَقَتِهَا فَلَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ عَلَيْهِ وَلَا نَافِعَةٍ
لَهُ وَتَجِدُ عَارَهَا وَشِدَّتِهَا بَاقِيًا إِلَى الدَّهْرِ مُتَدَاوِلًا بَيْنَ النَّاسِ يُعَابُ
بِهِ وَيُذَرَّى عَلَيْهِ. وَكَذَلِكَ فِي شِدَّةِ الْغَضَبِ وَالْإِسْرَاعِ إِلَى الْإِنْتِقَامِ
وَالسَّبِّ وَالْفُحْشِ قَتَى أَخْلَتْ عَمْرُوتُهُ وَسَكَنتْ ثَوْرَتُهُ تَأْمَلَ أَمْرَهُ
فَرَأَى أَنَّ مَا فَعَلَهُ كَانَ قَبِيحًا وَلَمْ يَجِدْهُ مُجْدِيًا وَلَا مُفِيدًا وَقَدْ صَارَ
مَا فَعَلَهُ وَقْتَ الْغَضَبِ نَقِصَةً يُوسَمُ بِهَا وَمَعِيرَةً يُسَبُّ عَلَيْهَا وَرَبَّمَا
أَرْتَكَبَ حَالَ الْغَضَبِ جَنَائِتَ كَثِيرَةً يُعَاقَبُ عَلَيْهَا وَيُرَدَّبُ مِنْ
أَجْلِهَا. كَذَلِكَ أَلْعَادَاتُ الْمَكْرُوْمَةِ فِي النَّفْسِ الْتَاطَلَةُ هِيَ أَيْضًا غَيْرُ
نَافِعَةٍ وَلَا مُجْدِيَةٍ لِلْإِنْسَانِ نَفْعًا كَالْحَسَدِ مَثَلًا وَالْحَيْدِ وَالْحُبِّ
وَأَمْثَالِ هَذِهِ إِذْ لَا يَنْتَفِعُ بِهَا صَاحِبُهَا وَإِنْ أَسْتَفْعَ كَانَ شَرًّا مُنْفَعَةً
وَمَعَ ذَلِكَ فَهِيَ مُضِرَّةٌ لَهُ لِأَنَّ مَنْ تَشَرَّرَ قَصْدُهُ النَّاسُ بِالشَّرِّ
وَأَسْتَعْدُوا لِأَذْيَتِهِ وَتَعَدُّوا لِلْإِضْرَارِ بِهِ وَتَوَقَّوْهُ وَأَخَذُوا مِنْهُ
وَكَرِهُوا نَفْعَهُ وَقَصَرُوا عَلَيْهِ وَجُوهَ الْخَيْرِ.. فَإِذَا حَاسَبَ الْإِنْسَانُ
نَفْسَهُ وَاجَادَ فِكْرَتَهُ وَتَمَيَّزَهُ عِلْمٌ أَنَّ الضَّرَرَ فِي مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ
أَكْثَرُ مِنَ النَّفْعِ بِهَا وَأَنَّ الَّذِي يَعُدُّ فِيهَا نَفْعًا فَلَيْسَ هُوَ يَنْتَفِعُ عَلَى
الْحَقِيقَةِ وَإِذَا كَانَ نَفْعًا فَهُوَ يَسِيرٌ جَدًّا وَغَيْرُ بَاقٍ وَلَا مُسْتَمِرٌّ وَإِنَّ
هَذَا السَّيْرَ الَّذِي يَعُدُّ نَفْعًا لَا يَنْبَغِي بِالضَّرْرِ الْكَثِيرِ وَالْعَارِ الدَّائِمِ
الْمُتَّصِلِ...

وَيَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ سِيَاسَةَ أَخْلَاقِهِ أَنْ يَحْمَلَ غُرَضَهُ مِنْ كُلِّ
فَضِيلَةٍ غَايَتَهَا وَنَهَايَتَهَا وَلَا يَقْتَعِ مِنْهَا بِأَدُونِ الْعَالِيَةِ وَلَا يَرْضَى إِلَّا

بِأَعْلَى دَرَجَةٍ فَإِنَّهُ إِذَا جَعَلَ ذَلِكَ غَرَضَهُ كَانَ حَرِيًّا أَنْ يَتَوَسَّطَ فِي
الْقَضَائِلِ وَيَبْلُغَ فِيهَا رُتَبَةً مُرْضِيَةً إِنْ مَاتَتْهُ الدَّرَجَةُ الْعُلْيَا وَأَمَّا إِنْ
قَنَعَ بِالتَّوَسُّطِ يَا مَنْ أَنْ يَقْصَرَ عَنْ بُلُوغِهِ فَيَبْقَى فِي أَدْنَى الْمَرَاتِبِ
وَيَقْوُهُ الْإِطْلُوبُ وَلَا يَطْمَعُ أَبَدًا فِي النَّجَامِ.

فَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ هُوَ طَرِيقُ الْإِرْتِيَاضِ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَنْعِ
التَّدْرُجِ فِي مَخْمُودِهَا وَكَيْفِيَّةِ تَهْذِيبِهَا فَإِذَا أَخَذَ الْإِنْسَانُ بِتَدْرِيبِ
نَفْسِهِ بِهِ وَآكَلَتْ مِنْ مُرَاعَاتِهِ وَتَعَهُّدِهِ صَارَتْ لَهُ الْقَضَائِلُ ذِيْدًا
وَالْحَاسِنُ خُلُقًا وَطَبْعًا

هَذَا وَقَدْ بَقِيَ عَلَيْنَا أَنْ نَذْكُرَ أَوْصَافَ الْإِنْسَانِ أَتَامَ
الْجَامِعِ لِلْحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ... فَقُولُ إِنْ الْإِنْسَانُ أَتَامَ هُوَ الَّذِي
لَمْ تَقْنَعْهُ فَضِيلَةٌ مِنْ الْقَضَائِلِ وَلَمْ تَشْغَلْهُ رَذِيلَةٌ مِنَ الرَّذَائِلِ وَهَذَا
الْحَدُّ قَلَمًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ إِنْسَانٌ وَإِذَا انْتَهَى إِلَيْهِ اقْتِرَاضًا كَانَ
أَشْبَهَ مِنْهُ بِالنَّاسِ. وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَضْرُوبٌ بِأَنْوَاعِ النُّقْصِ
مُسْتَوِلٌ عَلَى طَبْعِ ضُرُوبِ الشَّرِّ وَبِنَاءٍ عَلَى ذَلِكَ قَلَمًا يَخْلُصُ مِنْ
جَمِيعِهَا حَتَّى تَسْلَمَ نَفْسُهُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَمَنْقَصَةٍ وَتُحِيطَ بِهِ كُلُّ
فَضِيلَةٍ وَمَنْقَبَةٍ حَسَنَةٍ فَالنَّجَامُ وَإِنْ كَانَ عَزِيزًا بَعِيدَ التَّنَازُلِ إِلَّا أَنَّهُ
تُمْكِنُ وَهُوَ غَايَةُ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ فَإِذَا صَدَقَتْ عَزِيمَتُهُ
وَأَعْطِيَ الْأَجْتِهَادَ حَقَّهُ كَانَ تُمْكِينًا لَهُ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْقَابَةِ
الْمَقْصُودَةِ الْمُنْتَهَى هُوَ لَهَا يَلُكُ إِلَيْهَا تَسُوْ نَفْسُهُ إِلَيْهَا

أَمَّا تَفْصِيلُ ذَلِكَ هُوَ أَنْ يَكُونَ مُتَقَدِّمًا لِجَمِيعِ أَخْلَاقِهِ مُسَيِّطًا

لِسَائِرِ مَعَايِهِ مُتَحَرِّزًا مِنْ دُخُولِ نَقْصٍ عَلَيْهِ مُسْتَعِلاً لِكُلِّ فَضِيحَةٍ
مُجْتَهِدًا فِي بُلُوغِ الْغَايَةِ عَاشِقًا لِصُورَةِ الْكَمَالِ مُسْتَلِذًا بِمَحَاسِنِ
الْأَخْلَاقِ مُشِيقًا لِدُؤُومِ الْعَادَاتِ مُعْتَنِيًا بِتَهْذِيبِ نَفْسِهِ غَيْرَ
مُسْتَكْبِرٍ لِمَا يَمْتَنِيهِ مِنَ الْقَضَائِلِ مُسْتَغْطًا لِلْيَسِيرِ مِنَ الرَّدَائِلِ
مُسْتَضْفِرًا لِلرُّتْبَةِ الْعُلْيَا مُسْتَخِيرًا لِلْغَايَةِ الْقُصْوَى يَرَى اَلْأَمَامَ دُونَ مَحَلِّهِ
وَالْكَمَالَ أَقْلًا أَوْصَافِهِ . .

فَمَا أَوَّلَى مَنْ ظَلَرَ فِي هَذِهِ الْأَقْوَالِ وَتَضَعَّحَهَا وَفَهِمَ مَضْمُونَهَا
وَتَدَبَّرَهَا وَآخَذَ نَفْسَهُ بِاسْتِعْمَالِ مَا تَبَيَّنَ فِي فُصُولِهِ وَسَاقَ أَخْلَاقَهُ
عَلَى التَّطَرُّقِ إِلَى مَا فُتِنَ فِي أَبْوَابِهِ وَاجْتَهَدَ كُلَّ الْاجْتِهَادِ فِي تَكْمِيلِ
نَفْسِهِ وَأَسْتَفْرَغَ غَايَةَ الْوُسْعِ فِي طَلَبِ اَلْأَمَامِ . وَمَا أَقْبَحَ اَلنَّقْصَ
بِالْقَدْرِ عَلَى اَلْأَمَامِ وَالْحِجْزَ عَنِ اَلْمُقَدِّيرِ



الفصل السادس

في تنسيق الخطابة وبيان القضية والقياس

البحث الأول

في مبادئ الخطابة والافتتاحات

من كتاب الصناعتين لابن ملال السكري بتصرف

(راجع صفحة ٧٧ من علم الخطابة)

قَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : أَمَّا زِيَرَةُ الْكُتَّابِ أَحْسِنُوا إِلَّا بَيِّنَاتٍ
فَإِنَّهُمْ دَلَالٌ أَلْيَانٌ . وَذَلِكَ أَنْ يَجْعَلَ الْخَطِيبُ فَاتِحَةً كَلَامِهِ وَأَوَّلَهُ
دَلِيلًا عَلَى الْقَصْدِ الَّذِي دَعَاهُ لِإِلْقَائِهِ فَيَنْظُرُ إِلَى الْقَرَضِ الْمَطْلُوبِ
فَيَجْعَلُ التَّحْمِيدَ أَوْ الدُّعَاءَ أَوْ التَّضْيِينَ مُشْعِرًا بِذَلِكَ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْلَى
مَرَاتِبِ الْبَلَاغَةِ وَإِنَّمَا خُصَّتِ إِلَّا بَيِّنَاتٍ بِالْإِخْتِيَارِ لِأَنَّهَا أَوَّلُ مَا
يَطْرُقُ السَّمْعَ مِنَ الْكَلَامِ فَإِذَا كَانَ إِلَّا بَيِّنَاتٍ مُؤْنِقًا بَدِيعًا رَشِيقًا
لَانْتِقًا بِالْمَعْنَى أَلْوَارِدِ بَعْدَهُ تَوَقُّرَاتِ الدَّوَاعِي لِاسْتِيعَابِ مَا يَحْيِي بَعْدَهُ
فَيَقْرَعُ أَسْمَاعَهُمْ شَيْئًا بَدِيعًا لَيْسَ لَهُمْ عِشْلُهُ عَهْدٌ فَيَرْغَبُونَ أَنْ
يَسْتَمِعُوا مَا بَعْدَهُ لِقَهْمِهِ . وَلِذَا جَعَلَ الْكُتَّابُ وَأَلْوَاعِظُونَ أَكْثَرَ
إِلَّا بَيِّنَاتٍ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ لِأَنَّ النَّفْسَ تَتَشَوَّقُ لِلشَّاءِ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ دَائِعَةٌ

إِلَى الْأَسْتِمَاعِ . وَقَدْ قِيلَ : كُلُّ كَلَامٍ لَا يُتَدَأُّ فِيهِ بِالْحَمْدَةِ فَهُوَ
 آتٍ . وَحَقِيقَةُ هَذَا الْبَابِ أَنْ يُجْعَلَ مَطْلَعُ الْكَلَامِ مِنْ الْخُطْبِ أَوْ
 الرِّسَالَةِ أَوْ الشِّعْرِ دَالًّا عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ . إِنْ
 قِيلَ قَسَمًا وَإِنْ كَانَ هُنَا هُنَا . أَوْ كَانَ عَزَاءً قُرْآنًا . وَكَذَلِكَ يَجْرِي
 الْحُكْمُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَارِي . وَقَائِدُهُ أَنْ يُعْرَفَ مِنَ الْكَلَامِ
 مَا الْمُرَادُ بِهِ وَيُسْتَفْهَمُ أَلْتَّكَلِيمُ أَبْوَابِ الْأَسْمَاعِ . وَيُسْتَحْضَرُ الْأَذْهَانُ
 لِلْأَسْتِمَاعِ . وَهَذَا الشُّعْبُ عَظِيمُ النِّفَعِ لِمَنْ حَقَّقَهُ وَلَا يُنْفَعُ بَابُهُ إِلَّا
 لِمَنْ طَرَفَهُ وَقَدْ يُسَمَّى أَيْضًا هَذَا النَّوعُ بِرِاعَةِ الْأَسْتِهْلَالِ وَسَيَأْتِي
 عَنْهُ الْكَلَامُ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْجُمُوعِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَنِ
 الشِّعْرِ

المبحث الثاني

في القضية والقياس

(من كتاب شرح مطالع السمود وكميات الى البقاء والشفاء لابن سينا باختصار)

(راجع صفحة ٩٧ من الجزء الثاني من علم الادب)

الْقَضِيَّةُ قَوْلٌ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِقَائِهِ إِنَّهُ صَادِقٌ فِيهِ أَوْ كَاذِبٌ وَهِيَ
 جُمُوعُ الْمَعْلُومَاتِ الْأَرْبَعَةِ وَهِيَ الْحَكْمُ عَلَيْهِ وَالْحَكْمُ بِهِ وَالنِّسْبَةُ
 الْحَكْمِيَّةُ وَالْحُكْمُ وَادْرَاكَ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ تَصْدِيقٌ . وَالْقَضِيَّةُ أَمَّا حَلِيَّةٌ
 وَأَمَّا شَرْطِيَّةٌ . قَالُوا : إِنْ كَانَ الْحَكْمُ عَلَيْهِ وَالْحَكْمُ بِهِ قَضِيَّتَيْنِ
 عِنْدَ التَّحْلِيلِ أَيْ عِنْدَ حَذْفِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْعِلَاقَةِ بَيْنَهُمَا مِنَ النِّسْبَةِ

الْحَكْمِيَّةُ سُمِّيَتْ شَرْطِيَّةً وَالْأُسْمِيَّةُ حَكْمِيَّةً . قَانَ قَوْلًا مَثَلًا : (زَيْدٌ
 نَهَمٌ) . قَضِيَّةٌ حَكْمِيَّةٌ . لِأَنَّ طَرَفَيْهَا مُفْرَدَانِ عِنْدَ التَّحْلِيلِ وَيُسَمَّى الطَّرْفُ
 الْأَوَّلُ مِنَ الْقَضِيَّةِ الْحَكْمِيَّةِ وَهُوَ الْمُحْبَرُ عَنْهُ مَوْضُوعًا وَالْآخِرُ مَحْمُولًا .
 وَقَوْلُنَا : (إِنْ كَانَتْ الشَّمْسُ طَالِمَةً فَالْهَارُ مَوْجُودٌ) قَضِيَّةٌ شَرْطِيَّةٌ .
 لِأَنَّهُ إِذَا حَدَفْنَا (إِنْ وَالْقَاءَ) الْمُوجِبَيْنِ لِلرَّبْطِ بَقِيَ : (الشَّمْسُ
 طَالِمَةٌ) (وَالْهَارُ مَوْجُودٌ) وَهُمَا قَضِيَّتَانِ . وَالْقَضِيَّةُ الْحَكْمِيَّةُ إِمَّا شَخْصِيَّةٌ
 وَهِيَ الَّتِي يَكُونُ الْحُكْمُ عَلَيْهِ فِيهَا جُزْئِيًّا مُعَيَّنًا كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ
 كَاتِبٌ . وَإِمَّا كُلِّيَّةٌ وَهِيَ الَّتِي يَكُونُ الْحُكْمُ عَلَيْهِ فِيهَا كُلِّيًّا يَشْمُلُ
 جَمِيعَ أَفْرَادِ الْمَوْضُوعِ . وَكَكُونِ كِلَاهُمَا إِمَّا مُوجِبَةً وَإِمَّا
 سَالِبَةً . وَإِنَّمَا يُحْكَمُ فِي الْقَضِيَّةِ الشَّرْطِيَّةِ عَلَى التَّعْلِيلِ وَهُوَ وُجُودُ
 أَحَدَى قَضِيَّتَيْهَا مُطْلَقٌ عَلَى وُجُودِ الْآخَرَى أَوْ عَلَى نَفْيِهَا وَهِيَ قِسْمَانِ
 مُتَّصِلَةٌ وَهِيَ الَّتِي يُحْكَمُ فِيهَا بِإِزْمٍ قَضِيَّةٌ أُخْرَى أَوْ لَا لِزُومِهَا
 وَهِيَ الَّتِي تُوجِبُ التَّلَازُمَ بَيْنَ جُزْئَيْهَا نَحْوُ : لَوْ كَانَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا . وَمُنْفَصِلَةٌ وَهِيَ الَّتِي يُحْكَمُ فِيهَا بِامْتِنَاعِ
 اجْتِمَاعِ قَضِيَّتَيْنِ فَكَثَرَتْ فِي الصِّدْقِ وَهِيَ الَّتِي جُزْءَاهَا مُتَعَادِلَانِ نَحْوُ :
 الْعَالَمُ إِمَّا قَدِيمٌ أَوْ حَادِثٌ . وَيُسَمَّى الطَّرْفُ الْأَوَّلُ مِنَ الْقَضِيَّةِ
 الشَّرْطِيَّةِ مُقَدِّمًا وَالْآخِرُ تَالِيًا . وَلَا بُدَّ مِنْ رَابِطٍ بَيْنَ الْمَوْضُوعِ
 وَالْمَحْمُولِ

وَالْقَضِيَّةُ أَقْسَامٌ غَيْرُ هَذِهِ مِنْهَا (الْقَضِيَّةُ الْبَسِيطَةُ) وَهِيَ الَّتِي
 حَقِيقَتُهَا أَوْ مَعْنَاهَا إِمَّا إِجْبَابٌ فَقَطْ نَحْوُ : كُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ بِالضَّرُورَةِ .

وَأَمَّا سَلْبُ قَطْعِ نَحْوٍ: لَا شَيْءَ مِنَ الْإِنْسَانِ يَجْرِي بِالصَّرُورَةِ. وَمِنْهَا
 (الْقَضِيَّةُ الْمُرَكَّبَةُ) وَهِيَ الَّتِي حَقِيقَتُهَا مُتَنَبِّهَةٌ مِنْ إِجْبَابٍ وَسَلْبٍ
 مَعًا نَحْوُ: كُلُّ إِنْسَانٍ ضَاحِكٌ لَا دَائِمًا. وَمِنْهَا (الْقَضِيَّةُ النَّظَرِيَّةُ)
 وَهِيَ الَّتِي يُسْأَلُ عَنْهَا وَيُطْلَبُ بِالْأَدْلِيلِ اثْبَاتُهَا فِي الْعِلْمِ. فَهِيَ مِنْ
 حَيْثُ أَنَّهَا يُسْأَلُ عَنْهَا تُسَمَّى مَسْأَلَةً. وَمِنْ حَيْثُ يُطْلَبُ حُصُولُهَا
 مَطْلَبًا. وَمِنْ حَيْثُ تُسْتَخْرَجُ مِنَ الْآرَائِينَ نَتِيجَةٌ. وَمِنْ حَيْثُ يُبْتَنَى
 عَلَيْهَا الشَّيْءُ أَصُولًا. وَمِنْ حَيْثُ أَنَّهَا مُنْطَبِقَةٌ عَلَى جُزْئِيَّاتٍ مَوْضُوعَةٍ
 تَتَعَرَّفُ أَحْكَامُهَا مِنْهَا قَاعِدَةٌ. وَمِنْ حَيْثُ يَتَأَلَّفُ مِنْهَا الْحُجَّةُ مُعَدَّمَةٌ
 وَقَضِيَّةٌ. وَمِنْ حَيْثُ تُحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ خَبْرًا

المبحث الثالث

في القياس وأقسامه وأنواعه

(من كتاب النجاة لابن سينا والكلبيات لابي البنا)

(راجع صفحة ٩٧ من علم الخطابة)

وَأَمَّا الْقِيَاسُ فَهُوَ قَوْلُ مُؤَلَّفٍ مِنْ قَضَايَا إِذَا وُضِعَتْ لَزِمَ عَنْهَا
 بِذَاتِهَا لَا بِالْعَرَضِ قَوْلُ آخَرٍ اضْطِرَّادًا كَقَوْلِنَا: الْعَالَمُ مُتَعَدِّدٌ وَكُلُّ
 مُتَعَدِّدٍ حَادِثٌ فَإِنَّهُ مُؤَلَّفٌ مِنْ قَضِيَّتَيْنِ وَلَزِمَ عَنْهُمَا أَنَّ الْعَالَمَ حَادِثٌ
 وَهُوَ الْقِيَاسُ الْعَقْلِيُّ وَالْمُنْطَلِقِيُّ. وَالْقَوْلُ الْأَخِيرُ يُسَمَّى مَطْلُوبًا قَبْلَ
 إِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ. وَنَتِيجَةٌ بَعْدَ تَرْكِيبِ الْقِيَاسِ لَهُ وَإِقَامَةِ الدَّلِيلِ

عَلَيْهِ وَيُسَمَّى بِالرَّدْفِ أَيْضًا. وَمَوْضُوعُ النَّتِيجَةِ هُوَ الْحَدُّ الْأَصْغَرُ
وَالْحَكْمُ فِيهَا هُوَ الْحَدُّ الْأَكْبَرُ. وَمَا كُتِبَ فِي الْقَضِيَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ
يُسَمَّى حَدًّا أَوْسَطَ. وَيَدْعَوْنَ الْقَضِيَّةَ الثَّلَاثِيَّةَ عَلَى الْحَدِّ الْأَكْبَرِ
مُقَدِّمَةً كُبْرَى وَالثَّلَاثِيَّةَ عَلَى الْحَدِّ الْأَصْغَرِ مُقَدِّمَةً صُغْرَى. وَتَجْمُوعُ
الْمُقَدِّمَةِ الصُّغْرَى بِالْكُبْرَى فِي أَلْيَاسٍ يُعْرَفُ بِالضَّرْبِ. وَنِسْبَةُ
الْحَدِّ الْأَوْسَطِ إِلَى الْأَصْغَرِ وَالْأَكْبَرِ هُوَ الشَّكْلُ. وَأَشْكَالُ
أَلْيَاسٍ أَرْبَعَةٌ لِأَنَّ الْأَوْسَطَ إِنْ كَانَ تَحْمُولًا فِي الصُّغْرَى مَوْضُوعًا
فِي الْكُبْرَى فَهُوَ (الشَّكْلُ الْأَوَّلُ) كَقَوْلِكَ: كُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ
وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ. وَشَرَطُ إِتْيَاجِ هَذَا الشَّكْلِ إِيحَابُ الصُّغْرَى
وَكُلِّيَّةُ الْكُبْرَى وَهُوَ يَخْتَصُّ بِأَنَّهُ يُتَّبَعُ الْمَوْجِبَةُ الْكُلِّيَّةُ. وَبَاقِي
الْأَشْكَالِ لَا يُتَّبَعُ الْمَوْجِبَةُ الْكُلِّيَّةُ بَلْ إِمَّا مُوجِبَةٌ جُزْئِيَّةٌ أَوْ
سَالِيَةٌ. وَإِنْ كَانَ الْحَدُّ الْأَوْسَطُ تَحْمُولًا فِي الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى فَهُوَ
(الشَّكْلُ الثَّانِي) كَقَوْلِكَ: كُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ وَلَا شَيْءٌ مِنْ
الْجَمَادِ بِحَيَوَانٍ فَلَا شَيْءٌ مِنْ الْجَمَادِ بِإِنْسَانٍ. وَكَقَوْلِ الْبَعْضِ: كُلُّ
غَائِبٍ تَجْهَوُلُ الصِّفَةِ وَكُلُّ مَا يَصِحُّ بَيَعُهُ لَيْسَ تَجْهَوُلُ الصِّفَةِ فَالنَّتِيجَةُ
كُلُّ غَائِبٍ لَا يَصِحُّ بَيَعُهُ. وَشَرَطُ إِتْيَاجِ اخْتِلَافِ مُقَدِّمَتَيْهِ فِي
الْإِيحَابِ وَالسَّلْبِ وَكُلِّيَّةُ كُبْرَاهُ وَمِنْ خَوَاصِهِ أَنَّهُ لَا يُتَّبَعُ إِلَّا
سَالِيَةً. وَإِنْ كَانَ الْأَوْسَطُ مَوْضُوعًا فِي الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى فَهُوَ
(الشَّكْلُ الثَّلَاثِي) تَحْوِيلُ كُلِّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ وَكُلُّ إِنْسَانٍ نَاطِقٌ
فَبَعْضُ الْحَيَوَانِ نَاطِقٌ. وَشَرَطُ إِتْيَاجِهِ أَنْ تَكُونَ صُغْرَاهُ مُوجِبَةً

وَأَنْ تَكُونَ إِحْدَى مُقَدِّمَتَيْهِ سُبُكَّةٌ وَمِنْ خَوَاصِهِ أَنْ تَنْجَحَتْ لَا
تَكُونَ إِلَّا جُزْئِيَّةً. وَإِنْ كَانَ الْحَدُّ الْأَوْسَطُ عَكْسَ الْأَوَّلِ بِأَنْ
يَكُونَ مَوْضُوعًا فِي الصُّغْرَى تَعْدُولَا فِي الْكُبْرَى فَهُوَ (الْمُكْمَلُ
الرَّابِعُ) كَقَوْلِكَ: كُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ وَكُلُّ نَاطِقٍ إِنْسَانٌ فَبَعْضُ
الْحَيَوَانِ نَاطِقٌ

وَالْقِيَاسُ يُقَسَّمُ إِلَى كَامِلٍ وَغَيْرِ كَامِلٍ فَالْقِيَاسُ الْكَامِلُ هُوَ
الْقِيَاسُ الَّذِي يَكُونُ لَزُومٌ مَا يَلْزَمُ عَنْهُ بَيِّنًا عِنْدَ وَضْعِهِ فَلَا يَحْتَاجُ
أَنْ تُبَيِّنَ أَنَّ ذَلِكَ لَازِمٌ عَنْهُ. وَالْغَيْرُ الْكَامِلُ هُوَ الَّذِي يَلْزَمُ عَنْهُ
شَيْءٌ وَلَكِنْ لَا يَكُونُ بَيِّنًا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ أَنَّ ذَلِكَ يَلْزَمُ عَنْهُ.
بَلْ إِذَا أُريدَ أَنْ تُبَيِّنَ ذَلِكَ بَيِّنَ بِشَيْءٍ آخَرَ لَكِنَّهُ غَيْرُ خَارِجٍ مِنْ
جَمَلِهِ مَا قِيلَ بَلْ إِمَّا نَقِضُ مَا قِيلَ أَوْ عَكْسُهُ تَعْيِيرُ شَيْءٍ مِنْهُ
وَأَوْتَرَاضُهُ. وَالْقِيَاسُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَا يَلْزَمُ مِنْهُ لَيْسَ هُوَ وَلَا نَقِضُهُ
مَقُولًا فِيهِ بِالْفِعْلِ بَوَاحٍ بَلْ بِالْقُوَّةِ وَيُسَمَّى قِيَاسًا أَفْتَرَايَا كَقَوْلِكَ:
كُلُّ جِسْمٍ مُؤَلَّفٌ وَكُلُّ مُؤَلَّفٍ نَحْدَثُ سُبُكَّةٌ بِه لِأَفْتَرَايَا الْخُدُودِ فِيهِ.
وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ مَا يَلْزَمُ مِنْهُ هُوَ أَوْ نَقِضُهُ مَقُولًا فِيهِ بِالْفِعْلِ وَيُسَمَّى
قِيَاسًا اسْتِثْنَايَا كَقَوْلِكَ: إِنْ كَانَتْ النَّفْسُ لَهَا فَضْلٌ بِذَاتِهَا فَهِيَ
قَائِمَةٌ بِذَاتِهَا لَكِنْ لَهَا فِعْلٌ بِذَاتِهَا فَهِيَ قَائِمَةٌ بِذَاتِهَا



البحث الثالث

في ملحقات القياس

(من كتاب شرح المطالع وشرح الشمية والكليات لابي البقا)

(راجع صفحة ١١١ من علم الخطابة)

وَلَا قِسَامَ الْقِيَاسِ مُلْحَقَاتُ آخَرُ يُقْسَمُ إِلَيْهَا. (أَوَّلُهَا) الْقِيَاسُ
 الْمُرَكَّبُ وَهُوَ قِيَاسٌ رُكِبَ مِنْ مُقَدَّمَاتٍ يَتَّبِعُ مُقَدَّمَتَانِ مِنْهَا نَتِيجَةٌ
 وَهِيَ مَعَ الْقَدِّمَةِ الْأُخْرَى نَتِيجَةٌ أُخْرَى وَلَا تَرَالُ تَتَابُجُ بَعْضُهَا
 مُقَدَّمَاتٍ لِبَعْضٍ إِلَى أَنْ يَخْصَلَ الْمَطْلُوبُ. فَإِنْ صُرِحَ بِتَتَابُجِ تِلْكَ
 أَلَا قِسْمَةٌ سُبِّي مَفْضُولُ التَّتَابُجِ لَوْضَلِ تِلْكَ التَّتَابُجِ بِالْمُقَدَّمَاتِ
 كَقَوْلِكَ: كُلُّ كَاتِبٍ إِنْسَانٌ وَكُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ فَكُلُّ كَاتِبٍ
 حَيَوَانٌ. وَكُلُّ حَيَوَانٍ دُو حِسٍّ فَكُلُّ كَاتِبٍ دُو حِسٍّ. وَكُلُّ دُو
 حِسٍّ جِسْمٌ فَكُلُّ كَاتِبٍ جِسْمٌ. وَإِنْ لَمْ يُعْرَضْ بِتَتَابُجِ تِلْكَ
 أَلَا قِسْمَةٌ سُبِّي مَفْضُولُ التَّتَابُجِ وَمَطْوِيَّهَا كَقَوْلِكَ: كُلُّ كَاتِبٍ إِنْسَانٌ
 وَكُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ. وَكُلُّ حَيَوَانٍ دُو حِسٍّ. وَكُلُّ دُو حِسٍّ جِسْمٌ. فَكُلُّ
 كَاتِبٍ جِسْمٌ. (وَالثَّانِي) قِيَاسُ الْخَلْفِ. وَهُوَ
 قِيَاسٌ اسْتِثْنَائِيٌّ يُقْصَدُ فِيهِ اثْبَاتُ الْمَطْلُوبِ بِإِبْطَالِ نَقِيضِهِ كَمَا إِذَا
 قِيلَ كُلُّ نَبَاتٍ نَامٌ وَلَا شَيْءٌ مِنْ الْجِبَادِ نَامٌ فَلَا شَيْءٌ مِنَ النَّبَاتِ
 يَجْمَادُ. فَيَقَالُ لَوْ لَمْ يَكُنِ الْمَطْلُوبُ حَقًّا أَيْ لَا شَيْءٌ مِنَ النَّبَاتِ
 يَجْمَادُ لَصَدَقَ نَقِيضُهُ أَيْ بَعْضُ النَّبَاتِ جَمَادٌ. لَكِنْ لَوْ كَانَ هَذَا

الْتَقِيزُ حَقًّا لَا صَدَقَ كَوْنُ كُلِّ نَبَاتٍ نَائِمًا. وَقَدْ سُيِّىَ هَذَا الْقِيَاسُ
خَلْقًا لِأَنَّ التَّمَسِّكَ بِهِ يُثَبِّتَ مَطْلُوبَهُ مِنْ خَلْفِهِ أَيْ مِنْ وَرَائِهِ .
(وَالثَّالِثُ) قِيَاسُ الْأَسْتِقْرَاءِ وَهُوَ قَوْلُ مُؤَلَّفٍ مِنْ قَضَايَا تَشْتِمِلُ
عَلَى الْحُكْمِ عَلَى الْجُزْئِيَّاتِ لِإِثْبَاتِ الْحُكْمِ الْكُلِّيِّ . وَيُحَدِّثُ أَيْضًا
الْحُكْمَ عَلَى كُلِّيٍّ لَوْجُودِهِ فِي أَكْثَرِ جُزْئِيَّاتِهِ وَقِيلَ أَيْضًا: هُوَ تَصْفُحُ
الْجُزْئِيَّاتِ لِإِثْبَاتِ حُكْمِ كُلِّيٍّ ثُمَّ الْأَسْتِقْرَاءُ قِمَانِ (ثَامٌّ) وَيُسَمَّى
قِيَاسًا مُقْنِنًا وَهُوَ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِجَمِيعِ الْجُزْئِيَّاتِ وَيُحْكَمَ عَلَى الْكُلِّ
وَهُوَ قَلِيلُ الْأَسْتِعْمَالِ كَمَا يُقَالُ: كُلُّ جِسْمٍ . إِمَّا حَيَوَانٌ أَوْ نَبَاتٌ
أَوْ جَمَادٍ وَكُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهَا مُتَّخِذٌ قَيْئُحٌ أَنْ كُلَّ جِسْمٍ مُتَّخِذٌ وَهُوَ
يُفِيدُ الْيَقِينَ . (وَأَوَّصٌ) وَهُوَ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِأَكْثَرِ الْجُزْئِيَّاتِ قَطُّ
وَيُحْكَمَ عَلَى الْكُلِّ وَهُوَ قِسْمُ الْقِيَاسِ وَلِذَا عَدَّوهُ مِنْ لَوَاحِقِ
الْقِيَاسِ وَتَوَابِعِهِ وَهُوَ يُفِيدُ الظَّنَّ كَقَوْلُنَا: كُلُّ حَيَوَانٍ يَحْرُكُ فَكُهُ
الْأَسْفَلُ عِنْدَ الْمَضْغِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ وَالْفَرَسَ وَالْخِمَارَ وَالْبَقَرَ وَغَيْرَ
ذَلِكَ يَمَّا تَتَبَعْنَاهُ كَذَلِكَ . فَإِنَّهُ يُفِيدُ الظَّنَّ بِجَوَازِ التَّخَلُّفِ كَمَا فِي
الْتِمْسَاحِ . (وَالرَّابِعُ) قِيَاسُ التَّشْبِيلِ وَهُوَ إِثْبَاتُ حُكْمٍ فِي جُزْئِيٍّ
لِثْبُوتِهِ فِي جُزْئِيٍّ آخَرَ لِمَعْنَى مُشْتَرَكٍ بَيْنَهُمَا مُؤَثِّرٍ فِي ذَلِكَ الْحُكْمِ
كَقَوْلِكَ: الْعَالَمُ مُؤَلَّفٌ فَهُوَ مُحْدَثٌ كَالْأَدِيَّةِ لِأَنَّ كِلَيْهِمَا مُرَكَّبٌ
مِنْ أَجْزَاءٍ وَهُوَ يُسَمَّى إِلَى تَمْثِيلِ قَطْعِيٍّ يُفِيدُ الْيَقِينَ وَإِلَى غَيْرِ
قَطْعِيٍّ يُفِيدُ الظَّنَّ
أَمَّا أَنْوَاعُ الْقِيَاسِ فَخَمْسَةٌ . (أَحَدُهَا) الْقِيَاسُ الْبَرْهَانِي وَهُوَ

مَا رُكِبَ مِنْ مُقَدَّمَاتٍ يَقِينَةٍ كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ إِنْسَانٌ فَهُوَ قَابِلٌ
 الْعِلْمِ. (وَالثَّانِي) الْجَدِّي وَهُوَ مَا رُكِبَ مِنْ مُقَدَّمَاتٍ شَهْوَدَةٍ
 يُسَلِّمُ بِهَا الْخَصْمُ وَلَا يَقْوَى عَلَى انْكَارِهَا لِشَهْرَتِهَا بَيْنَ الْجُمْهُورِ
 نَحْوُ : الْعَالَمُ مُتَعَيِّرٌ فَهُوَ مُحَدَّثٌ. (وَالثَّالِثُ) الْخَطَائِيُّ وَهُوَ مَا
 رُكِبَ مِنْ مُقَدَّمَاتٍ مَقْبُولَةٍ يَرَادُ بِهَا تَرْغِيبُ السَّامِعِ أَوْ تَرْهِيْبُهُ نَحْوُ :
 الصَّلَاةُ يَرْفَعِي مَجَاءَةً لِلْإِنْسَانِ. وَانْمَاهَا مَعْصِيَةٌ فَهُوَ مُهْلِكٌ.
 (وَالرَّابِعُ) الشَّعْرِيُّ وَهُوَ مَا رُكِبَ مِنْ مُقَدَّمَاتٍ تُحْيِلُهُ نُورًا
 فِي النَّفْسِ بَسَطًا أَوْ قَبْضًا صَادِقَةً كَانَتْ أَوْ كَاذِبَةً نَحْوُ : الْخَيْرُ
 قُرْبِيَّةٌ سَاطِعَةٌ فِيهِ تَبْعُ النَّظَرِ أَوْ هِيَ مُرَّةٌ مُهَوَّغَةٌ فِيهِ مُرْجِ
 الْنَفْسِ. (وَالْخَامِسُ) الْمَعَالِطِيُّ وَهُوَ مَا رُكِبَ مِنْ مُقَدَّمَاتٍ كَاذِبَةٍ
 شَبِيْهِةٍ بِالصَّادِقَةِ كَقَوْلِكَ عَنْ بُرْجِ الْأَسَدِ : هَذَا أَسَدٌ فَهُوَ يَرَادُ
 وَالْعَمْدَةُ فِي الْخُطَابَةِ عَلَى الْبُرْهَانِ الْخَطَائِيِّ أَيِ ذِي الْمَقَدَّمَاتِ الْقَبُولَةِ

المبحث الرابع

في القياسات المستعملة في الخطابة واخصها القياس الاضماري

والتشليل

(من تلخيص خطابة ارسطو لابن رشد)

(راجع الصفحة ١٠٨ من الجزء الثاني من علم الادب)

نَقُولُ إِنَّ الْأَقَاوِيلَ الَّتِي يَكُونُ بِهَا الْإِبْتَاتُ وَالْإِبْطَالُ كَمَا
 إِنَّمَا فِي صِنَاعَةِ الْجَدَلِ صِنْفَانِ أَحَدُهُمَا الْإِسْتِقْرَاءُ وَمَا يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ

اسْتَقْرَأَ وَالصَّنْفُ الثَّانِي الْقِيَاسُ وَمَا يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ قِيَاسٌ كَذَلِكَ
 الْأَقَارِيلُ الثَّمَنَةُ فِي الصَّنَاعَةِ وَالْمُبْتَطَّةُ صِنْفَانِ أَحَدُهُمَا شَيْءٌ بِالْإِسْتِقْرَاءِ
 وَهُوَ الْمِثَالُ وَالْآخَرُ شَيْءٌ بِالْقِيَاسِ وَهُوَ الضَّيْرُ وَالضَّيْرُ الَّذِي
 يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ ضَيْرٌ وَلَيْسَ بِضَيْرٍ يُشَبَّهُ الَّذِي يُظَنُّ بِهِ هُنَاكَ أَنَّهُ
 قِيَاسٌ وَلَيْسَ بِقِيَاسٍ. وَكَذَلِكَ الْمِثَالُ الَّذِي يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ مِثَالٌ
 وَلَيْسَ بِمِثَالٍ يُشَبَّهُ الْإِسْتِقْرَاءَ الَّذِي يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ اسْتِقْرَاءٌ وَلَيْسَ
 بِالْإِسْتِقْرَاءِ. فَالضَّيْرُ هُوَ الْقِيَاسُ الْخَطِيئُ وَالْمِثَالُ هُوَ الْإِسْتِقْرَاءُ الْخَطِيئُ.
 وَالْخَطْبَاءُ إِذَا تَوَقَّلَ أَمْرُهُمْ ظَهَرَ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ جَمِيعَ التَّضَدِّقَاتِ
 الَّتِي تَكُونُ بِالْقَوْلِ يَهْدِيَنِ الصَّنْفَيْنِ أَعْنَى أَمَّا بِالْمِثَالِ وَأَمَّا بِالضَّيْرِ.
 وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَوْمُونَ بِفِعْلِهِمْ هَذَا أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالْإِسْتِقْرَاءِ وَالْقِيَاسِ.
 وَالَّذِي يَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا يَفْعَلُونَهُ بِمَا هُوَ مِثَالٌ فِي الْحَقِيقَةِ أَوْ
 بِمَا يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ كَذَلِكَ وَتَبَيَّنَ فِي كِتَابِ الْقِيَاسِ أَنَّ كُلَّ تَضَدِّقٍ
 قَائِلٌ يَكُونُ بِالْقِيَاسِ وَأَنَّ الْإِسْتِقْرَاءَ وَالْمِثَالَ إِنَّمَا يُفِيدَانِ
 التَّضَدِّقَ بِمَا فِيهِمَا مِنْ قُوَّةِ الْقِيَاسِ. فَأَمَّا مَا هُوَ الْقِيَاسُ وَمَا الْقُضْلُ
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِبْرَهَانِ فَقَدْ قِيلَ فِي كِتَابِ الْجَدَلِ وَقَدْ تَبَيَّنَ هُنَاكَ
 أَيْضًا الْفَرْقُ بَيْنَ الْقِيَاسِ وَالْإِسْتِقْرَاءِ. وَالْإِسْتِقْرَاءُ وَالْمِثَالُ يَشْتَرِكَانِ
 فِي أَنَّ كِلَيْهِمَا يُثْبِتَانِ أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ مَوْجُودٌ كَذَا أَوْ غَيْرُ مَوْجُودٍ كَذَا
 مِنْ أَجْلِ وُجُودِ ذَلِكَ الشَّيْءِ أَوْ لَا وُجُودِهِ فِي شَيْءٍ. وَالضَّيْرُ
 وَالْقِيَاسُ يَشْتَرِكَانِ فِي أَنَّ كِلَيْهِمَا قَوْلٌ يُوَضَّعُ فِيهِ شَيْءٌ فَيَلْزَمُ عَنْهُ
 شَيْءٌ آخَرُ. وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَهُوَ بَيِّنٌ أَنَّ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ

هَذَيْنِ الْجَنَسَيْنِ مِنَ الْقَوْلِ نَوْعًا خُطِيًّا وَنَوْعًا جَدِيًّا وَنَوْعًا بُرْهَانِيًّا وَنَوْعًا سُوفِسْطَايِيًّا. فَإِنَّهُ كَمَا يُوجَدُ الْأَسْتِقْرَاءُ وَالْقِيَاسُ فِي هَذِهِ الصَّنَائِعِ كَذَلِكَ يُوجَدُ فِي الْخَطَابَةِ الْإِثْبَالُ وَالضَّيِيرُ وَإِنَّمَا يُخْتَلَفُ فِي هَذِهِ الصَّنَائِعِ بِمُجْهَةِ الْأَسْتِعْمَالِ أَنِّي فِي صِنَاعَةِ الدُّرْهَانِ وَصِنَاعَةِ الْجَدَلِ. وَالْقِيَاسُ فِي الْجَدَلِ أَوْثَقُ مِنَ الْأَسْتِقْرَاءِ وَالْإِثْبَالِ فِي الْخَطَابَةِ أَقْنَعُ مِنَ الضَّيِيرِ لِأَنَّ الضَّيِيرَ يَطْرُقُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ أَكْثَرَ مِنْ طَرُقِهِ إِلَى الْإِثْبَالِ وَسَبَبُ هَذَا سَخِيخٌ بِهِ فِيمَا بَدَأَ وَكَذَلِكَ كَيْفَ نَسْتَعْمِلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ. فَأَمَّا الْآنَ فَيَنْبَغِي أَنْ نَحْدَثَ هَذَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ مِنَ الْأَفْنَاعِ آدِنِي الضَّيِيرَ وَالْإِثْبَالِ فَقُولُ :

إِنَّ الْقَوْلَ الْمُفْنَعُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُفْنَعًا لِوَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ لِمَجْمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ لِأَكْثَرِ النَّاسِ. وَأَيْضًا مِنْهُ مَا يَكُونُ إِقْنَاعُهُ فِي أَمْرٍ كُلِّيٍّ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ فِي أَمْرٍ جُزْئِيٍّ. وَكِلَا هَذَيْنِ مِنْهُ مَا يَكُونُ إِقْنَاعُهُ بَيْنًا بِنَفْسِهِ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ إِقْنَاعُهُ بِغَيْرِهِ. وَالَّذِي يَكُونُ إِقْنَاعُهُ بِغَيْرِهِ فِي الْجُزْئِيَّاتِ ضَرْبَانِ (أَحَدُهُمَا) أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ : إِنَّ كَذَا إِثْمًا هُوَ كَذَا لِمَوْضِعٍ كَذَا. مِثْلُ قَوْلِ الْقَائِلِ : إِنَّ شَرَابَ السَّكَّاجِينَ يَنْفَعُ فَلَانًا لِأَنَّهُ مَخْمُومٌ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُسَمَّى الضَّيِيرَ. (وَالضَّرْبُ الثَّانِي) أَنْ يَقُولَ : إِنَّ كَذَا إِثْمًا كَانَ كَذَا لِأَنَّهُ مِثْلُ كَذَا. مِثْلُ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ فَلَانًا يَنْتَفِعُ بِشَرَابِ السَّكَّاجِينَ لِأَنَّهُ فَلَانًا أُنْتَفَعَ بِهِ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْإِثْبَالِ. وَالْمُفْنَعَاتُ الَّتِي هِيَ مُفْنَعَةٌ عِنْدَ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ فَلَيْسَ تَسْتَعْمِلُهَا

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ لِأَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُتَّاهٍ وَغَيْرُ مَعْلُومٍ عِنْدَ الْمُسْتَعْمِلِ
لَهَا وَإِذَلِكَ لَيْسَتْ تَسْتَعْمِلُ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ مِنَ الْمَقْدَمَاتِ الْمُحْمُودَةِ
أَعْنِي الْمَقْبُولَةَ مَا كَانَ مَقْبُولًا عِنْدَ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ . وَتِلْكَ هِيَ
الْأَرَاءُ الْخَادِثَةُ لِلنَّاسِ عِنْدَ الشُّوقِ وَالْهَوَى بَلْ إِنَّمَا تَسْتَعْمِلُ
الْمَحْمُودَةُ عِنْدَ الْأَكْثَرِ أَوِ الْجَمِيعِ عَلَى مِثْلِ مَا تَسْتَعْمِلُ صِنَاعَةُ
الْجَدَلِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا قَالَ الَّذِي يَثْبُتُ بِهِ الْقِيَاسُ
الْمُسْتَعْمِلُ فِي صِنَاعَةِ الْجَدَلِ وَفِي صِنَاعَةِ الْبَرْهَانِ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَعْمِلِ
فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَنَّ الْقِيَاسَ يَرْتَبُ التَّرْتِيبَ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الْقَوْلُ
مُتَّبِعًا بِالضَّرُورَةِ . وَأَمَّا الضَّمِيرُ فَاتِّهَ تَرْتَبُ مُقَدِّمَاتُهُ التَّرْتِيبَ الَّذِي
هُوَ مُعْتَادٌ عِنْدَ الْجُمْهُورِ أَنْ يُقْبَلَ . وَذَلِكَ هُوَ بِخِلَافِ التَّرْتِيبِ
الضَّائِعِي فَإِنَّ النَّاسَ يَسْتَرِيضُونَ بِالْقَوْلِ الْأَلْزَمِ عَنْ الْقَوْلِ الضَّائِعِي
وَيَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا لَزِمَ مِنْ جِهَةِ الصَّنَاعَةِ لَا مِنْ جِهَةِ الْأَمْرِ فِي
نَفْسِهِ . وَإَيْضًا فَإِنَّ التَّرْتِيبَ الضَّائِعِي يَقْتَضِي أَنْ يُصْرَحَ فِيهِ بِجَمِيعِ
الْمَقْدَمَاتِ الضَّرُورِيَّةِ فِي بَيَانِ ذَلِكَ الْمَطْلُوبِ وَالْجُمْهُورُ لَا
يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْهَمُوا زُرُومَ النَتِيجَةِ الَّتِي تَلْزَمُ عَنْ مُقَدِّمَاتٍ كَثِيرَةٍ .
وَإَيْضًا فَلَنَّهُمْ لَا يُبَاعِدُونَ بَيْنَ النَتِيجَةِ وَالسَّيِّئِ الَّذِي تَلْزَمُ عَنْهُ النَتِيجَةُ
أَعْنِي أَنَّهُمْ لَا يَصْرِحُونَ فِي الْقَائِيِسِ بِالْمَقْدَمَتَيْنِ جَمِيعًا مَعَ النَتِيجَةِ
بَلْ إِنَّمَا يَأْتُونَ بِمَقْدَمَةٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَرُدُّونَهَا بِالنَتِيجَةِ . وَمِثْلُ أَنَّهُمْ
يَقُولُونَ : هَذَا يَدُورُ بِاللَّيْلِ فَهُوَ لَصٌّ . وَلَا يَقُولُونَ : كُلُّ مَنْ يَدُورُ
بِاللَّيْلِ فَهُوَ لَصٌّ وَهِيَ الْمَقْدَمَةُ الْكُبْرَى . وَإَيْضًا فَلَنَّ الضَّمَايِرَ لَمَّا

كَانَتْ تُضَعُّ فِي الْأَكْثَرِ فِي الْأُمُورِ الْمُسْكِنَةِ وَذَلِكَ بَيْنَ فِي
 الْأُمُورِ الْمَشَاوِرَةِ فَلَا تَلِيسَ يَشِيرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ بِأَمْرٍ ضَرُورِيٍّ
 الْوُجُودِ وَلَا مُتَّبِعِ الْوُجُودِ وَكَانَتْ الْمَقْدَمَةُ الْكُبْرَى فِي أَمَثَالِ
 هَذِهِ الْمَوَادِّ كَاذِبَةٌ بِالْجُزْءِ لَمْ يُصَرِّحُوا بِهَا فِي الْمَقَائِسِ الَّتِي
 يَسْتَعِينُ بِهَا فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لِئَلَّا يُظَنَّ بِكَذِبِهَا . وَإِذَا فَلَمَّا كَانَتْ
 الْمَقَائِسُ الْجَيِّدَةُ الصَّغِيرَةُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ إِذَا هِيَ أَحَدُ صِفَتَيْنِ إِمَّا
 الْمَقَائِسِ الَّتِي تُؤَلَّفُ مِنَ الْمَقْدَمَاتِ الْبَيِّنَةِ إِقْنَاعُهَا بِنَفْسِهِ وَإِمَّا مِنْ
 مُقْدَمَاتٍ تَبَيَّنَ مُقْدَمَاتُهَا بِمُقْدَمَاتٍ أُخَرُ خُلِطَتْ بِهَا وَالْأَمْرُ يَتَبَيَّنُ
 حَمْدُهَا . فَقَدْ يَلْحَقُ ضَرُورَةً فِي هَذَا الصَّنَفِ الثَّانِي أَنْ يَسُرَّ تَأْلِيفُ
 الْمَقْدَمَاتِ وَتَرْتِيبُهَا التَّرْتِيبَ الصَّاعِي لِمَا كَانَ كَثُورَةُ الْمَقْدَمَاتِ وَطُولُ
 الزَّمَانِ الَّذِي يُصْرَحُ فِيهِ بِجَمِيعِهَا وَتَرْتَبُ تَرْتِيبًا صَاعِيًا وَذَلِكَ الَّذِي
 لَا يُسَاعِدُ عَلَيْهِ الْحُكَّامُ بَلْ يَحْمِلُونَ التَّكَلُّمَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَنْ يَكُونَ
 كَلَامُهُ بَسِيطًا غَيْرَ مُتَكَلِّفٍ فِيهِ صَنْعَةٌ عَلَى الْجُمْهُورِ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ
 مَتَى كَانَ الْكَلَامُ لَيْسَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ كَانَ غَيْرَ مُنْعَنٍ . وَذَلِكَ
 فِي الْأَمْرَيْنِ اللَّذَيْنِ يَكُونُ فِيهِمَا الْإِقْنَاعُ أَغْنَى فِي أَنْ الشَّيْءَ مَوْجُودٌ
 أَوْ غَيْرَ مَوْجُودٍ وَفِي أَنَّهُ إِذَا وَجَدَ مُحَمَّدٌ أَوْ غَيْرَ مُحَمَّدٍ . وَكَذَلِكَ
 إِذَا اسْتَمْعَلَ التَّصَدِيقُ بِطَرِيقٍ أَخَذَ الْأَشْيَاءَ وَاسْتَفْصَى وَجِبَلَ عَلَى
 طَرِيقِ الْإِسْتِقْرَاءِ عَرَضَ الْعَرَضِ الَّذِي وَصَفْنَاهُ مِنَ الطُّولِ وَالْكَثْرَةِ .
 وَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا فَادْنِ الْقِيَاسُ الْخَطِيئُ وَهُوَ الضَّيْرُ وَالْأَمَثَالُ إِذَا
 يَكُونُ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْقِيَاسُ وَالْإِسْتِقْرَاءُ بِإِطْلَاقٍ وَتِلْكَ

الْأَشْيَاءَ مَأْخُودَةٌ بِحَالٍ غَيْرِ الْحَالِ الَّتِي أُخِذَتْ بِهَا فِي الْقِيَاسِ
وَالِاسْتِقْرَاءِ. فَإِذَا اسْتَعْمِلْتَ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ بِالْحَالِ الَّتِي بُيِّنَ فِي
كِتَابِ الْقِيَاسِ عَادَ الْإِثْبَاتُ اسْتِقْرَاءً وَالضَّمِيرُ قِيَاسًا. وَإِذَا أُخِذَتْ
بِهَذِهِ الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا عَادَ الْاسْتِقْرَاءُ مِثَالًا وَالْقِيَاسُ ضَمِيرًا.
وَتِلْكَ الْحَالُ هِيَ اخْتِذُ الْقِيَاسِ وَالْإِعْتِبَارُ بِمَقْدَمَاتٍ قَلِيلَةٍ وَجِدَةٍ
فَإِنَّ الْإِقْتِنَاعَ إِنَّمَا يَكُونُ أَكْثَرَ ذَلِكَ بِالْمَقْدَمَاتِ الَّتِي هِيَ فِي
غَايَةِ الظُّهُورِ وَحَذْفِ مَا خَفِيَ مِنْهَا وَإِنَّمَا فَإِنَّ التَّخَوُّدَ فِي
هَذِهِ الصَّلَاحَةِ أَنْ يُحْذَفَ اللَّازِمُ عَنْهُ وَيُؤْتَى بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي يَلْزَمُ
إِذَا أُخِذَ بِاللَّازِمِ وَاللَّزُومِ فَكَأَنَّهُ قَدْ ذَكَرَ الشَّيْءَ مَرَّتَيْنِ فَيَكُونُ
هَذَا فِي بَادِي الرَّأْيِ. وَعَلَى هَذَا فَلَا يُصْرَحُ بِالْحَدِّ الْأَوْسَطِ فِي
الْقِيَاسِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً وَلَا فِي الْإِعْتِبَارِ إِلَّا بِشَيْءٍ وَاحِدٍ فَيَكُونُ
الْقِيَاسُ ضَرُورَةً ضَمِيرًا أَيْ مَحْذُوفًا إِحْدَى مُقَدِّمَتَيْهِ وَهَذَا سَبِيحٌ ضَمِيرًا
إِذَا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا مُضْمَرَةً وَيَكُونُ الْاسْتِقْرَاءُ ضَرُورَةً تَمِيْلًا

البحث الخامس

في مقدمات القياسات الخطيئة

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) وَمُقَدِّمَاتُ الْقِيَاسَاتِ الْخَطِيئَةُ قَدْ تَكُونُ ضَرُورِيَّةً وَذَلِكَ
فِي الْأَقْلِ وَتَكُونُ مُمَكِّنَةً وَذَلِكَ فِي الْأَكْثَرِ لِأَنَّ أَكْثَرَ النَّحْصِ
الْجَهْدِيَّ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِحَالٍ وَيُمْكِنُ إِلَّا يَكُونُ

بِتِلْكَ الْحَالِ . وَذَلِكَ بَيِّنٌ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُشَارُ بِهَا وَذَلِكَ أَنَّهَا كُلُّهَا
أُمُورٌ مَفْعُولَةٌ لِلْإِنْسَانِ لَا ضَرُورِيَّةُ الْوُجُودِ وَلَا مُتَمَتِّعَةُ الْوُجُودِ .
وَالْتَّلَافُ الضَّرُورِيَّةُ فَلَهَا تَكُونُ بِالذَّاتِ عَنْ مُقَدِّمَاتِ ضَرُورِيَّةِ
وَالْمُكِنَّةِ عَنْ مُقَدِّمَاتِ مُمَكِّنَةٍ . وَالضَّمَامُ وَنَهَا مَا يَكُونُ عَنْ مُقَدِّمَاتِ
مَحْمُودَةٍ وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مِنَ الدَّلَائِلِ . وَاعْنِي بِالْمُقَدِّمَاتِ الْحَمُودَةِ
الَّتِي لَيْسَتْ دَلَالِيلَ . مِثْلُ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُشْكِرَ الْمُنْعَمُ وَأَنْ يُسَاءَ
إِلَى الْمُسِيءِ . وَاعْنِي بِالدَّلَائِلِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى وُجُودِ شَيْءٍ
لِشَيْءٍ . وَهَذَانِ الصَّنَعَانِ مِنَ الْمُقَدِّمَاتِ يُوجَدَانِ فِي الْمَوَادِّ الضَّرُورِيَّةِ
وَالْمُكِنَّةِ اعْنِي الْحَمُودَاتِ وَالِدَّلَائِلِ . وَلَيْسَ يُوجَدَانِ فِي الْمُمَكِّنَةِ
عَلَى الْأَكْثَرِ قَطُّ بَلْ وَفِي الْمُمَكِّنَةِ عَلَى الْقَسَاوِي . وَهِيَ الَّتِي
نَسَبَتْهَا إِلَى الْمُقَدِّمَاتِ الْمُكِنَّةِ عَلَى الْأَكْثَرِ نِسْبَةً الَّتِي عَلَى الْأَكْثَرِ
إِلَى الضَّرُورِيِّ وَهِيَ نِسْبَةُ الْكُلِّ مِنَ الْبَعْضِ وَذَلِكَ أَنَّ الصِّدْقَ
فِي الضَّرُورِيَّةِ أَعْمٌ مِنَ الصِّدْقِ فِي الْمُمَكِّنَةِ عَلَى الْأَكْثَرِ إِذَا
كَانَتِ الضَّرُورِيَّةُ تُوجَدُ لِكُلِّ الْمَوْضِعِ وَالْمُمَكِّنَةُ عَلَى الْأَكْثَرِ لَا
تُوجَدُ لِكُلِّهِ . وَكَذَلِكَ نِسْبَةُ الْمُمَكِّنَةِ عَلَى الْقَسَاوِي إِلَى الْمُمَكِّنَةِ
عَلَى الْأَكْثَرِ هِيَ هَذِهِ النِّسْبَةُ اعْنِي أَنَّ الْمُمَكِّنَةَ عَلَى الْأَكْثَرِ
تَصْدُقُ مِنْ مَوْضُوعَاتِهَا عَلَى أَكْثَرِ مَا تَصْدُقُ الْمُمَكِّنَةُ عَلَى
الْقَسَاوِي . وَالدَّلَائِلُ الْمَأْخُودَةُ حَدًّا أَوْسَطَ مِنْهَا مَا هُوَ أَعْمٌ مِنَ
الطَّرَفِ الْأَصْغَرِ وَأَخْصُ مِنَ الْأَكْبَرِ وَمِنْهَا مَا هُوَ أَعْمٌ مِنَ
الطَّرَفَيْنِ . وَمِنْهَا مَا هُوَ أَخْصُ مِنْهُمَا . أَمَّا الَّذِي هُوَ أَعْمٌ مِنَ الطَّرَفِ

الْإِصْغَرِ وَأَخْصُ مِنَ الْأَكْبَرِ فَإِنَّهُ يَأْتِلِفُ ضَرُورَةً فِي الشَّكْلِ
 الْأَوَّلِ. وَإِذَا كَانَ فِي أَلَادَةِ الْمُسْكِيَةِ عَلَى الْأَكْبَرِ فَهُوَ الَّذِي
 يَعْرِفُهُ الْقَدَمَاءُ بِالْأَشْبَةِ. وَمِثَالُهُ فِي أَلَادَةِ الضَّرُورِيَّةِ: هَذِهِ أَنْتَى الْحَيَوَانِ
 لَهَا لَبَنٌ فَهِيَ قَدْ وَلَدَتْ. وَفِي الْمُسْكِيَةِ عَلَى الْأَكْبَرِ. فَلَا تَنْ يُعَدُّ
 السِّلَاحَ وَيَجْمَعُ الرِّجَالُ وَلَيْسَ قُرْبَهُ عَدُوٌّ فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَعْصِيَ الْمَلِكَ.
 وَمِثَالُ الْمُسْكِيَةِ عَلَى النَّسَائِي: فَلَا تَنْ قَدْ تَبَّ وَالتَّعُوبُ مَحْمُومٌ
 فَلَا تَنْ مَحْمُومٌ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعْرَفُ بِالْمُشَبِّهِ. وَأَمَّا مَا هُوَ أَعْمُ
 مِنَ الطَّرَفَيْنِ فَإِنَّهُ يَأْتِلِفُ فِي الشَّكْلِ الثَّانِي إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ مُتَشَبِّهِ إِلَّا
 فِي بَادِي الرَّأْيِ. مِثَالُ ذَلِكَ فِي أَلَادَةِ الْمُسْكِيَةِ عَلَى الْأَكْبَرِ
 قَوْلُ الْقَائِلِ: سُقْرَاطُ يَنْفَسُ مُتَوَاتِرًا وَالْحَيَّومُ يَنْفَسُ مُتَوَاتِرًا سُقْرَاطُ
 مَحْمُومٌ. فَهَاتَانِ الْمَقْدَمَتَانِ صَادِقَتَانِ وَالنَّتِيجَةُ قَدْ تَكُونُ كَاذِبَةً إِذَا
 قَدْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ تَنْفَسُ سُقْرَاطُ مُتَوَاتِرًا لِمَوْضِعِ احْتِضَارِهِ.
 وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ خَافِيًا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا رَأَوْا فِي أَمْثَالِ هَذِهِ
 الْمَقْدَمَاتِ الصَّادِقَةَ أَنَّهَا تَنْتِجُ كَذِبًا ظَنُّوا لِذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ أَظْهَرَ فِيهَا
 كَذِبٌ فَيَرُومُونَ أَنْ يُعَانِدُوا الْمَقْدَمَاتِ فَيَعْسُرُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لِمَكَانِ
 صِدْقِهَا فَيَتَحَيَّرُونَ لِذَلِكَ. وَأَمَّا الَّتِي هِيَ أَخْصُ مِنَ الطَّرَفَيْنِ فَتَنْتِجُ فِي
 الشَّكْلِ الثَّلَاثِ جُزْئِيًا لَا كُلِّيًّا لَكِنْ تَوْحَّدُ تَبَيُّحُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ
 كَلِمَةً. مِثَالُ ذَلِكَ فِي أَلَادَةِ الضَّرُورِيَّةِ قَوْلُ الْقَائِلِ: الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا
 فِي كُرَةِ الْعَالَمِ وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا فِي الزَّمَانِ فَالزَّمَانُ كُرَةُ الْعَالَمِ. وَفِي
 الْمُسْكِيَةِ قَوْلُ الْقَائِلِ: الْحُكَمَاءُ عُدُولٌ لِأَنَّ سُقْرَاطَ حَكِيمٌ وَعَدْلٌ.

وَالدَّلَائِلُ الَّتِي تَكُونُ فِي الشَّكْلِ الثَّلَاثِ وَالثَّانِي تُحْصَى بِأَسْمِ
 الْعَلَامَةِ وَمَا كَانَ مِنْهَا فِي الشَّكْلِ الْأَوَّلِ يُحْصَى بِأَسْمِ الدَّلِيلِ .
 وَالَّذِي فِي الشَّكْلِ الثَّلَاثِي هُوَ أَخْصُ بِأَسْمِ الْعَلَامَةِ مِنَ الثَّلَاثِ
 كَمَا أَنَّهُ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْمُسْكِنَةِ الْأَصْغَرِ يُحْصَى بِأَسْمِ
 الْأَشْبَةِ وَإِنْ كَانَ فِي الْمُسْكِنَةِ عَلَى السَّوَاوِي خُصٌّ بِأَسْمِ الضَّمِيرِ
 الْمُسْتَبْهِ . فَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ مَا هِيَ الْخُذُودَاتُ وَالِدَّلَائِلُ
 وَالْعَلَامَاتُ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا . نَكِنَ الَّذِي تَبَيَّنَ مِنَ الْأَقَاوِيلِ
 الْقِيَاسِيَّةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هُوَ فِي كِتَابِ الْقِيَاسِ فَإِنَّهُ هُنَاكَ تَبَيَّنَ مَا
 هُوَ الْقِيَاسُ وَكَمْ أَجْنَاسُ الْأَقَاوِيلِ الْقِيَاسِيَّةِ وَتَبَيَّنَ فِي جِنْسٍ جِنْسٍ
 وَهِيَ مَا هُوَ قِيَاسٌ وَمَا لَيْسَ بِقِيَاسٍ . وَأَمَّا (الْمِثَالُ) فَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا تَقَدَّمَ
 أَنَّهُ اسْتِثْرَاءٌ مَا لَيْكِنَ يُبَيِّنُ الْإِسْتِثْرَاءَ بِأَنَّهُ لَيْسَ يُصَادُ فِيهِ لَا مِنْ
 الْجُزْئِيِّ إِلَى بَيَانِ الْأَمْرِ الْكُلِّيِّ كَمَا يُصَادُ فِي بَعْضِ أَنْوَاعِ
 الْإِسْتِثْرَاءِ وَلَا مِنْ الْكُلِّيِّ إِلَى الْجُزْئِيِّ كَمَا قَدْ يُصَادُ فِي
 بَعْضِ أَنْوَاعِ الْإِسْتِثْرَاءِ . وَذَلِكَ إِذَا بَيَّنَّا بِالْكُلِّيِّ الَّذِي اثْبَتَاهُ
 بِالْإِسْتِثْرَاءِ جُزْئِيًّا آخَرَ غَيْرَ الْجُزْئِيَّاتِ الَّتِي اثْبَتَهَا الْكُلِّيُّ بِاسْتِثْرَائِهَا
 وَيُؤَادُّهُ فِي أَنَّهُ يَصِيرُ مِنْ جُزْئِيٍّ إِلَى جُزْئِيٍّ لِاجْتِمَاعِهِمَا فِي أَمْرِ
 كُلِّيٍّ . وَذَلِكَ إِذَا جَمَعْنَا فِي الْإِسْتِثْرَاءِ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا أَعْنِي أَنْ نَصِيرَ فِيهِ
 مِنَ الْجُزْئِيِّ إِلَى الْكُلِّيِّ ثُمَّ مِنَ الْكُلِّيِّ إِلَى جُزْئِيٍّ آخَرَ فَإِنَّمَا
 فِي هَذَا الْفِعْلِ قَدْ صِرْنَا مِنْ جُزْئِيٍّ إِلَى جُزْئِيٍّ يَتَوَسَّطُ الْكُلِّيُّ
 كَالْحَالِ فِي الْمِثَالِ فَإِنَّ الْمِثَالَ إِنَّمَا يَصِيرُ فِيهِ مِنْ جُزْئِيٍّ إِلَى جُزْئِيٍّ

لأَشْتَرَاكِهْمَا فِي أَمْرِ كُلِّي إِذَا كَانَ الْحَكْمُ الْمَقُولُ مِنْ أَحَدِهِمَا
إِلَى الْآخَرِ مَوْجُودًا لِلْجُزْئِيَةِ الْآعْرِفِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْكُلِّيِّ أَوْ
يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ يُوجَدُ لَهُ مِنْ جِهَتِهِ وَإِلَّا لَمْ تَصِحَّ الثَّقَلَةُ مِنْ جُزْئِيٍّ إِلَى
جُزْئِيٍّ أَعْنِي إِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ كُلِّيٌّ وَكَانَ وَجُودُ ذَلِكَ الْحَكْمِ
مِنْ أَجْلِ الْجُزْئِيِّ الْآعْرِفِ. وَمِثَالُ مَا يَعْضُ مِنْ هَذَا فِي الْأَسْتِقْرَاءِ
أَعْنِي إِذَا كَانَتْ الثَّقَلَةُ مِنْ جُزْئِيٍّ إِلَى جُزْئِيٍّ بِتَوْسِطِ الثَّقَلَةِ إِلَى
الْكُلِّيِّ قَوْلُ مَنْ قَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ فُلَانًا طَلَبَ أَنْ يَكُونَ مِنْ
جُمْلَةِ الْعَسَسِ وَقَدْ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ عَدُوِّكَ فَلَا تُبَيِّحْ لَهُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُرِيدُ
أَنْ يَفْتِكَ بِالْمَلِكِ لِأَنَّ فُلَانًا طَلَبَ ذَلِكَ مِنْ فُلَانٍ الْمَلِكِ وَفُلَانًا مِنْ
فُلَانٍ الْمَلِكِ لِأَقْوَامٍ يُعَذِّدُهُمْ فَفَتَكُوا بِمَوَاطِنِهِمْ. فَإِنَّ قَائِلَ هَذَا
الْقَوْلِ قَدْ جَعَلَ الثَّقَلَةَ فِيهِ مِنْ جُزْئِيٍّ إِلَى جُزْئِيٍّ بِتَوْسِطِ الْكُلِّيِّ
الَّذِي هُوَ: إِنَّ كُلَّ مَنْ طَلَبَ أَنْ يَدْخُلَ فِي الْحَرْسِ مِمَّنْ كَانَ فِي
جُمْلَةِ عَدُوِّ الْمَلِكِ فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَفْتِكَ بِهِ. إِلَّا إِنْ هَذَا الْكُلِّيُّ الَّذِي
أَرْتَمَ فِي النَّفْسِ بِالْقُوَّةِ وَإِنْ لَمْ يُصْرَحْ بِهِ يَسْتَعْمِلُ الثَّقَلَةَ مِنْ
جُزْئِيٍّ إِلَى جُزْئِيٍّ إِذَا كَانَتْ الثَّقَلَةُ إِلَيْهِ فِي الدَّهْنِ مِنْ أَكْثَرِ
الْجُزْئِيَّاتِ كَانَ اسْتِقْرَاءً وَإِنْ كَانَ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهَا أَوْ مِنْ الْأَقَلِّ
كَانَ تَخْيِيلًا. (قَالَ) فَأَمَّا الْقَوْلُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا مِثَالَاتٌ
قَدْ يُكْتَفَى هَاهُنَا بِهَذَا الْقَدْرِ الْمَعْطَى مِنْهَا

وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي مُضُولِ الصَّابِرِ مِنْ جِهَةِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْهَا
تُعْمَلُ فَإِنَّ الْقَوْلَ فِيهَا غَاوِضٌ وَخَفِيُّ وَهُوَ عَظِيمُ الْمَاءِ فِيهَا نَفْصُهُ

هَاهُنَا. وَسَبَبُ نَحْوِهِ أَنَّ الصَّمَاوِيَّاتِ تَكُونُ فِي جَمِيعِ الْقَوْلَاتِ
 الْعَشْرِ كَمَا تَكُونُ الْقِيَاسَاتُ الْجَدَلِيَّةُ لَكِنَّ مِنَ الصَّمَاوِيَّاتِ مَا يَكُونُ فِي
 الْمَوَادِّ الَّتِي فِي الصَّنَائِعِ. مِثْلَ الصَّمَاوِيَّاتِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي الْأُمُورِ
 الْكُلِّيَّةِ وَالْجُزْئِيَّةِ فِي صِنَاعَةِ الطِّبِّ وَغَيْرِهَا مِنَ الصَّنَائِعِ. وَهَذِهِ
 قَبْلِي أَنْ تُسْتَعْمَلَ فِي هَذِهِ الصَّنَائِعِ عَلَى نَحْوِ اسْتِعْمَالِ الْبَرَاهِينِ فِي
 تِلْكَ الصِّنَاعَةِ لَا عَلَى مَا يَسْتَعْمَلُهَا الْخَطِيبُ فِي الْمَادَّةِ الَّتِي تُحْصَى
 الْخُطَابَةُ مِثْلَ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا جُزْءًا مِنْ خُطْبَةٍ. وَسَائِرُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي
 تَكُونُ بِهَا الْأَقَاوِيلُ الْخُطْبِيَّةُ أَيْمٌ فَلَا وَانْفِذُ مَا يُذَكَّرُ بَعْدُ. وَمِنْ
 الصَّمَاوِيَّاتِ مَا يَكُونُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي تُحْصَى هَذِهِ الصِّنَاعَةُ بِحَسَبِ مَا
 تَبَيَّنَ مِنْ مَنَافِعِهَا وَهِيَ الْأُمُورُ الْإِرَادِيَّةُ وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي يَتَّبَعِي أَنْ
 تُسْتَعْمَلَ عَلَى جِهَةٍ مَا يَسْتَعْمَلُ الْخُطْبَاءُ الْأَقَاوِيلَ الْخُطْبِيَّةَ. وَمِنْ هَذِهِ
 الْأَشْيَاءِ يَتَّبَعِي أَنْ تُعَدَّ فِي هَذِهِ الصِّنَاعَةِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي هِيَ فُضُولُ
 الصَّمَاوِيَّاتِ لَا مِنْ تِلْكَ الْمَوَادِّ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَيْهَا صِنَاعَةُ صِنَاعَةٍ



الفصل السابع

في التفتيد

المبحث الأول

في المناظرة والمجدال

(عن رسائل الفارابي وابن سينا ومقدمة ابن خلدون وآداب البحث للسمرقندي)

(راجع الصفحة ١١٦ من علم الخطابة)

الْمُنَاطَرَةُ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ كَيْفِيَّةُ إِثْبَاتِ الْمَطْلُوبِ وَنَفْيِهِ أَوْ نَفْيِ
دَلِيلِهِ مَعَ الْخُضْمِ. وَالْآدَابُ الطَّرِيقُ. وَمَوْضُوعُ هَذَا الْعِلْمِ الْآدِلَةُ وَنَ
حَيْثُ أَنَّهَا يُثَبَّتُ بِهَا الدَّعْيُ عَلَى الْغَيْرِ. وَمَبَادِئُهُ أُمُورٌ بَيِّنَةٌ بِنَفْسِهَا.
وَالْعَرَضُ مِنْهُ تَحْصِيلُ مَلَكَتِ طَرِيقِ الْمُنَاطَرَةِ لِئَلَّا يَقَعَ الْخَبْطُ فِي الْبَحْثِ
فَيُتَضَيَّعَ الصَّوَابُ. وَتُطْلَقُ الْمُنَاطَرَةُ أَيْضًا فِي أَصْطِلَاحِ أَهْلِ هَذَا الْعِلْمِ
عَلَى النَّظَرِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ فِي النِّسْبَةِ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ إِظْهَارًا لِلصَّوَابِ.
وَقِيلَ أَيْضًا هِيَ تَوَجُّهُ الْخَصْمَيْنِ فِي النِّسْبَةِ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ إِظْهَارًا
لِلصَّوَابِ أَيْ تَوَجُّهُ الْمُتَخَاصِمَيْنِ الَّذِينَ مَطْلَبُ أَحَدِهِمَا غَيْرُ مَطْلَبِ
الْآخَرِ إِذَا تَوَجَّهَا فِي النِّسْبَةِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ التَّوَجُّهُ فِي النَّفْسِ كَمَا
كَانَ لِلْحُكَمَاءِ الْأَشْرَاقِيِّينَ وَكَانَ غَرَضُهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِظْهَارُ الْحَقِّ
وَالصَّوَابِ. وَالْمَسَائِلُ الْعِلْمِيَّةُ تَتَرَايِدُ يَوْمًا قِيَوْمًا بِتَبْلَاغِ الْأَفْكَارِ

وَالْأَنْظَارِ فَلْتَقَاتِ مَرَاتِبُ الطَّبَائِعِ وَالْأَذْهَانِ لَا يَخْلُو عِلْمٌ مِنَ
الْعُلُومِ عَنْ تَصَادُمِ الْآرَاءِ وَتَبَايُنِ الْأَفْكَارِ وَإِدَارَةِ الْكَلَامِ مِنْ
الْجَرَحِ وَالْتَعْدِيلِ وَالرَّدِّ وَالْقَبُولِ إِلَّا أَنَّهُ بِشُرُوطٍ مُعْتَبَرَةٍ مَشْرُوطٌ
وَبِرْعَايَةِ الْأُصُولِ مَنُوطٌ وَإِلَّا لَكَانَ مُكَابَرَةً غَيْرَ مَسْنُوعَةٍ . فَلَا بُدَّ
مِنْ قَانُونٍ يُعَرِّفُ مَرَاتِبَ النِّجَاحِ عَلَى وَجْهِ تَمَيُّزٍ بِهِ الْقَبُولُ عَمَّا هُوَ
مَرْدُودٌ وَتِلْكَ الْقَوَائِنُ هِيَ عِلْمُ آدَابِ النِّجَاحِ

أَمَّا الْجِدَالُ فَهُوَ عِلْمٌ يَنْجُثُ عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي يُقَدَّرُ بِهَا عَلَى إِبْرَامِ
وَنَقْشٍ وَهُوَ مِنْ فُرُوعِ عِلْمِ النَّظَرِ وَمَبْنِي لِعِلْمِ الْخِلَافِ مَأْخُودٌ مِنْ
الْجِدْلِ الَّذِي هُوَ أَحَدُ أَجْزَاءِ مَبَاحِثِ الْمُنَظَرِ . وَمَبَادِئُهُ بَعْضُهَا مُبَيَّنَةٌ
فِي عِلْمِ النَّظَرِ وَبَعْضُهَا خَطَابِيَّةٌ وَبَعْضُهَا أُمُورٌ عَادِيَّةٌ . وَلَهُ اسْتِمْدَادٌ مِنْ
عِلْمِ الْمُنَاطَرَةِ الْمَشْهُورِ بِآدَابِ النِّجَاحِ . وَمَوْضُوعُهُ تِلْكَ الطَّرِيقُ وَالْفَرْضُ
مِنْهُ تَحْصِيلُ مَلَكََةِ النَّقْشِ وَالْإِبْرَامِ وَقَائِدُهُ كَثِيرَةٌ فِي الْأَحْكَامِ
الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ مِنْ جِهَةِ الْإِزَامِ عَلَى الْمُخَالِفِينَ . وَلَا يَتَعَدَّى أَنْ يُقَالَ إِنَّ
عِلْمَ الْجِدْلِ هُوَ عِلْمُ الْمُنَاطَرَةِ لِأَنَّ الْمَالَ وَنَهْمًا وَاحِدًا إِلَّا أَنَّ الْجِدْلَ
أَحْصَتْ مِنْهُ . وَيُؤَيِّدُهُ كَلَامُ ابْنِ خَلْدُونَ فِي الْمُقَدِّمَةِ حَيْثُ قَالَ :
وَأَمَّا الْجِدَالُ فَهُوَ مَعْرِفَةُ آدَابِ الْمُنَاطَرَةِ الَّتِي تَجْرِي بَيْنَ أَهْلِ
الْمَذَاهِبِ الْفَقْهِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ بَابُ الْمُنَاطَرَةِ فِي الرَّدِّ
وَالْقَبُولِ مُتَشَعِّبًا وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُنَاطِرِينَ فِي الْأَسْتِذْلَالِ وَالْجَوَابِ
يُرْسِلُ عَنَانَهُ فِي الْإِخْتِجَاحِ . وَمِنْهُ مَا يَكُونُ صَوَابًا وَمِنْهُ مَا يَكُونُ
خَطَأً فَاحْتَاجَ الْإِيَّاتُ إِلَى أَنْ يَضَعُوا آدَابًا وَأَحْكَامًا يَقِفُ الْمُنَاطِرَانِ

عِنْدَ حُدُودِهَا فِي الرَّدِّ وَالْقَبُولِ وَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ اَلْاِسْتِدْلَالِ
وَالْحُجُبِ وَحَيْثُ يَسُوغُ لَهُ اَنْ يَكُونَ مُسْتَدِلًّا وَكَيْفَ يَكُونُ
مَخْصُوصًا مُنْقَطِعًا وَمَحَلُّ اَعْتَرَاضِهِ اَوْ مُعَارَضَتِهِ وَاَيْنَ يَجِبُ عَلَيْهِ
اَلْاِسْكُوتُ وَلَخْصِيهِ اَلْكَلَامُ وَالْاِسْتِدْلَالُ. وَلِذَلِكَ قِيلَ فِيهِ اَنَّهُ
مَعْرُوفَةٌ بِالْقَوَاعِدِ مِنَ اَلْحُدُودِ وَالْاَدَابِ فِي اَلْاِسْتِدْلَالِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ
بِهَا اِلَى حِفْظِ رَأْيِهِ وَهَذِهِ كَانَ ذَلِكَ الرَّأْيُ مِنَ الْقَبْلِ اَوْ غَيْرِهِ.
وَهِيَ طَرِيقَتَانِ طَرِيقَةُ اَلْبَزْدَوِيِّ اَلْمُتَوَفَّى سَنَةِ ٤٨٢ هـ (١٠٩٠ م) وَهِيَ
خَاصَّةٌ بِالْاَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ اَلنَّصِّ وَالْاِجْمَاعِ وَالْاِسْتِدْلَالِ. وَطَرِيقَةُ
رُحْنِ اَلدِّينِ اَلْعَمِيْدِيِّ اَلْمُتَوَفَّى سَنَةِ ٦١٥ هـ (١٢١٨ م) وَهِيَ عَامَّةٌ فِي
كُلِّ دَلِيلٍ يُسْتَدَلُّ بِهِ مِنْ اَيِّ عِلْمٍ كَانَ. وَاسْتَدْلَالُهُ اِسْتِدْلَالٌ وَهُوَ
مِنَ الْمُنَاجِي اَلْحَسَنَةِ وَالْمُعَاطَاةِ فِيهِ فِي نَفْسِ الْاَمْرِ كَثِيرَةٌ وَاِذَا
اعْتَبَرْنَا اَلنَّظَرَ اَلْمُنَظَّمِيَّ كَانَ فِي الْقَالِبِ اشْبَهٌ بِالْقِيَاسِ اَلْمُعَاطِي
وَالسُّوْفِيَّاتِي. اِلَّا اَنْ صَوَّرَ اَلْاَدِلَّةُ وَالْاَقْسِيَّةُ فِيهِ مَحْضُوفَةٌ مُرَاعَاةً
تُحَرَّى فِيهَا طُرُقُ اَلْاِسْتِدْلَالِ كَمَا يَنْبَغِي وَهَذَا اَلْعَمِيْدِيُّ هُوَ اَوَّلُ
مَنْ كَتَبَ فِيهَا وَنُسِبَتِ الطَّرِيقَةُ اِلَيْهِ وَوَضَعَ اَلْكِتَابَ اَلْمُسَمَّى
بِالْاِرْشَادِ مُخْتَصَرًا وَتَبِعَهُ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنَ اَلْمُنَاجِرِينَ كَاللَّسْفِيِّ
اَلْمُتَوَفَّى سَنَةِ ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) وَغَيْرُهُ جَاءُوا عَلَى اَثَرِهِ وَسَلَكُوا مَسْلَكَهُ
وَكَثُرَتْ فِي الطَّرِيقَةِ اَلتَّالِيفُ وَهِيَ لِهَذَا اَلْمَهْدِ مَهْجُورَةٌ لِتَقْصُرِ الْعِلْمِ
وَالْعَلْمِ فِي الْاَمْصَارِ الْاِسْلَامِيَّةِ

البحث الثاني

في آداب المناظرة

(من كتاب إمام الولد للغزالي)

(راجع الصفحة ١٢٤ من علم الحطابة)

لَوْ وَقَعَ مَسْئَلَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَخْصٍ أَوْ قَوْمٍ. وَكَانَ إِرَادَتُكَ
 فِيهَا أَنْ تَطْهَرَ الْحَقُّ وَلَا تُضَيِّعَ جَازَ لَكَ التَّجَسُّعُ. لَكِنْ لِيَتْلِكَ الْإِرَادَةُ
 عَلَامَتَانِ أَحَدَاهُمَا أَنْ لَا تَفْرُقَ بَيْنَ أَنْ يَكْشِفَ الْحَقُّ عَلَى
 لِسَانِكَ أَوْ عَلَى لِسَانِ غَيْرِكَ. وَثَانِيهَا أَنْ يَكُونَ التَّجَسُّعُ فِي الْخَلَاءِ أَحَبَّ
 إِلَيْكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي الْمَلَأِ وَأَنْسَعَ إِلَيَّ أَذْكُرُكَ هُنَا فَائِدَةً.
 أَعْلَمُ أَنَّ السُّؤَالَ عَنِ الْمَشْكَلَاتِ عَرَضُ مَرَضِ الْقَلْبِ إِلَى الطَّبِيبِ
 وَالْجَوَابُ لَهُ سَعْيٌ لِإِصْلَاحِ مَرَضِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَاهِلِينَ الْمَرْضَى
 قُلُوبُهُمْ وَالْعُلَمَاءُ الْأَطِبَّاءُ. وَالْعَالِمُ النَّاقِصُ لَا يُجِنُّ الْمَعَالِجَةَ وَالْعَالِمُ
 الْكَامِلُ لَا يُعَالِجُ كُلَّ مَرَضٍ بَلْ يُعَالِجُ مَنْ يَرْجُو فِيهِ قَبُولَ الْمَعَالِجَةِ
 وَالْإِصْلَاحِ وَإِذَا كَانَتِ الْعِلَّةُ مُزِمَّةً أَوْ عَقِيًّا لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ فَخَدَاقَةُ
 الطَّبِيبِ فِيهِ أَنْ يَقُولَ: هَذَا لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ فَلَا يَشْتَغِلُ بِدَوَائِهِ
 وَمُعَالَجَتِهِ لِأَنَّ فِيهِ تَضَيُّعَ الْعَمَلِ

أَعْلَمُ أَنَّ مَرَضَ الْجَهْلِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ أَحَدُهُمْ يَقْبَلُ
 الْمَعَالِجَةَ وَالْبَاقِي لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ. وَأَمَّا الْمَرْضَى الَّذِي يَقْبَلُ الْعِلَاجَ

فَهُوَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَشِدًّا عَالِمًا عَاقِلًا فَهَذَا لَا يَكُونُ مَغْلُوبَ الْحَسَدِ
وَالْقَضْبِ وَحُبِّ الْجَاهِ وَالْآلِ وَالشَّهْوَةِ وَيَكُونُ طَالِبَ الطَّرِيقِ
الْمُسْتَقِيمِ وَلَمْ يَكُنْ سُؤَالُهُ وَأَعْتَرَاؤُهُ عَنْ حَسَدٍ وَفُتِنٍ وَأَمْتِحَانٍ
وَبَحْثٍ. وَهَذَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ فَجَوِزُ أَنْ تَشْتَغِلَ بِجَوَابِ سُؤَالِهِ بَلْ يَجِبُ
عَلَيْكَ إِجَابَتُهُ. أَمَّا الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ أَحَدُهُمْ مَنْ كَانَ سُؤَالُهُ
وَأَعْتَرَاؤُهُ عَنْ حَسَدِهِ وَبُغْضِهِ وَالْحَسَدُ لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ لِأَنَّهُ مِنْ
الْعِلَّةِ الْمُزْمَنَةِ فَكُلَّمَا تَحَبَّبَ بِأَحْسَنِ الْجَوَابِ وَأَفْصَحِهِ وَأَوْضَحِهِ لَا
يُرِيدُ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا غِيظًا وَحَسَدًا فَالطَّرِيقُ أَنْ لَا تَشْتَغِلَ بِجَوَابِهِ:

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِذَا كُنْتَ إِلَّا عَدَاوَةً مِنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدٍ
فَيَبْغِي لَكَ أَنْ تُعْرِضَ عَنْهُ وَتَذَكَّرَهُ مَعَ مَرْضِيهِ قَالَ: فَأَعْرِضْ
عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ وَالْدُنْيَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
فَتَرَدَّى وَالْحُسُودَ بِكُلِّ مَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ يُوقِدُ النَّارَ فِي ذَرْعِ عَمَلِهِ
كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ
الْخُطْبَ. وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ عِلَّةً مِنَ الْخَمَاقَةِ وَهُوَ أَيْضًا كَالْحُسُودِ
لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ كَمَا قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: (١) إِنِّي مَا عَجَزْتُ عَنْ
إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَقَدْ عَجَزْتُ عَنْ مُعَالَجَةِ الْأَخْقِ وَذَلِكَ رَجُلٌ يَشْتَغِلُ
لِطَلْبِ الْعِلْمِ زَمَانًا قَلِيلًا وَيَتَعَلَّمُ شَيْئًا مِنْ الْعِلْمِ الْعَقْلِيِّ وَالشَّرْعِيِّ
فَيَسْأَلُ وَيُعَارِضُ مِنْ حَقَائِقِهِ لَا يَعْلَمُ وَلَا يَعْقِلُ عَلَى الْعِلْمِ الْكَبِيرِ

(١) لم يرو هذا الكلام للسيد المسيح لذكره السجود لا في الانجيل ولا في

التقليد. ولا نعلم ممن رواه القرآن

فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ. وَهَذَا الْأَحَقُّ لَا يَظُنُّ أَنَّ مَا
 أَشْكَلَ عَلَيْهِ هُوَ أَيْضًا مُشْكَلٌ لِلْعَالِمِ الْكَثِيرِ قَادًا لَمْ يَتَفَكَّرْ هَذَا
 الْقَدْرَ يَكُونُ سُؤَالُهُ وَأَعْتَرَاؤُهُ مِنَ الْحَقَاقَةِ قَبْلَ أَنْ لَا يُشْتَغَلَ
 بِجَوَابِهِ. وَالثَّالِثُ أَنَّ يَكُونُ مُسْتَرْشِدًا وَيُحِيلُ كُلَّ مَا لَا يَفْهَمُ مِنْ
 كَلَامِ الْأَكْبَارِ عَلَى قُصُورِ قَهْرِهِ وَيَكُونُ سُؤَالُهُ لِلِاسْتِفَادَةِ لَكِنْ
 يَكُونُ بَلِيدًا لَا يُدْرِكُ الْحَقَّ فَلَا يَنْبَغِي الْإِسْتِغَالُ بِجَوَابِهِ أَيْضًا. وَفِي
 الْحَدِيثِ: نَحْنُ مَعَاشِرَ الْحُكَمَاءِ أَيْرَنَّا أَنْ تَكَلَّمَ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ
 وَعَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ: إِيَّاكَ أَنْ تَشْتَغَلَ بِهَذَا الْجَدَلِ الَّذِي ظَهَرَ
 بَعْدَ انْقِرَاضِ الْأَكْبَارِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّهُ يُعَيِّدُ عَنِ الْفَقْهِ وَيُضِيعُ
 الْعَمَلَ وَيُورِثُ الْوَحْشَةَ وَالْعَدَاوَةَ وَهُوَ مِنْ أَسْرَاطِ السَّاعَةِ كَذَا
 وَرَدَّ فِي الْحَدِيثِ وَفِيهِ دَرُّ الْقَاتِلِ :

أَرَى فَقَهَاءَ هَذَا الْعَصْرِ طَرَا أَعَاوُوا الْعِلْمَ وَاشْتَغَلُوا بِلَمْ لَمْ
 إِذَا تَأَذَّرْتَهُمْ لَمْ تَلَقَ مِنْهُمْ سِوَى حَرْقَيْنِ لَمْ يَلَمْ لَا نَسْلِمَ
 وَالْإِنْصَافُ أَنَّ الْجَدَلَ لِإِظْهَارِ الصَّوَابِ لَا بَأْسَ بِهِ وَرُبَّمَا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي
 تَشْجِيزِ الْأَذْهَانِ. وَالْمَنْوَعُ الْجَدَلُ الَّذِي يُضِيعُ الْأَوْقَاتَ وَلَا يَحْضُلُ
 مِنْهُ طَائِلٌ. قَالَ مَوْقِفُ الَّذِينَ الْبُغْدَادِيِّ: إِيَّاكَ الْغِلَظَةُ فِي الْخِطَابِ.
 وَالْجَمَاءُ فِي الْمُنَاطَرَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْعَبُ بِهَيْجَةِ الْكَلَامِ وَيُسْقِطُ
 قَائِدَتَهُ. وَيُعِدُّ حِلَاوَةً. وَيَجْلِبُ الضَّعَافِينَ. وَيَخْفِقُ الْمَوَدَّاتِ. وَيُصَيِّرُ
 الْقَاتِلَ مُسْتَفْظًا. سَكُونُهُ أَشْهَى إِلَى السَّامِعِ مِنْ كَلَامِهِ. وَيُثِيرُ
 النُّفُوسَ عَلَى مُعَانَدَتِهِ وَيَبْسُطُ أَلْسِنَ بِخُكَاشَتِهِ وَإِذْهَابِ حُرْمَتِهِ

البحث الثالث

في الجوابات على الخصم

(من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه)

(راجع صفحة ١١٣ من علم الخطابة)

إِنَّ الْجَوَابَاتِ هِيَ أَعْصَبُ الْكَلَامِ كُلِّهِ مَرْكَبًا وَاعَزُّهُ مَطْلَبًا
 وَأَغْمُضْهُ مَنْصَبًا وَأَضِيقْهُ مَسَلَكًا لِأَنَّ صَاحِبَهُ يُجْعَلُ مُنَاجَاةَ الْفِكْرَةِ
 وَأَسْتِعْمَالَ الْقَرِيحَةِ يَوْمُ فِي بَدِيَّتِهِ تَقْضَى مَا أَبْرَمَ الْقَاتِلُ فِي رَوِيَّتِهِ
 فَهُوَ كَمَنْ أَخَذَتْ عَلَيْهِ الْحَاجُّ وَسَدَتْ لَهُ الْحَارِجُ قَدْ اغْتَرَضَ الْأَيْسَةَ
 وَاسْتَهْدَفَ لِلرَّامِي لَا يَذَرِي مَا يُقْرَعُ لَهُ فَيَسْأَلُ لَهُ وَلَا مَا يَنْجَاهُ
 مِنْ خَصْمِهِ فَيَقْرَعُهُ بِغِلَّةٍ وَلَا سِيًّا إِذَا كَانَ الْقَاتِلُ قَدْ أَخَذَ بِجَمَاعِ
 الْكَلَامِ فَقَادَهُ بِزَمَانِهِ بَعْدَ أَنْ رَأَى فِيهِ وَاحْتَمَلَ وَجَمَعَ خَوَاطِرَهُ
 وَاجْتَهَدَ وَتَرَكَ الرَّأْيَ يَنْبُحُ حَتَّى يُخْتِمَرَ فَقَدْ كَرِهُوا الرَّأْيَ الْفَطِيرَ كَمَا
 كَرِهُوا الْجَوَابَ الدَّيْرِي فَلَا يَزَالُ فِي نَسَمِ الْكَلَامِ وَأَسْتِثْنَاهُ حَتَّى
 إِذَا أَطْلَأَ أَنْ شَارِدَهُ وَسَكَنَ نَافِرُهُ صَكَّ بِهِ خَصْمَهُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ثُمَّ
 قِيلَ لَهُ أَجِبْ وَلَا تُحْطِئْ وَاسْرِعْ وَلَا تُبْطِئْ. فَتَرَاهُ بِجَوَابِهِ مِنْ غَيْرِ
 آثَاةٍ وَلَا اسْتِعْدَادٍ يُطَبِّقُ الْمَفَاصِلَ وَيَنْقُذُ الْمَقَاتِلَ كَمَا يُرْمَى الْجَنْدَلُ
 بِالْجَنْدَلِ وَيُقْرَعُ الْحَدِيدُ بِالْحَدِيدِ فَيُجْلُ بِهِ عَرَاهُ وَيَقْضَى بِهِ مَرَارَهُ
 وَيَكُونُ جَوَابُهُ عَلَى أَكْثَرِ كَلَامِهِ كَسَيَاةٍ لَيْدَتْ عَجَاجَتَهُ فَلَا شَيْءَ
 أَنْصَلَ مِنَ الْجَوَابِ الْخَاضِرِ وَلَا أَعَزُّ مِنَ الْخَصْمِ الْآلِدِ الَّذِي يَقْرَعُ

صَاحِبُهُ وَيَضْرَعُ مُنَازَعُهُ يَقُولُ كَيْثُلُ النَّارِ فِي الْخَطْبِ الْجَزْلِ

المبحث الرابع

في المغالطة

(من كتاب كشف اصطلاحات العلوم للتهانوي وكتاب شرح المطالع)

(راجع صفحة ۱۱۷ من الجزء الثاني من علم الادب)

الْمَغَالِطَةُ هِيَ قِيَاسٌ قَاسِدٌ إِمَّا مِنْ جِهَةِ الصُّورَةِ أَوْ مِنْ جِهَةِ
الْمَادَّةِ أَوْ مِنْ جِهَتَيْهِمَا مِمَّا وَالْآتِي بِهَا غَالِطٌ فِي نَفْسِهِ مُغَالِطٌ لِغَيْرِهِ .
وَلَوْ لَا الْقُدُورُ وَهُوَ عَدَمُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ مَا هُوَ وَبَيْنَ مَا هُوَ غَيْرُهُ لَمَا
تَمَّ لِلْمَغَالِطِ صِنَاعُهُ فَهِيَ صِنَاعَةُ كَاذِبَةٍ تُنْفَعُ بِالْفَرْضِ إِذَا الْفَرْضُ مِنْ
مَعْرِفَتِهَا الْإِحْتِرَازُ عَنِ الْخَطَا وَرَبَّمَا يُعْتَمَدُ بِهَا مَنْ يُرَادُ امْتِحَانُهُ فِي
الْعِلْمِ لِيُعْلَمَ بِهِ عَدَمُ ذَهَابِ الْغَلَطِ عَلَيْهِ كَمَالِهِ وَبِنَعَاهِ عَلَيْهِ قُصُورُهُ
وَبِهَذَا الْأَعْتِبَارِ تُسَمَّى قِيَاسًا امْتِحَانِيًّا . وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ فِي تَبْكِيتِ مَنْ
يُوهَمُ الْعَوَامُّ أَنَّهُ عَالِمٌ لِيُظْهِرَ لَهُمْ عَجْزُهُ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ الصُّوَابِ وَالْخَطَا
فَيَصْدُونَ عَنِ الْإِقْتِدَاءِ بِهِ وَبِهَذَا الْأَعْتِبَارِ تُسَمَّى قِيَاسًا عِنَادِيًّا . قَالَ
شَارِحُ اشْرَاقِ الْحِكْمَةِ : مَوَادُّ الْمَغَالِطَةِ الْمُشَبَّهَاتُ لِنُظَا أَوْ مَعْنَى
وَلِهَذَا الصِّنَاعَةُ أَجْزَاءُ ذَاتِيَّةٌ صِنَاعِيَّةٌ وَخَارِجِيَّةٌ . وَالْأَوَّلُ مَا يَتَعَلَّقُ
بِالتَّبْكِيتِ الْمَغَالِطِيِّ .

وَعَلَى هَذَا فَنَقُولُ : إِنَّ أَسْبَابَ الْغَلَطِ عَلَى كَثْرَتِهَا تُرْجَعُ إِلَى

أَمْرٍ وَاحِدٍ وَهُوَ عَدَمُ التَّنْيِيزِ بَيْنَ الشَّيْءِ وَآشْبَاهِهِ ثُمَّ إِنَّمَا تَنْقَسِمُ إِ
 لَى مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَلْفَاظِ وَإِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَعْنَى. (وَالْأَوَّلُ) يَنْقَسِمُ إِلَى مَا
 يَتَعَلَّقُ بِالْأَلْفَاظِ لِأَمِنْ حَيْثُ تَرْكُهَا وَإِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ حَيْثُ
 تَرْكُهَا. (وَالْأَوَّلُ) لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِالْأَلْفَاظِ أَنْفُسِهَا وَهُوَ أَنْ
 تَكُونَ مُخْتَلِفَةً الدَّلَالَةَ فَيَقَعُ الْأَشْبَاهُ بَيْنَ مَا هُوَ الْمُرَادُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ .
 وَيَدْخُلُ فِيهِ الْإِشْرَاقُ وَالْأَشْبَاهُ وَالْحِجَازُ وَالِاسْتِعَارَةُ وَمَا يَجْرِي
 مَحْزَاهَا وَيُسَمَّى جَمِيعًا بِالْإِشْرَاقِ اللفظي . وَإِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِأَحْوَالِ
 الْأَلْفَاظِ وَهِيَ إِمَّا أَحْوَالٌ ذَاتِيَّةٌ دَاخِلَةٌ فِي صِنْعِ الْأَلْفَاظِ قَبْلَ
 تَحْصُلِهَا كَالِاسْتِثْبَاتِ فِي اللفظِ الْمُخْتَارِ بِسَبَبِ التَّضَرُّفِ إِذَا كَانَ يَمْنَى
 الْقَاعِلِ أَوْ الْمَفْعُولِ . وَإِمَّا أَحْوَالٌ عَارِضَةٌ لَهَا بَعْدَ تَحْصُلِهَا كَالِاسْتِثْبَاتِ
 بِسَبَبِ الْأَنْجَامِ . وَالْإِعْرَابِ . (وَالْمُتَلَقَّةُ بِالْتَرْكِيبِ) تَنْقَسِمُ إِلَى مَا
 يَتَعَلَّقُ الْأَشْبَاهُ فِيهِ بِنَفْسِ التَّرْكِيبِ كَمَا يُقَالُ : كُلُّ مَا يَتَصَوَّرُهُ
 الْقَاعِلُ فَهُوَ كَمَا يَتَصَوَّرُهُ . فَإِنَّ لَفْظَ (هُوَ) يُوَدُّ تَارَةً إِلَى الْمَفْعُولِ
 وَتَارَةً أُخْرَى إِلَى الْقَاعِلِ وَإِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِوُجُودِهِ وَعَدَمِهِ أَيْ بِوُجُودِ
 التَّرْكِيبِ وَعَدَمِهِ . وَهَذَا الْآخِرُ يَنْقَسِمُ إِلَى مَا لَا يَكُونُ الدَّكَيبُ
 فِيهِ مَوْجُودًا فَيُظَنُّ مَعْدُومًا وَيُسَمَّى تَفْصِيلَ الْمَرْكَبِ . وَإِلَى عَكْسِهِ
 وَيُسَمَّى تَرْكِيبَ الْمُفَصَّلِ وَأَمَّا (الْمُتَلَقَّةُ بِالْمَعْنَى) فَلَا بُدَّ أَنْ تَتَعَلَّقَ
 بِالتَّأْلِيفِ بَيْنَ الْمَعْنَى إِذَا الْأَفْرَادُ لَا يُتَصَوَّرُ فِيهَا غَلْطٌ لَوْ لَمْ يَقَعْ فِي
 تَأْلِيفِهَا بِخَوْفٍ مَا وَلَا يَخْلُو مِنْ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِتَأْلِيفِ يَقَعُ بَيْنَ الْقَضَايَا
 أَوْ بِتَأْلِيفِ يَقَعُ فِي قَضِيَّةٍ وَاحِدَةٍ . وَالْوَاقِعَةُ بَيْنَ الْقَضَايَا إِمَّا قِيَاسِيَّةٌ

أَوْ غَيْرُ قِيَاسِي. وَالْمُتَعَلِّقَةُ بِالتَّأْلِيفِ الْقِيَاسِيَّةِ إِمَّا أَنْ تَتَّعَ فِي الْقِيَاسِ
نَفْسَهُ لَا قِيَاسِيهِ إِلَى نَتِيجَتِهِ أَوْ تَتَّعَ فِيهِ قِيَاسِيهِ إِلَى نَتِيجَتِهِ.
وَالْوَاقِعَةُ فِي نَفْسِ الْقِيَاسِ إِمَّا أَنْ تَتَّعَلَ قِبَادَتُهُ أَوْ بِصُورَتِهِ. أَمَّا
(الْمَلَذِيَّةُ) فَكَمَا تَكُونُ مَثَلًا بِحَيْثُ إِذَا رُبَّتْ أَلْمَانِي فِيهَا
عَلَى وَجْهِ يَكُونُ صَادِقًا لَمْ تَكُنْ قِيَاسًا وَإِذَا رُبَّتْ عَلَى وَجْهِ
يَكُونُ قِيَاسًا لَمْ يَكُنْ صَادِقًا كَقَوْلِنَا: كُلُّ إِنْسَانٍ نَاطِقٌ مِنْ حَيْثُ
هُوَ نَاطِقٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ النَّاطِقِ مِنْ حَيْثُ هُوَ نَاطِقٌ بِحَيَوَانٍ إِذَا مَعَ
إِثْبَاتِ قَيْدٍ (مِنْ حَيْثُ هُوَ نَاطِقٌ) فِيهَا تَكْذِيبُ الصُّغْرَى وَمَعَ حَذْفِ
عَنْهَا تَكْذِيبُ الْكُبْرَى. وَإِنْ حُذِفَ مِنَ الصُّغْرَى دَأْبَتُ فِي
الْكُبْرَى تَغْلِبُ صُورَةُ الْقِيَاسِ لِعَدَمِ اشْتِرَاكِ الْأَوْسَطِ. وَأَمَّا (الصُّورِيَّةُ)
فَكَمَا تَكُونُ مِنْهُ عَلَى ضَرْبٍ غَيْرِ مُتَّبِعٍ تَكُونُ أَيْضًا عَلَى ضَرْبٍ مُتَّبِعٍ.
وَهَذَا يُنْسَى سُوءُ التَّأْلِيفِ بِاعْتِبَارِ الْبَرْهَانِ وَسُوءُ التَّزْيِيبِ بِاعْتِبَارِ
غَيْرِهِ. وَأَمَّا (الْوَاقِعَةُ فِي الْقِيَاسِ بِالْقِيَاسِ إِلَى النَتِيجَةِ) فَتَقْسِمُ إِلَى
مَا لَا يَكُونُ النَتِيجَةُ مُغَايِرَةً لِأَحَدِ أَجْزَاءِ الْقِيَاسِ فَلَا يَحْصُلُ
بِالْقِيَاسِ عِلْمٌ زَائِدٌ عَلَى مَا فِي الْمَقْدَمَاتِ وَتَنْسَى مُصَادَرَةُ عَلَى
الْمَطْلُوبِ. وَإِلَى مَا تَكُونُ مُغَايِرَةً لِكُنْهَا لَا تَكُونُ مَا هِيَ الْمَطْلُوبُ
مِنْ ذَلِكَ الْقِيَاسِ وَيُنْسَى وَضْعُ مَا لَيْسَ بِمِلَّةٍ كَقَوْلِنَا: الْإِنْسَانُ
وَحْدَهُ فَخَالِكُ كُلِّ فَخَالِكٍ حَيَوَانٌ. وَأَمَّا (الْوَاقِعَةُ فِي قَضَايَا لَيْسَتْ
بِقِيَاسٍ) فَتُنْسَى جَمْعُ السَّائِلِ فِي مَسْئَلَةٍ كَمَا يُقَالُ: زَيْدٌ وَحْدَهُ
كَاتِبٌ. فَإِنَّهُ قَضِيَّتَانِ لِإِقَادَتِهِ أَنَّهُ لَيْسَ غَيْرُهُ كَاتِبًا. وَأَمَّا (الْمُتَعَلِّقَةُ

بِالْقَضِيَّةِ الْوَاحِدَةِ) فَأَمَّا أَنْ تَقَعَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِجُزْئِي الْقَضِيَّةِ جَمِيعًا وَذَلِكَ
يَكُونُ بِوُقُوعِ أَحَدِهِمَا مَكَانَ الْآخَرِ وَيُسَمَّى إِيهَامُ الْعَكْسِ. وَمِنْهُ
الْحُكْمُ عَلَى الْجَنَسِ بِحُكْمِ نَوْعٍ مِنْهُ مُنْدَرِجٌ تَحْتَهُ نَحْوُ: هَذَا لَوْ
وَاللَّوْنُ سَوَادٌ فَهَذَا سَوَادٌ. وَمِنْهُ الْحُكْمُ عَلَى الْمَطْلُوقِ بِحُكْمِ الْمُقَيَّدِ
بِحَالٍ أَوْ وَقْتٍ نَحْوُ: هَذِهِ رَقَبَةٌ وَالرَّقَبَةُ مُؤَمَّنَةٌ. وَإِنَّمَا أَنْ تَقَعَ فِيمَا
يَتَعَلَّقُ بِجُزْءٍ وَاحِدٍ مِنْهَا. وَتَنْقَسِمُ إِلَى مَا يُورَدُ فِيهِ بِدَلِّ الْخَبَرِ غَيْرُهُ بِمَا
يُشَبِّهُهُ كَمَا وَارِضُهُ أَوْ مَعْرُوضَاتِهِ مِنْهُ وَيُسَمَّى أَخْذُ مَا بِالْعَرَضِ مَكَانَ
مَا بِالذَّاتِ كَمَنْ رَأَى الْإِنْسَانَ أَنَّهُ يَلْزَمُ لَهُ التَّوَهُّمُ وَالْكَتْلِفُ فَظَنَّ
أَنَّ كُلَّ مَتَوَهُّمٍ مُكَافٍ. وَإِلَى مَا يُورَدُ فِيهِ الْخَبَرُ نَفْسُهُ وَلَكِنْ لَا عَلَى
الْوَجْهِ الَّذِي يَتَّبِعِي كَمَا يُؤْخَذُ مَعَهُ مَا لَيْسَ فِيهِ نَحْوُ: زَيْدٌ الْكَاتِبُ
إِنْسَانٌ. أَوْ لَا يُؤْخَذُ مَعَهُ مَا هُوَ مِنَ الشَّرْطِ أَوْ الْقِيودِ كَمَنْ يَأْخُذُ
غَيْرَ الْمَوْجُودِ كَاتِبًا غَيْرَ وَجُودٍ مُطْلَقًا وَيُسَمَّى سُوءَ اعْتِبَارِ الْحَمْلِ. فَقَدْ
حَصَلَ مِنَ الْجَمِيعِ ثَلَاثَةٌ عَشَرَ زَعَا سِتَّةٌ مِنْهَا لَفْظِيَّةٌ يَتَعَلَّقُ ثَلَاثَةٌ
مِنْهَا بِاللِّسَانِ هِيَ الْأَشْرَافُ فِي جَوْهَرِ اللَّفْظِ وَفِي أَحْوَالِهِ الدَّائِيَّةِ
وَفِي أَحْوَالِهِ الْغَرَضِيَّةِ وَثَلَاثَةٌ مِنْهَا بِالِتَّرْكِيبِ وَهِيَ الَّتِي فِي نَفْسِ
التَّرْكِيبِ وَتَفْصِيلِ التَّرْكِيبِ وَتَرْكِيبِ الْفَصْلِ. وَسَبْعَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ. أَرْبَعَةٌ
مِنْهَا بِاعْتِبَارِ الْأَعْضَايَا التَّرْكِيبِيَّةِ وَهِيَ سُوءُ التَّأْلِيفِ وَالْمُصَادَرَةُ عَلَى
الْمَطْلُوبِ وَوَضْعُ مَا لَيْسَ بِعِلَّةٍ وَجَمْعُ الْمَسَائِلِ فِي مَسْئَلَةٍ وَاحِدَةٍ.
وَثَلَاثَةٌ بِاعْتِبَارِ الْقَضِيَّةِ الْوَاحِدَةِ وَهِيَ إِيهَامُ الْعَكْسِ وَأَخْذُ مَا
بِالْعَرَضِ مَكَانَ مَا بِالذَّاتِ وَسُوءُ اعْتِبَارِ الْحَمْلِ. فَهَذِهِ هِيَ الْأَجْزَاءُ

الذاتية الصاعية لصناعة العالطة. ولما أخرجيات فما يقتضي العالطة
بالعرض كالشيع على الخطاب وسوق كلامه إلى التذنب بزيادة
أو تأويل وليراد ما يحذر أو يحينه من إغلاق العبارة أو المبالغة
في أن المعنى دقيق أو ما يمنعه من الفهم كالحط بالحشو والهديان
التكرار وغير ذلك مما أشتل عليه كتاب الشفاء وغيره من
الطولات

المبحث الخامس

في مقاطع الكلام

(من كتاب الصائتين لابن هلال العسكري)

(راجع الصفحة ١٢٥ من علم الخطابة)

قال المأمون لبعضهم: من أبلغ الناس قال من قرب الأمر
البعيد والمتأول الصعب الدرك بالالفاظ اليسيرة. قال: ما عدل
سهمك عن العرض ولكن البليغ من كان كلامه في مقدار
 حاجته لا يحيل الفكرة في اختلاس ما صعب من الالفاظ ولا
يكره المعاني على اثرها في غير مذهبها ولا يتعمد الغريب
الوحيي ولا الساقط الشوقي فإن البلاغة إذا اعتدلتها المعرفة
بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بها ظلم. وقال أبو
العباس السفاح لكتابه: وقف عند مقاطع الكلام وحدوده
وأيالك أن تحاط المرعي بالمهمل ومن حلية البلاغة المعرفة

بِمَرَّاضِعِ الْفَضْلِ وَالْوَصْلِ. وَقَالَ الْأَخْفُ بْنُ قَيْسٍ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا
تَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ الْوُقُوفَ عِنْدَ مَقَاطِعِ الْكَلَامِ وَلَا عَرَفَ حُدُودَهُ
إِلَّا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ تَفَقَّدَ مَقَاطِعِ الْكَلَامِ وَأَعْطَى
حَقَّ الْمَقَامِ وَقَاصَ فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَكَانِي بِالطَّفِ مَخْرَجٍ حَتَّى كَانَ
يَقِفُ عِنْدَ الْمَقَاطِعِ وَقُوفاً يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَبْتَغِيهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ
وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ :

إِذَا مَا بَدَأَ بَيْنَ الْخَلَاءِ قَائِلًا أَصَابَ بِنَا يُوحَى إِلَيْهِ الْمَفَاصِلَا
وَلَا أَعْرِفُ فَضْلًا فِي كَلَامٍ مَثُورٍ أَحْسَنَ مِمَّا أُخْبِرَ عَنْ شَيْبِ
أَبْنِ سُبَّةٍ فَإِنَّهُ إِذْ كَانَ يَوْمًا قَاعِدًا بِبَابِ الْمَهْدِيِّ أَقْبَلَ عَبْدُ
الصَّمدِ بْنُ الْفَضْلِ الرَّقَاشِيُّ فَلَمَّا رَأَاهُ شَيْبٌ قَالَ : أَمَا كُمْ وَاللَّهِ
كَلِمُ النَّاسِ فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ لَهُ شَيْبٌ : تَكَلَّمْ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ. فَقَالَ :
أَمَعَكَ يَا أَبَا مَعْمَرٍ وَأَنْتَ خَطِيبُنَا وَسَيِّدُنَا. قَالَ : نَعَمْ فَوَاللَّهِ مَا
رَأَيْتُ قَلْبًا أَقْرَبَ مِنْ لِسَانٍ مِنْ قَلْبِكَ مِنْ لِسَانِكَ. فَقَالَ أَيُّ نَبِيٍّ
تُحِبُّ أَنْ أَتَكَلَّمَ. (قَالَ) وَإِذَا شِئْخٌ مَعَهُ عَصَا يَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا فَقَالَ شَيْبٌ :
صِفْ هَذِهِ الْعَصَا. فَحَمِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ ذَكَرَ السَّمَاءَ
فَقَالَ : رَفَعَهَا اللَّهُ بِقُوَّةِ عَمْدٍ وَجَمَلَ فِيهَا نُجُومَ رَجَمٍ وَنُجُومَ أَعْيَادٍ وَأَدَارَ
فِيهَا سِرَاجًا وَقَرَأَ مُنِيرًا لِيَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَأَتَرَلَ مِنْهَا مَاءَ
مُبَارَكًا أَحْيَا بِهِ الزَّرْعَ وَالضَّرْعَ وَأَدَّرَ بِهِ الْأَقْوَاتَ وَحَفِظَ بِهِ الْأَرْوَاحَ
وَأَنْبَتَ بِهِ أَنْوَاعًا مُخْتَلِفَةً يَصْرِفُهَا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ تَكُونُ حَبَّةً
تَمُرُّ بِجَمَلِهَا عِرْقًا ثُمَّ يُعْقِمُهَا عَلَى سَاقٍ. فَبَيْنَا نَرَاهَا حَضْرَاءَ تَرْفَةٌ إِذْ

صَارَتْ يَابِسَةً تَنْقُصُ بِهَا الْعِبَادُ وَيُعْمَرُ بِهَا الْإِلَادُ وَجَعَلَ مِنْ نَسْلِهَا
هَذِهِ الْعَصَا (ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الشَّيْخِ فَقَالَ) : فَكَانَ هَذَا أَوْجَدَهُ اللَّهُ بَعْدَ
عَدَمِهِ وَأَنْشَأَهُ أَمْرَدٌ وَشَابًا وَبَعْدَهُ مُكْتَبَلًا ثُمَّ شَيْخًا حَتَّى صَارَ إِلَى
هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الْكِبَرِ فَاجْتَاجَ فِي آخِرِ حَالَتِهِ إِلَى هَذِهِ الْعَصَا
فَتَبَارَكَ اللَّهُ الْمُدَبِّرُ لِلْعِبَادِ. قَالَ شَيْبُ بْنُ شُبَّةٍ : قَمَا سَمِعْتُ كَلَامًا
عَلَى يَدَيْهِ أَحْسَنَ مِنْهُ. وَلَمَّا أَقَامَ أَبُو جَعْفَرٍ صَالِحًا خَطِيبًا بِحَضْرَةِ
شَيْبِ بْنِ شُبَّةٍ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ مَكَكَمَ أَقْبَلَ شَيْبٌ فَقَالَ :
يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَمْ تُدْرِكْ مَا رَأَيْتَ كَالْيَوْمِ أَبِينَ يَنَا وَلَا أَرْبَطَ جَانًا وَلَا
أَقْضَعَ لِسَانًا وَلَا أَبْلَى رِيَّةً وَلَا أَعْمَضَ عُرُوقًا وَلَا أَحْسَنَ طَرِيقًا إِلَّا
أَنَّ الْجَوَادَ عَسِيراً لَمْ يَرْضَ حِمْلَتَهُ الْقُوَّةَ عَلَى تَمَسُّبِ الْأَصْكَامِ
وَحَبْطِهَا وَتَرَكَ الطَّرِيقَ الْأَحَبَّ وَأَتَمَّ اللَّهُ إِنْ لَوْ عَرَفَ فِي خُطْبَتِهِ
مَقَاطِعَ الْكَلَامِ لَكَانَ أَقْضَى مِنْ طَلْقِ بِلْسَانِهِ. وَقَالَ الْأَمَّامُونَ :
مَا أَعْجَبُ بِيَكْتَابِ أَحَدٍ كَانَعَجَالِي بِيَكْتَابِ الْقَسَمِ. بِنِ عَيْسَى فَإِنَّهُ فِي غُرَّةِ
عُمُرِهِ وَيُجِيبُ مَفَاصِلَ الْكَلَامِ وَلَا تَدْعُوهُ الْقُدْرَةُ إِلَى الْإِطْطَابِ
وَلَا تَمِيلُ بِهِ الْفَرَارَةُ إِلَى الْإِسْهَابِ يُجَلِّي عَنْ مُرَادِهِ فِي كُتُبِهِ وَيُجِيبُ
الْمُتَرَدِّى فِي الْقَاطِطِ. وَكَانَ يَرِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ : إِيَّاكُمْ أَنْ تَجْهَلُوا
الْقُضْلَ وَضَلَّافَتَهُ أَشَدُّ وَأَعْجَبُ وَأَعْيَبُ مِنَ الْخَمْرِ. وَلَيْكُنْ
أَتَقَمُّدُ لِقَاطِعِ الْكَلَامِ مِنْكُمْ عَلَى بَالٍ. وَكَانَ أَكْثَرُ بَنِي صَنِيعِي
إِذَا كَانَتْ مُلُوكُ الْجَاهِلِيَّةِ تَسْتَكْتِبُهُ قَالَ لِكَاتِبِهِ : أَفْصَلُوا بَيْنَ
مُنْقَضَى قُضْلٍ وَصِلُوا إِذَا كَانَ الْكَلَامُ مَعْجُونًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ. وَكَانَ

الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ الْقَسَائِي يَقُولُ لِكَاتِبِهِ الْمُرْقَشِ : إِذَا تَرَعَ بِكَ
 الْكَلَامُ إِلَى أَيْدَاءٍ مَعْنَى غَيْرِ مَا أَنْتَ فِيهِ فَصِلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا
 يَتَّبِعُهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ فَإِنَّكَ إِنْ مَذَقْتَ أَلْفَاظَكَ بِغَيْرِ مَا يَحْسُنُ أَنْ
 تَمَذَّقَ بِهِ نَفَرَتِ الْقُلُوبُ عَنْ وَعِيهَا وَمَلَّتْهُ الْأَسْمَاعُ وَاسْتَقْلَلَتْهُ الرُّوَاةُ.
 وَكَانَ بَرُّ رُجْمَرٍ يَقُولُ : إِذَا مَدَحْتَ رَجُلًا وَهَجَرْتَ آخَرَ فَأَجْعَلْ بَيْنَ
 الْقَوْلَيْنِ فُضْلًا حَتَّى تَعْرِفَ الْمَدْحَ مِنَ الْعِجَاءِ كَمَا تَفْعَلُ فِي كُتُبِكَ إِذَا
 اسْتَأْنَفْتَ الْقَوْلَ وَأَكْمَلْتَ مَا سَلَفَ مِنَ الْفَلْظِ. وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ
 سَهْلٍ لِكَاتِبِهِ الْخُرَائِي : مَا مَزَلَهُ الْكَاتِبُ فِي قَوْلِهِ وَفِيهِ. قَالَ :
 أَنْ يَكُونَ مَطْبُوعًا مُخْتَبَكًا بِالنَّجْرَةِ سَالِمًا بِجَلَالِ الْكِتَابِ وَالنَّسَبِ
 وَحَرَائِمِهَا بِالذُّهْرِ فِي تَدَارُهَا وَتَعَرُّفِهَا وَبِالْمُلُوكِ فِي سِيَرِهَا وَأَيَّامِهَا
 مَعَ بَرَاةِ الْفَلْظِ وَحُسْنِ النُّسْقِ وَتَأْلِيفِ الْأَوْصَالِ بِمُشَاكَلَةِ
 الْأَسْتِعَادَةِ وَبِشَرْحِ الْمَعْنَى حَتَّى يُنْصَبَ صُورُهَا. وَيَقْلَعُ الْكَلَامَ
 وَمَعْرِقَةَ الْفَضْلِ مِنَ الْوَضَلِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَهُوَ كَاتِبٌ
 مُجِيدٌ. وَقَالَ الْمَأْمُونُ : مَا أَحْفَظُ مِنْ رَجُلٍ شَيْئًا كَحَفْظِي عَنِ الْفَضْلِ
 وَالْوَضَلِ فِي كِتَابِيهِ وَالْفَخْصِ مِنَ الْخَاوِلِ إِلَى الْمَعْقُودِ وَإِنْ لِكُلِّ
 شَيْءٍ جَمَالًا وَحِلْيَةً أَلِصَّابَ وَجَاهَهُ اِيْمَاعُ الْفَضْلِ وَقَعَّةُ وَمُحَدِّ
 الْفِكْرِ وَاجَاتُهَا فِي لُطْفِ الْفَخْصِ مِنَ الْمَعْقُودِ إِلَى الْخَاوِلِ. (بُلَا) :
 وَمَعْنَى الْمَعْقُودِ وَالْخَاوِلِ هَاهُنَا هُوَ أَنْكَ إِذَا أَبْتَدَأْتَ مُحَاطَبَةً ثُمَّ لَمْ
 تَنْتَهَ إِلَى مَوْضِعِ الْفَخْصِ فَأَعَقَدْتَ عَلَيْهِ كَلَامَكَ سُبْحِي الْكَلَامَ
 مَعْقُودًا. وَإِذَا شَرَحْتَ الشُّرُورَ وَأَبْنَتَ عَنِ الْقُرُصِ الْمَذْرُوعِ إِلَيْهِ

سُمِّيَ الْكَلَامُ مَحَلًّا مِثَالُ ذَلِكَ مَا كَتَبَ بَعْضُهُمْ أَنْظَرَ سَدَّ اللَّهُ
رَأْيَكَ أَنْ لَا تَدْعُوكَ مَقْدَرْتُكَ عَلَى الْكَلَامِ إِلَى إِطَالَةِ الْعُقُودِ فَإِنَّ
ذَلِكَ مِنْسَاءَ مَا أَكُنْتَهُ فِي صَدْرِكَ وَأَوْرَدْتَ تَضْيِيقَهُ فِي كِتَابِكَ .
وَأَعْلَمُ أَنَّ إِطَالََةَ الْعُقُودِ تُورِثُ نِسْيَانَ مَا عَدَدْتَ عَلَيْهِ كَلَامَكَ
وَأَزْتَهَتْ بِهِ فِكْرَتَكَ . وَكَانَ شَيْبُ بْنُ شُبَّةٍ يَقُولُ لَمْ أَرُ مُتَكَلِّمًا
قَطُّ أَذْكَرَ لِمَا عَدَّ عَلَيْهِ كَلَامَهُ وَلَا أَحَقَّظَ لِمَا سَلَفَ مِنْ طُغْيَانِهِ مِنْ
خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ يُشِيعُ الْعُقُودَ بِالْمَعَانِي يَضْعُبُ الْخُرُوجَ مِنْهَا إِلَى
غَيْرِهَا ثُمَّ يَأْتِي بِالْحَوُولِ وَاضْحَايَاتِنَا وَمَشْرُوحَا مَنُورًا وَكَانَ السَّامِعُ لَا
يَعْرِفُ مَفْزَاهُ وَمَقْصَدَهُ فِي أَوَّلِ كَلَامِهِ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى آخِرِهِ . وَقَالَ
بَعْضُهُمْ : لَيْسَ عَمَلٌ مِنَ الْقَائِلِ أَنْ يُكْتَمَ مَفْزَاهُ عَنِ السَّامِعِ لِكَلَامِهِ
فِي أَوَّلِ آبِتْدَائِهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِهِ بَلْ الْأَحْسَنُ أَنْ يَكُونَ
فِي عَنَدِ كَلَامِهِ دَلِيلٌ عَلَى حَاجَتِهِ وَمُبَيِّنٌ لِمَفْزَاهُ وَمَقْصَدِهِ كَمَا أَنَّ
أَخِيرَ آيَاتِ الشِّعْرِ مَا إِذَا سَجَتْ صَدْرُهُ عَرَفَتْ قَافِيَتَهُ . وَكَانَ
شَيْبُ بْنُ شُبَّةٍ يَقُولُ : النَّاسُ مُوَكَّلُونَ بِتَعْظِيمِ جُودَةِ الْإِبْتِدَاءِ
وَبِذْنِ صَاحِبِهِ وَأَنَا مُوَكَّلٌ بِتَعْظِيمِ جُودَةِ الْقَطْعِ وَبِذْنِ صَاحِبِهِ
وَخَيْرُ الْكَلَامِ مَا وَقِفَ عِنْدَ مَقَاطِعِهِ وَبَيْنَ مَوَاقِعِ فُضُولِهِ



الفصل الثامن

في التعبير

البحث الأول

في خواصّ تعبير الخطيب

(من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه)

(راجع الصفحة ١٣٢ من علم الخطابة)

مَرَّ بِشَرُّ بْنِ الْمُعْتَمِرِ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّكَوِيِّ
الْخَطِيبِ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِتْيَانَهُمُ الْخُطَابَةَ فَوَقَفَ بِشَرُّ يَسْتَعِمْ قُظْنَ
إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ إِنَّمَا وَقَفَ لِيَسْتَفِيدَ أَوْ يَكُونَ رَجُلًا مِنَ النُّظَارَةِ فَقَالَ
بِشَرُّ: اضْرِبُوا عَمَّا قَالَ صَحْحًا وَأَطُوا عَنْهُ كَشْحًا. ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِمْ
صَحِيفَةً مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ فِيهَا: خُذْ مِنْ نَفْسِكَ سَاعَةً تَشَاظِكُ وَفَرَاغَ
بَالِكَ وَاجَابَتِهَا إِيَّاكَ فَإِنَّ نَفْسَكَ تِلْكَ السَّاعَةُ أَكْرَمُ جَوْهَرًا
وَأَشْرَفُ حَسَبًا وَأَحْسَنُ فِي الْإِسْتِمَاعِ وَأَخْلَى فِي الصُّدُورِ وَأَسْلَمُ
مِنْ فَاحِشِ الْخَطَا وَأَجْلَبُ لِكُلِّ عَيْنٍ مِنْ لَقْظٍ شَرِيفٍ وَمَعْنَى
بَدِيعٍ. وَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ أَجْدَى عَلَيْكَ يَمَا يُطِيقُكَ يَوْمُكَ الْأَطْوَلُ
بِالْكَدِ وَالْمُطَاوَلَةِ وَالْمُجَاهَدَةِ بِالتَّكْلِيفِ وَالْمُاعَاوَدَةِ. وَمَهْمَا أَخْطَاكَ

لَمْ يُخْطِئْكَ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولًا قَضَاءً وَخَفِيفًا عَلَى اللِّسَانِ سَهْلًا وَكَذَا
خَرَجَ مِنْ يَتْبُوعِهِ وَتَجَمَّ مِنْ مَغْدِبِهِ. وَإِيَّاكَ وَالتَّوَعُّرَ فَإِنَّ التَّوَعُّرَ
يُسَبِّلُكَ إِلَى التَّعْقِيدِ وَالتَّعْقِيدُ هُوَ الَّذِي يَسْتَهْلِكُ مَعَانِيكَ وَيَشِينُ
الْقَاطِطَكَ وَمَنْ أَذَاعَ مَعْنَى كَرِيحًا فَلَيْتَسِسَ لَهُ لَفْظًا كَرِيحًا فَإِنَّ حَقَّ
الْمَعْنَى الشَّرِيفِ اللَّفْظُ الشَّرِيفُ وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تَصُونَهَا عَمَّا يُفْسِدُهَا
وَيُهَيِّجُهَا وَعَمَّا تُؤَدُّ مِنْ أَجْلِهِ إِلَى أَنْ تَكُونَ أَسْوَأَ حَالًا مِنْكَ قَبْلَ
أَنْ تَلْتَسِسَ إِظْهَارَهَا وَتَرْهَنَ نَفْسَكَ بِمِلَابَسَتِهَا وَقَضَاءِ حَقِّهَا. فَكُنْ
فِي ثَلَاثَةِ مَازِلَ فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ لَفْظُكَ رَشِيقًا عَذْبًا أَوْ
تَحْمًا سَهْلًا وَيَكُونَ مَعَاكَ ظَاهِرًا مَكْشُوفًا وَقَرِيبًا مَعْرُوفًا إِمَّا عِنْدَ
الْخَاصَّةِ إِنْ كُنْتَ لِلْخَاصَّةِ قَصِدْتَ وَإِمَّا عِنْدَ الْعَامَّةِ إِنْ كُنْتَ لِلْعَامَّةِ
أَرَدْتَ. وَالْمَعْنَى لَيْسَ يَتَضَعُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مَعَانِي الْعَامَّةِ. وَإِنَّمَا
مَدَارُ الْأَمْرِ عَلَى الشَّرَفِ مَعَ الصَّوَابِ وَإِخْرَازِ الْمُنْفَعَةِ مَعَ مُوَائِقَةِ
الْحَالِ وَمَا يَجِبُ لِكُلِّ مَقَامٍ مِنَ الْقَالِ. وَكَذَلِكَ اللَّفْظُ الْعَامِيُّ
وَالْخَاصِّيُّ فَإِنْ أَمَكَّنَكَ أَنْ تَبْلُغَ مِنْ بَيَانِ لِسَانِكَ وَبَلَاغَةِ لَفْظِكَ
وَلُطْفِ مَدَاخِلِكَ وَقُدْرَتِكَ فِي نَفْسِكَ عَلَى أَنْ تُفْهَمَ الْعَامَّةُ مَعَانِي
الْخَاصَّةِ وَتَكْشُوهَا بِالْقَاطِطِ الْمُرْتَبِطَةِ الَّتِي لَا تَلْطَفُ عَنِ الدَّهَاءِ وَلَا
تُخَفُّ عَنِ الْإِكْفَاءِ فَأَنْتَ أَلْيَغُ النَّاسِ. فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَبَلَةَ
جُعِلَتْ فِدَاكَ أَنَا أَخْرَجَ إِلَى تَلْمِيذِي هَذَا الْكَلَامَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْفِلَةِ

البحث الثاني

في بلاغة كلام العرب وكلام العجم

(من رسالة)

(راجع الصفحة ٢٠٧ من علم الادب)

كُنْتُ ذَكَرْتُ لَكَ أَسْعَدَكَ اللَّهُ إِكْتِنَارَ النَّاسِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي
وَصْفِ الْبَلَاغَةِ وَتَرْيِيفِهِمْ أَقُولُ فِي أَقْسَامِهَا وَأَنْوَاعِهَا وَأَنَّهَا الْفَاطَةُ
يُعَبَّرُ بِهَا عَنِ الْمَعْنَى فَمَا يَكُونُ فِي الظَّنِّ وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي
الْتِفَاتٍ وَيَكُونُ فِي الْمَكَاتِبِ وَالرَّسَائِلِ وَالْخُطَبِ وَالنَّشِيبَاتِ
وَالْأَوْصَافِ وَفِي السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. فَمَا بَلَاغَةُ الشِّعْرِ
فَعْدُوبَةُ الْأَلْفَاظِ وَتَغْرِيبُ الْمَعْنَى وَابْتِسَاقُ الظَّنِّ وَرَشَاقَةُ الْمَعْرُضِ
كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْخَلْقَ عَمَكَ وَاسِعُ
وَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي وَصْفِ فَرَسِهِ وَالنَّشِيبِ (بَيْدِ الْأَوَائِدِ).
وَقَوْلِ الْأَعْمَشِيِّ : (فَهُمْ سَاكِتُونَ وَالْمَلِيَّةُ تَنْطِقُ). وَمِنْهَا مَا يَكُونُ
بِلِصَابَةِ الْمَعْنَى وَقَرَعِ الْحُجَّةِ وَالْأَصْلُ عِنْدَهُمْ فِيهَا أَنَّهَا الْفَاطَةُ يُعَبَّرُ
بِهَا عَنِ الْمَعْنَى فَاحْسِنَهَا مَا يَرِيدُ فِي كَشْفِ الْمَعْنَى مَعَ اخْتِصَارِهِ بِأَقَلِّ
مَا يُمَكِّنُ مِنَ الْبَيَارِقِ بِاعْذَابِ الْأَلْفَاظِ وَاحْتِمَا عَلَى الْأَسْمَاعِ
وَأَقْرَبَهَا إِلَى الْقُلُوبِ ثُمَّ ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّ الْبَلَاغَةَ لَيْسَتْ مَقْصُودَةً
عَلَى أُمَّةٍ دُونَ أُمَّةٍ وَلَا عَلَى مَلِكٍ دُونَ سُوقَةٍ وَلَا عَلَى لِسَانٍ دُونَ

لِسَانٍ بَلِّ هِيَ مَشْرُومَةٌ عَلَى أَكْثَرِ الْأَلْسِنَةِ فَهُمْ فِيهَا مُشْتَرِكُونَ
وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي كَلَامِ الْيُونَانِيَّةِ وَكَلَامِ الْأَنْجَمِ وَكَلَامِ الْهِنْدِ
وغيرهم وَلَكِنَهَا فِي الْعَرَبِ أَكْثَرُ لِكَثْرَةِ تَصَرُّفِهَا فِي أَثَرِ وَالنَّظْمِ
وَالْخُطْبِ وَالْكِتَابِ وَالسَّجْعِ وَالْمَزْدُوجِ وَالرَّجَزِ وَهُمْ أَيْضًا مُتَعَاوِنُونَ
فِيهَا فَقَدْ يَكُونُ الْقَبْدُ بَلِيغًا وَلَا يَكُونُ سَيِّدُهُ وَتَكُونُ الْأُمَّةُ
بَلِيغَةً وَلَا تَكُونُ رَبَّتَهَا. فَالْبَلَاغَةُ قَدْ تَكُونُ فِي أَغْرَابِ الْبَلَادِيَةِ
دُونَ مُلُوكِهَا وَقَدْ يُخْشِنُهَا الْعَبِيُّ وَالْمَرَأَةُ... قَالَ أَسْخَجُ أَبُو أَحْمَدَ :
وَرَنْ نَحْيِبَ مَا فِيهِ وَبَعْدَ تَأْفِيهِ أَنْ يَأْتِي بَدْوِي أَيْمِي جِلْفُ جَافٍ
فَيَسْتَدِيعُ بِفِكَرِهِ وَقَرِيحَتِهِ الْمَغْنَى الْبَدِيعَ وَالنَّشِيبَةَ الْمَصِيبَ وَالسُّوَالَ
الْأَطْلِفَ وَالْمَدْحَ الشَّرِيفَ وَالنَّزْلَ الرَّقِيقَ وَالْهَجَاءَ الْمُلَوِّجَ وَالذَّمَّ
الْمُلَاقَ يُنْظَمُ عَجِيبٌ وَقَوَافٍ مُنْتَظِمَةٌ وَأَوْدَانٌ تَامَّةٌ وَأَقْسَامٌ مُعَدَّةٌ
وَاللُّغَاظُ فَصِيحَةٌ تَذْبَعُ يَشْتَهِي سَامِعُهَا أَنْ يَحْفَظَهَا ثُمَّ يَشْتَهِي أَنْ
يُحَاضِرَ أَهْلَ الْمُرُوءَاتِ بِهَا مُنْبَثِلًا أَوْ شَاكِرًا أَوْ عَاتِبًا أَوْ مُهَيِّئًا أَوْ مُعَرِّيًا
فَلَا يَزْدَادُ عَلَى الدَّهْرِ إِلَّا نَضَارَةً وَجِدَّةً وَيَكُونُ مَنْ خَلَا مِنْهَا
نَاقِصَ الْأَدَبِ وَالْعَرَفَةِ كَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

كَانَ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَاسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَلَابِي
وَقَقَوْلِ النَّابِغَةِ : فَأَنْتَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذْرِكِي. وَقَقَوْلِ
الْحُطَيْيَةِ : لَا يَذْهَبُ الْغُرْفُ بَيْنَ أَفْهِ وَالنَّاسِ . ثُمَّ يَجْتَهِدُ الْعَارِفُ
الْمَصِيبُ وَالْعَالِمُ الْأَدِيبُ وَالرَّيِّضُ الْحَاقِظُ أَنْ يُذْرِكَ شَاوَهُ فَلَا
يُسْقُ غِبَارُهُ . قَالَ : سُئِلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَنْ حَدِّ الْبَلَاغَةِ فَقَالَ :

التَّعَرُّبُ مِنْ مَعْنَى الْبُعِيدَةِ وَالْتَّبَاعُ مِنْ حَشْوِ الْكَلَامِ وَالِدَّلَالَةُ
بِقِلِيلٍ عَلَى كَثِيرٍ. قَالَ الشَّيْخُ: وَاسْتَكْثَرُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي الْبَلَاغَةِ أَنَّهَا
الْإِخْتِصَارُ وَتَقْرِيبُ الْمَعْنَى بِالْأَلْفَاظِ الْإِخْتِصَارِ وَالْإِخْتِصَارُ عَلَى
الْإِشَارَةِ إِلَى مَعْنَاهَا وَالِدَّلَالَةُ بِالْقِلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ. وَقَدْ سَبَّلَ
بَعْضُهُمْ عَنْ ذَلِكَ نَقَالَ: لَحْظَةُ دَالَّةٌ. وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ فِي
الْخُذْفِ وَالْإِخْتِصَارِ وَكَذَلِكَ جَعَلَ أَمْرُ الْقَيْسِ إِحْضَارَ قَوْسِهِ وَسُرْعَةَ
لِحَافِهِ لِلصَّيْدِ وَأَنَّ الْأَوَايِدَ لَا تَقْطَعُ فِي الْفَخَّاصِ مِنْهُ فَجَمَعَ هَذَا فِي
قَوْلِهِ: (قَيْدُ الْأَوَايِدِ). وَكَذَلِكَ قَوْلُ زُهَيْرٍ: (إِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَالَتِهِ
هَرَمٌ). فَمِنْ قَوْلِهِ (عَلَى عِلَالَتِهِ) مَا يُتَوَبُّ عَنْ كُلِّ مَا بَعْدَ كَذَلِكَ قَوْلُ
الْأَعَشَى: فَهَمْ سَاقِنُونَ وَالْمَبْنِيَّةُ تَنْتَقِطُ وَهَذَا يَكْثُرُ وَفِي مَا
أوردناه بِلَاغٌ وَلِهَذَا وَقَعَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى إِلَى كِتَابِهِ لِيَكُنْ
كَلَامُكُمْ فِي كُتُبِكُمْ مِثْلَ التَّوْقِيعِ يَحْضُرُ بِذَلِكَ عَلَى غَايَةِ الْخُذْفِ
وَالْإِخْتِصَارِ. وَهَذَا أَنَّ الْأُمُومَ أَمَرَ عَمْرُو بْنُ مَسْعُودَةَ أَنْ تَكْتُبَ
أَنْ يَكْتُبَ لِزُجَلٍ لَهُ بِهِ عِيَايَةٌ إِلَى بَعْضِ الْعَمَالِ بِقَضَاءِ حَقِّهِ وَأَنْ
يُخْتَصِرَ كِتَابَهُ مَا أَمَكَّنَهُ حَتَّى تَكُونَ كِتَابَتُهُ فِي سَطْرٍ وَاحِدٍ يَلَا
زِيَادَةَ فَكَتَبَ عَمْرُو: كِتَابِي إِلَيْكَ كِتَابٌ وَاقِعٌ بَيْنَ كِتَابِ إِلَيْهِ
مَعْنِي بَيْنَ كِتَابِ لَهُ وَلَكِنْ يَضِيعُ بَيْنَ الثَّقَةِ وَالْعِنَايَةِ حَافِلُهُ. وَمِنْ هَذَا
مَا كَتَبَ أَلْوَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى الْحَجَّاجِ وَقَدْ تَلَكَّأَ
عَنْ يَمِينِهِ: أَمَّا بَعْدَ فَلْيَنِي أَرَاكَ تُقَدِّمُ رِجْلًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى فَلَذَا
أَتَاكَ كِتَابِي فَأَعْتَمِدْ عَلَى آتِيهَا شِئْتَ وَالسَّلَامُ. وَسَادَ كُرِّي فِي هَذَا

الْمَوْضِعَ صَدْرًا مِنَ الْفُضُولِ الْمُخْتَارَةِ مِنْ غَيْرِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ. ثُمَّ
 أَذْكَرُ بَعْدَهُ صَدْرًا مِنَ الْفُضُولِ الْعَرَبِيِّ بِمَا يَضِلُّ لِلْمَذَاكِرَةِ وَيَبْتَ
 عَلَى النَّشَاطِ فَإِذَا قَرَأَهَا قَارِيءٌ دَلَّتْ عَلَى أَنَّهَا فِي الْإِيجَازِ وَالْحَذَفِ
 وَالْجَمْعِ لِلْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ بِالْأَلْفَاظِ الْقَلِيلَةِ. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ سُقْرَاطَ:
 دَلَّ الْجَنَمُ عَلَى صَافِيهِ. فَجَمَعَ بِثَلَاثِ لَفْظَاتٍ خِفَافٍ مَعَانِي كَثِيرَةٍ
 جَلِيلَةٍ الْقَدْرِ لِأَنَّ الْجَنَمَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَضَعْ نَفْسَهُ وَأَنَّ لَهُ صَانِعًا
 حَكِيمًا كَمَا يَدُلُّ الْبِنَاءُ عَلَى الْبَانِي وَالْكِتَابُ عَلَى الْكَاتِبِ.
 فَانْظُرْ كَمْ بَيِّنَ هَذَا وَبَيِّنَ مَا يُحْكِي عَنْ بَعْضِ مُلُوكِهِمْ أَنَّهُ سُئِلَ
 مَا الَّذِي يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَيُثَبِّتُ الْعِلْمَ بِالْقَبِي قَالَ: إِنْ
 لِكُلِّ ظَاهِرٍ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ عِلْمًا فَهُوَ يَعْرِفُهُ وَيَحْوَطُهُ قَدْ كَانَ
 مُعْتَدًّا بِالْجَلِيلِ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَنْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَعْلَمْ أَنَّ لَهَا بَارِنًا
 يُجْرِي فَلَكِهَا وَيُدَبِّرُ أَمْرَهَا. وَمَنْ أَعْتَبَرَ بِالصَّغِيرِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى حَبَّةٍ
 لَوْ ذَلَّ فَيَعْلَمْ أَنَّ لَهَا مُدَبِّرًا يُنْشِئُهَا وَيُرْكِهَا وَيَقْدِرُهَا أَقْوَامًا مِنَ
 الْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَيُورِثُهَا زَمَانًا لَهَا شَيْئًا. وَأَمْرُ الثُّبُوتِ وَالْآيَاتِ وَمَا
 يَحْدُثُ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُونَ ثُمَّ اجْتِمَاعُ الْعُلَمَاءِ
 وَالْجُهَالِ وَالْمُهْتَدِينَ وَالضَّالِّينَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَضْيِيقِهِ وَاجْتِمَاعُ
 مَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ وَكَذَّبَ بِهِ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يُخْلِدُوا أَنْفُسَهُمْ فَكُلُّ
 ذَلِكَ يَهْدِيكَ إِلَى اللَّهِ وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَنْشَأَ الْخَلْقَ وَدَبَّرَ هَذِهِ الْأُمُورَ.
 (قَالَ الشَّيْخُ) وَهَذَا الْكَلَامُ عَلَى طَوِيلٍ قَدْ ائْتَمَّ أَكْثَرُ مَعَانِيهِ فِي
 قَوْلِ سُقْرَاطَ: دَلَّ الْجَنَمُ عَلَى صَافِيهِ. (وَقَالَ الْإِسْكَنْدَرُ) وَعَظَمَكَ

فَكَرَكَ وَارْشَدَكَ عَقْلَكَ حِينَ حَيْرَكَ سَمْعَكَ وَعَشَّكَ تَحْيِرَكَ وَإِنَّ
الْإِنْسَانَ بِاخْتِلَافِ الْمَسْمُوعِ يَتَحَيَّرُ وَيَضِلُّ بِعَشِّ الْخَبِيرِينَ وَيَسُومُهُمْ
فِي مَا يُخْبِرُونَ بِهِ فَيَبْذُرُ لَهُ عَقْلَهُ الصَّوَابَ مِنَ الْخَطَا وَيُرْسِدُهُ إِلَى
الْحَقَائِقِ وَيُخْرِجُهُ مِنَ الْخَيْرَةِ. وَقَالَ مُطَلِبُ الْعَرَايِي لِلْإِسْكَندَرِ:
أَخْلَقَكَ تَجْعَلُ الْعَدُوَّ صَدِيقًا وَأَحْكَامَكَ تَجْعَلُ الصَّدِيقَ عَدُوًّا وَيَشْهَدُ
لَكَ عَدَمٌ مِثْلَكَ فِي مَا يَكُونُ. (قَالَ الشَّيْخُ) فَأَنْظِرْ الْآنَ كَمْ
مَعْنَى حَسَنٍ تَحْتَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْقَلِيلَةِ يَعْنِي أَنَّ حَسَنَ خَلْقِهِ يَرُدُّ عَدُوَّهُ
إِلَى صَدَاقَتِهِ وَأَنَّ عَدْلَ حُكْمِهِ لَا يَفْرِقُ بَيْنَ عَدُوٍّ وَصَدِيقٍ وَأَنَّ
عَدَمَ مِثْلِهِ فِي مَا جُزِيَ الذُّهُورُ قَدْ شَهِدَ بِأَنَّهُ مِثْلُهُ لَا يَكُونُ فِي
مُسْتَقْبَلِ الْعُصُورِ. وَهَذَا كَلَامٌ مَنَقُولٌ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ وَلَعَلَّهُ بَلَقَتْهُ كَانَ
أَفْصَحَ وَأَحْسَنَ. وَلَمَّا شَاوَرَ أَبُو مُسْلِمٍ بَعْضَ أَفْرَاسٍ فِي أَمْرِهِ
قَالَ لَهُ: قُلْ مَا يُقْبَلُ وَخُذْ مَا يَنْهَلُ وَأَعْمَلْ مَا يَجْمَلُ. فَجَمَعَ لَهُ
بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ أَكْثَرَ مَا فِي السِّيَاسَةِ. وَفِي مَا يُرْوَى أَنَّ
بَعْضَهُمْ رَأَى شَابًا لَا أَدَبَ لَهُ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ ذَهَبٌ فَقَالَ: حِمَارٌ عَلَيْهِ
لِجَامٌ ذَهَبٌ. وَنَظَرَ إِلَى شَابٍ أَحْمَقَ قَاعِدًا عَلَى حَجَرٍ. فَقَالَ: هَذَا حَجَرٌ
قَاعِدٌ عَلَى حَجَرٍ. وَقَالَ أَرِسْطَاطَالِسُ: الْحَاجَةُ إِلَى الْعَقْلِ أَفْجَى مِنْ
الْحَاجَةِ إِلَى أَلْمَالِ. وَقَالَ: غَيْرُ حُبِّ الشَّرَفِ هُوَ الَّذِي يُتِيبُ نَفْسَهُ
بِالنَّظَرِ فِي الْعِلْمِ. وَقَالَ سُقْرَاطُ: أَلَدَّةُ خِنَاقٍ مِنْ عَسَلٍ. وَرَأَى
سُقْرَاطُ طَبِيبًا جَاهِلًا فَقَالَ: هَذَا مُسْتَحِثٌّ. يَعْنِي يُعْجَلُ بَيْنَ يُلَاحِظَ إِلَى
الْمَوْتِ. وَقِيلَ لِبَعْضِ تَلَامِيذِهِ: قَدْ مَاتَ أَسْتَاذُكَ. فَقَالَ: أَلَوْحٌ لِي

لَقَدْ ضَاعَ مِنْ عَنِّي

(قَالَ الشَّيْخُ) وَهَذَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُنْصَى فِي كَلَامِ الْعَجَمِ

وَلَا سِيَّاءَ فِي عُلَمَائِهِمْ وَوَرَدَانِهِمْ الَّذِينَ أَخْرَجُوا كَلَامَهُمْ مُخَرَّجَ التَّرْقِيعِ .
فَمِنْ ذَلِكَ مَا يُحْكِي أَنَّ أُنُوشِرَوَانَ وَقَعَ فِي وَلايَةِ الْخَرَجِ : الْخَرَجُ
عَمُودُ الْمَلِكِ وَمَا اسْتَنْزَرَ بِمَثَلِ الْجُودِ وَلَا اسْتَنْزَرَ بِمَثَلِ الْعَدْلِ . وَقَعَ
أَيْضًا فِي رُفْعَةِ رَجُلٍ وَكَيْلِ لَهُ أَمْرُهُ بِنَاءِ قَصْرِ فَأَخْرَجَهُ : أَنْتَ مَا شِ
وَالْأَيَّامُ دَاكِنَةٌ وَالْعَمَلُ بَاعٌ وَالْعِنَايَةُ يَتَرٌ . (قَالَ الشَّيْخُ) وَأَيَّاتُ
الشَّعْرِ كَثُرَتْ أَمْثَالُ الْعَرَبِ وَزَادَتْ عَلَى أَمْثَالِ سَائِرِ الْأُمَمِ . وَأَنْ
كَانَ فِي غَيْرِ الْعَرَبِ الشَّعْرُ أَيْضًا عَلَى قَدِيمِ الْوَقْتِ فَلِلْفَرَسِ أَشْعَارٌ
لَا تُضْبَطُ كَثْرَةً وَلِلْيُونَانِيِّينَ أَشْعَارٌ دُونَ الْفَرَسِ . وَكَانَ أَفْلَاطُونُ
بَعْضَ مَنْ يَقُولُ الشَّعْرَ وَيَقُولُ فِي ذِمَّتِهِ : إِنَّ الشَّاعِرَ مُصَوِّرٌ لِلسَّمْعِ .
وَالْمُزَوَّقُ مُصَوِّرٌ لِلْبَصَرِ . فَأَمَّا الْفَرَسُ فَقَبِي مَشُورٌ أَخْبَارِهِمْ وَذِكْرُ
حُرُوبِهِمْ أَشْعَارٌ كَانَتْ تُدَوَّنُ وَتُحْلَدُ فِي الْخَرَائِنِ الَّتِي كَانَتْ يُبَوَّنُ
الْحِكْمَةُ ثُمَّ دَرَسَ أَكْثَرُهَا مَعَ دَرَسِ كَلَامِهِمْ وَبَقِيَ مِنْ أَشْعَارِ
الْعَرَبِ السَّوَابِرِ مِنَ الْأَمْثَالِ تَجَرِي عَلَى أَفْوَاهِ أَهْلِ زَمَانِهِمْ . وَحَكَى
أَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ أَوْصَلَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَهْلٍ
الْبَاهِلِيِّ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ مِثْلٍ عَرَبِيٍّ بَعْضُهَا فِي الْجُودِ وَبَعْضُهَا فِي
الْقُطْنِيِّ وَبَعْضُهَا فِي الْفَرَّاسِ فَتَقَرَّرَتْ الْعَرَبُ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ
بِكثَرَةِ الْأَمْثَالِ . . . وَمِنْ تَوْقِيعَاتِ الْعَجَمِ تَوْقِيعُ أَرْدَشِيدِ بْنِ بَابَكٍ
وَكَانَ أَهْلُ زَمَانِهِ قَطُّوا قَرَفُوا إِلَيْهِ قِصَّةً يَشْكُونُ ذَلِكَ فَوَقَعَ

إِلَى صَاحِبِ بَيْتِ آلَمَالٍ: إِذَا فُحِطَ الْمَطَرُ جَدَّتْ مَحَابِبُ الْمَلِكِ. فَفَرَّقَ
 فِيهِمْ مَا قَاتَهُمْ وَمَاتَهُمْ. وَشَكِيَ مِثْلُ ذَلِكَ إِلَى قُبَادَ بْنِ كِسْرَى
 فَوَقَعَ لِيَكُنْ بِنَا أَلِدُ الرُّعْيَةِ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ قَارِي وَيَأْتِيهِمْ فِي
 نَفْعِ ذَلِكَ مُسْتَوُونَ. وَمَدَحَ رَجُلٌ مِنْ أَلْطَافَةِ كِسْرَى بَنَ قُبَادَ
 بِمَدَحِ أَطْلَبَ فِيهِ وَأَسْهَبَ وَذَهَبَ كُلُّ مَذْهَبٍ وَكَانَ الْمَدْحُ فِي
 رُفْعَةٍ. فَوَقَعَ فِيهَا كِسْرَى إِلَى الْمَدْحِ مُسْتَضْفِرٌ لِيَلْبِي بِأَشْيَاءَ قَدْ
 مُدِحتْ وَكَانَتْ بِأَنْ تَذُمَّ مَحْشُوقَةٌ. وَوَقَعَ أَوْشِرُونَ فِي رُفْعَةٍ
 مُسْتَضْفِرٌ: ثَمَرَاتُ النَّصَائِحِ شُكْرُ الْجَوَارِحِ وَخَرَجَ التَّوَقُّعُ إِلَى وَزِيرٍ
 لَهُ أَمْرٌ لَهُ بِجَائِزَةٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: قَدْ جَعَلْنَا إِلَى شُكْرِ الْإِنْسَانِ
 شُكْرَ أَلِدٍ وَهُوَ الْبَذْلُ. وَوَقَعَ كِسْرَى فِي رُفْعَةٍ رَجُلٍ سَأَلَ فِيهَا
 الثَّقَلَةَ عَنْ صِنَاعَتِهِ إِلَى صِنَاعَةِ غَيْرِهَا وَكَانَتْ صِنَاعَتُهُ حَسِيسَةً فَاخْتَارَ
 صِنَاعَةَ رَفِيعَةً فَوَقَعَ فِي رُفْعَتِهِ: أَنَا حَامِلٌ لِلرُّعْيَةِ عَلَى لُزُومٍ مِثْلِهِمْ
 وَصَنَائِعِهِمْ وَلِنَفْسِي عَلَى مَا يُحْمَلُ عَلَى اللُّزُومِ لَهَا

وَمِنْ حَدِّ الْبَلَاغَةِ جَمْعُ الْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ فِي الْأَلْفَاظِ الْيَسِيرَةِ
 فَقَدْ سُئِلَ خَلْفُ الْأَحْمَرُ قَبِيلَ لَهُ: مَا تَأْتِي فِي الْكَلَامِ الْقَلِيلِ عِدَّةُ
 مَعَانٍ. فَقَالَ: إِنَّ كَلَامَ الْعَرَبِ أَوْعِيَةٌ وَالْمَعَانِي أَمِيعَةٌ فَرُبَّمَا
 جُعِلَتْ ضَرْبٌ مِنَ الْأَمِيعَةِ فِي وَعَاءٍ وَاحِدٍ... وَحَكِيَ عَنْ جَعْفَرِ
 ابْنِ يَحْيَى وَكَانَ قَرِيبَ ذَهْوِهِ بِلَاغَةً فِي الْمَكَاثِبَةِ وَجُودَةً لِسَانٍ فِي
 الْحَاظِيَةِ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا كَانَ الْإِيحَاذُ كَافِيًا كَانَ الْأَطْوِيلُ عِيًّا وَإِنْ كَانَ
 الْأَطْوِيلُ وَاجِبًا كَانَ التَّقْصِيرُ عَجْزًا. وَحَكِيَ الْمُفَضَّلُ قَالَ: قُلْتُ

لِأَعْرَابِيٍّ: مَا الْبَلَاغَةُ. قَالُوا: أَلَيْحَاذُ مِنْ غَيْرِ عَجْزٍ وَالْإِطْلَابُ فِي غَيْرِ
 خَطْلٍ. وَوَصَفَ الْحَاجِظُ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ قَالًا: كَانَ لَا يَتَوَقَّفُ وَلَا
 يَسْتَدْعِي مَعْنَى مِنْ بَعْدِهِ. قَالُوا: وَالْبَلِيغُ الْكَامِلُ هُوَ الَّذِي تَكُونُ
 الْأَلْفَاظُ عِنْدَهُ عَزِيزَةً وَالْمَعَانِي فِي نَفْسِهِ جَمَّةً كَثِيرَةً. وَقَالُوا:
 وَتَحْصُورُ الْبَلَاغَةِ أَنَّ لَهَا ثَلَاثَ حَالَاتٍ: حَالًا يَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي
 الْمَعَانِي مِنْ أَجْلِهَا. وَحَالًا يَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي الْأَلْفَاظِ. وَحَالًا مُرَكَّبَةً
 مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي وَهِيَ ذَاتُ الْبَلَاغَةِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِأَسْمِهَا.
 وَلِلْبَلَاغَةِ ثَلَاثَةُ مَذَاهِبٍ تُقْصَدُ فِي اسْتِعْمَالِهَا. أَحَدُهَا الْمُسَاوَاةُ وَهِيَ
 أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ كَالْقَالِبِ لِلْمَعْنَى لَا يَفْضُلُ عَنْهُ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ.
 وَالثَّانِي الْإِشَارَةُ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ مُشَارًا إِلَى الْمَعْنَى بِالْفَتْحَةِ
 الدَّالَّةِ. وَالثَّالِثُ التَّبْدِيلُ وَهُوَ إِعَادَةُ الْأَلْفَاظِ الْمُرَادَةِ عَلَى الْمَعْنَى
 الْوَاحِدِ بَيْنَهُ حَتَّى يَظْهَرَ لِمَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ وَيَتَوَكَّدَ عِنْدَ مَنْ فَهَمَهُ.
 وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ مَوْطِنٌ يَلِيقُ بِهِ وَوَقْتُ لَا يَضِلُّ
 فِيهِ غَيْرُهُ وَسَادُّهُمْ هَهُنَا صَدَدًا مِنَ الْقُصُولِ الْقَصَارِ مِنْ كَلَامِ
 الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ يَمَّا يَتَضَنُّ الْفَقْرَ الْخُتَارَةَ وَالْمَعَانِي الْجَمْعُوعَةَ بِالْفَتْحِ
 فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُجْنِسُهُ. وَكَقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِتَّ كَلِمَاتٍ مَا سَبَقَهُ إِلَيْهَا أَحَدٌ تَوَزَّنَ كُلُّ
 كَلِمَةٍ مِنْهَا بِأَلْفِ كَلِمَةٍ وَرَوَّاهَا عَنْهُ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَمِنْ
 الْأَدْبَاءِ وَهِيَ: الْأَوَّلَى قَوْلُهُ: قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُجْنِسُهُ. الثَّانِيَةُ:
 النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَاهَلُوا. الثَّالِثَةُ: لِسَانُكَ يَقْتَضِيكَ مَا عَوَّدَهُ.

الرَّابِعَةُ: رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا عَرَفَ قَدْرَهُ. الْخَامِسَةُ: لَا رَأْيَ لِيَنَّ لَا يُطَاعُ. السَّادِسَةُ: أَلَمَّا تَحَبَّوْهُ تَحْتَ لِسَانِهِ. وَمِنْهَا قَوْلُهُمُ الشَّعْرُ مِيزَانُ الْقَوْمِ وَالْعَرُوضُ مِيزَانُ الشَّعْرِ. وَقَوْلُ عَمْرٍو: هَاجِرُوا وَلَا تَهْجُرُوا وَالسَّعِيدُ مَنْ دُعِطَ بِخَيْرِهِ. وَقَوْلُهُمُ: السَّعِيدُ مَنْ كُفِّيَ. وَقَوْلُهُمُ: إِيَّاكَ وَمَا تَعْتَدِرُ مِنْهُ. وَقَوْلُهُمُ: رَبِّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ. رَبِّ مَلُومٍ غَيْرُ مَلِيمٍ. رَبُّمَا قَتَلَ الْبَلِيعَ لِسَانُهُ. أَلْعُيُونُ غُرْنَانُ الْقُلُوبِ. أَلْقُلُوبُ أَبْصَرُ مِنَ الْعُيُونِ. مَنْ ضَاقَ قَلْبُهُ اتَّسَعَ لِسَانُهُ. وَقَوْلُ الْأَعْرَابِيِّ: وَقَدْ سَأَلَهُ بَعْضُهُمْ عَنْ حُضْرِ قَوْسِهِ فَقَالَ: يُخْضِرُ مَا وَجَدَ أَرْضًا. وَقَالَ آخَرُ: يَسْقِي الطَّرْفَ وَيَسْتَفْرِقُ الْوَصْفَ. عُجُجُ اللَّبَّانِ طَوْعُ الْعَنَانِ كَأَنَّهُ مَوْجٌ يَمُورُ أَوْ سَيْلٌ فِي حُدُودٍ. وَقَوْلُهُمُ: الْفِكْرَةُ مُحُ الْعَمَلِ. وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ إِنَّكَ لَتُحْسِنُ الْكُدْيَةَ. فَقَالَ: ذَاكَ غُرْنَانُ نِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدِي. وَقَوْلُهُمُ: حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ اسْتِمَاعِهِ. ذَلَّ الشَّرُّ عَلَى نَفْسِهِ. الْبَادِي أَظْلَمُ. حَفِظُ الْوُجُودِ آيَسَرُ مِنْ طَلِبِ الْفَقْدِ. مَنْ عَزَّ بَزَّ. سَرَّكَ مِنْ دَمِكَ غَمٌّ سَلِمٌ. سُئِلَ رَجُلٌ رَكِبَ الْجَوَّ عَنْ أَعْجَبَ مَا رَأَى فَقَالَ: سَلَامَتِي. أَلَمَلْتُ شُكْرُ الضَّعِيفِ. الصَّدِيقُ يَصْدُقُ وَالْعَدُوُّ يَتَلَقَّى. أَفْضَلُ دِيُونِ الْإِحْسَانِ إِلَيْكَ بِاللِّسَانِ قَبْلَ قُدْرِ الْإِمْكَانِ. مَنْ وَأَكَكَ فِي الرِّخَاءِ خَدَّكَ فِي الْبَلَاءِ. عَجَبًا لِلْخَيْرِ الْمَدْحُوحِ أَلَمْ تَدْرِكْ وَالشَّرَّ أَلَمْ تَدْمُومِ الْمَفْعُولِ. مَنْ تَمَّ إِلَيْكَ نَمَّ عَلَيْكَ مَنْ أَسَاءَ اسْتَوْحَشَ. سَاعَاتُ اللَّذَّةِ هِيَ سَاعَاتُ الْفَقْلَةِ. (قَالَ الْأَشْجِيُّ) هَذَا مِثْلُ قَوْلِ سُقْرَاطَ اللَّذَّةُ خِنَاقٌ مِنْ عَسَلٍ. عِنْدَ صَفْوِ

الْعَيْشُ يَكْدُرُ. الْمُرِيبُ مُخِيفٌ. الْحَبُوبُ مَذْكُورٌ. مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ
كُلِّهِ. صَدِيقُ الرَّجُلِ عَمَلُهُ وَعَدُوُّهُ جَهْلُهُ. (قَالَ الشَّيْخُ) وَبِثَلْ هَذَا قَوْلُ
أَرِسْطَاطَلِسَ فِي مَا يَرْدُ أَفْلَاطُونُ : إِنْ كَانَ أَفْلَاطُونُ لَمَّا صَدِيقًا
فَأَخْلَقُ أَصَدَقُ لَمَّا مِنْهُ

وَمِنْ الْقُصُولِ الْكِتَابِيَّةِ مَا كَتَبَ بَعْضُهُمْ : قَلْبِي نَحْيُ ذِكْرَكَ. وَلِسَانِي
خَادِمُ شُكْرِي وَكَتَبَ آخَرُ : فَلَنْ أَذِلُّ مِنْ شَاهِدٍ زُورٍ عِنْدَ مَنْ شَهِدَ
لَهُ. وَقَالَ آخَرُ : الْإِسْطَاطَلَةُ لِسَانُ الْجَاهِلَةِ. وَكَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى عَامِلٍ :
أَعْلَمْ أَنَّ النَّظَرَ إِذَا أَخْلَفَ لَكَ أَخْلَفَ وَنَكَ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ وَقَدْ كَانَ جَرَى ذِكْرُ الْبَلَاغَةِ وَأَنَّ بَعْضَ وَلَدِهِ يُلِغُ : إِنِّي
لَأَكْرَهُ أَنْ يُطَوَّلَ لِسَانُهُ. وَقَالَ آخَرُ : فَضْلُ الْفِعَالِ عَلَى الْمَقَالِ مَكْرَمَةٌ
وَفَضْلُ الْمَقَالِ عَلَى الْفِعَالِ خَدِيعَةٌ. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : تَرَكُ الشُّكْرَ
كُفْرَ الْتَّعَمَّةِ. وَقَالَ آخَرُ : الشُّكْرُ نَسِيمُ الْتَّعَمَّةِ. أَهْيَةُ خَيْبَةٍ وَالْخِيَاءُ
جِرْمَانٌ. الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ. وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ يَوْمَا لِلْعَبَّاسِ بْنِ
الْحَسَنِ إِنِّي لَا أُحِبُّكَ. فَقَالَ : رَأَيْتُ ذَلِكَ مَعِيَ. قَرَأْتُ فِي فَضْلِ
لِسْمِيدِ بْنِ حَمِيدٍ : نَحْنُ فِي زَمَانٍ أَلْعُرُوفُ فِيهِ ذَلَلٌ وَالصَّوَابُ فِيهِ
خَطَلٌ وَالْإِنْعَامُ مَثَلٌ. وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَّاءِ : قَدْ رَخَّصَتِ الْفُرُورَةُ
فِي الْإِلْحَاحِ. أَرْجُو أَنْ تُحَسِّنَ النَّظَرَ كَمَا أَحْسَنْتَ الْإِنْتِظَارَ. وَقَالَ
أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى : لِسَانُ الْكَاِلِ أَقْنَعُ مِنْ لِسَانِ الشُّكْرِ وَكَتَبَ
آخَرُ : أَشْكُرُ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ وَأَنْعِمَ عَلَيَّ مِنْ شُكْرِكَ. وَكَتَبَ
آخَرُ : إِذَا كُنْتَ لَا تُؤْتِي مِنْ ضَعْفٍ سَبَبٍ فَكَيْفَ أَخَافُ مِنْكَ

خِيَّةَ أَمَلٍ أَوْ عُذُولًا عَنِ اعْتِقَارِ ذَلِكَ أَوْ قُتُورًا عَنْ لَمْ شَعَثَ وَاصْلَاحِ
 خَلَلٍ . كَتَبَ آخَرُ : أَمَا أَسْأَلُ الَّذِي رَجِمَ الْعِبَادَ بِكَ عَلَى حَسَنِ
 اِفْتِقَارِهِمْ إِلَيْكَ أَنْ يَرْحَمَهُمْ مِنْ بَعْدِكَ فَلَا يُعِيدُهُمْ إِلَى الْمَكَارِهِ
 الَّتِي اسْتَفْتَدَوْهُمْ مِنْهَا يَسِدُّكَ . وَقَالَ أَحْسَنُ بْنُ وَهْبٍ لِلْمَأْمُونِ فِي
 رَجُلٍ مُذْنِبٍ : هَبْ لِي . فَقَالَ : كَيْفَ لَا أَهْبُهُ لِمَنْ بِهِ قَدِيرَتُ عَلَيْهِ .
 وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ : الْقَلَمُ يُحَرِّكُ وَشَيْءَ الْمَلَائِكَةِ . وَنَظَرَ إِلَى
 حَظِيٍّ بَعْضِ كُتَّابِهِ فَلَمْ يَرْضَهُ فَقَالَ : نَحْنُ هَذَا عَنْ مَرْبَّةِ الدِّيَوَانِ
 فَلَا تُهْ عَلِيلُ الْخَطِّ وَلَا تَأْمَنْ أَنْ يُعْدِيَ غَيْرَهُ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ
 الْعَبَّاسِ الصَّوَيْطِيِّ : أَخْطُ لِسَانَ الْيَدِ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : مَطْلُ
 الْغَرِيمِ أَحْسَنُ مِنْ مَطْلِ الْكَرِيمِ . وَكَانَ يَحْيَى يَقُولُ : مَنْ حُقِيقَ
 التَّنْبِيلِ أَنْ تَتَوَاضَعَ لِمَنْ هُوَ دُونَكَ وَتَتَصَدَّقَ عَلَى ضَعِيفِكَ وَتُنْصِفَ
 مَنْ هُوَ مِثْلُكَ وَتَتَنَبَّلَ عَلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ



सालु र जय ५५ हास्य	
SALUJUNG MUSEUM LIBRARY	
..... Printed Books	
Acct. No.	1/28
Call. No.	

الفصل التاسع

في اجناس الخطابة الثلاثة

البحث الاول

في تقسيم الخطب الى ثلاثة اجناس

(من كتاب تعريب خطابة ارسطاطاليس لابن رشد)

(راجع الصفحة ١٣٤ من الجزء الثاني من علم الادب)

قَدْ تَوَجَّدُ أَجْنَاسُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُنْظَرُ فِيهَا الْخُطَابَةُ مِنَ الْأُمُورِ
الْإِرَادِيَّةِ ثَلَاثَةً كَمَا يُوجَدُ عَدَدُ أَصْنَافِ السَّامِعِينَ لِلْقَوْلِ الْخُطْبِيِّ
ثَلَاثَةً. وَذَلِكَ أَنَّ الْكَلَامَ مُرَكَّبٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ قَائِلٍ وَهُوَ الْخُطِيبُ
وَمِنْ مَقُولٍ فِيهِ وَهُوَ الَّذِي يُعْمَلُ فِيهِ الْقَوْلُ وَمِنْ الَّذِينَ يُوجَّهُ
إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ وَهُمْ السَّامِعُونَ. وَالْعَايَةُ بِالْقَوْلِ إِنَّمَا هِيَ مُتَوَجِّهَةٌ نَحْوَ
هَؤُلَاءِ السَّامِعِينَ. وَالسَّامِعُونَ لَا حَاجَةَ إِمَّا مُسَاطِرٌ وَإِمَّا حَاكِمٌ وَإِمَّا
الْمَقْصُودُ إِقْنَاعُهُ. وَالْحَاكِمُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ حَاكِمًا فِي الْأُمُورِ الْمُسْتَقْبَلَةِ
وَهِيَ النَّافِعَةُ وَالضَّارَّةُ. وَإِمَّا فِي الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ كَانَتْ. وَالْأُمُورُ
الَّتِي قَدْ كَانَتْ مِنْهَا مَا تَوَجَّدُ فِي الْإِنْسَانِ بِاخْتِيَارِهِ وَتِلْكَ هِيَ
الْفَضَائِلُ وَالرَّذَائِلُ وَمِنْهَا مَا تَوَجَّدُ فِي الْإِنْسَانِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ بَلْ مِنْ
إِنْسَانٍ آخَرَ وَهُوَ الْجَبْرُ وَالْعَدْلُ. وَالْحَاكِمُ فِي الْأُمُورِ الْمُسْتَقْبَلَةِ هُوَ

الرَّيْزُ وَالْحَاكِمُ فِي الْأُمُورِ الْكَائِثَةُ هُوَ الَّذِي يَتَصَبُّهُ الرَّئِيسُ (مِثْلُ
الْقَاضِي فِي مُدُنَاتِهِ وَهِيَ مُدُنُ الْأَسْلَامِ) . وَأَمَّا الْمُنَاطِرُ فَلَأَنَّمَا
يُنَاطِرُ بِقُوَّةِ الْمَلَكَةِ الْخَطِيئَةِ فَإِنَّ أَجْنَاسَ الْقَوْلِ الْخَطِيئَةِ ثَلَاثَةٌ
مَشُورِيٌّ وَمُشَاجِرِيٌّ وَتَثْبِيتِيٌّ

فَأَمَّا الضَّيْرُ الْمَشُورِيُّ فَإِنَّهُ إِذْنٌ وَمِنْهُ مَنَعَ وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَنْ
يُشِيرُ إِمَّا عَلَى وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِمَا يَخْصُهُ أَوْ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ بِمَا يَمُنُّهُمْ فَلَأَنَّمَا يُشِيرُ أَبَدًا بِقَوْلِهِ هُوَ إِذْنٌ أَوْ مَنَعَ . وَأَمَّا
الْقَوْلُ الْمُسَاجِرِيُّ فَهُوَ أَيْضًا صِنْفَانِ شِكَايَةٌ وَتَضَلُّ مِنْ الشِّكَايَةِ .
وَأَمَّا الْقَوْلُ التَّثْبِيتِيُّ فَهُوَ أَيْضًا صِنْفَانِ إِمَّا مَدْحٌ وَإِمَّا دَمٌّ وَالزَّمَانُ
الْخَاصُّ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي يُشَارُ بِهَا هُوَ الزَّمَانُ الْمُسْتَقْبَلُ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُشِيرُ
إِنْسَانٌ عَلَى إِنْسَانٍ بِأَشْيَاءٍ مَفْدُومَةٍ . وَالزَّمَانُ الْخَاصُّ بِالْأَشْيَاءِ
الْمُسَاجِرِيَّةِ هُوَ الزَّمَانُ الْمَاضِي لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَتَشَكَّى مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي
قَدْ وَقَعَتْ وَإِنْ تَشَكَّى مِنْ أُمُورٍ تَتَوَقَّعُ مِنَ الْمَشْكِيِّ بِهِ فَلَأَنَّمَا
تِلْكَ شِكَايَةٌ عَلَى طَرِيقِ الْإِشَارَةِ بِالْإِنْفَاعِ فِي ذَلِكَ . وَكَذَلِكَ قَدْ
يَعْرُضُ أَنْ تَكُونَ الْمَشُورَةُ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي قَدْ كَانَتْ لَكِنْ مِنْ
جِهَةٍ مَا يَتَوَقَّعُ مِنْهَا فَتَكُنْ الشُّكْوَى فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ لَا مِنْ
أَجْلِ غَيْرِهِ فَلَأَنَّمَا تَكُونُ أَبَدًا فِي الشَّيْءِ الَّذِي قَدْ وَقَعَ . وَأَمَّا
الْأَشْيَاءُ التَّثْبِيتِيَّةُ فَإِنَّ أَوَّلَى الْأَزْمَنَةِ بِهَا هُوَ الزَّمَانُ الْخَاضِرُ أَنْفَى
الْقَرِيبِ مِنَ الْآنِ فَإِنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يُمَدِّحُونَ وَيُذَمُّونَ بِالْأَشْيَاءِ
الْمَوْجُودَةِ فِي حِينَ الْمَدْحِ وَحِينَ الذَّمِّ فِي الْمَدْحِ وَالْمَذْمُومِ وَرَبَّمَا

مُدِحَ بَعْضُهُمْ عَلَى طَرِيقِ الْحِجَةِ فِي اسْتِكْثَارِ فَضَائِلِ الْمَدْحِ
وَمَذَامِهِ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي يُتَوَقَّعُ حَدُوثُهَا مِنْهُ أَوْ يُرْتَجَى حَدُوثُهَا مِنْهُ
فَيَحْتَاطُونَ مَعَ الْمَدْحِ الْإِشَارَةَ عَلَى الْمَدْحِ بِفِعْلِ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ

البحث الثاني

في غايات الاجناس الخطية الثلاثة وانواع مقدماتها

(من الكتاب نفسه)

وَأَمَّا الْغَايَاتُ مِنْ هَذِهِ الْأَقَاوِيلِ فَهِيَ ثَلَاثُ غَايَاتٍ لِهَذِهِ
الثَّلَاثَةِ الْأَقَاوِيلِ أَمَّا الْقَوْلُ الْمَشِيرُ فَمَايَتُهُ الثَّانِعُ وَالضَّارُّ فَإِنَّ الَّذِي
يُشِيرُ فَإِنَّمَا يَأْذُنُ فِي الثَّانِعِ أَوْ فِي الَّذِي هُوَ أَنْفَعُ وَيَنْجُو مِنَ الضَّارِّ
أَوْ مِنَ الَّذِي هُوَ أَضَرُّ. وَلَمَّا الْقَوْلُ الْمُشَاجِرِيُّ فَمَايَتُهُ الْعَدْلُ وَالْجَوْرُ.
وَأَمَّا الْقَوْلُ الْمُنْتَبِهُ فَمَايَتُهُ الْقَضِيَّةُ وَالرَّذِيَّةُ وَإِنْ اسْتَعْمَلَ وَاحِدٌ مِنْ
هَذِهِ غَايَةٍ صَاحِبِهِ فَلَيْسَ عَلَى الْقَضِيَّةِ الْأَوَّلِ بَلْ مِنْ أَجْلِ الْغَايَةِ
الْخَاصَّةِ بِهِ . مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَشِيرَ قَدْ يُشْفَعُ أَنَّ هَذَا عَدْلٌ أَوْ جَوْرٌ
لِيُشِيرَ بِالْإِذْنِ فِيمَا يَكُونُ عَنِ الْعَدْلِ مِنَ النِّفْعَةِ وَبِالْتَمَعِ عَنْ مَا
يَكُونُ عَلَى طَرِيقِ الْجَوْرِ لِمَا فِي الْجَوْرِ مِنَ الْمَضَرَّةِ الَّتِي تُتَوَقَّعُ .
وَكَذَلِكَ قَدْ اسْتَعْمَلَ الْقَضِيَّةُ وَالرَّذِيَّةُ أَعْنِي مِنْ جِهَةٍ مَا يُلْحَقُهَا مِنَ
الثَّانِعِ وَالضَّارِّ . وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْغَايَاتُ الثَّلَاثُ تُحْصَى كُلُّ وَاحِدَةٍ
مِنْهَا وَاحِدًا مِنْ هَذِهِ الْأَقَاوِيلِ أَعْنِي مِنْ جِهَةٍ مَا هِيَ غَايَاتٌ عَلَى
الْقَضِيَّةِ الْأَوَّلِ فَالْخُذُودُ الْمُسْتَعْرَاضَةُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقَاوِيلِ

الثَّلَاثَةِ إِنَّمَا تَكُونُ الْقُصُولُ الْمُعْطَاةُ فِيهَا مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْقَيَّاتِ .
 وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْقَيَّاتِ هِيَ خَاصَّةٌ بِوَاحِدٍ وَاحِدٍ مِنْ
 هَذِهِ الْأَجْنَاسِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْأَقَابِيلِ أَنَّهُ إِذَا أَقْبَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا
 فِي غَايَةِ الْجَنَسِ الْآخِرِ رُبَّمَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُتَاطِرِ فِي ذَلِكَ مُعَاسَرَةٌ
 وَمُشَاكَاةٌ بَلْ كَثِيرًا مَا يُسَلِّمُ لَهُ ذَلِكَ وَلَكِنْ لَا يُسَلِّمُ لَهُ غَايَةَ
 ذَلِكَ الْقَوْلِ الَّتِي تَحْصِيهِ . مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُدَّعِي إِذَا ادَّعَى أَنَّ فَلَانًا
 أَخَذَ أَمْثَالَ مِنْ فَلَانٍ وَذَلِكَ لَا شَكَّ ضَرُّهُ بِهِ قَرُبًا يُسَلِّمُ لَهُ الْخَصْمُ
 أَنَّ ذَلِكَ كَانَ وَلَكِنْ لَا يُسَلِّمُ لَهُ أَنَّ أَخَذَهُ أَمْثَالَ مِنْهُ كَانَ عَلَى جِهَةِ
 الْجَوْرِ . وَكَذَلِكَ الْمَشِيرُ قَدْ يُسَلِّمُ أَنَّ الْفِعْلَ الْمُسَكِّنَ جَوْرٌ وَلَا
 يُسَلِّمُ أَنَّهُ ضَارٌّ وَلِمَكَانٍ تَدَاخَلَ فِيهِ الْقَيَّاتُ يَعْزِضُ لِلْمُشِيرِينَ
 كَثِيرًا أَنَّ يُشِيرُوا بِأَشْيَاءَ ضَارَّةٍ عَلَى جِهَةِ الْمُعَالَطَةِ مِنْ قَبْلِ أَنَّهَا
 عَدْلٌ أَوْ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِجَوْرٍ وَلَكِنْ لَا يَقْرُونَ بِأَنَّهَا ضَارَّةٌ بَلْ رُبَّمَا
 أَحْتَالُوا فِي دَعْوَى وَجُودِ النِّفْعِ فِيهَا . وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ يُشِيرُونَ
 بِالصَّبْرِ عَلَى الْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ وَالْأَيُّ يَفِرُّونَ لِيَكُونَ الْفِرَارُ جَوْرًا فِي
 الشَّرِيعَةِ . وَكَذَلِكَ مَتَى قَهَرَ قَوْمٌ قَوْمًا وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهِمْ رُبَّمَا أَشَارَ
 الْمَشِيرُ عَلَيْهِمْ أَلَّا يَتَعِصُوا لِذَلِكَ الْقَهْرِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ جَوْرًا وَرُبَّمَا أَوْحَمَ
 فِيهِ أَنَّهُ غَيْرُ ضَارٍّ لَهُمْ . وَكَذَلِكَ الْمَادِحُ قَدْ يُسَلِّمُ أَنَّ الشَّيْءَ ضَارٌّ وَلَكِنْ
 يَدَّعِي أَنَّهُ فَضِيحَةٌ مِثْلُ مَنْ يُخَلِّصُ إِنْسَانًا مِنَ الْمَوْتِ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ
 يَمُوتُ بِتَخْلِيصِهِ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ . فَالْمَوْتُ يُسَلِّمُ الْخَصْمُ أَنَّهُ ضَارٌّ
 وَلَكِنْ يَرَى أَنَّهُ فَضِيحَةٌ . وَكَذَلِكَ رُبَّمَا مَدَحَ بِالرَّذِيقَةِ عَلَى جِهَةِ

الْمَعَالِطَةِ مِنْ جِهَةِ أَنَّهَا نَافِعَةٌ لَكِنْ لَا يُقَرُّ أَنَّهَا رَفِيعَةٌ بَلْ يَدْعِي
 فِيهَا أَنَّهَا فَضِيلَةٌ مَا لَمْ يَكُنِ النِّفْعُ الَّذِي فِيهَا قَادِرًا كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ
 هَذِهِ الْحَاطَاتِ قَدْ تَسْتَعِيلُ غَايَةَ صَاحِبَتِهَا بِالْعَرَضِ وَلِذَلِكَ لَا
 تُشَاسِكُ فِيهَا وَتُشَاسِكُ وَلَا بُدَّ فِي غَايَتِهَا. وَإِذَا اسْتَعْمَلْتَ الْوَاحِدَةَ
 غَايَةَ صَاحِبَتِهَا فَعَلَى جِهَةِ الْمَعَالِطَةِ . (قَالَ) وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ
 قِيَاسِيَّةً فَعَلِمُوا أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فِيهَا مُقَدِّمَاتٌ وَمُقَدِّمَاتُهَا هِيَ
 الثَّلَاثُ الَّتِي وَصَفْنَا: التَّحْمُودَاتُ وَالْأَدْلَائِلُ وَالْعَلَامَاتُ. وَذَلِكَ أَنَّ
 الْقِيَاسَ الْمَطْلُوقَ يَكُونُ مِنَ الْمُقَدِّمَاتِ الْمَطْلُوقَةِ وَالْقِيَاسَ الْخَاصَّ
 بِصِنَاعَةٍ صِنَاعَةً يَكُونُ مِنْ مُقَدِّمَاتِهَا خَاصَّةً. وَلِذَلِكَ كَانَ الضَّيْعُ
 قِيَاسًا يَأْتِلِفُ مِنْ هَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَا وَلِأَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي
 يُشِيرُ بِهِ يَحْتَاجُ أَنْ يُعْرَفَ مِنْ أَمْرِهِ أَوَّلًا أَنَّهُ مُمَكِّنٌ لِأَنَّ الْأُمُورَ
 الْغَيْرَ الْمُمَكِّنَةَ لَا يُسْتَطَاعُ أَنْ تُفْعَلَ لَا فِي الْخَاضِرِ وَلَا فِي
 الْمُسْتَقْبَلِ. وَكَذَلِكَ يَحْتَاجُ فِي الْجَنَسَيْنِ الْبَاقِيَيْنِ مِنْ اجْتِاسِ هَذِهِ
 الصَّنَاعَةِ أَغْنِي إِنْ غُيِّرَ أَوَّلًا أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ كَانَ وَوَقَعَ أَغْنِي الْجِنْسَ
 الثَّلَاثِيَّ وَالْجِنْسَ الْأَشْجَرِيَّ. قَادِرًا لَا بُدَّ لِصَاحِبِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَنْ
 تَكُونَ عِنْدَهُ مُقَدِّمَاتٌ يُشْفَعُ بِهَا فِي أَنَّ الْأَمْرَ مُمَكِّنٌ أَوْ غَيْرَ مُمَكِّنٍ
 وَفِي أَنَّهُ قَدْ كَانَ أَوْ لَمْ يَكُنْ يَوْمَ الْمُقَدِّمَاتِ الَّتِي يُبَيِّنُ بِهَا تِلْكَ
 الْغَايَاتِ الثَّلَاثَ. ثُمَّ أَيْضًا لَمَّا كَانَ الْخَطْبَاءُ لَيْسَ يَتَصَرُّونَ عَلَى
 الْمَدْحِ وَالذَّمِّ وَالْإِذْنِ وَالنَّهْيِ وَالشُّكَايَةِ وَالْإِعْذَارِ بَلْ يَتَكَلَّمُونَ
 مَعَ هَذَا أَنْ يُبَيِّنُوا أَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ عَظِيمٌ أَوْ صَغِيرٌ

شَرِيفٌ أَوْ حَسِيسٌ وَلَا يَلِيقُ أَوْ غَيْرُ لَا يَلِيقُ وَذَلِكَ إِمَّا عَلَى الْإِطْلَاقِ
وَأَمَّا بِالْمُقَايَسَةِ أَعْنَى أَنَّهُ أَكْثَرُ وَأَشْرَفُ أَوْ بِالصِّدْقِ مَعْلُومٌ أَنَّهُ يَنْبَغِي
أَنْ تَكُونَ عِنْدَ الْخَطَبَاءِ مُقَدِّمَاتٌ يُثْبِتُونَ بِهَا أَنَّ الْخَيْرَ أَوْ الشَّرَّ
عَظِيمٌ أَوْ صَغِيرٌ وَحَسِيسٌ أَوْ شَرِيفٌ وَلَا يَلِيقُ بِالْمُنْسُوبِ إِلَيْهِ أَوْ غَيْرُ
لَا يَلِيقُ فَهَذِهِ هِيَ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْمُقَدِّمَاتِ الَّتِي تَسْتَعْمِلُهَا هَذِهِ الصَّنَاعَةُ

البحث الثالث

في مقدمات الجنس المشوري

(من الكتاب نفسه)

وَإِذْ قَدْ تَبَيَّنَ ذَلِكَ فَيَنْبَغِي أَنْ نَبْتَدِي بِتَعْدِيدِ الْمُقَدِّمَاتِ الَّتِي تَحْصُرُ
غَرَضًا غَرَضًا مِنَ الْأَغْرَاضِ الثَّلَاثَةِ وَتَحْمِلُ الْكَلَامَ أَوَّلًا فِي تَعْدِيدِ
الْمُقَدِّمَاتِ الْمَشُورَةِ ثُمَّ ثَانِيًا فِي التَّنْبِيْهِ ثُمَّ ثَالِثًا فِي الْمَشَاجِرَةِ
فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ نَنْظُرَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُشَارُ
بِهَا مَا هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي يُشَارُ بِهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ تَكُونَ الْمَشُورَةُ فِي كُلِّ
خَيْرٍ لَكِنْ فِي الْخَيْرَاتِ الَّتِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ أَوْ أَنْ لَا تَكُونَ
فَأَمَّا الْخَيْرَاتُ الَّتِي كَوْنُهَا أَوْ لَا كَوْنُهَا مِنَ الْأَضْطِرَّارِ فَلَيْسَ تَكُونَ
فِيهَا مَشُورَةٌ وَلَا أَيْضًا الْمَشُورَةُ تَكُونَ فِي جَمِيعِ الْخَيْرَاتِ الْمُمْكِنَةِ
فَإِنَّ هَاهُنَا خَيْرَاتٍ مُمَكِّنَةٌ وَجُودُهَا عَنْ الطَّبِيعَةِ بَلْ فِي الْخَيْرَاتِ
الْمُمْكِنَةِ إِلَيْنَا أَنْ تَكُونَ أَوْ أَنْ لَا تَكُونَ وَهِيَ الْأَشْيَاءُ

التي بدء كونها من قبل الاختيار والإرادة . ومن هذه فيما كان
وجوده أو لا وجوده تابعا لرويتنا وأفعالنا على الأكثر ولما ما
كان منها يعرض عن الروية بالاتفاق وأقل ذلك فليست هي في
الأكثر مما يشار بها إلا حيث لا يمكن أن يوجد المجلس الآخر
وقد يدل على أن الإشارة إنما تكون بهذه الأشياء أن الإنسان
إنما ينظر أولا هل الأمر الذي يريد أن يفعله ممكن ثم إن
كان ممكنا بأي شيء يمكن فإذا تبين له ذلك شرع في السعي
فيه وإن تبين له أنه غير ممكن حلى عنه . والأشياء التي بها نشير
هي التي فيها زوي . فقد تبين من هذا القول ما هو الخيز الذي نشير
به وفي أي الأشياء يكون والأمر الإرادية التي مبدأ وجودها و
لا الأمور الاضطرابية التي ليس إلينا وجودها وإعطائها أقرب التام
بين الأشياء الإرادية وغير الإرادية وتصحح عدد أنواعها ومعرفة
ماهية كل واحد منها على أقصى ما في طبائعها أن تعلم فليس من
شأن هذه الصناعة أن تبلغ من معرفة الأشياء الإرادية ولكن
ذلك من شأن صناعة الفلاسفة التي لها الفضل على هذه في التصور
والصدق والتقدمات المستعملة فيها اعتدق وأصح من هذه .
وذلك أن هنا لسنا تكلم من معرفة هذه الأشياء الأحوال
الذاتية المناسبة لها بل الأمور المشهورة . وإذا كان الأمر في هذه
الأشياء كما وصفنا فقد تبين أيضا من هذا القول أن جميع ما
قلناه في أجزاء هذه الصناعة هو حق أغني أنها مرتبة من علم

أَلْمُنْطِقِ وَمِنْ عِلْمِ السِّيَاسَةِ الْخَلْقِيَّةِ وَأَنَّ فِيهَا أَشْيَاءَ جَدِيدَةً أَوْ شَبِيهَةً
 بِالْأَشْيَاءِ الْجَدِيدَةِ وَأَيْضًا سُوفِسْطَائِيَّةً أَوْ شَبِيهَةً بِالسُّوفِسْطَائِيَّةِ .
 وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي فِي صَنَائِعٍ كَثِيرَةٍ إِنَّمَا تَكُونُ أَجْزَاءَ لِصِنَاعَةٍ وَاحِدَةٍ
 مَتَى أُخِذَ جَمِيعُهَا بِالْجَمْعَةِ وَالتَّحَالِ الَّتِي بِهَا تَكُونُ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ
 الْكَثِيرَةُ مُتَعَادِلَةً وَنَافِصَةً فِي غَرَضٍ تِلْكَ الصِّنَاعَةُ الْوَاحِدَةُ وَطُرِحَ
 مِنْهَا الْأَحْوَالُ الَّتِي بِهَا تَخْتَلِفُ أَغْنِي الْأَشْيَاءُ الَّتِي لَيْسَتْ تَكُونُ بِهَا مَعْنِيَةٌ
 فِي غَرَضٍ تِلْكَ الصِّنَاعَةُ الْوَاحِدَةُ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَا أَشْيَاءَ
 الْخَلْقِيَّةَ إِنَّمَا صَارَتْ جُزْءًا مِنْ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ مُعَدَّةٌ
 تَحْتَ الْكَلَامِ وَالْحُكْمِ وَهِيَ مِنْ صِنَاعَةِ السِّيَاسَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ أَحَدُ
 الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي تَقْصِدُ مَعْرِفَتَهَا وَعِلْمَهَا . وَالْأَشْيَاءُ الْجَدِيدَةُ
 وَالسُّوفِسْطَائِيَّةُ إِنَّمَا صَارَتْ جُزْءًا مِنْ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ مِنْ حَيْثُ أَنَّ
 الَّذِي تُسْتَعْمَلُ مِنْهَا هَذِهِ الصِّنَاعَةُ هُوَ سَابِقُ الْمَعْرِفَةِ الْأُولَى لِلْإِنْسَانِ
 لَا مَا هُوَ بَعِيدٌ عَنْ مَعْرِفَةِ الْجُمْهُورِ مِثْلُ أَنَّهَا إِنَّمَا تُسْتَعْمَلُ مِنَ الْقِيَاسِ
 الْقِيَاسِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ وَهُوَ التَّشْبِيلُ وَالضَّمِيرُ وَكَذَلِكَ الْحَالُ
 فِي الْأُمُورِ السُّوفِسْطَائِيَّةِ إِنَّمَا تُسْتَعْمَلُ مِنْهَا مَا جَرَتْ الْعَادَةُ بِاسْتِعْمَالِهِ
 عِنْدَ الْجُمْهُورِ مِثْلُ مَوَاضِعِ الْإِطْلَاقِ وَالتَّعْيِيدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ بِمَا يَسْتَعْمِلُهُ
 طَبَاعُهُمُ الْجُمْهُورُ فَهِيَ إِنَّمَا تُخَالَفُ هَذِهِ بِعَقْدَارِ النَّظَرِ وَقَدْ تُخَالَفُ
 أَيْضًا بِعَقْدَارِ النَّظَرِ هَذِهِ الصِّنَاعَةُ فِي الْأُمُورِ الْإِرَادِيَّةِ الَّتِي
 لِلْعِلْمِ السِّيَاسِيِّ فِيهَا أَنِّي أَنَا إِنَّمَا تَنْظُرُ فِي الْأُمُورِ الْإِرَادِيَّةِ النَّظَرُ
 الَّذِي هُوَ فِي سَابِقِ الْمَعْرِفَةِ لِلْإِنْسَانِ وَتَدْعُ تَقْضِي النَّظَرِ فِي ذَلِكَ

لِلْعِلْمِ السِّيَاقِي مِنْهَا. وَالْأُمُورُ الَّتِي يُشِيرُ بِهَا الْخَطِيبُ مِنْهَا مَا يُشِيرُ بِهِ
عَلَى أَهْلِ مَدِينَةٍ بِأَسْرِهِمْ وَمِنْهَا مَا يُشِيرُ بِهِ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ
تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَوْ جَمَاعَةٍ

البحث الرابع

في خمسة أمور يدور عليها البحث في النوع المشوري
وفي القياسات المختلفة بها

من الكتاب نفسه

(قَالَ) : فَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا الْمَشُورَةُ فِي
الْأُمُورِ الْعِظَامِ مِنْ أُمُورِ الْمَدِينِ فَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ
خَمْسَةً. أَحَدُهَا الْإِشَارَةُ بِالْعِدَّةِ الْمُدْخَرَةِ مِنَ الْأَمْوَالِ لِلْمَدِينَةِ.
وَالثَّانِي الْإِشَارَةُ بِالْحَرْبِ أَوْ السَّلَامِ. وَالثَّالِثُ الْإِشَارَةُ بِحِفْظِ الْبَلَدِ
بِمَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ خَارِجٍ. وَالرَّابِعُ الْإِشَارَةُ بِمَا يَدْخُلُ فِي الْبَلَدِ
وَيَخْرُجُ عَنْهُ. وَالْخَامِسُ الْإِشَارَةُ بِالْإِزَامِ الشَّنِّ. فَأَلْذِي يُشِيرُ بِالْعِدَّةِ
يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ أَحَدُهَا أَنْ يَعْرِفَ غَلَاتِ الْمَدِينَةِ مَا
هِيَ أَعْيَى هَلْ هِيَ تَبَاتٌ أَوْ حَيَوَانٌ أَوْ مَعْدِنٌ أَوْ جَمِيعُ هَذِهِ أَوْ اثْنَانِ
مِنْهَا كَمَا إِنْ نَعَصَ مِنْ الْفَاضِلِ مِنْهَا لِلْعِدَّةِ شَيْءٌ أَشَارَ بِالزِّيَادَةِ فِيهَا.
وَالثَّانِي أَنْ يَعْرِفَ مَعَ ذَلِكَ نَعَقَاتِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ كُلِّهَا. وَالثَّالِثُ أَنْ
يَعْرِفَ أَصَافَ النَّاسِ الَّذِينَ فِي الْمَدِينَةِ فَإِنْ كَانَ فِيهَا إِنْسَانٌ بَطَالٌ

وَهُوَ الَّذِي لَا قُضِيَّةَ عِنْدَهُ أَوْ عَاطِلٌ وَهُوَ الَّذِي لَا صِائَةَ لَهُ أَشَارَ
بَلْحَيْتِهِ مِنَ الْبَلَدِ. وَإِنْ كَانَ هُمَاكَ عَظِيمُ النِّفَعَاتِ فِي غَيْرِ الْجَمِيلِ أَوْ
غَيْرِ الضَّرُورِيِّ أَشَارَ بِأَخْذِ ذَلِكَ الْفَضْلِ مِنَ أَمَالِ مِثْلِهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ
يَكُونُ الْغِنَاءُ بِالْإِزَادَةِ فِي أَمَالِ بَلٍ وَبِالنِّقْصَانِ مِنَ النِّفَعَةِ وَلِذَلِكَ
قِيلَ : قَوْلُهُ أَلْيَالٍ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ

(قَالَ) وَمِنْ الضَّرُورَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَمِثْلِهَا
أَحْتَاجَةُ إِلَيْهَا يَقِفُ الْخَطِيبُ عَلَى مَا يَحْتَاجُ أَنْ يُشِيرَ بِهِ فِي وَاحِدٍ
وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ. وَلَيْسَ يَحْتَاجُ عِنْدَ الْإِشَارَةِ بِالْإِزَادَةِ فِي
الْثَبَاتِ أَنْ يَكُونَ فَلَاحًا وَلَا فِي الْحَيَوَانِ أَنْ يَكُونَ رَاعِيًا لَكِنْ
يَكْفِيهِ فِي ذَلِكَ مَعْرِفَتُهُ شِدَارَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا لَكِنْ يَحْتَاجُ مَعَ هَذَا
أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالنَّسَبِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَمَا عِنْدَ النَّاسِ
فِيهَا. وَأَمَّا الْمَشِيرُ بِالْحَرْبِ أَوْ السَّلْمِ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ قُوَّةَ مَنْ
يُحَارِبُ وَقُوَّةَ مَنْ يُحَارَبُ وَمِقْدَارَ الْأَمْرِ الَّذِي يُنَالُ بِالْحِمَارَةِ هَلْ هُوَ
يَسِيرٌ أَوْ عَظِيمٌ وَحَالُ الْمَدِينَةِ فِي دَأْقَتِهَا وَحَصَانَتِهَا وَضَعْفِ أَهْلِهَا
وَقُوَّتِهِمْ. وَفِي صِفَةِ الْمَدِينَةِ أَوْ فِي عِظَمِهَا أَعْنِي هَلْ مِقْدَارُهُمْ مِقْدَارُ
مَنْ يَسْتَطِيعُ الْحِمَارَةَ أَمْ لَيْسَ مِقْدَارُهُمْ ذَلِكَ الْمِقْدَارُ. وَهَلْ لَهُمْ
بِصِفَةٍ مَنْ تَمَكَّنَتْهُمُ الْحِمَارَةُ أَمْ لَيْسَ لَهُمْ. وَأَنْ يَعْرِفَ مَعَ ذَلِكَ شَيْئًا
مِنْ الْحُرُوبِ الْمُتَقَدِّمَةِ لِيَصِفَ لَهُمْ كَيْفَ يُحَارِبُوا إِنْ أَشَارَ عَلَيْهِمْ
بِالْحَرْبِ وَيَهْوَنَ عَلَيْهِمْ أَمْرُ الْحَرْبِ. أَوْ يَعْرِفَهُمْ بَمَا فِي الْحَرْبِ مِنْ
مَكْرُوهِ إِنْ أَشَارَ عَلَيْهِمْ بِدَلَالَةِ الْحَرْبِ. وَقَدْ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ لَيْسَ

حَالِ أَهْلِ مَدِينَتِهِ قَطْعَ بَلٍ وَحَالِ مَنْ فِي ثُغُورِهِ وَثَغُورِهِ أَعْنِي كَيْفَ
 حَالُهُمْ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَحَالُهُمْ مَعَ عَدُوِّهِمْ فِي الظُّلْمِ أَوْ الْفُجْرِ
 عَنْهُ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ مِنْ هَاهُنَا مُقَدَّمَاتٍ نَافِئَةٍ فِي الْإِشَارَةِ عَلَيْهِمْ بِالْحَرْبِ
 أَوْ السَّلَامِ. وَيَحْتَاجُ مَعَ هَذَا أَنْ يَتَلَمَّ الْحُرُوبَ الْجَيِّسَةَ مِنَ الْحُرُوبِ
 الْجَائِزَةِ وَأَنْ يَتَلَمَّ حَالِ الْأَجَادِ هَلْ هُمْ مُتَشَابِهُونَ فِي الْقُوَّةِ
 وَالشَّجَاعَةِ وَالرَّأْيِ وَاجَادَةِ مَا فُوضَ إِلَى صِنْفٍ صِنْفٍ مِنْهُمْ مِنْ
 الْقِيَامِ بِجُزْءِ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْحَرْبِ. أَعْنِي أَنْ يَكُونُوا فِي ذَلِكَ
 مُتَشَابِهِينَ فَإِنَّهُ رُبَّمَا كَثُرُوا وَتَنَاسَلُوا حَتَّى يَكُونَ فِيهِمْ مَنْ لَا يَضِلُّ
 لِلْحَرْبِ أَوْ لِلْجُزْءِ مِنَ الْحَرْبِ الَّذِي فُوضَ إِلَيْهِ الْقِيَامُ بِهِ. وَقَدْ يَنْبَغِي
 مَعَ هَذَا أَنْ يَكُونَ ظَاهِرًا لَيْسَ فَيَا أَفْضَتْ إِلَيْهِ مُحَارَبَتُهُمْ بَلٍ وَفَيَا
 أَفْضَتْ إِلَيْهِ حُرُوبُ سَائِرِ النَّاسِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ الْمُتَأَخِّرِينَ لَهُمْ فَإِنَّ
 الشَّيْءَ يُحْكَمُ مِنْهُ عَلَى الشَّيْءِ. أَعْنِي أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَفْضَتْ الْحُرُوبُ
 الشَّيْءَ بِمَجْرَبِهِمْ إِلَى مَكْرُوبِهِ أَنْ يُشِيرَ بِالسَّلَامِ وَإِنْ كَانَتْ أَفْضَتْ
 إِلَى الظُّلْمِ أَنْ يُشِيرَ بِالْحَرْبِ. وَأَمَّا حِفْظُ الْبِلَادِ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ الْمَشِيرَ
 بِالْحِفْظِ أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ تَحْفَظُ الْبِلَادُ وَمَا مِقْدَارُ الْحِفْظِ الْحَاجِ
 إِلَيْهِ فِي طَلَبِ طَلَبِيٍّ وَطَلَبِيٍّ وَكَيْفَ أَنْوَاعُ الْحِفْظِ. وَيَعْرِفُ مَعَ هَذَا
 الْمَوَاضِعَ الَّتِي يَكُونُ حِفْظُهَا بِالزَّجَالِ وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى السَّلَاحِ. فَإِنْ
 كَانَ الْحِفْظُ لِتِلْكَ الْمَوَاضِعِ قَلِيلًا زَادَ فِيهِمْ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ لَا
 يَضِلُّ لِلْحِفْظِ نَحَاهُ مَنْ لَيْسَ يَقْصِدُ قَصْدَ الْحَكَمَاءِ عَنْ الْمَدِينَةِ بَلْ يَقْصِدُ
 قَصْدَ نَفْسِهِ. وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَحْفَظَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الْمَوَاضِعِ الْحَيَّةِ

أَعْنِي الَّتِي الْفَنَعَةُ بِحِفْظِهَا أَكْثَرُ. قَدْ عَرَفَ هَذَا قَدْ يُمَكِّنُهُ أَنْ
يُشِيرَ بِالْحِفْظِ وَأَنْ يَكُونَ خَيْرًا بِاللِّدَارِ الَّتِي يُشِيرُ بِحِفْظِهَا. وَأَمَّا
الْإِشَارَةُ بِالْقَوْتِ وَسَائِرُ الْأَشْيَاءِ الضَّرُورِيَّةِ الَّتِي تَحْتَاجُهَا الْمَدِينَةُ فَإِنَّهُ
يَحْتَاجُ الْمَشِيرُ فِيهِ أَنْ يَعْرِفَ مِقْدَارَهَا وَكَمْ يَكْفِي الْمَدِينَةَ مِنْهَا وَكَمْ
الْحَاضِرُ الْمَوْجُودُ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ ذَلِكَ وَهَلْ أُدْخِلَ الْكَافِي مِنْ
ذَلِكَ فِي الْمَدِينَةِ وَأُخْرَدَ أَمْ لَمْ يُدْخَلْ. وَمَا الْأَشْيَاءُ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ
تُخْرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَهُوَ الْفَاضِلُ عَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. وَمَا الْأَشْيَاءُ الَّتِي
يَنْبَغِي أَنْ تَدْخَلَ وَهُوَ مَا قَصَرَ عَنِ الضَّرُورِيِّ لِتَكُونَ شُورَتُهُ وَمَا
يُسَهِّلُ بِهِ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ قَدْ يَحْتَاجُ الْمَرْءُ أَنْ يَحْفَظَ أَهْلَ مَدِينَتِهِ
لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا لِمَكَانِ ذَوِي الْقَضَائِلِ وَالثَّانِي لِمَكَانِ ذَوِي الْأَمَالِ
الَّذِينَ مِنْ أَجْلِ ذَوِي الْقَضَائِلِ. وَالْحَافِظُ لِلدُّنِّ يَحْتَاجُ بِالْجُمْلَةِ إِلَى
أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِجَمِيعِ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ الْخَمْسَةِ عِنْدَ حِفْظِهَا

(قَالَ) وَأَمَّا النَّظَرُ فِي وَضْعِ السُّنَنِ وَالْإِشَارَةُ بِهَا فَلَيْسَ بِبَسِيرٍ
فِي أَمْرِ الْمَدْنِ فَإِنَّ الْمَدْنَ إِنَّمَا تَسْلَمُ وَيَلْتَمُ وجودُهَا بِالسُّنَنِ وَلِذَلِكَ
قَدْ يَنْبَغِي لِوَاضِعِ السُّنَنِ أَنْ يَعْرِفَ كَمْ أَصْنَافُ السِّيَاسَاتِ وَآيُ
سُنَّةٍ تَنْفَعُ فِي سِيَاسَةِ سِيَاسَةٍ وَآيُ سُنَّةٍ لَا تَنْفَعُ وَآيُ نَاسٍ
تَضُرُّ بِهِمْ سُنَّةٌ سُنَّةٌ وَسِيَاسَةٌ سِيَاسَةٌ وَآيُ نَاسٍ لَا تَضُرُّ بِهِمْ وَأَنْ
يَكُونَ يَعْرِفُ الْأَنْبِيَاءَ الَّتِي يَخَافُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْهَا الْفَسَادُ عَلَى
الْمَدِينَةِ. وَذَلِكَ إِمَّا مِنَ الْأَصْدَادِ مِنْ خَارِجٍ وَإِمَّا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
فَإِنَّ سَائِرَ الْمَدْنِ مَا عَدَا الْمَدِينَةَ الْفَاضِلَةَ قَدْ تَفْسُدُ مِنْ قِبَلِ السُّنَنِ

الْمَوْضُوعَةِ فِيهَا وَذَلِكَ إِذَا كَانَتْ أَلْسِنَةُ مُفْرَطَةِ الضَّغْفِ وَاللِّسَانِ أَوْ
مُفْرَطَةِ السِّدَّةِ وَسَوَاءٌ كَانَتْ فِي رَأْيٍ أَوْ فِي خُلُقٍ أَوْ فِي فِضْلِ
وَذَلِكَ أَنَّ السِّيَاسَةَ الَّتِي تَسَمَّى الْحُرِّيَّةَ قَدْ يَظْهَرُ مِنْ أَمْرِهَا أَنَّهَا
تَنْتَقِلُ كَثِيرًا مِنْ قَبْلِ هَذَا أَلَمَعْنَى إِلَى رِئَاسَةِ الْحِسَّةِ أَعْنَى رِئَاسَةِ
الشُّهُوتِ أَوْ رِئَاسَةِ أَلْمَالِ وَالَّذِي قَالَهُ ظَاهِرٌ عِنْدَنَا مِنْ أَمْرِ
دَوِي السِّيَاسَاتِ الَّتِي وَصَلَتْهَا أَخْبَارُهُمْ

(قَالَ) وَلَيْسَ يُوَلُّ الْأَمْرُ فِي هَذِهِ السِّيَاسَةِ أَعْنَى سِيَاسَةَ
الْحُرِّيَّةِ إِلَى سِيَاسَةِ الْأَخْصَاءِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَدْخُلَ أَلْسِنَ وَلِيْنَهَا وَإِنْ
كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْأَكْثَرُ بَلْ وَمِنْ قَبْلِ الْأَفْرَاطِ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ
الْأَشْيَاءِ إِذَا أُفْرِطَتْ بَطَلَتْ وَجُودُهَا كَمَا يَبْطُلُ وَجُودُهَا مِنْ قَبْلِ
الضَّغْفِ وَالْتِصْفِيرِ. وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ أَلْقَطَسَ إِذَا أُفْرِطَ وَتَغَاقَمَ كَانَ
قَرِيبًا مِنْ أَنْ يَطْلُبَ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ أَنْفٌ وَإِذَا كَانَ غَيْرُ مُفْرَطٍ
قَرَبَ مِنَ الْإِفْتِدَالِ

(قَالَ) وَيَحْتَاجُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَعْرِفَ أَلْسِنَ الَّتِي وَضَعَهَا كَثِيرٌ
مِنَ النَّاسِ فَاتَّقَعُوا بِهَا فِي سِيَاسَةِ سِيَاسَةٍ مِنَ السِّيَاسَاتِ الْمَشْهُورَةِ
وَفِي أُمَّةٍ أُمَّةٍ لِيَسْتَعْمِلَ مِنْهَا النَّافِعَ الَّذِي يَخْصُهُ وَالْأُمَّةُ الَّتِي تَخْصُهُ .
وَلِذَلِكَ تَبَيَّنَ أَنَّ مَعْرِفَةَ وَاضِعِ أَلْسِنَ بِأَمْرِجَةِ النَّاسِ وَأَخْلَاقِهِمْ
وَعَادَاتِهِمْ يُمْكِنُ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ فِي وَضْعِ أَلْسِنَ فَإِنَّ مِنْ هَاهُنَا يُمْكِنُ أَنْ
يَضَعَ أَلْسِنَ النَّافِعَةَ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ الْمُخْتَلِفَةِ الطَّبَائِعِ. وَأَمَّا أَلْفَسَادُ
الْأَخْلَاقِ عَلَى أَلْمَدُنِ مِنْ خَارِجٍ أَعْنَى مِنَ الْأَعْدَاءِ فَأَمْرٌ ظَاهِرٌ بِنَفْسِهِ

وَقَدْ كَتَبَ النَّاسُ فِي الْأَوْجِهِ الَّتِي يُتَوَقَّعُ مِنْهَا غَلَبَةُ الْأَعْدَاءِ
وَالْأَوْجِهِ الَّتِي يُتَحَوَّرُ بِهَا مِنْهُمْ. وَمِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ يَأْخُذُ الْمُقَدَّمَاتِ
الَّتِي يُشِيرُ بِهَا عَلَى أَهْلِ مَدِينَتِهِ بِالْحَفَظِ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَمَا قُلْنَا فِي
وَضْعِ السُّعْنِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَاضِعُهَا هُوَ مِنْ عِلْمِ السِّيَاسَةِ لَا مِنْ
عِلْمِ الْخَطَايَةِ. وَإِنَّمَا يُذَكَّرُ مِنْهَا هَاهُنَا مَا يَكُنِي فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ

البحث الخامس

في السبب الذي من أجله يشير الخطيب وهو سعادة السامع
وفي ماهية السعادة وأنواع الحبور التي من مجموعها

تتولد السعادة

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) فَهَذِهِ هِيَ الْأُمُورُ الْعُظْمَى الَّتِي بِهَا يُشِيرُ الْمُسِيرُونَ
عَلَى أَهْلِ الْمَدُنِ وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْهَا يُشَارُ عَلَى وَاحِدٍ
وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ. وَتَحْنُ قَائِلُونَ الْآنَ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْهَا يَكُونُ
الْإِذْنُ وَالْمَنْعُ لِوَاحِدٍ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ وَمُبْتَدُونَ أَوَّلًا بِالْإِخْبَارِ
عَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يُشِيرُ الْمُسِيرُونَ فَيَذَنُونَ فِيهَا أَوْ يَمْنَعُونَ
مِنْ أَضْدَادِهَا. وَيُشِيرُ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ أَنْفِعَالٌ
مَا وَتَشَوُّقٌ بِالطَّبْعِ لِخَيْرِ الَّذِي يَشَوُّقُهُ الْكُلُّ لِنَفْسِهِ وَيُشِيرُ بِهِ عَلَى
غَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْرِفَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَا هُوَ ذَلِكَ لَخَيْرٍ فَيَحْتَارُونَ
وَيُؤَيِّرُونَ عَلَى غَيْرِهِ. أَوْ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ أَجَابَ فِيهِ بِجَوَابٍ مُنْبِئٍ عَنْ

طَبِيعَتِهِ بَلْ إِنَّمَا عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَجُودُهُ قَطْعٌ. وَإِذَا سُئِلَ وَاحِدٌ
 وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ أَسْمُهُ أَجَابَ فِيهِ بِجَوَابٍ غَيْرِ الْجَوَابِ
 الَّذِي يُجِيبُ فِيهِ الْآخَرُ. وَإِنَّمَا يُؤَيِّدُهُ الْجَمِيعُ لِمَكَانِ هَذَا إِلَّا نِفْعَالُ
 التَّوَجُّودِ لَهُ بِالطَّبَعِ عِنْدَ الْجَمِيعِ. وَهَذَا الْخَيْرُ فِي الْجَنَّةِ هُوَ صَلَاحُ
 الْحَالِ وَأَجْزَاءُ صَلَاحِ الْحَالِ. وَلِذَلِكَ قَدْ يَتَّبِعِي أَنْ تُفَصِّلَ أَوَّلًا مَا
 هُوَ صَلَاحُ الْحَالِ بِقَوْلِ عَامِلٍ ثُمَّ تُفَصِّلَ أَجْزَاءَهُ وَتُخَيَّرَ عَنْ أَضْدَادِهَا
 وَعَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْأَذْنُ وَالْمَعُ وَهِيَ النَّافِضَةُ فِي صَلَاحِ
 الْحَالِ أَوْ الْأَنْفَعُ فِيهِ أَوْ الضَّارَّةُ فِيهِ أَوْ الْأَضَرُّ فِيهِ فَإِنَّ هَذَا يَتِمُّ
 لَنَا الْقَوْلُ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْهَا تَلْتَمِ الْأَقَاوِيلُ الْمُشَوِّبَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ
 مَعَ جَمِيعِ النَّاسِ

(قَالَ) وَالَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَلَمْ يَتَكَلَّمُوا
 مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ إِلَّا فَيَا تَجْرِي تَجْرِي الْأُمُورِ الْكَلِيَّةِ مِثْلَ
 أَنَّهُمْ قَالُوا: يَتَّبِعِي لِطَبِيعِ أَنْ يُعْظَمَ الشَّيْءُ الصَّغِيرُ إِذَا أَرَادَ
 تَغْيِيضَهُ وَيُصَغَّرَ الشَّيْءُ الْكَبِيرُ إِذَا أَرَادَ تَهْوِيضَهُ. وَيَتَّبِعِي لَهُ أَنْ لَا
 يَأْذَنَ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُفْسِدُ صَلَاحَ الْحَالِ وَفِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي
 تُنْقِصُ عَنْ صَلَاحِ الْحَالِ أَوْ تَتَجَاوَزُ صَلَاحَ الْحَالِ إِلَى ضِدِّهِ. وَلَمْ يَقُولُوا
 مَا هِيَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي بِهَا يُعْظَمُ الشَّيْءُ أَوْ يُصَغَّرُ وَلَا مَا هِيَ الْأَشْيَاءُ
 الَّتِي تُوجِبُ اخْتِلَالَ صَلَاحِ الْحَالِ أَوْ قُوَّتُهُ أَوْ تَجَاوُزُهُ إِلَى ضِدِّهِ
 (قَالَ) فَأَمَّا صَلَاحُ الْحَالِ فَهُوَ حُسْنُ الْفِعْلِ مَعَ فَضِيلَةٍ وَطُولٍ مِنْ
 الْعَمَلِ وَحَيَاةٍ لَدِيدَةٍ مَعَ السَّلَامَةِ وَالسَّعَةِ فِي أَمَالٍ وَحُسْنِ الْحَالِ

عِنْدَ النَّاسِ مَعَ تَحْصِيلِ الْأَشْيَاءِ الْخَافِظَةِ لَهُذِهِ الْأَشْيَاءِ وَالْقَائِلَةِ لَهَا .
وَقَدْ يَشْهَدُ أَنَّ هَذَا هُوَ رَسْمُ صَلَاحِ الْحَالِ الْمَشْهُورِ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ
يَرَوْنَ أَنَّ صَلَاحَ الْحَالِ هُوَ هَذَا أَوْ شَيْءٌ قَرِيبٌ مِنْ هَذَا وَإِذَا كَانَ
صَلَاحُ الْحَالِ هُوَ هَذَا فَاجْزَأْهُ هِيَ كَرَمُ الْحَسَبِ وَكَثْرَةُ الْأَخْوَانِ
وَالْأَوْلَادِ وَالْيَسَارُ وَحُسْنُ الْفِعْلِ وَالسَّخِيخَةُ الصَّالِحَةُ وَفَضَائِلُ الْجَسَدِ
وَمِثْلُ الصِّحَّةِ وَالْجَمَالِ وَالْجَلَدِ وَالْجِرَّةِ وَالْبَطْشِ وَالْعَجْدِ وَالْجَلَالَةِ
وَالسَّعَادَةِ وَالْقُضِيَّةِ وَاجْزَأْهَا مِثْلُ الْقُلِّ وَالشَّجَاعَةِ وَالْعَفَافِ وَالْعَدَالَةِ
وَالْبِرِّ فَإِنَّهُ هَكَذَا أُخْرَى أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مَوْفُورًا مَكْنِيًا
أَعْنِي إِذَا كَانَتْ لَهُ الْخَيْرَاتُ الْمَوْجُودَةُ مِنْ خَارِجٍ . وَالْخَيْرَاتُ
الْمَوْجُودَةُ فِيهِ النَّفْسَانِيَّةُ وَالْجَسَدَانِيَّةُ وَالَّتِي مِنْ خَارِجٍ هِيَ الْحَسَبُ
وَالْإِخْوَانُ وَالْأَمَالُ وَالْكَرَامَةُ وَقَدْ يُظَنُّ أَنَّهُ يَدُ مَعَ هَذِهِ نَفْوُذُ
الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْإِتِّفَاقَاتُ الْجَلِيَّةُ وَهِيَ الْمَسَامَةُ عِنْدَ النَّاسِ سَعَادَةُ
فَإِنَّ يَهْدِي الْأَشْيَاءَ تَكُونُ حَيَاةُ الْمَرْءِ فِي سِيرَتِهِ حَيَاةً مَنْ لَا
يَنْقُصُهُ شَيْءٌ مِنْ خَارِجٍ وَلَا يَشُوبُ خَيْرُهُ شَيْءٌ مُضَادٌّ . وَإِذَا كَانَ
هَذَا هَكَذَا فَجَبُّ أَنْ نَنْظُرَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ مَا هُوَ بِحَسَبِ
النَّظَرِ الْمَقْصُودِ هُنا وَهُوَ النَّظَرُ الْمَشْهُورُ . فَأَمَّا الْحَسَبُ فَهُوَ أَنْ يَكُونَ
الْقَوْمُ الَّذِينَ هُوَ مِنْهُمْ هُمْ أَوَّلَ مَنْ تَرَى الْمَدِينَةَ أَوْ يَكُونُوا قُدَمَاءَ
الْأَزْوَالِ فِيهَا وَيَكُونُوا مَعَ هَذَا حُكَّامًا أَوْ رُؤَسَاءَ دَوِي ذِكْرِ جَمِيلٍ
وَكَثْرَةَ عَدَدٍ وَأَنْ يَكُونُوا مَعَ هَذَا أَحْرَارًا لَمْ يَخُزْ عَلَيْهِمْ سَبَاءٌ أَوْ
يَكُونُوا مِنْ نَالِ الْأُمُورِ الْجَلِيَّةِ الْمَقْبُولَةِ عِنْدَ النَّاسِ وَإِنْ لَمْ

يَكُونُوا حُكَّامًا وَلَا رُؤَسَاءَ. فَأَمَّا النَّظَرُ فِي الْحَسَبِ هَلْ هُوَ مِنْ
الرَّجَالِ فَقَطْ أَوْ مِنْ النِّسَاءِ فَالظَّاهِرُ مِنْ ذَلِكَ وَالْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ عِنْدَ
الْجَمِيعِ أَنَّهُ يَكُونُ أُمَّمٌ إِذَا كَانَ مِنْ كَلِمَتَيْنِ وَيَتَّبَعِي أَنْ يَسْتَعِيلَ
الْحَطِيبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَشْهُورِ فِي أُمَّةٍ أُمَّةً. وَمِنْ شُرُوطِ الْحَسَبِ أَنْ
يَكُونَ الرُّؤَسَاءُ وَالْأَخْرَارُ مِنْ أُولَئِكَ الْقَوْمِ الَّذِينَ شُهِرُوا بِالْقَضِيَّةِ
وَالْيَسَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ لَمْ يَنْقَطِعْ وَجُودُهُمْ فِي الْقَوْمِ
الَّذِينَ هُوَ وَنَتْنُهُمْ إِلَى وَجُودِهِ هُوَ بَلْ يُوجَدُ فِي ذَلِكَ الْجِنْسِ أَبَدًا
أَشْيَاحٌ بِهَذِهِ الصِّفَةِ يَخْلِفُهُمْ غِلْمَانٌ فِي تِلْكَ الْحِصَالِ. فَإِنَّهُ إِنْ أَنْقَطَعَ
الشَّرَفُ فِي ذَلِكَ الْجِنْسِ الَّذِي هُوَ مِنْهُمْ لَمْ يَكُنْ حَسِبًا وَإِنْ لَمْ
يَنْقَطِعْ مِنْهُمْ فَهُوَ حَسِبٌ وَإِنْ أَنْقَطَعَ فَيَسُنُّ وَلَدَ مِنْهُمْ. وَأَمَّا حُسْنُ
الْحَالِ بِالْأَوْلَادِ وَكَثْرَتِهِمْ فَهُوَ بِمَا لَا حَقَّاءَ بِهِ وَحُسْنُ الْحَالِ بِالْأَوْلَادِ
الْمُشْتَرَكُ لِلْجَمِيعِ هُوَ كَثْرَةُ النِّسَاءِ وَصَلَاحُهُمْ فِي فَضَائِلِ الْجَسَدِ
وَفَضَائِلِ النَّفْسِ. أَمَّا فِي فَضَائِلِ الْجَسَدِ فَيَرْبَعُ أَحَدَاهَا الْجَوَالَةُ وَهِيَ
أَنْ تَكُونَ خَائِفَةً خُلُقًا طَبِيعِيَّةً يَفُوقُونَ فِيهَا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ.
وَالثَّانِيَةُ الْجَمَالُ. وَالثَّلَاثَةُ الشَّدَّةُ. وَالرَّابِعَةُ الْبَطْشُ فَهَذِهِ الْأَرْبَعُ
يَكُونُ الْغِلْمَانُ صَالِحِينَ فِي فَضَائِلِ أَجْسَادِهِمْ. وَأَمَّا فِي فَضَائِلِ
النَّفُوسِ فَيَكُونُونَ بِأَثْنَتَيْنِ بِالْعِفَافِ وَالشَّجَاعَةِ. وَأَمَّا مَا قَدْ يَكُونُ بِهِ
صَلَاحُ حَالِ بَعْضِ النَّاسِ فَكَثْرَةُ الْأَوْلَادِ مِنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ.
وَصَلَاحُ الْحَالِ بِالْإِنَاثِ أَيْضًا يَكُونُ بِفَضِيلَتَيْنِ فِي الْجَسَدِ وَالنَّفْسِ.
أَمَّا فِي الْجَسَدِ فَاتْنَتَانِ الْمَبَالَةُ وَهُوَ عِظَمُ الْأَعْضَاءِ الْعِظَمُ الطَّبِيعِيُّ

وَكَثْرَةُ النَّحْمِ الطَّيِّبِ لَا اللَّوْنُ وَالْجَمَالُ. وَأَمَّا فِي النَّفْسِ فَثَلَاثُ
 الْمَنَافِ وَحُبُّ الْأَلْفَةِ وَحُبُّ الْكَدِّ فَإِنَّ يَهْدِيهِ الْقَضَائِلُ يَكْمُلُ
 الْمَزَلُ وَهَذِهِ الْقَضَائِلُ الَّتِي قُلْنَا سَبِيلَهَا أَنْ تُوجَدَ فِي الْبَسَاءِ كُلِّهَا
 اللَّائِي مِنْ نَسَبِ ذَلِكَ الرَّجُلِ عَلَى الْعُمومِ وَفِي الرِّجَالِ كُلِّهِمْ عَلَى
 الْعُمومِ وَفِي أَوْلَادِهِ الذُّكُورِ خَاصَّةً إِذَا كَانَ أَوَّلُ دَهْرِهِ الصَّقَ.
 وَقَدْ يَنْبَغِي لِلْخَطِيبِ أَنْ يَنْظُرَ هَلِ الْقَضَائِلُ الَّتِي هُوَ مِنْهَا هِيَ هَذِهِ
 الْقَضَائِلُ عِنْدَهُمْ أَعْنِي فِي أَوْلَادِهِمْ أَمْ لَيْسَ هِيَ هَذِهِ فَإِنَّ كَثِيرًا
 مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يُدْرُونَ أَوْلَادَهُمُ الذُّكُورَ وَالْأُنثَى بِالزَّيْتَةِ وَالسِّنِّ
 وَهَؤُلَاءِ يَقُولُ فِيهِمْ أَرَسَطُوهُ قَدْ فَاتَهُمُ التَّصَفُّ مِنْ صَلَاحِ الْحَالِ
 بِالْأَبْنَاءِ. قَامًا أَجْزَاءُ الْيَسَارِ فِكْثَرَةُ الدَّائِيَةِ وَالْأَرْضِيَةِ وَالْعَقَارِ
 وَالْأَنْثَى وَالْأَمْتَةِ وَالْوَأَسِيِّ وَجَمْعُ الْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي النَّوعِ
 وَالْجِنْسِ. وَكُلُّ ذَلِكَ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فِي حِفْظٍ وَمَعَ حُرِّيَّةٍ
 وَأَنْ يَكُونَ فِيهَا مُشْتَبَعًا أَيْ مُلْتَمَذًا لَا حَافِظًا لَهَا قَطُّ أَوْ مُنْصِيًا
 (قَالَ) وَمِنْ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ فِي الْيَسَارِ وَالنَّاعَةِ لَهُ الْأَشْجَارُ
 الشَّجَرَةُ وَالثَّلَاثُ مِنَ كُلِّ شَيْءٍ. وَاللَّذِيذُ مِنْ هَذِهِ هُوَ مَا يُجْنَى
 بِغَيْرِ تَعَبٍ وَلَا نَفَقَةٍ وَحَدُّ الْحِفْظِ وَالْأَحْرَارِ لِلدَّالِ هُوَ أَنْ يَكُونَ
 فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يُتَعَدَّرُ مِنْهُ عَلَيْهِ وَأَنْ يَكُونَ بِالْحَالِ الَّتِي
 يُمَكِّنُ أَنْ يَتَفَنَّعَ بِهَا وَمِثْلُ أَنْ إِذَا كَانَتْ أَرْضًا أَلَّا تَكُونَ سَجَّةً وَإِنْ
 كَانَ قَرْمًا أَلَّا يَكُونَ جُوعًا. وَحَدُّ الْحُرِّيَّةِ فِي أَمَالِ أَنْ يَكُونَ
 إِلَيْهِ التَّصَرُّفُ فِي أَمَالٍ بِالْإِعْطَاءِ وَالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَأَمَّا التَّعَمُّ بِأَمَالٍ

فَهُوَ اسْتِعْمَالُهُ عَلَى طَرِيقِ التَّلَذُّذِ بِهِ . وَإِنَّمَا اشْتَرَطَ فِي الْغِنَى هَذَا
الشَّرْطَ لِأَنَّهُ أَنْ يَكُونَ الْغِنَى فِي اسْتِعْمَالِ أَمَالٍ أُخْرَى مِنْهُ أَنْ
يَكُونَ فِي اقْتِنَائِهِ لِأَنَّ الْاِقْتِنَاءَ هُوَ فَاعِلُ الْغِنَى وَأَمَّا الْأَسْتِعْمَالُ
فَهُوَ الْغِنَى بَيْنَهُ وَأَمَّا حُسْنُ الْفِعْلِ عَلَى الرَّأْيِ الصَّوَابِ فَهُوَ الَّذِي
يُظَنُّهُ الْكُلُّ قَاعِيلاً وَهُوَ الَّذِي يَقْنِي الشَّيْءَ الَّذِي يَشْرُوهُ الْأَكْثَرُ
لَا مَحَالَةَ أَوْ الْأَخْيَارُ مِنَ النَّاسِ وَذَوُوا الْكَيْسِ وَالْفِطَنَةِ

(قَالَ) وَأَمَّا الْكَرَامَةُ فَلَهَا فِي زَمَانِنَا هَذَا لِلْعَقَبِيِّ بِحُسْنِ
الْفِعْلِ وَالْإِكْرَامِ . النَّاسُ الَّذِينَ لَهُمُ الْعِنَايَةُ الْحَسَنَةُ بِهِمْ هِيَ مُكَافَأَةٌ
عَلَى طَرِيقِ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ إِذْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَفْعَالُ لَيْسَ تُكَافِئُهَا
الدَّانِيَةُ وَالْدَّرَاهِمُ . وَلَيْسَ يُكْرَمُ الَّذِينَ لَهُمُ الْعِنَايَةُ الْحَسَنَةُ بِالنَّاسِ
فَقَطُّ بَلْ وَالَّذِينَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْعِنَايَةُ الْحَسَنَةُ أَعْنِي
الَّذِينَ لَهُمْ قُوَّةٌ عَلَى ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ فِي حَالِ الْإِكْرَامِ
وَالْعِنَايَةِ بِالنَّاسِ الَّتِي تَسْتَوْجِبُ الْكَرَامَةَ هِيَ الْعِنَايَةُ مُحْلِصُهُمْ مِنْ
الضَّرُورِ الَّتِي لَيْسَ الْمُخْلِصُ مِنْهَا يَهَيِّجُ أَوْ إِقَادَتُهُمْ لِحَيْرَاتِ الَّتِي لَيْسَ
إِقَادَتُهَا بِالسَّهْلِ . وَهَذِهِ الْأَفْعَالُ الْجَيِّدَةُ هِيَ تَكُونَ عَنْ الْغِنَى أَوْ
السُّلْطَانِ أَوْ مَا أَشَبَّ ذَلِكَ تَمَّا يَكُونُ لِلْإِنْسَانِ بِهِ الْقُدْرَةُ عَلَى
أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ وَقَدْ يُكْرَمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى خَيْرَاتٍ
يَسِيرَةٍ لَكِنَّا تَكُونُ كَثِيرَةً بِالْإِعْاقَةِ إِلَى ذَلِكَ الزَّمَانِ وَإِلَى
تِلْكَ الْحَالِ . فَكَانَ الْكَرَامَةُ عَلَى الْأَشْيَاءِ الْيَسِيرَةِ هِيَ بِالْعَرَضِ
أَيَّ مِنْ جِهَةٍ مَا عَرَضَ لِكَالِ الْأَشْيَاءِ أَنْ تَكُونَ كَثِيرَةً بِالْإِعْاقَةِ

إِلَى ذَلِكَ الزَّوْتِ أَوْ الْحَالِ. وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَكُونُ بِهَا الْكَرَامَةُ
فِيهَا مُشْتَرَكَةٌ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ وَفِيهَا خَاصَّةٌ. فَلِخَاصَّةٍ مِثْلُ الذَّبَاجِ
وَالْقَرَابِينِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْيُونَانِيِّينَ أَنْ يُكْرَمُوا بِهَا
الْأَمْوَاتَ. وَفِيهَا عَامَّةٌ وَهِيَ الْمَرَاتِبُ فِي الْجَالِسِ وَالْمُسَارِعَةِ إِلَى
أَقْوَالِهِ وَتَرْكُ مُحَافَظَتِهِ وَالْهَدَايَا الَّتِي تُوجِبُ الْحُبَّ وَالْقُرْبَ. فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ
جَمَعَتْ أَمْرَيْنِ بَذَلِ أَمَالٍ وَالْكَرَامَةِ وَلِذَلِكَ كَانَتْ مُسْتَحَبَّةً لِجَمِيعِ
النَّاسِ وَكُلُّ إِنْسَانٍ يُحِبُّ فِيهَا مَا يَشْتَوِقُهُ وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ ثَلَاثَةٌ
أَصْنَافٌ إِمَّا صِنْفٌ يُحِبُّ الْكَرَامَةَ وَإِمَّا صِنْفٌ يُحِبُّ أَلْمَالَ وَإِمَّا
صِنْفٌ يَجْمَعُ الْأَمْرَيْنِ. وَالْهَدِيَّةُ قَدْ جَمَعَتْ مُشْتَوَقَ هَذِهِ الْأَصْنَافِ
الثَّلَاثَةِ

(قَالَ) وَأَمَّا فَضِيَّةُ الْجَسَدِ فَالْصِّحَّةُ وَذَلِكَ أَنَّ يَكُونُوا عَرِيضِينَ
مِنَ الْأَسْقَامِ الْبَتَّةِ وَأَنْ يَسْتَعْمِلُوا أَبْدَانَهُمْ لِأَنَّ مِنْ لَا يَسْتَعْمِلُ
صِحَّتَهُ فَلَيْسَ يَقْبِطُ نَفْسَهُ بِالصِّحَّةِ أَيْ لَيْسَ هُوَ حَسَنُ الْحَالِ بِهَا وَهُوَ
بَعِيدٌ مِنْ جَمِيعِ الْأَفْعَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَوْ مِنْ أَكْثَرِهَا

(قَالَ) وَأَمَّا الْحَسَنُ فَإِنَّهُ يُخْتَلَفُ بِاخْتِلَافِ أَصْنَافِ الْإِنْسَانِ
فَحَسَنُ الْعِلْمَانِ وَجَمَاهُمْ هُوَ أَنْ تَكُونَ أَبْدَانُهُمْ وَخَلْقُهُمْ بِهَيْئَةٍ
يَسْرُ بِهَا قَبُولُهُمْ إِلَّا لَامٌ وَإِلَّا نَفْعَالٌ أَيْ لَا يَكُونُونَ غَيْرَ مُحْتَمِلِينَ
لِلَّذِي وَأَنْ يَكُونُوا بِحَيْثُ يُسْتَلَذُّ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِمْ عِنْدَ الْجُرْيِ
وَالْعَلَّةِ

(قَالَ) وَلِذَلِكَ مَا يَرَى النَّاسُ الْعِلْمَانَ الَّذِينَ هُمْ مُبَيَّنُونَ نَحْوَ الْحَسَنِ

الْمَزَاوِلَ وَاللَّيَالِيَ حَسَنًا جِدًّا وَغَنِي بِالْخَسْرِ الْمَزَاوِلَ وَاللَّيَالِيَ
الْأَشْيَاءَ الَّتِي كَانَ الْيُونَانِيُّونَ يُرَوِّضُونَ بِهَا صِبَّانَهُمْ وَهِيَ الْمَدْوُ
وَالرُّكُوبُ وَالْمُتَأَقَّةُ وَالصِّرَاعُ وَالْمَلَاكِرَةُ

(قَالَ) وَإِنَّمَا كَانَ النَّاسُ يُرَوِّضُونَ فِيمَنْ كَانَ مُهَيَّأً تَحْوِ هَذِهِ
الْأَفْعَالِ لِحَسَةِ أَنَّهُ جَمِيلٌ لِأَنَّهُ مُهَيَّأٌ بِهَا تَحْوِ الْحِفَّةِ وَالْقَلْبَةِ وَإِذَا
سَبَّ امْتِثَالُ هَؤُلَاءِ الْعِلْمَانِ كَانُوا لَتَذِيذِي أَنْتَظِرُ عِنْدَ الْعَمَلِ فِي
الْحَرْبِ وَذَلِكَ بِحَسَبِ الْهَيْئَةِ الَّتِي كَانُوا مُعَدِّينَ بِهَا تَحْوِ الْحَرْبِ. وَأَمَّا
الشُّيُخُ فَمَجَالُهُمْ هُوَ اسْتِلْذَاضُ أَفْعَالِهِمْ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ جَدُّ وَهِيَ
الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يُرَاضُ الصَّبِيَانُ عَلَى هَذِهِ اللَّيَالِيَ الْخَسْرِ وَهِيَ
الْحُرُوبُ وَأَنْ يَكُونُوا مَعَ ذَلِكَ يُرَوِّضُونَ غَيْرَ دَوِي أَحْرَانٍ وَلَا غَمٍّ .
وَذَلِكَ أَنَّ الْحُزْنَ وَالْغَمَّ إِذَا ظَهَرَ بِالشَّيْخِ ذُنَّ بِهِ أَنَّ ذَلِكَ الطَّارِئُ
الَّذِي طَرَأَ عَلَيْهِ يَمَّا يَخْضَرُ فِي سَيْخُوخَتِهِ مِثْلَ الْقَفْرِ وَالْمَوَانِ أَوْ غَيْرِ
ذَلِكَ

(قَالَ) وَأَمَّا الْبَطْشُ فَإِنَّهُ قُوَّةٌ يُجْرِكُ الْمَرْءَ بِهَا غَيْرَهُ كَيْفَ
شَاءَ. فَإِنَّهُ إِذَا جَذَبَ غَيْرَهُ أَوْ دَفَعَهُ أَوْ أَشَالَهُ أَوْ أَخْرَجَهُ أَوْ سَمَطَهُ
وَكَانَ هَذَا الْفِعْلُ مِنْهُ بِكُلِّ مَنْ يَتَصَدَّى لَهُ أَوْ بِأَكْثَرِهِمْ فَهُوَ دُو
بَطْشٍ

(قَالَ) وَأَمَّا فَضِيلَةُ الضَّخَامَةِ فَهُوَ أَنْ يَفُوتَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ
وَيُجَادِرَهُمْ فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ وَالْعُمَى وَتَكُونُ مَعَ ضَخَامَتِهِ حَرَكَاتُهُ
غَيْرَ مُتَكَلِّفَةٍ لِحُودَةِ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ وَتَكُونُ ضَخَامَتُهُ لَيْسَ سَبَبًا يَسْمُنَا

وَلَا أَمْرًا مُكْتَسَبًا

(قَالَ) وَأَمَّا أَلْمِيَّةُ الَّتِي تُسَمَّى الْجَاهِلِيَّةَ فَإِنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ الصَّخَامَةِ وَالْجَلْدِ وَالْخِفَّةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا أَفَدَرَتْ أَلْمِيَّةُ مَعَ الْقُوَّةِ أَمَكَنَ أَنْ يَبْلُغَ بِالسَّرْعَةِ أَمْدًا بَعِيدًا لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ خَفِيفًا دُونَ جَلْدٍ لَمْ يَبْلُغَ بِالسَّرْعَةِ أَمْدًا بَعِيدًا. وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي جَمَعَ الصَّخَامَةَ وَالْقُوَّةَ هُوَ مُصَارِعٌ وَالَّذِي جَمَعَ الصَّخَامَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْخِفَّةَ هُوَ مُجَاهِدٌ. وَلَمَّا الَّذِي جَمَعَ الصِّرَاعَ وَالْخِفَّةَ مَعَ قِيَسِي عِنْدَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُشْتَقٌّ مِنْ الْخِلْقِ بِإِسْتِعْمَالِ الْقُوَّةِ وَالْخِفَّةِ وَأَمَّا الَّذِي جَمَعَ هَذِهِ الْخِصَالَ كُلَّهَا فَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى عِنْدَهُمْ ذَا الْخَمْسِ اللَّعِبِ

(قَالَ) وَأَمَّا الشَّيْخُوخَةُ الصَّالِحَةُ فَإِنَّهَا دَوَامُ الْكِبَرِ مَعَ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْحُزَنِ لِأَنَّهُ إِنْ غَلَبَتْ وَقَاةُ الْإِنْسَانِ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ مُتَمَتَّى الشَّيْخُوخَةِ لَمْ يَكُنْ ذَا شَيْخُوخَةٍ صَالِحَةٍ وَإِنْ كَانَ بَرِيئًا مِنَ الْآخِرَانِ وَلَا أَنْ أَهْلَ إِلَى مُتَمَتَّى الشَّيْخُوخَةِ وَكَانَ فِي كَرْبٍ وَحُزْنٍ كَانَ ذَا شَيْخُوخَةٍ صَالِحَةٍ. وَإِنَّمَا يَكُونُ بَرِيئًا مِنَ الْآخِرَانِ إِذَا كَانَ ذَا حَظٍّ مِنَ الْجَلْدِ وَقَضَائِلِ الْبَدَنِ أَعْنِي أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا وَلَمْ تَقْدِرْهُ مَصَائِبُ تُكَثِّرُ شَيْخُوخَتَهُ. وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ بِمَرَضٍ أَوْ كَانَ أُنْجِلِدَ عَيْدٍ مُسَاعِدٍ لَهُ بِأَنْ يَكُونَ قَدْ أَغْدَرَتْهُ مَصَائِبُ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِصَالِحٍ الشَّيْخُوخَةِ وَإِنْ كَانَ مُعْمَرًا. وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَ بِمَرَضٍ وَقَدْ يُشَكُّ كَيْفَ يَكُونُ طَوْلُ الْعُمْرِ مَعَ الْأَمْرَاضِ لَكِنْ يُشَبَّهُ أَنْ تَكُونَ قُوَّةُ طَوْلِ الْعُمْرِ غَيْرَ قُوَّةِ الصِّحَّةِ فَإِنَّا تَرَى قَوْمًا كَثِيرِينَ طَوْلُ

أَعْمَارُهُمْ مَعَ أَنَّهُمْ مُسْقَمُونَ. وَتَصَحُّحُ هَذَا هُوَ لِلْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ وَلَيْسَ
فِي تَصَحُّحِهِ فِي هَذَا الْعِلْمِ مُنْقَعَةٌ وَالتَّحْطِيبُ إِنَّمَا يَكْتَنِي مِنْ ذَلِكَ
بِالشَّيْءِ الظَّاهِرِ

(قَالَ) وَأَمَّا كَثْرَةُ الْحِلَّةِ وَصَلَاحُ حَالِ الْإِنْسَانِ بِالْإِخْوَانِ
فَذَلِكَ أَيْضًا غَيْرُ خَفِيِّ إِذَا حُدِّثَ مَا هُوَ الْخَلِيلُ وَالصَّاحِبُ . وَهُوَ أَنْ
يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَفْعَلُ الْخَيْرَ الَّذِي يَنْظُرُ أَنَّهُ يَنْفَعُ بِهِ
الْآخَرَ لَا الْخَيْرَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ فِي نَفْسِهِ فَقَطْ . وَإِذَا كَانَتْ الْحِلَّةُ
وَالصُّحْبَةُ هِيَ هَذِهِ فَإِنَّ أَلْمَرَ يَكُونُ صَالِحَ أَحْوَالِ الْإِخْوَانِ
الْكَثِيرَةِ

(قَالَ) وَأَمَّا صِلَاحُ الْحَيَّةِ فَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّفَاقُ لِلْإِنْسَانِ مَا
عِلَّةُ لَوْجُودِ الْخَيْرِ لَهُ . وَذَلِكَ إِمَّا مِنْ الْخَيْرَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي ذَاتِهِ وَإِمَّا
مِنْ الْخَيْرَاتِ الْمَوْجُودَةِ لَهُ مِنْ خَارِجٍ . وَعِلَّةُ الْإِتِّفَاقِ قَدْ تَكُونُ
الْصَّنَاعَةُ وَقَدْ تَكُونَ الطَّبِيعَةُ وَهُوَ الْأَكْثَرُ . فَيَقَالُ مَا يَكُونُ عَنْ
الْإِتِّفَاقِ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يُولَدَ الْإِنْسَانُ ذَا قُوَّةٍ وَهَيْئَةٍ يَفْعَلُ بِهَا قَبُولَهُ
الْأُمُورَ الْوَارِدَةَ عَلَيْهِ مِنْ خَارِجٍ . فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ صَحِيحًا
فَقَدْ يَكُونُ سَبَبُهُ الْإِتِّفَاقُ الطَّبِيعِيُّ وَثَلَمَنْ يُولَدَ صَحِيحًا . وَقَدْ يَكُونُ
الْإِتِّفَاقُ الصَّنَاعِيُّ بِمِثْلِ أَنْ يُسْقَى سُمًّا فَيَبْرَأَ مِنْ مَرَضٍ كَانَ بِهِ .
وَأَمَّا الْجِبَالُ وَالصُّحُبَةُ فَصَلَاتُهُمَا الْإِتِّفَاقُ الصَّنَاعِيُّ وَالطَّبِيعِيُّ وَجَمْعُهُ
الْأَنْزَارُ أَنَّ الْخَيْرَاتِ الَّتِي سَبَّبَهَا الْجَدُّ الَّذِي هُوَ حُسْنُ الْإِتِّفَاقِ هِيَ
الْخَيْرَاتُ الَّتِي يَكُونُ أَلْمَرُ مَقْبُوطًا بِهَا مُحْسُودًا عَلَيْهَا . وَقَدْ يَكُونُ

أَجْدِيَّةٌ لِحَزَاتٍ لَيْسَتْ هِيَ حَزَاتٍ بِالْحَقِيقَةِ وَإِنَّمَا تُرَى حَزَاتٍ
 بِالْإِضَافَةِ وَالْمَقَابِسَةِ إِلَى التَّخْيُّلِ كَمَا قَدْ يَكُونُ التَّخْيُّلُ فِي حَقِّ إِنْسَانٍ
 حَزِيًّا مَا إِذَا دُرِّي غَيْرُهُ فَتَجِبُ مِنْهُ وَمِثْلُ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانٌ وَقَفًّا مِنْ
 الْحَرْبِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ فَأَصَابَ أَحَدُهُمَا السَّهْمُ وَلَمْ يُصِبِ الثَّانِي
 فَإِنَّ الَّذِي لَمْ يُصِبْهُ السَّهْمُ يَرَى أَنَّهُ قَدْ نَالَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى صَاحِبِهِ حَزِيًّا
 كَثِيرًا. وَبِجَازَةِ أَنْ كَانَ ذَلِكَ الَّذِي لَمْ يُصِبْهُ السَّهْمُ مِنْ عَادَتِهِ أَنْ
 يَشْهَدَ الْحُرُوبَ كَثِيرًا وَالْآخِرُ لَمْ يَشْهَدْ قَطُّ إِلَّا تِلْكَ الْحَرْبَ
 وَكَذَلِكَ إِذَا وَجَدَ الْكَذْرَ وَاحِدًا يَمُنُّ بِطَلْبِهِ. قَدْ يَرَى أَنَّهُ حَزِيًّا
 بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَنْ لَمْ يُصِبْهُ وَإِنْ كَانَ الْكَذْرُ يَسِيرًا فَمِنْ هَذَا
 وَنَحْوِهِ يَنْظُرُ الْخَلِيبُ فِي سَعَادَةِ أَجْدِيَّةٍ وَأَمَّا تَعْرِيفُ الْقَضِيَّةِ فَأَوَّلِي
 الْمَوَاضِعِ بِذِكْرِهَا هُوَ عِدَّةُ الْقَوْلِ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُنْصَحُ بِهَا. لِأَنَّ
 الْقَضِيَّةَ خَاصَّةً بِالْمَدْحِ وَلِذَلِكَ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْمَدْحُ هُوَ الَّذِي
 يَعْرِفُ بِاسْتِغْنَاءِ الْقَضِيَّةِ وَالْقَضَائِلِ وَإِنْ كَانَ مِنْهَا مُسْتَقْبَلٌ وَحَاضِرٌ
 فَأَلَدَحُ إِنَّمَا يَنْظُرُ فِيهَا مِنْ جِهَةٍ سَاهِيَةٍ حَاضِرَةٍ وَالْمُسْتَقْبَلُ مِنْ جِهَةٍ
 أَنَهَا مُسْتَقْبَلَةٌ أَيْ نَافِئَةٌ



البحث السادس

في الفرق بين الخير والسعادة

(من كتاب عذيب الاخلاق لابن مسكويه)

تَبْدَأُ بِمَوْتِهِ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ بِذِكْرِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْخَيْرِ
وَالسَّعَادَةِ بَعْدَ أَنْ نَذَكَّرَ الْقَاطِطَ أَرِسْطَاطَالِيْسَ اقْتِدَاءً بِهِ وَتَوْفِيقَةً
لِحُجَّتِهِ فَقَوْلُهُ: إِنَّ الْخَيْرَ عَلَى مَا حَدَّهُ وَاسْتَحْسَنَهُ مِنْ آرَاءِ الْمُتَعَدِّمِينَ هُوَ
الْمَقْصُودُ مِنَ الْكُلِّ وَهِيَ الْقَائِيَةُ الْآخِرَةُ وَقَدْ يُسَمَّى الشَّيْءُ النَّافِعُ
فِي هَذِهِ الْقَائِيَةِ خَيْرًا قَالِمَا السَّعَادَةُ فِيهِ الْخَيْرُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى صَاحِبِهَا
وَهِيَ كَمَالٌ لَهُ فَالسَّعَادَةُ إِذَا خَيْرٌ مَا. وَتَذَكَّرْ كَوْنُ سَعَادَةِ الْإِنْسَانِ
غَيْرَ سَعَادَةِ الْقَرَسِ وَسَعَادَةُ كُلِّ شَيْءٍ فِي تَامِهِ وَكَمَالِهِ الَّذِي يُحْضِرُهُ .
فَالْمَا الْخَيْرُ الَّذِي يَقْصِدُهُ الْكُلُّ بِالشَّوْقِ فَهُوَ طَبِيعَةُ تَقْصِدُ وَلَهَا
ذَاتٌ وَهُوَ الْخَيْرُ الْعَالَمُ لِلنَّاسِ مِنْ حَيْثُ هُمْ نَاسٌ فَهُمْ بِأَجْمَعِهِمْ
مُشْتَرِكُونَ فِيهَا. قَالِمَا السَّعَادَةُ فِيهِ خَيْرٌ مَا لِوَاحِدٍ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ
فِيهِ إِذَا بِالْإِضَافَةِ لَيْسَ لَهَا ذَاتٌ مُعَيَّنَةٌ وَهِيَ مُتَخْتَلِفٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى
قَاصِدِيهَا. فَلِذَلِكَ يَكُونُ الْخَيْرُ الْمُطْلَقُ غَيْرَ مُتَخْتَلِفٍ فِيهِ وَقَدْ يُظَنُّ
بِالسَّعَادَةِ أَنَّهَا تَكُونُ لِعَيْنٍ أُنَاطِيْقِينَ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ قَالِمَا هِيَ
اسْتِعْدَادَاتٌ فِيهَا لِقَبُولِ تَامَاتِهَا وَكَمَالَاتِهَا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا رَوِيَّةٍ وَلَا
إِرَادَةٍ وَتِلْكَ أَلَا سَعَادَاتٌ هِيَ الشَّوْقُ أَوْ مَا يَجْرِي مَجْرَى الشَّوْقِ

مِنَ الدَّاطِقِينَ بِالْإِرَادَةِ . فَأَمَّا مَا يَأْتِي لِلْخَيْرَاتِ فِي مَصَالِحِهَا
وَمَشَارِبِهَا وَرَاحَتِهَا فَيَنْبَغِي أَنْ يُسَمَّى بِحُجَّتِهَا أَوْ اتِّفَاقِهَا وَلَا يُؤْهَلُ لِأَسْمِ
السَّعَادَةِ كَمَا يُسَمَّى فِي الْإِنْسَانِ أَيْضًا . وَإِنَّمَا اسْتَحْسِنَ الْحَدُّ الَّذِي
ذَكَرْنَاهُ لِلْخَيْرِ الْمَطْلُوقِ لِأَنَّ الْمُعْقِلَ لَا يُطْلِقُ السَّعْيَ وَالْحَرَكَةَ إِلَى لَا
نِهَايَةٍ وَهَذَا أَوَّلُ فِي الْعَقْلِ . وَمِمَّا أَلْ ذَلِكَ أَنَّ الصَّاعَاتِ وَالْهِمَمِ
وَالْتَّدَابِيرَ الْأَخْتِيَارِيَّةَ كُلَّهَا يُقْصَدُ بِهَا خَيْرٌ مَّا وَهَلَمْ يُقْصَدُ بِهِ خَيْرٌ
مَا فَهُوَ عَبَثٌ وَالْعَقْلُ يَحْتَذِرُهُ وَيَتَنَبَّهُ مِنْهُ وَيَأْتِي لِوَاجِبِ صَارَ الْخَيْرُ الْمَطْلُوقُ
هُوَ الْمَقْصُودُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ النَّاسِ . وَلَكِنْ بَقِيَ أَنْ يُعْلَمَ مَا هُوَ وَمَا
الْقَائِمَةُ الْأَخِيرَةُ مِنْهُ الَّتِي هِيَ غَايَةُ الْخَيْرَاتِ الَّتِي تَرْتَقِي الْخَيْرَاتُ
كُلُّهَا إِلَيْهَا حَتَّى تَجْمَعَهُ غَرَضًا وَتَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَلَا تَلْتَفِتَ إِلَى غَيْرِهِ وَلَا
تَنْتَشِرَ أَفْكَارُنَا فِي الْخَيْرَاتِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَيْهِ إِمَّا تَادِيَةً
بَعِيدَةً وَإِمَّا تَادِيَةً قَرِيبَةً وَلَا تَطْلُطُ أَيْضًا فَيَأْتِي بِخَيْرٍ قَطْنُهُ خَيْرًا
ثُمَّ تَفْتِي أَعْمَارُنَا فِي طَلَبِهِ وَالتَّعَبِ بِهِ وَكُلًّا سَبَّيْنُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ

البحث السابع

في اقسام الخير والسعادة

(من الكتاب نفسه)

الْخَيْرُ عَلَى مَا قَسَمَهُ أَرِسْطَاطَالِيْسُ وَحَكَاهُ عَنْهُ فَرْفُورِيُوسُ
وَعِزُّهُ هَكَذَا قَالَ : الْخَيْرَاتُ مِنْهَا مَا هِيَ شَرِيفَةٌ وَمِنْهَا مَا هِيَ

مَدْرُوحَةٌ وَمِنْهَا مَا هِيَ بِالْقُوَّةِ كَذَلِكَ وَمَا هِيَ تَامَّةٌ فِيهَا . فَالْشَّرِيقَةُ
مِنْهَا هِيَ الَّتِي شَرَفُهَا مِنْ ذَاتِهَا وَتَجَمُّلُ مَنْ اُقْتَنَاهَا بَرِيْفًا وَهِيَ
الْحِكْمَةُ وَالْعَقْلُ . وَالْمَدْرُوحَةُ مِنْهَا وَمِثْلُ الْفَضَائِلِ وَالْأَفْعَالِ الْجَلِيَّةِ
الْإِرَادِيَّةِ . وَالَّتِي هِيَ بِالْقُوَّةِ مِثْلُ التَّهَيُّزِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِقَبْلِ الْأَشْيَاءِ
الَّتِي تَقَدَّمَتْ . وَالنَّافِضَةُ هِيَ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُطْلَبُ لِذَاتِهَا بَلْ
لِيَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى الْخَيْرَاتِ . (وَعَلَى جِهَةِ أُخْرَى) الْخَيْرَاتُ مِنْهَا مَا هِيَ
غَايَاتٌ وَمِنْهَا مَا هِيَ لَيْسَتْ بِغَايَاتٍ . وَالغَايَاتُ مِنْهَا مَا هِيَ تَامَّةٌ وَمِنْهَا
مَا هِيَ غَيْرُ تَامَّةٍ . فَالَّتِي هِيَ تَامَّةٌ كَالسَّعَادَةِ وَذَلِكَ أَنَا إِذَا وَعَلَّمَا
إِلَيْهَا لَمْ تَنْفَجْ أَنْ نَسْتَرِيدَ إِلَيْهَا شَيْئًا آخَرَ . وَالَّتِي هِيَ غَيْرُ تَامَّةٍ
فَكَالضَّحَى وَالْيَسَارِ مِنْ قَبْلِ أَنَا إِذَا وَصَلْنَا إِلَيْهَا اخْتَجْنَا أَنْ نَسْتَرِيدَ
فَنَقْتَنِي أَشْيَاءَ آخَرَ . وَأَمَّا الَّتِي لَيْسَتْ بِغَايَةِ الْبَتَّةِ فَكَالْعِلَاجِ وَالْعِلْمِ
وَالرِّيَاضَةِ . (وَعَلَى جِهَةِ أُخْرَى) الْخَيْرَاتُ مِنْهَا مَا هُوَ مُؤَثِّرٌ لِأَجْلِ ذَاتِهِ
وَمِنْهَا مَا هُوَ مُؤَثِّرٌ لِأَجْلِ غَيْرِهِ وَهِيَ مَا هُوَ مُؤَثِّرٌ لِلْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا وَمِنْهَا
مَا هُوَ خَارِجٌ عَنْهَا . (وَعَلَى جِهَةِ أُخْرَى) الْخَيْرَاتُ مِنْهَا مَا هُوَ خَيْرٌ
عَلَى الْإِطْلَاقِ وَمِنْهَا مَا هُوَ خَيْرٌ عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَالْإِتِفَاقَاتِ الَّتِي تَتَقَيُّ
لِبَعْضِ النَّاسِ وَفِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ وَإِذَا مِنْهَا مَا هُوَ خَيْرٌ لِجَمِيعِ
النَّاسِ وَمِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ وَفِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَمِنْهَا مَا لَيْسَ بِخَيْرٍ
لِجَمِيعِ النَّاسِ وَلَا مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ . (وَعَلَى جِهَةِ أُخْرَى) الْخَيْرَاتُ
مِنْهَا مَا هُوَ فِي الْجَوْهَرِ وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي الْكَيْفِيَّةِ وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي
الْكَيْفِيَّةِ وَفِي سَائِرِ الْقَوْلَاتِ فَيَنْهَا كَالْقُوَى وَالْمَلَكَاتِ وَهِيَ

كَأَلْأَحْوَالِ وَمِنْهَا كَالْأَفْعَالِ وَمِنْهَا كَالْعَلَيَاتِ وَمِنْهَا كَالْأَوَادِ وَمِنْهَا
كَالْأَلَاتِ. وَوُجُودُ الْخَيْرَاتِ فِي الْمَقُولَاتِ كُلِّهَا يَكُونُ عَلَى هَذَا
الْمِثَالِ أَمَّا فِي الْجَوْهَرِ أَعْنِي مَا لَيْسَ بِعَرَضٍ فَأَلْفُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
هُوَ الْخَيْرُ الْأَوَّلُ فَإِنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ تَتَحَرَّكُ تَحْوُهُ بِالشَّوْقِ إِلَيْهِ وَلِأَنَّ
مَالَ الْخَيْرَاتِ الْأَلَهِيَّةِ مِنَ الْبَقَاءِ وَالسَّرمَدِيَّةِ وَالنَّجْمِ مِنْهُ. وَأَمَّا فِي
الْكَيْفِيَّةِ فَالْعَدَدُ الْمُتَعَدِّلُ وَالْعِدَادُ الْمُتَعَدِّلُ وَأَمَّا فِي الْكَيْفِيَّةِ
فَكَاللَّذَاتِ. وَأَمَّا فِي الْإِضَافَةِ فَكَالْصِّدْقَاتِ وَالرِّئَاسَاتِ. وَأَمَّا فِي
الْأَيْنِ وَالْمَتْنِ فَكَالْمَكَانِ الْمُتَعَدِّلِ وَالزَّمَانِ الْأَيْنِقِ الْبَهِجِ. وَأَمَّا فِي
الْوَضْعِ فَكَالْقُعُودِ وَالْإِضْطِحَاعِ وَالْإِتِّكَاءِ الْمُوَافِقِ. وَأَمَّا فِي الْمِلْكِ
فَكَالْأَمْوَالِ وَالْمَنَافِعِ. وَأَمَّا فِي الْإِنْفِعَالِ فَكَالسَّمْعِ الطَّيِّبِ
وَسَائِرِ الْمُحْسُوسَاتِ الْمَوْزُونَةِ. وَأَمَّا فِي الْفِعْلِ فَيَقْتُلُ نَفَادِ الْأَمْرِ وَرَوَاجِ
الْفِعْلِ. (وَعَلَى جِهَةِ أُخْرَى) الْخَيْرَاتُ مِنْهَا مَعْقُولَاتٌ وَمِنْهَا مُحْسُوسَاتٌ
(وَأَمَّا السَّعَادَةُ) فَقَدْ قُلْنَا إِنَّهَا خَيْرٌ مَا وَهِيَ تَمَامُ الْخَيْرَاتِ
وَعَلَايَاتُهَا وَالنَّجْمُ هُوَ الَّذِي إِذَا بَلَّغْنَا إِلَيْهِ لَمْ نَخْتِجْ مَعَهُ إِلَى شَيْءٍ
آخَرَ فَلِذَلِكَ نَقُولُ إِنَّ السَّعَادَةَ هِيَ أَفْضَلُ الْخَيْرَاتِ وَلَكِنَّا نَحْتَاجُ
فِي هَذَا التَّمَامِ الَّذِي هُوَ الْقَائِمَةُ الْفُضُولَى إِلَى سَعَادَاتٍ أُخْرَى وَهِيَ
الَّتِي فِي الْبَدَنِ وَالَّتِي خَارِجَ الْبَدَنِ. (وَأَرِسْطَاطِلِسُ) يَقُولُ إِنَّهُ
يَعْسُرُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَفْعَلَ الْأَفْعَالَ الشَّرِيفَةَ بِلَا مَادَّةٍ مِثْلِ
اتِّسَاعِ الْيَدِ وَكَثْرَةِ الْأَصْدِقَاءِ وَجُودَةِ النَّجْتِ
(وَأَمَّا أَقْسَامُ) السَّعَادَةِ عَلَى مَذْهَبِ هَذَا الْحَكِيمِ فَبِحَسَبِ خَمْسَةِ

أقسام : (أحدها) في صحة البدن ولطف الحواس ويكون ذلك من اعتدال المزاج أعني أن يكون جيد السمع والبصر والشم والذوق واللمس. (والثاني) في الثروة والأغوان وأشباههما حتى يتسع لأن يضع المال في موضعه ويعمل به سائر الخيرات ويؤاسي منه أهل الخيرات خاصة والمستحقين عامة ويعمل به كل ما يزيد في فضائله ويستحق الثناء والمدح عليه. (والثالث) أن تحسن أحدوته في الناس وينشر ذكوره بين أهل الفضل فيكون ممدوما بينهم يكثرون الثناء عليه لما يتصرف فيه من الإحسان والعرف. (والرابع) أن يكون منجحا في الأمور وذلك إذا استتم كل ما روي فيه وعزم عليه حتى يصير إلى ما يأمله منه. (والخامس) أن يكون جيد الرأي صحيح الفكر سليم الاعتقادات في دينه بريئا من الخطأ والزلل جيد المشورة في الآراء. فمن اجتمعت له هذه الأقسام كلها فهو السعيد الكامل على مذهب هذا الرجل الفاضل ومن حصل له بعضها كان حظُه من السعادة بحسب ذلك. (وأما الحكماء) قبل هذا الرجل مثل فيثاغورس وبطرقا وأفلاطون وأشباههم فإنهم اجمعوا على أن القضايل والسعادة كلها في النفس وحدها ولذلك لما قسموا السعادة جعلوها كلها في قوى النفس التي ذكرناها في أول الكتاب (وهي الحكمة والشجاعة والاعتدال). وجمعوا على أن هذه القضايل هي كافية في السعادة ولا يحتاج معها إلى غيرها من فضائل البدن

وَلَا مَا هُوَ خَارِجَ الْبَدَنِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا حَصَلَ تِلْكَ الْقَضَائِلَ لَمْ
يَضُرَّهُ فِي سَعَادَتِهِ أَنْ يَكُونَ سَقِيمًا نَاقِصَ الْأَعْضَاءِ مُبْتَلًى بِجَمِيعِ
أَمْرَاضِ الْبَدَنِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُلْحَقَ النَّفْسَ مِنْهَا مَضَرَّةٌ فِي خَاصِّ
أَفْعَالِهَا مِثْلُ فَسَادِ الْعَقْلِ وَرَدَاءَةِ الذِّهْنِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا . وَأَمَّا الْفَقْرُ
وَالْحُمُولُ وَسُقُوطُ الْحَالِ وَسَائِرُ الْأَشْيَاءِ الْخَارِجَةِ عَنْهَا فَلَيْسَتْ عِنْدَهُمْ
بِعَادِيَةٍ فِي السَّعَادَةِ الْبَاقِيَةِ . وَأَمَّا الزَّوَاقِيُونَ وَجَمَاعَةُ مِنَ الطَّبِيعِيِّينَ
فَإِنَّهُمْ جَعَلُوا الْبَدَنَ جُزْءًا مِنَ الْإِنْسَانِ وَلَمْ يَحْمِلُوهُ آلَةً كَمَا شَرَحْنَاهُ
فِيمَا تَقَدَّمَ فَلِذَلِكَ أَضْطَرُّوا إِلَى أَنْ يَجْعَلُوا السَّعَادَةَ الَّتِي فِي النَّفْسِ
غَيْرَ كَامِلَةٍ إِذَا لَمْ يَتَغَيَّرْ بِهَا سَعَادَةُ الْبَدَنِ وَمَا هُوَ خَارِجُ الْبَدَنِ
أَيْضًا أَعْيَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَكُونُ بِالْبَحْتِ وَالْجِدِّ وَالْحَقِيقُونَ مِنْ
الْإِنْسَانِ يَحْقِرُونَ أَمْرَ الْبَحْتِ وَكُلَّ مَا يَكُونُ بِهِ وَمَعَهُ وَلَا يُؤْمَلُونَ
تِلْكَ الْأَشْيَاءَ لِأَنَّهُمُ السَّعَادَةُ لِأَنَّ السَّعَادَةَ شَيْءٌ ثَابِتٌ غَيْرُ زَائِلٍ
وَلَا مُتَغَيِّرٍ وَهِيَ أَشْرَفُ الْأُمُورِ وَأَكْرَمُهَا وَأَرْفَعُهَا فَلَا يَحْمِلُونَ
لِأَحْسَنِ الْأَشْيَاءِ وَهُوَ الَّذِي يَتَغَيَّرُ وَلَا يَثْبُتُ وَلَا يَتَحَصَّلُ بِرَوِيَّةٍ وَلَا
فِكْرٍ وَلَا يَتَأَتَّى بِعَقْلِ وَفَضِيلَةٍ فِيهَا نَصِيحًا

وَلِهَذَا الْفَرْقِ اخْتَلَفَ التَّمَدُّمُ فِي السَّعَادَةِ الظُّلْمِي فَظَنَّ قَوْمٌ
أَنَّهَا لَا تَحْصُلُ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْبَدَنِ وَالطَّبِيعِيَّاتِ كُلِّهَا .
وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ حَكَيْنَا عَنْهُمْ أَنَّ السَّعَادَةَ الظُّلْمِيَّ هِيَ فِي
النَّفْسِ وَخَدَمَهَا وَسَمَوْا الْإِنْسَانَ ذَلِكَ الْجَوْهَرُ وَخَدَهُ دُونَ الْبَدَنِ
وَلِذَلِكَ حَكَمُوا أَنَّهَا مَا دَامَتْ فِي الْبَدَنِ وَمُتَّصَةً بِالطَّبِيعَةِ وَكَدَرَهَا

وَنَجَاسَاتِ الْبَدَنِ وَضُرُورَاتِهِ وَحَاجَاتِ الْإِنْسَانِ بِهِ وَافْتِقَارَاتِهِ إِلَى
 الْأَشْيَاءِ الْكَثِيرَةِ فَلَيْسَتْ سَعِيدَةً عَلَى الْإِطْلَاقِ. وَآيَةً لَّمَّا رَأَوْهَا لَا
 تَكْمُلُ لَوْجُودِ الْأَشْيَاءِ الْعَقْلِيَّةِ لِأَنَّهَا لَا تَسْتَوِي عَنْهَا ظِلْمَةُ الْهَيُولَى
 أَغْنَى قُصُورَهَا وَنُقْصَانَهَا ظَنُّوا أَنَّهَا إِذَا فَارَقَتْ هَذِهِ الْكُدُورَةَ فَارَقَتْ
 أَجْهَالَاتِ وَصَفَتْ وَخَلَصَتْ وَقَبِلَتْ الْإِضَاءَةَ وَالتَّوَرُّدَ الْإِلَهِيَّ أَغْنَى الْعَقْلَ
 التَّامَّ. وَنَجِبَ عَلَى رَأْيِي هُوَ لَا أَنْ الْإِنْسَانَ لَا يَسْعُدُ السَّعَادَةَ التَّامَّةَ
 إِلَّا فِي الْآخِرَةِ بَعْدَ مَوْتِهِ. وَأَمَّا الْفِرْقَةُ الْآخَرَى فَلَانَّهَا قَالَتْ إِنَّهُ
 مِنْ أَتَّبِعِ الشَّنِيعَ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَا دَامَ حَيًّا يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ
 الصَّالِحَةَ وَيَعْتَقِدُ الْآرَاءَ الصَّحِيحَةَ وَيَسْعَى فِي تَحْصِيلِ الْفَضَائِلِ كُلِّهَا بِنَفْسِهِ
 أَوْ لَا ثُمَّ لَا بِنَاءَ جَنَسِهِ ثَانِيًا وَيَخْلِفُ رَبُّ الْعِزَّةِ تَقْدُسَ ذِكْرُهُ فِي
 خَلْقِهِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ الْمَرْضِيَّةِ فَهُوَ شَقِيٌّ نَاقِصٌ حَتَّى إِذَا مَاتَ
 وَعَدِمَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ صَارَ سَعِيدًا تَامَ السَّعَادَةِ وَارْتِطَاطَالِيسُ يَحْتَقِقُ
 بِهَذَا الرَّأْيِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي السَّعَادَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْإِنْسَانُ هُوَ
 الْمُرْكَبُ عِنْدَهُ مِنْ بَدَنِ وَنَفْسٍ وَلِذَلِكَ حَدَّ الْإِنْسَانُ بِالنَّاطِقِ
 أَلَمَاتٍ وَبِالنَّاطِقِ أَلَمَاتِي بِرَجُلَيْنِ وَمَا أَشَبَّ ذَلِكَ. وَهَذِهِ الْفِرْقَةُ وَهِيَ
 الَّتِي رَأَيْتُهَا ارْتِطَاطَالِيسُ رَأَتْ أَنَّ السَّعَادَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ تَحْصُلُ
 لِلْإِنْسَانِ إِذَا سَعَى لَهَا وَتَعَبَ بِهَا حَتَّى يَصِيرَ إِلَى أَقْصَاهَا. وَلَمَّا رَأَى
 الْحَكِيمُ ذَلِكَ وَأَنَّ النَّاسَ مُخْتَلِفُونَ فِي هَذِهِ السَّعَادَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَأَنَّهَا
 قَدْ أَشْكَلَتْ عَلَيْهِمْ إِشْكَالًا شَدِيدًا أَحْتَاجَ أَنْ يَتَعَبَ فِي الْإِبَاتَةِ
 عَنْهَا وَاطَّاعَ الْكَلَامَ فِيهَا. وَذَلِكَ أَنَّ الْفَقِيرَ يَرَى أَنَّ السَّعَادَةَ الْعُظْمَى

فِي الْغُرُورِ وَالْيَسَارِ وَالْمَرِيضَ يَرَى أَنَّهَا فِي الصِّحَّةِ وَالسَّلَامَةِ وَالذَّلِيلَ
يَرَى أَنَّهَا فِي الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ وَالطَّلِيحَ يَرَى أَنَّهَا فِي التَّكِينِ مِنَ
الشُّهُوتِ كُلِّهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا وَالْعَاشِقَ يَرَى أَنَّهَا فِي الظَّفَرِ بِالشُّقِيقِ
وَالْفَاضِلَ يَرَى أَنَّهَا فِي إِفَاضَةِ الْمَعْرُوفِ عَلَى الْمُسْتَخْتِجِينَ وَالْمُفَلِّسُوفَ
يَرَى أَنَّ هَذِهِ كُلُّهَا إِذَا كَانَتْ مُرْتَبَةً بِحَسَبِ تَقْسِيطِ الْعَدْلِ أَعْنِي عِنْدَ
الْحَاجَةِ وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي يَحِبُّ وَكَمَا يَحِبُّ وَعِنْدَ مَنْ يَحِبُّ فَفِي
سَعَادَاتِ كُلِّهَا وَمَا كَانَ وَنَهَا يُرَادُ لِشَيْءٍ آخَرَ فَذَلِكَ الشَّيْءُ أَحَقُّ
بِاسْمِ السَّعَادَةِ

وَلَا كَانَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ الْفِرْقَتَيْنِ ظَلَرَتْ ظَلَرًا مَا
وَجَبَ أَنْ تُثَبَّتَ فِي ذَلِكَ مَا تَرَاهُ صَوَابًا وَجَامِعًا لِلرَّأْيَيْنِ فَقَوْلُ :
إِنَّ الْإِنْسَانَ ذُو فَضِيلَةٍ رُوحَانِيَّةٍ يُنَاسِبُ بِهَا الْأَرْوَاحَ الطَّيِّبَةَ الَّتِي
تُسَمَّى مَلَائِكَةً وَذُو فَضِيلَةٍ جَسَدِيَّةٍ يُنَاسِبُ بِهَا الْأَنْعَامَ لِأَنَّهُ
مُرَكَّبٌ مِنْهُمَا فَهُوَ بِالْخَيْرِ الْجَسَادِيِّ الَّذِي يُنَاسِبُ بِهِ الْأَنْعَامَ مُعِيقٌ
فِي هَذَا الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ مُدَّةً قَصِيرَةً لِيَعْمُرَهُ وَيُنْظِمَهُ وَيُرْتَبَهُ حَتَّى إِذَا
ظَفِرَ بِهَذِهِ الرُّتَبَةِ عَلَى الْكَمَالِ انْتَقَلَ إِلَى الْعَالَمِ الْعُلَوِيِّ وَأَقَامَ
فِيهِ دَائِمًا سَرْمَدًا فِي صُحْبَةِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَرْوَاحِ الطَّيِّبَةِ وَبِئْسَ أَنْ
يُفْهَمَ مِنْ قَوْلِنَا الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ وَالْعَالَمِ الْعُلَوِيِّ مَا ذَكَرْنَاهُ فَيَا تَقَدَّمَ
قَالًا قَدْ قُلْنَا هُنَاكَ إِنَّا لَنَنَا نَعْنِي بِالْعُلَوِيِّ الْمَكَانَ الْأَعْلَى فِي الْجِسْرِ
وَلَا بِالْعَالَمِ السُّفْلِيِّ الْمَكَانَ الْأَسْفَلَ فِي الْجِسْرِ بَلْ كُلُّ مُحْسُوسٍ
فَهُوَ أَسْفَلٌ وَإِنْ كَانَ مُحْسُوسًا فِي الْمَكَانِ الْأَعْلَى وَكُلُّ مَعْقُولٍ فَهُوَ

أَعْلَى وَإِنْ كَانَ مَعْقُولًا فِي الْمَكَانِ الْأَسْفَلِ . وَيَتَّبِعِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ
لَيْسَ يُحْتَاجُ فِي صِحَّةِ الْأَرْوَاحِ الطَّيِّبَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ عَنْ الْأَبْدَانِ إِلَى
شَيْءٍ مِنَ السَّعَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا سِوَى سَعَادَةِ النَّفْسِ فَقَطْ
أَعْنِي الْمَعْقُولَاتِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْحِكْمَةُ فَقَطْ . فَإِذَا مَا دَامَ
الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا فَلَيْسَ تَمُّ لَهُ السَّعَادَةُ إِلَّا بِتَحْصِيلِ الْحَالَيْنِ جَمِيعًا
وَلَيْسَ بِمُحْضَلَانِ عَلَى التَّامِّ إِلَّا بِالْأَشْيَاءِ الثَّالِثَةِ فِي الْوُضُوعِ إِلَى
الْحِكْمَةِ الْأَبَدِيَّةِ . فَالْمَعْيَدُ إِذَا مِنْ النَّاسِ يَكُونُ فِي إِحْدَى
مَرْتَبَتَيْنِ إِمَّا فِي مَرْتَبَةِ الْأَشْيَاءِ الْجَمَانِيَّةِ مُتَعَلِّقًا بِأَحْوَالِهَا السُّفْلَى
سَعِيدًا بِهَا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُطَالِعُ الْأُمُورَ الشَّرِيفَةَ بِإِحْسَانٍ عَنْهَا مُشْتَاقًا
إِلَيْهَا مُتَحَرِّكًا نَحْوَهَا مُتَغَيِّبًا بِهَا . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي رُتَبَةِ الْأَشْيَاءِ
الرُّوحَانِيَّةِ مُتَعَلِّقًا بِأَحْوَالِهَا الْعَالِيَا سَعِيدًا بِهَا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُطَالِعُ
الْأُمُورَ الْبَدَنِيَّةَ مُتَغَيِّبًا بِهَا نَظِيرًا فِي عِلَامَاتِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ
وَدَلَالِ الْخِكْمَةِ الْبَالِغَةِ مُتَغَيِّبًا بِهَا نَظِيرًا لَهَا مُفِضًا لِلْخَيْرَاتِ عَلَيْهَا
سَابِقًا لَهَا نَحْوَ الْأَفْضَلِ فَإِلَّا فَضْلٌ بِحَسَبِ قَبُولِهَا وَعَلَى نَحْوِ اسْتِطَاعَتِهَا .
وَإِذَا أَمْرِي لَمْ يَحْضُرْ فِي إِحْدَى هَاتَيْنِ الْمَرْتَبَتَيْنِ فَهُوَ فِي رُتَبَةِ
الْأَتَمِّ . بَلْ هُوَ أَضَلُّ وَإِنَّمَا صَارَ أَضَلَّ لِأَنَّ تِلْكَ غَيْرُ مُعَرَّضَةٍ لَهُذِهِ
الْخَيْرَاتِ وَلَا أُعْطِيَتْ اسْتِطَاعَةٌ تَحْرُكُ بِهَا نَحْوُ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ
وَإِنَّمَا تَحْرُكُ بِعَوَاقِبِهَا نَحْوَ كَمَا لَا يَتِمُّ الْخَاصَّةُ بِهَا وَالْإِنْسَانُ مُعَرَّضٌ هَا
مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا مُزَاجُ الْعِلْمِ فِيهَا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ مُحْضَلٍ لَهَا وَلَا سَاعٍ
نَحْوَهَا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُؤَيَّدٌ لِضِدِّهَا يَسْتَعْمِلُ قُوَاهُ الشَّرِيفَةَ فِي

الْأُمُورِ الدَّيْنِيَّةِ وَتِلْكَ مُحَصِّلَةُ نِكَمَاتِهَا الَّتِي تُحْصِيهَا. فَإِذَا الْإِنْعَامُ إِذَا
 مُنِعَتْ الْخَيْرَاتِ الْإِنْسِيَّةِ حُرِمَتْ جِوَارُ الْأَرْوَاحِ الطَّبِيعِيَّةِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ
 الَّتِي وَعِدَ بِهَا الْمُتَّقُونَ فَهِيَ مَعْدُورَةٌ وَالْإِنْسَانُ غَيْرُ مَعْدُورٍ. وَمِثْلُ
 الْأَوَّلِ مِثْلُ الْآخَرِ إِذَا جَارَ عَنِ الطَّرِيقِ قَدَرْدَى فِي بَيْتٍ فَهُوَ مَرْحُومٌ
 غَيْرُ مَلُومٍ. وَمِثْلُ الثَّانِي مِثْلُ بَصِيرٍ يَجُورُ عَلَى بَصِيرَةٍ حَتَّى يَدْرُدَى فِي
 السِّرِّ فَهُوَ مَمْنُونٌ مَلُومٌ. وَإِذَا قَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ السَّعِيدَ لَا حِمَاةَ فِي إِحْدَى
 الْمُرْتَبَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرْنَاهُمَا فَقَدْ تَبَيَّنَ أَيْضًا أَنَّ أَحَدَهُمَا نَاقِصٌ مُقْتَصِرٌ
 عَنِ الْآخَرِ وَأَنَّ الْإِنْقِصَ مِنْهُمَا لَيْسَ يَحُلُو وَلَا يَتَعَرَّى مِنَ الْآلَامِ.
 وَالْحَسَرَاتِ لِأَجْلِ خَدَائِعِ الطَّبِيعَةِ وَالزُّخَاوِفِ الْجَنَسِيَّةِ الَّتِي تَعَارِضُهُ
 فِيهَا يَلَابِسُهُ وَتَعْرِفُهُ عَمَّا يُلَاحِظُهُ وَتَنْمُو مِنْ أَرْزَاقِي فِيهَا عَلَى مَا يَلْبَغِي
 وَتَشْغَلُهُ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الْجَنَانِيَّةِ فَصَاحِبُ هَذِهِ الْمُرْتَبَةِ غَيْرُ
 كَامِلٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَا سَعِيدٌ تَامٌ. وَأَنَّ صَاحِبَ الْمُرْتَبَةِ الْآخَرَى
 هُوَ السَّعِيدُ التَّامُّ وَهُوَ الَّذِي تَوَقَّرَ حُظُّهُ مِنَ الْحِكْمَةِ فَهُوَ مُقِيمٌ
 بِرُوحَانِيَّتِهِ بَيْنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى يَسْتَعِذُّ مِنْهُمْ لَطَائِفَ الْحِكْمَةِ وَيَسْتَشِيرُ
 بِالْثَوَرِ الْإِلَهِيِّ وَيَسْتَرِيدُ مِنْ قَضَائِهِ بِحَسَبِ عِبَائِهِ بِهَا وَقَفَّ عَوَائِقُهُ
 عَنْهَا وَلِذَلِكَ يَكُونُ أَبَدًا خَالِيًا مِنَ الْآلَامِ وَالْحَسَرَاتِ الَّتِي لَا يَحُلُو
 صَاحِبُ الْمُرْتَبَةِ الْأُولَى مِنْهَا. وَيَكُونُ مُسْرُورًا أَبَدًا بِذَاتِهِ مُقْسِطًا
 بِجَالِهِ وَبِمَا يَحْصُلُ لَهُ دَائِمًا مِنْ قِيَضِ نُورِ الْأَوَّلِ فَلَيْسَ يَسُرُّ إِلَّا بِتِلْكَ
 الْأَحْوَالِ وَلَا يَنْشِطُ إِلَّا بِتِلْكَ الْأَحْكَامِ وَلَا يَمِشُّ إِلَّا لِإِظْهَارِ
 تِلْكَ الْحِكْمَةِ بَيْنَ أَهْلِهَا وَلَا يَرْتَاحُ إِلَّا لِمَنْ نَاسَبَهُ أَوْ قَارَبَهُ

وَأَحَبُّ الْأَقْبَاسِ مِنْهُ . وَهَذِهِ هِيَ الْمَرْتَبَةُ الَّتِي مَنْ وَصَلَ إِلَيْهَا فَقَدْ
وَصَلَ إِلَى آخِرِ السَّعَادَاتِ وَأَقْصَا مَا هُوَ الَّذِي لَا يُبَالِي بِفِرَاقِ
الْأَخْبَابِ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَا يَتَحَسَّرُ عَلَى مَا يَفُوتُهُ مِنَ التَّعَمُّقِ فِيهَا
وَهُوَ الَّذِي يَرَى جِسْمَهُ وَمَالَهُ وَجَمِيعَ خَيْرَاتِ الدُّنْيَا الَّتِي عَدَدَ نَاهَا فِي
السَّعَادَاتِ الَّتِي فِي بَدَنِهِ وَالْخَارِجَةِ عَنْهُ كُلِّهَا كَلَّا عَلَيْهِ إِلَّا فِي
ضَرُورَاتٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا لِيَدْنِيهِ الَّذِي هُوَ مَرْبُوطٌ بِهِ لَا يَسْتَطِيعُ
الْإِتِّحَالَ عَنْهُ إِلَّا عِنْدَ مَشِيئَةِ خَالِقِهِ وَهُوَ الَّذِي يَشْتَأْنُ إِلَى صُحْبَةِ
أَشْكَالِهِ وَمُلَاقَاةِ مَنْ يُنَاسِبُهُ مِنَ الْأَرْوَاحِ الطَّيِّبَةِ وَاللَّائِكَةِ
الْمُقَرَّبِينَ وَهُوَ الَّذِي لَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْهُ وَلَا يَخْتَارُ إِلَّا
مَا قُرِبَ إِلَيْهِ وَلَا يُجَالِسُهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ شَهَوَاتِهِ الرَّدِيئَةِ وَلَا يَخْدَعُ
بِحَدَائِجِ الطَّيِّبَةِ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ يَفُوتُهُ عَنْ سَعَادَتِهِ وَهُوَ الَّذِي
لَا يَحْزَنُ عَلَى فَقْدِ مَحْبُوبٍ وَلَا يَتَحَسَّرُ عَلَى قُوْتِ مَطْلُوبٍ . إِلَّا أَنَّ
الْمَرْتَبَةَ الْآخِرَةَ تَتَفَاوَتْ تَفَاوُتًا عَظِيمًا أَعْنِي أَنَّ مَنْ يَصِلُ إِلَيْهَا مِنْ
النَّاسِ يَكُونُ عَلَى طَبَقَاتٍ كَثِيرَةٍ غَيْرِ مُتَقَابِرَةٍ وَهَاتَانِ الْمَرْتَبَتَانِ هُمَا
الَّتَانِ سَأَلَ الْحَكِيمُ الْكَلَامَ إِلَيْهَا وَاخْتَارَ الْمَرْتَبَةَ الْآخِرَةَ مِنْهُمَا . .
(وَإِذْ قَدْ خَلَصْنَا أَمْرَهُمَا تَيْنِ الْمَوْلُوتَيْنِ مِنَ السَّعَادَةِ الْقُضُيَ) فَقَدْ تَبَيَّنَ
يَنَانًا كَافِيًا أَنَّ أَحَدَهُمَا بِالْإِصَافَةِ إِلَيْنَا أَوْلَى وَالْآخَرَى ثَانِيَةٌ وَرِمَنَ
الْحَالِ أَنَّ نَسْلِكَ إِلَى الثَّانِيَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَمُرَّ بِالْأُولَى . . ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ
مَنْ عُنِيَ بِبَعْضِ أَلْوَى الَّتِي ذَكَرْنَاهَا دُونَ بَعْضِ أَوْ تَعَمَّدَ لِإِصْلَاحِهَا
فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ لَمْ تَحْصُلْ لَهُ السَّعَادَةُ الثَّامَّةُ . . .

البحث الثامن

في انه ينبغي للخطيب المشير ان يعرف الاشياء النافعة
وفي مقابلة الخير مع النافع ومقابلة الحيور مع بعضها

(من كتاب خطابة ارسطاطاليس تمريب ابن رشد)

قَدْ تَيَسَّرَ الْقَائِيَاتُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يُشِيرُ الْمَشِيرُ وَمِنْهَا تَتَبَيَّنُ
أَعْدَادُهَا الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يَنْتَعِ الْمَشِيرُ وَهِيَ تَوَلَّفُ مِنْهَا أَقَاوِيلُ
الْمَنْعِ إِذَا كَانَ عَدَدُهَا هُوَ ذَلِكَ الْعَدَدُ بَيْنَهُ وَوَضَعُهَا مِنَ الْأَقَاوِيلِ
الْمَشُورِيَّةِ هُوَ ذَلِكَ الْوَضْعُ بَيْنَهُ. وَمِنْ أَجْلِ أَنْ الْمَشِيرَ إِنَّمَا غَرَضُهُ
الْمُقَدَّمُ فِي فِكْرِهِ هُوَ أَنْ يُشِيرَ بِالشَّيْءِ النَّافِعِ الَّذِي تَلَزُمُ عَنْهُ وَاحِدَةٌ
وَاحِدَةٌ مِنْ هَذِهِ الْقَائِيَاتِ وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْقَائِيَاتِ هِيَ أَوَّلُ الْفِكْرَةِ
وَأَخِرُ الْعَمَلِ وَالْأَشْيَاءُ النَّافِعَةُ هِيَ آخِرُ الْفِكْرَةِ وَأَوَّلُ الْعَمَلِ
وَأَعْنِي بِأَوَّلِ الْفِكْرِ النَّتِيجَةَ وَبِآخِرِ الْفِكْرِ الْمَقْدَمَاتِ

فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِلْخَطِيبِ أَصُولٌ وَقَوَائِنُ يَعْرِفُ بِهَا الْأَشْيَاءَ
النَّافِعَةَ فِي الْقَائِيَاتِ وَهِيَ الْعَرِاقِبُ إِذَا كَانَتْ هِيَ أَوَّلَ الْعَمَلِ
وَالنَّافِعَاتِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ خَيْرًا مُطْلَقًا فَعَلَى خَيْرٍ لِأَنَّهَا طَرِيقٌ إِلَى
الْخَيْرِ بِإِطْلَاقِهِ. فَالْخَيْرُ الْمَطْلُوقُ هُوَ الَّذِي يُخْتَارُ مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ وَيُخْتَارُ
غَيْرُهُ مِنْ أَجْلِهِ وَهُوَ الَّذِي يَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ الْكُلُّ. وَأَعْنِي هَاهُنَا
بِالْكُلِّ دَوَى الْقَهْمِ الْحَسَنِ مِنَ النَّاسِ وَاللَّذِيكَاءِ. وَذَلِكَ قَدْ
يَكُونُ خَيْرًا فِي الْحَقِيقَةِ وَقَدْ يَكُونُ خَيْرًا فِي الظَّنِّ وَذَلِكَ بِحَسَبِ
اعْتِقَادِ إِنْسَانٍ إِنْسَانٍ فِي هَذَا الْخَيْرِ. وَلِذَلِكَ إِذَا كَانَ الشَّيْءُ الَّذِي

يَسْتَعِدُّ فِيهِ الْإِنْسَانُ هَذَا الْأَعْتِمَادَ مَوْجُودُهُ تَعَدُّ أَسْتَعْدَّ فِيهِ وَنَالَ
حَاجَةً وَلَمْ يَبْقَ لَهُ تَشَوُّقٌ إِلَى شَيْءٍ أَضَلَّ. وَالْأَشْيَاءُ النَّافِعَةُ فِي هَذَا
الْخَيْرِ هِيَ بِالْجَنَةِ أَرْبَعَةُ أَجْنَاسٍ الْأَشْيَاءُ الْقَائِلَةُ وَالْأَشْيَاءُ الْخَافِظَةُ
لَهُ وَمَا يَلْزَمُ الْقَائِلَةَ وَذَلِكَ أَنَّ لَازِمَ الشَّيْءِ يُعَدُّ مَعَ الشَّيْءِ. وَكَذَلِكَ
أَيْضًا لَازِمُ الْفَسَادِ لِلشَّيْءِ يُعَدُّ مَعَ الْفَسَادِ. وَلَا يَزِمُ ضِدَّ الْقَائِلِ مَعَ
ضِدِّ الْقَائِلِ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَنْبَغِي عَنْهَا وَلِزِمُ الْقَائِلَةُ لِلْقَائِلِ رَبِّمَا
كَانَ مِمَّا وَمِثْلُ مَا يَلْزِمُ الْمَدْحَ اقْتِنَاءُ الْأَشْيَاءِ الْمَدْحُودَةِ وَرَبِّمَا كَانَ
مُتَأَخِّرًا وَمِثْلُ الْعِلْمِ الَّذِي يَتَّبِعُ الْعِلْمَ بِآخِرَةٍ. وَالْأَشْيَاءُ الْقَائِلَةُ ثَلَاثَةٌ
أَصْنَافٌ إِمَّا بِالذَّاتِ وَإِمَّا بِالْعَرَضِ. وَالَّذِي بِالذَّاتِ أَثْنَانِ إِمَّا
قَرِيبٌ وَمِثْلُ فِعْلِ الْإِنْدَاءِ لِلصِّحَّةِ. وَإِمَّا بَعِيدٌ مِثْلُ الطَّيِّبِ. وَالَّذِي
بِالْعَرَضِ مِثْلُ فِعْلِ التَّعَبِ فِي الرِّيَاضَةِ لِلصِّحَّةِ. وَإِذَا كَانَ وَاجِبًا أَنْ
تَكُونَ أَصْنَافُ الْأَشْيَاءِ الْقَائِلَةُ لِلْخَيْرِ هِيَ هَذِهِ الْأَصْنَافُ الثَّلَاثَةُ
فَبِاضْطِرَارٍ أَنْ تَكُونَ الْأُمُورُ النَّافِعَةُ فِي الْخَيْرِ بَعْضُهَا خَيْرٌ فِي ذَاتِهَا
وَمِثْلُ نَفْعِ الْإِنْدَاءِ فِي الصِّحَّةِ وَبَعْضُهَا شَرٌّ فِي ذَاتِهَا وَخَيْرٌ مَا يَحْسَبُ
نَفْعًا فِي الْخَيْرِ مِثْلُ شُرْبِ الدَّوَاءِ لِلصِّحَّةِ. وَالشُّرُورُ الَّتِي تَنْفَعُ فِي
الْخَيْرِ هِيَ نَافِعَةٌ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ يُسْتَفَادَ بِهَا خَيْرٌ هُوَ أَكْثَرُ
مِنَ الشَّرِّ اللَّاحِقِ مِنْ امْتِنَاعِهَا مِثْلُ اسْتِفَادَةِ الصِّحَّةِ عَنْ شُرْبِ
الدَّوَاءِ وَمِثْلُ الْمَشَقَّةِ الْيَسِيرَةِ فِي اسْتِفَادَةِ أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ. وَمِنْهَا مَا
تُنَالُ بِهِ السَّلَامَةُ مِنْ شَرٍّ هُوَ أَكْثَرُ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي يُنَالُ مِنْهَا
مِثْلُ مَا يُنَالُ رُكَّابَ الْجَرِّ مِنَ السَّلَامَةِ إِذَا طَرَحُوا أَمْتَهُمْ فَإِنَّ

طَرَحَ أَمْتَهُمْ شَرُّ لَكِنْ تُسْتَفَادُ مِنْهُ السَّلَامَةُ مِنْ شَرِّ هُوَ أَظْمُ
وَهُوَ أَطْعَبُ. وَالْخَيْرَاتُ الَّتِي تُسْتَفَادُ مِنَ الْخَيْرَاتِ يُسَمِّيَهَا أَرِسْطُو
قَوَائِدَ بِإِطْلَاقٍ وَأَمَّا بَلَكَ فَيُسَمِّيَهَا أُنْبَقَالًا وَيَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهَا أُنْبَقَالُ
مِنْ شَرِّ إِلَى مَا هُوَ أَخَفُّ شَرًّا مِنْهُ أَوْ أُنْبَقَالُ مِنْ شَرِّ إِلَى مَا هُوَ
خَيْرٌ

(قَالَ) وَالْقَضَائِلُ وَإِنْ كَانَتْ غَايَاتٍ فَهِيَ أَيْضًا خَيْرَاتٌ فِي
أَنْفُسِهَا وَنَافِعَةٌ فِي الْخَيْرِ فَإِنَّ الْمُتَّقِينَ لَهَا مُمْ بِهَا حَسَنُوا الْأَحْوَالِ
وَهِيَ مَعَ هَذَا فَاعِلَةٌ لِلْخَيْرِ وَمُسْتَعْلَةٌ فِيهِ

(قَالَ) وَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ نُخَيِّرَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ وَكَيْفَ
هِيَ خَيْرٌ فِي نَفْسِهَا وَكَيْفَ هِيَ فَاعِلَةٌ لِلْخَيْرِ وَنُقْصَلُ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ.
وَالَّذَاتُ أَيْضًا هِيَ خَيْرٌ بِنَفْسِهَا لِأَنَّ جَمِيعَ الْحَيَوَانِ يَشْتَقُّ إِلَيْهَا.
وَالْأُورُ الدَّيْدَةُ إِنَّمَا تَكُونُ خَيْرًا إِذَا كَانَ بِهَا أَلْتَنَدُ حَسَنَ الْحَالِ
وَقَدْ يَسْتَبِينُ مِنَ اتَّصَفُ أَنَّهَا خَيْرٌ وَأَنَّهَا قَدْ تَكُونُ نَافِعَةٌ فِي الْخَيْرِ
وَأَجْزَاءُ صَلَاحِ الْحَالِ. وَبِالْجُلْمَةِ مِنْهَا مَا هِيَ غَايَاتٌ قَطْعٌ. وَمِنْهَا مَا قَدْ
تُعَدُّ غَايَاتٍ وَهِيَ نَافِعَةٌ أَيْضًا فِي الْغَايَاتِ. وَذَلِكَ أَنَّ لِبَعْضِهَا تَرْتِيًا
عِنْدَ بَعْضٍ أَعْنِي أَنَّ بَعْضَهَا عِلَّةٌ لَوْجُودِ بَعْضٍ وَمُتَعَلِّمٌ عَلَيْهِ. وَمِثَالُ
ذَلِكَ أَنَّ الشَّجَاعَةَ وَالْحِكْمَةَ وَالْعَفَافَ وَكِبَرَ النَّفْسِ وَالْثَبَلَ وَمَا
أَشْبَهَهَا مِنْ قَضَائِلِ النَّفْسِ قَدْ تَخْتَارُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ أَجْزَاءِ صَلَاحِ
أَحَالٍ مِنْ أَجْلِهَا. وَكَذَلِكَ الصِّحَّةُ وَالْجَمَالُ مِنْ قَضَائِلِ الْجَسَدِ قَدْ تَخْتَارُ
أَشْيَاءَ مِنْ أَجْلِهَا هِيَ مِنْ صَلَاحِ أَحَالٍ وَهِيَ فَاعِلَاتُهَا وَكَذَلِكَ تَخْتَارُ

فَاعِلَاتُ أَشْيَاءٍ أُخَرٍ مِنْ صَلَاحِ أَحَالٍ مِثْلُ فَاعِلَاتِ اللَّهِذَةِ وَفَاعِلَاتِ
السَّيْرِ الْحَسَنَةِ . وَلِذَلِكَ مَا يُظَنُّ بِالسَّارِ أَنَّهُ خَيْرٌ إِذَا كَانَ سَبَبًا
لِهَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ أَحَدُهُمَا اللَّهُذَةُ وَالْآخَرُ حُسْنُ السَّيْرِ
وَصَلَاحُ أَحَالٍ بِكَثْرَةِ الْإِخْوَانِ قَدْ يُوجَدُ فَاعِلًا لِأَشْيَاءٍ كَثِيرَةٍ مِنْ
الْخَيْرَاتِ وَذَلِكَ إِذَا كَانَتْ الصَّدَاقَةُ الَّتِي بَيْنَهُمَا مِنْ أَجْلِ الْحُبَّةِ
نَفْسِهَا لَا أَنْ تَكُونَ الْحُبَّةُ بَيْنَهُمَا مِنْ أَجْلِ شَيْءٍ آخَرَ فَإِنَّ
الْإِخْوَانَ الَّذِينَ يَهْدِيهِ الصِّفْقُ هُمْ يَفْعَلُونَ الْكَرَامَةَ وَالْتَّجِيدَ وَغَيْرَ
ذَلِكَ يَمَّا يَجْرِي تَجَرُّهُمَا مِنْ الْخَيْرَاتِ وَذَلِكَ يَكُونُ مِنْهُمْ بِالْقَوْلِ
وَالْفِعْلِ فَإِنَّ الْأَقْوَالَ وَالْأَفْعَالَ الَّتِي تُفْعَلُ بِهَا الْكَرَامَةُ وَالْتَّجِيدُ
وغير ذلك يَمَّا يَجْرِي تَجَرُّهُمَا هِيَ خَيْرٌ وَنَافِعٌ .

(قَالَ) وَمِنْ النَّافِعَاتِ بِذَاتِهَا الْمَلَكَاتُ الطَّبِيعِيَّةُ الَّتِي يَكُونُ
الْإِنْسَانُ بِهَا مُسْتَعِدًّا لِأَشْيَاءٍ حَسَنَةٍ مِثْلُ الذِّكَاةِ وَالْحِفْظِ وَالْعِلْمِ
وَحِفْظِ الْحَرَكَاتِ . وَكَذَلِكَ الْكَمَالَاتُ مِثْلُ الْعُلُومِ وَالصَّانِعِ وَكَذَلِكَ
السَّيْرُ الْحَمِيدُ وَهَذِهِ كُلُّهَا مَعَ أَنَّهَا نَافِعَةٌ فِي غَيْرِهَا هِيَ خَيْرٌ فِي
نَفْسِهَا وَإِنْ لَمْ يَتَّصِلْ بِهَا خَيْرٌ آخَرُ فَهِيَ خَيْرَاتٌ مُنْفَرَدَةٌ بِأَنْفُسِهَا
مُخْتَارَةٌ لِذَاتِهَا وَالْبَرَاءُ أَيْضًا خَيْرٌ نَافِعٌ

(قَالَ) فَهَذِهِ هِيَ الْخَيْرَاتُ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا وَيُجْتَمَعُ أَنَّهَا خَيْرَاتٌ
وَنَافِعَاتٌ وَمَتَى بُيِّنَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا أَنَّهَا خَيْرٌ فَذَلِكَ يَكُنْ لَا عَلَى طَرِيقِ
الْإِرَاءِ وَالْمَعَالِطَةِ الْمُسْتَعْلَةِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ . وَأَمَّا إِذَا بُيِّنَ فِي شَيْءٍ
مِنْ أَضْدَادِ هَذِهِ أَنَّهَا خَيْرٌ وَفِيهَا أَنَّهَا شَرٌّ فَذَلِكَ يَكُونُ فِي هَذِهِ

الضَّاعَةِ عَلَى طَرِيقِ الْمَرَاءِ أَعْنِي بِمَكَانِ سُوسَطَانِي. وَذَلِكَ أَنَّ الشَّرَّ
إِنَّمَا يَنْفَعُ بِالْعَرَضِ مِثْلَ أَنْ يُبَيِّنَ خَطِيبٌ لِأَهْلِ مَدِينَةٍ مَا أَنَّ
الْجَيْنَ لَهُمْ خَيْرٌ لَّانَهُمْ إِنْ شَجُّوا خَرَجُوا عَنِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ مِنْهُمْ
الْعَدُوُّ وَلَكِنَّ الْجَيْنَ لَيْسَ هُوَ خَيْرٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَإِنَّمَا كَانَ خَيْرًا
بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ عُرِضَ لَهُمْ هَذَا. وَأَمَّا النَّافِعُ فِي
الْأَكْثَرِ وَبِالذَّاتِ لِلْإِنْسَانِ فَهُوَ الْخَيْرُ كَمَا أَنَّ الشَّرَّ الْمُضَادُّ لِلْخَيْرِ
هُوَ نَافِعٌ لِلْعَدَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَيْنَ لَمَّا كَانَ شَرًّا لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ
بِالْعَرَضِ كَانَ نَافِعًا لِلْعَدَاءِ. وَالشَّجَاعَةُ لَمَّا كَانَتْ بِالذَّاتِ خَيْرًا لَهُمْ
كَانَتْ ضَارَّةً بِالْعَدَاءِ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَلْحَقُ مَا هُوَ شَرٌّ مَا لِلْإِنْسَانِ
أَنْ يَكُونَ ضَارًّا لِعَدُوِّهِ وَمَا هُوَ خَيْرٌ مَا لَهُ أَنْ يَكُونَ نَافِعًا لِعَدُوِّهِ
مِثْلُ الْجَيْنِ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ إِذَا خَرَجُوا عَنِ الْمَدِينَةِ لَمْ تَكُنْ
لَهُمْ قُوَّةٌ يُقَاوِمُونَ بِهَا عَدُوَّهُمْ. فَيَنْبَغِي لِلْخَطِيبِ أَنْ يَتَحَرَّى فِي
كُلِّ وَقْتٍ النَّافِعَ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ أَيْضًا لَيْسَتْ كُلِّيَّةً
أَعْنِي الْقَائِلَةَ أَنَّ كُلَّ مَا يَخْرُ الْعَدُوُّ وَيَكْرَهُهُ نَافِعٌ وَكُلُّ مَا يَنْفَعُ
الْعَدُوُّ وَيُسِرُّهُ ضَارٌّ فَإِنْ كَثِيرًا مَا يَكُونُ الْأَمْرُ الْوَاحِدُ ضَارًّا
لِلْإِنْسَانِ وَعَدُوِّهِ وَنَافِعًا لِلْإِنْسَانِ وَعَدُوِّهِ. فَيَقَالُ مَا هُوَ نَافِعٌ لِكُلِّهِمَا
وَيُسِرُّ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُفَارَقَةُ الْعَدُوِّ عَدُوَّهُ إِذَا كَانَتْ بَعْدَ مُقَاتَلَةٍ
شَدِيدَةٍ بَيْنَهُمَا وَمُقَاوَمَةُ أَشْفَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى الْعَطَبِ مِنْهَا
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْفَرَ أَحَدُهُمَا بِصَاحِبِهِ فَإِنَّهَا إِذَا اقْتَرَقَا فِي إِثْرِ هَذِهِ
الْحَالِ سُرَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْأَقْدَرِاقِ وَلِذَلِكَ قَدْ يَكُونُ النَّافِعُ

نَافِصًا لِلْأَعْدَاءِ أَيْضًا. وَأَمَّا مَا هُوَ صَادٌّ لِكُلِّهِمَا فَكَثِيرًا مَا يُوجِبُ
 صَدَاقَةَ الْعَدُوِّ. وَذَلِكَ إِذَا كَانَا مُتَسَاوِيَيْنِ فِي تَرَدُّدِ الشَّرِّ أَلْوَارِدِ
 بِهِمَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْضَلَ أَحَدُهُمَا فِي ذَلِكَ صَاحِبَهُ. وَكَثِيرٌ مِنْ
 الْأَنْفُسِ الْمُخْتَلِفَةِ كَانَ اتِّفَاقُهُمْ بِهَذَا السَّبَبِ وَلِذَلِكَ قِيلَ إِنَّ الشَّرَّ قَدْ
 يَجْمَعُ النَّاسَ فَهَذَا أَيْضًا أَحَدُ مَا يَكُونُ بِهِ الشَّرُّ نَافِصًا آفِيًا أَنْ
 يَكُونَ الشَّرُّ الْقَازِلُ بِالْإِنْسَانِ نَازِلًا بِعَدُوِّهِ. فَإِنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ
 صَدَاقَةَ الْعَدُوِّ وَجَيْتَنِيَهُ هَوَى الْعَدُوِّ أَلْوَارِدُ ضِدَّ مَا هَوَاهُ كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنَ الْمُتَعَادِيَيْنِ اللَّذَيْنِ وَرَدَّ عَلَيْهِمَا الْعَدُوُّ مِنْ خَارِجٍ. وَذَلِكَ أَنَّ
 كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَعَادِيَيْنِ هَوَى صَدَاقَةَ صَاحِبِهِ لِمَكَانِ تَعَادِيهِمَا عَلَى
 الْعَدُوِّ أَلْوَارِدِ عَلَيْهِمَا مِنْ خَارِجٍ. وَالْعَدُوُّ أَلْوَارِدُ هَوَى بَقَاءِ عَدَاوَتِهِمَا
 عَلَى حَالِهِمَا أَوْ تَأْكُيْدِهَا. وَارِسْطُو يَقُولُ: وَلِذَلِكَ كَثِيرًا مَا تُنْفَقُ
 النِّفَقَاتُ الْعَظِيمَةُ وَتُفْعَلُ الْأَفْعَالُ الْكَثِيرَةُ فِي مِثْلِ هَذَا الْخَيْرِ
 الَّذِي يَذْفَعُ بِهِ الشَّرُّ الْعَظِيمُ وَإِنَّمَا تَطْلُبُ النَّفْسُ بِالنِّفَقَاتِ فِي مِثْلِ
 هَذِهِ الْأَشْيَاءِ لِظُهُورِهَا يَلْزَمُ عَنْهَا مِنَ الْقَائِيَةِ الْمَطْلُوبَةِ وَفُرْجِهَا حَتَّى
 كَانَتْهَا إِذَا وَجِدَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَجِدَتْ الْقَائِيَةَ. وَقَدْ يَكُونُ الشَّرُّ
 الْمُفْرَطُ الْقَازِلُ بِالْعَدُوِّ أَيْضًا سَبَبًا لِلْإِعْزَافِ بِالْخَيْرِ الْيَسِيرِ الَّذِي
 نَالَهُ مِنْ عَدُوِّهِ وَلَوْلَاهُ لَمْ يَعْرِفْ بِهِ الْعَدُوُّ. مِثْلُ مَا حَكَى أَرِسْطُو
 أَنَّهُ عَرَضَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ كَانُوا أَعْدَاءَ لِلْيُونَانِيِّينَ أَنَّهُ اشْتَدَّتْ
 مُحَارَبَتُهُمْ لَهُ وَحَصَرَهُمْ إِيَّاهُ سِنِينَ كَثِيرَةً وَقَتَلُوا فِي ذَلِكَ الْخِصَارِ
 أَبْنَاءَهُمْ فَسَأَلَهُمْ أَنْ يُنْطَوَهُ جَسَدُهُ لِيَجْرَقَهَا عَلَى عَادَتِهِمْ فِي مَوْتِهِمْ فَقَتَلُوا

ذَاكَ فَشَكَرْهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَأَظْهَرَ شُكْرَهُمْ عِنْدَ جَمِيعِ قَوْمِهِ وَأَهْلِ
 مَدِينَتِهِ. فَلَوْلَا مَا تَرَلَّ بِهِ مِنَ الشَّرِّ الْعَظِيمِ لَمَا شَكَرْهُمْ عَلَى هَذَا
 الشَّيْءِ الْبَسِيفِ الَّذِي سَخَّوْا لَهُ بِهِ كَمَا قَالَ ذَلِكَ أُوْمِيدُوشُ الشَّاعِرُ
 (قَالَ) وَمِنَ الْأَصْطِنَاعَاتِ الْكَافَّةِ وَالْأَفْعَالِ الَّتِي يَعْظُمُ قَدْرُهَا
 عِنْدَ الْمُضْطَنَعِ إِلَيْهِمْ فَيَصِيرُ بِهِ الْمُضْطَنَعُ إِلَى خَيْرٍ عَظِيمٍ مِنْ
 الْمُضْطَنَعِ إِلَيْهِمْ أَنْ يَخْتَارَ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا عَظِيمَ الْقَدْرِ مِنْ جِنْسٍ مَا
 مِنْ النَّاسِ لَهُ أَيْضًا عَدُوٌّ عَظِيمٌ الْقَدْرِ فِي جِنْسٍ آخَرَ مِنَ النَّاسِ
 فَيَقْعَلُ بِعَدُوِّ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ الشَّرَّ وَبِأَصْدِقَائِهِ الْخَيْرَ. مِثْلُ مَا عَرَضَ
 لِأُوْمِيدُوشَ مَعَ الْيُونَانِيِّينَ وَأَعْدَائِهِمْ فَإِنَّهُ قَصَدَ إِلَى عَظِيمٍ
 مِنْ عُظَمَاءِ الْيُونَانِيِّينَ فِي الْقَدِيمِ وَخَصَّهُ بِالذِّحِّ وَأَصْدِقَائِهِ مِنْ
 الْيُونَانِيِّينَ. وَخَصَّ عَدُوَّهُ الْعَظِيمَ بِالْعُجُوِّ هُوَ وَقَوْمُهُ الْعُلَاذِينَ
 الْيُونَانِيِّينَ فِي حُرُوبٍ وَقَعَتْ بَيْنَهُمَا فَكَانَ رَبُّ الْبَغْيَةِ الْعَظِيمَةِ
 بِذَلِكَ عِنْدَ الْيُونَانِيِّينَ وَعَظَّمُوهُ كُلَّ التَّعْظِيمِ حَتَّى اعْتَقَدُوا فِيهِ أَنَّهُ كَانَ
 رَجُلًا إلهِيًّا وَأَنَّهُ كَانَ الْمَلْعَمَ الْأَوَّلَ لِجَمِيعِ الْيُونَانِيِّينَ. وَبِالْجُمْلَةِ
 قَعْلَ الشَّرِّ بِالْأَعْدَاءِ وَالْخَيْرَ بِالْأَصْدِقَاءِ مِنَ الْأُمُورِ الْكَافَّةِ.
 وَمِنْ شَرْطِ هَذَا الْفِعْلِ الَّذِي يَعْظُمُ مَوْقَعُهُ أَنْ يَكُونَ مَا فُعِلَ
 مِنْهُ يُرَى أَنَّهُ لَمْ يُمْكِنْ الْفَاعِلُ وَلَا قَسَّرَ لَهُ غَيْرُهُ وَسَوَاءٌ كَانَ الْفِعْلُ
 كَثِيرًا فِي نَفْسِهِ أَوْ يَسِيرًا وَأَنْ يَظُنَّ أَنَّ فِعْلَهُ لَمْ يَكُنْ لِمَكَانٍ
 خَوْفٍ وَلَا شَيْءٍ يَرْجُوهُ بَلْ لِأَنَّ شَوْقَهُ وَهُوَاهُ قَادَهُ إِلَى ذَلِكَ قَانَ
 بِهَذَا يَكُونُ الْفِعْلُ مُدَاوِمًا عَلَيْهِ مِنَ الْفَاعِلِ وَهُوَ السَّهْلُ عَلَيْهِ لِأَنَّ

أَلَا قَالِ أَلَيْسَ تَكُونُ مِنْ أَجْلِ خَوْفٍ إِنَّمَا تَكُونُ غَيْرَ شَائِقَةٍ زَمَانًا
 سِيرًا وَإِذَا طَالَ بِهَا الزَّمَانُ كَانَتْ شَائِقَةً فَأَنْقَطَعَتْ وَإِذَا أَنْقَطَعَتْ
 كَانَ مِنْ ذَلِكَ عَدَاوَةٌ مِنْ الْأَصْطَنَعِ إِلَيْهِ لِلْمُصْطَنِعِ. فَلِذَلِكَ
 يُشْتَرَطُ فِي هَذَا الْفِعْلِ أَنْ يَكُونَ سَهْلًا عَلَى الْقَاعِلِ فَهَذِهِ هِيَ
 شُرُوطُ الْأَتِدَاءِ بِالصَّنَائِعِ الَّتِي يَعْظُمُ مَوْقِعُهَا وَيُوجَدُ نَفْعُهَا. وَأَمَّا
 الْمُكَافَاةُ الَّتِي لَا يَعْظُمُ مَوْقِعُهَا فَهِيَ الْمُكَافَاةُ الَّتِي لَا تَكُونُ
 بِحَسَبِ مَا يَهْوَى الْمُكَافِي بِالطَّبْعِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ وَهُوَ أَنْ
 تَكُونَ نَاقِصَةً عَنِ الصَّنِيعَةِ الَّتِي أُسْدِيَتْ إِلَيْهِ إِمَّا فِي الْكَيْفَةِ
 وَإِمَّا فِي الْكَمِّ وَإِمَّا لِأَنَّهَا قَدْ فَضَلَتْ عِنْدَ الْمُكَافِي وَلَيْسَ بِمُتَجَاوِزٍ
 إِلَيْهَا وَهِيَ الْمُكَافَاةُ الَّتِي يُعَالِطُ فِيهَا وَإِنَّمَا كَانَ الْمُكَافِي بِالطَّبْعِ
 الَّذِي يَشْتَعِي أَنْ تَكُونَ مُكَافَاةً بِأَحَدِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْأَحْوَالِ
 لِأَنَّ الْمُكَافِي كَأَنَّهُ مَقْصُودٌ عَلَى الْإِعْطَاءِ فَهُوَ إِنَّمَا يَشْتَعِي إِمَّا
 أَلَّا يَلْحَقَهُ نَقْصٌ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ
 النَّقْصُ أَقْلَ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ. فَلِذَا لَمْ تَكُنِ الْمُكَافَاةُ
 بِهَذِهِ الصَّنِيعَةِ بَلْ كَانَتْ مُقَابِلَةً لِلصَّنِيعَةِ إِمَّا فِي الْجِسْمِ مِثْلَ أَنْ
 تَكُونَ الْمُكَافَاةُ عَلَى الدَّائِيَةِ بِدَرَاهِمٍ وَإِمَّا فِي الْقُوَّةِ مِثْلَ أَنْ
 تَكُونَ الْمُكَافَاةُ عَلَى أَلَالٍ بِكَرَامَةٍ يُشْتَعِي بِهَا مِثْلَ ذَلِكَ أَلَّا لَوْ
 فَهِيَ الْمُكَافَاةُ الْعَادِلَةُ لَكِنَّهَا سُوقِيَّةٌ. فَلِذَا لَمْ تَكُنِ الْمُكَافَاةُ لَا
 سُوقِيَّةً وَلَا فِيهَا غَبْنٌ بَلْ كَانَ الْمُكَافِي يُسْتَعْدُّ فِيهِ أَهْلٌ لَيْسَ
 اخْتِيَارُهُ فِي الْمُكَافَاةِ لِأَنَّهُ أَنْقَضَ أَكْثَرَ مِنْ اخْتِيَارِهِ لِأَنَّهُ

أَزِيدُ وَسَوَاءٌ وَقَعَتْ مُكَافَأَتُهُ بِمَا هُوَ أَنْقَصُ أَوْ بِمَا هُوَ مُسَاوٍ أَوْ بِمَا
 هُوَ شَيْءٌ فِيهِ الْمُكَافَأَةُ لِلْجِسْمَةِ لِأَنَّ مُكَافَأَتَهُ بِالْأَنْقَصِ لَمْ تَكُنْ
 مِمَّا بِاخْتِيَارٍ لِذَلِكَ بَلْ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ ذَلِكَ فَإِذَا اتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ
 مَعَ هَذَا ذَلِكَ الْفَضْلُ بِمَا يَسُرُّ بِهِ الْأَصْدِقَاءُ أَعْنِي أَصْدِقَاءَهُ
 الْمُكَافِيءَ بِالْفِعْلِ وَيَسُوْا أَعْدَاءَهُ وَيَكُونُ مَعَ هَذَا مُتَحَيِّيًا وَنَهْ
 عِنْدَ الْجُمْهُورِ. وَذَلِكَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَنْ صَدَرَ عَنْهُ عَظِيمُ مَوْقِعِهِ مِنْ
 الْمُضْطَنَعِ إِلَيْهِ وَبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَتِ الصَّنِيعَةُ بِمَا تَوَافَقُ شَهْوَةُ الْمُضْطَنَعِ
 إِلَيْهِ. فَمَثَلُ أَنْ يُكَافِيَ أَوْ يُبَدَأَ بِحُبِّ الْكَرَامَةِ بِالْكَرَامَةِ وَحُبِّ
 أَلْمَالِ بِالْمَالِ وَحُبِّ الْقَلْبَةِ بِالْقَلْبَةِ فَإِنَّ هَذِهِ الصَّنِيعَةَ لَيْسَتْ هِيَ
 لَدَيْدَةً فَقَطْ عِنْدَ الَّذِي تُضْطَنَعُ إِلَيْهِ أَوْ يُكَافَأُ بِهَا بَلْ هِيَ عِنْدَهُ
 فَاضِلَةٌ وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي سَائِرِ أَصْنَافِ الْخَيْرَاتِ وَإِنَّمَا تَكُونُ
 أَفْعَالُ الصَّائِحِ وَالْمُكَافَأَةُ عَلَى الْمُتَبَدِّيِّ وَالْمُكَافِيءُ أَفْعَالًا سَهْلَةً
 يُمَكِّنُ أَنْ يُدَاوِمُوا عَلَيْهَا مَتَى كَانُوا بِاسْتِعْدَادِهِمُ الطَّبِيعِيِّ مُهَيَّيْنِ
 لِنِلكَ الْأَفْعَالِ وَكَانَتْ قَدْ حَصَلَتْ لَهُمُ الْمَلَكَةُ الَّتِي بِهَا تَقْدَرُ مِنْهُمْ
 نِلكَ الْأَفْعَالِ وَمِنَ الصَّائِحِ الْيَسِيرَةِ الَّتِي يُطْنُ بِهَا أَنَّهُ لَيْسَ تُنْقَصُ
 الْمُضْطَنَعُ شَيْئًا بِالْإِضْطِنَاعِ بِالتَّأْدِيبِ وَالْمَوْعِظَةِ



البحث التاسع

في إثبات الخلود وفي شروط تفضيل بعضها على بعض

والاسباب الموجبة لذلك

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) فَمِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ يَأْخُذُ الْخَطِيبُ الْمَقْدَمَاتِ الَّتِي وَنَهَا
يُفْنَعُ أَنْ الشَّيْءَ نَافِعٌ أَوْ غَيْرُ نَافِعٍ. وَمِنْ أَجْلِ أَنَّ الْخَطِيبَ قَدْ
يَعْتَرِفُ أَحْيَانًا بِأَنَّ الْأَمْرَ نَافِعٌ وَلَكِنْ يَدَّعِي أَنَّ هَاهُنَا شَيْئًا هُوَ
أَنْفَعُ فَقَدْ يَحْتَاجُ أَنْ تَكُونَ عِنْدَهُ مَوَاضِعُ يَقْدِرُ أَنْ يُبَيِّنَ بِهَا أَنَّ
الْأَمْرَ أَنْفَعُ وَأَفْضَلُ. فَمِنَّا أَنْ مَا كَانَ نَافِعًا فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ فَهُوَ
أَنْفَعُ بِمَا هُوَ نَافِعٌ فِي بَعْضِ الْأَشْيَاءِ. وَالَّذِي هُوَ أَدْوَمُ نَفْعًا هُوَ
أَنْفَعُ مِنَ الَّذِي هُوَ أَقْصَرُ نَفْعًا. وَالَّذِي هُوَ أَكْبَرُ هُوَ أَنْفَعُ مِنَ
الْأَصْغَرِ. وَالَّذِي هُوَ أَكْثَرُ هُوَ أَنْفَعُ مِنَ الْأَقَلِّ. وَالَّذِي جَمَعَ مِنْ
صِفَاتِ الْخَيْرِ أَكْثَرَ أَوْ جَمَعَ صِفَاتِهِ كُلَّهَا فَهُوَ أَنْفَعُ. وَصِفَاتُ الْخَيْرِ
الَّتَامَّةِ هُوَ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ مُخْتَارًا مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ لَا مِنْ
أَجْلِ غَيْرِهِ وَأَنْ يَكُونَ مُتَشَوِّقًا عِنْدَ الْكُلِّ وَأَنْ يَكُونَ دَوْرُ
الْقَضَلِ وَاللُّبِّ يَحْتَارُونَهُ وَالَّذِي جَمَعَ هَذِهِ الصِّفَاتِ كُلَّهَا أَوْ أَكْثَرَهَا
فَهُوَ الْخَيْرُ وَالَّتَائِفُ الَّذِي فِي الْقَائِيَةِ وَهُوَ الْقَائِيَةُ لِسَائِرِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي
تُوصَفُ بِالْخَيْرِ. وَالْأَشْيَاءُ الْمُتَصِفَةُ بِالْخَيْرِ الْمُتَعَلِّقَةُ بِهَذَا الْخَيْرِ الَّذِي

جَمَعَ هَذِهِ الصِّفَاتِ إِنَّمَا يُقَالُ فِيهَا أَنَّهَا أَنْفَعُ إِذَا وُجِدَ فِي وَاحِدٍ
 مِنْهَا صِفَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ أَوْ أَكْثَرُ مِنْ صِفَةٍ وَاحِدَةٍ. وَكُلُّ
 مَا كَانَ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ تَوَجَّدَ فِيهِ صِفَاتٌ أَكْثَرُ مِنْ صِفَاتِ الْخَيْرِ
 فَهُوَ أَنْفَعُ مَا لَمْ تَكُنِ الصِّفَةُ الْوَاحِدَةُ أَنْفَعَ مِنْ اثْنَتَيْنِ أَوْ مِنْ
 ثَلَاثٍ. وَآيَاضًا قَدْ كَانَ الْعَظِيمُ فِيهِ أَفْضَلُ مِنَ الْعَظِيمِ فِي
 جِنْسٍ آخَرَ فَالْجِنْسُ الَّذِي فِيهِ الْعَظِيمُ الْأَفْضَلُ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ
 الْجِنْسِ الْآخَرِ وَمَا كَانَ الْجِنْسُ مِنْهُ أَفْضَلُ مِنَ الْجِنْسِ الْأَفْضَلِ
 قَالِ الْعَظِيمُ مِنَ الْجِنْسِ الْأَفْضَلِ أَفْضَلُ مِنَ الْعَظِيمِ مِنَ الْجِنْسِ الْآخَرِ
 وَهُوَ عَكْسُ الْأَوَّلِ. وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ الذُّكْرَانُ أَفْضَلُ
 مِنَ الْإِنَاثِ فَالرُّجُلُ أَفْضَلُ مِنَ الْمَرْأَةِ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ أَفْضَلُ
 مِنَ الْمَرْأَةِ فَالذُّكْرَانُ أَفْضَلُ مِنَ الْإِنَاثِ. وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ
 كَذَلِكَ لِأَنَّ نِسْبَةَ الْعَظِيمِ إِلَى جِنْسِهِ هِيَ كَنِسْبَةِ الْعَظِيمِ الْآخَرِ إِلَى
 جِنْسِهِ فَكَوْنُ نِسْبَةِ الْجِنْسِ إِلَى الْجِنْسِ هِيَ نِسْبَةُ الْعَظِيمِ إِلَى
 الْعَظِيمِ. ثُمَّ إِذَا كَانَ الشَّيْءُ لَازِمًا لِشَيْءٍ مَا وَالْآخَرُ غَيْرَ لَازِمٍ لَهُ
 فَإِنَّ الَّذِي يَلْزَمُ عَنْهُ الشَّيْءُ آتَرُ مِنَ الَّذِي لَا يَلْزَمُ عَنْهُ الشَّيْءُ.
 وَمِثَالُ ذَلِكَ السُّلْطَانُ وَالْثَّرْوَةُ فَإِنَّ الثَّرْوَةَ تَلْزَمُ السُّلْطَانَ وَلَيْسَ يَلْزَمُ
 السُّلْطَانُ الثَّرْوَةَ. فَلِذَلِكَ السُّلْطَانُ أَفْضَلُ مِنَ الثَّرْوَةِ وَكَذَلِكَ الْحَالُ
 فِي الْمَضَارِّ فَإِنَّ الْفَقْرَ يَلْزَمُ عَنْهُ الْجُبْلُ وَلَيْسَ يَلْزَمُ عَنِ الْجُبْلِ الْفَقْرُ.
 فَالْفَقْرُ أَكْثَرُ شَرًّا مِنَ الْجُبْلِ وَاللَّازِمُ يُوجَدُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: إِمَّا
 أَنْ يُوْجَدَ مَعَ أَغْنَى اللَّازِمِ وَاللَّزُومِ مِثْلُ وُجُودِ الْأَبْيَضِ وَاللِّيَاضِ

مَعًا وَمِثْلُ لُزُومِ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ. وَإِمَّا أَنْ يُوجَدَ اللَّازِمُ تَابِعًا
بِأَخْرَاقٍ مِثْلُ لُزُومِ الْعِلْمِ عَنِ اتِّعْلَمِ. وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ تَلَاذُمُهُمَا فِي
الْقُوَّةِ أَيْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا يَفْعَلُ فِعْلَ الْآخَرِ وَلَا يَتَعَكَّسُ أَعْنِي
أَلَّا يَفْعَلَ الْآخَرُ فِعْلَ الْأَوَّلِ. مِثَالُ ذَلِكَ الْقَرُّ وَالْجُلُّ فَإِنَّ الْقَرَّ
يَلْزِمُ عَنْهُ أَنْ يَفْعَلَ الْإِنْسَانُ فِعْلَ الْجُلِّ وَلَيْسَ يَلْزِمُ عَنِ الْجُلِّ فِعْلُ
الْقَرِّ فَإِنَّ الْقَرَّ يَمُوتُ عَنْ أَشْيَاءَ أَكْثَرُ مِنْ عَدَمِ اسْتِعْمَالِ الْمَالِ
الَّذِي هُوَ الْجُلُّ وَآيضًا الَّذِي يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا نَفْعَ هُوَ أَنْفَعُ مِنَ
النَّافِعِ. مِثَالُ ذَلِكَ الْجِلْدُ وَالْجَمَالُ فَإِنَّ كِلَيْهِمَا نَافِعٌ وَخَيْرٌ وَالْجِلْدُ
يُفْعَلُ بِهِ خَيْرٌ أَعْظَمُ مِمَّا يَفْعَلُ بِالْجَمَالِ فَهُوَ أَعْظَمُ نَفْعًا. وَكَذَلِكَ
الصِّحَّةُ أَيْضًا أَعْظَمُ نَفْعًا مِنَ اللَّذَّةِ لِأَنَّ الصِّحَّةَ يُفْعَلُ بِهَا خَيْرَاتٌ
أَكْثَرُ مِمَّا يُفْعَلُ بِاللَّذَاتِ. وَآيضًا فَإِنَّ الَّذِي يُخْتَارُ مُفْرَدًا أَفْضَلُ نَفْعًا
مِنَ الَّذِي لَا يُخْتَارُ إِلَّا مَعَ ذَلِكَ الْخِتَارِ مُفْرَدًا. وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ
الْجَمَالَ لَا يُخْتَارُ إِلَّا مَعَ الصِّحَّةِ وَالصِّحَّةُ تُخْتَارُ دُونَ الْجَمَالِ فَالصِّحَّةُ
أَفْضَلُ نَفْعًا مِنَ الْجَمَالِ. وَآيضًا إِذَا كَانَ شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا كَمَالًا
وَالْآخَرُ طَرِيقٌ إِلَى الْكَمَالِ فَالَّذِي هُوَ كَمَالٌ أَفْضَلُ. مِثْلُ الصِّحَّةِ
وَاللَّذَّةِ فَإِنَّ الصِّحَّةَ كَمَالٌ وَاللَّذَّةُ كَوْنٌ وَالْكَوْنُ طَرِيقٌ إِلَى الْكَمَالِ.
وَإِذَا كَانَ شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا يُخْتَارُ لِذَاتِهِ وَالْآخَرُ يُخْتَارُ مِنْ أَجْلِ غَيْرِهِ
فَالَّذِي يُخْتَارُ مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يُخْتَارُ مِنْ أَجْلِ
غَيْرِهِ. مِثَالُ ذَلِكَ الْحِكْمَةُ وَالْيَسَارُ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تُخْتَارُ لِذَاتِهَا
وَالْيَسَارُ يُخْتَارُ لغيرِهِ. وَآيضًا فَإِنَّ الَّذِي يَجْعَلُ الْمَرْءَ إِذَا اقْتَنَاهُ أَقْلًا

حَاجَةً إِلَى أَصْدِقَائِهِ أَوْ إِلَى الْإِنْسَانِ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَجْعَلُهُ
 أَكْثَرَ عَاجَةً. فَإِنَّ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ كِفَايَةً وَأَسْتِغْنَاءً عَنِ النَّاسِ هُوَ الَّذِي
 يَحْتَاجُ إِلَى أَشْيَاءَ قَلِيلَةٍ أَلَدَدٍ سَهْلٍ وَجُودَهَا. وَآيْضًا إِذَا كَانَ شَيْئَانِ
 أَحَدُهُمَا يُخْرِجُ أَفْتِنَاؤَهُ إِلَى الثَّلَاثِي وَالْثَّلَاثِي لَا يُخْرِجُ أَفْتِنَاؤَهُ إِلَى
 الْآخَرِ فَإِنَّ الَّذِي لَا يُخْرِجُ أَفْتِنَاؤَهُ إِلَى الْآخَرِ هُوَ آثَرٌ. مِثَالُ ذَلِكَ
 الْبَسَارُ وَالْبُنُونُ فَإِنَّ الْبَيْنَ يُخْرِجُونَ إِلَى أَفْتِنَاءِ أَمَلٍ وَالْبَسَارُ لَيْسَ
 يُخْرِجُ إِلَى أَفْتِنَاءِ الْبَيْنِ فَالْبَسَارُ أَفْضَلُ نَعْمًا

(قَالَ) وَيَسْتَبِينُ أَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي هُوَ مَبْدَأٌ لَيْسَ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ
 مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي هُوَ لَهُ مَبْدَأٌ. وَذَلِكَ أَنَّ الْإِرَادَةَ مَبْدَأُ الْخَيْرِ وَفَضْلُ
 الْخَيْرِ أَعْظَمُ مِنَ إِرَادَةِ الْخَيْرِ. وَكَذَلِكَ التَّعْلُمُ وَالْعِلْمُ وَإِنْ كَانَ
 لَيْسَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ النَّافِعُ دُونَ مَبْدَأٍ. وَإِذَا كَانَ
 شَيْئَانِ مَبْدَأَيْنِ لِشَيْئَيْنِ وَاحِدٍ الْمَبْدَأَيْنِ أَعْظَمُ مِنَ الثَّلَاثِي فَإِنَّ الَّذِي
 يَكُونُ عَنِ الْمَبْدَأِ الْأَعْظَمِ أَعْظَمُ. وَعَكْسُ هَذَا أَيْضًا وَهُوَ إِذَا كَانَ
 شَيْئَانِ مَبْدَأَيْنِ لِشَيْئَيْنِ عَلَى أَنَّهُمَا فَاعِلٌ وَاحِدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الثَّلَاثِي
 فَإِنَّ الَّذِي هُوَ مَبْدَأٌ لِلْأَعْظَمِ أَعْظَمُ. وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ مَبْدَأَانِ عَلَى
 أَنَّهُمَا غَايَةٌ وَإِذَا قِيسَ الْمَبْدَأُ الْفَاعِلُ إِلَى الْغَايَةِ أَمَكَنَ أَنْ يُتَوَهَّمُ
 أَنَّ الْفَاعِلَ أَعْظَمُ مِنَ الْغَايَةِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْفَاعِلَ هُوَ الَّذِي يَقْعِلُ
 الْغَايَةَ وَلَوْلَا هُوَ لَمْ تُوجَدْ الْغَايَةُ وَأَمَكَنَ أَنْ يُتَوَهَّمُ أَيْضًا أَنَّ الْغَايَةَ
 أَعْظَمُ مِنَ الْمَبْدَأِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْلَا الْغَايَةُ لَكَانَ الْفَاعِلُ فَضْلًا. فَتَالُ
 مَا تَجْعَلُ الْغَايَةَ فِيهِ أَعْظَمَ مِنَ الْفَاعِلِ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ فِي الذَّمِّ: إِنَّ

فَلَا أَوَّلَىٰ بِأَن يُنْسَبَ إِلَى الْخَوَرِ فِي فِعْلِهِ كَذَا مِنْ فُلَانٍ الَّذِي
أَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ ذَلِكَ الْفِعْلُ إِذْ لَوْ لَمْ يَفْعَلْ
هُوَ ذَلِكَ الْفِعْلُ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ الضَّرَرُ. وَمِثَالُ مَا يُجْمَلُ الْقَاعِلُ فِيهِ
أَعْظَمَ مِنَ الْقَايَةِ قَوْلُ الْقَاعِلِ: فُلَانٌ أَحَقُّ بِالشُّكْرِ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ
مِنْ فُلَانٍ لِأَنَّهُ فُلَانًا هُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ الْفِعْلِ وَلَوْلَا
إِشَارَتُهُ لَمْ يَكُنْ لِفِعْلٍ ذَلِكَ الْفِعْلُ الْحَمْدُ وَفِي كِلَا التَّوْضُوعَيْنِ
مَا قَبْلَ الْقَايَةِ إِنَّمَا يَفْعَلُ لِمَكَانِ الْقَايَةِ. وَآيُضًا فَإِنَّ الَّذِي وَجُودُهُ
أَقْلُّ فَهُوَ أَفْضَلُ مِثْلُ الذَّهَبِ وَالْحَدِيدِ غَيْرَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ الذَّهَبُ
أَقْلَّ وَجُودًا مِنَ الْحَدِيدِ فَلَيْسَ هُوَ أَنْفَعُ. وَآيُضًا مُعَابِلُ هَذَا وَهُوَ أَنَّ
مَا كَثُرَ وَجُودُهُ فَهُوَ أَفْضَلُ بِمَا قَلَّ وَجُودُهُ لِكَثْرَةِ مَنَافِعِهِ وَمِنْ هُنَا
يُقَالُ إِنَّ أَلَمَاءَ خَيْرٍ لِكَثْرَةِ وَجُودِهِ وَعُمُومِ مَنَافِعِهِ. وَآيُضًا فَإِنَّ مَا
هُوَ أَعْسَرُ وَجُودًا فَهُوَ أَفْضَلُ لِأَنَّهُ مَا عَسَرَ وَجُودُهُ قَلَّ وَجُودُهُ
وَمَا قَلَّ وَجُودُهُ فَهُوَ غَرِيبٌ وَيَتَنَاقَسُ فِيهِ. وَمُعَابِلُ هَذَا وَهُوَ أَنَّ مَا
سَهَّلَ وَجُودُهُ فَهُوَ أَفْضَلُ لِأَنَّهُ يُوجَدُ فِي كُلِّ جِهَةٍ يُشْتَقُّ إِلَيْهِ.
وَآيُضًا الشَّيْءُ الَّذِي ضِدُّهُ أَعْظَمُ فَهُوَ أَفْضَلُ. وَآيُضًا الَّذِي عَدِمُهُ
أَشَدُّ ضَرَرًا فَهُوَ أَنْفَعُ. وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يُفْهَمَ هَا هُنَا مِنَ الْأَعْظَمِ
وَالْأَقْلِّ عِظَمُ الْمَقَائِصَةِ فِي الْخَيْرِ فَقَطْ بَلْ وَفِي الشَّرِّ وَفِيهَا هُوَ لَا
خَيْرٌ وَلَا شَرٌّ. وَآيُضًا فَإِنَّ الْقَايَاتِ وَالْأَشْيَاءَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا تُفْعَلُ
الْأَفْعَالُ إِذَا كَانَتْ الْقَايَاتُ بَعْضُهَا أَزِيدَ خَيْرًا مِنْ بَعْضٍ أَوْ أَزِيدَ
شَرًّا مِنْ بَعْضٍ فَإِنَّ الْأُمُورَ الْمُتَقَدِّمَةَ لِتِلْكَ الْقَايَاتِ الْأَزِيدِ هِيَ

أَزِيدُ. وَأَيْضًا فَإِنَّ مَا كَانَ مِنَ اللَّكَّاتِ وَالْفَضَائِلِ وَالْجَلَّةِ الْأَشْيَاءِ
الْقَاعَةِ أَعْظَمُ فَإِنَّ أَعْمَالَهَا الصَّادِرَةَ عَنْهَا تَكُونُ أَعْظَمَ لِأَنَّ نِسْبَةَ
الْأَفْعَالِ إِلَى مَبَادِيهَا هِيَ نِسْبَةُ الْمَبَادِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ. فَإِنَّهُ
إِنْ كَانَ الْبَصَرُ أَثَرٌ مِنَ الشَّمِّ فَإِنَّ الْبَصَرَ أَثَرٌ مِنَ الشَّمِّ
وَهَكَذَا يُوجَدُ الْآخَرُ فِي جَمِيعِ الْأَفْعَالِ مَعَ أَسْبَابِهَا الْقَاعَةِ لَيْسَ
فِي الدَّائِيَّةِ قَطُّ بَلْ وَفِيَا يَعْزُضُ عَنِ الشَّيْءِ بِالْإِتِّفَاقِ فَإِنَّ الْعَظِيمَ
يَكُونُ الْإِتِّفَاقُ الَّذِي يَعْزُضُ لَهُ عَظِيمًا وَفِي الْأَعْرَاضِ الْمَوْجُودَةِ فِي
الشَّيْءِ أَغْنِي أَنْ الشَّيْءِ الْأَعْظَمُ الْعَرَضُ الْمَوْجُودُ فِيهِ أَعْظَمُ. وَأَيْضًا
أَنْ يُحِبَّ الْإِنْسَانُ صَاحِبَ الْمَالِ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يُحِبَّ الْمَالُ لِأَنَّ
حُبَّ الْإِنْسَانِ أَفْضَلُ مِنْ حُبِّ الْمَالِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ الْفَضَائِلَ أَفْضَلُ
مِنْ ذَوِي الْفَضَائِلِ وَالْأَشْيَاءِ الَّتِي شَهَوْتُهَا فَاضِلَةٌ أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي
شَهَوْتُهَا غَيْرُ فَاضِلَةٍ. مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ شَهْوَةَ الْعُلُومِ فَاضِلَةٌ وَشَهْوَةُ
الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ غَيْرُ فَاضِلَةٍ فَالْعُلُومُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَكْلِ
وَالشَّرْبِ. وَأَيْضًا عَكْسُ هَذَا وَهُوَ أَنَّ مَا هُوَ أَفْضَلُ فَشَهْوَتُهُ أَفْضَلُ
مِثْلُ أَنْ الْحِكْمَةَ أَفْضَلُ مِنَ الصِّحَّةِ فَشَهْوَتُهَا أَفْضَلُ مِنْ شَهْوَةِ
الصِّحَّةِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ الْعُلُومَ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فَاعْمَالُهَا خَيْرٌ
وَأَفْضَلُ. مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْعُلُومُ الْعِلْمِيَّةُ أَفْضَلُ مِنَ
الْعَمَلِيَّةِ كَانَ فِعْلُهَا الَّذِي هُوَ الْيَقْدُقُ أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي فِعْلُهَا الْعَمَلُ.
وَعَكْسُ هَذَا وَهُوَ أَنَّ الَّتِي فِعْلُهَا أَفْضَلُ مِنَ الْعُلُومِ فَبِهَا أَفْضَلُ
وَذَلِكَ أَنَّ الْقَوُوفَ عَلَى الْحَقِّ لَمَّا كَانَ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِ كَانَتْ

الصَّالِحُ الْعَلِيَّةُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِيَّةِ وَإِنَّمَا كَانَا هَذَانِ الْمَوْضِعَانِ مُتَلَاذِمَيْنِ لِأَنَّ نِسْبَةَ الصَّاعَةِ إِلَى الصَّاعَةِ هِيَ نِسْبَةُ فِعْلِهَا إِلَى فِعْلِهَا (قَالَ) وَالَّذِي يَحْكُمُ بِهِ الْكُلُّ مِنَ الْجُمْهُورِ أَوْ الْأَصْغَرُ أَوْ دَوْرُ الْأَلْبَابِ وَالْأَخْيَارُ الصَّالِحُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ فَهُوَ أَفْضَلُ بِإِطْلَاقٍ وَفِي نَفْسِهِ إِذَا كَانَ حُكْمُهُمْ فِي الْأَشْيَاءِ بِحَسَبِ فِطْرِهِمْ وَكَانُوا ذَوِي لُبٍّ لَا يَحْسِبُ مَا اسْتَفَادُوهُ مِنَ الْآرَاءِ مِنْ خَارِجٍ فَإِنَّ ذَوِي الْأَلْبَابِ مِنَ النَّاسِ قَدْ يَقُولُونَ بِفِطْرِهِمْ فِي الْقَضَائِلِ وَالْخَيْرَاتِ مَا هِيَ وَكَمْ هِيَ وَعِنْدَ آيِ شَيْءٍ هِيَ وَإِنْ كَانَ مَا يَقْنُونَ عَلَيْهِ بِفِطْرِهِمْ دُونَ مَا يُوقَفُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ فِي الْعُلُومِ وَدَا قِيلَ فِي حَدِّ الْخَيْرِ مِنْ أَنَّهُ الَّذِي يَتَشَوُّهُ الْكُلُّ إِنَّمَا يَرَادُ بِذَلِكَ الْخَيْرُ الَّذِي يَتَشَوُّهُ الْكُلُّ بِحَسَبِ فِطْرِهِمُ الْعَلِيَّةِ أَيْنِي الْعَلِيَّةِ فَإِنَّ مَا تَتَشَوُّهُ الْفِطْرُ الْعَلِيَّةُ بِمَا هِيَ فِطْرٌ لَيْسَتْ هُوَ خَيْرٌ مُطْلَقٌ أَوْ خَيْرٌ أَفْضَلُ مِنْ خَيْرٍ مِثْلُ عَلَيْهِمْ أَنَّ الشَّجَاعَةَ وَالْأَدَبَ وَالْجَلَدَ خَيْرَاتٌ وَتَشَوُّقُهُمْ إِيَّاهَا. وَأَمَّا الَّذِي هُوَ خَيْرٌ بِالإِضَافَةِ إِلَى إِنْسَانٍ مَا مِثْلُ مَنْ يَرَى مِنَ النَّاسِ الْقَاضِلِينَ أَنَّهُ أَنْ يُجَادَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يُجُودَ هُوَ فَإِنَّ هَذَا الْخَيْرَ لَا يُدْرِكُهُ النَّاسُ بِحَسَبِ طَبَاعِهِمْ وَإِنَّمَا يَرَى هَذَا الرَّأْيُ الَّذِي هُوَ مِنَ النَّاسِ فِي غَايَةِ الدَّلِيلِ وَالْفَضْلِ. وَإِنَّمَا مَا كَانَ مِنَ الْخَيْرَاتِ مَعَهُ أَكْثَرُ لَدَّةٍ فَهُوَ أَثَرٌ. وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْكُلَّ مِنَ الْجُمْهُورِ يَتَّبِعُونَ إِلَى الدَّلَّةِ وَيَطْلُبُونَهَا وَطَلِبُهُمُ الدَّلَّةُ هُوَ مِنْ أَجْلِ الدَّلَّةِ نَفْسَهَا لَا مِنْ أَجْلِ شَيْءٍ آخَرَ غَيْرِهَا. وَمَا

كَانَ يَهْدِيهِ الصِّفَةُ أَعْنِي مُتَشَوِّقًا لِلْكَلِّ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ الْخَيْرُ وَالْقَائِمَةُ
 قَالَتُ إِذَنْ خَيْرٌ وَالْأَزِيدُ لَذَّةٌ هِيَ الْمَلَذَاتُ الَّتِي هِيَ أَبْرَأُ مِنَ الْأَذَى
 وَالْحُزْنِ وَادْوَمَ بَقَاءُ. وَاللَذَّةُ الْجَمِيلَةُ الَّتِي مِنَ اللَّذَّةِ الْقَبِيحَةِ لِأَنَّ الْجَمِيلَ
 بِمَا قَدْ يُخْتَارُ بِذَاتِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَذِيذًا وَهُوَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُخْتَارُ
 الْمَرْءُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ يَكُونُهُ إِمَّا لِنَفْسِهِ وَإِمَّا لِصَدِيقِهِ. وَبِالْجَمَلَةِ فَكُلُّ
 مَا كَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَلَذَّةِ أَفْضَلَ فَهُوَ الَّذِي بِنِهَا هُوَ أَحْسَنُ وَكُلُّ مَا هُوَ
 مِنْهَا أَطْوَلُ مُدَّةً فَهُوَ الَّذِي مِنَ الَّتِي هِيَ مِنْهَا أَقْصَرُ مُدَّةً وَكُلُّ مَا كَانَ
 مِنَ الْخَيْرَاتِ أَثْبَتَ فِيمَا فَهُوَ الَّذِي بِنِهَا هُوَ أَقْلُ ثَبَاتًا وَذَلِكَ أَنَّ الصِّفَةَ
 لَمَّا كَانَتْ أَرْتَخَ فِيمَا مِنَ الْجَمَالِ كَانَ وَجُودُ الصِّفَةِ لَنَا الَّذِي مِنْ
 وَجُودِ الْجَمَالِ. وَالْأَشْيَاءُ اللَّذِيذَةُ أَوْ الْأَكْثَرُ لَذَّةً إِنَّمَا السَّبَبُ
 فِي وَجُودِهَا لَنَا يَهْدِيهِ الصِّفَةُ أَحَدُ أَمْرَيْنِ إِمَّا طَوَّلَ اُعْتِيَادَ الشَّيْءِ حَتَّى
 يَصِيرَ لَنَا الْإِلْتِدَادُ بِهِ مِنْ قَبْلِ الْعَادَةِ كَالْحَالِ فِي اللَّذَّةِ لِحَاصِلَةِ مَن
 الْعِلْمِ. وَإِمَّا مِنْ قَبْلِ أَنَّهَا لَذِيذَةٌ جَدًّا عُدْنَا بِالطَّبْعِ وَالْهَوَى قَالِ الْأَشْيَاءُ
 إِذَنْ إِنَّمَا نَصِيرُ أَكْثَرَ لَذَّةً إِمَّا مِنْ قَبْلِ طَوْلِ الزَّمَانِ وَإِمَّا مِنْ
 قَبْلِ الْهَوَى وَالْمَوَاقِفِ الَّتِي بِالطَّبْعِ. وَجَمِيعُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُتَلَاَمُ هَوَانًا
 مُلَانِسَةً أَكْثَرَ فَإِنَّ مَنَفْعَهَا لَنَا إِنَّمَا تَكُونُ فِي دُسُوحِهَا وَثُبُوتِهَا.
 وَقَدْ تَوَخَّذَ مُقَدِّمَاتُ الْأَنْفَعِ وَالْأَفْضَلِ مِنْ مَوَاضِعِ الظَّاهِرِ
 وَالْخَصَائِفِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ كَانَتْ الشَّجَاعَةُ أَثَرًا مِنَ الْعَفَافِ قَالُوا جُلُ
 الشَّجَاعِ أَثَرٌ مِنَ الرَّجُلِ الْغَنِيِّ

(قَالَ) وَمَا أَخَذَهُ الْكُلُّ أَثَرًا لَا يُخْتَارُهُ الْكُلُّ مِنْ

الجمهور وما اختاره أيضا كثير من الناس أثر بما يختاره القليل من
الناس فإن التخيّر كما قيل هو الذي يشاق إليه الكل . وما
اختاره أيضا الحكماء الأول أعني الذين لا يأخذون الأحكام
من غيرهم وهم الشرايع أفضل مما لم يختاروه . وما اختاره أيضا
الذين يتلقون الأحكام من هؤلاء أفضل مما ليس يختاره هؤلاء .
والذين يتلقون الأحكام من الحكماء الأول وهم الذين تؤخذ عنهم
أصول الأحكام صنفان إما سامع فقط مبلغ وإما سامع عالم
أي قادر على أن يستنبط من تلك الأصول أحكاما ما لم
يصرح بها الحكماء الأول . وهؤلاء صنفان إما مسلمون من قبل
الحكماء الأول وهم القضاة وما أشبههم وإما غير مسلمين وهم
الفقهاء . ومن هذه الأشياء ما لجميع أصناف المتلقين من الحكماء
الأول أن يقولوا فيها . وهو ما سيموه أو ما شاهدوه من أحكام
الأول ومنها ما يختص بذوي العلم منهم وهو القول في الأشياء التي
تستنبط عن الأحكام الأول التي صرح بها الحكماء الأول وليس
للسامعين دون علم أن يقولوا في هذه الأشياء . وإما الذي يخص
الحكماء الأول القول فيه فهي الأصول التي تتدرج منزلة
المبادئ لسائر ما يحكم به السامعون ذوو العلم أعني المسلمين
والفقهاء وهي التي يستنبطها الأصوليون العظمى . والفضلاء الأبرار
الذين جرت العادة أن يأخذ عنهم الجميع أو الأكثر فتحكمهم
أفضل فإن عدم الأخذ قد يحل هوأنا ونقصا في المرء القاضل البتر

وَقِيلَ قُبُولُ لِقَوْلِهِ وَقَدْ يُحْيِلُ الْأَمْرُ بِعَكْسِ هَذَا. وَذَلِكَ أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارُ الْفَاضِلُونَ مَقْبُولِي الْقَوْلِ مَعَ اللَّهِ لَمْ يَأْخُذْ أَحَدٌ مِنَ الْجُنُحُورِ عَنْهُمْ أَضْلًا شَيْئًا أَوْ إِنَّمَا أَخَذَ عَنْهُمْ قَلِيلٌ. وَذَلِكَ أَنَّ أَقَابِيلَ هَؤُلَاءِ قَدْ يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا مَقْبُولَةٌ بِجَهَةِ أُخْرَى وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْمُرْضِيُّ عِنْدَ الْجُنُحُورِ مَنْ لَيْسَ مَرْضِيًّا فِي نَفْسِهِ وَالْأَقْلَرِ مِنَ الْجُنُحُورِ وَهُمْ ذُرُوءُ التَّسْيِيرِ. وَآيُضًا فَإِنَّ الْفَاضِلِينَ الَّذِينَ كَتَبُوا فَضَائِلَهُمْ عَنِ الْجُنُحُورِ هُمْ تَمْدُوحُونَ أَكْثَرُ وَهُمْ أَقْلَرُ وَجُودًا وَأَعَزُّ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا كَتَبُوا فَضَائِلَهُمْ عَنِ الْجُنُحُورِ لَأَنَّهُمْ خَافُوا أَنْ يَلْحَقَهُمْ مِنَ الْكَرَامَاتِ وَالرِّتَاسَاتِ الَّتِي يُخَافُ إِذَا لَحِقَتْ الْآلَاءُ أَنْ تَكُونَ سَبَبًا لِأَن تَكُونَ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ اللَّاحِظَةُ لِلْفَضَائِلِ هِيَ الْمَقْصُودَةُ عِنْدَهُ بِالْقَضَائِلِ. فَمِنْ هَاهُنَا صَارَتْ أَقْوَالُ هَذَا الصَّنْفِ مَقْبُولَةً كَمَا صَارَتْ أَقْوَالُ الصَّنْفِ الْأَوَّلِ الْمَضَادِّ لِهَذَا مَقْبُولَةً وَهُمْ الَّذِينَ أَخَذَ عَنْهُمْ الْجُنُحُورُ

(قَالَ) وَمِنْ الصَّنْفِ الْقَبُولِ الْقَوْلِ مِنَ النَّاسِ جِدًّا
الصَّنْفِ الَّذِينَ كَرَّامَتُهُمْ أَعْظَمُ لِأَنَّ الْكَرَامَةَ لَمَّا كَانَتْ مُكَافَأَةً
الْقَضِيَّةِ كَانَ الْآلَاءُ كُلَّمَا عَظُمَتْ كَرَامَتُهُ ظُنُّ بِهِ أَنَّهُ قَدْ عَظُمَتْ
فَضِيلَتُهُ. وَالصَّنْفُ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ نَالَتْهُمْ الْمَضَرَّةُ الْعَظِيمَةُ وَالشَّقَاءُ
الْكَبِيرُ لِمَكَانِ الْقَضَائِلِ هُمْ أَيْضًا مَقْبُولُوا لِأَقْوَالِ جِدًّا بِمِثَرَةٍ
سُقْرَاطَ وَغَيْرِهِ وَالصَّنْفُ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَرَى فِيهِ هَذَانِ الصَّنِفَانِ
مِنَ النَّاسِ أَعْنِي الَّذِينَ كَرَّامَتُهُمْ أَعْظَمُ وَالَّذِينَ نَالَهُمُ الضَّرَرُ

الْكِبَرُ مِنْ قَبْلِ الْفَضَائِلِ أَنَّهُمْ فَاضِلُونَ وَيَعْتَرِفُونَ لَهُمْ بِالْفَضْلِ
هُمْ أَيْضًا أَفْضَلُ وَأَعْظَمُ. فَهَؤُلَاءِ هُمْ أَصْنَافُ النَّاسِ الَّذِينَ إِذَا
اخْتَارُوا شَيْئًا وَاخْتَارَ غَيْرُهُمْ سِوَاهُ كَانَ مَا يُخْتَارُهُ هَؤُلَاءِ أَفْضَلَ
وَأَثَرُ

(قَالَ) وَقِسْمَةُ الشَّيْءِ إِلَى جُزْئِيَّاتِهِ يُحِيلُ فِي الشَّيْءِ أَنَّهُ أَعْظَمُ
وَلِذَلِكَ لَمَّا أَرَادَ أُوْمِيدُوشُ الشَّاعِرُ أَنْ يُعْظِمَ الشَّرَّ الَّذِي لَحَى الْقَدِيئَةَ
أَخَذَ بَدَلَهُ جُزْئِيَّاتِهِ فَذَكَرَ قَتْلَ الْأَوْلَادِ وَالْوَحْ عَلَيْهِمْ وَحَرَقَ الْقَدِيئَةَ
بِالنَّارِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الشُّرُورِ الْأَلْحَقَةِ لَهَا

(قَالَ) وَكَذَلِكَ التَّرْكِيبُ قَدْ يُحِيلُ فِي الشَّيْءِ أَنَّهُ أَعْظَمُ وَهُوَ
عَكْسُ. هَذَا أَغْنِي أَنْ يُؤْخَذَ بَدَلُ الْجُزْئِيَّاتِ الْكُلِّي الَّذِي يُمْسِكُهَا
وَالسَّبَبُ فِي الْإِقْتِنَاعِ فِي هَذَيْنِ الصَّنَفَيْنِ هُوَ التَّغْيِيرُ وَالْإِبْدَالُ

(قَالَ) وَلَمَّا كَانَتْ الْأَشْيَاءُ الْأَعْسَرُ وَجُودًا فِي نَفْسِهَا
وَالْأَقْلُ وَجُودًا يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا أَفْضَلُ كَانَتْ الْأَشْيَاءُ الْكَثِيرَةُ
الْوُجُودِ فِي نَفْسِهَا وَالسَّهْلَةُ الْوُجُودِ قَدْ تَرَى عَظِيمَةً إِذَا وَجِدَتْ فِي
الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَقِلُّ فِيهَا وَجُودُهَا أَوْ فِي الْأَزْمِنَةِ الَّتِي يَقِلُّ وَجُودُهَا
فِيهَا أَيْضًا أَوْ فِي الْإِنْسَانِ مِنَ النَّاسِ الَّتِي يَقِلُّ وَجُودُهَا فِيهَا مِثْلُ
وُجُودِ الْإِنْسَانِ حَظِيْبًا فِي سِنِّ الصَّبَا أَوْ فِي الْكِبَرِ الَّتِي لَيْسَ مِنْ
شَأْنِهَا أَنْ تُوجَدَ فِيهِ. مِثْلُ مَنْ يَفْعَلُ مَا شَاءَهُ أَنْ يَفْعَلَ فِي زَمَانٍ
طَوِيلٍ فِي زَمَانٍ قَصِيرٍ أَوْ تَكُونُ صَادِرَةً عَنِ الْقُوَى الَّتِي يَقِلُّ
صُدُورُهَا عَنْهَا مِثْلُ أَنْ يَفْعَلَ الضَّعِيفُ فِعْلَ الْقَوِيِّ وَالْمَرِيضُ فِعْلَ

الصَّحِيحُ. وَكُلُّ هَذِهِ وَأَشْبَاهَهَا يَمَّا يُصَدَّرُ الْأَمْرَ الَّذِي لَيْسَ بِعَظِيمٍ
عَظِيمًا وَمُسْتَعْرَبًا. وَآيَافَ فَإِنَّ أَلْجُزَّ الْعَظِيمَ مِنَ الشَّيْءِ هُوَ مِنَ الْأَشْيَاءِ
الَّتِي هِيَ أَكْثَرُ مِثْلُ الْقَلْبِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْدَّمَاعِ أَوْ الرِّيحِ. مِنْ
السَّنَةِ وَالشَّابَابِ مِنَ الْمَدِينَةِ. وَآيَافَ فَإِنَّ النَّافِعَ فِيهَا أَلْحَاجَةُ إِلَيْهِ
أَشَدُّ هُوَ أَكْثَرُ نَفْعًا وَالضَّارُّ فِيهِ أَكْثَرُ ضَرَرًا مِثْلُ الصِّحَّةِ فِي
السَّخَاوَةِ وَالْمَرَضِ فِيهَا. فَإِنَّ الصِّحَّةَ فِيهَا أَثَرٌ مِنَ الصِّحَّةِ فِي الصَّبَا
وَالْمَرَضِ فِيهَا أَضَرُّ. وَآيَافَ مَا كَانَ مِنَ الْأَمْرِ يَنْقَرِبُ إِلَى الْقَائِدِ
فَهُوَ أَفْضَلُ. وَآيَافَ مَا كَانَ فِي آخِرِ الْعُمُرِ فَهُوَ أَفْضَلُ فَإِنَّ الْأَشْيَاءَ
الَّتِي سَبِيلُهَا أَنْ تَكُونَ لِلنَّاسِ فِي آخِرِ أَعْمَارِهِمْ هِيَ أَفْضَلُ مِثْلُ
الْحِكْمَةِ وَالْإِلَهَمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْقَضَائِلِ الَّتِي تَكُنُّ مَعَ طَوْلِ
الْعُمُرِ. وَآيَافَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي فُتِلَتْ أَوْ فُتِلَتْ كَانَ فِعْلُهَا حَقِيقَتَهَا
أَكْثَرُ مِنَ الَّتِي إِذَا فُتِلَتْ لَمْ يَكُنْ فِعْلُهَا حَقِيقَةً قَائِمًا. وَارْتِطُ
يُسَمَّى الَّتِي إِذَا فُتِلَتْ كَانَ فِعْلُهَا حَقِيقَتَهَا الَّتِي يُتَعَدُّ بِهَا الْحَقِيقَةُ
وَيُسَمَّى الْآخَرِ الَّتِي يُتَعَدُّ بِهَا الْمَدْحُ أَعْنِي الَّتِي لَيْسَ فِعْلُهَا حَقِيقَتَهَا
(قَالَ) وَحَدُّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُتَعَدُّ بِهَا الْمَدْحُ أَنَّهَا الَّتِي إِذَا
فُتِلَتْ يَجْهَلُ أَوْ يَنْطَلِقُ لَمْ تَمْدَحْ أَضَلَّ وَالَّتِي يُتَعَدُّ بِهَا الْحَقِيقَةُ هِيَ
الْأَشْيَاءُ الَّتِي كَيْفَ مَا فُتِلَتْ فَقَدْ حَصَلَتْ عَلَى أَتَمِّهَا.

(قَالَ) وَلِذَلِكَ كَانَ حُسْنُ قَبُولِ الشَّيْءِ الْجَمِيلِ أَثَرٌ مِنْ
فِعْلِ الشَّيْءِ الْجَمِيلِ لِأَنَّ فِعْلَ الْجَمِيلِ إِذَا فُتِلَ عَنْ غَلَطٍ أَوْ جَهْلٍ لَمْ
يُقْبَلْ وَلَا مُدِيحٌ قَائِمٌ. وَأَمَّا حُسْنُ الْإِقْعَالِ وَالْقَبُولِ فَكَيْفَ مَا

حَصَلَ فَقَدْ اسْتَفَادَ الْخَيْرَ مِنْهُ الْقَائِلُ لَهُ . وَآيَضًا مَا أُؤْتِرَ فَعَلُهُ لِنَفْسِهِ
 وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَحَدٌ أَثَرًا يَمَّا لَا يُخْتَارُ إِلَّا مِنْ جِهَةٍ مَا يُعْلَمُ كَأَخَالٍ
 فِي الصِّحَّةِ وَالْجَمَالِ . فَإِنَّ الصِّحَّةَ مُؤْتَرَةٌ بِذَاتِهَا وَالْجَمَالَ مُؤْتَرٌ لِلغَيْرِ .
 وَآيَضًا فَإِنَّ الثَّانِيَةَ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ فَهِيَ أَنْفَعُ كَالثَّانِيَةِ فِي طَوْلِ
 الْعُمُرِ وَفِي حُسْنِ النِّسَاءِ أَعْنِي النِّسَاءَ الرَّغْدَ وَفِي اللَّذَاتِ وَفِي
 أَصْطِنَاعِ الْخَيْرَاتِ . وَلِذَلِكَ مَا يُظَنُّ بِالصِّحَّةِ وَالْيَسَارِ أَنَّهَا عَظِيمَانِ لِأَنَّهَا
 يَجْمَعَانِ أَخْلَوْا مِنَ الْحُزَنِ وَالْفِعْلِ بِإِذْنِ أَنِّي إِنَّ الصِّحَّةَ هِيَ سَبَبُ
 الْفِعْلِ بِإِذْنِ وَالْيَسَارِ سَبَبُ الْخُلُوقِ مِنَ الْآخِرَانِ . وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ
 هَذَيْنِ عَلَى الْآخَرِ قَاضٍ وَخُتَارٌ بِنَفْسِهِ أَعْنِي أَخْلَوْا مِنَ الْآخِرَانِ
 وَالْأَفْعَالِ اللَّذِيذَةِ فَإِذَا اجْتَمَعَا لِأَمْرٍ جَمَلَهُ أَنْظَمَ مِنْ كُلِّ
 شَيْءٍ سِوَاكَ عِلْمَ ذَلِكَ مِنْ عَلَيْهِ أَوْ جِهَهُ مِنْ جِهَتِهِ لِأَنَّ هَذِهِ
 خَيْرَاتٌ مُسْتَفَادَةٌ بِالْحَقِيقَةِ لَا مِنَ الْخَيْرَاتِ الَّتِي يُتَعَدَّى بِهَا الْمَذْحُ .
 وَلِكُونَ الْيَسَارِ سَبَبًا لِدَفْعِ الْآخِرَانِ ظَنُّ بِهِ أَنَّهُ السَّعَادَةُ قَوْمٌ
 وَآخَرُونَ رَأَوْا أَنَّ السَّعَادَةَ هِيَ أَنْ يَقْتَرِنَ بِهِ شَيْءٌ آخَرُ وَذَلِكَ
 وَاجِبٌ مِنْ قَبْلِ أَنَّهُ آخَرَى أَنْ تَكُونَ السَّعَادَةُ ثَابِتَةً وَمَأْمُونَةً
 أَوْ رَوَالٍ . فَإِنَّهُ لَيْسَ الضَّرَرُ اللَّاحِقُ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ فَقَدْ أَحَدُهُمَا كَمَنْ لَهُ
 عَيْنٌ وَاحِدَةٌ فَقَدْ هُمَا لِأَنَّ الَّذِي لَهُ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ سَلَبَ أَحَبَّ يَمَّا سَلَبَ
 مَنْ لَهُ عَيْنَانِ . وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَتْ السَّعَادَةُ فِي أَمَالٍ وَفِي شَيْءٍ آخَرَ
 لَمْ يَكُنِ الضَّرَرُ اللَّاحِقُ عَنْ سَلَبِ أَمَالٍ كَالضَّرَرِ اللَّاحِقِ عَنْ سَلَبِهِ
 إِنْ كَانَ هُوَ السَّعَادَةُ وَحْدَهُ

(قَالَ) وَالْكَلَامُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا هَاهُنَا لَيْسَ هُوَ عَلَى جِهَةِ
التَّضْيِيعِ وَإِنَّمَا الْكَلَامُ فِيهَا بِالتَّقْدِيرِ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحُطِيبُ مِنْ
ذَلِكَ وَيَجِبُ لِلْحُطِيبِ أَبَدًا مَتَى آتَى بِالتَّامِّجِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ
الْمُقَدِّمَاتِ أَنْ يُزِيدَهَا بِإِلْتِمَاتِ التَّأْخُودَةِ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ قَعَلُوا
تِلْكَ الْأَفْعِيلَ فَحَقِّقَهُمُ النَّفْعُ أَوْ الضَّرَرُ فَلِذَلِكَ مَا يَجِبُ لِلْحُطِيبِ
أَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِلتَّقْصِصِ وَالْأَخْبَارِ

المبحث العاشر

في ان الحطيب المشوري ينبغي ان يعرف اصناف السياسات

وفي بيان اجناس هذه السياسات الاربعة

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) فَهَذِهِ هِيَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي يُثَبَّتُ بِهَا أَنَّ الشَّيْءَ أَنْفَعُ أَوْ
أَضَرُّ. وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي يَكُونُ بِهَا الْإِذْنُ وَالنَّهْيُ فَقَدْ قِيلَ فِيهَا قَبْلَ هَذَا
بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ. لَكِنْ أَهَمُّ وَأَعْظَمُ مَا فِيهَا هُوَ الْقَوْلُ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي
بِهَا يَقْدَرُ عَلَى جُودَةِ الْإِقْتَاعِ فِي السُّنَنِ وَالْإِشَارَةِ بِالسُّنَنِ الَّتِي لَا يُوجَدُ
أَنْفَعُ مِنْهَا. وَلِذَلِكَ قَدْ يَجِبُ أَنْ نَسْتَقْصِيَ الْقَوْلَ فِيهَا هَاهُنَا فَقُولُ:
إِنَّ الْأُمَامَةَ بِالسُّنَنِ الثَّانِيَةِ وَالْإِقْتَاعِ الثَّامِّ فِيهَا يَتَأَتَّى بِمَعْرِفَةِ اصْنَافِ
السياساتِ وَالْأَخْلَاقِ وَالسُّنَنِ الَّتِي تُخَصُّ سِيَاسَةً سِيَاسَةً. وَذَلِكَ أَنَّ
فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ السِّيَاسَاتِ سُنَّتًا نَافِةً فِيهَا وَهِيَ السُّنَةُ الَّتِي بِهَا

يَكُونُ خَلاصُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَقَوَامُهَا. وَالسَّنُّ النَّفِيسَةُ الْخَطِيرَةُ هِيَ السَّنُّ
الْمَعَادَةُ أَعْنِي الْمَوْضُوعَةُ فِي الْعَدْلِ الَّتِي رَسَمَهَا الرَّئِيسُ الْأَوَّلُ فِي
تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَوْ أَسْلَطَ عَلَيْهَا مِنْ قَبْلِ الرَّئِيسِ الْأَوَّلِ. وَهَذِهِ السَّنُّ
النَّفِيسَةُ أَعْنِي السَّنُّ الْمَعَادَةُ تَحْتَلِفُ فِي السِّيَاسَاتِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ
غَايَتِهَا. وَعَدَدُهَا عَلَى عِدَدِ السِّيَاسَاتِ. مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْعَدْلَ فِي
سِيَّاسَةِ الثَّقَلِ أَنَّهُ لَا شَيْءَ عَلَى الرَّئِيسِ إِذَا لَطَمَ الْمُرُوسَ. وَفِي
سِيَّاسَةِ الْخُرْقَةِ الْعَدْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّ يُلَطَمَ الرَّئِيسُ مِثْلَ الْطَلْطَةِ الَّتِي
لَطَمَهَا. وَالسِّيَاسَاتُ بِأَجْمَلِهَا أَرْبَعُ السِّيَاسَةِ الْجَمَاعِيَّةِ وَسِيَّاسَةُ الْحَقِّ
وسِيَّاسَةُ جُودَةِ السُّلْطَانِ وَسِيَّاسَةُ الْوَعْدَانِيَّةِ وَهِيَ الْكَرَامِيَّةُ. وَهَذِهِ
السِّيَاسَاتُ كُلُّهَا الْمَقْصُودُ بِالسَّنِّ الْمَوْضُوعَةِ فِيهَا إِنَّمَا هُوَ الْمَدِينَةُ
وَالْكُلُّ لَا الشَّخْصُ. فَأَمَّا الْمَدِينَةُ الْجَمَاعِيَّةُ فَهِيَ الَّتِي نَكُونُ الرِّئَاسَةَ
فِيهَا بِالإِتِّفَاقِ وَالنَّجْتِ لَا عَنِ اسْتِثْنَائِهِ إِذْ كَانَ لَيْسَ فِي هَذِهِ
الْمَدِينَةِ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ. وَأَمَّا خِصَّةُ الرِّئَاسَةِ فَهِيَ الَّتِي يَسْلُطُ
فِيهَا السُّلْطَانُونَ عَلَى الْمَدِينِينَ بِإِدَاءِ الْإِتَّاقَةِ وَالْتَّعْزِيمِ لَا عَلَى جِهَةٍ
أَنْ تَكُونَ نَفَقَةً لِلْحَيَاةِ وَالْحِفْظَةِ وَلَا عُدَّةً لِلْمَدِينَةِ عَلَى مَا عَلَيْهِ
الْأَمْرُ فِي السِّيَاسَاتِ الْآخَرِ بَلْ عَلَى جِهَةٍ أَنْ تَحْصُلَ الثَّرْوَةُ لِلرَّئِيسِ
الْأَوَّلِ. فَإِنْ جَعَلَ لَهُمْ حَقًّا مِنَ الثَّرْوَةِ كَانَتْ رِئَاسَةُ الثَّرْوَةِ.
وَإِنْ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ حَقًّا مِنَ الثَّرْوَةِ كَانَتْ رِئَاسَةُ الثَّقَلِ وَكَانُوا
بِمَعْرِكَةِ السَّيِّدِ لِلرَّئِيسِ الْأَوَّلِ. وَكَانَتْ مُحَامَاةً عَنْهُمْ بِمَعْرِكَةِ
مُحَامَاةِ الْإِنْسَانِ عَنْ عِيْدِهِ. وَأَمَّا جُودَةُ السُّلْطَانِ فَهُوَ السُّلْطَانُ الَّذِي

يَكُونُ عَلَى طَرِيقِ الْأَدَبِ وَالْإِقْتِدَاءِ بِمَا تُوجِبُهُ السُّنَّةُ قَانَ الَّذِينَ يُشِيرُونَ بِمَا تُوجِبُهُ السُّنَّةُ هُمْ مُتَسَلِّطُونَ بِجُودَةِ السُّلْطَانِ. وَهَذَا هُوَ السُّلْطَانُ الَّذِي يُخْضَلُ بِهِ صَلَاحُ حَالِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالسَّعَادَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ. وَلِذَلِكَ كَانَ هَؤُلَاءِ أَهْلَ قَضَائِلَ وَاقْتِدَارٍ عَلَى الْأَفْعَالِ الَّتِي تُضِلُّ الْمَدِينَةَ وَأَهْلَ حَزْمٍ وَتَحْزُرٍ بِمَا شَاءَهُ أَنْ يُفْسِدَ الْمَدِينَةَ مِنْ خَارِجٍ أَوْ مِنْ دَاخِلٍ. وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ بِهَذَا الْأِسْمِ. وَهَذَا السُّلْطَانُ الَّذِي ذَكَرَهُ صِنْفَانِ رِئَاسَةِ الْمَلِكِ وَهِيَ الْمَدِينَةُ الَّتِي تَكُونُ أَرَاؤُهَا وَأَفْعَالُهَا بِحَسَبِ مَا تُوجِبُهُ الْعُلُومُ النَّظَرِيَّةُ. وَالثَّانِيَةُ رِئَاسَةُ الْأَخْيَارِ وَهِيَ الَّتِي تَكُونُ أَفْعَالُهَا فَاضِلَةٌ قَطْعًا. وَهَذِهِ تُعْرَفُ بِالْإِمَامِيَّةِ وَيُقَالُ إِنَّهَا كَانَتْ مَوْجُودَةً فِي الْفَرَسِ الْأَوَّلِ فِيمَا حَكَاهُ أَبُو نَضْرٍ

(قَالَ) وَأَمَّا وَحْدَانِيَّةُ السُّلْطَانِ فَهِيَ الرِّئَاسَةُ الَّتِي يُجِبُ الْمَلِكُ أَنْ يَتَوَخَّذَ فِيهَا بِالْكَرَامَةِ الرِّئَاسِيَّةِ وَالْأَلَا يُنْقَضُ مِنْهَا شَيْءٌ بِأَنْ يُشَارِكَهُ فِيهَا غَيْرُهُ وَذَلِكَ بِضِدِّ مَدِينَةِ الْأَخْيَارِ. وَهَذِهِ الْمَدِينُ رُبَّمَا كَانَتْ السُّنَنُ الْمَوْضُوعَةُ فِيهَا مَحْدُودَةٌ غَيْرَ مُتَبَدِّلَةٍ وَاحِدَةً فِي الدُّهُورِ عَلَى مَا عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي سُنَنِ الْإِسْلَامِيَّةِ. وَرُبَّمَا كَانَتْ غَيْرَ ذَاتِ سُنَنِ مَحْدُودَةٍ بَلْ يُفَرِّضُ الْأَمْرُ فِيهَا إِلَى الْمُتَسَلِّطِينَ عَلَيْهَا بِحَسَبِ الْأَنْفَعِ فِي وَقْتٍ وَقْتٍ عَلَى مَا عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي كَثِيرٍ مِنْ سُنَنِ الرُّومِ الْيَوْمَ

(قَالَ) وَلَيْسَ يَتَبَيَّنُ أَنْ يَخْتَفِيَ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا الَّذِي رَسَنَّا بِهِ هَذِهِ

السياسات غاية كل واحدة منها لأننا إذا عرفنا الغاية علينا الأشياء المختارة من أجل الغاية فغاية السياسة الجماعية الحرية. وغاية خسة الرئاسة العزوة وغاية جودة السط الفضية والتسك بالثقة. وغاية الوحدة الكرامة والسياسات التي ليس يوضع فيها سن غير متبدلة فغاية واضعها هو الحفظ والاحساس من الخلل الواقع في السن بتبدل الأزمته والامكية. ويتبني أن تعلم أن هذه السياسات التي ذكرها ارسطو ليس تلتى بسيطة وإنما تلتى أكثر ذلك مركبة كالحال في السياسة الموجودة الآن فإنها إذا توملت أنه جد مركبة من فضيلة وكرامة وحرية وتقلب

(قال) وإذا كانت اصناف السياسات معلومة عندنا فهو بين أنا نستطيع أن نعرف الأخلاق والسن التي تؤدي إلى غاية كل واحدة من هذه السياسات انفي النافعة فيها وأن نتعبد في أنفسنا المخلقات بتلك الأخلاق والتسك بالصنف من السن التي تروم الاقتناع فيها. فانه إنما تكون الأقاويل التي تحت بها على السن مضممة إذا كان المشيرون بها ذوي صلاح وحسن فعل حتى تكون هذه الأشياء المذكورة هاهنا معلومة لنا وموجودة فينا. فانه إذا وجد فينا المخلق الذي تحت عليه كان قولنا في الحق عليه أشد إقناعاً ولذلك ينبغي ألا نشير إلا بما هو موجود لنا أو نحن عازمون على أن يوجد لنا. ومعلوم أن الوقوف على السن

الْأَفَاعَةُ فِي الْقَائِمَةِ لَهَا إِنَّمَا تُسْتَبْطِ عَلَى جِهَةِ التَّحْلِيلِ مِنَ النَّظَرِ
إِلَى الْقَائِمَةِ. فَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ مِنْ أَيْنَ تَوَجَّدُ الْمُفْتَعَاتُ فِي
الْأَنْفَاعِ مِنَ السَّنَنِ فِي سِيَاسَةِ سِيَاسَةٍ وَكَمْ أَحْكَامُ السِّيَاسَاتِ وَالسَّنَنِ
الَّتِي تُحْتَدِي فِيهَا وَذَلِكَ بِحَسَبِ الْكَافِي فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ. وَأَمَّا الْقَوْلُ
فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَى التَّحْقِيقِ فَيُحْيِي الْأَقَادِيلَ الْمَدِينَةَ

البحث الحادي عشر

في ما ينبغي للخطيب ان يعرفه في النوع الثنيتي . وفي القضية

والنقيصة والمدح والذم وتصرف الخطيب فيها

وفي انواع الامور الفاضلة والناقصة

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) وَأَمَّا بَعْدَ هَذَا فَتَحْنُ قَائِلُونَ فِي الْقَضِيَّةِ وَالنَّقِصَةِ
وَالْجَمِيلِ وَالسَّيِّئِ لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ الَّتِي يُمدَحُ بِهَا وَيُذَمُّ . وَيَلْحَقُ مِنْ
تَعْرِيفِنَا هَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَنَّ مُرَفَّ الْأُمُورِ الَّتِي بِهَا يُنْبِتُ الْمَرْءُ قَضِيَّةً
نَفْسِهِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ هُوَ الطَّرِيقَ الثَّانِي مِنَ الطَّرِيقِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي يَقَعُ
بِهَا الْإِقْتَاعُ كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِنَا. وَذَلِكَ أَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْمَدْحِ أَنْفِي
أَنْ يَكُونَ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي نَعْدُّ بِهَا عَلَى مَدْحٍ غَيْرِنَا نَعْدُّ بِهَا
أَنْفُسَهَا عَلَى مَدْحِ أَنْفُسِنَا. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ يَتَّفِقُ فِي جَمِيعِ
الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُمدَحُ بِهَا الْقَدِيرُ بَلْ إِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ بِالْقَضِيَّةِ فَقَطْ

وَهِيَ الْأُمُورُ الرَّاجِعَةُ إِلَى الْإِخْتِيَارِ

(قَالَ) وَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَفْرَضُ كَثِيرًا أَنْ يُمدَحَ النَّاسُ
وَالرُّوحَانِيُّونَ بِالْقَضِيَّةِ وَبِأَشْيَاءَ غَيْرِ الْقَضِيَّةِ وَلَيْسَ يَفْرَضُ هَذَا فِي
مَدْحِ هَؤُلَاءِ قَطُّ بَلْ وَفِي مَدْحِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَنَفِّسَةِ وَغَيْرِ الْمُتَنَفِّسَةِ.
أَعْنِي أَنَّهُا تُمدَحُ بِأَشْيَاءَ خَارِجَةٍ عَنِ الْقَضِيَّةِ. فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ نَقُولَ
مَا هُنَا فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُؤْخَذُ مِنْهَا الْمَقْدَمَاتُ فِي الْمَدْحِ بِالْقَضَائِلِ
وَيَتَبَيَّرُ الْقَضَائِلُ لِيَكُونَ الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ عَامًّا فَقُولُ: إِنَّ الْجَبِيلَ هُوَ
الَّذِي يُخْتَارُ مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ وَهُوَ ممدُوحٌ وَخَيْرٌ وَلَازِمٌ مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ
خَيْرٌ. وَإِذَا كَانَ الْجَبِيلُ هُوَ هَذَا فَبَيِّنْ أَنَّ الْقَضِيَّةَ حِمِيَّةٌ لَا حِمَاةَ
لِأَنَّهَا خَيْرٌ وَهِيَ ممدُوحَةٌ. وَالْقَضِيَّةُ هِيَ مَلَكَتُ مُعَدَّرَةٌ لِكُلِّ فِعْلٍ
هُوَ خَيْرٌ مِنْ جِهَةٍ ذَلِكَ التَّمْدِيرُ أَوْ يُطْنُ بِهِ أَنَّهُ خَيْرٌ أَعْنِي الْحَافِظَةُ
لِهَذَا التَّمْدِيرِ وَالْقَاعَةِ لَهُ. وَلِذَلِكَ كَانَتْ مُوجِدَةً لِكُلِّ فِعْلٍ يُقْصَدُ
بِهِ نَحْوُ غَايَةٍ مَا جَلِيلُ الْقَدْرِ عَظِيمُ الشَّانِ فِي حُصُولِ تِلْكَ الْقَايَةِ
عَنْهُ. فَمَا أَجْزَاءُ الْقَضِيَّةِ فَالْبُرْ أَيْ الْعَدْلُ الْعَامُّ وَالشَّجَاعَةُ وَالْأَرْوَةُ
وَالْعِفَّةُ وَكِبَرُ الْهَيْئَةِ وَالْحِلْمُ وَالشَّجَاءُ وَاللُّبُّ وَالْحِكْمَةُ. وَهَذِهِ
الْقَضَائِلُ مِنْهَا مَا هِيَ فَضَائِلُ فِي ذَاتِ الْفَاضِلِ قَطُّ وَمِنْهَا مَا هِيَ فَضَائِلُ
مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُا تَفْعَلُ فِي أَنْاسٍ آخَرِينَ وَهَذِهِ الَّتِي تُفْعَلُ فِي
أَنْاسٍ آخَرِينَ تَكُونُ عَظَمَ عِنْدَ قَوْمٍ وَمِنْهَا عِنْدَ آخَرِينَ وَفِي حَالٍ
دُونَ حَالٍ. مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ فَضِيلَةَ الشَّجَاعَةِ آثُرُ فِي وَقْتِ الْحَرْبِ
مِنْهَا فِي وَقْتِ السَّلَامِ. وَأَمَّا فَضِيلَةُ الْعَدْلِ قُوَّةٌ فِي السَّلَامِ وَالْحَرْبِ

جَمِيعًا. وَقَضِيَّةُ السَّخَاءِ وَالْمُرُوَّةِ عِنْدَ الْحَاوِيجِ أَثَرُ وَهِيَ عِنْدَ غَيْرِ الْحَاوِيجِ
 وَإِنَّمَا تَنْفَصِلُ قَضِيَّةُ الْمُرُوَّةِ مِنَ السَّخَاءِ بِالْأَقَلِّ وَالْأَكْثَرِ لِأَنَّ
 فِضْلَ كِلْتَابِيهَا هُوَ فِي أَمَالٍ لَكِنَّ الْمُرُوَّةَ هِيَ فِعْلٌ أَكْثَرُ مِنْ فِعْلِ
 السَّخَاءِ. فَأَمَّا الْبَرُّ فَهُوَ قَضِيَّةٌ عَادِلَةٌ يُنْطَبِى الْقَاضِلُ بِهَا بِكُلِّ أَمْرٍ
 مِنَ النَّاسِ مَا يَسْتَحِقُّ وَذَلِكَ بِقَدْرِ مَا تَأْمُرُ بِهِ السُّنَّةُ. وَالْجُودُ هُوَ الْخُلُقُ
 الَّذِي يَأْخُذُ بِهِ الْمَرْءُ الْأَشْيَاءَ الْقَرِيبَةَ الَّتِي لَيْسَ لَهُ أَنْ يَأْخُذَهَا فِي
 السُّنَّةِ. وَأَمَّا الشُّجَاعَةُ قَضِيَّةٌ يَكُونُ الْمَرْءُ بِهَا فَعَالًا لِلْأَفْئَالِ الصَّالِحَةِ
 الْمَافِيَةِ فِي الْجِهَادِ عَلَى حَسَبِ مَا تَأْمُرُ بِهِ السُّنَّةُ حَتَّى يَكُونَ بِنَعْلِهِ ذَلِكَ
 حَادِمًا لِلْسُّنَّةِ. وَأَمَّا الْحَبْنُ فَضِدُّ هَذَا. وَأَمَّا الْعِفَّةُ فَقَضِيَّةٌ يَكُونُ بِهَا الْمَرْءُ
 فِي شَهَوَاتِ الْبَدَنِ عَلَى مِقْدَارِ مَا تَأْمُرُ بِهِ السُّنَّةُ. وَالْجُودُ ضِدُّ هَذَا.
 وَأَمَّا السَّخَاءُ فَقَضِيَّةٌ تَفْعَلُ الْجَمِيلَ الْمَشْهُورَ فِي أَمَالٍ. وَالْإِنْدَاءُ ضِدُّ
 هَذَا. وَأَمَّا كِبَرُ الْهِمَّةِ قَضِيَّةٌ يَكُونُ بِهَا حُسْنُ الْأَفْعَالِ الْعَظِيمَةِ
 وَصِغَرُ النَّفْسِ. وَالْإِنْدَاءُ ضِدُّهَا. وَأَمَّا الْبُخْلُ فَقَضِيَّةُ الْعَقْلِ الَّذِي يَكُونُ
 بِهِ حُسْنُ الْمَشُورَةِ وَالرُّؤْيَةِ مَعَ وُجُودِ الْقَضَائِلِ الْخَلْقِيَّةِ لَهُ الَّتِي هِيَ مِنْ
 صَلَاحِ الْحَالِ. فَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ فِي الْقَضِيَّةِ وَأَجْرَانَهَا بِقَدْرِ مَا يُنْتَاجُ إِلَيْهِ
 فِي هَذِهِ الصَّاعَةِ. وَأَمَّا سَائِرُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُدْمَحُ بِهَا بِمَا عَدَا الْقَضِيَّةَ
 فَلَيْسَ يَسْرُ الْوُقُوفُ عَلَيْهَا. وَذَلِكَ أَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ فَاعِلَاتِ الْقَضَائِلِ
 وَثَلِ الثَّدَابِ وَالْإِزْتِيَاضِ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي بِهَا تَحْصُلُ الْقَضَائِلُ هِيَ أَوْ
 حِسَانٌ وَتَمْدُوحٌ بِهَا. وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي تُوجَدُ فِي الْقَضَائِلِ أَنْفُسُهَا
 أَعْنِي الْأَعْرَاضَ الَّتِي تُوجَدُ فِيهَا. وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي تُوجَدُ تَابِعَةٌ

الْقَضَائِلِ فِيهِ الَّتِي يُقَالُ فِيهَا أَلَانَ وَهِيَ عِلَامَاتُ الْقَضَائِلِ
 وَأَعْرَاضُهَا الْأَلْحِقَةُ لَهَا. وَأَفْعَالُهَا إِنَّمَا يُدْخِلُهَا إِذَا كَانَتْ حَسَنَةً
 مَحْمُودَةً فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَفْعَالِ الْقَضَائِلِ قَدْ لَا يُدْخِلُهَا وَكَذَلِكَ
 كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْرَاضِ. فَمِثَالُ الْأَفْعَالِ وَالْأَعْرَاضِ الَّتِي هِيَ مَحْمُودَةٌ
 أَفْعَالُ الشُّجْعَانِ فِي الْحَرْبِ أَوْ مَنْ فَعَلَ فِي الْحَرْبِ فِعْلَهُمْ وَإِنْ لَمْ
 تَكُنْ لَهُمْ مَلَكَ الشُّجَاعَةِ. وَكَذَلِكَ الْأَعْرَاضُ الَّتِي تَلْحَقُ الشُّجْعَانَ بِمَا
 يُدْخِلُهَا. وَمِثَالُ الْأَفْعَالِ الَّتِي لَا يُدْخِلُهَا فِي وَقْتٍ مَا بَدَلُ
 أَمَالٍ فَإِنَّهُ فَعْلٌ مِنْ أَفْعَالِ أَشْخَاءٍ لَكِنْ دُبًّا كَانَ ذَلِكَ الْفِعْلُ
 عَلَى جِهَةِ التَّبْذِيرِ. وَمِثَالُ الْأَعْرَاضِ الَّتِي لَا يُدْخِلُهَا أَنْفِعَالُ
 الْمَرْءِ عَنِ الْعَدْلِ وَقَبُولُهُ إِيَّاهُ وَذَلِكَ أَنَّ فِعْلَ الْعَدْلِ مَدْحٌ وَأَمَّا
 الْأَنْفِعَالُ عَنْهُ فَلَيْسَ بِمَدْحٍ لِأَنَّهُ يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ مَهَانَةٌ وَضَمٌّ. وَبِالْجُمْلَةِ
 فَأَفْعَالُ الْقَضَائِلِ إِنَّمَا تَكُونُ مَدْحُودَةً إِذَا كَانَتْ مُقَدَّرَةً تَقْدِيرَ
 الْعَدْلِ وَمِمَّا يُدْخِلُهَا الْأَفْعَالُ الْعَظِيمَةُ الشَّائِقَةُ الَّتِي جَزَاؤُهَا
 الْكَرَامَةُ فَقَطْ. فَإِنَّ الْأَفْعَالِ الَّتِي يَكُونُ جَزَاؤُهَا الْكَرَامَةُ خَيْرٌ
 مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي جَزَاؤُهَا أَمَالٌ. وَبِذَلِكَ إِذَا كَانَ فِعْلٌ يُجَازَى
 عَلَيْهِ بِالْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا فَفَعْلَةٌ قَاعِلٌ مِنْ أَجْلِ الْكَرَامَةِ فَقَطْ مُدَحٌّ
 بِهِ وَكُلُّ مَا يَفْعَلُهُ الْمَرْءُ مِنَ الْقَضَائِلِ لَا مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ مُدَحٌّ بِهِ.
 وَفِعْلُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ خَيْرَاتٌ بِإِطْلَاقٍ كَذَلِكَ بِمَا يُدْخِلُ بِهِ.
 وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي فِي طَبِيعَتِهَا خَيْرَاتٌ وَإِنْ كَانَتْ ضَارَةً لِلْفَاعِلِ يُدْخِلُ
 بِهَا أَيْضًا. مِثْلُ فِعْلِ الْعَدْلِ فَإِنَّ الْعَدْلَ كَثِيرًا مَا يَسْتَضِرُّ بِهِ.

وَالْأَفْعَالُ الَّتِي تَخْتَصُّ بِإِكْرَامِ الْأَمْوَآتِ تَمْدُوعَةٌ لِأَنَّ الْأَفْعَالَ
الَّتِي تَكُونُ لِلْأَحْيَاءِ إِنَّمَا يَقْصِدُ مِنْهَا الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ ذَلِكَ مَنَفْعَةٌ
نَفْسِيَّةٌ. وَبِالْجَمْعَةِ فَكُلُّ فِعْلٍ كَانَ الْمَقْصُودُ بِهِ الْقِيَرُ وَلَمْ يَكُنْ
يَنْتَفِعُ بِهِ الْفَاعِلُ لَهُ أَوْ كَانَ يُلْحِظُ مِنْهُ ضَرَرٌ فَهُوَ تَمْدُوحٌ بِهِ. وَالْفِعْلُ
الَّذِي يَكُونُ إِلَى الْمُحْسِنِينَ إِلَى النَّاسِ تَمْدُوحٌ بِهِ أَيْضًا لِأَنَّ هَذَا
هُوَ عَدْلٌ إِذْ كَانَ لَيْسَ يَنْتَفِعُ بِهِ الْفَاعِلُ لَهُ. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
الْإِنْسَانَ ذُو فَضِيلَةٍ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ الْأَفْعَالَ الَّتِي يَنْتَفِعُ بِهَا أَهْلُ
الْقَوَاجِشِ وَأَنَّهُ يُؤَدِّيهِمْ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ. وَكَذَلِكَ نُضَرَّةُ ذَوِي
الْفَضَائِلِ وَمُحَدِّثُهُمْ بِمَا يُدْعَى بِهِ. وَالْعَجَلُ عِنْدَ ذِكْرِ الْقَبَائِحِ بِمَا
قَدْ يَدُلُّ عَلَى الْقَضِيَّةِ لِأَنَّهُ يُظَنُّ بِهِ أَنَّ الْحَيَاءَ يَنْتَفِعُ عَنْ إِتْيَانِ تِلْكَ
الرَّذِيئَةِ. وَقَدْ يَكُونُ أَيْضًا عَدَمُ الْحَيَاءِ عِنْدَ ذِكْرِ الْقَوَاجِشِ عَلَامَةً يُدْعَى
بِهَا. وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ يُظَنُّ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يَسْتَحْيِي عِنْدَ ذِكْرِ الْقَبَائِحِ
إِذَا كَانَ قَدْ فَعَلَهَا أَوْ نَالَهَا أَوْ هُوَ مُزْمَعٌ أَنَّهُ يَفْعَلُهَا. مِثْلُ مَا حَكَى
أَرِسْطُو أَنَّهُ عَرَضَ لِأَمْرَأَةٍ مَشْهُورَةٍ بِالْحِكْمَةِ عِنْدَهُمْ وَذَلِكَ أَنَّ إِنْسَانًا
مَشْهُورًا عَرَضَ لَهَا بِالتَّبَيُّحِ بِأَنَّ قَالًا لَهَا: إِيَّيْ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ قَوْلًا
يَعْنِي عَنْهُ الْحَيَاءُ فَحَلَّتْ عَنْهُ وَلَمْ تُجِبْهُ بِقَوْلٍ قَبِيحٍ. وَلَمْ يُدْرِكْهَا مِنْ
ذَلِكَ تَأَلُّمٌ وَلَا انْفِعَالٌ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَرَى لِمَكَانِ فَضِيلَتِهَا أَنَّ
أَحَدًا لَا يُعْرِضُ لَهَا لَا بِتَأَلُّلٍ وَلَا بِقَوْلٍ كَلْبِيٍّ (وَهُمَا صِنْفَا
التَّعْرِيزِ). لَكِنَّمَا فِي تِلْكَ الْحَالِ جَلَّتْ تَمَنُّ الْقَضَائِلِ وَتَمْدَحُ
أَهْلَهَا وَتَتَعَصَّبُ لَهُمْ وَتُحَامِي عَنْهُمْ. وَكَانَ أَيْضًا مِنْ مَعَهَا لَمْ يَأْتُوا

أَيْضًا لِقَوْلِ ذَلِكَ وَلَا تَتَرَبَّصْ بِهِ لِيَلْبِسَ لَكُمْ مِثْلَهَا لَا يُتَمِّمُ بِمِثْلِ
هَذَا

(قَالَ) وَلِذَلِكَ كَانَ اتَّعَصَبُ لِلْأَشْيَاءِ الَّتِي تُكْسِبُ التَّجَدُّدَ
وَالْحُكْمَاءُ عَنْهَا قَدْ تَجَمَّلُ اتَّعَصَبَ لَهَا وَالْحَاكِمِيُّ عَنْهَا مِنْ أَهْلِ
الْقَضَائِلِ الَّتِي لَا تَحْصُلُ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا بِجَاهِدَةٍ كَثِيرَةٍ لِلطَّبِيعَةِ مِثْلِ
الْعَفَافِ وَالشُّجَاعَةِ وَغَيْرِهِمَا. وَذَلِكَ إِذَا صَارَتْ لَهُ مَلَكَهُ بِتَدَادٍ
فِيهَا وَاتَّعَصَبَ لَهَا وَالْحُكْمَاءُ عَنْهَا كَمَا عَرَضَ لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ الَّتِي
أَقْصَصْنَا ذِكْرَهَا مَعَ ذَلِكَ الرَّجُلِ. وَذَلِكَ أَنَّ أَمثالَ هَذِهِ
الْأَفْعَالِ قَدْ يَصِيرُ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ أَهْلِ الْقَضَائِلِ الَّتِي لَا
تَحْصُلُ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا بِجَاهِدَةٍ كَثِيرَةٍ

(قَالَ) وَالْإِنَّمَاءُ عَلَى التَّغْيِيرِ إِذَا لَمْ يَسْتَعِدِ النِّعَمُ مِنْهُ شَيْئًا
هُوَ بِمَا يُدْخِلُ بِهِ وَلِذَلِكَ مَا كَانَ الْعَدْلُ وَالْبِرُّ يُدْخِلُ بِهِمَا الْإِنْسَانُ
مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُمَا نَافِعَانِ كَمَا يُدْخِلُ بِهِمَا مِنْ جِهَةٍ مَا هُمَا جَمِيلَانِ .
وَالْإِتِّقَامُ أَيْضًا مِنَ الْأَعْدَاءِ وَالْأَرْضَى عَنْهُمْ فِي حَالِهِ بِمَا يُدْخِلُ بِهِ .
فَإِنَّ الْإِتِّقَامَ مِنْهُمْ هُوَ جَزَاءٌ وَالْجَزَاءُ عَدْلٌ وَالْعَدْلُ جَمِيلٌ . وَحُبَّةُ
الْقَلْبَةِ أَيْضًا وَحُبَّةُ الْكَرَامَةِ بِمَا يُدْخِلُ بِهِمَا لِأَنَّهُمَا سَلَامَتَانِ قَدْ لَانَ
عَلَى إِثَارِ الْقَضَائِلِ لَا لِكَانِ أَكْتِسَابِ مَالٍ بِهِمَا . وَأَمَّا حُبَّةُ الْقَلْبَةِ
فَقَدْ لَانَ عَلَى إِثَارِ الشُّجَاعَةِ . وَأَمَّا حُبَّةُ الْكَرَامَةِ فَعَلَى إِثَارِ جَمِيعِ
الْقَضَائِلِ وَلِذَلِكَ كَانَتْ الْقَضَائِلُ الْآيَةُ الْخِتَارَةُ هِيَ الَّتِي لَيْسَ
يَقْصِدُ بِهَا مُقْتَنِيهَا إِلَى أَكْتِسَابِ مَالٍ . لِأَنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى شَرَفِ

الْقَضِيَّةَ وَمِنْ الْأَفْعَالِ الَّتِي يُدْعَى بِهَا الَّتِي شَأْنُهَا أَنْ يَنْقَى ذِكْرُهَا
مَحْفُوظًا أَبَدًا عِنْدَ النَّاسِ. وَمِنْ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُدْعَى بِهَا الْهَيْئَاتُ
الْمَحْمُودَةُ عِنْدَ قَوْمٍ. الَّتِي يَجْعَلُونَهَا عَلَامَةً لِذَوِي الشَّرَفِ مِثْلُ تَوْفِيرِ
الشُّعُورِ عِنْدَ الْيُونَانِيِّينَ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الشَّرَفِ إِذَا كَانَ لَيْسَ كُلُّ
أَحَدٍ يَسْهَلُ عَلَيْهِ تَوْفِيرُ شَعْرٍ لِأَنَّ الْفُورِيَّ الشُّعُورَ لَا يَفْعَلُونَ عَمَلًا
مَنْ لَيْسَ بِمُفَوِّرٍ الشَّعْرِ وَلَا يُجْتَنُونَ بِأَيِّ رَهْنَةٍ اتَّفَقَتْ. وَالْأَزْيَاءُ
الَّتِي كَانَتْ تُتَّخَذُ عِنْدَنَا هِيَ مِنْ هَذَا النَّوعِ الَّذِي ذَكَرَهُ أَرِسْطُو
(قَالَ) وَمِنْ الشَّرَفِ أَلَّا يَحْتَاجَ الْإِنْسَانُ إِلَى آخَرِينَ بَلْ
يَكُونُ مُكْتَفِيًا بِنَفْسِهِ

(قَالَ) وَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ نَأْخُذَ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ وَالْأُمُورِ
الَّتَرْتِيبَةَ مِنَ الْقَضَائِلِ وَالنَّقَائِصِ وَهِيَ النَّقَائِصُ الَّتِي قَدْ تَوَجَّدَ عَنْهَا
أَفْعَالُ الْقَضِيَّةِ أَوْ الْقَضَائِلِ الَّتِي قَدْ تَوَجَّدَ عَنْهَا أَفْعَالُ النَّقَائِصِ.
فَيُدْعَى بِالنَّقَائِصِ الَّتِي تَوَجَّدَ عَنْهَا أَفْعَالُ الْقَضِيَّةِ بِأَنَّهُمْ أَنَّهُ
قَضَائِلُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ تِلْكَ الْأَفْعَالُ هِيَ مِنْ أَفْعَالِ الْقَضَائِلِ. وَكَذَلِكَ
يُؤْمَرُ فِي الْقَضَائِلِ أَنَّهَا نَقَائِصُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ عَرَضَ أَنْ وَجَدَ عَنْهَا
أَفْعَالُ النَّقَائِصِ. فَيَقَالُ النَّقَائِصُ الَّتِي تَوَجَّدَ عَنْهَا أَفْعَالُ الْقَضَائِلِ
قُومُومٌ أَنَّهَا قَضَائِلُ الَّتِي قَدْ يَكُونُ عَنْهُ أَفْعَالُ الْحَلِيمِ قُومُومٌ
بِهِ أَنَّهُ حَلِيمٌ. وَالْبَلَّةُ الَّتِي قَدْ تَوَجَّدَ عَنْهُ أَفْعَالُ ذَوِي السَّمْتِ
قُومُومٌ بِذَلِكَ أَنَّهُ ذُو سَمْتٍ. وَكَذَلِكَ الْعَدِيمُ الْحَسَنُ قَدْ يُؤْمَرُ فِيهِ
أَنَّهُ عَفِيفٌ إِذَا كَانَ قَدْ وَجَدَ لَهُ فِعْلٌ الْعَفِيفِ بِالْعَرَضِ. وَكَذَلِكَ

الْمُتَهَوِّرُ قَدْ يُؤْمِمْ فِيهِ أَنَّهُ شَجَاعٌ وَالسَّيْفُ أَنَّهُ كَرِيمٌ. وَمِثَالُ مَا
يُؤْمِمْ بِهِ أَنَّهُ نَقِصَةٌ وَلَيْسَ بِنَقِصَةٍ مَا يَغْرِضُ الْكَبِيرُ إِلَهَةً مِنْ
أَنْ يَتَجَاوَى عَنْ الْأُمُورِ الْيَسِيرَةِ فَيُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ يَغْلُطُ وَيُخْدَعُ.
وَالْكَبِيرُ إِلَهَةً إِنَّمَا يَضَعُ ذَلِكَ فِي الْأُمُورِ الْيَسِيرَةِ الَّتِي لَيْسَ يَلْحَقُهُ
مِنْهَا خَوْفٌ كَبِيرٌ وَلَا ضَرَرٌ شَدِيدٌ وَذَلِكَ أَيْضًا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي
يَحْسُنُ فِيهِ أَنْ يَتَعَاقَلَ عَنْهَا. وَقَدْ يُؤْمِمْ أَيْضًا هَذَا الْمَوْضِعُ عَكْسَ هَذَا.
وَهُوَ أَنْ يُقَالَ فِي الْخُذِّعِ أَنَّهُ كَبِيرُ إِلَهَةٍ. وَمِمَّا يَمْدَحُ بِهِ أَنْ
يَكُونَ الْمَرْءُ يُطْعِي أَصْدِقَاءَهُ وَغَيْرَ أَصْدِقَائِهِ وَمَنْ يَعْرِفُ وَمَنْ لَا
يَعْرِفُ لِأَنَّهُ يَظُنُّ أَنْ شَرَفَ فَضِيلَةِ السَّخَاءِ هُوَ بِذَلِكَ أَمَالٍ لِلْكَلِّ.
(قَالَ) وَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمَدْحُ بِحُضْرَةِ الَّذِينَ يُجِئُونَ الْمَدْحَ
كَمَا قَالَ سُقْرَاطُ: أَنَّهُ يَسْهُلُ مَدْحُ أَهْلِ آثِنَةِ بِأَثِنَا. وَيَنْبَغِي أَنْ
يُمْدَحَ كُلُّ إِنْسَانٍ بِالَّذِي هُوَ تَمْدُوحٌ عِنْدَ قَوْمِهِ وَأَهْلِ مَدِينَتِهِ إِنْ
كَانَ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ

(قَالَ) وَمِنْ الْمَدْحِ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْ خَارِجِ مَدْحِ الْأَبَاءِ
وَذِكْرُ مَا يَرْمِي الْمُتَعَدِّيَّةَ وَمَدْحُ الْمَرْءِ بِمَا تَسُو إِلَيْهِ هِمَّتُهُ مِنْ
الْمَرَاتِبِ. وَأَنَّهُ لَيْسَ يَقْتَصِرُ عَلَى مَا حَصَلَ لَهُ وَهِيَ. وَالرَّجُلُ الْكَبِيرُ
إِلَهَةً الَّذِي لَا يَقْتَصِرُ بِهَيْئَتِهِ عَلَى مَا تَالَ مِنْ الْمَرَاتِبِ يَمْدَحُ
بِهَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ مِنْ خَارِجِ أَعْيُنِ بَضَائِلِ آبَائِهِ وَبِمَا يُؤْمَلُ أَنْ يَسُو
نَحْوَهُ كَمَا يُقَالُ مِنْ أَيِّ مَأْثَرٍ أَبْتَدَأَ مِنْ قَبْلِ آبَائِهِ وَإِلَى أَيِّ مَأْثَرٍ
يَنْتَهِي مِنْ قَبْلِ هِمَّتِهِ. وَأَمَّا الَّذِي لَا يَسُو بِهَيْئَتِهِ إِلَى نَيْلِ أَكْثَرِ مَا

حَصَلَ لَهُ مِنَ الرِّبَّةِ فَلَمَّا يُدَحُّ مِنَ الْأَمْرَيْنِ اللَّذَيْنِ مِنْ خَارِجٍ
بِأَبَائِهِ فَقَطَّ. وَكَأَنَّهُ يَرَى هَاهُنَا أَنَّ الْمَدْحَ بِمَنَاقِبِ آبَاءِ لَيْسَ
يُنْبَغِي أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَيْهِ دُونَ أَنْ يُدَحَّ بِفَضِيلَةِ ذَاتِهِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:
لَسْنَا وَإِنْ كُرِّمَتْ أَوَائِلُنَا يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَكْبَلُ
تَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَ مَا قَالُوا
وَأَنَّهُ قَدْ يُقْتَصَرُ بِالْمَدْحِ عَلَى الْفَضِيلَةِ دُونَ ذِكْرِ آبَاءِ كَمَا قَالَ:
نَفْسٌ عَصَامَ سَرَدَتْ عَصَامًا

(قَالَ) وَأَنَّا يَكُونُ الْمَدْحُ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِالْأَفْئَالِ الَّتِي تَكُونُ مِنَ
الْمَشِيشَةِ وَالْإِخْتِيَارِ فَإِنَّ الْفِعْلَ الَّذِي يَكُونُ بِالْمَشِيشَةِ وَالْإِخْتِيَارِ
هُوَ الْفِعْلُ الْقَاضِلُ. وَالَّذِي يُدَحُّ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي تَكُونُ بِالْإِتِّفَاقِ
أَوْ بِالْعَرَضِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ لَهَا إِذَا أَقْدَرَتْ بِالْقَضَائِلِ تَرْبِيئًا لَهَا
وَتَفْخِيمًا بِمَنْزِلَةِ الْحَسَبِ الْمُتَقَرِّبِينَ إِلَى الْفَضِيلَةِ وَجُودَةِ النَّجْتِ الْمُتَقَرِّبِينَ
بِأَفْئَالِ الْقَضَائِلِ. وَأَنَّمَا يَدْخُلُ فِي الْمَدْحِ الْأَفْئَالُ الَّتِي تَكُونُ
بِإِتِّفَاقٍ وَالْأَعْرَاضُ الَّتِي تَقَعُّنُ بِالْعَرَضِ مَعَ الْأَفْئَالِ الَّتِي تَكُونُ
بِالْمَشِيشَةِ مَتَى تَكَرَّرَتْ مِرَارًا كَثِيرَةً عَلَى صِفَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى أَوْهَمَتْ
أَنَّهَا بِالنِّدَاتِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا عَرَضَ لَهَا ذَلِكَ طُنَّ بِهَا أَنَّهَا سَلَامَةٌ
لِلْفَضِيلَةِ مِثْلَ أَنْ يَخْجَلَ الْإِنْسَانُ مِرَارًا كَثِيرَةً بِالْإِتِّفَاقِ فِي وَاضِعٍ
يُدَحُّ الْخَجْلُ فِيهَا. وَأَنَّمَا دَخَلَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فِي الْمَدْحِ لِأَنَّ
الْمَدْحَ هُوَ قَوْلٌ يَصِفُ عَظَمَ الْفَضِيلَةِ وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ هِيَ بِمَا تَعْظُمُ بِهَا
الْفَضِيلَةُ. وَإِذَا اسْتَعْمِلَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فِي الْمَدْحِ فَيُنْبَغِي أَنْ تُسْتَعْمَلَ

عَلَى أَنَّهَا حَدَّثَتْ عَنِ الرُّوِيَّةِ . وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي بِالْإِتِّفَاقِ مِنْهَا أَشْيَاءُ
لَيْسَ الْإِنْسَانُ سَبِيهَا لَا بِالذَّاتِ وَلَا بِالْعَرَضِ مِثْلُ الْحَسْبِ وَالْمُنْشَأِ
الْقَاضِلِ وَمِنْهَا أَشْيَاءُ تَعَرَّضُ عَنِ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَكُونُ عَنِ الرُّوِيَّةِ .
فَأَمَّا الْإِتِّفَاقَاتُ الْحَيِّدَةُ الَّتِي تَعَرَّضُ عَنِ الْأَفْعَالِ فَتَوْخُذُ عَلَامَةً عَلَى
الْقَضَائِلِ . وَأَمَّا الْإِتِّفَاقَاتُ الْمُتَقَدِّمَةُ عَلَى الْإِنْسَانِ فَتَوْخُذُ فِي تَعْرِيرِ
الْقَضِيَّةِ وَتَشْيِئِهَا مِثْلُ مَا يُقَالُ فِي الْمَدْحِ : إِنَّ الْخِيَارَ يُؤْلَدُ فِي
الْخِيَارِ . وَفِي الذَّمِّ : إِنَّ الْحَيَّةَ تَبْدُ الْحَيَّةَ . وَالْأَفْعَالُ بِالْجُمْلَةِ هِيَ الَّتِي
عَلَيْهَا يُجْمَدُ الْقَائِلُ . وَأَمَّا آثَارُ الْأَفْعَالِ فَهِيَ دَلَائِلُ عَلَى الْفِعْلِ وَإِنَّمَا
يُمَدَّحُ بِهَا إِذَا اثْبَتْنَا مِنْهَا الْفِعْلُ

(قَالَ) وَجُودَةُ الْجَمْعِ الَّتِي قِيلَ فِيهَا تَقَدَّمَ إِنَّهَا السَّعَادَةُ عَلَى
مَا يَرَاهُ الْجُنُودُ هِيَ وَسَائِرُ الْأَشْيَاءِ الْإِتِّفَاقِيَّةِ الَّتِي يُمَدَّحُ بِهَا
وَاحِدَةٌ فِي الْجِنْسِ وَلَيْسَتْ هِيَ وَالْقَضَائِلُ وَاحِدَةٌ بِالْجِنْسِ بَلْ كَمَا
أَنَّ صَلَاحَ الْحَالِ جِنْسٌ لِلْقَضِيَّةِ أَعْنِي مُحِيطًا بِهَا كَذَلِكَ مَا يَجْدُثُ
بِالْإِتِّفَاقِ جِنْسٌ مُحِيطٌ بِالسَّعَادَةِ . وَهَذَانِ الْجِنْسَانِ أَعْنِي الْقَضَائِلُ وَمَا
بِالْإِتِّفَاقِ يَدْخُلَانِ جَمِيعًا فِي بَابِ الْمَدْحِ وَفِي بَابِ الْمَشُورَةِ لَكِنْ مِنْ
جِهَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ . وَإِنَّمَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لِأَنَّا إِذَا عَرَفْنَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي
يُحِبُّ أَنْ تَفْعَلَ فَقَدْ عَرَفْنَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي إِذَا فَعَلَتْ مُدْرِحُهَا الْإِنْسَانُ .
وَلِذَلِكَ إِذَا ذُكِرَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ ذِكْرًا مُطْلَقًا أَمَكْنَ أَنْ تَدْخُلَ فِي
الْمَشُورَةِ وَفِي الْمَدْحِ وَذَلِكَ بِإِزْيَادَةِ الْجِهَةِ الَّتِي بِهَا تَدْخُلُ فِي الْمَشُورَةِ
أَوْ الْجِهَةِ الَّتِي بِهَا تَدْخُلُ فِي الْمَدْحِ . وَذَلِكَ مِثْلُ مَا يَقُولُ الْقَائِلُ

أَنَّهُ لَيْسَ يَتَّبِعِي أَنْ يُوجِبَ الْعِظَمُ وَالْفَضْلُ لِلْأَشْيَاءِ الَّتِي تَكُونُ
 لِلْإِنْسَانِ بِالْعَرَضِ بَلْ لِلْأَشْيَاءِ الَّتِي تَكُونُ عَنْ رَوْيَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ .
 فَإِذَا زِيدَ إِلَى هَذَا . فَلِذَلِكَ لَيْسَ يَتَّبِعِي أَنْ يُمَدِّحَ الَّذِينَ سَعَادَتُهُمْ
 بِالْحِجَتِ وَإِنَّمَا يَتَّبِعِي أَنْ يُمَدِّحَ الَّذِينَ سَعَادَتُهُمْ عَنْ رَوْيَةٍ وَاخْتِيَارٍ
 كَقُلَانِهِ كَانَ دَاخِلًا فِي بَابِ الْمَدْحِ . وَإِذَا زِيدَ إِلَى هَذَا . فَلِذَلِكَ لَا
 يَتَّبِعِي أَنْ تُطْلَبَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَكُونُ عَنْ الْإِتِّفَاقِ بَلْ الْأَشْيَاءُ
 الَّتِي تَكُونُ عَنْ الرِّوَايَةِ دَخَلَ فِي الْمَشُورَةِ . وَالْأَشْيَاءُ الْإِتِّفَاقِيَّةُ قَدْ
 يُمَكِّنُ أَنْ تُسْتَعْمَلَ فِي الْمَدِّحِ نَارَةٌ وَفِي الذَّمِّ أُخْرَى . فَإِنْ ظَنُّوا
 النَّاسَ فِيهَا مُخْتَلِفَةً فَإِنَّ قَوْمًا يَرَوْنَ أَنَّ الْحَيَاتِ الَّتِي تَكُونُ
 بِالْإِتِّفَاقِ لَيْسَ يَتَّبِعِي أَنْ يُمَدِّحَ بِهَا إِذَا كَانَتْ شَيْئًا غَيْرَ مُحْصَلٍ وَلَا
 مُكْتَسَبٍ لِلْإِنْسَانِ . وَقَوْمٌ يَرَوْنَ أَنَّهُ يُجِبُ أَنْ يُمَدِّحَ بِهَا وَأَنَّهَا
 تَدُلُّ عَلَى عِنَايَةِ الْهِمَّةِ بِالَّذِي تَعْرِضُ لَهُ وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي عَنْ
 الْإِخْتِيَارِ فَالْمَدْحُ وَنَهَا يُمَدِّحُ بِهِ أَبَدًا وَالذَّمُّ وَنَهَا يَذُمُّ بِهِ أَبَدًا
 (قَالَ) وَيَتَّبِعِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي الْمَدْحِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي يَكُونُ
 بِهَا تَعْظِيمُ الشَّيْءِ وَنَسِيئَتُهُ وَهُوَ أَنْ يُحْيَلَ فِي الشَّيْءِ أَنَّهُ بِالْقُوَّةِ أَشْيَاءُ
 كَثِيرَةٌ . وَذَلِكَ إِذَا قِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ هَذَا كَمَا قِيلَ فِي قِصَّةِ
 هَابِيلَ وَقَابِيلَ . أَوْ إِنَّهُ وَحْدَهُ فَعَلَ هَذَا . أَوْ إِنَّهُ فَعَلَ فِي زَمَانٍ
 يَسِيرٍ مَا شَاءَ أَنْ يُفْعَلَ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ . أَوْ إِنَّهُ فَعَلَ فِعْلًا كَبِيرًا .
 فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا إِذَا تُفِيدُ عِظَمَ الْفِعْلِ . وَكَذَلِكَ إِذَا قِيلَ أَنَّهُ فَعَلَ
 فِي زَمَانٍ يَسْرُ فِعْلُهُ . وَذَلِكَ إِذَا كَانَ بِحَسَبِ مَا يُشَاكِلُ إِنْسَانًا

إِنْسَانًا. ثُمَّ إِنَّهُ إِنْ كَانَ الْفَاعِلُ يَمُنُّ يُقْتَدَى بِهِ فِي أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ
مِرَارًا كَثِيرَةً فَإِنَّ فِيهِ عَظِيمٌ كَمَا قِيلَ: إِنَّكُمْ أَيُّهَا الرُّفُطُ آئِنَةُ
يُقْتَدَى بِكُمْ. وَالْأَفْعَالُ الَّتِي يُقْتَدَى بِهَا لَيْسَتْ هِيَ الْأَفْعَالُ الَّتِي تَكُونُ
بِالْإِتِّفَاقِ بَلْ الْأَفْعَالُ الَّتِي تَكُونُ عَنِ الْمَشِيَّةِ وَالرَّوْيَةِ. وَهَذِهِ
الْأَشْيَاءُ قَدْ يُمَكِّنُ أَنْ تَدْخُلَ فِي الْمَشُورَةِ أَعْيُنُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي
تُعْظَمُ الشَّيْءُ مِثْلُ أَنْ يُشَارَ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَتَّشَبَهَ بِالْمَدْحِ الْأَوَّلِ
فِي ذَلِكَ الْجُلُوسِ أَوْ يَتَّشَبَهَ بِهِ فِي الْمَدْحِ أَوْ يُشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ
مِنْ جُمْلَةِ الْمَدْحِيِّينَ الَّذِينَ لَا يَنَازِعُ أَحَدٌ فِي حَمْدِهِمْ. وَمِثْلُ الَّذِينَ
يُعَدُّونَ فِي الْأَسْوَأِ أَوْ يَتَّشَبَهُ بِهِمْ فِي الْمَدْحِ. وَبِمَا يُعْظَمُ
الْمَدْحِيِّينَ أَنْ يُعَاسُوا بِالَّذِينَ يَفْعَلُونَ أَعْدَادًا أَفْعَالِهِمْ وَذَلِكَ عِنْدَ
ذِكْرِ أَفْعَالِهِمُ الْقَائِمَةِ.

(قَالَ) وَالَّذِينَ شَانَهُمْ أَنْ يَتَّشَبَهُوا بِالْمَدْحِيِّينَ الَّذِينَ فِي
الْأَمَانَةِ وَيُقَاسُوا أَنْفُسَهُمْ مَعَهُمْ دَائِمًا فَقَدْ يَتَّبِعِي أَنْ يُشَبَّهُوا بِأَوْلِيائِكَ
وَأَنْ يُجْرُوا بِجَرَائِمِهِمْ فِي الْمَدْحِ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا وَصَلُوا مَرَاتِبَهُمْ. فَإِنَّ
فَضَائِلَهُمْ فِي نُمُو دَائِمٍ. وَمُقَاسَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ مَعَ غَيْرِهِ لَا
تَصِحُّ إِلَّا مِنَ الرَّجُلِ الْفَاضِلِ لِمَوْضِعِ حُبِّ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ فَهُوَ
يَرَى نَقَائِصَهُ أَقْلَ مِنْ نَقَائِصِ غَيْرِهِ وَإِنْ كَانَتْ أَعْظَمَ. وَيَرَى
فَضَائِلَهُ أَكْثَرَ وَإِنْ كَانَتْ أَضْعَفَ وَلِذَلِكَ لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ
الْمُقَاسَةَ وَإِنَّمَا يَسْتَطِيعُهَا الْفَضْلَاءُ مِنَ النَّاسِ وَمِثْلُ مَا حَكَّى أَرِسْطُو
عَنْ سُقْرَاطَ أَنَّهُ كَانَ يُقَاسُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ وَيُجْرَى الْأَحْكَامَ

عَلَى اخْلَاقِ نَفْسِهِ . بِمَعْنَى أَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فَإِنْ وَجَدَ
 فِيهِ فَضِيلَةً أَتَى نَفْسَهُ عَلَيْهَا وَإِنْ وَجَدَ فِيهِ رَذِيلَةً عَاقَبَ نَفْسَهُ عَلَيْهَا .
 وَالْمَقَاسَةُ أَثَافَةٌ لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَتَرَدَّدَ فِي الْقَضَائِلِ . إِنَّمَا يَتَّبِعِي أَنْ
 يَكُونَ بِالْمَدُوحِينَ جِدًّا . وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ مَمْدُوحُونَ
 أَعْنِي الَّذِينَ قَضَائِلُهُمْ فِي نُمُو دَائِمٍ . أَنَّ الَّذِينَ أَحْبَدُوا أَنْفُسَهُمْ
 فِي أَنْ يَلْتَمُوا مَنَاجِزَ الْفَاضِلِينَ فَهَجَرُوا عَنْ ذَلِكَ فَهُمْ مَمْدُوحُونَ عِنْدَ
 الْجُمْهُورِ . وَهَرَبَيْنَ أَنَّ تَعْظِيمَ الشَّيْءِ دَاخِلٌ فِي الْمَدْحِ . فَإِنَّ التَّعْظِيمَ
 لِلشَّيْءِ تَشْرِيفٌ لَهُ وَالتَّشْرِيفُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يُمْدَحُ بِهَا . وَيَتَّبِعِي
 إِذَا أُرِيدَ التَّعْظِيمُ بِالنَّفْسِ أَنْ يُشَبَّهَ بِكَثِيرٍ مِنَ الْحَمْدِيِّينَ فَإِنَّ
 فِي هَذَا الْفِعْلِ تَشْرِيفًا لِلْمَدْحِ وَدَلَالَةً لِلْجُمْهُورِ عَلَى فَضِيلَتِهِ . وَجُمْلَةُ
 الْقَوْلِ فِي الْأَنْوَاعِ الْمُشْتَرَكَةِ لِأَجْنَاسِ الْأَقَاوِيلِ الثَّلَاثَةُ أَنَّ
 التَّعْظِيمَ وَإِنْ كَانَ مُشْتَرَكًا لِأَجْنَاسِ الْأَقَاوِيلِ الْخَطِيئَةِ الثَّلَاثَةُ
 فَهُوَ أَحْصَى بِالْمَدْحِ وَالذَّمِّ . لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُمدَحُ الْإِنْسَانُ أَوْ يُذَمُّ
 بِالْأَشْيَاءِ الْمَوْجُودَةِ الْمُعْتَرَفِ بِوُجُودِهَا . وَتَعْظِيمُ الشَّيْءِ أَحْصَى
 بِالْوُجُودِ مِنْهُ بِالْمَدْحِ . وَلِذَلِكَ قَدْ يَتَّبِعِي لِلْمَدْحِ أَنْ يَصِفَ جَلَالَتهُ
 الشَّيْءَ وَبِهَاءَهُ وَزِينَتَهُ . وَأَمَّا اسْتِعْمَالُ الْعَلَلَاتِ وَالْمَلَالَاتِ فَهُوَ
 أَحْصَى بِالشُّرُورَةِ لِأَنَّ مِنَ الْأُمُورِ الْمُتَصَرِّمَةِ الَّتِي قَدْ سَلَفَتْ يُجَدِّسُ
 عَلَى الَّتِي سَتَكُونُ وَانْطَاءَ السَّبَبِ وَالْعِلَّةِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي قَدْ
 سَلَفَتْ نَحْنُ لَهُ أَكْثَرُ قَبُولًا وَتَعْظِيمًا لِانْتِصَافِهِ وَتَهَرُّمِهِ . وَأَمَّا
 مَعْرِفَةُ الْعَدْلِ وَالْجَوْرِ فَهُوَ خَاصٌّ بِالْمُشَاجَرَةِ . وَبِالْجُمْلَةِ فَجَمِيعُ الْمَدْحِ

وَالذَّمَّ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْمَقَايِسَةِ بَيْنَ سَلَفٍ مِنَ الْحَمْدِ وَمِنْ
وَالذَّمِّ مُمِيزِينَ. وَقَدْ يَنْبَغِي لِلْمَدْحِ وَالذَّمِّ أَنْ يَعْلَمَ بِمَحْضَرَةٍ مَنْ يَكُونُ
الْمَدْحُ أَوِ الذَّمُّ أَيْ أَنَّ يَدَّحَ بِمَحْضَرَةٍ الْأَصْدِقَاءَ وَيَذَمُّ بِمَحْضَرَةٍ الْأَعْدَاءَ
كَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْلَمَ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يَأْخُذُ وَفِيهَا الْمَدْحُ وَالذَّمُّ وَهِيَ
الَّتِي سَلَفَ ذِكْرُهَا وَهِيَ الْقَضَائِلُ وَقَاعِلَاتُهَا وَعَلَامَاتُهَا وَأَعْرَاضُهَا
وَهُوَ بَيِّنٌ أَنَّ يَمَّا ذَكَرْنَاهُ مِنْ حُدُودِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ تُعْرَفُ حُدُودُ
أَصْدَادِهَا إِذَا كَانَ الْضِدُّ يُعْرَفُ مِنْ ضِدِّهِ

الفصل العاشر

في انواع الخطب ومن برع فيها

البحث الاول

في خطب التهاني

(من كتاب صناعة الترمز)

إِنَّ التَّهْنِائِيَّ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا بَسْطُ الْكَلَامِ وَالْإِظْهَابُ فِي
شُكْرِ نِعَمِ اللَّهِ وَالتَّبَرُّؤُ مِنْ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِهِ وَوَصَفُ مَا
أَعْطِيَ مِنَ النِّصْرِ وَنُجْجٍ مِنَ الثَّبَاتِ وَتَعْظِيمُ مَا يُسَّرُّ مِنَ الْفَتْحِ ثُمَّ
مَا وَصِفَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ عَزْمٍ وَأَقْدَامٍ وَصَبْرٍ وَجَلْدٍ عَنِ الْمَلِكِ وَعَنْ
جَيْشِهِ حَسَنَ وَغَمُّهُ قَلِيلًا ذِكْرُهُ وَرَأَقَ التَّوْسِيعُ وَعَذَبَ بَسْطُ

الْكَلَامِ فِيهِ فَاتَّهَ مُتَرَتِّبٌ عَلَى مَا قَدَّمَ مِنْ نِسْبَةِ النَّصْرِ إِلَى
وَاهِيهِ وَالْجَلْدِ إِلَى مُغْطِيهِ وَالثَّبَاتِ إِلَى الْمُؤَقِّعِ لَهُ ثُمَّ كَلَّمَ اتَّسَعَ
تَجَالُ الْكَلَامِ فِي ذِكْرِ الْمَوَاقِفِ وَوَضْعِهَا كَانَ أَحْسَنَ وَأَدْلَّ عَلَى
الْبَلَاغَةِ وَأَدْعَى لِسُرُورِ الْمَدْحِ وَأَحْسَنَ لِمَوْقِعِ التَّعْمَةِ عِنْدَهُ
وَأَشْفَى إِلَى سَمْعِهِ وَأَشْفَى لِقَلِيلِ شَوْقِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَالِ عَلَى
جَلَّتِهِ وَلَا بَأْسَ بِتَهْوِيلِ أَمْرِ الْمَدْحِ وَوَضْعِ جَمْعِهِ وَإِقْدَاوِهِ فَإِنَّ
فِي تَصْغِيرِ أَمْرِهِ تَحْقِيرَ الظَّنِّ بِهِ

البحث الثاني

في خطب التقليد

(من الكتاب نفسه)

الْأَحْسَنُ مِنْهَا بَسْطُ الْكَلَامِ وَتَقَبُّرُ كَثْرَتِهِ وَقَلْبُهُ بِحَسَبِ
الرُّتَبِ وَيَجِبُ أَنْ يُرَاعَى فِيهَا أُمُورٌ مِنْهَا بَرَاغَةُ الْأَسْتِثْلَالِ بِذِكْرِ
الرُّتَبَةِ أَوْ الْحَالِ وَقَدَرُ التَّعْمَةِ أَوْ لَقَبِ صَاحِبِ التَّقْلِيدِ أَوْ أَسْمِهِ
لَا يَكُونُ الْمَطْلَعُ أَجْنَبًا مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ وَلَا يَسِدًا مِنْهَا وَلَا
مُبَايَنًا لَهَا ثُمَّ يَنْتَضِبُ مَا يُنَاسِبُ الْقَرَضَ وَيُؤَافِقُ الْمُقَصَّدَ مِنْ أَوَّلِ
الْخُطْبَةِ إِلَى آخِرِهَا وَيَحْسُنُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مُنْقَسِمًا فِي التَّقْلِيدِ
عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ مُتَكَارِبَةٍ الْقِيَاسِ فَالْزَيْجُ الْأَوَّلُ الْخُطْبَةُ وَالثَّانِي
ذِكْرُ مَوْقِعِ الْإِنْعَامِ فِي حَقِّ الْقَلْدِ وَذِكْرُ الرُّتَبَةِ وَتَنْحِيمُ أَمْرِهَا

وَالثَّالِثُ فِي أَوْصَافِ الْقُلْدِ وَذِكْرُ مَا يُنَاسِبُ تِلْكَ الرُّتَبَةَ وَيُنَاسِبُ
حَالَهُ مِنْ عَدْلٍ وَسِيَاسَةٍ وَهَيَاةٍ وَبُعْدِ صِيَةٍ وَسُعْفَةٍ وَتَجَاعَةٍ إِنْ
كَانَ نَائِبًا وَوَضْفِ الْعَدْلِ وَالرَّأْيِ وَحُسْنِ التَّنْذِيرِ وَالْعُرْفَةِ بِوُجُوهِ
الْأَقْوَالِ وَعِمَارَةِ الْبِلَادِ وَصَلَاحِ الْأَحْوَالِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ إِنْ
كَانَ وَزِيرًا وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ رُتَبَةٍ بِحَسَبِهَا. وَالرَّابِعُ فِي الْأَوْصِيَاءِ وَهَذِهِ
هِيَ الْقَاعِدَةُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ وَمِنْهَا تُرَاعَى الْمُنَاسَبَةُ وَمَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ
فَلَا يُعْطَى أَحَدًا فَوْقَ حَقِّهِ وَلَا يَصِفُهُ بِأَكْثَرِ مِمَّا يُرَادُ مِنْ مِثْلِهِ
وَيُرَاعَى أَيْضًا مِقْدَارُ الْقِنَعَةِ وَالرُّتَبَةِ فَيَكُونُ وَضْفُ الْإِمْنَةِ بِهَا عَلَى
مِقْدَارِ ذَلِكَ وَمِنْهَا أَنْ لَا يَصِفَ التَّوَلَّى بِمَا يَكُونُ فِيهِ تَغْرِيبُ
بِالْمَعْدُولِ وَتَقْيِصُ لَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ بِمَا يُوْغِرُ الصُّدُورَ وَيُورِثُ الضَّعْفَانِ
فِي الْقُلُوبِ وَيُدِلُّ عَلَى ضَعْفِ الْأَرَءِ فِي اخْتِيَارِ الْأَوَّلِ وَلَهُ أَنْ
يَصِفَ الثَّانِي بِمَا يَحْصُلُ بِهِ الْقُضُودُ مِنْ غَيْرِ تَغْرِيبٍ بِالْأَوَّلِ وَمِنْهَا
أَنْ يَخْتَارَ الْكَلَامَ وَاللِّغَاءِ فَإِنَّهُ بِمَا يُشِيعُ وَيَذِيعُ وَلَا يُعْتَدُّ الْقَصْرُ
فِي ذَلِكَ بِحِجَلَةٍ وَلَا ضَيْقٍ فَإِنَّ مَجَالَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ مُتَّسِعٌ وَالْبَلَاغَةُ
تَقْطُرُ فِي الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ وَالْأَمْرُ الْجَارِي فِي ذَلِكَ عَلَى الْعَادَةِ
مَعْرُوفٌ وَفِي أَيْدِي النَّاسِ بِمَا كَتَبْتُ فِيهِ شَيْءٌ كَثِيرٌ لَكِنْ تَقَعُ
أَشْيَاءٌ خَارِجَةٌ عَنِ الْعَادَةِ فَتَحْتَاجُ الْكَاتِبُ إِلَى التَّصَرُّفِ فِيهَا عَلَى
مَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ



المبحث الثالث

في الارتجال والبديهة وإشارات الخطيب

(من كتاب بدائع البداهة والمعد الفريد)

قِيلَ إِنَّ الْإِرْتِجَالَ فِي اللَّغَةِ مَاخُودٌ مِنَ الْأَنْصَابِ وَالسُّهُولَةِ وَمِنْهُ
 قِيلَ : شَعَرَ رَجُلٌ إِذَا كَانَ سَبْطًا غَيْرَ جَعْدٍ وَمَسْتَرِيلاً غَيْرَ مُنْقَضٍ .
 وَقِيلَ مِنَ الرِّجَالِ الْبَرُّ وَهُوَ أَنْ يَذِلَّهَا الرَّجُلُ بِرِجْلَيْهِ مِنْ غَيْرِ حَبْلِ
 فَكَأَنَّهُمْ شَبَّهُوا اقْتِدَارَ الشَّاعِرِ عَلَى الْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ فِكْرَةٍ وَلَا أَهْبَةٍ
 بِاقْتِدَارِ نَزْلِ الْبَرِّ عَلَى الدُّوْلِ مِنْ غَيْرِ حَبْلِ وَلَا آلَةٍ . وَالْبَدِيْهَةُ
 مُشْتَقَّةٌ مِنْ بَدَهَ يَدُهُ بِمَعْنَى بَدَأَ يَبْدَأُ أَبْدَلُوا الْهَمْزَةَ هَاءَ لِقُرْبِهَا مِنْهَا
 كَمَا قَالُوا : لَهْنُكَ بِمَعْنَى لَأَنَّكَ وَكُنَّا أَبْدَلُوا الْحَاءَ أَيْضًا بِأَلْهَاءَ لِقُرْبِهَا
 مِنْهَا فَقَالُوا مَدَحَ وَمَدَّه . وَاشْتِقَاقًا إِلَى الرِّجَالِ وَالْبَدِيْهَةُ وَإِنْ كَانَا
 مُتَقَارِبَيْنِ إِلَّا أَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مَيَّزُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنِ
 الْآخَرِ بِمَا سَنَذْكُرُهُ فَنَقُولُ :

الرِّجَالُ هُوَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ مَا يَقُولُ فِي أَوْحَى مِنْ خُطْبٍ
 الْبَارِقِ وَأَخْطَفَ السَّارِقِ وَأَسْرَعَ مِنَ الْبَحْرِ الْوَامِقِ . وَنُقُوذُ
 السَّهْمِ الْوَامِقِ حَتَّى يُجَالَ مَا يُعْمَلُ مُحْفُوظًا أَوْ مَرِيئًا مُحْفُوظًا مِنْ غَيْرِ
 حَاجَةٍ إِلَى كِتَابَةٍ وَلَا تَعَلُّلٍ بِتَقْيِهِ وَتَنْقَرُدُ عِنْدَ ذَلِكَ قَضِيَّةُ الْحَالِ
 بِاخْتِرَاعِ الْوِزْنِ وَالْعَاقِبَةِ وَهُمْ الشُّهُودُ الْعُدُولُ الَّذِينَ يَجِبُ الرُّجُوعُ

إِلَيْهِمْ وَلَا يَجُوزُ عَنْهُمْ الدُّلُوبُ بِالشَّهَادَةِ عَلَى اسْتِطَاعَتِهِ وَأَنَّ ذَلِكَ
الْمَنْظُومَ إِنِّ سَاعَتِهِ. وَالْبَدِيَّةُ أَنَّ يَنْزَلَ عَلَى هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَلِيلًا
وَيُفَكِّرُ مُقَصِّرًا لَا مُطِيلًا فَإِنَّ أَطَالَ ذُو الْبَدِيَّةِ الْفِكْرَةَ
أَنْعَكَسَتْ الْقَضِيَّةُ وَخَرَجَتْ مِنْ حَدِّ الْبَدِيَّةِ إِلَى حَدِّ الرَّوِيَّةِ
وَعِنْدَ ذَلِكَ تَقْصُرُ نَهْضَةُ الْإِقْتِدَارِ عَنْ بُلُوغِ ذَلِكَ الْخِصَارِ إِذَا الْمُرْتَحِلُ
وَالْبَادِي يَتَمَعُّ مِنْهُمَا بِالرَّدِيِّ الْيَسِيرِ وَلَا يَقْنَعُ مِنْهُ الْمُرَوِّي إِلَّا بِالْحَيْدِ
الْكَثِيرِ وَكَفَاكَ فِي ذِكْرِهِمَا قَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَرِ :

وَالْفِكْرُ قَبْلَ الْقَوْلِ يَوْمَنْ زَيْنُهُ شَتَانُ بَيْنِ رَوِيَّةٍ وَبَدِيَّةٍ
وَقَوْلُ ابْنِ جَرِيرٍ :

تَارُ الرُّوِيَّةُ تَارٌ تُلْقَى نَضِيجَةٌ وَلِلْبَدِيَّةِ تَارٌ ذَاتُ تَلَوِيحٍ
وَقَدْ يُفَضِّلُهَا قَوْمٌ لِعَاجِلِهَا لَكِنَّا عَاجِلٌ يَخْضِي مَعَ الرِّيحِ
وَحَسْبُكَ يَهْرَبُ إِمَامُ الشُّعْرَاءِ وَقَاتِكُمْ مِنْ الْبَدِيَّةِ قَا ذَلِكُ
بِالْأَرْجَالِ وَإِذَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِيَّ رَئِيسُ الْخَوَارِجِ
فِي يَوْمِ النَّهْرِ وَأَنْ يَقُولَ وَهُوَ الْبَدَوِيُّ الْقَصِيبُ وَالْعَرَبِيُّ الصَّرِيحُ
أَيَاكُمُ وَالرَّأْيُ الْفَطِيرُ وَالْكَلَامُ الْقَضِيبُ يَقُولُ هَذَا فِي مُطْلَقِ
الْكَلَامِ وَهُوَ غَيْرُ مُقَيَّدٍ بِوَزْنٍ وَلَا قَافِيَةٍ فَكَيْفَ الظَّنُّ بِالْمُقَيَّدِ
بِهِمَا لَعَرَبِيٍّ أَنَّهُ لَقَامٌ يَجِبُنْ فِيهِ الشُّجَاعُ وَيَكْذِبُ فِيهِ رَأْيُ الْفِكْرِ
فِي طَلَبِ الْإِتِّجَاعِ.

قَالَ مُحَمَّدٌ كَاتِبُ إِبْرَاهِيمَ وَكَانَ شَاعِرًا رَافِيًا وَطَالِبًا لِلنَّحْوِ عَلَامَةً
قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا دَاوُدَ وَجَرَى شَيْءٌ مِنْ ذِكْرِ الْخَطْبِ وَتَمْيِيزِ التَّكَلَامِ.

قَالَ: تَلْخِصُ الْمَنَانِي رَفَقًا وَاسْتَعَانَةً بِالْقَرِيبِ عَجْزًا وَالتَّشَادُقُ فِي غَيْرِ
 أَهْلِ أُنْبَادِيَةِ نَفْصٍ وَالظَّرُّ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيٌّْ وَمَسُّ الْحَيَّةِ هُلْكَ
 وَأَخْرُوجْ بِمَا بَيْنِي عَلَيْهِ الْكَلَامُ إِسْهَابًا (قَالَ) وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ رَأْسُ
 الْخَطَاةِ الطَّعْنُ وَمَعْمُودُهَا الذَّرْبَةُ وَحَلْيُهَا الْأَعْرَابُ وَبَهَاؤُهَا تَحْيِيدُ اللَّفْظِ
 وَالْحَبَّةُ مَثْرُوتَةٌ بِقَلَمٍ الْأَسْتِكْرَاءُ وَأَنْشَدَنِي بَيْتًا فِي خُطْبَةٍ إِذَا
 يُؤْمَنُ بِاللَّفْظِ الْحَيِّ وَتَارَةً رَمِي الْمَلَا حِظٌ خِيَفَةُ الرُّقْبَاءِ
 (وَقَالَ) ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قُلْتُ لِلْفَضْلِ مَا الْأَجَازُ عِنْدَكَ قَالَ
 حَذْفُ الْفُضُولِ وَتَقَرُّبُ الْبَعِيدِ (وَتَكَلَّمَ) ابْنُ الْمَمَالِكِ يَوْمًا وَجَارِيَةٌ
 لَهُ تَسْمَعُ فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ لَهَا كَيْفَ سَمِعْتَ كَلَامِي قَالَتْ إِلَى أَنْ
 تُفْهَمَ مَنْ لَمْ يَفْهَمْ مَلَهُ مِنْ فَوْهَةٍ

البحث الرابع

في خطب الوعاظ

(من كتاب التبيان للباحظ وكتاب العقد الفريد)

وزهر الاداب للصري بنصراف

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمُسْتَحَبِّ: لَمَّا كَانَتْ الْمَوْلِيعَةُ مُنْدُوبًا
 إِلَيْهَا يَقُولُ: فَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ وَقَوْلُهُ لِعَمَالِهِ
 تَعَاهَدُوا النَّاسَ بِالتَّذْكِرَةِ. وَلِأَنَّ أَدْوَاءَ الْقُلُوبِ تَقْتَرِبُ إِلَى
 أَدْوِيَةٍ كَمَا تَحْتَاجُ أَمْرَاضُ الْبَدَنِ إِلَى مُعَالَجَةٍ أَفْتَتْ فِي هَذَا

أَلْفَنَ كُتُبًا تَشْتَمِلُ عَلَى أَصُولِهِ وَفُرُوعِهِ وَكَانَ السَّلَفُ يَشْتَعُونَ مِنْ
 أَلْوَاعِظٍ بِالْيَسِيرِ مِنْ غَيْرِ تَحْسِينٍ لَفْظٍ أَوْ زُخْرَةٍ نُطْقٍ وَمَنْ تَأَمَّلَ
 مَوَاعِظَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَغَيْرِهِ بِمَا اشْرَتْ إِلَيْهِ. وَكَذَلِكَ كَانَتْ أَلْفَقَاهُ
 فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ يَتَنَاطَرُونَ مِنْ غَيْرِ مُعَارَضَةٍ فِي تَسْيِةِ قِيَاسٍ عَلَيْهِ
 أَوْ قِيَاسٍ شَبَّهِ وَتَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَا أَخَذَتْ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْأَسَايِ
 لَا يَخْرُجُ عَنْ مَرَحَاتِ الْأَوَائِلِ وَلِذَلِكَ مَا أَخَذْتُ مِنَ أَلْفَقَاهِ الْمَذْكُورِينَ
 مِنْ تَحْسِينِ لَفْظٍ أَوْ تَنْجِيعٍ وَنَظْمٍ وَلَا يَخْرُجُ مِنْ قَانُونِ أَلْجَوَادِ وَمَا
 ذَاكَ إِلَّا بِمَنَاقِبِهِ جَمَعَ الْقُرْآنَ الَّذِي أَبْتَدَأَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ وَثَنِي بِهِ عُثْمَانُ
 فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَأَذِنَ لِتَسْمِيَةِ الدَّارِي أَنْ يَقْصَّ وَمِثْلَ هَذِهِ لَا
 تُدْمُ لِكَوْنِهَا أَبْتَدَعَتْ إِذْ لَيْسَتْ تَخْرُجُ عَنْ الْأَعْلَى الشَّرْعِ وَقَالَ
 الْحَسَنُ الْقَاصِصُ بِدَعَاكُمْ مِنْ أَخِي يُسْتَفَادُ وَدَعْوَةٍ تُسْتَجَابُ
 قَالَ بَعْضُ أَلْفَقَاهِ إِنَّ أَلْوَعَظَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَمْدُودُ وَعَهْدُهُ أَلْفَعُودُ
 وَظِلُّهُ أَلْعِمُّ وَسِرَاطُهُ أَلْمُسْتَقِيمُ وَحُجَّتُهُ أَلْكُبْرَى وَمَحْجَتُهُ أَلْوَسْطَى وَهُوَ
 أَلْوَاضِحُ سَبِيلُهُ أَلرَّاشِدُ دَلِيلُهُ الَّذِي مَنْ اسْتَضَاءَ بِمَصَابِيحِهِ أَبْصَرَ وَنَجَا
 وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ضَلَّ وَهَوَى حُجَّتُهُ اللَّهُ وَعَهْدُهُ وَوَعِيدُهُ وَوَعْدُهُ بِهِ يَعْلَمُ
 أَجْلُهُ وَيَعْمَلُ أَلْعَامِلُ أَلْعَامِلُ وَيَتَنَبَّهُ أَلْسَاهِي وَيَتَذَكَّرُ أَللَّاهِي بِشِيرِ
 أَلثَّوَابِ وَتَذِيرِ أَلْعِقَابِ وَشِفَاءِ أَلصَّدُورِ وَجَلَاءِ أَلْأُمُورِ مِنْ فَضَائِلِهِ
 أَنَّهُ يُقْرَأُ دَائِمًا وَيُكْتَبُ وَيُعَلَّى وَلَا يَمِلُ مَا أَهْوَنَ أَلدُّنْيَا عَلَى مَنْ
 جَعَلَ أَلدِّينَ إِمَامَهُ وَتَصَوَّرَ أَلْمَوْتَ أَمَامَهُ قَالَ بَعْضُ أَلْحُكَمَاءِ
 أَلْحِكْمَةُ مَوْظِعَةٌ لِقُلُوبٍ مِنْ سِنَةِ أَلْعَقْلَةِ وَمُنْقِذَةٌ لِلْبَصَائِرِ مِنْ سَكْرَةِ

الْحَيَرَةُ وَنُحْيِيَهُنَّ لَهَا مِنْ مَوْتِ الْجَهَالَةِ وَمُسْتَخْرِجَةً لَهَا مِنْ ضَيْقِ الصَّلَاةِ
 وَالْعِلْمِ دَوَاءً لِلْقُلُوبِ الْعَلِيلَةِ وَمُسْتَحْدً لِلْأَذْهَانِ الْكَلِيلَةِ وَنُورٌ فِي
 الظُّلُمَةِ وَأَنْسٌ فِي الْوَحْشَةِ وَعَسَاجِبُ فِي الْوَحْدَةِ وَسَيْرٌ فِي الْخَلْقَةِ
 وَوُضْعَةٌ فِي الْحَلِيسِ وَمَادَّةٌ لِلْعَقْلِ وَتَلْقِيحٌ لِلْفَهْمِ وَنَافٍ لِلْعِيَالِ
 الْبَاهِلِ الْأَحْسَابِ الْمُقْصِرِ يَذْوِي الْأَلْبَابِ أَطْلَقَ اللَّهُ سُجَّاتَهُ أَهْلَهُ
 بِأَلْيَانِ الَّذِي جَعَلَهُ صِفَةً لِكَلَامِهِ فِي تَرْيِيلِهِ وَأَيَّدَهُ رُسُلُهُ أَيْضًا
 لِلْمُسْكِلَاتِ وَقَضَا بَيْنَ الشُّبُهَاتِ شَرَفَ بِهِ الْوَضِيعَ وَأَعَزَّهُ بِهِ
 الدَّلِيلَ وَسَوَّدَ بِهِ الْمَسُودَ مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِهِ فَهُوَ مُعْطَلٌّ وَمَنْ تَطَلَّعَ مِنْهُ
 فَهُوَ مُعْتَلٌّ لَا تَبْلِيهِ الْأَيَّامُ وَلَا تَحْتَرِمُهُ الدُّهُورُ يُجَدِّدُ عَلَى الْإِتِّدَالِ
 وَيَذْكُرُ عَلَى الْإِنْفَاقِ اللَّهُ عَلَى مَنْ بِهِ مِنْ عِبَادِهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ قِيلَ
 لِعِمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ مَا الْبَلَاغَةُ قَالَ مَا بَلَغَكَ الْجَنَّةُ وَعَدَلَ بِكَ عَنِ النَّارِ
 وَبَصَرَكَ مَوَاقِعَ دُشْدُكَ وَعَوَاقِبَ عَمَلِكَ قَالَ السَّائِلُ لَيْسَ هَذَا
 أُرِيدُ قَالَ مَنْ لَمْ يُحْسِنِ أَنْ يَسْكُتَ لَمْ يُحْسِنِ أَنْ يَسْتَمِعَ وَمَنْ لَمْ
 يُحْسِنِ الْإِسْتِمَاعَ لَمْ يُحْسِنِ الْقَوْلَ قَالَ لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ قَالَ : قَالَ
 النَّبِيُّ إِنَّمَا مَعَشَرُ الْأَنْبِيَاءِ فِينَا تَلَكَّا أَيْ قَتَهُ الْكَلَامَ وَكَانُوا
 يَكْرَهُونَ أَنْ يَرِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَلَى عَقْلِهِ . قَالَ السَّائِلُ أَيْسَ هَذَا
 أُرِيدُ . قَالَ : كَانُوا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ وَمِنْ سَقَطَاتِ الْكَلَامِ
 مَا لَا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ السُّكُوتِ وَسَقَطَاتِ الصَّمْتِ . قَالَ : لَيْسَ هَذَا
 أُرِيدُ . قَالَ عِمْرُو : يَا هَذَا فَكَأَنَّا نَكْتَرِيْدُ تَحْيِيرَ اللَّفْظِ فِي حُسْنِ الْإِفْهَامِ .
 قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : إِنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ تَقْرِيرَ حُجَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عُقُولِ

الْمُكَلِّفِينَ وَتَخْفِيفَ الْوُدَّةِ عَلَى الْمُسْتَمِيعِينَ وَتَرْيِينَ تِلْكَ أَلْمَافِي فِي
قُلُوبِ الْمُرِيدِينَ بِالْأَلْفَافِ الْحَسَّةِ فِي الْأَذَانِ الْبَثْوَةِ عِنْدَ الْأَذْهَانِ
دُعْبَةً فِي سِرَّةِ إِبْجَابَتِهِمْ وَنَفْيِ الشَّوْاعِلِ عَنْ قُلُوبِهِمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَّةِ
عَلَى الْكِتَابِ وَالنُّسْخَةِ كُنْتُ قَدْ أَوْقَيْتُ الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخُطَابِ
وَأَسْتَوْجِبْتُ مِنَ اللَّهِ جَزِيلَ الثَّوَابِ

قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ: وَأَحْكُمُ الْمَوَاعِظِ مَوَاعِظُ اللَّهِ ثُمَّ مَوَاعِظُ الْأَنْبِيَاءِ
ثُمَّ مَوَاعِظُ الْأَبَاءِ لِلْأَبَاءِ ثُمَّ مَوَاعِظُ الْحُكَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ ثُمَّ مَقَامَاتُ
الْعِبَادِ بَيْنَ أَيْدِي الْخُلَفَاءِ ثُمَّ قَوْلُهُمْ فِي الزُّهْدِ وَرِجَالِهِ الْمَعْرُوفِينَ بِهِ
ثُمَّ الْمَشْهُودِينَ مِنَ الْمُتَنَسِّينَ إِلَيْهِ وَالْمَوْعِظَةُ ثَقِيلَةٌ عَلَى السَّمْعِ
مُسَخَّرَةٌ عَلَى النَّفْسِ بَعِيدَةٌ مِنَ الْقَبُولِ لِاعْتِرَاضِهَا الشَّهْوَةَ وَمُضَادَّتِهَا
الْهَوَى الَّذِي هُوَ رَيْعُ الْقَلْبِ وَرُؤَادُ الرُّوحِ وَمَرْبَعُ الْهَوَى وَمَسْرَحُ
الْأَمَانِيِ الْإِلَهِ وَعِظَةُ عِلْمُهُ وَارْشَادُهُ قَلْبُهُ وَاحْكَمَتُهُ تَجَرُّبَتُهُ. قَالَ
الشَّاعِرُ:

لَنْ تَرْجِعَ النَّفْسُ عَنْ غِيَا حَتَّى يَرَى مِنْهَا لَهَا وَاعِظُ
(وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ) السَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ غَيْرِهِ وَلَا يَنْتَوْنَ مَنْ
وَعِظَهُ غَيْرُهُ وَلَكِنْ مَنْ رَأَى الْعِبْرَةَ فِي غَيْرِهِ فَأَعِظَ بِهَا فِي نَفْسِهِ
وَلِذَلِكَ كَانَ يَقُولُ الْحَسَنُ: افْرَعُوا هَذِهِ النَّفُوسَ فَإِنَّهَا طَلَعَتْ وَحَادِثُوهَا
بِالذِّكْرِ فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الدُّثُورِ وَأَعَصَوْهَا فَإِنَّهَا إِنْ أُطِيعَتْ بَرَعَتْ فِي
الشَّرِّ غَايَةً وَكَانَ يَقُولُ عِنْدَ انْقِضَاءِ مَجْلِسِهِ وَخَمَ مَوْعِظَتِهِ يَا هَا مِنْ
مَوْعِظَةٍ لَوْ عَادَفْتُ مِنَ الْقُلُوبِ حَيَاةً. وَكَانَ ابْنُ السَّمَاكِ يَقُولُ

إِذَا قَرَعَ مِنْ كَلَامِهِ: أَلَسُنْ تَصِفُ وَقُلُوبٌ تَعْرِفُ وَأَعْمَالٌ تُخَالِفُ.
وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عُيَيْدٍ: لَوْ أَمَرْنَا بِالْجَزَعِ لَصَبَرْنَا يُرِيدُ ثِقَلُ الْمَوْعِظَةِ
عَلَى السَّمْعِ وَجُحُوحِ النَّفْسِ إِلَى مُخَالَفَتِهَا. وَمِنْهُ قَوْلُهُ: (أَحَبُّ شَيْءٍ
إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا). وَقَوْلُهُ: وَالشَّيْءُ يُرَغَّبُ فِيهِ حِينَ يُتَمَعُّ
وَالْمَوْعِظَةُ مَا نِعَةُ لَكَ بِمَا تَشْتَهِي حَامِلَةٌ لَكَ عَلَى مَا تَكْرَهُ إِلَّا
أَنْ تَلْقَاهَا بِسَمْعٍ قَدْ فَتَنَتْهُ الْهَوَاةُ وَقَلْبٍ قَدَحَتْ فِيهِ الْفِكْرَةُ
وَنَفْسٍ لَهَا مِنْ عَلَيْهَا زَاجِرٌ وَمِنْ عَقْلِهَا رَادِعٌ فَيَتَمَعُّ لَكَ بِأَبْ
الْتَوْبَةِ وَيُوضَحُ لَكَ سَبِيلُ الْإِنَابَةِ (قَالَ اللَّيْثُ) حُبَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكْرَاهِ
وَحُبَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ يُرِيدُ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى الْجَنَّةِ أَحْتِمَالُ
الْمَكْرَاهِ فِي الدُّنْيَا وَالطَّرِيقَ إِلَى النَّارِ رُكُوبُ الشَّهَوَاتِ وَخَيْرُ
الْمَوْعِظَةِ مَا كَانَتْ مِنْ قَائِلٍ مُخْلِصٍ إِلَى سَامِعٍ مُنْصِفٍ (وَقَالَ بَعْضُهُمْ)
الْكَلِمَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْقَلْبِ وَقَعَتْ فِي الْقَلْبِ وَإِذَا خَرَجَتْ
مِنَ اللِّسَانِ لَمْ تَجَاوِزِ الْأَذَانَ. وَقَالُوا مَا أَحْسَنَ التَّاجَ. وَهُوَ عَلَى
رَأْسِ الْمَلِكِ أَحْسَنُ. وَمَا أَحْسَنَ الدَّرَّ. وَهُوَ عَلَى نَحْرِ الْفَتَاةِ أَحْسَنُ وَمَا
أَحْسَنَ الْمَوْعِظَةَ. وَهِيَ مِنْ أَفْضَلِ التَّحْيِي أَحْسَنُ. (وَقَالَ زِيَادُ)
أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَنْفَعُكُمْ سُوءُ مَا تَقْلَمُونَ مِنَّا أَنْ تَتَّقُوا بِأَحْسَنِ مَا
تَسْمَعُونَ مِنَّا. قَالَ الشَّاعِرُ:

اعْمَلْ بِمَقُولِي وَإِنْ قَصُرَتْ فِي عَمَلِي

يَنْفَعَكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

البحث الخامس

في غاية الوعظ

(من كتاب النصن الرطب للمقري)

قَالَ لِسَانُ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ فِي الرُّوضَةِ فِي مُحَرِّكَاتِ الْعَزِيمَةِ
 وَهِيَ الْقِطْعَةُ مَا نَحْنُ قُلْتُ وَالْمُحَرِّكَاتُ الْمُشْتَرِكَاتُ فِي بَاعِثِ الْقِطْعَةِ
 كَثِيرَةٌ مِنْهَا الْوَعْظُ السَّائِقُ بِمَقْوَدِ الشَّارِدِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى مَرَبِطِ
 التَّوْبَةِ وَمُحَرِّكُ الْعَزِيمَةِ يُرَدِّدُ آدَاءَهُ عَلَى نَوَامِ أَهْلِ الْكَهْفِ وَقَدْ ضُرِبَ
 نَوْمُ الْقَفَلَةِ عَلَى آذَانِهِمْ حَتَّى يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ آذَانِهِمْ وَيُرَكِّبُهُمْ
 ظَهَرَ الْإِيَّاسَةِ حَتَّى تَلْحَقَهُمْ بِالْمُجْتَذِبِينَ مِنْ إِخْوَانِهِمْ وَلَمَّا كَانَ حُبُّ
 الدُّنْيَا هُوَ الْمَانِعُ عَنِ الشُّرُوعِ فِي إِطْلَاقِ الْعَمَلِ وَالْقَاطِعُ بِهِ لِمَا بَعْدَهُ لَمْ
 يُجِدْ إِسَاءَةَ خَبَلِ الْهَوَى وَجُنُونَ الْكَسَلِ انْتَجِعَ مِنْ وَفَى الْعَذْلِ وَالْتَأَنِيْبِ
 وَتَثْيِيجِ الْحُبُوبِ سِيمًا إِذَا اُتْرَجَتْ نِبَالُ نَبَلِهِ عَنْ حَيَاتِ صَلُوعِ
 الْخِدْقِ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْكَلَامُ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْقَلْبِ دَخَلَ الْقَلْبَ
 أَوْقَدَ النَّارَ مِنْ رِسَالَةِ لَيْلَى وَأَحْمَدُ السَّيْلَ بَعْدَهَا مِنْ دُمُوعِي
 وَلَا تَغْدِيلِ الْوَعْظِ أَلْبَلِغَ بِاللِّسَانِ الْقَصِيحِ وَالْقَلْبِ الْقَرِيجِ فَإِذَا
 رَأَيْتَ الْأَرْضَ قَدِ اهْتَدَتْ وَرَبَّتْ وَهَضَابَ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ قَدْ
 تَقَلَّبَتْ فَشِيرَ لِلْفِرَاسِ وَالْإِرَاعِ عَنِ الذِّرَاعِ وَاعْتَمِ السَّرَاعَ وَالْأَسْرَاعَ
 إِذَا هَبَّتْ رِيَاكُ فَاعْتَمِنَهَا فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سُكُونًا
 وَكَقَوْلِ الْآخَرِ:

حَقَّرَ لَهَا مَاءَ يُرِيهَا بِدَاءَةٍ وَأَضْمَنَ لَهَا حَوْضًا وَإِنْ لَمْ تُخَفِّرْ
 وَارِدًا بِمُفْسِكَ عَنْ تَسْلُحٍ بَانِعٍ وَأَغْنَمَ إِذَا سَأَلَتْكَ مَهْمَةً مُشْتَرِي
 قَالُوا أَلَوْعْظُ يَضْرِبُ وَجْهَ النَّفْسِ عَنِ التَّبْطُّ فِي يَسَاطِرِ اللَّذَاتِ
 وَيَنْقُلُ خَطَرَاتِهَا عَنِ الْخَطَرِ فِي مَلَقِبِ الْخَطِيئَاتِ وَيُمِثِّلُ لَهَا الصَّبْرَ عَيَانًا
 وَيُبَيِّنُ الْعَوَاقِبَ الْمُحْتَجَّةَ بَيَانًا وَيُنْشِئُ سَحَابَ الْخُزْنِ فِي أَجْوَافِ أَجْرَانِهَا
 وَيَذْكُرُهَا بِمَا لَهَا وَأَتْيَانِهَا وَيُعْرِضُ عَنْ مَصَارِعِ قَنَانِهَا وَخَرَابِ بَنَانِهَا
 وَفِرَاقِ حَبَائِهَا وَأَبْنَانِهَا عِنْدَ تَوَلِّي هَادِمِ اللَّذَاتِ بِفَنَائِهَا فَتَرْجِعُ إِلَى
 اللَّهِ تَعَالَى بِحُكْمِ الْأَضْطِرَارِ أَفْكَارُهَا وَتَحْشَعُ مِنْ خِيفَةِ اللَّهِ تَعَالَى
 وَجَلَالِهِ أَبْصَارُهَا وَأَلَوْعْظُ يَكُونُ لِسَانَيْنِ وَيُوجَدُ قَتْنٌ لِسَانِ حَالِ
 وَلِسَانِ مَقَالٍ وَرَبِّمَا كَانَ لِسَانُ أَحَالٍ أَبْلَغَ وَهُوَ يُسَمُّ مِنْ
 أَتْقُبُورِ الْمُوجِشَةِ وَالْقُصُورِ الْحَالِيَةِ وَالْعِظَامِ الْبَالِيَةِ وَفِيهِ حِكَايَاتُ
 وَأَخْبَارُ. وَلِسَانُ مَقَالٍ كَقَوْلِهِ سُجَّاهُ وَتَعَالَى وَسَكَنَتْكُمْ فِي مَسَاكِينِ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ
 الْأَمْثَالَ وَهُوَ سَبِيلُ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي بَعَثَ بِهَا النَّبِيِّينَ وَضَمَّنَ قُصُوصَهَا
 الْكِتَابَ الْأَمِينِ وَالسُّوْطَ الَّذِي يُحْمِلُ عَلَى الْأَوْبَةِ وَيَسُوقُ دَوْدَ
 الْمُتَطَهِّرِينَ إِلَى غَدِيرِ التَّوْبَةِ وَتَحْنُ تَجْمَلُهُ هَيْسَةً بَيْنَ يَدَيْ الْفِرَاسَةِ
 لِتَذْكِيَةِ النَّفُوسِ إِنْ صَدَقَ حُكْمُ الْفِرَاسَةِ مِنْ ذَلِكَ فَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَدَ
 عَنِّي عَلَى لِسَانٍ وَأَعْظِ



البحث السادس

في فوائد الوعظ وجهل كثيرين من الخطباء في هذا الفن

(من كتاب الكلم الثمان للشيخ الحسين المرصفي)

وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ مَوْضِعًا لِلشَّهْرِ وَالنِّسْيَانِ وَتَحَلًّا لِلذُّهُولِ
وَالْعَفْلَةِ لِمَا يَمْتَرُهُ وَيَكْنِفُهُ مِنَ الْآهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ الَّتِي بِاتِّبَاعِهَا
وَالْإِنْقِيَادِ مَعَهَا يَدْخُلُ الْإِفْتِلَالُ عَلَى النِّظَامِ الْكُلِّيِّ وَالْمَضْحَكَةِ
الْعَامَّةِ ثُمَّ يَسْرِي بِغَايَةِ السَّرْعَةِ إِلَى انْطِظَامَاتِ الْجُزْئِيَّةِ وَالْمَصَالِحِ
الْخَاصَّةِ فَيَضْمَحُ الْغَنِيَّ قَبِيرًا وَالْقَادِرَ عَاجِزًا وَالشَّجَاعَ جَبَانًا وَالذَّكِيَّ
غَيًّا وَالْقَطَنُ بَلِيدًا وَيَصِيرُ أَسْمُ الْبَهَائِمِ أَوَّلَى بِهِمْ مِنْ أَسْمِ
الْإِنْسَانِيَّةِ بَلْ كَانَتْ الْبَهَائِمُ أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُمْ كَمَا سَلَفَ وَكَانُوا
مَوْضِعَ قَوْلِهِ : إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا. تَعَيَّنَ
أَنْ يَضْحَكَ مُذَكِّرٌ دَائِمٌ وَوَاعِظٌ مُسْتَدِرٌّ يَهْدِيهِ إِلَى قَضَاءِ السَّيْلِ
وَجَادَةِ الْمَحْجَةِ كُلَّمَا جَارَتْ بِهِ الْخَيَالَاتُ الْهَائِسَةُ وَالْوَسَاوِسُ
الرَّدِيئَةُ. وَلِتَحْصِيلِ ذَلِكَ وَرَدَّ الْأَنْرُ فِي قَوْلِهِ وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ
يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ. فَقَدْ أَبَانَ أَنْ لَا صَلَاحَ لِلْكَافَّةِ إِلَّا بِوُجُودِ أُمَّةٍ
تَكُونُ وَظِيفَتُهَا دُعَاءُ النَّاسِ لِلْخَيْرِ وَصَرْفُهُمْ عَنْ فَاحِشَةِ الشَّرِّ وَأَمْرُهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَفَوْهُ بِمَثَدَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِذَا وَجِدَتْ
وَنَبَّهَ عَلَى شَرِّهَا وَفَضَّلَ مَكَانَهَا حَيْثُ جَعَلَهَا مُحْتَضَةً بِإِنْفِلَاحِ

وَالْقَوْدُ بِحَقِيقَةِ السَّعَادَةِ إِذْ قَدْ تَكُونُ هِيَ فِي نَفْسِهَا صَالِحَةً وَبِهَا
يَعْمُ الدَّلَالُ فَيَصِيرُ فَلَاحُهَا أَصْلًا لِقَلْبِهَا سِوَاهَا فَاسْتَحَقَّتْ أَنْ يُقَالَ
فِيهَا بِلَادَةُ التَّخْصِصِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَإِنَّمَا يُمَكِّنُ تَأْدِيَةَ تِلْكَ
الْوَلِيْفَةِ وَالْقِيَامَ بِهَا حَقَّ أَتْيَامِ الْقَوْمِ تَقَدَّسَتْ نُفُوسُهُمْ وَتَنَقَّتْ
طِبَاعُهُمْ وَتَهَدَّبَتْ أَخْلَاقُهُمْ وَتَنَوَّرَتْ عُقُولُهُمْ وَصَحَّتْ أَفْهَامُهُمْ
وَرَجَحَتْ أَخْلَاقَهُمْ وَصَدَقَتْ عَزَائِمُهُمْ وَعَلَتْ هِمَمُهُمْ وَعَرَفُوا أَجَاسَ
الْخَيْرِ وَأَحَاطُوا بِأَنْوَاعِهِ وَمَيَّزُوا مِنْ أَصْنَافِ الشَّرِّ فَرُبَّمَا أَشْبَهَ الظَّالِمُ
وَيُمَثِّلُ كُلٌّ فِي صُورَةِ الْآخَرِ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ تَمَيُّزُ الْخَيْرِ مِنَ
الشَّرِّ أَمْرًا عَسِيراً إِذْ كَانَ الْأَسَاسُ الضَّرَرُ وَالنَّفْعُ وَلَا تَجِدُ أَحَدًا
يَجْهَلُهُمَا وَلَكِنْ رُبَّ ضَارٍّ فِي الظَّالِمِ نَافِعٌ فِي الْمَالِ فَيَكُونُ خَيْرًا
وَرُبَّ نَافِعٍ فِي الظَّالِمِ ضَارٌّ فِي الْمَالِ فَيَكُونُ شَرًّا وَرُبَّمَا اجْتَمَعَتِ
الْمُضَرَّةُ وَالنَّفْعَةُ وَاسْتَوَا أَوْ غَلَبَتْ إِحْدَاهُمَا وَمِنْ هَذَا نَبَتْ
الْإِحْتِيَاجُ لَوْجُودِ أَمَّةٍ تُفَرِّغُ أَنْفُسَهَا لِلِاسْتِغْنَاءِ بِذَلِكَ حَتَّى تُحْكِمَ
أَمْرَهَا ثُمَّ تُلَاحِظُ النَّاسَ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِمْ لِتَدْعُوهُمْ إِلَى الْخَيْرِ
وَتَأْمُرَهُمْ بِمَا عَرَفَتْهُ خَيْرًا وَتَنْهَاهُمْ عَمَّا أَنْكَرَتْهُ وَعَرَفَتْهُ شَرًّا
تُنَفِّخُهُمْ بِالْإِزَامِ مَا عَرَفُوهُ وَتَدُلُّهُمْ عَلَى مَا جَهِلُوهُ فَكَثُرَ الْمَنَافِعُ
وَالْمَضَارُّ مَعْرُوفٌ بَيْنَ لَا يَخْتَلِفُ بِالنَّاسِ عَلَيْهِ حَتَّى قِيلَ إِنَّ الدِّينَ
أَمْرٌ تَقْتَضِيهِ الطَّبَاعُ وَتَدْفَعُ إِلَيْهِ الْفِطْرَةُ وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ لِقَلْبِهِ
هَوَاهُ قَدْ يُبْجِعُ لِنَفْسِهِ مَا يَحْكُمُ عَقْلُهُ بِتَبَعِهِ وَيَجِدُ فِي طَبْعِهِ
اسْتِقْبَاحَهُ أَلَا تَرَى إِلَى السَّارِقِ وَالْقَاصِبِ كَيْفَ يَسْتَحْذِرُ أَنْ يَفْعَلَ

يَغْيِرُو مَا لَا يَسْتَخِيرُ أَنْ يَفْعَلَهُ بِهِ غَيْرُهُ . فَقَى سُرِقَ مَالُهُ أَوْ اغْتَصَبَ مِنْهُ وَجَدَ بِذَلِكَ فِي قَلْبِهِ حَرَارَةً وَفِي نَفْسِهِ ضِيقًا وَتَشْوِشَ فِكْرُهُ وَاخْتَلَّتْ حَالُهُ وَبَطَلَ نِظَامُ سَيْرِهِ . وَهُوَ لَا يُرِيدُ ذَلِكَ . بَلْ يُرِيدُ أَنْ يَدُومَ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ طَيِّبِ النَّفْسِ مُسْتَقِيمِ الْأَحْوَالِ . فَهُوَ يَحْكُمُ بِتَجَرُّبِهِ ذَلِكَ وَحُسْنِ هَذَا . وَإِنْ كَانَ لَا يُعَيِّرُ عَنْ ذَلِكَ لِقُصُورِهِ عَنْ مَعْرِفَةِ الْأَلْقَاطِ بِالْحِلِّ وَالْحَرَمَةِ . وَإِلَى ذَلِكَ أَلْفَنَى الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ . وَعَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ تَعْرِفَ التَّجَدِّدَاتِ الزَّمَانِيَّةَ لِتَكُونَ أَعْمَالُهَا مُطَابِقَةً لِلْأَحْوَالِ الْحَاضِرَةِ . قَرُبَ أَمْرٌ يَكُونُ خَيْرًا فِي عَصْرِ قَيْصُحِي سَرًّا فِي غَيْرِهِ . وَهَلْ هَذِهِ الْأُمَّةُ كَانَتْ أَوْ كَانَتْ . لَا أَثَبْتُ ذَلِكَ وَلَا أَنْفِيهِ حَتَّى أَقَارِضَكَ أَحَدِيثَ فِيهِ . إِنْ قُلْتَ هَذِهِ الْأُمَّةُ مُتَحَقِّقَةٌ فِي خُطْبَاءِ الْمَنَابِرِ . قُلْتُ لَكَ : أَتُرِيدُ بِهِمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَرَاهُمْ وَتَسْمَعُهُمْ وَهُمْ إِنَّمَا تَمَيَّزُوا عَنْ آخِرِ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَاتِ الْعَالَمَةِ لِتَسْكُنَهُمْ مِنْ قِرَاءَةِ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَطَبِ . فَقَايَةُ أَمْرِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ أَنْ يَقْرَأَ دِيْوَانَ خُطْبٍ صَنَعَهُ بَعْضُ أَسْلَافِهِ كَمَا تَحِلُّ مُنَاسِبًا لِلشُّهُورِ وَالْمَوَاسِمِ . فَيَحْفَظُ مَا تُعْطِيهِ تِلْكَ الْأَنْفُوسُ مِنْ مَوَادِّ الْأَلْقَاطِ . أَوْ يَنْسَخُ صُورَةَ خُطْبَةٍ لِيَحْفَظَ حَمَلَهَا عَلَيْهِ إِذَا قَامَ بِهَا خُطْبِيًّا . يَسْرُدُ الْأَقَاطِ حِفْظَهَا أَوْ تَطَرُّفَهَا لَا يَعْتَلُ مَعْنَاهَا وَلَا يَقْهَمُ الْمَرَادُ مِنْهَا . كَمَا إِذَا لَمْ يَكُنْ الدِّيْوَانُ مَشْكُولًا وَلَمْ يَقْرَأِ الْخُطْبَةَ عَلَى ذِي دِرَاقَةٍ سَيَفُتَ مِنْهُ الْمُنْجِبُ وَالْمُطْرِبُ مِنَ اللَّحْنِ الْقَاجِسِ وَالْتَضَخِيفِ الْقَبِيحِ . فَإِنَّ مِنْهُمْ

مَنْ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ اتِّقَادَ السَّامِعِينَ فَيَقْرَأَ الْخُطْبَةَ مَرَارًا
 عَلَى بَعْضِ أَهْلِ الْمَرْقَةِ حَتَّى يَقِفَ عَلَى صِحَّةِ النُّطْقِ بِهَا. وَمِنْهُمْ
 مَنْ يَقْتَصِرُ عَلَى تَضَمُّنِ الْحَدِيثِ أَحَدًا أَمَّا لِكَلَامِ النَّبِيِّ. وَرَبَّمَا قَرَأَهُ
 عَلَى رَجُلٍ يُقِيمُهُ لَهُ بِسَاعَةِ الْخَوْ فَيُضِلُّانِ جَمِيعًا. إِذَا لَمْ يَعْمَلْ لِصَلَاةِ الْخَوْ
 إِلَّا بَعْدَ فَهْمِ الْمَعْنَى. وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُبَالِي بِتَضَمُّنِ آيَةٍ وَلَا حَدِيثٍ.
 مَا أَطْنُ أَنْكَ تَسْتَحْيِزُ أَنْ تَقُولَ أَرَدْتُ هُوَ لَا. فَإِنْ قُلْتَ إِنَّا
 أَرَدْتُ خُطْبَاءَ الْأَسْلَافِ قُلْتُ لَكَ: تَجَاوَزَ عَصْرَ النَّبِيِّ وَعَصْرَ أَصْحَابِهِ
 ثُمَّ أَقْرَأَ خُطْبَ الْأَخْلَافِ وَتَوَائِبِهِمْ فِي التَّوَّاحِي ثُمَّ أَمَضَ فِي ذَلِكَ
 طَبَقَةً بَعْدَ طَبَقَةٍ وَعَصْرًا خَلْفَ عَصْرٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى وَقْتِكَ هَذَا
 تَحْذَرُ أَنْ جَمِيعَ الْخُطْبِ يَدُورُ أَمْرَهَا عَلَى مَعَانٍ وَاحِدَةٍ وَالْقَاطِرُ مُعِينَةٌ
 لَا تَجَاوِزُهَا. وَهِيَ التَّزْهِيدُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّرْغِيبُ فِي الْآخِرَةِ وَتَبْشِيرُ
 الْمَطْمَئِنِّ وَإِنْدَارُ الْعَاجِي. يُكْرَرُونَ ذَلِكَ كُلَّ جُمُعَةٍ وَكُلَّ مَوْسِمٍ حَتَّى لَمْ
 يَبْقَ لَهُ تَأْيِيدٌ وَالتَّحْقُّقُ بِالْأُمُورِ الْمُعْتَادَةِ. إِنَّمَا يَسْمَعُ النَّاسُ أَصْوَاتًا
 ذَاتَ كَيْفِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ إِقَامَةً لِذَلِكَ الرَّسْمِ حَسَبًا يَصِلُ إِلَيْهِ فَهُمْ
 أَعْلَامُهُ مِنْ أَنَّ تِلْكَ الصُّورَةَ هِيَ إِقَامَةُ الدِّينِ. وَفِي صِفَةِ خُطْبَاءِ
 الْعَصْرِ الثَّلَاثِي بَعْدَ عَصْرِ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ يَقُولُ شَاعِرُهُ:
 وَدَّعُوا لَنَا الدُّنْيَا وَهُمْ يَرْضَعُونَهَا أَفَاطِقَ حَتَّى مَا يَدُرُّ لَنَا ثَمْلُ
 وَالتَّمْلُ بِقَمَحٍ أَوَّلِهِ أَوْضَحِهِ وَسُكُونُ ثَانِيهِ زِيَادَةُ فِي أَطْبَاءِ
 الثَّلَاثَةِ وَغَيْرِهَا نَشْأَةُ حَلَمَةِ الثَّلَاثِي لَا تَخْرُجُ مِنْهَا فِي الْعَادَةِ لَبَنٌ. وَلَا
 تَهْلُنَ آتِي أَنْتَيْصُ بِذَلِكَ خُطْبَاءَ الْعُصُورِ الْأُولَى فَلَنْهُمْ كَانُوا يَدُونَ

كِفَايَةَ ذَلِكَ لِكثَرَةِ أَهْلِ الْفِرَقَةِ حِينَ ذَلِكَ. وَبِالْجُمْلَةِ فَكَيْفَمَا
 كَانَ أَحَالُ فِي الْحَطَابَةِ فَعَيَّ غَيْرُ كَافِيَةٍ فِي تَحْقِيقِ الدُّعَاءِ إِلَى الْخَيْرِ
 وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. فَلَا تَكُونُ الْأُمَّةُ مُتَحَبِّةً
 بِحُطْبَاءِ الْمَلَايِمِ. وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهَا أَعْلَمَاءُ قُلْتَ: هَذَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ
 تَنْظُرُ. أَمَّا عِلْمَاءُ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ جَزَاءَهُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ وَالْأُمَّةِ خَيْرًا
 فَكَانَ اشْتِغَالُهُمْ بِمَجْمَعِ الْأُصُولِ وَتَنْقِيَتِهَا مِنَ الدَّخِيلِ الَّذِي بَادَرَ
 بِإِذْخَالِهِ أَهْلُ الْإِتِّفَاقِ وَالزُّنْدَقَةِ لِأَغْرَاضٍ شَتَّى. مِنْهَا التَّشْكِيكُ فِي
 الَّذِينَ. وَمِنْهَا الْإِيْتِسَاسُ مَا عِنْدَ الْمُلُوكِ وَمِنْهَا آيِنَاءُ مَذَلَّةٍ فِي قُلُوبِ
 الْعَامَّةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ بِمَا يُحِيطُ بِهِ مَنْ قَرَأَ التَّوَارِيخَ وَتَأَمَّلَهَا.
 وَاجْتِهَادُهُمْ وَبَدَلُ هِمَمِهِمْ فِي تَفْرِيعِ الْفُرُوعِ وَتَثْرِيرِ أَحْكَامِ
 الْحَوَادِثِ مَا كَانَ مِنْهَا وَمَا لَمْ يَكُنْ يُفَرِّضُ وَيَقْدَرُ حَتَّى إِذَا وَقَعَتْ
 الْحَادِثَةُ وَجَدَتْ لَهَا حُكْمًا حَاضِرًا وَأَمْرًا كَافِيًا فِي إِنْقَاضِ أَعْمَالِهَا
 مَا نَعَاهُمْ عَنْ رَاحَةِ أَبْدَانِهِمْ فَكَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَقُولُ لَا يُبَالُ
 الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجَنَسِ. وَأَمَّا مَنْ خَلَقَهُمْ فَكَانَ إِقْبَالُهُمْ عَلَى دَوَائِنِ
 مَشِيئَتِهِمْ يَهْدِيهِمْ وَيُجِدُّونَ تَرْبِيَتَهَا وَيَوْضَحُونَ مَا يَحْتَاجُ لِلتَّوَضُّعِ
 مِنْهَا وَيَسْتَدِرُّونَ عَلَيْهِمْ مَا قَاتَهُمْ تَحَرُّجًا عَلَى أُصُولِهِمُ الَّتِي قَرَّرُوهَا
 إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ نَاطِلًا لَهُمْ فِي سِلْكِ سَلَفِهِمْ. فَكَانَ
 حُكْمُهُمْ وَاجِدًا لَا يَنْزِعُ لَهُمْ وَقْتُ يَسْتَعْمِلُونَهُ فِي تَعَهُّدِ النَّاسِ
 وَدُعَائِهِمْ إِلَى الْخَيْرِ كَمَا هُوَ وَظِيفَةُ تِلْكَ الْأُمَّةِ. ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِ
 هَؤُلَاءِ خَلْفٌ اتَّخَذُوا الْجِدَالَ بَشَرَةً وَالْمُنَادَاةَ سَبِيلًا. وَخَرَجَ بِهِمْ ذَلِكَ

إِلَى سَبَابٍ وَمُشَاقَّةٍ وَاخْتِقَارٍ قَوْمٌ قَوْمًا وَرَجَعَ بِهِمْ إِلَى الْقَدَحِ فِي
السَّلَفِ وَصَارَ الْاِخْتِلَافُ بَيْنَ أَهْلِ الْأَذَاهِبِ مُنْشَأً لِمَدَاوَةٍ إِنْ لَمْ
تَكُنْ فَوْقَ الْمَدَاوَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْأَذْيَانِ فَلَيْسَتْ دُونَهَا. فَكَثِيرًا مَا
كَانَتْ سَبَابًا يُجْرِيهِ السُّيُوفُ يُقَاتِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى دَخَلَ بَيْنَهُمْ
الْحُكْمُ لِإِصْلَاحِهِمْ وَكَانُوا هُمْ الْأَوَّلَى بِذَلِكَ. وَهُوَ حَقُّهُمُ الَّذِي
مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُمْكِنُوا مِنْهُ غَيْرُهُمْ وَصَارُوا أَخْرَابًا يَخَازُ كُلُّ
حِزْبٍ إِلَى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ التُّوَّاحِي وَصَارَتِ الْمَدَائِنُ بِمَنْزِلَةِ الْمَعَالِقِ
وَالْخُصُونِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُهَا تَحْتَ ظِلِّ السِّيَاسَةِ وَقَهْرَهَا وَبَدَلَتْ سِيُوفُ
الْمَنَابِرِ يَقْطَعُ خَشَبٌ فِي صُورَتِهَا يَتَكَبَّرُ عَلَيْهَا الْخُطْبَاءُ حَالَ صُعُودِهِمْ
وَهُبُوطِهِمْ. وَآلُ أَمْرِ الْمُلَاءِ إِلَى كَوْنِهِمْ طَائِفَةً مِنَ الطَّوَاقِبِ الْمُرُوبَةِ
الْمُسَوِّةِ تَحْطُ حَرَكَتِهِمْ أَرْصَادَ الْحُكُومَةِ وَتَأْخُذُهُمْ عِيُونُهَا مِنْهَا لِعَدَدِي
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَحَسْمًا لِلْمَدَّةِ الشَّرِّ بَيْنَهُمْ. وَلَيْسَتْ بِهِمْ أَهْوَاءُ الْمُلُوكِ
الْخَائِرَةِ الْجَهْلَةِ مِنَ التَّكْبَرِ وَالِدَيْلَمِ وَغَيْرِهِمْ. وَنَشَأَ مِنْ ذَلِكَ مَفَاسِدُ
عَظِيمَةٌ مِنْهَا تَمَكُّنُ كَثِيرٍ مِنَ الْجَهْلَةِ الَّذِينَ أَمْضَوْا صُدُورَ أَعْمَارِهِمْ
فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ دُونَ فِكْرَةٍ فِي تَحْصِيلِ سَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ الْحَيَاةِ
حَتَّى دَهَمَهُمْ وَقْتُ الْاِخْتِيَاجِ لِذَلِكَ مِنَ الْاِتِّسَابِ إِلَى الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ
فَقَصَفُوا كُتُبًا مَلَأُوهَا أَحَادِيثَ كَاذِبَةً وَحِكَايَاتٍ غَيْرَ مَعْقُولَةٍ
وَرَوَّجُوهَا عَلَى الْعُلَمَاءِ وَاسْكَلُوهَا بِهَا الْخُبْرَ وَخَطَبُوا مَا لَيْسَ مِنَ الدِّينِ بِهِ .
فَأَيُّ مَفْسَدَةٍ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَيْسَ لَهُ سَبَبٌ إِلَّا أَفْرَاقُ الْمُلَاءِ
وَأَهْمَالُهُمْ أَمْرُ الرِّعَايَةِ. وَلَمْ يَزَلِ الْاِخْتِلَافُ الَّذِي هُوَ مُنْشَأُ تِلْكَ

الْعَادَاةُ مُسْتَمِرًّا يُخْفِيهِ الضَّعْفُ وَتُظْهِرُهُ الْقُوَّةُ كَمَا تَرَى . فَهَلْ يَسُوعُ
لَكَ بَعْدَ مَعْرِفَةِ هَذَا أَنْ تَقُولَ إِنَّهَا الْعِلْمَاءُ . وَإِنْ قُلْتَ إِنَّهَا الْوُعَاظُ
قُلْتَ هَذَا أَقْرَبُ فَإِنَّ الْوُعَاظَ كَانَتْ حِرَّةً شَانِعَةً وَصَنَاعَةً فَاشِيَةً
كَانَ أَهْلُهَا يَتَأَفَّسُونَهَا وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ أَخَذَ عَلَيْهَا الرُّوَاتِبَ مِنْ يَبُوتِ
الْأَمْوَالِ وَأَكْثَرُهُمْ كَانَ يَأْمُ بِهَا الْقِطْعَ مِنَ الْعَامَّةِ الَّذِينَ يَحْضُرُونَ
بِحَالِهِمْ . فَكَانَ الْوُعَاظُ إِذَا فَرَّغَ مِنْ كَلَامِهِ الَّذِي أَعَدَّهُ لِذَلِكَ
الْجُلُوسِ بَسَطَ يَمْنِيَهُ وَطَرَحَ فِيهِ كُلَّ مَا سَحَتَ بِهِ نَفْسُهُ

وَصُنِفَتْ لِأَجْلِ الْوُعَاظِ كُتُبٌ لَقَبُوهَا بِالْجَالِسِ تَشْتَمِلُ عَلَى
تَفْسِيرِ آيَاتٍ مِنْ آيَاتِ التَّرْغِيبِ وَالتَّوْبِ وَبَعْضِ أَحَادِيثِ صَحِيحَةٍ
وَبَعْضِ أَشْعَارٍ وَحِكَايَاتٍ مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي . وَتُعَوِّجُ ذَلِكَ مَا تَرَاهُ فِي
السُّنَنِ الْحُسَيْنِيَّةِ بَعْدَ الْعَصْرِ فِي رَمَضَانَ . وَإِذَا جُلِيسَةُ فَحْضُولِ تِلْكَ
الْكُتُبِ هُوَ مُحْضُولُ حُطْبِ الْمُنَازِلَةِ . وَإِنْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ تِلْكَ
الْفَضَاعَةِ وَهُمْ قَلِيلٌ كَانُوا مِنَ الْفِطْنَةِ وَالذُّكَاةِ وَبَرَاةِ الْمَنْطِقِ
وَبَلَاغَةِ الْعِبَادَةِ بِمَكَانٍ رَفِيعٍ . فَإِنَّ أَكْثَرَهُمُ الْقَصَاصُ الْجَهْلَةُ الَّذِينَ
غَايَةُ أَمْرِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ أَنْ يُلْفِقَ أَحَادِيثَ يَضَعُهَا أَوْ وَضَعَهَا غَيْرُهُ
يُفْرَحُ بِهَا نَفُوسُ الْعَامَّةِ بِمَا يَذْكُرُ مِنْ كَثْرَةِ الثَّرَوَاتِ مَعَ قِلَّةِ الْعَمَلِ
وَمَا يَهْوُونَ مِنْ أَمْرِ الْقَصِيَّةِ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ التَّخْرِيطِ عَلَى
ارْتِكَابِ الشَّهَوَاتِ وَالْأَسْتِزَالِ مَعَ الْأَهْوَاءِ وَطَرَحِ الْمُبَالَاهِ
اعْتِمَادًا عَلَى مَا رَكَّزُوهُ فِي نَفُوسِهِمْ وَشَغَلُوا بِهِ عَشْوَهُمْ مِنْ كَثْرَةِ
أَسْبَابِ الْخَفِيرَةِ وَسَعَةِ الرَّحْمَةِ وَعَظَمِ الْعَفْوِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ . لَا

يَسْكَلُونَ فِي سِوَاهُ حَتَّى صَادَ سَبِيًّا قَوِيًّا فِي حُودِ الطَّبَاعِ وَأَسْتَحْكَمَ
الْتَفَقَ وَالْأَنْصِرَافَ عَنْ تَذَكُّرِ مَعْنَى الْإِجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِي وَتَقْصُلِ
ضُرُورَةَ التَّعَاوُنِ وَالتَّفَكُّرِ فِي إِحْكَامِ أَسْبَابِ التَّعَارُفِ وَالتَّوَاصُلِ
وَالْمُحَادَرَةِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِيمَا يُوجِبُ عِزَّ الْأُمَّةِ وَسَعَادَتَهَا وَسُرُورَ
أَحَادِهَا وَآيَتِهَا جَهْمُ بِالتَّصَافِ وَافْتِخَالِ الْأَقْرِيَاءِ عَلَى الضُّعَفَاءِ مِنْ
بِمَارِ قِيَامِهِمْ فَلَا يَسْلَقُونَ إِلَّا وَصُدُّوهُمْ مُنْشَرَحَةً وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةً
وَتُغَوَّرُهُمْ بِاسَةِ وَوُجُوهُهُمْ مُنْبَسِطَةٌ. قَدْ آمَنَ بَعْضُهُمْ غَوَائِلَ
بَعْضٍ وَتَحَقَّقُوا السَّلَامَةَ مِنْ مَقَاصِدِ السُّوءِ وَالتَّحَاكُرِ بِاسْتِلَابِ
الْأَمْوَالِ وَقَهْرِ النَّفُوسِ وَتَنْجِيهِ الْأَقْرِيَاءِ الضُّعَفَاءِ فِيمَا يَخْتَصُونَ بِهِ
مِنَ اللَّذَاتِ وَيَحَافِظُونَ عَلَيْهِ بِجُدْرَانِ الصُّخُورِ وَأَبْوَابِ الْحَدِيدِ حَتَّى كَانَ
ذَلِكَ مُوَلِّدًا فِي النَّاسِ كَثِيرًا مِنْ خَسِيسِ الطَّبَاعِ أَتَيْتُ بِمِثْلِ بِأَحْكَامِهَا
نَحْوَ الْأَكْتِسَابِ بِجَهَةِ السَّرِقَةِ وَالسُّوَالِ بِالضَّرَاعَةِ وَالدَّرَامِيِّ عَلَى
أَعْيَابِ الْمَكْثَرِينَ. وَأَنْتَ لِذَلِكَ عَارِفٌ وَإِلَيْهِ نَظَرٌ لَا تَجْهَلُ تِلْكَ
الطَّوَائِفَ الْكَاسِبَةَ بِهَذِهِ أَلْوُجُوهُ الرَّدِيئَةِ وَأَسْوَأَهَا حَالًا وَأَحْسَهَا
عَمَلًا وَأَبْضَهَا مَرَدَّدًا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَطْفَأُوا أَنْوَارَ عَقُولِهِمُ الْخَلْقِيَّةَ وَاحْتَدُوا
لَهَبَ قِيَامِهِمُ الطَّبِيعِيَّ وَعَطَّلُوا جَوَارِحَ أَبْدَانِهِمْ بِمَا يَمْلَأُونَ بِهِ رُؤُوسَهُمْ مِنْ
أَشْرِيَةِ خُرَاقَاتِ تَخْرُجُ بِهِمْ مِنْ نَوْعِ الْحَيَوَانِ لَا يَحُورُ أَنْ أَقُولَ مِنْ
نَوْعِ الْإِنْسَانِ يَوُولُ أَمْرُهُمْ إِلَى الْإِخْتِيَاجِ وَطَلَبِ التَّلَاسِ بِأَبْدَانِهِمْ
وَأَبْدَانِهِمْ أَتَقَفَّتْ عَنْهُمْ وَشَغَلُوا بِهَا كَثِيرًا مِنْ أَلْقَرَاغِ أَيْ أَبْدَانِهِمْ وَأَبْدَانِ
نَسْلِهِمْ إِلَى أَنْ يَطْرَحُوا نَفْسَهُمْ بَيْنَ أَيْدِي أَهْلِ الْمَكَايِبِ بِطُرُقِ

الْأَعْمَالِ الْمُتَعَبَةِ وَالْحَوَالِاتِ الشَّاقَّةِ . يُذَكِّرُونَهُمْ ثَوَابَ الصَّدَقَاتِ
وَيُلْحِقُونَ فِي السُّؤَالِ حَتَّى تَمْلَأَ ذَلِكَ نُفُوسُهُمْ وَيَضَعُفَ يَقِينُهُمْ وَتَقْسُو
قُلُوبُهُمْ وَيَلْتَمِسُوا وَجُوهًا لِلطَّعْنِ عَلَى تِلْكَ الطَّائِفَةِ لَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ
أَهْلِ التَّرَاهَةِ مِنْهُمْ وَغَيْرِهِمْ . فَيَكُونُ الْقَدْحُ عَامًّا وَأَلَاخْتِقَارُ شَامِلًا . وَجِهَةٌ
الِإِعْتِبَارِ فِيهِ أَنَّ مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِرُطِيفَةِ الْهَدْيِ وَدَعَاءِ النَّاسِ إِلَى
الْحَيْرِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَبَدُهُمْ مِنَ التَّصَنُّعِ وَأَحْرَصُهُمْ عَلَى الْكَمَالِ .
فَإِنْ آذَنِي هَفْوَةٍ مِنْهُ تَسْقِطُ اعْتِبَارَهُ وَتَسْهَلُ التَّهَانُونَ بِهِ فَلَا يَكُونُ
لِكَلَامِهِ تَأْثِيرٌ فِي آلِهِ وَبِوَيْبٍ وَيَصِيرُ مَجْلِسُهُ مَسَلَةً يُتَلَعَّى بِمُحْذَوْرِهِ
فَكثيرًا مَا كَانَتْ تِلْكَ الْمَجَالِسُ مَوَاعِدَ لِأَهْلِ الْخَلَاعَاتِ وَالْحُجُونِ

المبحث السابع

في الخطب عند العرب

(نقلًا عن الملاحظ والشرطي والقيرواني)

إِنَّا لَا نَعْرِفُ الْخُطْبَ إِلَّا لِلْعَرَبِ وَالْأَنْدَلُسِ . فَمَا أَلْهِنْدُ فَلَنَّمَا لَمْ
مَعَانٍ مُدَوَّنَةٍ وَكُتُبٌ مُخَلَّدَةٌ لَا تُضَافُ إِلَى رَجُلٍ مَعْرُوفٍ وَلَا إِلَى
عَالِمٍ مَوْصُوفٍ . وَإِنَّمَا هِيَ كُتُبٌ مُتَوَارَثَةٌ وَأَدَابٌ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ
سَائِرَةٌ مَذْكُورَةٌ . وَلِلْيُونَانِيِّينَ فِلَسْفَةٌ وَصِنَاعَةٌ مَنْطِقٌ وَكَانَ صَاحِبُ
الْمَنْطِقِ نَفْسُهُ عِيَّيَ اللِّسَانِ غَيْرَ مَوْصُوفٍ بِالْيَبَانِ مَعَ عَلَيْهِ بِتَمْيِيزِ
الْكَلَامِ وَتَفْصِيلِهِ وَمَعَانِيهِ وَبِحِصَانِهِ . وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ جَالِينُوسَ
كَانَ أَنْطَقَ النَّاسِ وَلَمْ يَذْكُرْهُ بِالْخُطَابَةِ وَلَا بِهَذَا الْجِنْسِ مِنْ

الْبَلَاغَةِ وَفِي الْفُرْسِ خُطْبَاءٌ إِلَّا أَنْ كَلَامَ الْفُرسِ وَكُلَّ مَعْنَى لَهُمْ
 فَإِنَّمَا هُوَ عَنْ طُولِ فِكْرَةٍ وَعَنْ اجْتِهَادِ رَأْيٍ وَعَنْ مُشَاوَرَةٍ وَمُعَاوَلَةٍ
 وَعَنْ طُولِ التَّفَكُّرِ وَدِرَاسَةِ الْكُتُبِ وَحِكَايَةِ الثَّانِي عِلْمَ الْأَوَّلِ
 وَزِيَادَةَ الثَّالِثِ فِي عِلْمِ الثَّانِي حَتَّى لَجُمْتَ عِنْدَ تِلْكَ الْفِكْرِ عِنْدَ
 آخِرِهِمْ. وَكُلُّ شَيْءٍ لِلْعَرَبِ فَإِنَّمَا هُوَ بَدِيْعَةٌ وَارْتِجَالٌ وَكَانَهُ الْهَامُ
 وَلَيْسَتْ هُنَاكَ مُعَامَاةٌ وَلَا مُكَابِدَةٌ وَلَا إِجَاهَةٌ فِكْرٍ وَلَا اسْتِغَانَةٌ
 وَإِنَّمَا هُوَ أَنْ يَصْرِفَ أَحَدُهُمْ وَهَمَّهُ إِلَى الْكَلَامِ وَإِلَى رَجْرِجِهِمْ
 الْخِصَامِ أَوْ جِنِّ يَتَمَحَّ عَلَى رَأْسِ بَيْتٍ أَوْ يَحْدُو بِبَعِيرٍ أَوْ عِنْدَ الْمَقَارِعَةِ
 أَوْ الْمَنَاقِلَةِ أَوْ عِنْدَ صِرَاعٍ أَوْ حَرْبٍ قَاهٍ إِلَّا أَنْ يَصْرِفَ وَهَمَّهُ إِلَى
 جُمْلَةِ الْمَذْنَبِ وَإِلَى أَعْمُودِ الَّذِي إِلَيْهِ يَتَّحِدُ قَضِيَّتُهُ الْمَعَانِي أَرْسَالًا
 وَقَبَالٍ عَلَيْهِ الْأَلْفَاظُ أَمْثَالًا. ثُمَّ لَا يُعَيِّدُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَلَا يَدْرِسُهُ
 أَحَدٌ مِنْ وَلَدِهِ وَكَانُوا أَمِينِينَ لَا يَكْتُبُونَ وَمَطْبُوعِينَ لَا يَتَكَلَّفُونَ
 وَكَانَ الْكَلَامُ أَجِيدٌ عِنْدَهُمْ أَظْهَرَ وَأَكْثَرَ وَهُمْ عَلَيْهِ أَقْدَرُ وَلَهُ
 أَقْهَرُ وَكُلُّ وَاحِدٍ فِي نَفْسِهِ أَنْطَقَ وَمَكَانُهُ مِنَ الْيَأْنِ أَرْفَعُ
 وَخُطْبَاهُمْ لِلْكَلَامِ أَجْوَدُ وَالْكَلَامُ عَلَيْهِمْ أَسْهَلُ وَهُوَ عَلَيْهِمْ أَيْسَرُ
 مِنْ أَنْ يَنْتَقِرُوا إِلَى تَحْفِظِهِ وَيَحْتَاجُوا إِلَى تَدْرِيسِهِ. وَلَيْسَ لَهُمْ كَمَنْ حَفِظَ
 عِلْمَ غَيْرِهِ وَأَخَذَ عَلَى كَلَامٍ مِنْ قَبْلِهِ قَمَا يَحْفَظُونَ إِلَّا مَا عَلِقَ
 بِقُلُوبِهِمْ وَاتَّخَمَ بَصُورَهُمْ وَأَتَصَلَ بِغُفُولِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ وَلَا قَصْدٍ
 وَلَا تَحْفَظٍ وَلَا طَلَبٍ وَإِنَّ هَذَا الَّذِي فِي أَيْدِيَا جُزْمٍ مِنْهُ (اه)
 وَمِنْ ائْتَمَرَ فِي الْخُطَابَةِ أَيْضًا قُسُ بْنُ سَاعِدَةَ الْإِيَادِي ائْتَمَرَ

تَجْرَانِ خَطِيبُ الْعَرَبِ وَشَاعِرُهَا وَحَاسِبُهَا وَحَكِيمُهَا فِي
عَصْرِهِ يُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَلَا عَلَى شَرْفٍ وَخَطَبَ عَلَيْهِ. وَأَوَّلُ مَنْ
قَالَ فِي كَلَامِهِ: أَمَّا بَعْدُ. قِيلَ: وَبَعْدُ لَفْظَةٌ عَرَبِيَّةٌ وَقَصْلُ الْخُطَابِ
وَالَّذِي أُوتِيَهُ قُسٌّ هُوَ قَصْلُ الْخُصُومَةِ وَهَذَا يُؤَيِّدُ مَا قِيلَ عَنْهُ إِنَّهُ
أَوَّلُ مَنْ قَالَ: أَلْبَيْتَةُ عَلَى الْمُدْعَى وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ. وَأَوَّلُ
مَنْ أَتَكَأَ عِنْدَ خُطْبَتِهِ عَلَى سَيْفٍ أَوْ عَصَا. وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ: مِنْ
فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ. أَدْرَكَهُ رَسُولُ الْمُسْلِمِينَ وَرَأَاهُ يُمْسِكُظ فَكَانَ
يَأْتِي عَنْهُ كَلَامًا يَسْمَعُهُ مِنْهُ. وَكَانَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَالْبَعْثِ. بَلِيغٌ
الِنُطْقِ وَفِيهِ يَقُولُ الْأَعَشَى:

وَأَقْصَحُ مِنْ قُسٍّ وَاجْرَى مِنْ الَّذِي

بِذِي الْعَيْنِ (١) مِنْ حَقَّانَ أَصْبَحَ خَادِرًا
وَكَانَ قُسٌّ يَفِدُ عَلَى قَيْصَرَ زَائِرًا فَيُكْرِمُهُ وَيَعْظُمُهُ فَقَالَ لَهُ
قَيْصَرُ: مَا أَفْضَلُ أَلَيْلِم. قَالَ: مَعْرِقَةُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ. قَالَ: فَمَا
أَفْضَلُ الْمَقْلِ. قَالَ: وَقُوفُ الْمَرْءِ عِنْدَ عَلَيْهِ. قَالَ: فَمَا أَفْضَلُ
الْأَدَبِ. قَالَ: اسْتِيقَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ وَجْهِهِ. قَالَ: فَمَا أَفْضَلُ الْمَرْءِ
قَالَ: قِلَّةُ رَغْبَةِ الْمَرْءِ فِي إِخْلَافٍ وَعَدِهِ. قَالَ: فَمَا أَفْضَلُ أَلْمَالِ.
قَالَ: مَا قُضِيَ بِهِ لَحَقُ

وَقِيلَ إِنَّ الْجَارُودَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ لَمَّا وَقَدَّ فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى
رَسُولِ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ سَيِّدًا فِي قَوْمِهِ مُعْظَمًا فِي عَشِيرَتِهِ فَاسْتَمَّ سَأَلَهُ

الرَّسُولُ: يَا جَارُودُ هَلْ فِي جَمَاعَةِ عَبْدِ الْقَيْسِ مَنْ يَعْرِفُ لَنَا قَسًا. قَالَ:
كُنَّا نَعْرِفُهُ. وَأَنَا كُنْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ أَقْصَوُ آثَرِهِ وَأَطْلَعُ خَبْرَهُ. كَانَ
قَسٌ سَبَطًا مِنْ أَسْبَاطِ الْعَرَبِ. صَحِيحُ النَّسَبِ فَصِيحًا ذَا شَيْئَةٍ حَسَنَةٍ
يَتَقَرُّ الْقِفَادَ. وَلَا تَكُنْهُ دَارٌ. وَلَا يُعْرَهُ قَرَارٌ. يَتَحَسَّى فِي تَقَرُّهِ
بَعْضُ الطَّعَامِ. وَيَأْنَسُ بِالْوُحُوشِ وَالْهَوَامِ. يَلْبَسُ الْمُسُوحَ. وَيَتَّبِعُ
السَّيَّاحَ عَلَى مَنَاجِجِ الْمَسِيحِ. لَا يُعْتَرِ الرُّهْبَانِيَّةَ. مُقِرًّا بِالْوَحْدَانِيَّةِ.
تُضْرَبُ بِحِكْمَتِهِ الْأَمْثَالُ. وَتُكْشَفُ بِهِ الْأَهْوَالُ. وَتُقْبَعُ الْأَبْدَالُ.
أَذْرَكَ رَأْسَ الْخَوَارِيزِيِّينَ حَمَانٌ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَأَلَّاهُ مِنَ الْعَرَبِ.
وَأَعْبَدَ مَنْ تَعَبَّدَ فِي الْجَنَّبِ. وَآيَقَنَ بِالْبَيْتِ وَالْحِسَابِ. وَحَذَرَ سُوءِ
الْمُنْقَلَبِ وَالْمَلَابِ. وَوَعَّظَ بِذِكْرِ الْمَوْتِ. وَأَمَرَ بِالْعَمَلِ قَبْلَ الْقَوْتِ.
الْحَسَنُ الْأَلْفَاظِ. الْحَاظِبُ بِسُوقِ عُكَازٍ. الْغَارِفُ بِشَرْقِ وَغَرْبِ.
وَيَاسِرُ وَرَطِبُ. وَأَجَاجٌ وَعَذِبُ. كَاتِي أَنْظَرُ إِلَيْهِ. وَالْعَرَبُ بَيْنَ
يَدَيْهِ يُقِيمُ بِالرَّبِّ الَّذِي هُوَ لَهُ. لِيَبْلُغَنَّ الْكِتَابُ أَجَلَهُ. وَلِيُؤَقِّنَ
كُلَّ عَامِلٍ عَمَلَهُ. ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

هَاجَ الْقَلْبُ مِنْ هَوَاهُ أَدْوَكَارُ وَلِيَالِي خِلَالَهُنَّ نَهَارُ
وَجِبَالُ شَوَايِخِ رَاسِيكَاتُ وَبِحَارُ مِيكَاهُنَّ غِزَارُ
وَبُحُورُ يَحْثُهَا قَرَّ اللَّيْلِ (١) م وَشَمْسُ فِي كُلِّ يَوْمٍ تُدَارُ
ضَوْوُهَا يَطْسُ الْعَيْونَ وَإِذَا عَادُ شَدِيدُ فِي الْحَاقِقَةِ مُثَارُ (٢)
وَعِلَامُ وَاشْمَطُ وَرَضِيعُ كُلُّهُمْ فِي الْأَرْبَابِ يَوْمًا يُزَارُ

(١) ويروى: ونجوم تلوح في ظلم الليل (٢) ويروى: مُطَار

وَقُصُورٌ مَّشِيدَةٌ حَوَتْ الْخَيْرَ م وَأُخْرَى حَوَتْ (١) فَهِنَّ قِفَارٌ
وَكَثِيرٌ بِمَا تُقَصِّرُ عَنْهُ حَدَسَةُ النَّاطِرِ الَّذِي لَا يَحَارُ
وَالَّذِي قَدْ ذَكَرْتُ دَلَّ عَلَى اللَّهِ م نُفُوسًا لَهَا هُدًى وَاعْتِبَارٌ
فَقَالَ رَسُولُ الْمُسْلِمِينَ: يَرْحَمُ اللَّهُ قُصَا إِنِّي لَا رَجُؤَ أَنْ يَبْعَثَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحَدَهُ

وَمِنْ خُطْبٍ قُسِ الْأَثُورَةُ مَا رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ قَالَ:
لَسْتُ أَنْسَاهُ بِسُوقِ عُكَاظٍ (وَهُوَ سُوقٌ بَيْنَ بَطْنِ النُّخْلَةِ وَالطَّائِفَةِ
كَانَ لِلتَّقِيفِ وَقَيْسٍ) عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَوْزَقٌ . وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ .
مُؤْتِقٍ . فَقَالَ جِبْنٌ خُطْبٍ فَاطْنَبَ . وَرَغَبَ وَرَهَبَ . وَحَذَرَ وَأَنْذَرَ .
وَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ أَسْمِعُوا وَعُوا . وَإِذَا رَعَيْتُمْ فَأَتَقِفُوا .
إِنَّهُ مِنْ عَاشٍ مَاتَ . وَمَنْ مَاتَ فَاتَ . وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ . مَطَرٌ
وَنَبَاتٌ . وَآرَاقٌ وَأَقْوَاتٌ . وَأَبْلَاءٌ وَأُمَمَاتٌ . وَأَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتٌ . وَجَمْعٌ
وَشَتَاتٌ . وَآيَاتٌ بَعْدَ آيَاتٍ . لَيْلٌ مَوْضُوعٌ . وَسَقْفٌ مَرْفُوعٌ . وَجُجُومٌ
تَغُورُ . وَآرَاضٍ تُمُودُ . وَجُجُودٌ تُمُوجُ . وَنَجَارَةٌ تُرُوجُ . وَضُوءٌ وَظَلَامٌ . وَبَرٌّ
وَأَنَامٌ . وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ . وَمَلْبَسٌ وَمَرْكَبٌ . أَلَا إِنَّ أَبْلَغَ أَلْفَظَاتِ
السَّيْرِ فِي أَلْفَلَوَاتٍ . وَالنَّظَرِ إِلَى مَحَلِّ الْأَمْوَاتِ . إِنَّ فِي السَّاءِ لِحَيْرًا .
وَأَنَّ فِي الْأَرْضِ لِعِبْرًا . لَيْلٌ دَاجٍ . وَسَاءُ ذَاتُ أَبْرَاجٍ . وَآرَضٌ
ذَاتُ رَنَاجٍ . وَنَجَارٌ ذَاتُ لَمَاجٍ . مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ فَلَا
يَرْجِعُونَ . ارْضُوا بِأَلْفَامٍ فَأَقَامُوا . أَمْ يَكُونُوا هُنَاكَ فَأَمَامُوا . أَقَسَمَ قُسٌ

بِاللَّهِ قَسَمًا حَقًّا لَا آثِمًا فِيهِ وَلَا حَاشًا إِنَّ اللَّهَ دِينًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ
مِنْ دِينِكُمْ الَّذِي آثَمْتُمْ عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: تَبَا لِلْأَرْبَابِ الْفَلَسَةِ مِنْ
الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ. وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ. يَا مَعْشَرَ إِيَّادِ. آيْنَ الْأَبَاءُ
وَالْأَجْدَادُ. وَآيْنَ الْمَرِيضُ وَالْمُعَوَّدُ. وَآيْنَ الْفَرَاغَةُ الشِّدَادُ. آيْنَ مَنْ
بَنَى وَشَيْدَ. وَزَخَرَ وَتَجَدَّ. وَغَرَّهُ أَلْمَالُ وَالْوَلَدُ. آيْنَ مَنْ بَعَى وَطَفَى.
وَجَمَعَ فَأَوْعَى. وَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى. أَلَمْ يَكُونُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ
أَمْوَالًا. وَأَطْوَلَ مِنْكُمْ أَجَالًا. طَحَّيْتُمْ الشَّرَّ بِكُلِّكُلِهِ. وَمَزَقْتُمْ
بِطَّائِلِهِ. فَتِلْكَ عِظَامُهُمْ بِأَيَّةٍ. وَبُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ. عَمَّرْتُمَا إِلَهَاتِ
الْعَاوِيَةِ. كَلَّا بَلْ هُوَ الْمُصَوِّدُ. ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ مِ
لَّمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلنَّوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي تَحْوَهَا تَخْفِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَاكِرُ
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي وَلَا يَبْقَى مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرُ (١)
أَيَقُنْتُ آتِي لَا مَحَا لَهَ حَيْثُ صَادَ أَهْلُ قَوْمِ صَارِ

وَبِمَنْ أَشْتَهَرَ عِنْدَ الْعَرَبِ سَجْبَانُ بْنُ دُرُقَيْنِ إِيَّاسِ الْوَالِيَّ وَائِلُ
بَاهِلَةَ خَطِيبٌ مُفَضِّحٌ يُضْرَبُ بِهِ الْاِتِّلُ فِي الْبَيَانِ. أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَأَسْلَمَ
وَمَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ. وَحَكَى الْأَضْمِيُّ قَالَ: كَانَ إِذَا حُطِبَ
يَسِيلُ عَرَقًا وَلَا يُعِيدُ كَلِمَةً وَلَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَقْعُدُ حَتَّى يَفْرُغَ. وَقَدِّمَ

عَلَى مُعَاوِيَةَ وَفَدَّ مِنْ خُرَاسَانَ فِيهِمْ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ فَطَلَبَ سَجْدَانَ فَلَمْ
يُوجَدْ فِي مَنْزِلِهِ فَأَقْبَضَ مِنْ نَاجِيَةٍ أَقْبَضَابًا وَأَدْخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: تَكَلَّمْ
فَقَالَ: أَنْظِرُوا إِلَى عَصَا تَعْرُومَ مِنْ أَوْدِي. قَالُوا: وَمَا تَضَعُ بِهَا وَأَنْتَ
بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: مَا كَانَ يَضَعُ بِهَا مُوسَى وَهُوَ يُخَاطَبُ
رَبَّهُ وَعَصَاهُ فِي يَدِهِ. فَضَحِكَ مُعَاوِيَةُ وَقَالَ: هَاتُوا عَصَا فَجَاؤُوا بِهَا إِلَيْهِ
فَرَكِبَهَا بِرِجْلِهِ وَلَمْ يَرْضَهَا وَقَالَ: هَاتُوا عَصَايَ فَأَتَوْا بِهَا فَأَخَذَهَا. ثُمَّ
قَامَ وَتَكَلَّمَ مُنْذُ صَلَاةِ الظُّهْرِ إِلَى أَنْ قَامَتِ صَلَاةُ الْعَصْرِ
مَا تَنَفَّحَ وَلَا سَعَلَ وَلَا تَوَقَّفَ وَلَا أَبْتَدَأَ فِي مَعْنَى تَخْرُجَ مِنْهُ وَقَدْ
بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ. فَمَا زَالَ تِلْكَ حَالُهُ حَتَّى أَشَارَ مُعَاوِيَةُ بِيَدِهِ
فَأَشَارَ إِلَيْهِ سَجْدَانُ أَنْ لَا تَقْطَعْ عَلَيَّ كَلَامِي فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: الصَّلَاةُ.
قَالَ: هِيَ أَمَامُكَ وَنَحْنُ فِي صَلَاةٍ وَتَحْمِيدٍ وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ. فَقَالَ
مُعَاوِيَةُ: أَنْتَ أَخْطَبُ الْعَرَبِ. فَقَالَ سَجْدَانُ: وَالْعَجَمِ وَالْجَنِّ
وَالْإِنْسِ. وَمِمَّا رُوِيَ عَنْهُ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ الْبَلِيغَةُ يَقُولُ: إِنَّ الدُّنْيَا
دَارُ بَلَاغٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ. أَهِيَ النَّاسُ فَخُذُوا مِنْ دَارِ مَمَرِكُمْ لِدَارِ
مَقَرِّكُمْ وَلَا تَهَيَّكُوا اسْتَارَكُمْ. عِنْدَ مَنْ لَا تُحْتَمَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ.
وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ. قَبْلَ أَنْ تُخْرَجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ. فَفِيهَا
حَيَاتُكُمْ وَلَعِبَرُهَا خُلُوتُكُمْ. إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا هَلَكَ. قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ. وَقَالَتِ
الْمَلَائِكَةُ: مَا قَدَّمَ إِلَهُ. قَدِّمُوا بَعْضًا يَكُونُ لَكُمْ وَلَا تَخْلِفُوا كَلًّا
يَكُونُ عَلَيْكُمْ. وَمِنْ شِعْرِهِ يَدُحْ طَلْحَةُ الطَّلَحَاتِ وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ الْخُرَاعِي:

يَا ظَلْعُ أَكْرَمَ مَنْ يَهَا حَسَبًا وَأَعْظَمُهُمْ تِلَالِدًا
 مِنْكَ أَلَطَاءُ فَأَعْطِنِي وَعَلَيَّ مَدْحُكَ فِي الشَّاهِدِ
 فَيَعَالُ إِنْ ظَلْعُهُ قَالَ لَهُ: اخْتَكِمِ. قَالَ: فَرَسَكَ الْوَرْدَ وَقَضَرَكَ
 بِكَذَا. فَقَالَ ظَلْعُهُ أَفَ لَكَ لَوْ سَأَلْتَنِي عَلَى قَدْرِي أَعْطَيْتُكَ كُلَّ
 فَرَسٍ لِي وَكُلَّ قَضَرٍ وَلَكِنْ أَبَيْتُ إِلَّا بِأَهْلِيَّتِكَ
 وَذَكَرَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى فِي مَجْلِسِ ثَمَامَةَ بْنِ أَشْرَسَ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ
 أَحَدًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ كَانَ أَبْسَطَ لِسَانًا وَلَا أَلَحْنَ بِحُجَّتِهِ وَلَا أَقْدَرَ
 عَلَى كَلَامٍ بِنَظْمٍ حَسَنٍ وَالْقَاضِي عَذْبَةٌ وَمَنْطِقِي فَصِيحٌ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ
 يَحْيَى كَانَ لَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَحْبَسُ وَلَا يَصِلُ كَلَامُهُ بِحُجَّتِهِ مِنْ التَّكَلُّمِ
 وَلَا يُعِيدُ لَفْظًا وَلَا مَعْنَى وَلَا يُخْرِجُ مِنْ فَمِّهِ إِلَى غَيْرِهِ حَتَّى يَبْلُغَ
 آخِرَ مَا فِيهِ. وَكَانَ لَا يَرَى شَيْئًا إِلَّا حَكَاهُ وَلَا يَخْفِي شَيْئًا إِلَّا
 كَانَ أَكْثَرَ مِنْهُ وَلَا يُخْرِجُ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا حَفِظَهُ. وَكَانَ إِذَا شَاءَ
 أَضْحَكَ الشَّكْلَى وَأَذْهَلَ الرَّاهِدَ وَحَسَّنَ قَلْبَ الْعَابِدِ. قُلْتُ فَكَيْفَ
 كَانَتْ مَعْرِفَتُهُ. قَالَ: كَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْخَيْرِ الْبَاهِرِ وَالشَّعْرِ
 النَّادِرِ وَالْمَثَلِ السَّائِرِ وَالْقَصَاحَةِ الثَّامَّةِ وَاللِّسَانِ الْبَسِيطِ. قَالَ
 سَهْلُ بْنُ هَارُونَ وَذَكَرَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ وَأَبْنَةُ جَعْفَرًا فَقَالَ: لَوْ كَانَ
 الْكَلَامُ مُتَصَوِّرًا دُرًّا وَيُلْقِيهِ الْمَنْطِقُ جَوْهَرًا لَكَانَ كَلَامُهُمَا
 وَالْمَنْتَقَى مِنَ الْقَاضِيهِمَا. وَلَقَدْ غَبَرَتْ مَعَهُمَا وَأَدْرَكَتْ طَبَقَةُ الشُّكْلَيْنِ
 فِي أَيَّامِهِمَا وَهُمْ يَرُونَ الْبَلَاغَةَ لَمْ تُسْتَكْمَلْ إِلَّا فِيهِمَا. وَلَمْ تُكُنْ
 مَقْصُورَةً إِلَّا عَلَيْهِمَا وَلَا أَنْعَادَتْ إِلَّا لُهُمَا وَإِنَّهَا لَتَبَابُ الْكَرَمِ.

عَنِّي مَنَظَرٍ وَجُودَةٍ مَخْبَرٍ وَسُهولةَ لَفْظٍ وَجَزَاةَ مَنْطِقٍ وَزَاهَةَ نَفْسٍ
وَكَمَالَ خِصَالٍ حَتَّى لَوْ فَاحَرَتِ الدُّنْيَا بِقَلِيلِ أَيَّامِهَا وَالْمَأْثُورُ مِنْ
خَصَائِصِهَا جَمِيعَ أَيَّامٍ مَنْ سِوَاهُمَا مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ يُنْفَخَ فِي
الصُّورِ وَيُبْعَثَ أَهْلُ الْقُبُورِ حَاشَا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ الْكَرَامِ وَسَلَفَ عِبَادِهِ
الْصَّالِحِينَ لَمَا بَاهَتْ إِلَّا بِهَا وَلَا عَوَّلَتْ فِي الْفَخْرِ إِلَّا عَلَيْهِمَا. وَلَقَدْ
كَانَا مَعَ تَهْذِيبِ أَخْلَاقِهِمَا وَمَعْشُولِ مَذَاقِهِمَا وَسَنَا إِشْرَاقِهِمَا
وَكَمَالَ خِصَالِ الْخَيْرِ فِيهِمَا فِي مَحَاسِنِ الْإِيمَانِ كَانَتْ قُطْعَةً فِي الْبَحْرِ
وَالْخُرْدَةَ فِي الْقَفْرِ



الْقِسْمُ الثَّانِي

في علم الشعر

الفصل الاول

في تعريف الشعر وانواعه وفوائده

البحث الاول

في تحديد الشعر

(من ابن خلدون)

إِعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ الْقَرَبِ وَكَلَامَهُمْ عَلَى قَنَيْنِ فَنِ الشَّعْرِ
الْمَنْظُومِ. وَهُوَ الْكَلَامُ الْمَوْزُونُ الْمُلقَى وَمَعْنَاهُ الَّذِي تَكُونُ أَوْزَانُهُ
كُلُّهَا عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ وَهُوَ الْقَافِيَةُ. وَفَنِ الثَّرِ وَهُوَ الْكَلَامُ غَيْرُ
الْمَوْزُونِ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَنَيْنِ يَشْتَمِلُ عَلَى فُنُونٍ وَمَذَاهِبٍ فِي
الْكَلَامِ. فَأَمَّا الشَّعْرُ فَهُوَ الْمَدْحُ وَالنَّجَاءُ وَالرِّثَاءُ. وَأَمَّا الثَّرُّ فَهُوَ
الْكَلَامُ الَّذِي يُرْتَى بِهِ قِطْعًا وَيُلْتَمَسُ فِي كُلِّ كَلِمَتَيْنِ مِنْهُ قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ
وَيُسَمَّى سَجْمًا. وَمِنْهُ الْمُرْسَلُ وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ فِيهِ الْكَلَامُ إِطْلَاقًا

وَلَا يُقْطَعُ أَجْزَاءُ بَلْ يُرْسَلُ إِدْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِقَافِيَةٍ وَلَا
غَيْرِهَا. وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْخُطْبِ وَالِدُّعَاءِ وَتَرْغِيبِ الْجُمْهُورِ وَتَرْهِيهِمْ .
وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَثُورِ إِلَّا أَنَّهُ خَاجٌ عَنِ الْوُضْعَيْنِ
وَلَيْسَ يُسَمَّى مُرْسَلًا مُطْلَقًا وَلَا مُسَجَّمًا بَلْ تَفْصِيلَ آيَاتٍ يَنْتَهِي إِلَى
مَقَاطِعَ يَشْهَدُ الذَّوْقُ بِأَنْتِبَاهِ الْكَلَامِ عِنْدَهَا . ثُمَّ يُعَادُ الْكَلَامُ
فِي الْآيَةِ الْآخَرَى بَعْدَهَا وَيُثْنَى مِنْ غَيْرِ التَّوَامِ حَرْفٍ يَكُونُ
سَجْمًا أَوْ قَافِيَةً . وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ الْقُرْآنِ : اللَّهُ تَرَلَّ أَحْسَنَ الْخَلْقِ كِتَابًا
مُتَشَابِهًا مَتَابِعًا تَقْشِيرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ . وَقَالَ قَدْ
قَصَلْنَا الْآيَاتِ . وَيُسَمَّى آخِرُ الْآيَاتِ مِنْهُ فَوَاعِيلُ إِذْ لَيْسَتْ أَسْجَمًا
وَلَا أَلْتَرَمَ فِيهَا مَا يُلْتَرَمُ فِي السَّجْمِ . وَلَا هِيَ أَيْضًا قَوَافٍ . وَأُطْلِقَ
اسْمُ الْمَثْنِيِّ عَلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا عَلَى السُّنَنِ لِأَدْرَكَاهُ وَأَخْتَصَّتْ
بِاسْمِ الْقُرْآنِ لِلْعَلَبَةِ فِيهَا كَالسَّجْمِ لِلثَّرْيَا وَلِهَذَا سُمِّيَتْ السَّبْعُ الْمَثْنِيَّةُ .
وَأَنْظَرْ هَذَا مَعَ مَا قَالَهُ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَعْلِيلِ تَسْمِيَّتِهَا بِالْمَثْنِيِّ يَشْهَدُ
لَكَ الْحَقُّ بِرُجْحَانِ مَا قُلْنَاهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْقُنُونِ
أَسَالِيبَ تَخْتَصُّ بِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ وَلَا تَضَعُ الْقُرْآنَ الْآخَرَ وَلَا تُسْتَعْمَلُ
فِيهِ مِثْلُ النَّسِيبِ الْمُخْتَصِّ بِالشَّعْرِ وَالْحَمْدِ وَالِدُّعَاءِ الْمُخْتَصِّ بِالْخُطْبِ
وَالِدُّعَاءِ الْمُخْتَصِّ بِالْمُحَاطَبَاتِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ
أَسَالِيبَ الشَّعْرِ وَمَوَازِيئَهُ فِي الْمَثُورِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَنْجَاعِ وَالْإِزَامِ
الْتَفْقِيَةِ وَتَقْدِيمِ النَّسِيبِ بَيْنَ يَدَيِ الْأَعْرَاضِ وَصَارَ هَذَا الْمَثُورُ
إِذَا تَأَمَّلْتَهُ مِنْ بَابِ الشَّعْرِ وَقِيهِ وَلَمْ يَنْتَرِقَا إِلَّا فِي الْوُزْنِ . وَأَسْتَمَرَّ

أَلْتَأَخَّرُونَ مِنْ الْكِتَابِ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَأَسْتَعْمَلُوا فِي الْحُطَّابَاتِ
السُّلْطَانِيَّةِ وَقَصَرُوا الْإِسْتِعْمَالَ فِي التَّنْشُورِ كُلِّهِ عَلَى هَذَا الْقَنْ أَلَّذِي
أَرْتَضَوْهُ وَخَلَطُوا الْأَسَالِيبَ فِيهِ وَهَجَرُوا الْمُرْسَلِ وَتَنَاسَوْهُ وَخُصُوصًا
أَهْلَ الْمَشْرِقِ وَصَارَتِ الْحُطَّابَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ لِهَذَا الْهَدْيِ عِنْدَ الْكِتَابِ
الْقَلْبِ جَارِيَةً عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ الَّذِي أَشَرْنَا إِلَيْهِ. وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ
مِنْ جِهَةِ ابْتِلَاقِهِ لَّا يُلَاحَظُ فِي طَبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ
مِنْ أَحْوَالِ الْحُطَّابِ وَالْحُطَّابِ. وَهَذَا الْقَنْ التَّنْشُورُ أَلْمُقْتَضَى أَدْخَلَ
أَلْتَأَخَّرُونَ فِيهِ أَسَالِيبَ الشِّعْرِ فَوَجَبَ أَنْ تُتَذَرَّ الْحُطَّابَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ
مَنْهُ إِذَا أَسَالِيبُ الشِّعْرِ تَنَافَتْ فِيهَا اللَّوْذِيعَةُ وَخَلَطَ الْجِدُّ بِالْهَزْلِ وَالْإِطْنَابُ
فِي الْأَوْصَافِ وَضُرِبَ الْأَمْثَالُ وَكَثُرَتْ التَّشْبِihَاتُ وَالْإِسْتِعَارَاتُ
حَيْثُ لَا تَدْعُو ضَرُورَةٌ إِلَى ذَلِكَ فِي الْحُطَّابِ. وَالتَّخْمُودُ فِي الْحُطَّابَاتِ
السُّلْطَانِيَّةِ الْقَرِيشُ وَهُوَ بِطَّلَاقِ الْكَلَامِ وَإِرْسَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَنْجِيعٍ
إِلَّا فِي الْأَقْلِ الْأَدِيرِ وَحَيْثُ تُرِيدُ الْمَلَكَةُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ
لَهُ. ثُمَّ إِعْطَاءُ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَإِنَّ
أَلْقَامَاتٍ مُخْتَلِفَةً وَلِكُلِّ مَقَامٍ أَسْلُوبٌ يَخُصُّهُ مِنْ إِطْنَابٍ أَوْ إِجَازٍ
أَوْ حَذْفٍ أَوْ إِثْبَاتٍ أَوْ قَصْرِجٍ أَوْ إِشَارَةٍ وَكَيْافَةٍ وَأَسْتِعَارَةٍ.
وَأَمَّا إِجْرَاءُ الْحُطَّابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هَذَا النُّحْوِ الَّذِي هُوَ عَلَى
أَسَالِيبِ الشِّعْرِ قَدْ ذُكِرَ وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصْرِ إِلَّا أَسْتِيفَاءُ
الْفَحْمَةِ عَلَى السِّتِيمِ وَقُصُورُهُمْ لِذَلِكَ عَنْ إِعْطَاءِ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي
مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَهَجَرُوا عَنْ الْكَلَامِ الْمُرْسَلِ لِيُعْدِ أَمْدُهُ

فِي الْبَلَاغَةِ وَأَنْفَسَاحِ خَطَوَاتِهِ وَلَوْلَا هَذَا الْمُسَجِّعُ يُلْقُونَ بِهِ مَا
 نَقَصَهُمْ مِنْ تَطْيِيقِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَقْصُودِ وَمُقْتَضَى الْحَالِ فِيهِ
 وَيُخَيِّرُونَهُ بِذَلِكَ الْقَدْرَ مِنَ الدَّرَجَاتِ بِالْأَنْجَاعِ وَالْأَلْقَابِ الْبَدِيعَةِ
 وَيَسْأَلُونَ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ. وَكَثُرَ مَنْ أَخَذَ بِهَذَا الْقَنْ وَبَالَغَ فِيهِ فِي
 سَائِرِ أَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ كُتَابُ الْمَشْرِقِ وَشِعْرَاؤُهُ لِهَذَا الْمَهْدِ حَتَّى إِنْهُمْ
 لَيُحْسِنُونَ بِالْإِعْرَابِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالْتَّصْرِيفِ إِذَا دَخَلَتْ لَهُمْ فِي
 تَحْيِيسٍ أَوْ مُطَابَقَةٍ لَا يَحْتَمِلَانِ مَعَهَا فَيَرْجَحُونَ ذَلِكَ الْخِصْفَ بَيْنَ
 التَّحْيِيسِ وَيَدْعُونَ الْإِعْرَابَ وَيُفْسِدُونَ بَيْنَهُ الْكَلِمَةَ عَسَاهَا تُصَادَفُ
 التَّحْيِيسَ. فَمَّا مَلَّ ذَلِكَ بِمَا قَدْ مَنَاهُ لَكَ تَقِفْ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ
 وَاللَّهُ أَلْمَوْفِقُ إِلَى الصَّوَابِ بِتَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

البحث الثاني

في صناعة الشعر وأنواع الأشعار

(عن تلخيص كتاب ارسطاطاليس في الشعر تأليف أبي الوليد بن رشد)

الْقَرَضُ فِي هَذَا الْقَوْلِ تَحْيِيسُ مَا فِي كِتَابِ اِرِسْطَاطَالِيسَ فِي
 الشَّعْرِ مِنْ الْقَوَائِنِ الْكَلِمَةِ الْمَشْتَرَكَةِ لِجَمِيعِ الْأَنْحَاءِ أَوْ لِلْأَكْثَرِ إِذَا
 كَثُرَ بِمَا فِيهِ قَوَائِنُ خَاصَّةٌ بِأَشْعَارِهِمْ وَعَادَتِهِمْ فِيهَا. وَإِنَّمَا أَنْ
 تَكُونَ نِسْبًا مَوْجُودَةً فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَوْ مَوْجُودَةً فِي غَيْرِهِ مِنْ
 الْأَلْسِنَةِ. (قَالَ) إِنْ قَصَدْنَا الْآنَ التَّكَلُّمَ فِي صِنَاعَةِ الشَّعْرِ
 وَفِي أَنْوَاعِ الْأَشْعَارِ. وَقَدْ يَجِبُ عَلَى مَنْ يُرِيدُ أَنْ تَكُونَ الْقَوَائِنُ

الَّتِي يُعْطَى فِيهَا تَجْرِي تَجْرَى الْجُودَةِ أَنْ يَقُولَ أَوَّلًا مَا فِصْلُ كُلِّ
وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْوَاعِ الشَّعْرِيَّةِ وَبِمَاذَا تَتَقَوَّمُ الْأَقَاوِيلُ الشَّعْرِيَّةُ وَمِنْ
كَمْ شَيْءٍ تَتَقَوَّمُ وَأَيُّمَا هِيَ أَجْزَاؤُهَا الَّتِي تَتَقَوَّمُ بِهَا وَكَمْ أَصْنَافُ
الْأَغْرَاضِ الَّتِي تُقْصَدُ بِالْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ . وَأَنْ يَجْعَلَ كَلَامَهُ مِنْ
الْأَوَائِلِ الَّتِي لَنَا بِالطَّبَعِ فِي هَذَا الْمَعْنَى . (قَالَ) فَكُلُّ شَيْءٍ وَكُلُّ قَوْلٍ
شِعْرِيٌّ فَهُوَ إِمَّا هِجَاءٌ وَإِمَّا مَدِيحٌ وَذَلِكَ بَيِّنٌ بِاسْتِقْرَاءِ الْأَشْعَارِ
وَبِمُخَاصَّةِ أَشْعَارِهِمْ الَّتِي كَانَتْ فِي الْأُمُورِ الْإِرَادِيَّةِ . أَعْنِي الْحَسَنَةَ
وَالْقَبِيحَةَ وَكَذَلِكَ أَحَالَ فِي الصَّنَائِعِ الْمُحَاكِمَةِ لِصِنَاعَةِ الشَّعْرِ الَّتِي
هِيَ الضَّرْبُ بِالْعِيدَانِ وَالزَّمْرُ وَالرَّقْصُ أَعْنِي أَنَّهَا مُعَدَّةٌ بِالطَّبَعِ
لِهَذَيْنِ الْقَرَضَيْنِ . وَالْأَقَاوِيلُ الشَّعْرِيَّةُ هِيَ الْأَقَاوِيلُ الْحَيَّةُ . وَأَصَافُ
الْخَيْلَ وَالشَّيْبَ ثَلَاثَةً اِثْنَانِ بَيْطَانٍ وَثَلَاثُ مُرَكَّبٍ مِنْهَا . أَمَّا
الْإِثْنَانُ الْبَيْطَانُ فَاحَدُهُمَا تَشْبِيهُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ وَتَشْبِيهُ بِهِ وَذَلِكَ
يَكُونُ فِي لِسَانِ لِسَانٍ بِالْفَاظِ خَاصَّةً عِنْدَهُمْ مِثْلَ كَانَ وَإِخَالُ
وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى عِنْدَهُمْ حُرُوفَ
التَّشْبِيهِ . وَإِمَّا أَخَذَ الشَّيْبَ بِمَعْنَى بَدَلِ الشَّيْبِ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى
الْإِبْدَالَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

هُوَ الْجُرُّ مِنْ آيٍ الْمَوَاضِعِ جُشَّةٌ

وَيَتَّبِعِي أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ فِي هَذَا الْقِسْمِ تَدْخُلُ الْأَنْوَاعُ الَّتِي
يُسَمَّى أَهْلُ زَمَانِنَا اسْتِعَارَةً وَكِنَايَةً مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَّاحُهُ

إِلَّا أَنَّ الْكِتَابَاتِ أَكْثَرُ ذَلِكَ هِيَ إِبْدَالَاتٌ مِنْ لَوَاقِحِ
الشَّيْءِ . وَالْإِسْتِعَارَةُ هِيَ إِبْدَالٌ مِنْ مُنَاسِبِهِ أَنْفِي إِذَا كَانَ شَيْءٌ
نَسَبْتُهُ إِلَى الثَّانِي نِسْبَةً الثَّلَاثِ إِلَى الرَّابِعِ فَأِبْدَالُ اسْمِ الثَّلَاثِ
إِلَى الْأَوَّلِ وَبِالْعَكْسِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي كِتَابِ لُحْطَابَةِ مِنْ كَمْ شَيْءٌ
تَكُونُ الْإِبْدَالَاتُ . وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي فَهُوَ أَنْ يُبَدِّلَ الشَّيْءُ مِثْلَ
أَنْ تَقُولَ : الشَّسُّ كَأَنَّهَا فُلَانٌ أَوْ الشَّسُّ هِيَ فُلَانٌ لَا فُلَانٌ
كَالشَّسِّ وَلَا هُوَ الشَّسُّ

وَالصِّفُ الثَّلَاثُ مِنَ الْأَقَاوِيلِ الشَّرْعِيَّةِ هُوَ الْمُرَكَّبُ مِنْ هَذَيْنِ
(قَالَ) وَكَمَا أَنَّ النَّاسَ بِالطَّبْعِ قَدْ يُحْيِلُونَ وَيُحَاكُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
بِالْأَفْعَالِ مِثْلَ مُحَاكَاةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا بِالْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ
وَالْأَصْوَاتِ وَذَلِكَ إِمَّا بِصَاحَةِ وَمَلَكَهْ تُوجَدُ لِلْمُحَاكِينَ وَإِمَّا مِنْ
قَبْلِ عَادَةٍ تَقَدَّمَتْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ . كَذَلِكَ تُوجَدُ لَهُمُ الْمُحَاكَاةُ
بِالْأَقَاوِيلِ بِالطَّبْعِ وَالْخَيْلِ . وَالْمُحَاكَاةُ فِي الْأَقَاوِيلِ الشَّرْعِيَّةِ تَكُونُ
مِنْ قَبْلِ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : مِنْ قَبْلِ النِّعَمِ الْمُتَّفِقَةِ وَمِنْ قَبْلِ الْوُزْنِ
وَمِنْ قَبْلِ التَّشْبِيهِ نَفْسِهِ . وَهَذِهِ قَدْ يَوْجَدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُفْرَدًا عَنْ
صَاحِبِهِ مِثْلَ وُجُودِ النِّعَمِ فِي الْمُرَامِيدِ وَالْوُزْنِ فِي الرِّقَصِ وَالْمُحَاكَاةِ
فِي اللَّفْظِ . أَعْنِي الْأَقَاوِيلَ الْمُخَيَّلَةَ الْغَيْرَ مَوْزُونَةٍ . وَقَدْ تَجَمَّعَ هَذِهِ
الْثَلَاثَةُ بِأَسْرِهَا مِثْلَ مَا يَوْجَدُ عِنْدَنَا فِي النَّوْعِ الَّذِي يُسَمَّى
الْمُوتَحَاتِ وَالْأَزْجَالِ وَهِيَ الْأَشْعَارُ الَّتِي اسْتَبْطَهَا فِي هَذَا اللَّسَانِ
أَهْلُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ إِذْ كَانَتْ الْأَشْعَارُ الطَّبِيعِيَّةُ هِيَ مَا جَمَعَتْ

الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا. وَالْأُمُورُ الطَّبِيعِيَّةُ إِنَّمَا تُوجَدُ لِلْأَمْرِ الطَّبِيعِيِّ فَإِنَّ
أَشْعَارَ الْعَرَبِ لَيْسَ فِيهَا لَحْنٌ. وَإِنَّمَا هِيَ إِمَّا أَلْوَزْنُ فَقَطْ وَإِمَّا أَلْوَزْنُ
وَالْحَاكَاةُ مَعًا فِيهَا. وَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا فَالصَّنَاعَةُ الْحَيَّةُ أَوِ الْيَتِي
تَفْعَلُ فَعَلُ التَّخِيلِ ثَلَاثَةٌ. صِنَاعَةُ اللَّحْنِ وَصِنَاعَةُ أَلْوَزْنٍ وَصِنَاعَةُ
عَمَلِ الْأَقَاوِيلِ الْحَاكِيَّةِ وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ الْمُنْطَقِيَّةُ الَّتِي تَنْظُرُ فِيهَا
فِي هَذَا الْكِتَابِ. (قَالَ): وَكَثِيرًا مَا يُوجَدُ مِنَ الْأَقَاوِيلِ الَّتِي تُسَمَّى
أَشْعَارًا مَا لَيْسَ فِيهَا مِنْ مَعْنَى الشَّعْرِيَّةِ إِلَّا أَلْوَزْنُ فَقَطْ كَأَقَاوِيلِ
شُعْرَاطِ الْمَوْزُونَةِ وَأَقَاوِيلِ إِنْبَادِ قَلِيلٍ فِي الطَّبِيعِيَّاتِ بِخِلَافِ الْأَمْرِ
فِي أَشْعَارِ أَوْمِيْدُوشَ فَإِنَّهُ يُوجَدُ فِيهَا الْأَمْرَانِ جَمِيعًا. (قَالَ): وَلِذَلِكَ
لَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يُسَمَّى شِعْرًا بِالْحَقِيقَةِ إِلَّا مَا جَمَعَ هَذَيْنِ. وَأَمَّا
تِلْكَ فَهِيَ أَنْ تُسَمَّى أَقَاوِيلَ أُخْرَى مِنْهَا أَنْ تُسَمَّى شِعْرًا
وَكَذَلِكَ الْقَائِلُ أَقَاوِيلَ مَوْزُونَةٍ بِالطَّبِيعِيَّاتِ هُوَ أُخْرَى أَنْ يُسَمَّى
مُتَكَلِّمًا مِنْ أَنْ يُسَمَّى شَاعِرًا. وَكَذَلِكَ الْأَقَاوِيلُ الْحَيَّةُ الَّتِي
تَكُونُ مِنْ أَوْزَانٍ مُخْتَلِطَةٍ لَيْسَتْ أَشْعَارًا. وَحُكْمِي أَنْ كَانَتْ
تُوجَدُ عِنْدَهُمْ أَعْنِي مِنْ أَوْزَانٍ مُخْتَلِطَةٍ وَهَذَا غَيْرُ مَوْجُودٍ عِنْدَنَا فَقَدْ
تَبَيَّنَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ لَمْ يَكُنْ هِيَ أَصْنَافُ الْحَاكَاةِ وَمِنْ أَيْ الصَّانِعِ
تَلْتِمُ الْحَاكَاةُ بِالْقَوْلِ حَتَّى تَكُونَ تَامَةً الْفِعْلِ



البحث الثاني

في غاية صناعة الشعر

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) وَلَمَّا كَانَ الْحَاكُونَ وَالْمُشَبِّهُونَ إِنَّمَا يَقْصِدُونَ
بِذَلِكَ أَنْ يُحْثُوا عَلَى عَمَلِ بَعْضِ الْأَفْعَالِ الْإِرَادِيَّةِ وَأَنْ يَكْتُبُوا
عَنْ عَمَلِ بَعْضِهَا قَدْ يَجِبُ ضَرُورَةٌ أَنْ تَكُونَ الْأُمُورُ الَّتِي تُقْصَدُ
مُحَاسَنَاتُهَا إِنَّمَا فَضَائِلُ وَإِمَّا رَدَائِلُ وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ وَكُلَّ خُلُقٍ إِنَّمَا
هُوَ تَابِعٌ لِأَحَدِ هَذَيْنِ أَعْنِي الْفَضِيلَةَ وَالرَّذِيئَةَ قَدْ يَجِبُ ضَرُورَةٌ
أَنْ تَكُونَ الْفَضَائِلُ إِنَّمَا مُحَاكَاةُ بِالْفَضَائِلِ وَالْفَاعِلِينَ وَأَنْ تَكُونَ
الرَّدَائِلُ مُحَاكَاةُ بِالرَّدَائِلِ وَالْأَرْدَائِلِ. وَإِذَا كَانَ كُلُّ تَشْبِيهِ وَحِكَايَةٍ
إِنَّمَا تَكُونُ بِالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ فَظَاهِرٌ أَنَّ كُلَّ تَشْبِيهِ وَحِكَايَةٍ إِنَّمَا
يُقْصَدُ بِهَا التَّحْسِينُ وَالتَّقْبِيحُ وَقَدْ يَجِبُ مَعَ هَذَا ضَرُورَةٌ أَنْ يَكُونَ
الْحَاكُونَ لِلْفَضَائِلِ أَعْنِي اللَّائِلِينَ بِالطَّبَعِ إِلَى مُحَاكَنَاتِهَا أَفْضَلُ.
وَالْحَاكُونَ لِلرَّدَائِلِ أَنْصَحُ طَبَعًا مِنْ هَؤُلَاءِ وَأَقْرَبُ إِلَى الرَّذِيئَةِ
وَعَنْ هَذَيْنِ الصَّنَفَيْنِ مِنَ النَّاسِ وَجَدَ الْمَدِيحُ وَالْمُجَبِّو. أَعْنِي مَدَحَ
الْفَضَائِلِ وَهَجُوَ الرَّدَائِلِ وَلِهَذَا كَانَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يُجِيدُ الْمَدْحَ وَلَا
يُجِيدُ الْهَجُوَ وَبَعْضُهُمْ بِالْعَكْسِ أَعْنِي يُجِيدُ الْهَجُوَ وَلَا يُجِيدُ الْمَدْحَ
فَإِذَا كَانَ بِالْوَاجِبِ مَا كَانَ يُوجَدُ لِكُلِّ تَشْبِيهِ وَحِكَايَةٍ هَذَانِ

الْقَضْلَانِ أَعْنِي التَّحْسِينَ وَالتَّشْبِيحَ وَهَذَانِ الْقَضْلَانِ إِنَّمَا يُوجَدَانِ
لِلتَّشْبِيهِ وَالْحَاكَاةُ الَّتِي تَكُونُ بِالْقَوْلِ لَا الْحَاكَاةُ الَّتِي تَكُونُ
بِالْوِزْنِ وَلَا الَّتِي تَكُونُ بِالْحَنِّ. وَقَدْ يُوجَدُ لِلتَّشْبِيهِ بِالْقَوْلِ فَضْلٌ
كَأَنَّ وَهُوَ التَّشْبِيهُ الَّذِي يُقْصَدُ بِهِ مُطَابَقَةُ الشَّيْءِ بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ
يُقْصَدَ فِي ذَلِكَ تَحْسِينٌ أَوْ تَشْبِيحٌ لَكِنْ نَفْسُ الْمُطَابَقَةِ وَهَذَا
النَّوعُ مِنَ التَّشْبِيهِ هُوَ كَالْمَادَّةِ الْمَعْدَّةِ لِأَنَّهُ يَنْحِيلُ إِلَى الطَّرَفَيْنِ
أَعْنِي أَنَّهَا تَنْحِيلُ تَارَةً إِلَى التَّحْسِينِ بِزِيَادَةِ عَلَيْهَا وَتَارَةً إِلَى التَّشْبِيحِ
بِزِيَادَةِ أَيْضًا عَلَيْهَا (قَالَ) وَهَذِهِ كَانَتْ طَرِيقَةُ أَوْمِيدُوشَ أَعْنِي أَنَّهُ
كَانَ يَأْتِي فِي تَشْبِيهَاتِهِ بِالْمُطَابَقَةِ وَالزِّيَادَةِ الْحُسْنَى وَالْمُنْجَنَةِ. وَمِنْ
الشُّعْرَاءِ مَنْ إِجَادَهُ إِنَّمَا هِيَ فِي الْمُطَابَقَةِ فَقَطَّ. وَمِنْهُمْ مَنْ إِجَادَهُ
فِي التَّحْسِينِ وَالتَّشْبِيحِ. وَمِنْهُمْ مَنْ جَمَعَ الْأَمْرَيْنِ مِثْلُ أَوْمِيدُوشَ
وَمَثَلٍ فِي كُلِّ صَنْفٍ مِنْ هَؤُلَاءِ بِأَصْنَافٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ كَانُوا
مَشْهُورِينَ فِي مَدَنِيَّتِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ بِاسْتِعْمَالِ صَنْفٍ صَنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ
هَذِهِ التَّشْبِيهَاتِ الثَّلَاثَةِ. وَأَنْتَ فَلَيْسَ يَغْنُرُ عَلَيْكَ وَجُودُ مِثَالَاتِ
ذَلِكَ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ إِنَّمَا هِيَ
كَمَا يَقُولُ أَبُو نَضْرٍ فِي النَّهْرِ وَالْكَرِيهِ. وَذَلِكَ أَنَّ النَّوعَ الَّذِي
يُسَمُّونَهُ النَّسِيبَ إِنَّمَا هُوَ حَثٌّ عَلَى الْفُسُوقِ وَإِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَحْجَبَهُ
الْوِلْدَانُ وَيُودِّبُونَ مِنْ أَشْعَارِهِمْ بِمَا يُحِثُّ فِيهِ عَلَى السَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ.
فَإِنَّهُ لَيْسَ تَحْتَ الْعَرَبِ فِي أَشْعَارِهَا مِنَ الْقَضَائِلِ عَلَى سِوَى هَاتَيْنِ
الْقَضِيلَتَيْنِ وَإِنْ كَانَتْ لَيْسَ تَتَكَلَّمُ فِيهَا عَلَى طَرِيقِ الْحَثِّ عَلَيْهَا

وَأِنَّمَا تَتَكَلَّمُ فِيهَا عَلَى طَرِيقِ الْفَحْرِ. وَأَمَّا الصَّنْفُ مِنَ الْأَشْعَارِ
الَّذِي الْمَقْصُودُ بِهِ الْمَطَابَقَةُ فَقَطُّ فَهُوَ مَوْجُودٌ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ
وَلِذَلِكَ يَصِفُونَ الْجَمَادَاتِ كَثِيرًا وَالْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتِ. وَأَمَّا الْيُونَانِيُّونَ
فَلَمْ يَكُونُوا يَقُولُونَ أَكْثَرَ ذَلِكَ شِعْرًا إِلَّا وَهُوَ مُوجَّهٌ نَحْوَ الْقَضِيَّةِ
أَوْ الْكَفِّ عَنِ الرِّذِيلَةِ أَوْ مَا يُفِيدُ آدَبًا مِنَ الْأَدَابِ أَوْ مَعْرِفَةً
مِنَ الْمَعَارِفِ. فَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ أَصْنَافَ الشَّيْئَاتِ
ثَلَاثَةٌ أَصُولٌ وَأَنَّ فُصُولَهَا ثَلَاثَةٌ وَتَبَيَّنَ مَا هِيَ هَذِهِ الْفُصُولُ
الثَّلَاثَةُ وَالْأَصْنَافُ الثَّلَاثَةُ. وَيُشَبَّهُ إِذَا اسْتَعْرِيتِ الْأَشْعَارُ أَنْ يَقَعَ
الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَيْسَ هَاهُنَا صِنْفٌ رَابِعٌ مِنْ أَصْنَافِ الشَّيْئَاتِ وَلَا
فُضْلٌ رَابِعٌ مِنْ فُصُولِ تِلْكَ الْأَصْنَافِ

المبحث الثالث

في العلل المولدة للشعر

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) وَيُشَبَّهُ أَنْ تَكُونَ الْعِلَلُ الْمَوْلِدَةُ لِلشَّعْرِ بِالطَّبْعِ فِي
النَّاسِ عِلَّتَيْنِ. أَمَّا الْعِلَّةُ الْأُولَى فَوُجُودُ الشَّيْءِ وَالْحَاصَّةُ لِلْإِنْسَانِ
بِالطَّبْعِ مِنْ أَوَّلِ مَا يَنْشَأُ أَعْنِي أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ يُوجَدُ لِلنَّاسِ وَهُمْ
أَطْفَالٌ وَهَذَا شَيْءٌ يَخْتَصُّ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنْ دُونِ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ
وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْحَيَوَانِ هُوَ الَّذِي

يَلْتَذُّ بِالتَّشْبِيهِ لِلْأَشْيَاءِ الَّتِي قَدْ أَحَسَّهَا وَبِالْحَاكَاةِ لَهَا. وَالذَّلِيلُ عَلَى
 أَنَّ الْإِنْسَانَ يُسَرُّ بِالتَّشْبِيهِ بِالطَّعْمِ. وَيَفْرَحُ هُوَ أَنَّا تَلْتَذُّ وَنَسُرُّ
 بِحَاكَاةِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا تَلْتَذُّ بِإِحْسَاسِهَا وَبِجَاثَةِ إِذَا سَكَتَتْ
 الْحَاكَاةُ شَدِيدَةً الْإِسْتِفْصَاءِ مِثْلُ مَا يَعْزُضُ فِي تَقَاوِيرِ كَثِيرٍ
 مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يَعْمَلُهَا الْمَهْرَةُ مِنَ الْمَصَوِّرِينَ وَلِهَذَا الْعِلَّةُ
 اسْتُعْمِلَ فِي التَّعْلِيمِ عِنْدَ الْإِنْفَاهِ. وَالْحَاكُطِ الْإِشَارَاتِ قَانَهَا أَدَاةُ
 مُعِينَةٍ عَلَى فَهْمِ الْأَمْرِ الَّذِي يُقْصَدُ تَفْهِيمُهُ لِمَكَانٍ مَا فِيهَا مِنْ
 الْإِلْتِذَاذِ الَّذِي هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْإِشَارَاتِ مِنْ قَبْلِ مَا فِيهَا مِنْ
 التَّخْيِيلِ فَتَكُونُ النَّفْسُ بِحَسَبِ الْإِذَاذِهَا بِهِ أَمَّ قُبُولًا لَهُ. فَإِنَّ
 التَّعْلِيمَ لَيْسَ إِنَّمَا يُوجَدُ لِلْقِلْسُوفِ قَطُّ بَلْ وَلِلنَّاسِ فِي ذَلِكَ
 مُشَارَكَةٌ يَسِيرَةٌ مَعَ الْقِلْسُوفِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ يُوجَدُ التَّعْلِيمُ بِالطَّعْمِ
 يَصْدُرُ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَى الْإِنْسَانِ بِحَسَبِ قِيَاسِ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ التَّعْلِيمِ
 مِنَ الْإِنْسَانِ التَّعْلِيمِ وَالْإِشَارَاتُ لِمَا سَكَتَتْ إِنَّمَا هِيَ تَشْبِيهَاتٌ
 لِأُمُورٍ قَدْ أُحِسَّتْ فَيَقِينُ أَنَّهَا إِنَّمَا تُسْتَعْمَلُ لِمَوَاضِعِ الْمُسَارَعَةِ إِلَى
 الْقَهْمِ وَالْقَبُولِ لَهُ وَأَنَّهُ إِنَّمَا يُفْهَمُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْإِلْتِذَاذِ لِمَوْضِعِ
 التَّخْيِيلِ الَّذِي فِيهَا. فَهَذِهِ هِيَ الْعِلَّةُ الْأُولَى الْمَوْلِدَةُ لِلشَّعْرِ. وَأَمَّا
 الْعِلَّةُ الثَّانِيَةُ فَالْتِذَاذُ الْإِنْسَانِ أَيْضًا بِالطَّعْمِ بِالْوِزْنِ وَالْأَلْحَانِ فَإِنَّ
 الْأَلْحَانَ يَظْهَرُ مِنْ أَمْرِهَا أَنَّهَا مُنَاسِبَةٌ لِلْوِزْنِ عِنْدَ الَّذِينَ فِي طَبَاعِهِمْ
 أَنْ يُدَبِّكُوا الْأَوْزَانَ وَالْأَلْحَانَ فَالْتِذَاذُ النَّفْسِ بِالطَّعْمِ بِالْحَاكَاةِ
 وَالْأَلْحَانِ وَالْأَوْزَانِ هُوَ السَّبَبُ فِي وُجُودِ الصِّعَاعَاتِ الشَّعْرِيَّةِ

وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَ الْفَيْطَرِ الْقَائِمَةِ فِي ذَلِكَ قَادًا كَسَاتِ الْأُمَّةُ تَوَلَّدَتْ
فِيهِمْ صِنَاعَةُ الشَّعْرِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْأَوَّلَ يَأْتِي مِنْهَا أَوَّلًا بِجُزْءٍ يَسِيرٍ
ثُمَّ يَأْتِي مَنْ بَعْدَهُ بِجُزْءٍ آخَرَ وَهَكَذَا إِلَى أَنْ تَكْمُلَ الصِّنَاعَاتُ
الشَّعْرِيَّةُ . وَتَكْمُلُ أَيْضًا أَصْنَافُهَا بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِ صِنْفٍ صِنْفٍ
مِنْ النَّاسِ لِلْإِتِّدَالِ أَكْثَرُ بِصِنْفٍ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الشَّعْرِ . مِثَالُ
ذَلِكَ أَنَّ النَّفُوسَ الَّتِي هِيَ قَاضِيَةٌ وَشَرِيقَةٌ بِالطَّبْعِ هِيَ الَّتِي تُنْشِئُ
أَوَّلًا صِنَاعَةَ الْمَدِيحِ . أَعْنِي مَدِيحَ الْأَفْعَالِ الْجَمِيلَةِ . وَالنَّفُوسَ الَّتِي هِيَ
أَخْسُ مِنْ هَذِهِ هِيَ الَّتِي تُنْشِئُ صِنَاعَةَ الْعِجَاءِ أَعْنِي هِيَ الْأَفْعَالُ
الْقَبِيحَةِ . وَإِنْ كَانَ قَدْ يُضْطَرُّ الَّذِي مَقْصِدُهُ الْعِجَاءُ لِلشَّرَارِ وَالشُّرُورِ
أَنْ يَدَّخِرَ الْأَخْيَارَ وَالْأَفْعَالِ الْقَاضِيَةَ لِيَكُونَ ظُهُورُ قُبْحِ الشُّرُورِ
أَكْثَرَ أَعْنِي إِذَا ذَكَرَهَا ثُمَّ ذَكَرَ بِأَزَانِهَا الْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةَ . فَهَذَا مَا فِي
هَذَا الْقُصْلِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي شَرَكْتُ لِحَجْمِ الْأَمْرِ أَوْ لِلْأَكْثَرِ وَسَائِرُ
مَا يُذَكَّرُ فِيهِ فَكُلُّهُ أَوْ جُلُّهُ يَمَّا يَخُصُّ أَشْعَارَهُمْ وَعَادَتَهُمْ فِيهَا وَذَلِكَ
أَنَّهُ يَذَكَّرُ أَصْنَافَ الصِّنَاعَاتِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تُسْتَعْمَلُ عِنْدَهُمْ
وَكَيْفَ كَانَ مَنَشَأُ وَاحِدَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بِالطَّبْعِ وَآيُ جُزْءٍ هُوَ الْمُتَعَدِّمُ
مِنْهَا فِي الْكَوْنِ عَلَى أَيْ جُزْءٍ وَبِخَاصَّةٍ فِي صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ وَصِنَاعَةِ
الْعِجَاءِ الْمَشْهُورَتَيْنِ عِنْدَهُمْ وَيَذَكَّرُ مَعَ هَذَا أَوَّلَ مَنْ أَبْدَأَ صِنَاعَةَ
صِنَاعَةٍ مِنْ تِلْكَ الصِّنَائِعِ الشَّعْرِيَّةِ الْمُتَعَادَةِ عِنْدَهُمْ وَمَنْ زَادَ فِيهَا
وَمَنْ كَمَّلَهَا بَعْدَهُ . وَهُوَ فِي هَذَا الْبَابِ يُنْشِئُ عَلَى أُوْمِيدِشْ ثَنَاءً كَثِيرًا
وَيَعْرِفُ أَنَّهُ الَّذِي أَنْعَى مَبَادِي هَذِهِ الصِّنَائِعِ وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ

قَبْلَهُ فِي صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ عَمَلٌ لَهُ قَدْرٌ يُقَدَّرُ بِهِ وَلَا فِي صِنَاعَةِ الْعِجَاءِ وَلَا
 فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصَّنَائِعِ الْمَشْهُورَةِ عِنْدَهُمْ . قَالَ وَالْأَنْقَصُ مِنَ
 الْأَشْعَارِ وَالْأَقْصَرُ هِيَ الْأَتَقْدِمَةُ بِالزَّمَانِ لِأَنَّ الطَّبَاعَ أَسْهَلُ وَتَوَعَّا
 عَلَيْهَا أَوَّلًا . وَالْأَقْصَرُ هِيَ الَّتِي تَكُونُ مِنْ مَقَاطِعِ أَقْلٍ وَالْأَنْقَصُ هِيَ
 الَّتِي تَكُونُ مِنْ مَقَاطِعِ أَقْلٍ أَيْضًا . (قَالَ) وَالِدَلِيلُ عَلَى أَنَّ هَذِهِ
 الْأَنْوَاعَ أَسْبَقُ إِلَى النَّفْسِ أَنَّ النَّاسَ عِنْدَ الْمُنَازَعَاتِ قَدْ يَرْجَحُونَ
 مَصَارِيحَ مَنْ هَذِهِ فِي مُجَادَلَتِهِمْ وَذَلِكَ عِنْدَ الْحَرْجِ . يُرِيدُ فِيمَا أَحْسِبُ
 مِثْلَ قَوْلِ الْقَائِلِ : لَا لَا لَا يُعْطِيهَا صَوْتُهُ . وَمِثْلَ قَوْلِهِ لَيْسَ هَذَا كَذَا
 مَاذَا بِهَا صَوْتُهُ فَإِنَّ أَمْثَالَ هَذِهِ الْمُرَاجَعَاتِ هِيَ مَصَارِيحُ مَوْزُونَةٍ
 ذَاتُ لُحْنٍ وَأَمَّا الَّتِي هِيَ أَطْوَلُ وَأَتَمُّ فَإِنَّمَا ظَهَرَتْ بِأَخْرَجِ كَلِمَاتِ
 فِي سَائِرِ الصَّنَائِعِ . (قَالَ) وَصِنَاعَةُ الْعِجَاءِ لَيْسَ إِنَّمَا يُقْصَدُ بِهَا التَّحَاكَاةُ
 بِكُلِّ مَا هُوَ شَرٌّ وَقَبِيحٌ فَقَطْ بَلْ وَبِكُلِّ مَا هُوَ شَيْءٌ مُسْتَهْزَأٌ بِهِ
 أَيْ مَرْدُولٌ قَبِيحٌ غَيْرُ مُعْتَمَرٍ بِهِ . (قَالَ) وَالِدَلِيلُ عَلَى أَنَّ الْأَسْتَهْزَاءَ
 يَجِبُ أَنْ يَجْمَعَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ الْأَوْصَافَ أَنَّهُ يُوجَدُ فِي وَجْهِ الْمُسْتَهْزِءِ
 هَذِهِ الْأَحْوَالُ الثَّلَاثَةُ أَعْنِي قُبَاحَةَ الْوَجْهِ وَهَيْئَةَ الْأَسْتِغْفَارِ وَقِلَّةَ
 الْأَكْتِرَابِ بِالْمُسْتَهْزَأِ بِهِ وَذَلِكَ بِخِلَافِ وَجْهِ الْقَاضِي أَعْنِي أَنَّ
 فِيهِ قُبْحًا وَاهْتِسَامًا وَتِلْكَ هِيَ حَالَةُ نَفْسِ الْقَاضِي عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي
 يُغَضِبُ عَلَيْهِ



المبحث الرابع

في وزن الشعر وحقه

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) وَإِحْكَادُ صِنَاعَةِ الدَّبِجِ يَكُونُ تَمَلُّهُمَا فِي الْأَعَارِضِ الطَّوِيلَةِ لَا فِي الْقَصِيرَةِ وَلِذَلِكَ رَفَضَ الْمُتَأَخِّرُونَ الْأَعَارِضَ الْقَصَارَ أَيُّ كَانَتْ تُسْتَعْمَلُ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا مِنْ صَنَائِعِ الشِّعْرِ. وَأَخْصُ الْأَوْدَانِ بِهَا هُوَ الْوِزْنُ الْبَسِيطُ الْفَرِيدُ مُرَكَّبٌ وَلَكِنْ يَتَّبِعِي الْأَيْلَافُ فِيهَا مِنْ الطَّوِيلِ إِلَى حَدِّ يُسْتَكْرَهُ. وَاتَّخَذَ الْفَهْمُ جَوْهَرَ صِنَاعَةِ الْمَدِجِ هُوَ أَنَّهَا نِسْبَةٌ وَمُحَاكَاةٌ لِلْعَمَلِ الْإِرَادِيِّ الْقَاضِلِ الْكَامِلِ الَّذِي لَهُ قُوَّةٌ كُفَيْتُ فِي الْأُمُورِ الْقَاضِلَةِ لَا قُوَّةٌ جُزْئِيَّةٌ فِي وَاحِدٍ وَاحِدٍ مِنَ الْأُمُورِ الْقَاضِلَةِ مُحَاكَاةٌ تَنْفَعِلُ لَهَا النُّفُوسُ أَنْفَعَالًا مُعْتَدِلًا بِمَا يُولَدُ فِيهَا مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْخَوْفِ وَذَلِكَ بِمَا يُحْمِلُ فِي الْقَاضِلِينَ مِنْ النَّتِيجَةِ وَالنَّظَاقَةِ فَإِنَّ الْمُحَاكَاةَ إِنَّمَا هِيَ لِلْهَيْئَاتِ الَّتِي تَلْزِمُ الْقَضَائِلَ لَا لِلْمَلَكَاتِ إِذْ لَيْسَ يُمَكِّنُ فِيهَا أَنْ يُحْمَلَ. وَهَذِهِ الْمُحَاكَاةُ بِالْقَوْلِ تَكْمُلُ إِذَا قُرِنَ بِهَا اللَّحْنُ وَالْوِزْنُ وَقَدْ تَوَجَّدَ مِنَ الْمُتَشَدِّدِينَ أَحْوَالٌ أُخَرُ خَارِجَةٌ عَنِ الْوِزْنِ وَاللَّحْنِ تَحْمِلُ الْقَوْلَ أَمَّ مُحَاكَاةَ وَهِيَ الْإِشَارَاتُ وَالْأَخْذُ بِالْوُجُوهِ الَّتِي قِيلَ فِي كِتَابِ الْخَطَابَةِ قَائِلٌ أَجْزَاءُ صِنَاعَةِ الدَّبِجِ الشِّعْرِيَّةِ فِي الْعَمَلِ هُوَ أَنْ تُحْصَى

أَلَمْ يَأْنِي الشَّرِيفَةُ الَّتِي بِهَا يَكُونُ التَّخْيِيلُ. ثُمَّ تُكْنَى تِلْكَ أَلَمْ يَأْنِي
 الْحَنُّ وَالْوَزْنُ أَلْلَانَيْنِ لِلشَّيْءِ الْمَقُولِ فِيهِ. وَعَمَلُ الْحَنِّ فِي الشَّعْرِ
 هُوَ أَنَّهُ يُعَدُّ النَّفْسَ لِقَبُولِ خِيَالِ الشَّيْءِ الَّذِي يُقْصَدُ تَخْيِيلُهُ فَكَانَ
 الْحَنُّ هُوَ الَّذِي يُفِيدُ النَّفْسَ الْإِسْتِعْدَادَ الَّذِي بِهِ يُقْبَلُ الشَّيْءُ
 وَالْحَاكَاةُ لِلشَّيْءِ الْمَقْصُودِ تَشْبِيهُهُ. وَأَمَّا يُفِيدُ النَّفْسَ هَذِهِ الْهَيْئَةَ
 فِي نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّعْرِ الْحَنُّ أَلَمْ يَأْنِي لِهَذَا النَّوعِ مِنْ
 الشَّعْرِ بَقَاةً وَتَالِيَةً. فَإِنَّهُ كَمَا أَنَّا نَحْدُ الثَّمَمَ الْخَادَةَ ثَلَاثَ نَوَاعٍ
 مِنَ الْقَوْلِ فَيَدُ الَّذِي ثَلَاثَتُهُ الثَّمَمَاتُ الْقِيَالُ كَذَلِكَ يَبْنِي أَنْ
 نَعْتَقِدَ فِي تَرْكِيبِ الْأَحْوَالِ وَهَيْئَاتِ الْحَدِيثِ وَأَقْصَاصِ الَّتِي
 تُكْمِلُ التَّخْيِيلَ الْمَوْجُودَ فِي الْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ أَنْفُسَهَا مِنْ قَبْلِ
 هَذِهِ الثَّلَاثَةِ أَعْنِي الشَّيْئَةَ وَالْوَزْنَ وَالْحَنَّ الَّتِي هِيَ اسْتَطْسَاتُ
 الْحَاكَاةِ هِيَ بِالْجِلَّةِ هَيْئَتَانِ إِحْدَاهُمَا هَيْئَةٌ تَدُلُّ عَلَى خُلُقٍ وَعَادَةٍ
 كَمَنْ يَتَكَلَّمُ كَلَامَ عَاقِلٍ أَوْ كَلَامَ غَضُوبٍ وَالثَّانِيَةُ هَيْئَةٌ تَدُلُّ
 عَلَى اعْتِقَادٍ فَإِنَّهُ لَيْسَ هَيْئَةٌ مِنْ يَتَكَلَّمُ وَهُوَ مُتَحَقِّقٌ بِالشَّيْءِ هَيْئَةٌ
 مِنْ يَتَكَلَّمُ فِيهِ وَهُوَ شَاكٌ. فَالْقَاصُ وَالْحَدِيثُ فِي الدَّيْمِ يَبْنِي أَنْ
 تَكُونَ هَيْئَةُ قَوْلِهِ وَشَكْلُهُ هَيْئَةً مُحَقَّقَةً لَا شَاكَ وَهَيْئَةُ جَارٍ لَا هَازِلٍ
 وَالْقَصَصُ وَالْحَدِيثُ الَّذِي يَبْنِي أَنْ يُبَيِّنَ عَنْهُ الْقَاصُ وَالْحَدِيثُ وَهُوَ
 بِهَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ هُوَ لِحَرَاةِ الَّتِي تَكُونُ بِالشَّيْءِ وَالْحَاكَاةِ وَأَعْنِي
 بِالْحَرَاةِ تَرْكِيبَ الْأُمُورِ الَّتِي تُقْصَدُ مُحَاكَاتُهَا إِمَّا بِحَسَبِ مَا هِيَ
 عَلَيْهِ فِي أَنْفُسِهَا أَعْنِي فِي الوجودِ وَإِمَّا بِحَسَبِ مَا أُعْتِدَ فِي الشَّعْرِ

مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كَذِبًا. وَلِهَذَا قِيلَ لِلْأَقَاوِيلِ الشَّرْعِيَّةِ خُرَافَاتٌ
 قَالَتْصَاصُ وَأَتَّحِدُونَ بِالْجَمْعَةِ هُمْ الَّذِينَ لَهُمْ قُدْرَةٌ عَلَى تَحْكَامِهِ
 الْعَادَاتِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ (قَالَ) وَقَدْ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ أَجْزَاءَ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ
 سِتَّةٌ : الْأَقَاوِيلُ الْخُرَافِيَّةُ وَالْعَادَاتُ وَالْوَزْنُ وَالْإِعْتِقَادَاتُ وَالنَّظَرُ
 وَاللَّحْنُ. وَالِدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ قَوْلٍ شَعْرِيٍّ قَدْ يَنْقَسِمُ إِلَى مُسَبِّهِ
 وَمُسَبِّهِ بِهِ وَالَّذِي بِهِ يُشَبَّهُ ثَلَاثَةٌ الْحَاكَاةُ وَالْوَزْنُ وَاللَّحْنُ وَالَّذِي
 يُشَبَّهُ فِي الدَّلْحِ ثَلَاثَةٌ أَيْضًا : الْعَادَاتُ وَالْإِعْتِقَادَاتُ وَالنَّظَرُ لِنَفِي
 الْأَسْتِدْلَالِ لِصَوَابِ الْإِعْتِقَادِ فَتَكُونُ أَجْزَاءَ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ
 ضَرْوَةً سِتَّةً. وَإِنَّمَا كَانَتْ الْعَادَاتُ وَالْإِعْتِقَادَاتُ أَعْظَمَ أَجْزَاءِ
 الْمَدِيحِ لِأَنَّ صِنَاعَةَ الْمَدِيحِ لَيْسَتْ هِيَ صِنَاعَةُ تَحَاكِي النَّاسِ أَنْفُسَهُمْ
 مِنْ جِهَةِ مَا هُمْ أَشْخَاصٌ نَاسٌ مَحْسُوسُونَ بَلْ إِنَّمَا تَحَاكِيهِمْ مِنْ
 قَبْلِ عَادَاتِهِمْ الْجَبِيلِيَّةِ وَأَفْئَالِهِمْ الْحَسَنَةِ وَالْإِعْتِقَادَاتِهِمُ السَّعِيدَةِ تَشْمَلُ
 الْأَفْئَالَ وَالْخُلُقَ وَلِذَلِكَ جُعِلَتْ الْعَادَةُ أَحَدَ أَجْزَاءِ السِتَّةِ وَأُسْتُغْنِيَ
 بِذِكْرِهَا فِي التَّقْسِيمِ عَنْ ذِكْرِ الْأَفْئَالَ وَالْخُلُقِ. وَلَمَّا النَّظَرُ فَهُوَ أَبَاةُ
 صَوَابِ الْإِعْتِقَادِ وَكَأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ ضَرْبًا مِنَ الْأَخْتِجَاجِ لِصَوَابِ
 الْإِعْتِقَادِ الْمَدْحُوحِ بِهِ. وَهَذَا كُلُّهُ لَيْسَ يَوْجَدُ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَإِنَّمَا
 يَوْجَدُ فِي الْأَقَاوِيلِ الشَّرْعِيَّةِ الْمَدِيحِيَّةِ وَكَانُوا يُحَاكُونَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ
 الْأَشْيَاءَ أَعْنِي الْعَادَاتِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ وَالْأَسْتِدْلَالَ بِالثَّلَاثَةِ الْأَصْنَافِ
 مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي بِهَا يُحَاكَى أَعْنِي الْقَوْلَ الْخَلِيلَ وَالْوَزْنَ وَاللَّحْنَ (قَالَ)
 وَأَجْزَاءُ الْقَوْلِ الْخُرَافِيِّ مِنْ جِهَةِ تَاهُو تَحَاكِي جُزْءَانِ ذَلِكَ أَنَّ

كُلُّ مُحَاكَاةٍ قَائِمًا أَنْ تُوْطِئَ مُحَاكَاةَ مُحَاكَاةٍ ضِدِّهِ ثُمَّ يُتَقَلُّ مِنْهُ إِلَى
 مُحَاكَاةٍ وَهُوَ الَّذِي كَانَ يُعْرَفُ عِنْدَهُمْ بِالْإِدَارَةِ وَإِنَّمَا أَنْ يُحَاكِي
 الشَّيْءَ نَفْسُهُ دُونَ أَنْ يَعْرِضَ مُحَاكَاةَ ضِدِّهِ وَهُوَ الَّذِي كَانَ
 يُسَمَّوهُ بِالْإِسْتِدْلَالِ. وَالَّذِي يَتَذَلُّ مِنْ هَذِهِ الْأَجْزَاءِ مَثَرَةٌ
 التَّبْدِ وَالْأَسْ هُوَ الْقَوْلُ الْخَوَافِيُّ الْمُحَاكِي. وَالْجُزْءُ الثَّلَاثِي الْمَادَاتُ
 وَهُوَ الَّذِي تُسْتَعْمَلُ أَوَّلًا فِيهِ الْمُحَاكَاةُ أَعْنِي أَنَّهُ الَّذِي يُحَاكِي
 وَإِنَّمَا كَانَتْ الْحِكَايَةُ هِيَ الْعَمُودَ وَالْأَسَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لِأَنَّ
 الْإِلْتِذَاذَ لَيْسَ يَكُونُ بِذِكْرِ الشَّيْءِ الْمَقْصُودِ ذِكْرُهُ دُونَ أَنْ يُحَاكِي
 بَلْ إِنَّمَا يَكُونُ الْإِلْتِذَاذُ بِهِ وَالْقَبُولُ لَهُ إِذَا حُوسِي. وَلِذَلِكَ
 لَا يَلْتَذُّ الْإِنْسَانُ بِالْقَظَرِ إِلَى صُورِ الْأَشْيَاءِ الْمَوْجُودَةِ أَنْفُسِهَا وَيَلْتَذُّ
 بِمُحَاكَاةِهَا وَتَصَوُّرِهَا بِالْأَصْلَاحِ وَالْأَلْوَانِ وَلِذَلِكَ اسْتَعْمَلَ النَّاسُ
 صِنَاعَةَ الزَّوْاقَةِ وَالْقَصْرِ. وَالْجُزْءُ الثَّلَاثُ لِصِنَاعَةِ الْمَدِيحِ أَعْنِي الثَّلَاثِي
 لِلثَّلَاثِي هُوَ الْإِعْتِقَادُ وَهَذَا هُوَ الْقُدْرَةُ عَلَى مُحَاكَاةِ مَا هُوَ مَوْجُودٌ
 كَذَا أَوْ لَيْسَ بِمَوْجُودٍ كَذَا. وَذَلِكَ مِثْلُ مَا تَتَكَلَّفُهُ الْخُطَابَةُ مِنْ
 تَبْيِينِ أَنْ شَيْئًا مَوْجُودٌ أَوْ غَيْرُ مَوْجُودٍ إِلَّا أَنْ لَخُطَابَةَ تَتَكَلَّفُ
 ذَلِكَ بِقَوْلٍ مُقْبَعٍ وَالشَّعْرَ بِقَوْلٍ مُحَاكٍ وَهَذِهِ الْمُحَاكَاةُ هِيَ أَيْضًا
 مَوْجُودَةٌ فِي الْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ. (قَالَ) وَقَدْ كَانَ الْأَقْدَمُونَ مِنْ
 وَاضِعِي السِّيَاسَاتِ يَتَصَحَّرُونَ عَلَى تَمْكِينِ الْإِعْتِقَادَاتِ فِي الْأَنْفُسِ
 بِالْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ حَتَّى شَعَرُوا أَنَّهُمْ يَخْرُونَ بِالطَّرِيقِ الْخَطِيئَةِ وَالْفَرْقِ
 بَيْنَ الْقَوْلِ الشَّعْرِيِّ الَّذِي يُحْثُّ عَلَى الْإِعْتِقَادِ وَالَّذِي يُحْثُّ عَلَى الْعَادَةِ.

إِنَّ الَّذِي يَحْتَثُّ عَلَى الْعَادَةِ يَحْتَثُّ عَلَى عَمَلِ شَيْءٍ أَوْ عَلَى الْقَرَبِ مِنْ
 شَيْءٍ وَالْقَوْلُ الَّذِي يَحْتَثُّ عَلَى الْإِعْتِقَادِ إِنَّمَا يَحْتَثُّ عَلَى أَنْ شَيْئًا
 مَوْجُودٌ أَوْ غَيْرُ مَوْجُودٍ لَا عَلَى شَيْءٍ يُطْلَبُ أَوْ يَهْرَبُ عَنْهُ. وَالْجُزْءُ
 الرَّابِعُ لَهُذِهِ الْأَجْزَاءُ أَغْنِي الثَّلَاثُ هُوَ الْوَزْنُ وَمِنْ قَائِمِهِ أَنْ
 يَكُونَ مُنَاسِبًا لِلْقَرَضِ قَوْبٌ وَزَنْ يُنَاسِبُ غَرَضًا وَلَا يُنَاسِبُ غَرَضًا
 آخَرَ. وَالْجُزْءُ الْخَامِسُ فِي الْمَرْتَبَةِ هُوَ اللَّحْنُ وَهُوَ اعْظَمُ هَذِهِ الْأَجْزَاءِ
 تَأْثِيرًا وَأَفْعَالًا فِي النُّفُوسِ. وَالْجُزْءُ السَّادِسُ هُوَ النَّظَرُ أَغْنِي الْإِخْتِجَاجَ
 لِصَوَابِ الْإِعْتِقَادِ أَوْ صَوَابِ الْعَمَلِ لَا يَقُولُ إِقْنَاعِي فَإِنَّ ذَلِكَ
 غَيْرُ مُلَاحَظٍ. لَهُذِهِ الصَّنَاعَةُ بَلْ يَقُولُ مُحَاكٍ فَإِنَّ صِنَاعَةَ الشَّعْرِ لَيْسَتْ
 مَبْنِيَّةً عَلَى الْإِخْتِجَاجِ وَالْمُحَاظَرَةِ وَبِخَاصَّةٍ صِنَاعَةُ الْمَدِيرِ. وَلِذَلِكَ لَيْسَ
 يَسْتَعْمِلُ الْمَدِيرُ صِنَاعَةَ التَّفَاقُّهِ وَالْأَخْذِ بِالْوُجُوهِ كَمَا تَسْتَعْمِلُهَا
 الْخَطَّابَةُ. (قَالَ) وَالصَّنَاعَةُ الْعِلْمِيَّةُ الَّتِي تُعَرَّفُ بِمَاذَا تُعْمَلُ
 الْأَشْعَارُ وَكَيْفَ تُعْمَلُ أَمْ رِثَاسَةٌ مِنْ عَمَلِ الْأَشْعَارِ فَإِنَّ كُلَّ صِنَاعَةٍ
 تُوقَفُ مَا تَحْتَهَا مِنَ الصَّنَائِعِ عَلَى عَمَلِهَا هِيَ أَرَأْسُ مَا تَحْتَهَا



البحث الخامس

في صناعة المديح واجزائها

(من الكتاب نفسه)

فَإِذَا قَدْ قِيلَ مَا هِيَ صِنَاعَةُ الْمَدِيحِ وَبِمَاذَا تَلْتَمِمْ وَكَمْ أَجْزَاؤُهَا
وَمَا هِيَ فَلْتَقَسَّلْ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي بِهَا يَكُونُ حُسْنُ الْأُمُورِ الَّتِي
يَتَقَوَّمُ بِهَا الشَّعْرُ . فَإِنَّ أَمْرًا فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ضَرُورِيٌّ فِي صِنَاعَةِ
الْمَدِيحِ وَفِي غَيْرِهَا وَهُوَ لَهَا بِمِثَرَةِ الْمَبْدَأِ وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمُورَ الَّتِي
تَتَقَوَّمُ مِنْهَا الصَّنَائِعُ صِنْفَانِ أُمُورٌ ضَرُورِيَّةٌ وَأُمُورٌ تَكُونُ بِهَا
أَتَمٌّ وَأَفْضَلُ فَتَقُولُ إِنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ صِنَاعَةُ الْمَدِيحِ مُسْتَرْفِيَّةً
إِنْفَايَاتٍ فَعِلْهَا أَعْيُنِي أَنْ تَبْلُغَ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَالْحِكَايَةِ الْقَايَةَ الَّتِي فِي
طِبَاعِهَا أَنْ تَبْلُغَهَا وَذَلِكَ يَكُونُ بِأَشْيَاءٍ أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ لِلْقَصِيدَةِ
عِظَمٌ مَا مَحْدُودٌ تَكُونُ بِهِ كَلَامًا وَكَامَلَةً وَالْكَوْنُ وَالْكَائِلُ هُوَ مَا
كَانَ لَهُ مَبْدَأٌ وَوَسْطٌ وَآخِرٌ وَالْمَبْدَأُ قَبْلُ وَلَيْسَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ
مَعَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ لَهَا مَبْدَأٌ وَالْآخِرُ هُوَ مَعَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ لَهَا
آخِرٌ وَلَيْسَ قَبْلُ وَالْوَسْطُ هُوَ قَبْلُ وَمَا فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الطَّرَفَيْنِ
إِذَا كَانَ الْوَسْطُ فِي الْمَكَانِ قَبْلُ وَبَعْدُ فَإِنَّ الشُّجْعَانَ هُمُ الَّذِينَ
مَكَانُهُمْ فِي الْحَرْبِ مَا بَيْنَ مَكَانِ الْمُجَنِّاتِ وَالْمُتَهَوِّرِينَ وَهُوَ الْمَكَانُ
الْوَسْطُ وَكَذَلِكَ لِحْدُ الْقَاضِلِ فِي التَّرَكِيبِ هُوَ الْوَسْطُ وَهُوَ الَّذِي
يَتَرَكَّبُ مِنَ الْأَطْرَافِ وَلَا تَتَرَكَّبُ الْأَطْرَافُ مِنْهُ وَلَيْسَ يَجِبُ أَنْ

يَكُونُ الْمُتَوَسِّطُ وَسَطًا أَيْ خِيَارًا فِي التَّرْكِيبِ وَالتَّرْتِيبِ فَقَطْ بَلْ
وَفِي الْقَدَارِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِلْقَصِيدَةِ
أَوَّلٌ وَوَسَطٌ وَآخِرٌ وَأَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَجْزَاءِ
وَسَطًا فِي الْقَدَارِ وَكَذَلِكَ يَجِبُ فِي الْجُمْلَةِ الْمُرَكَّبَةِ مِنْهَا أَنْ تَكُونَ
يَقْدَرُ مَحْدُودٌ لِأَنْ تَكُونَ بِأَيِّ عِظَمٍ اتَّفَقَ ذَلِكَ أَنَّ الْجُودَةَ فِي
الْمُرَكَّبِ تَكُونُ مِنْ قَبْلِ شَيْئَيْنِ أَحَدُهُمَا التَّرْتِيبُ وَالثَّانِي الْقَدَارُ
وَلِهَذَا لَا يُقَالُ فِي الْحَيَوَانِ الصَّغِيرِ الْجُمْلَةُ بِالْإِصَابَةِ إِلَى انْتِخَاصِ
نَوْعِهِ أَنَّهُ جَيِّدٌ. وَالْحَالُ فِي الْخَاطِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ فِي ذَلِكَ كَالْحَالِ فِي
التَّعْلِيمِ الْبَرْهَانِيِّ أَعْنِي أَنَّ التَّعْلِيمَ إِنْ كَانَ قَصِيرَ الْمُدَّةِ لَمْ يَكُنْ
أَقْلَهُمْ جَيِّدًا وَلَا إِنْ كَانَ أَطْوَلَ مِمَّا يَنْبَغِي لِأَنَّهُ يَلْحَقُ الْمُتَعَلِّمُ فِي
ذَلِكَ التَّنْسِيَانَ وَالْحَالُ فِي ذَلِكَ كَالْحَالِ فِي النَّظَرِ إِلَى التَّحْسُوسِ
أَعْنِي أَنَّ النَّظَرَ إِلَى التَّحْسُوسِ إِنَّمَا يَكُونُ جَيِّدًا إِذَا كَانَ بَيْنَ
النَّاظِرِ وَبَيْنَهُ بُدٌّ مُتَوَسِّطٌ لَا إِذَا كَانَ بَيْنَهُ مِنْهُ جِدًّا وَلَا إِذَا
كَانَ قَرِيبًا مِنْهُ جِدًّا. وَالَّذِي يَعْزُضُ فِي التَّعْلِيمِ بِعَيْنِهِ يَعْزُضُ فِي
الْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ أَعْنِي أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ الْقَصِيدَةُ قَصِيدَةً لَمْ تَسْتَوْفِ
أَجْزَاءَ الْمَدِيحِ وَإِنْ كَانَتْ طَوِيلَةً لَمْ يُمَكِّنْ أَنْ تَحْفَظَ فِي ذِكْرِ
السَّامِعِينَ أَجْزَاءَهَا فَعَرِضُ لَهَا إِذَا سَمِعُوا الْأَجْزَاءَ الْآخِرَةَ أَنْ
يَكُونُوا قَدْ نَسُوا الْأَوَّلَى وَآمَّا الْأَقَاوِيلُ الْخَطِيئَةُ الَّتِي تُسْتَمَلُّ فِي
الْمُنَاطَرَةِ فَلَيْسَ لَهَا قَدْرٌ مَحْدُودٌ بِالطَّبْعِ. وَلِذَلِكَ أَحْتَاجُ النَّاسُ أَنْ
يُقَدِّرُوا زَمَانَ الْمُنَاطَرَةِ بَيْنَ التَّحْسُوسِ أَمَّا بِالْهَاءِ أَلَاءَ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ

الْعَادَةُ عِنْدَ الْيُونَانِيِّينَ إِذَا كَانُوا إِنَّمَا يَتَعَدُّونَ الصَّمَاةَ فَقَطْ وَإِنَّمَا
 تَتَجِيلُ الْآيَامُ كَالْحَالِ عِنْدَنَا إِذَا كَانَ الْمُتَعَدُّ فِي الْخُصُومَاتِ عِنْدَنَا
 إِنَّمَا هِيَ الْأَشْيَاءُ النُّقْمَةُ الَّتِي مِنْ خَارِجٍ وَلِذَلِكَ لَوْ كَانَتْ صَاعَةً
 الْمَدِيحِ بِالْمُنَاطَرَةِ لَكَانَ يُحْتَاجُ فِيهَا إِلَى تَقْدِيرِ زَمَانٍ الْمُنَاطَرَةُ
 بِسَاعَاتِ اللَّأَمْ أَوْ غَيْرِهَا. لَكِنْ لَمْ يَكُنْ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَجَبَ أَنْ
 يَكُونَ لِصَاعَةِ الشِّعْرِ حَدٌّ طَبِيعِيٌّ كَالْحَالِ فِي الْأَقْدَارِ الطَّبِيعِيَّةِ
 لِلْأُمُورِ الْمَوْجُودَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَمَا أَنَّ جَمِيعَ الْمَتَكُونَاتِ إِذَا لَمْ يُمْعَهَا
 فِي حَالِ الْكَوْنِ سُوهُ الْبَحْثِ صَارَتْ إِلَى عِظَمٍ مُخَدُّودٍ بِالطَّبْعِ
 كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْحَالُ فِي الْأَقَاوِيلِ الشِّعْرِيَّةِ وَبِجَاسَةِ فِي
 صِنْفِهِ أَنْحَاكَةً أَعْنِي الَّتِي يُنْقَلُ فِيهَا مِنَ الْقَبْدِ إِلَى الصَّدِّ أَوْ
 يُحَاكِي فِيهَا الشَّيْءُ نَفْسُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَلُ إِلَى ضِدِّهِ (قَالَ) وَيَمَّا
 يُحَسِّنُ بِهِ قَوْلَهُ الشِّعْرُ أَلَا يُطَوَّلُ فِيهِ بِذِكْرِ الْأَشْيَاءِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي
 تَعْرِضُ لِلشَّيْءِ الْوَاحِدِ الْقُصُودُ بِالشِّعْرِ فَإِنَّ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ تَعْرِضُ
 لَهُ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ وَكَذَلِكَ يُوجَدُ لِلشَّيْءِ الْوَاحِدِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ أَفْعَالٌ
 كَثِيرَةٌ (قَالَ) وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ الشُّعْرَاءِ لَا يَحْفَظُونَ بِهَذَا بَلْ
 يَتَقَبَّلُونَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ وَلَا يَلْزَمُونَ غَرَضًا وَاحِدًا بِعَيْنِهِ مَا
 عَدَا أُوْمِيدُوشَ وَأَنْتَ تَجِدُ هَذَا كَثِيرًا مَا يَعْرِضُ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ
 وَالْمُخَدَّثِينَ وَبِجَاسَةِ عِنْدَ الْمَدْحِ أَعْنِي أَنَّهُ إِذَا عَنَّ لَمْ شَيْءٌ مَا مِنْ
 أَسْبَابِ الْمَدْحِ مِثْلُ سَيْفٍ أَوْ قَوْسٍ اسْتَعْلَوْا يُحَاكِيهِ وَاضْرَبُوا
 عَنْ ذِكْرِ الْمَدْحِ وَبِالْجَمَلَةِ فَجِبَ أَنْ تَكُونَ الصَّنَاعَةُ تَنْشَبُ بِالطَّبِيعَةِ

اعني ان تكون انما تفعل جميع ما تفعله من أجل غرض واحد وغاية
 واحدة. وإذا كان ذلك كذلك فواجب أن يكون الشيء والمحاكاة
 لواحد ومقصودا به غرض واحد وأن يكون لأجزائه عظم محدود
 وأن يكون فيها مبدأ ووسط وآخر وأن يكون الوسط أفضلها
 فإن الموجودات التي وجودها في الترتيب وحسن النظام إذا عديمت
 ترتيبها لم يوجد لها الفعل الخاص بها. (قال) وظاهر أيضا بما قيل من
 مقصد الأقاليل الشعرية أن المحاكاة التي تكون بالأموور المخترعة
 الكاذبة ليست من فعل الشاعر وهي التي تسمى أمثالا وقصصا مثل ما
 في كتاب دمنه وكلية. لكن الشاعر إنما يتكلم في الأمور الموجودة أو
 المنسكة الوجود لأن هذه هي التي يقصد العرب عنها أو طلبها أو
 مطابقة الشيء لها على ما قيل في فصول المحاكاة. وأما الذين يعملون
 الأمثال والقصص فإن عملهم غير عمل الشعراء وإن كانوا قد يعملون
 تلك الأمثال والأحاديث المخترعة بكلام موزون. وذلك أن كليهما
 وإن كانا يشتركان في الوزن فاحدهما يمتثل له العمل الذي قصده
 بالخرافة وإن لم تكن موزونة وهو العمل الذي يستفاد من الأحاديث
 المخترعة والشاعر لا يحصل له مقصوده على السامع من التخيل إلا
 بالوزن فالقائل للأمثال المخترعة والقصص إنما يخترع أشخاصا ليس
 لها وجود أصلا ويضع لها أسماء وأما الشاعر فإنه يضع أسماء لآشياء
 موجودة وربما تكلموا في الكليات ولذلك كانت صناعة
 الشعر أقرب إلى الفلسفة من صناعة اختراع الأمثال وهذا الذي

قَالَ هُوَ بِحَسَبِ عَادَتِهِمْ فِي الشَّعْرِ الَّذِي يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْأَمْرُ
الطَّبِيعِيُّ الْأَمْرُ الطَّبِيعِيُّ (قَالَ) وَأَكْثَرُ مَا يَجِبُ أَنْ يُقْتَدَ فِي صِنَاعَةِ
الْمَدِيحِ أَنْ تَكُونَ الْأَشْيَاءُ الْحَاكِيَاتُ أُمُورًا مَوْجُودَةً لَا أُمُورًا لَهَا
أَنَّمَا تُخَدَعَةُ فَإِنَّ الْمَدِيحَ إِنَّمَا يَتَوَجَّهُ نَحْوَ التَّحْرِيكِ إِلَى الْأَفْعَالِ
الْإِرَادِيَّةِ قَدْ كَانَتْ الْأَفْعَالُ مُمَكِّنَةً كَانَ الْإِقْتَاعُ فِيهَا أَكْثَرُ
وَقُوًّا أَنِّي التَّصَدِيقُ الشَّعْرِيُّ الَّذِي يُجْرِكُ النَّفْسَ إِلَى الطَّلَبِ
وَالْعَرَبِ. وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الْغَيْرُ الْمَوْجُودَةُ فَلَيْسَ تَوْضَعُ وَتُخَدَعُ لَهَا أَنَّمَا
فِي صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ إِلَّا أَقَلُّ ذَلِكَ مِثْلُ وَضْعِهِمُ الْجُودَ تَخْصًا ثُمَّ
يَضَعُونَ أَفْعَالًا لَهَا وَتَحَاكُونَهَا وَيُطِينُونَ فِي مَدْحِهِ. وَهَذَا النَّحْوُ مِنْ
التَّخْيِيلِ وَإِنْ كَانَ قَدْ يُنْتَفَعُ بِهِ مَنَفَعَةٌ غَيْرُ يَسِيرَةٍ لِنَاسِبَةِ أَفْعَالِهِ
ذَلِكَ الشَّيْءُ وَالتَّخَدُّعُ وَانْتِفَاعًا لَهُ لِلْأُمُورِ الْمَوْجُودَةِ فَلَيْسَ يَتَّبِعِي أَنْ
يُقْتَدَ فِي صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ فَإِنَّ هَذَا النَّحْوَ مِنَ التَّخْيِيلِ لَيْسَ بِمَا يُؤَافِقُ
جَمِيعَ الطَّبَاعِ بَلْ قَدْ يَضْحَكُ مِنْهُ وَيَزْدَرِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ. وَمِنْ
جَيْدٍ مَا فِي هَذَا الْبَابِ لِلْعَرَبِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى طَرِيقِ الْحَثِّ عَلَى
الْفَضِيلَةِ قَوْلُ الْأَعْمَشِيِّ :

لَعَنِي لَقَدْ لَاحَتْ عِيُونُ نَوَاطِرُ إِلَى ضَوْءِ نَارِ الْبِقَاعِ تَحْرِقُ
نُشْبُ لِقُرُودَيْنِ يَضْطَلِيَانِيَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ الْأَنْدَى وَأَلْخَلِقُ
رَجْسِي لِبَانٍ مُذِي أُمِّ تَحَاكَلَا بِأَسْحَمِ دَاجٍ عَوْضُ لَا تَنْتَفِرُقُ
وَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا فَظَاهِرٌ أَنَّ الشَّاعِرَ إِنَّمَا يَكُونُ شَاعِرًا
بِعَمَلِ الْخَوَافَاتِ وَالْأَوْزَانِ بِقَدْرِ مَا يَكُونُ قَادِرًا عَلَى عَمَلِ الْأَشْيَاءِ

وَالْحَاكَاةُ وَهُوَ إِنَّمَا يَفْعَلُ التَّشْبِيهَ لِلْأُمُورِ الْإِرَادِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ
وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِهِ أَنْ يُحَاكِيَ الْأُمُورَ الَّتِي هِيَ مَوْجُودَةٌ قَطُّ بَلْ
وَقَدْ يُحَاكِي الْأُمُورَ الَّتِي يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا مُنَكِّةٌ الوجودَ وَهُوَ فِي
ذَلِكَ شَاعِرٌ لَيْسَ بِدُونِ مَا هُوَ فِي مُحَاكَاتِهِ الْأُمُورَ الْمَوْجُودَةَ مِنْ قَبْلِ
أَنَّهُ لَيْسَ مَانِعٌ يَمْنَعُ أَنْ تَوْجَدَ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ عَلَى مِثْلِ حَالِ الْأَشْيَاءِ
الَّتِي هِيَ الْآنَ مَوْجُودَةٌ فَلَيْسَ يُنْتَاجُ فِي التَّخْيِيلِ الشَّعْرِيِّ إِلَى مِثْلِ
هَذِهِ الْخَرَافَاتِ الْخُدَعَةِ وَلَا أَيْضًا يُنْتَاجُ الشَّاعِرُ الْمُفَلِّحُ أَنْ تَمَّ
مُحَاكَاتُهُ بِالْأُمُورِ الَّتِي مِنْ خَارِجٍ وَهُوَ الَّذِي يُدْعَى نِفَاقًا وَآخِذًا
بِالْوُجُوهِ فَإِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَسْتَعْمِلُهُ الْمَوَهُونَ مِنَ الشُّعْرَاءِ أَعْنِي
الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ شُعْرَاءُ وَلَيْسُوا شُعْرَاءَ . وَأَمَّا الشُّعْرَاءُ بِالْحَقِيقَةِ فَلَيْسَ
يَسْتَعْمِلُونَهُ إِلَّا عِنْدَ مَا يُرِيدُونَ أَنْ يُعَابِلُوا بِهِ اسْتِعْمَالَ شُعْرَاءِ
الزُّورِ لَهُ وَأَمَّا إِذَا قَابَلُوا الشُّعْرَاءَ الْمُحِيدِينَ فَلَيْسَ يَسْتَعْمِلُونَهُ أَصْلًا . وَقَدْ
يُضْطَرُّ الْمُفَلِّحُونَ فِي مَوَاضِعَ أَنْ يَسْتَعْمِلُوا بِاسْتِعْمَالِ الْأَشْيَاءِ الْخَارِجَةِ عَنْ
عُمُودِ الشَّعْرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَحْكَاكَ لَيْسَ تَكُونُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ
لِلْأَشْيَاءِ الْكَامِلَةِ الَّتِي يُمَكِّنُ مُحَاكَاتُهَا عَلَى التَّمَاهِ بَلْ لِأَشْيَاءٍ نَاقِصَةٍ
تَسْرُ مُحَاكَاتُهَا بِالْقَوْلِ فَيُسْتَعْمَلُ عَلَى مُحَاكَاتِهَا بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْ خَارِجٍ
وَبِخَاصَّةٍ إِذَا قَصَدُوا مُحَاكَاتَةَ الْأَعْتِقَادَاتِ لِأَنَّ تَخْيِيلَهَا يَقْسُرُ إِنْ كَانَتْ
لَيْسَتْ أَفْضَلًا وَلَا جَوَاهِرَ وَقَدْ يَمْتَنِعُ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي مِنْ خَارِجٍ
بِالْمُحَاكَاتِ الشَّعْرِيَّةِ أَحْيَانًا كَمَا تَبَيَّنَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَيَكُونُ لَهَا
فِعْلٌ مُنْجَبٌ إِذَا كَانَتْ الْأَشْيَاءُ الَّتِي شَأْنُهَا أَنْ تَقَعَ بِاتِّفَاقٍ مُنْجَبَةٌ

(قَالَ) وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَقَاوِيلِ الشَّرْعِيَّةِ تَكُونُ جُودَتُهَا فِي الْحَاكَاةِ
الْبَيْطَةِ الْغَيْرِ الْمُتَقَسِّمَةِ وَكَثِيرٌ مِنْهَا إِنَّمَا تَكُونُ جُودَتُهَا فِي نَفْسِ
التَّشْبِيهِ وَالْحَاكَاةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْحَالَ فِي التَّشْبِيهِ كَالْحَالَ فِي الْأَعْمَالِ
فَكَمَا أَنَّ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يُنَالُ بِفِعْلِ وَاحِدٍ بَسِيطٍ وَمِنْهَا مَا يُنَالُ
بِفِعْلِ مُرَكَّبٍ كَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي الْحَاكَاةِ. وَالْحَاكَاةُ الْبَيْطَةُ هِيَ
الَّتِي يُسْتَعْمَلُ فِيهَا أَحَدُ نَوْعِي التَّخْيِيلِ أَعْنِي النَّوعَ الَّذِي يُسَمَّى
الْإِدَارَةَ أَوْ النَّوعَ الَّذِي يُسَمَّى الْأَسْتِدْلَالَ. وَأَمَّا الْحَاكَاةُ
الْمُرَكَّبَةُ فَهِيَ الَّتِي يُسْتَعْمَلُ فِيهَا الصَّنَفَانِ جَمِيعًا وَذَلِكَ إِمَّا بِأَنْ
يُبْتَدَأَ بِالْإِدَارَةِ ثُمَّ يُنْقَلُ مِنْهُ إِلَى الْأَسْتِدْلَالِ أَوْ يُبْتَدَأُ
بِالْأَسْتِدْلَالِ ثُمَّ يُنْقَلُ مِنْهُ إِلَى الْإِدَارَةِ وَالْإِعْتِمَادُ هُوَ أَنْ يُبْدَأَ
بِالْإِدَارَةِ ثُمَّ يُنْقَلُ مِنْهُ إِلَى الْأَسْتِدْلَالِ فَإِنَّهُ فَرْقٌ كَثِيرٌ بَيْنَ أَنْ
يُبْدَأَ أَوَّلًا بِالْإِدَارَةِ ثُمَّ يُنْقَلُ إِلَى الْأَسْتِدْلَالِ أَوْ يُبْدَأَ بِالْأَسْتِدْلَالِ
ثُمَّ يُنْقَلُ إِلَى الْإِدَارَةِ. (قَالَ) وَأَعْنِي بِالْإِدَارَةِ مُحَاكَاةَ ضِدِّ
الْمَقْصُودِ مَذْحُهُ أَوَّلًا بِمَا يُنْقَرُ النَّفْسَ عَنْهُ ثُمَّ يُنْقَلُ مِنْهُ إِلَى
مُحَاكَاةِ الْمَدْحِ نَفْسِهِ مَثَلًا إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحَاكِيَ السَّعَادَةَ
وَأَهْلَهَا أَتَبَدَأَ أَوَّلًا بِمُحَاكَاةِ الشَّقَاوَةِ وَأَهْلِهَا ثُمَّ أَسْتَلَّ إِلَى مُحَاكَاةِ
أَهْلِ السَّعَادَةِ وَذَلِكَ بِضِدِّ مَا حَاكَى بِهِ أَهْلَ الشَّقَاوَةِ. وَأَمَّا
الْأَسْتِدْلَالُ فَهُوَ مُحَاكَاةُ الشَّيْءِ قَطْعًا (قَالَ) وَأَحْسَنُ الْأَسْتِدْلَالِ
مَا خُطِبَ بِالْإِدَارَةِ. (قَالَ) وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ الْأَسْتِدْلَالُ وَالْإِدَارَةُ فِي
الْأَشْيَاءِ الْغَيْرِ الْمُتَقَسِّمَةِ وَفِي الْمُتَقَسِّمَةِ لَا مِنْ جِهَةٍ مَا يُفْصَدُ بِهِ عَمَلٌ

أَوْ تَرَكْ بَلْ مِنْ جَهَةِ التَّخِيلِ قَطُّ أَعْنِي الْمَطَابَقَةَ . وَهَذَا التَّرْعُ مِنْ
الْإِسْتِدْلَالِ الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ الْقَالِبُ عَلَى أَشْعَارِ الْعَرَبِ أَعْنِي
الْإِسْتِدْلَالَ وَالْإِدَارَةَ فِي غَيْرِ الْمُتَنَفِّسَةِ وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

كَمْ زُورَةٌ لَكَ فِي الْأَعْرَابِ خَافِيَةٌ
أَذْنَى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زُورَةِ الذَّبِيبِ
أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي

وَأَنْتَنِي وَيَبَاضُ الصُّبْحُ يُغَيِّرُ لِي
فَإِنَّ أَلَيْتَ الْأَوَّلَ هُوَ اسْتِدْلَالٌ . وَالثَّانِي إِدَارَةٌ وَلَمَّا جَمَعَ
هَذَانِ الْبَيْتَانِ صَنَعْنِي التَّحَاكُوهُ كَمَا فِي عَايَةِ مِنْ الْحُسْنِ (قَالَ)
وَالْإِسْتِدْلَالُ الْإِنْسَائِي وَالْإِدَارَةُ إِنَّمَا يُسْتَعْمَلَانِ فِي الطَّلَبِ
وَالْعَرَبِ وَهَذَا التَّرْعُ مِنَ الْإِسْتِدْلَالِ هُوَ الَّذِي يُثِيرُ فِي النَّفْسِ
الرَّحْمَةَ تَارَةً وَالْخَوْفَ تَارَةً وَهَذَا هُوَ الَّذِي نَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي صِنَاعَةِ
الْمَدِيحِ الْأَفْعَالُ الْإِنْسَائِيَّةُ الْجَلِيلَةُ وَهَجْرُ السَّيِّئَةِ (قَالَ) فَهَذَانِ
الْجُزْءَانِ اللَّذَانِ أَخْبَرْنَا عَنْهُمَا جُزْءًا صِنَاعَةُ الْمَدِيحِ وَهَاهُنَا جُزْءُ
ثَلَاثٍ وَهُوَ الْجُزْءُ الَّذِي يُؤَلِّدُ الْأَفْعَالَاتِ النَّفْسَائِيَّةَ أَعْنِي أَعْمَالَاتِ
الْخَوْفِ وَالرَّحْمَةِ وَالْخُزْنِ وَهُوَ يَكُونُ بِذِكْرِ الْمَصَائِبِ وَالرَّزَايَا
النَّازِلَةِ بِالنَّاسِ فَإِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ هِيَ الَّتِي تَبْعَثُ الرَّحْمَةَ وَالْخَوْفَ
وَهُوَ جُزْءٌ عَظِيمٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْحَقِّ عَلَى الْأَفْعَالِ الَّتِي هِيَ مَقْصُودَةُ
الْمَدِيحِ عَنْهُمْ

البحث السادس

في اجزاء صناعة المديح من جهة الكمية

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) فَأَمَّا أَجْزَاءُ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ مِنْ بَابِ الْكَيْفِيَّةِ فَقَدْ تَكَلَّمْنَا فِيهَا . وَأَمَّا أَجْزَاؤُهَا مِنْ جِهَةِ الْكَيْفِيَّةِ فَيَتَّبِعِي أَنْ تَسْكُنَ فِيهَا وَهُوَ يَذْكُرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَجْزَاءَ خَاصَّةً بِأَشْعَارِهِمْ وَالَّذِي يُوجَدُ مِنْهَا فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ فَهُوَ ثَلَاثَةٌ . الْجُزْءُ الَّذِي يَجْرِي عِنْدَهُمْ تَجْرَى الصَّدْرُ فِي الْخُطْبَةِ وَهُوَ الَّذِي فِيهِ يَذْكُرُونَ الدِّيَارَ وَالْأَكَارَ وَيَتَنَزَّلُونَ فِيهِ وَالْجُزْءُ الثَّانِي الْمَذْخُ . وَالْجُزْءُ الثَّلَاثُ الَّذِي يَجْرِي تَجْرَى الْحَاكِمَةُ فِي الْخُطْبَةِ وَهَذَا الْجُزْءُ أَكْثَرُ مَا هُوَ عِنْدَهُمْ إِمَّا دُعَاةَ لِلْمَدْحِ وَإِمَّا فِي تَقْرِيزِ الشَّعْرِ الَّذِي قَالَهُ وَالْجُزْءُ الْأَوَّلُ أَشْهُرُ مِنْ هَذَا الْآخِرِ وَلِذَلِكَ يُسَمُّونَ الْإِتِّعَالَ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ إِلَى الثَّانِي أَنْسِطَرَادًا وَرُبَّمَا اتَّوَا بِالْمَدِيحِ دُونَ صَدْرِ . مِثْلُ قَوْلِ أَبِي تَمَّارٍ :

لَهَا عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَنَفْعَلَا

وَمِثْلُ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعُودَا

وَلَا قَرَعَ مِنْ تَعْدِيدِ أَجْزَاءِ الشَّعْرِ عِنْدَهُمْ (قَالَ) فَأَمَّا أَجْزَاءُ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ الَّتِي مِنْ جِهَةِ الْكَيْفِيَّةِ وَالَّتِي مِنْ جِهَةِ الْكَمِّيَّةِ فَقَدْ

أَخَذَتْهَا. فَأَمَّا مِنْ آيَةِ الْمَوَاضِعِ يُمَكِّنُ عَمَلُ صِنَاعَةِ الْمَدِجِ فَحَقُّ
 مُخْبِرُونَ عَنْهَا بَعْدَ وَمُضِيفُونَ ذَلِكَ إِلَى مَا تَقَدَّمَ (قَالَ) وَيَتَنَبَّي كَمَا
 قِيلَ أَنَّ لَا يَكُونُ تَرْكِيبُ الْمَدَانِجِ مِنْ مُحَاكَاةٍ بَسِيطَةٍ بَلْ مَخْلُوطَةٍ
 مِنْ أَنْوَاعِ الْإِسْتِدْلَالِ وَأَنْوَاعِ الْإِدَارَةِ وَمِنْ الْحَاكَاةِ الَّتِي تُوجِبُ
 الْأَنْفِعَالَاتِ الْحَقِيقَةَ الْخَرَجَةَ الْمَرْقُوعَةَ لِلنَّفْسِ وَذَلِكَ أَنَّهُ يُجِبُ أَنَّ
 تَكُونُ الْمَدَانِجُ الَّتِي يُقْصَدُ بِهَا الْحَثُّ عَلَى الْفَضَائِلِ مُرَكَّبَةً مِنْ
 مُحَاكَاةِ الْفَضَائِلِ وَمِنْ مُحَاكَاةِ أَشْيَاءَ مُحَوَّفَةٍ مُحَرَّجَةٍ يُتَجَمَّعُ لَهَا وَهِيَ الشَّقَاوَةُ
 الَّتِي تَلْحَقُ مِنْ عَدَمِ الْفَضَائِلِ لَا بِإِسْتِهَالِ وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ
 يَشْتَدُّ تَحْرُكُ النَّفْسِ لِإِقْبُولِ الْفَضَائِلِ فَإِنَّ أَتَقَالُ الشَّاعِرِ مِنْ مُحَاكَاةِ
 فَضِيلَةٍ إِلَى مُحَاكَاةِ لَا فَضِيلَةٍ أَوْ مِنْ مُحَاكَاةِ فَاضِلٍ إِلَى مُحَاكَاةِ لَا فَاضِلٍ
 لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ يَمَّا يَحْثُ الْإِنْسَانَ وَيُزَجِّجُهُ إِلَى فِعْلِ الْفَضَائِلِ إِذَا
 كَانَ لَيْسَ يُوجِبُ حُبَّهَا زَائِدَةً وَلَا خَوْفًا. وَالْأَقَاوِيلُ الْمَدِيحِيَّةُ
 يُجِبُ أَنَّ يُوجَدَ فِيهَا هَذَانِ الْأَمْرَانِ وَذَلِكَ يَكُونُ إِذَا أَثْقَلَ مِنْ
 مُحَاكَاةِ الْفَضَائِلِ إِلَى مُحَاكَاةِ الشَّقَاوَةِ وَرَدَّاءَةِ النَّازِلَةِ بِالْأَفْضَلِ
 أَوْ أَثْقَلَ مِنْ هَذِهِ إِلَى مُحَاكَاةِ أَهْلِ الْفَضَائِلِ فَإِنَّ هَذِهِ الْحَاكَاةَ
 تُرْقُ النَّفْسُ وَتَذَجِّجُهَا إِلَى قَبُولِ الْفَضَائِلِ وَأَنْتَ تَجِدُ أَكْثَرَ الْحَاكَاةِ
 الْوَاقِعَةِ فِي الْأَقَاوِيلِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى هَذَا الْخَوْرِ الَّذِي ذُكِرَ إِذْ
 كَانَتْ تِلْكَ هِيَ الْأَقَاوِيلُ مَدِيحِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَى الْعَمَلِ بِمِثْلِ مَا وَرَدَ
 مِنْ حَدِيثِ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَقَاوِيلِ الَّتِي تُسَمَّى
 مَوَاطِظَ (قَالَ) وَإِنَّمَا تَحْدُثُ الرَّحْمَةُ وَالرِّقَّةُ بِذِكْرِ حَدُوثِ الشَّقَاوَةِ

بَيْنَ لَا يَسْتَحِقُّ وَعَلَى غَيْرِ الْوَاجِبِ. وَلِخَوْفِ إِنَّمَا يَحْدُثُ عِنْدَ
 ذِكْرِ هَذِهِ مِنْ قَبْلِ تَحْيِيلِ وَقَعِ الضَّارِ بَيْنَ هُوَ ذَوْنُهُمْ أَغْنَى بِنَفْسِ
 السَّامِعِ إِذَا كَانَ آخَرَى بِذَلِكَ وَالْحُزْنَ وَالرَّحْمَةَ إِنَّمَا تَحْدُثُ عِنْدَ هَذِهِ
 مِنْ قَبْلِ وَقْعِهَا بَيْنَ لَا يَسْتَحِقُّ وَإِذَا كَانَ ذِكْرُ الْفَضَائِلِ مُفْرَدَةً لَا
 يُوقِعُ فِي النَّفْسِ خَوْفًا مِنْ قَوَاتِيهَا وَلَا رَحْمَةً وَحُبَّةً قَوَائِبُ عَلَى مَنْ
 يُرِيدُ أَنْ يَحْثُ عَلَى الْفَضَائِلِ أَنْ يَجْعَلَ جُزْءًا مِنْ مُحَاكَاةِ لِلْأَشْيَاءِ
 الَّتِي تَبَعَتْ الْحُزْنَ وَالْخَوْفَ وَالرَّحْمَةَ (قَالَ) وَلِذَلِكَ الْمَدَامُ الْجِلْسَانُ
 الْمَوْجُودَةُ لِصِنَاعَةِ الشَّعْرِ هِيَ الْمَدَامُ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا هَذَا التَّزْكِيْبُ
 أَغْنَى ذِكْرَ الْفَضَائِلِ وَالْأَشْيَاءِ الْمُخَرَّجَةِ الْخَوْفَ وَالرَّحْمَةَ (قَالَ) وَلِذَلِكَ
 يُحْطَى الَّذِينَ يَأْمُرُونَ مَنْ يَجْعَلُ أَحَدَ أَجْزَاءِ شِعْرِهِ هَذِهِ الْخَوَافَاتِ
 وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ نَافِعٌ فِي الْمَدَامِ أَنَّ صِنَاعَةَ الْمَدَامِ
 الْجِهَادِيَّةَ قَدْ تَدْخُلُ فِيهَا الْمُنْفِصَاتُ وَالْعَصَبُ هُوَ حُزْنٌ مَعَ حُبٍّ
 شَدِيدٍ لِلْإِتِّسَامِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَذِكْرُ الرِّزَايَا وَالْمَصَائِبِ
 النَّازِلَةِ بِأَهْلِ الْفَضْلِ يُوجِبُ حُبًّا زَائِدًا لَهُمْ وَخَوْفًا مِنْ قَوَاتِ
 الْفَضَائِلِ قَامًا مُحَاكَاةً الْقَائِصِ فِي الْمَدَامِ قَدْ يُدْخِلُهَا قَوْمٌ فِيهَا
 لِأَنَّ فِيهَا ضَرْبًا مِنَ الْإِدَارَةِ لَكِنْ مُنَاسِبَةً دَمَ الْقَائِصِ لِصِنَاعَةِ
 الْعِجَاءِ أَكْثَرُ مِنْهَا لِصِنَاعَةِ الْمَدَامِ وَلِذَلِكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَحْيِيلُهَا
 فِي الْمَدَامِ عَلَى الْقَصْدِ الْأَوَّلِ بَلْ مِنْ قَبْلِ الْإِدَارَةِ وَإِذَا كَانَ
 الشَّعْرُ الْمَدَامِي مُذَكَّرٌ فِيهِ الْقَائِصُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهِ ذِكْرُ
 الْأَعْدَاءِ الْمُنْفِصِينَ وَالْمَدَامِ إِنَّمَا تُبْتَنَى عَلَى ذِكْرِ أَفْعَالِ الْأَوْلِيَاءِ

وَالْأَصْدِقَاءُ. وَأَمَّا عَدُوُّ الْعَدُوِّ أَوْ صَدِيقُ الصَّدِيقِ فَلَيْسَ يُذَكَّرُ لَا فِي الْمَذْحِ وَلَا فِي اللَّذَمِّ إِذْ كَانَ لَا صَدِيقًا وَلَا عَدُوًّا (قَالَ) وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْخَرَاةُ الْخَيْفَةُ الْخَزَنَةُ تَخْرُجُهَا تَخْرُجَ مَا يَقَعُ تَحْتَ الْبَصَرِ يُرِيدُ مِنْ وَقُوعِ الصَّدِيقِ بِهَا لِأَنَّهُ إِذَا كَانَتْ الْخَرَاةُ مَشْكُوكًا فِيهَا أَوْ أُخْرِجَتْ تَخْرُجَ مَشْكُوكٍ فِيهَا لَمْ تَفْعَلِ الْفِعْلَ الْمَقْصُودَ بِهَا وَذَلِكَ أَنَّ مَا لَا يُصَدِّقُهُ الْمَرْءُ فَهُوَ لَا يَنْزِعُ مِنْهُ وَلَا يُشْفِقُ لَهُ. وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ السَّبَبُ فِي أَنْ كَثِيرًا مِنَ الَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْقَصَصِ الشَّرْعِيِّ يَحِيدُونَ أَرَاذِلَ لِأَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يَتَحَرَّكُونَ بِالطَّبَعِ لِأَحَدِ قَوْلَيْنِ إِمَّا قَوْلَ بَرَهَانِي وَإِمَّا قَوْلَ لَيْسَ بَرَهَانِيَا. وَهَذَا الصَّنْفُ الْحَبِيسُ مِنَ النَّاسِ قَدْ عَدِمَ التَّحَرُّكُ عَنْ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ (قَالَ) وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ يُدْخِلُ فِي الْمَدَائِحِ مُحَاكَاةَ أَشْيَاءٍ يُقْصَدُ بِهَا التَّعْجُبُ فَقَطُّ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ مُحِيمَةً وَلَا مُحْزِنَةً وَأَنْتَ تَحْدُثُ مِثْلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا كَثِيرًا فِي الْمَكْتُوباتِ الشَّرْعِيَّةِ إِذَا كَانَتْ مَدَائِحُ الْفَضَائِلِ لَيْسَ تُوجَدُ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَإِنَّمَا تُوجَدُ فِي زَمَانِنَا هَذَا فِي السَّنَنِ الْمَكْتُوبَةِ (قَالَ) وَهَذَا الْفِعْلُ لَيْسَ فِيهِ مُشَارَكَةٌ لِصِنَاعَةِ الْمَدِيحِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ يُقْصَدُ مِنْ صِنَاعَةِ الشُّعْرِ أَيُّ لَذَّةٍ أَوْ تَنْفَعَةٍ لَكِنْ إِنَّمَا يُقْصَدُ بِهَا حُصُولُ الْإِلْتِذَازِ بِتَخْيِيلِ الْفَضَائِلِ وَهِيَ اللَّذَّةُ الْمُنَاسِبَةُ لِصِنَاعَةِ الْمَدِيحِ (قَالَ) وَهُوَ مَعْلُومٌ مَا هِيَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَفْعَلُ اللَّذَاتِ بِهَا كَاتِبَاتُهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَلْحَقَ عَنْ ذَلِكَ حُزْنٌ وَلَا خَوْفٌ. وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَلْحَقُ بِهَا إِلَّا لِتِلْكَ الْإِلْتِذَازِ بِهَا كَاتِبَاتُهَا

الرَّحْمَةِ وَالْخَوْفَ فَإِنَّمَا يَقْدِرُ الْإِنْسَانُ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَلْتَسَ آيَ
الْأَشْيَاءِ هِيَ الصَّعْبَةُ مِنَ الثَّوَابِ الَّتِي تُؤَبُّ وَآيَ الْأَشْيَاءِ هِيَ
الْأَشْيَاءُ الَّتِي سَيَرَةُ الْهَيْئَةِ الَّتِي لَيْسَ يَلْحَقُ عَنْهَا كِبَرُ حُزْنٍ وَلَا خَوْفٌ
وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ هِيَ مَا يَزِلُّ بِالْأَصْدِقَاءِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ
مِنْ قَبْلِ الْإِرَادَةِ مِنَ الرِّزَايَا وَالْمَصَائِبِ لَا مَا يَزِلُّ بِالْأَعْدَاءِ
بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ يَحْزَنُ وَلَا يُشْفِقُ لِمَا يَزِلُّ
مِنْ الشُّوْءِ بِالْعَدُوِّ مِنْ عَدُوِّهِ كَمَا يَحْزَنُ وَيَخَافُ مِنَ الشُّوْءِ النَّازِلِ
بِالصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَلْحَقُ عَنْ ذَلِكَ أَلَمْ فَلَيْسَ
يَلْحَقُ مِثْلُ أَلَمْ الَّذِي يَلْحَقُ مِنَ الشُّوْءِ الَّذِي يَزِلُّ مِنَ الْخَبِيرِ
بَعْضُهُمْ بَعْضٍ وَثَلُ قَتْلِ الْأَخُوَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَوْ قَتْلِ الْأَبَاءِ الْأَبْنَاءِ
أَوْ الْأَبْنَاءِ الْأَبَاءِ وَلِهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ كَانَ قَصَصُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي
أَنَّهُ فِي غَايَةِ الْأَقَابِيلِ الْمَوْجِبَةِ لِلْحُزْنِ وَالْخَوْفِ (قَالَ) وَالْمَذْحُ إِنَّمَا
يَتَّبَعِي أَنْ يَكُونَ بِالْأَفْعَالِ الْقَاضِيَةِ الَّتِي تُصَدُّ عَنْ إِرَادَةِ وَعِلْمٍ
لِأَنَّ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا يُفْعَلُ عَنْ إِرَادَةِ وَعِلْمٍ وَمِنْهَا مَا يُفْعَلُ لَا عَنْ
إِرَادَةِ وَلَا عِلْمٍ وَمِنْهَا يُفْعَلُ عَنْ عِلْمٍ لَا عَنْ إِرَادَةٍ أَوْ عَنْ إِرَادَةٍ
لَا عَنْ عِلْمٍ وَكَذَلِكَ الْأَفْعَالُ مِنْهَا مَا تَكُونُ لَيْنَ يَرَفُ وَلَيْنَ لَا
يَرَفُ فَالْفِعْلُ إِذَا صَدَرَ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ وَلَا إِرَادَةٍ فَلَيْسَ يَدْخُلُ فِي
بَابِ الْمَذْحِ وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ صَادِرًا مِنْ غَيْرِ مَعْرُوفٍ لِأَنَّهُ يَكُونُ
جَائِزًا فِي الْأَكْثَرِ أَوْ بَاتٍ أَدْخِلَ مِنْهُ فِي الشَّعْرِ وَلَا يَجِبُ أَنْ
يُحَاسَبَ. وَأَمَّا الْأَفْعَالُ الَّتِي لَا يُشْكُ أَنَّهَا صَدَرَتْ عَنْ إِرَادَةٍ وَمَعْرِفَةٍ

وَعَنْ مَعْرُوفِينَ قَمَا أَحْسَنَ الْأَسْتِدْلَالَ الَّذِي يَكُونُ فِي هَذِهِ
الْأَفْصَالِ (قَالَ) قَامًا فِي حُسْنِ قَوَامِ الْأُمُورِ الَّتِي تُرَكَّبُ مِنْهَا
الْأَشْعَارُ وَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَرْكِيبُهَا فَقَدْ قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَوْلًا
كَافِيًا قَامًا أَيُّ الْعَادَاتِ هِيَ الْعَادَاتُ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُحَاكِي فِي
الْمَدْحِ فَقَدْ يَجِبُ أَنْ نَقُولَ فِيهَا فَنَقُولُ إِنَّ الْعَادَاتِ الَّتِي تُحَاكِي عِنْدَ
الْمَدْحِ الْحَيِّدِ أَعْنِي الَّذِي يَحْسُنُ مَوْقِعُهَا مِنَ السَّامِعِينَ أَرْبَعَةٌ أَحَدَاهَا
الْعَادَاتُ الَّتِي هِيَ خَيْرَةٌ وَقَاضِيَةٌ فِي ذَلِكَ الْمَدْحُ فَإِنَّ الَّذِي يُؤَيِّرُ
فِي النَّفْسِ هُوَ مُحَاكَاةُ الْأَشْيَاءِ الْحَقِّ الْمَوْجُودَةِ فِي ذَلِكَ الْمَدْحِ
وَكُلُّ جِنْسٍ فِيهِ خَيْرٌ مَا وَإِنْ كَانَ فِيهِ أَشْيَاءٌ لَيْسَتْ خَيْرًا. وَالثَّانِيَّةُ
أَنْ تَكُونَ الْعَادَاتُ مِنَ الَّتِي تَلِيْقُ بِالْمَدْحِ وَتَضِلُّ لَهُ وَذَلِكَ أَنَّ
الْعَادَاتِ الَّتِي تَلِيْقُ بِالْمَرْأَةِ لَيْسَتْ تَلِيْقُ بِالرَّجُلِ. وَالثَّالِثَةُ أَنْ تَكُونَ
مِنَ الْعَادَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِيهِ عَلَى أَتَمِّ مَا يُمَكِّنُ أَنْ تُوجَدَ فِيهِ مِنَ
الشَّيْءِ وَالْمُوَافَقَةِ. وَالرَّابِعَةُ أَنْ تَكُونَ مُعْتَدِلَةً مُتَوَسِّطَةً بَيْنَ الْأَطْرَافِ
وَأِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَوَائِدَ الرَّدَّةَ لَيْسَ بِمَا يُدَحُّ بِهَا
وَكَذَلِكَ الْعَوَائِدُ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِالْمَدْحِ وَإِنْ كَانَتْ جَيَادًا وَكَذَلِكَ
الْعَوَائِدُ اللَّائِنَةُ إِذَا لَمْ تُوجَدَ عَلَى أَتَمِّ مَا يُمَكِّنُ فِيهَا مِنَ الشَّاهِدَةِ
أَوْ لَمْ تُوجَدَ مُسْتَوَاقَةً وَالْعَوَائِدُ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ وَتَدُلُّ عَلَى الْخُلُقِ الْحَسَنِ
الْفَاضِلِ مِنْهَا مَا هِيَ كَذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ وَمِنْهَا مَا هِيَ كَذَلِكَ فِي
الْمَشْهُورِ وَمِنْهَا مَا هِيَ شَبِيهَةٌ بِهَذَيْنِ وَالْعَوَائِدُ أَلْيَادُ إِمَّا حَقِيقَةٌ
وَأِمَّا شَبِيهَةٌ بِالْحَقِيقَةِ وَإِمَّا مَشْهُورَةٌ أَوْ شَبِيهَةٌ بِالْمَشْهُورَةِ وَكُلُّ

هذه تدخل في المدح (قال) ويجب أن تكون خواتم الأشعار
والقصائد تدل بإجمال على ما تقدم ذكره من العوائد التي وقع
المدح بها كالحال في خواتم الخطب وأن يكون الشاعر لا يورد
في شعره من الحكاكة الخارجة عن القول إلا بقدر ما يحتج به
الخطبون من ذلك حتى لا ينسب في ذلك إلى الغلو والخروج
عن طريقة الشعر ولا إلى التقصير (قال) والتشبيه والحكاكة هي
مدامح الأشياء التي في غاية القضية فكما أن المصور الحاذق
يصور الشيء بحسب ما هو عليه في الوجود حتى أنهم قد يصورون
الغضاب والكسالى مع أنها صفات نفسانية كذلك يجب أن
يكون الشاعر في حكاكاته يصور كل شيء بحسب ما هو عليه حتى
يحاكي الأفعال وأحوال النفس وذكر مثال ذلك في شعر
الأرميدوش قاله في عفة قضية عرفت لرجل ومن هذا النحو من
التخييل أعني الذي يحاكي حال النفس قول أبي الطيب يصف
رسول الروم الواصل إلى سيف الدولة :

أناك يكاد الرأس يخجر عنقه وتقد تحت الذعر منه المناصل
يقوم تغويم التماطين مشيه إليك إذا ما عوجة الأفاكل
(قال) ويجب على الشاعر أن يلزم في تخيلاته وحكاياته
الأشياء التي جرت العادة باستعمالها في التشبيه ولا يتعدى في ذلك
طريقة الشعر (قال) وأنواع الاستبدالات التي تجري على هذا
التجري أعني الحكاكة الجارية تجرى الجودة على الطريق الصائبي

أَنوَاعٌ كَثِيرَةٌ فِيهَا أَنْ تَكُونَ الْحَاكَاةُ لِأَشْيَاءٍ مَحْسُوسَةٍ بِأَشْيَاءٍ
مَحْسُوسَةٍ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَوْقِعَ الشَّكَّ لَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا وَتُؤَيِّمُ أَنَّهَا هِيَ
لِأَشْئَرِ أَصْلَافِهَا فِي أَحْوَالِ مَحْسُوسَةٍ وَذَلِكَ مِثْلُ تَسْيِيهِمْ بِلِغْضِ
ضَوْرِ الْكَوَاكِبِ سَرَطَانًا وَلِبَعْضِهَا تُمْسِكُ الْحَرِيَّةَ لِأَنَّهَا مِنْ جِهَةِ
الشَّكْلِ يُمَكِّنُ أَنْ يَتَوَمَّ مَتَوَمِّمٌ أَنَّهَا هِيَ . وَجُلُّ تَشْبِيهَاتِ
الْقَرَبِّ رَاجِعَةٌ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ . وَلِذَلِكَ كَانَتْ حُرُوفُ التَّشْبِيهِ عِنْدَهُمْ
تَقْتَضِي الشَّكَّ وَكُلَّمَا كَانَتْ هَذِهِ التَّوَهُّمَاتُ أَقْرَبَ إِلَى وَتَوْقِعِ
الشَّكْلِ كَانَتْ أَمَّ تَشْبِيهِهَا وَكُلَّمَا كَانَتْ أَبْعَدَ مِنْ وَتَوْقِعِ الشَّكْلِ
كَانَتْ أَنْقَصَ تَشْبِيهِهَا وَهَذِهِ هِيَ الْحَاكَاةُ الْبَعِيدَةُ وَيَتَّبِعِي أَنْ
طَلَحَ وَذَلِكَ وَمِثْلُ قَوْلِ أَمْرِيءِ الْقَيْسِ فِي الْقَرَسِ :

كَأَنَّهَا هِرَاوَةٌ وَنَوَالٍ

وَمِثْلُ قَوْلِهِ :

إِذَا أَقْبَلْتُ قُلْتُ دَبَّاءَةٌ مِنْ الْخَضِرِ مَفْهُوسَةٌ فِي الْقَدْرِ
وَأِنْ أَدْبَرْتُ قُلْتُ أَثْفِيَّةٌ مُلَمَّسَةٌ لَيْسَ فِيهَا أَمْرٌ
وَأِنْ كَانَ هَذَا أَقْرَبَ مِنَ الْأَوَّلِ لِأَنَّ فِيهِ مُقَابَلَةً مَا . وَمِنْهَا
أَنْ تَكُونَ الْحَاكَاةُ لِأُمُورٍ مَعْتَرِيَةٍ بِأُمُورٍ مَحْسُوسَةٍ إِذَا كَانَ لِتِلْكَ
الْأُمُورِ أَفْعَالٌ مُسَابِقَةٌ لِتِلْكَ الْعَالِيَةِ حَتَّى تُؤَيِّمَ أَنَّهَا هِيَ مِثْلُ
قَوْلِهِمْ فِي الْيَمَّةِ إِنَّهَا طَلُوقُ الْعَتَقِ وَفِي الْإِحْسَانِ قَيْدٌ كَمَا قَالَ أَبُو
الطَّيِّبِ :

وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقِيدَا

وَهَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَمِنْهُ قَوْلُ إِعْرِضِ الْقَيْسِ:

قَيْدُ الْأَوَايِدِ هَيْكَلُ

وَمَا كَانَ مِنْ هَذِهِ أَيْضًا غَيْرُ مُنَاسِبٍ وَلَا شَيْءٍ قَيْنَبِي أَنْ
يُطْرَحَ وَهَذَا كَثِيرًا مَا يَوْجَدُ فِي أَشْعَارِ الْخُدَّيْنِ وَبِجَاصَةِ فِي شِعْرِ
أَبِي تَمَّامٍ مِثْلُ قَوْلِهِ:

لَا تَسْقِنِي مَاءَ الْمَلَامِ

فَإِنَّ أَلْمَاءَ غَيْرُ مُنَاسِبٍ لِلْمَلَامِ . وَانْخَفُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ:

كُتِبَ الْمَوْتُ رَابِنًا وَحَلِيلًا

وَكَمَا أَنَّ الْبَعِيدَ الْوُجُودَ هَاهُنَا مُطْرَحٌ كَذَلِكَ يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ
الْشَّيْءُ بِالْحَيْسِ الْوُجُودِ مُطْرَحًا أَيْضًا وَأَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ
بِالْأَشْيَاءِ الْفَاضِلَةِ . فَيَقَالُ تَشْبِيهِ الشَّرِيفِ بِالْحَيْسِ قَوْلُ الرَّاجِزِ:
وَالشَّيْءُ مَا لِلَّهِ وَلَمَّْا تَفْعَلْ فَكَانَهَا فِي الْأَفْرِ عَيْنُ الْأَحْوَلِ
وَكَمَا قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَدْحُ سَيْفِ الدَّوَالَةِ:

وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُونَ أَنَّهُمْ سَتَلْقَاهُمْ يَوْمًا وَتَلْقَى الدُّمُسْتَقَا
وَكَانُوا كُفَّارًا وَشَوْمًا خَافَ حَايِطُ . وَكَذَلِكَ كَسَنُورٍ عَلَيْهِمْ تَسَلَّقَا
قَالَ وَهَذَا نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الشُّعْرِ وَهِيَ الْأَشْعَارُ الَّتِي هِيَ فِي بَابِ
التَّضْدِيقِ وَالْإِفْتِخَاعِ أُدْخِلَ مِنْهَا فِي بَابِ التَّحْيِيلِ وَهِيَ أَقْرَبُ إِلَى
الْمَثَلَاتِ الْخَطِيئَةِ مِنْهَا إِلَى الْحَاكَاةِ الشُّعْرِيَّةِ وَهَذَا الْجِنْسُ الَّذِي
ذَكَرَهُ مِنَ الشُّعْرِ هُوَ كَثِيرٌ فِي شِعْرِ أَبِي الطَّيِّبِ مِثْلُ قَوْلِهِ:

لَيْسَ السَّكَلُ فِي الْمَيْتَيْنِ كَالسَّكَلِ

وَقَوْلِهِ:

فِي طَلَعِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ مَنْ دَحَلَ

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي فِرَاسٍ:

وَنَحْنُ أَكْأَسُ لَا تَوْسُطَ عِنْدَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ
تَهُونَ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نُفُوسُنَا وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يَغْلُهُ الْمَرْءُ
(قَالَ) وَالنَّوعُ الثَّلَاثُ مِنَ الْخَطَاكَاهِ هِيَ الْخَطَاكَاهُ الَّتِي تَقَعُ

بِالتَّذَكُّرِ وَذَلِكَ أَنْ يُورِدَ الشَّاعِرُ شَيْئًا يُتَذَكَّرُ بِهِ شَيْءٌ آخَرُ مِثْلُ أَنْ
يَرَى الْإِنْسَانَ حَطًّا إِنْسَانًا فَيَتَذَكَّرُهُ فَيَحْزَنُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مَيِّتًا أَوْ
يَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ إِنْ كَانَ حَيًّا وَهَذَا مُوجُودٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ كَثِيرًا
مِثْلُ قَوْلِ مُتَمِّمِ بْنِ نُوَيْرَةَ:

وَقَالُوا أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ قَبْرِ قَوِي بَيْنَ أَيْلَوِي وَالْأَدَّكَادِكِ
فَقُلْتُ لَمْ أَنْ أَلَا سَيِّئَتِ الْأَسَى دَعَوْنِي قَهْدًا كُلُّهُ قَبْرٌ مَا لَكَ
وَمِنْهُ قَوْلُ قَيْسِ الْجَنْدَرِ:

وَدَاعَ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى
فَهَيَّجَ أَحْزَانَ الْقَوَادِ وَمَا يَسْذِرِي
دَعَا بِأَنَّمْ لِي غَيْرَهَا فَكَأَنَّا

أَطَارَ بِلَيْلى طَائِرًا كَانَ فِي سِدْرِي

وَمِنْ هَذَا النَّوعِ قَوْلُ الْحَسَنَاءِ:

يُذَكِّرُنِي فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ صَحْرًا وَآذَكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ

وَقَوْلُ الْهَذَلِيِّ:

أَبَى الصَّبْرُ إِنِّي لَا يَزَالُ يَهْجِي مَيِّتٌ لَنَا فَيَا مَضَى وَمَقِيلٌ
إِذَا مَا أَيَّاصُ الصُّبْحِ أَنْتَ ضَوْءُهُ يُكَادُونِي رَجْمٌ عَلَيَّ ثَقِيلٌ
وَهَذَا النَّوعُ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَمِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ تَذَكُّرُهَا
الْأَجَبَةُ بِالْذِّكْرِ وَالْأُظْلَالُ كَمَا قَالَ :

فَقَا بَكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٌ وَمَنْزِلٌ
وَيَتَرَبُّ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ مَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْعَرَبِ مِنْ
تَذَكُّرِ الْأَجَبَةِ بِالْخِيَالِ وَإِقَامَتِهِ نَقَامَ الْفُحْلِ كَمَا قَالَ شَاعِرُهُمْ :
وَأَتِي لَا نَسْتَشِي وَمَا لِي نَسَةً لَعَلَّ حَيَالًا وَنَسَكَ يَلْقَى حَيَالًا
وَأَخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الْيُوتِ لَعَلِّي أُحَدِّثُكَ عَنَّا الْفُحْلُ فِي الْبَرِّ حَالًا
وَتَصَرَّفُ الْعَرَبُ وَأَتُحَدِّثِينَ فِي الْخِيَالِ مُتَقِينَ وَأَتَحَا أَنْتَعِمَ لَهُمْ
لَهُ كَثِيرَةٌ وَلِذَلِكَ يُشَبَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَوَاضِعِ الشَّعْرِيَّةِ الْخَاصَّةِ
بِالنَّبِيِّ وَقَدْ يَدْخُلُ فِي الرِّثَاءِ كَمَا قَالَ الْبُخَّارِيُّ :

خَلَا نَظَرِي مِنْ طَيْفِهِ بَعْدَ شَخْصِهِ فَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ فَقَدْ عَلَى قَدَرٍ
(قَالَ) وَأَمَّا النَّوعُ الرَّابِعُ مِنَ الْحَاكَاةِ فَهُوَ أَنْ يُذَكَّرَ أَنَّ
شَخْصًا مَا شَيْءٌ بِشَخْصٍ مِنْ ذَلِكَ النَّوعِ بَيْنَهُ وَهَذَا الشَّيْءُ لَا
يَكُونُ إِلَّا فِي الْخَلْقِ أَوْ الْخَلْقِ بِمِثْلِ قَوْلِ الْقَائِلِ جَاءَ شَيْءٌ يُوسِفَ
وَلَمْ يَأْتِ إِلَّا فَلَانٌ وَمِنْ هَذَا قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

وَتَعْرِفُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ شَيْئًا
وَالْتَضَرِّجُ بِالشَّيْءِ خِلَافَ الشَّيْءِ فَإِنَّ الشَّيْءَ هُوَ إِهْلَاقُ شَيْءٍ
وَالْتَضَرِّجُ بِالشَّيْءِ بَيْنَ أَثْنَيْنِ هُوَ تَحْقِيقُ لَوْجُودِ الشَّيْءِ وَهُوَ الْغَايَةُ فِي

مُطَابَقَةُ الْفَيْحِلِ أَعْنِي إِذْ قِيلَ شَيْءٌ ثَلَاثًا (قَالَ) وَالتَّوَعُّعُ لِحَامِسُ
هُوَ الَّذِي يَسْتَعِيلُهُ السُّوفِسْطَائِيُّونَ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَهُوَ الثَّلَاثُ الْكَاذِبُ
وَهَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَالْمُحَدِّثِينَ مِثْلُ قَوْلِ النَّابِغَةِ:
تَقْدُ السَّلَوقِي الْمَضَاعَفَ تَنْجُهُ وَتُوقِدُ بِالضَّفَاحِ نَارَ الْحَبَابِ
وَقَوْلِ الْآخَرِ:

فَلَوْ لَا الرِّيحُ أَسْمِعَ مَنْ يَحْجِرُ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُثْرَعُ بِالذُّكُورِ
وَهَذَا كُلُّهُ كَذِبٌ وَمِنْ هَذَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ:
عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَرَّانِ
وَقَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ:
لَوْ أَلْفَاكَ الدَّوَّارُ أَبْغَضْتُ سَيَرَهُ لَعَرَفَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَرَانِ
وَمِنْ هَذَا أَلْبَابُ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ:
مِنْ أَلْفَا صِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحُولٌ

مِنْ الدَّرِّ فَوْقَ أَلَاتِبٍ مِنْهَا لَا تُرَا
وَهَذَا كَثِيرٌ مَوْجُودٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَلَيْسَ تَجَدُّ فِي
الْكِتَابِ التَّعْزِيزُ مِنْهُ شَيْئًا إِذْ كَانَ يَتَدَلُّ مِنْ هَذَا الْجُلُوسِ مِنْ
الْقَوْلِ أَعْنِي الشِّعْرَ مَذْمُومَ الْكَلَامِ السُّوفِسْطَائِيِّ مِنَ الْبُرْهَانِ
وَلَكِنْ قَدْ يُوجَدُ لِلْمَطْبُوعِ مِنَ الشُّعْرَاءِ مِثْلُ شَيْءٍ مَحْمُودٌ مِثْلُ قَوْلِ
الْمُتَنَبِّئِيِّ:

وَأَنَّى أَهْتَدَى هَذَا الرَّسُولُ بِأَرْضِهِ
وَمَا سَكَنْتُ مُذِيرَتَ فِيهَا الْقَسَاطِلُ

وَمِنْ أَيِّ مَادَّ كَانَ يَسْتَقِي جِيَادَهُ
وَلَمْ تَصِفْ مِنْ مَرْجِ الدِّمَادِ الْمَاهِلُ
وَقَوْلِهِ:

لَيْسَ الْوَشْيَ لَا مُتَجَمِّلَاتٍ وَلَكِنْ كَيْ يَصُنَّ بِهِ الْجَمَالَ
وَصَفَرْنَ الْقَدْلَوَ لَا لِحُسْنٍ وَلَكِنْ خَفَنَ فِي الشَّعْرِ الضَّلَالَ
وَهَاهُنَا مَوْضِعُ سَادِسٍ مَشْهُورٍ يَسْتَعْمِلُهُ الْعَرَبُ وَهُوَ إِقَامَةُ
الْجَمَادَاتِ مُقَامَ الْأَطْيَافِ فِي مُحَاطَبَتِهِمْ وَمُرَاجَعَتِهِمْ إِذَا كَانَتْ فِيهَا
أَحْوَالٌ تَدُلُّ عَلَى التَّلَطُّقِ مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَاذِ لَأَرَأَيْتُهُ وَكَثَرَ الرِّحْمَانُ حِينَ رَأَيْتَنِي
فَضَلْتُ لَهُ أَيْنَ الَّذِينَ عَهَدْتُهُمْ حَوَالِكَ فِي أَمْنٍ وَخَفَضَ زَمَانُ
فَقَالَ مَضُوا وَأَسْتَوْدَعُونِي بِلَادَهُمْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْخَدَّائِ
وَمِنْ هَذَا أَلْبَابِ مُحَاطَبَتِهِمُ الدِّيَارَ وَالْأَطْلَالَ وَمُجَابَوَتِهَا لَهُمْ
كَقَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ:

وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ يَمَّا أَبْتُهُ تُكَلِّمُنِي أَنْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ
وَقَوْلِ عَذْرَةِ:

أَعْيَاكَ رَسْمُ الدَّارِ لَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى تَكَلَّمَ كَالْأَصَمِّ الْأَعْمَى
يَا دَارَ عَبَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعَمِي صَبَا مَا دَارَ عَبَةٍ وَأَسْلَمِي
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ يَمَّا يُشْبِهُ هَذَا يَمَّا هُوَ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ وَقَدْ ذَكَرَ هُوَ
هَذَا الْمَوْضِعَ فِي كِتَابِ الْخَطَابَةِ وَذَكَرَ أَنَّ لُومِيْرُوشَ كَانَ يَحْتَمِلُهُ
كَثِيرًا (قَالَ) وَالْأَسْتِدْلَالُ الْفَاضِلُ وَالْإِدَارَةُ إِنَّمَا تَكُونُ لِلْأَفْعَالِ

الْإِرَادِيَّةِ وَكَثُرَ مَا يُوجَدُ هَذَا التَّنوعُ مِنَ الْإِسْتِدْلَالِ فِي الْكِتَابِ
الْعَزِيزِ أَعْنِي فِي مَدْحِ الْأَفْصَالِ الْقَاضِيَةِ وَذَمِّ الْأَفْعَالِ الْقَصِيرِ قَاضِيَةِ
وَهُوَ قَلِيلٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ. وَمِثَالُ الْإِدَارَةِ فِي الْمَدْحِ قَوْلُ
الْقُرْآنِ : ضَرَبَ اللَّهُ سِتْلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً إِلَى قَوْلِهِ : مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ .
وَمِثَالُ الْإِسْتِدْلَالِ : قَوْلُهُ : كَيْثُلُ حَبَّةٍ أَنْتَ سَبْعَ سَنَائِلٍ إِلَّا يَهْ .
(قَالَ) وَاجَادَةُ الْقَصْرِ الشَّعْرِيِّ وَالْبُلُوعُ بِهِ إِلَى غَايَةِ التَّمَامِ
إِنَّمَا يَكُونُ مَتَى بَلَغَ الشَّاعِرُ مِنْ وَصْفِ الشَّيْءِ أَوْ الْقَضِيَّةِ
الْوَاقِعَةِ إِلَيْهِ يَصِفُهَا مَبْلَغًا يُرِي السَّامِعِينَ لَهُ كَأَنَّهُ مُحْسُوسٌ وَمَنْظُورٌ
إِلَيْهِ وَيَكُونُ مَعَ هَذَا ضِدُّهُ غَيْرَ ذَاهِبٍ عَلَيْهِمْ مِنْ ذَلِكَ الْوَصْفِ
وَهَذَا يُوجَدُ كَثِيرًا فِي شِعْرِ التَّحْوِيلِ وَالْمُفْلِقِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ لَكِنْ إِنَّمَا
يُوجَدُ هَذَا التَّحْوِيلُ مِنَ التَّخْيِيلِ لِلْعَرَبِ لِمَا فِي أَفْعَالِهِ غَيْرِ عَفِيفَةٍ وَإِنَّمَا
فِيهَا الْقَصْدُ مِنْهُ مُطَابَقَةُ التَّخْيِيلِ فَقَطْ فَتَقَالُ مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ فِي
الْفُجُورِ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ
فَقَالَتْ سَبَاكَ اللَّهُ إِنَّكَ فَاضِحِي أَلَسْتَ تَرَى السُّمَارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي
فَقُلْتُ يَمِينَ اللَّهُ أَبْرَحُ قَاعِدَا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْيِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي
وَمِثَالُ مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ بِمَا الْقَصْدُ بِهِ مُطَابَقَةُ الشَّيْءِ فَقَطْ
قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ يَصِفُ النَّارَ :

وَيَسْقُطُ كَعَيْنِ أَلَيْكَ عَاوَزَتْ ضَحْبَتِي

أَبَاهَا وَهَيَّأْنَا لَوَقْعِهَا وَكُرَّا

قُلْتُ لَهَا أَرَفَعُهَا إِلَيْكَ وَأَحْيِيهَا
 بِرُوحِكَ وَأَقْتَنُهَا قِتَّةَ قَدَرَا
 وَظَاهِرُهَا مِنْ يَابِسِ الشَّخْتِ وَأَسْتَيْنِ
 عَلَيْهَا أَلَصًّا وَأَجْعَلُ يَدَيْكَ لَهَا سِتْرًا
 وَقَدْ يُوجَدُ فِي أَشْعَارِهِمْ فِي وَغْفِ الْأَحْوَالِ أَلْوَاقِعُ وَمِثْلُ
 الْحُرُوبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتِمَّدُحُونَ بِهِ وَأَلْتَسِّي أَفْضَلُ مَنْ يُوجَدُ لَهُ
 هَذَا الصِّنْفُ مِنَ التَّخْيِيلِ وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِ وَلِذَلِكَ يُحْكِي عَنْهُ
 أَنَّهُ كَانَ لَا يُرِيدُ أَنْ يَصِفَ أَلْوَقَاعَ الْإِنْسَانِ لَمْ يَشْهَدْهَا مَعَ سَيْفِ الدَّوَلَةِ
 وَاجَادَةُ هَذَا النَّوعِ مِنَ التَّشْبِيهِ يَأْتِي بِأَنْ يُخْضَلَ لِلْإِنْسَانِ أَوْ لَا جَمِيعُ
 التَّلَاعِي أَلْتِي فِي الشَّيْءِ الَّذِي يَقْصِدُ وَصْفَهُ ثُمَّ يَرْكَبُ عَلَى تِلْكَ
 التَّلَاعِي الْأَجْزَاءَ الثَّلَاثَةَ مِنْ أَجْزَاءِ الشَّعْرِ أَعْنِي التَّخْيِيلَ وَالْوَزْنَ
 وَاللَّحْنَ (قَالَ) وَتَعْدِيدُ مَوَاضِعِ الْأَسْتِدْلَالَاتِ مِمَّا يَطُولُ وَإِنَّمَا
 أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى كَثَرَتِهَا وَخِلَافِ الْأَمْرِ فِيهَا (قَالَ) وَكُلُّ مَدِيحٍ
 فَنَّهُ مَا فِيهِ رِبَاطٌ بَيْنَ أَجْزَائِهِ وَمِنْهُ مَا فِيهِ حَلٌّ وَيُشَبَّهُ أَنْ يَكُونَ
 أَقْرَبَ الْأَشْيَاءِ شَبْهًا بِالرِّبَاطِ الْمَوْجُودِ فِي أَشْعَارِهِمْ هُوَ الْجُزْءُ الَّذِي
 يُسَمَّى عِدْنًا أَلِاسْتِطْرَادَ وَهُوَ رِبْطُ جُزْءِ النَّسَبِ وَبِالْجَمْعِ صَدْرُ
 الْقَصِيدَةِ بِالْجُزْءِ الْمَدِيحِيِّ. وَأَحْلُ تَفْصِيلُ الْجُزْئَيْنِ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ
 أَيُؤْتَى بِهِمَا مُفَصَّلًا. وَأَكْثَرُ مَا يُوجَدُ الرِّبَاطُ فِي أَشْعَارِ الْمُخَدِّثِينَ
 وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِي أَيْ تَمَامُ:

عَامِي دَعَامُ الْعَيْسِ بَيْنَ وَدِيْعَةٍ مَسْجُورَةٍ وَتَنُوقَةٍ صَحِيحَةٍ

حَتَّى أَغَادِرَ لَيْلَ يَوْمٍ بِالْقَلَا لِلطَّيْرِ عِيدًا مِنْ بَنَاتِ الْعِيدِ
هَمَاتٍ مِنْهَا رَوْضَةٌ مَحْمُودَةٌ حَتَّى تُنَاجِيَ بِأَحَدِ الْحَمُودِ
وَكَقُولِ أَبِي الطَّيِّبِ:

مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ رَبِّهَا قُلْتُ لَهَا

مِنْ أَيْنَ جَالَسَ هَذَا الشَّادِنُ الْعَرَبَا

فَأَسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ كَأَلْفَيْهِ يَرَى

لَيْثَ الشَّرَى وَهُوَ مِنْ عَجَلٍ إِذَا انْتَسَبَا

وَأَمَّا أَحَلُّ فَهُوَ مَوْجُودٌ كَثِيرًا فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ مِثْلُ قَوْلِ زُهَيْرٍ:

دَعْ ذَا وَعَدِ الْقَوْلِ فِي هَرَمٍ

(قَالَ) وَأَنْوَاعُ الْمَدَائِحِ أَرْبَعَةٌ ثَلَاثَةٌ مِنْهَا بَسِيطَةٌ وَهِيَ الَّتِي

تَقْدَمُتْ أَحَدُهَا الْأَدَارَةُ. وَالثَّانِي الْأَسْتِذْلَالُ. وَالثَّلَاثُ الْأَنْعَالُ

(قَالَ) وَمِثْلُ مَا يُقَالُ فِي أَهْلِ الْجَحِيمِ قَانَ هَذِهِ مُخْرَجَةٌ مُفْرَعَةٌ

وَالرَّابِعُ الْمُرْكَبُ مِنْ هَذِهِ إِمَّا مِنْ ثَلَاثَتِهَا وَإِمَّا مِنْ اثْنَيْنِ مِنْهَا

وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ أَمْثَالَ أَنْوَاعِ هَذِهِ الْمَدَائِحِ الْأَرْبَعَةِ لِلْفَصْلِ

الْأَرَادِيهِ الْقَاضِلِ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَإِنَّمَا هِيَ مَوْجُودَةٌ

فِي الْكِتَابِ الزَّرِيزِ كَثِيرًا (قَالَ) وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ يُجِيدُ الْقَوْلَ

فِي الْقَصَائِدِ الطُّوَلِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيدُ الْأَشْعَارَ الْقِصَارَ وَالْقَصَائِدَ

الْقَصِيرَةَ وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى عِنْدَنَا الْمُقَطَّعَاتِ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا

كَانَ الشَّاعِرُ الْحَيُّدُ هُوَ الَّذِي يَصِفُ كُلَّ شَيْءٍ بِمُجَوَّاهِهِ وَعَلَى كُنْهِهِ

وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ تَخْتَلِفُ بِالْكَثَرَةِ وَالْقِلَّةِ فِي شَيْءٍ شَيْءٍ مِنْ

الْأَشْيَاءُ الْمَوْصُوفَةُ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ التَّخْيِيلُ الْقَاضِلُ هُوَ الَّذِي لَا
 يَتَجَارَزُ خَوَاصَّ الشَّيْءِ وَلَا حَقِيقَتَهَا فَمَنْ النَّاسُ مَنْ لَقِيَ اعْتَادَ أَوْ مَنْ
 فِطْرُهُ مُعَدَّةٌ تَحْوِي تَخْيِيلَ الْأَشْيَاءِ الْقَلِيلَةِ الْخَوَاصِّ فَهَؤُلَاءِ تَجُودُ
 أَشْعَارُهُمْ فِي الْمَقْطَعَاتِ وَلَا تَجُودُ فِي الْقَصَائِدِ وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ هُوَ
 عَلَى ضِدِّ هَؤُلَاءِ وَهُمْ الْمُقَصِّدُونَ كَمَا لَمَتْنِي وَحَبِيبٌ وَهُمْ الَّذِينَ
 اعْتَادُوا الْقَوْلَ فِي الْأَشْيَاءِ الْكَثِيرَةِ الْخَوَاصِّ أَوْهُمْ بِفِطْرِهِمْ مُعَدُّونَ
 لِحَاكَمَتِهَا أَوْ اجْتَمَعَ لَهُمُ الْأَمْرَانِ جَمِيعًا (قَالَ) وَمِنْ التَّخْيِيلَاتِ وَالْمَعَانِي
 مَا يَنْبَاسِبُ الْأَوْزَانَ الطَّوِيلَةَ وَمِنْهَا مَا يَنْبَاسِبُ الْقَصِيرَةَ وَرَبَّمَا كَانَ
 الْأَوْزَنُ مُنَاسِبًا لِلْمَعْنَى غَيْرَ مُنَاسِبٍ لِلتَّخْيِيلِ وَرَبَّمَا كَانَ الْأَمْرُ
 بِالْعَكْسِ وَرَبَّمَا كَانَ غَيْرَ مُنَاسِبٍ لِكِلَيْهَا وَآمِثَةٌ هَذِهِ بِمَا يَنْسُرُ
 وَجُودَهَا فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ أَوْ تَكُونُ غَيْرَ مَوْجُودَةٍ فِيهَا إِذَا
 أَعَارِضُهُمْ قَلِيلَةُ الْقَدْرِ (قَالَ) وَقَدْ يُخَافُ إِلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي بِهَا قِيَامُ
 الْأَشْعَارِ أُمُورٍ مِنْ خَارِجٍ وَهِيَ الْهَيْئَاتُ الَّتِي تَكُونُ فِي سَوْتِ الشَّاعِرِ
 وَسُورَتِهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ وَكَثُرَ مَا تَوَجَّدَ هَذِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمُسْتَعْمِلِينَ
 لَهَا فِي الْأَشْعَارِ الْإِنْفِعَالِيَّةِ مِثْلُ الَّتِي تُقَالُ فِي أَهْلِ الْجَحِيمِ وَغَيْرِهِمْ
 وَلَمَّا كُنَّا قَدْ قُلْنَا فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَتَقَوَّمُ بِهَا الْأَشْعَارُ الَّتِي هِيَ
 أَجْزَاؤُهَا بِالْحَقِيقَةِ فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ نَقُولَ فِي هَذِهِ أَيْضًا فَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ
 الْأَفْعَالُ بِالْجُمْلَةِ هِيَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا الْأَقْوَالُ الَّتِي تُسَمَّى الْإِنْفِعَالِيَّةِ
 وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي إِذَا اسْتَعْمِلْتَ هَذِهِ أَنْ تُسْتَعْمَلَ مَعَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ. وَذَلِكَ
 أَنَّ هَذِهِ تَرَى الْإِنْفِعَالَ الَّذِي يُفْسَدُ بِالْقَوْلِ تَشْيِئُهُ كَأَنَّهُ قَدْ وَقَعَ

وَأَسْتَقِينَ. وَقَدْ تَقَدَّمَ لَكَ فِي كِتَابِ الْخَطَايَةِ الْأَقَاوِيلُ الْإِنْفَعَالِيَّةُ الْخَطِيئَةُ
وَضُرُوبُ الْإِنْفَعَالَاتِ الَّتِي تَفْعَلُهَا هَذِهِ الْأَقَاوِيلُ وَلِذَلِكَ كَانَتْ هَذِهِ
الْأَقَاوِيلُ أَحْصَى بِكِتَابِ الْخَطَايَةِ مِنْهَا بِكِتَابِ الشِّعْرِ. وَالْإِنْفَعَالَاتِ الَّتِي
تَثَبَّتْ بِالْقَوْلِ الْخَطِيئَةِ أَوْ الشِّعْرِ هِيَ الْخَوْفُ وَالْقَضْبُ وَالرَّحْمَةُ وَالْتَعْظِيمُ
وَسَائِرُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي عُدَّتْ فِي كِتَابِ الْخَطَايَةِ. وَهُوَ ظَاهِرٌ أَنَّهُ كَمَا أَنَّ
هَآ هُنَا أَقْوَا لَا تُوجِبُ هَذِهِ الْإِنْفَعَالَاتِ كَذَلِكَ هَآ هُنَا هَيْئَاتُ وَأَشْكَالُ
تَدُلُّ مِنْ أَلْتَكَلِّمِ عَلَى حُضُورِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُوجِبُ هَذِهِ الْإِنْفَعَالَاتِ
وَأَنَّهُ قَدْ وَقَعَتْ لَوْ قُوعِ الْأَشْيَاءِ أَنْفَاءً لَهَا فَيَسْتَعْمِلُ لَذَلِكَ الْأَنْظَرُ هَآ فَهَذِهِ
الْأَقَاوِيلُ وَالْهَيْئَاتُ إِنَّمَا يَتَّبَعِي أَنْ تُسْتَعْمَلَ فِي الشِّعْرِ إِنْ أَسْتَعْمِلْتَ مَعَ
الْأَقَاوِيلِ الْإِنْفَعَالِيَّةِ الشِّعْرِيَّةِ وَذَلِكَ إِمَّا فِي التَّعْظِيمِ وَإِمَّا فِي التَّضْغِيرِ
وَإِمَّا فِي الْأَشْيَاءِ الْخُزْنَةِ الْخَوْفَةِ إِذْ سَأَلْتَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ هِيَ الَّتِي
تُسْتَعْمَلُ صِنَاعَةُ الْمَدِيحِ مِنَ الْأَقَاوِيلِ الْإِنْفَعَالِيَّةِ عَلَى مَا سَلَفَ. وَإِنَّمَا
تُسْتَعْمَلُ هَذِهِ مَعَ الْأَقَاوِيلِ الْإِنْفَعَالِيَّةِ الَّتِي لَيْسَتْ صَادِقَةً أَعْنِي الَّتِي
لَيْسَتْ هِيَ ظَاهِرَةُ الْخَيْلِ. وَإِنَّمَا الْأَقَاوِيلُ الْإِنْفَعَالِيَّةُ الَّتِي هِيَ ظَاهِرَةُ
الْخَيْلِ وَمُنَاسِبَةٌ لِلْقَرَضِ الْقَوْلِ فِيهِ وَهِيَ حَقٌّ فَلَيْسَ يُحْتَاجُ أَنْ تُسْتَعْمَلَ
فِي هَذِهِ الْأُورُ الَّتِي مِنْ خَارِجٍ فَإِنَّهَا تَنْجَحُ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ إِنَّمَا تُسْتَعْمَلُ
فِي الْأَقَاوِيلِ الَّتِي تَضَعُ أَنْ تَفْعَلَ مَا قَصْدُهَا إِلَّا بِأَقْوَابِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ
بِهَا وَهِيَ الْأَقَاوِيلُ الشِّعْرِيَّةُ فَإِنَّ الْقَائِلَ مِنَ الْقَهْمَاءِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ
النَّاصِرِ يَحْضُرُ الْمَلِكُ مِنْ أَهْلِ قُرْطَبَةَ يُحَرِّضُهُ عَلَى حَسَدَايَ الْيَهُودِيَّةِ
إِنَّ الَّذِي شَرَفَتْ مِنْ أَجْلِهِ يَزْعُمُ هَذَا إِنَّهُ كَذِبٌ

لَمْ يَخْتِجْ فِي اغْضَابِ النَّاصِرِ عَلَيْهِ إِلَى أَكْثَرٍ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ وَإِنْ
كَانَ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ سِدِّهِ وَهَيْئَتِهِ لِكُونَ هَذَا الْقَوْلِ حَقًّا فَلِذَلِكَ لَا
يَنْبَغِي لِلشَّاعِرِ أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا إِذَا كَانَتْ لَيْسَتْ إِنَّمَا هِيَ فَضْلٌ مُقَطَّعٌ بَلْ
وَقَدْ تَهَيَّنُ الْقَوْلُ وَالْقَائِلُ إِذَا كَانَ بِالسَّنَةِ وَالْوَقَارِ (قَالَ) وَقَدْ
يَكْتَفِي الشَّاعِرُ مِنْ هَذِهِ بِاسْتِعْمَالِ الْأَشْكَالِ الْخَاصَّةِ بِصَنْفٍ مِنْ
مِنْ أَصْنَافِ الْأَقَاوِيلِ وَذَلِكَ إِذَا اضْطُرَّ إِلَى ذَلِكَ مَعَ الَّذِينَ
يَسْتَعْمِلُونَ الْأَخَذَ بِالْوُجُوهِ. وَأَعْنِي بِأَشْكَالِ الْقَوْلِ شَكْلُ الْخَبَرِ
وَشَكْلُ السُّؤَالِ وَشَكْلُ الْأَمْرِ وَشَكْلُ التَّضَرُّعِ وَذَلِكَ أَنَّ
شَكْلَ الْخَبَرِ غَيْرُ شَكْلِ السَّأْلِ وَشَكْلُ الْأَمْرِ غَيْرُ شَكْلِ
الطَّلَابِ أَوْ التَّضَرُّعِ فَالشَّاعِرُ قَدْ يَكْتَفِي بِأَشْكَالِ الْأَقَاوِيلِ عَنْ
سَائِرِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْ خَارِجِ قَانِ تِلْكَ إِذَا كَانَ مِنْ شَأْنِهَا تَهَيُّنُ
الْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ تَجْمَلَ جُزْءًا مِنْ صِنَاعَةِ الشَّعْرِ
وَأَمَّا يَنْبَغِي أَنْ تَجْمَلَ جُزْءًا مِنْ صِنَاعَةِ أُخْرَى

البحث السابع

في اسطقات الاقاول الشعرية

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) وَالْأَنَّمَاءُ صِنْفَانِ إِمَّا بَسِيطٌ وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ هُوَ
مُرَكَّبًا مِنْ أَسْمَاءٍ تَدُلُّ وَإِمَّا مُضَاعَفٌ وَهُوَ الَّذِي يُرَكَّبُ مِنْ أَسْمَاءٍ
تَدُلُّ وَإِنْ كَانَ مِنْ حَيْثُ يُقْصَدُ بِهِ تَسْيِةُ شَيْءٍ وَاحِدٍ لَا

تَدُلُّ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ الَّتِي رُكِبَ مِنْهَا مِثْلُ عَبْدِ شَمْسٍ وَعَبْدِ الْقَيْسِ
 (قَالَ) وَكُلُّ أَسْمٍ فَهُوَ إِمَّا حَقِيقِيٌّ وَإِمَّا دَخِيلٌ فِي اللِّسَانِ
 وَإِمَّا مَنقُولٌ نَادِرٌ أَلَا سَتَعْمَالُ وَإِمَّا مُزَيْنٌ وَإِمَّا مَعْمُولٌ وَإِمَّا مَعْمُولٌ
 وَإِمَّا مُفَارِقٌ وَإِمَّا مُعَيَّرٌ . فَالْحَقِيقِيُّ هُوَ الْأَسْمُ الَّذِي يَكُونُ حَاصًّا
 بِأَمَةِ أُمَّةٍ وَالْدَخِيلُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ لِأَمَةٍ أُخْرَى فَيَدْخُلُهُ
 الشَّاعِرُ فِي شِعْرِهِ وَذَلِكَ مِثْلُ الْإِسْتَبْرَقِ وَالْمِشْكَاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ
 الْأَسْمَاءِ الْأَعْجَمِيَّةِ الدَّخِيلَةِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ . وَإِمَّا الْأَسْمُ النَّادِرُ
 أَلَمْ يَقُولُ فَهُوَ نَقْلُ أَسْمٍ غَرِيبٍ إِمَّا مِنْ النَّوْعِ إِلَى الْحِنْسِ مِثْلُ
 تَسْمِيَةِ الْقَتْلِ مَوْتًا وَإِمَّا مِنْ الْحِنْسِ إِلَى النَّوْعِ مِثْلُ تَسْمِيَةِ الثَّقَلَةِ
 حَرَكَةً وَإِمَّا مِنْ نَوْعٍ إِلَى نَوْعٍ آخَرَ مِثْلُ تَسْمِيَةِ الْحَيَاةِ سَرِقَةً
 وَإِمَّا أَنْ يُنْقَلَ شَيْءٌ مَنسُوبٌ إِلَى ثَانٍ إِلَى خَيْرٍ ثَالِثٍ مَنسُوبٌ إِلَى
 رَابِعٍ مِثْلُ نِسْبَةِ الْأَوَّلِ إِلَى الثَّانِي مِثْلُ مَا كَانَ يُسَمَّى بَعْضُ
 الْقَدَمَاءِ الشَّيْخُوخَةَ عَشِيَّةَ الْعَمْرِ وَيُسَمَّى الْعَشِيَّةُ شَيْخُوخَةَ النَّهَارِ وَذَلِكَ
 أَنَّ نِسْبَةَ الشَّيْخُوخَةِ إِلَى الْعَمْرِ نِسْبَةُ الْعَشِيَّةِ إِلَى النَّهَارِ وَإِمَّا
 الْأَسْمُ الْمَعْمُولُ الْمُرْجَلُ فَهُوَ الْأَسْمُ الَّذِي يُخْتَرَعُ الشَّاعِرُ اخْتِرَاعًا
 وَيَكُونُ هُوَ أَوَّلَ مَنْ اسْتَعْمَلَهُ وَهَذَا غَيْرُ مَوْجُودٍ فِي أَشْعَارِ
 الْعَرَبِ وَإِنَّمَا يُوجَدُ ذَلِكَ فِي الصَّنَائِعِ النَّاسِيَةِ وَكَثُرَ مَا فِي الصَّنَائِعِ
 هُوَ مَنقُولٌ لَا مَعْمُولٌ مُخْتَرَعٌ وَرَبَّمَا اسْتَعْمَلَهُ الْمُخْتَرِعُونَ مِنَ الشُّعْرَاءِ
 عَلَى طَرِيقِ الْأَسْتِعَارَةِ أَعْنِي الْمَنقُولِ إِلَى الصَّنَائِعِ مِثْلُ قَوْلِ أَبِي
 الطَّيِّبِ :

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلًا مُضَارًّا

مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَائِمُ
وَرَبَّمَا اسْتَعْمَلُوا تَضَرُّعًا لَمْ يُسْتَعْمَلْ قَبْلُ مِثْلُ قَوْلِهِ :
تَفَاوَحَ مِنْكَ الْفَانِيَاتُ وَرَنَدَهُ

وَأَمَّا الْفَارَقُ وَالْمَعْقُولُ فَلَيْسَ يُوجَدَانِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ. وَالْمَزِيَّةُ
هِيَ أَسْمَاءُ كَانَتْ تُجْعَلُ بَعْضُ أَجْزَائِهَا تَقَامًا قَدَرَيْنِ بِهَا وَقَدْ قِيلَ
أَنَّهُ يَعْنِي بِالْفَارَقِ الْأَسْمَاءُ الْمُفِيدَةُ بِالزِّيَادَةِ فِيهَا وَالتَّقْصَانِ مِنْهَا
وَالْحَذْفِ أَوْ الْقَلْبِ وَقِيلَ بَلْ يَعْنِي بِذَلِكَ الْأَسْمَاءُ الَّتِي يَسُرُّ التَّنْقِصُ
بِهَا وَظَاهِرُ كَلَامِهِ أَنَّهُ أَمَّ كَانَ يُؤَلَّفُ عِنْدَهُمْ مِنْ مَقَاطِعِ مَحْدُودَةٍ
وَالْإِسْمُ الْمَعْقُولُ فَإِنَّهُ فِيهَا أَحْسَبُ الَّذِي سَاءَ التَّخْتَلَفُ وَظَاهِرُ
كَلَامِهِ أَنَّهُ الْإِسْمُ الْمَحْذُوفُ بِالتَّقْصَانِ مِثْلُ الْأَسْمَاءِ الْمُرَحَّةِ عِنْدَمَا
وَأَمَّا الْمُفِيدَةُ فَهِيَ الْمُسْتَعَارَةُ الَّتِي تُسْتَعَارُ أَمَّا مِنَ الشَّيْءِ مِثْلُ تَسْمِيَتِهِمُ
الْكُوكَبَ نَسْرًا وَرَأْمًا مِنَ الضِّدِّ مِثْلُ تَسْمِيَتِهِمُ الشَّمْسَ جَوْنَةً وَرَأْمًا
مِنَ الْإِلَازِمِ مِثْلُ تَسْمِيَتِهِمُ الشَّحْمَ نَدًا وَالْمَطَرُ سَاءَ (قَالَ) وَأَفْضَلُ
الْقَوْلِ فِي التَّفْهِيمِ إِنَّمَا هُوَ الْقَوْلُ الشُّهُورُ الْمُبْتَدَلُ الَّذِي لَا يُجْنَى
عَلَى أَحَدٍ وَهَذِهِ الْأَقَاوِيلُ إِنَّمَا تُؤَلَّفُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الشُّهُورَةِ
الْمُبْتَدَلَةِ وَهِيَ الَّتِي سَاءَهَا فِي مَا قَبْلُ الْحَقِيقَةُ وَتُسَمَّى الْمُسْتَوَلِيَّةُ
وَالْأَهْلِيَّةُ (قَالَ) وَذَلِكَ مِثْلُ شَعْرِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ لِقَوْمٍ مَشْهُورِينَ
عِنْدَهُمْ. وَيَتَّبِعِي أَنْ تَتَّقَدَّ مِنَ الْعَالِبِ عَلَى أَشْعَارِهِ هَذَا النَّوعُ مِنْ
الْأَلْفَافِ مِنَ شُعْرَاءِ الْعَرَبِ (قَالَ) وَالْأَقَاوِيلُ الْعَفِيفَةُ الْمَدِيحَةُ

فَعَمِيَ الْأَقَاوِيلُ الَّتِي تُؤَلَّفُ مِنَ الْأَنْسَاءِ الْمُبْتَدَأَةِ وَمِنَ الْأَنْسَاءِ
الْأُخْرَى أَنْفِي الْمَثْوَلَةِ الْقَرِيَّةِ الْمَغِيرَةِ وَاللُّغْوَةِ لِأَنَّهُ مَتَى تَرَى
الشَّعْرَ كُنْهُ مِنَ الْأَلْقَاطِ الْحَقِيقَةِ الْمُسْتَوَلَةِ كَانَ رَمَزًا وَلَقَرًا
وَلِذَلِكَ كَانَتْ الْأَلْقَاضُ وَالرُّمُوزُ هِيَ الَّتِي تُؤَلَّفُ مِنَ الْأَنْسَاءِ
الْقَرِيَّةِ أَنْفِي بِالْقَرِيَّةِ الْمَثْوَلِ الْمُسْتَعَادِ وَالْمَشْتَرَكِ وَاللُّغْوِيِّ. وَالرَّمْزُ
وَاللُّغْوُ هُوَ الْقَوْلُ الَّذِي يَشْتَبِلُ عَلَى مَعَانٍ لَا يُمَكِّنُ أَوْ يَصُرُّ
اتِّصَالُ ذَلِكَ الْمَعْنَى الَّتِي يَشْتَبِلُ عَلَيْهَا بَعْضًا بِبَعْضٍ حَتَّى يُطَابِقَ
بِذَلِكَ أَحَدَ الْمَوْجُودَاتِ. وَيَكُونُ إِمَّا بِحَسَبِ الْأَلْقَاطِ الشُّهُورَةِ
فَإِتِّصَالُ تِلْكَ الْمَعْنَى بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ غَيْرُ مُمَكِّنٍ وَإِمَّا بِحَسَبِ
الْأَلْقَاطِ الْقَلِيلِ الشُّهُورَةِ فَمُسْكِنٌ وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي شِعْرِ ذِي الرِّمَّةِ
مِنْ شِعْرَاءِ الْعَرَبِ. وَفَضِيلَةُ الْقَوْلِ الْقَرِيءِ الْعَفِيفِي أَنْ يَكُونَ مُؤَلَّفًا
مِنَ الْأَنْسَاءِ الْمُسْتَوَلَةِ مِنْ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ الْأُخْرَى وَأَنْ يَكُونَ الشَّاعِرُ
حِينَ يُرِيدُ الْإِيضَاحَ يَأْتِي بِالْأَنْسَاءِ الْمُسْتَوَلَةِ وَحِينَ يُرِيدُ التَّعْجِبَ
وَالْإِلْدَازَ يَأْتِي بِالْصَّنْفِ الْأُخْرَى مِنَ الْأَنْسَاءِ وَلِذَلِكَ قَدْ يُتَضَاحَكُ
بَيْنَ يُرِيدُ الْإِيضَاحَ قِيَّاتِي بِالْأَنْسَاءِ الْمَشْتَرَكَةِ أَوْ الْقَرِيَّةِ أَوْ الْأَلْسُنِ
أَوْ الْمَثْوَلَاتِ وَيُتَضَاحَكُ أَيْضًا بَيْنَ يُرِيدُ التَّعْجِبَ وَالْإِلْدَازَ قِيَّاتِي
بِالْأَنْسَاءِ الْمُبْتَدَأَةِ وَكَانَ الشَّاعِرُ يُجِبُّهُ إِلَّا يَغْرُطُ فِي اسْتِعْمَالِ
الْأَنْسَاءِ الْقَلِيلِ الْمُسْتَوَلَةِ فَيُخْرِجُ إِلَى حَدِّ الرَّمْزِ وَلَا أَيْضًا يَغْرُطُ
فِي الْأَنْسَاءِ الْمُسْتَوَلَةِ فَيُخْرِجُ عَنْ طَرِيقَةِ الشِّعْرِ إِلَى الْكَلَامِ
الْمُتَعَارَفِ (قَالَ) وَأَمَّا مُوَاقِفَةُ الْأَلْقَاطِ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ فِي الْقَدَارِ

وَمَعَادِلُ أَلْمَانِي بَعْضُهَا لِبَعْضٍ وَمَوَازِنُهَا قَامَرٌ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ
عَامًّا وَمُشْتَرَكًا لِجَمِيعِ الْأَلْقَاطِ الَّتِي هِيَ أَجْزَاءُ الْقَوْلِ الشِّعْرِيِّ
وَذَلِكَ أَنَّا نَجِدُ الشُّعْرَاءَ وَإِنْ اسْتَعْمَلُوا الْأَلْقَاطَ الْحَقِيقَةَ فِي الْمَوَاضِعِ
الَّتِي يَزِيدُ فِيهَا اسْتِعْمَالُهُمْ إِلَيْهَا لَيْسَ يَحُلُو شِعْرُهُمْ مِنْ هَذَيْنِ
الْأَمْرَيْنِ أَعْنِي مِنَ الْمَوَازِنَةِ وَالْمَوَاقِفَةِ فِي الْقَدَارِ وَلَكِنْ كَانَ
هَذَا عَامًّا لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الشِّعْرِ. وَأَمَّا الْأَشْعَارُ الَّتِي تَأْتِي مِنْ الْأَتْمَاءِ
الْمُخْتَلَفَةِ فَوُجُودُ هَذَا الْمَعْنَى فِيهَا آيِنٌ وَمَوَاقِفَةُ الْأَلْقَاطِ الَّتِي ذَكَرَ فِي
الْقَدَارِ هِيَ مُقَارَنَةُ بَعْضِهَا لِبَعْضٍ فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَإِنْ رَاقَتْ
مَعَ هَذَا فِي كُلِّ اللَّفْظِ أَوْ فِي بَعْضِ اللَّفْظِ فَهُوَ الَّذِي يُعْرَفُ
بِالْمُطَابَقَةِ وَالْمُجَانَسَةِ عِنْدَ أَهْلِ زَمَانِنَا. وَالْمَوَاقِفَةُ أَنْحَاءُ وَذَلِكَ أَنَّهُ
لَا يَحُلُو الْمَوَاقِفَةُ أَنْ تَكُونَ فِي كُلِّ اللَّفْظِ وَكُلِّ الْمَعْنَى وَهَذَا مِثْلُ
قَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَا أَرَى أَلَوْتَ يَسْبِقُ أَلَوْتُ شَيْءٌ

وَمِثْلُ قَوْلِهِمْ طَوِيلُ الْبِحَادِ طَوِيلُ الْعِمَادِ. أَوْ أَنْ تَكُونَ فِي
بَعْضِ اللَّفْظِ وَبَعْضِ الْمَعْنَى أَوْ أَنْ تَكُونَ فِي بَعْضِ اللَّفْظِ وَكُلِّ الْمَعْنَى
أَوْ تَكُونَ فِي كُلِّ اللَّفْظِ وَبَعْضِ الْمَعْنَى أَوْ تَكُونَ فِي كُلِّ
الْلَفْظِ فَقَطْ أَوْ فِي بَعْضِ اللَّفْظِ فَقَطْ أَوْ تَكُونَ فِي كُلِّ الْمَعْنَى
فَقَطْ أَوْ فِي بَعْضِ الْمَعْنَى فَقَطْ. وَفِي الْمَوَاقِفَةِ فِي بَعْضِ اللَّفْظِ
وَبَعْضِ الْمَعْنَى الْأَتْمَاءُ الْمُسْتَقَّةُ مِنْ تَضَرُّعٍ وَاحِدٍ وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ
الْمُتَنَبِّئِيِّ:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الزَّمَنِ تَأْتِي الزَّيْمُ
وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْكَارِمُ
وَمِثَالُ الْمَوَاقِفِ فِي بَعْضِ اللَّفْظِ وَكُلُّ الْمَعْنَى قَوْلُهُمْ دِرْهَمُ
صَرَبُ الْأَمِيرِ وَمَضْرُوبُ الْأَمِيرِ. وَمِثَالُ عَكْسِ هَذَا أَعْنِي فِي كُلِّ
الْلَفْظِ وَبَعْضِ الْمَعْنَى الْأَسْمَاءُ الْمُشْكِكَةُ وَالشُّعْرَاءُ يَسْتَعْمِلُونَهَا كَثِيرًا
وَمِثَالُ الْمَوَاقِفِ فِي كُلِّ اللَّفْظِ قَطْعُ الْأَسْمَاءِ الْمُشْكِكَةِ مِثْلُ قَوْلِ
الْعَرَبِيِّ :

مَعَانٍ مِنْ أَحَدِنَا سَعَانٌ

وَمِثْلُ قَوْلِهِ :

فَرَنْدَكُ مُمْتَالٌ وَطَرْفُكَ مُمْتَالٌ

وَمِثَالُ الْمُتَنَبُّهِ فِي بَعْضِ اللَّفْظِ قَطْعُ قَوْلِ حَبِيبٍ :

مَا أَنْتَ عَنْ ذُعْلَيْةٍ بِذَاهِلٍ

وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

أَقْلَبُ الطَّرْفِ بَيْنَ الْخَيْلِ وَالْحَوْلِ

وَهَذَا كُلُّهُ فِي لَفْظِ الْعَرَبِ مِثْلُ الضَّرْبِ وَالضَّرْبِ وَالْحَمْلِ
وَالْحَمْلِ وَاشْرَقَتِ الشَّمْسُ وَشَرَقَتْ. وَمِثَالُ الْمَوَاقِفِ فِي كُلِّ الْمَعْنَى
قَطْعُ الْأَسْمَاءِ الْمُتَرَادِفَةِ مِثْلُ قَوْلِهِ أَقْوَى وَأَقْوَرُ. وَمِثَالُ الْمُتَنَبُّهِ فِي
بَعْضِ الْمَعْنَى قَطْعُ الْأَسْمَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي تَمُدُّ مِنْ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ
عَلَى جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِثْلُ الصَّادِمِ وَالذَّكَرِ. وَالْقَوَائِي عِنْدَ الْعَرَبِ
هِيَ مَوَاقِفُ فِي الْقِدَارِ وَفِي بَعْضِ اللَّفْظِ وَذَلِكَ إِمَّا فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ

وَهُوَ الْأَخِيرُ وَأَمَّا فِي حَرْفَيْنِ وَهُوَ الَّذِي يُعْرِفُهُ الْمُحَدِّثُونَ بِالزُّومِ وَأَمَّا
الْمُؤَاذَنَةُ فِي أَجْزَاءِ الْقَوْلِ فَمَعْنَى عَلَى أَنْتَ أَرْبَعَةٌ أَحَدُهَا أَنْ يَأْتِيَ
الشَّاعِرُ بِالشَّيْءِ وَشَبِيهِهِ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ أَوْ يَأْتِيَ بِالْأَضْدَادِ مِثْلَ
الْلَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَوْ يَأْتِيَ بِالشَّيْءِ وَمَا يُسْتَعْلَمُ فِيهِ مِثْلُ الْقَوْسِ
وَالسَّهْمِ وَالْقَرَسِ وَالْجُلَامِ أَوْ يَأْتِيَ بِالْأَشْيَاءِ الْمُنَاسِبَةِ مِثْلُ أَلَلِكِ
وَالْإِلَهِ وَهَذِهِ الْمُنَاسِبَةُ إِنَّمَا تُؤْخَذُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ وَفِي هَذَا الْبَابِ
عِيبٌ عَلَى الْكُتَيْبَةِ:

تَكَامَلَ فِيهِ الدَّلُّ وَالشَّنْبُ

لِأَنَّ الدَّلَّ غَيْرُ شَيْءٍ بِالشَّنْبِ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَالَ بَعْضُهُمْ
فِي قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ:

كَأَنِّي لَمْ أَزَكِّبْ جَوَادًا لِلذَّيَّةِ وَلَمْ أَعْرِفْ كَلِمَاتَ خَطَالٍ
وَلَمْ أَسْأَلِ الرِّقَّ الرُّوِّيَّ وَلَمْ أَقُلْ لِحُلِيِّ كُورِي كَرَّةً بَعْدَ إِجْقَالِ
إِيَّاهُ غَيْرُ مُنَاسِبٍ وَإِنَّ التَّنَاسُبَ فِيهِ هُوَ عَكْسُ مَا قُلَّ أَعْنِي
أَنْ يَكُونَ صَدْرُ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ صَدْرَ الثَّانِي وَصَدْرُ الثَّانِي صَدْرَ
الْأَوَّلِ وَمِثْلُ هَذَا قِيلَ فِي قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ:

وَقَفْتُ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لِوَأَقِفْ

كَأَنَّكَ فِي جَنِّ الرَّدَى وَهُوَ نَعِيمٌ

تَمْرِيكَ الْأَبْطَالُ كَلَّمَى هَزِيمَةً

وَوَجْهَكَ وَصَّاحٌ وَتَمَرَكَ بَايِمٌ

إِنَّ التَّنَاسُبَ فِيهِ أَنْ يَكُونَ صَدْرُ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ لِلثَّانِي وَصَدْرُ

الثاني للادول وما قاله أبو الطيب له وجه من التناوب وكذلك ما
قاله امرؤ القيس (قال) وأقول إنما يكون مختلفا أي مغيرا عن
القول الحقيقي من حيث توضع فيه الأسماء متوافقة في الموازنة
والمقدار وبالأسماء القريبة وبغير ذلك من أنواع التغيير. وقد
يستدل على أن القول الشعري هو المميز أنه إذا غيّر القول
الحقيقي سمي شعرا أو قولاً شعرياً ووجد له فعل الشعر مثال ذلك
قول القائل:

ولما قضيتا مني كل حاجة ومسح بالآزكان من هوامح
أخذنا باطراف الأحاديث بيننا وسالت باغناق المطي الأباطح
إنما صار شعرا من قبل أنه استعمل قوله:

أخذنا باطراف الأحاديث بيننا وسالت باغناق المطي الأباطح
بدل قوله تحدثنا ومشينا وكذلك قوله:

بيدة نهوى القرط

إنما صار شعرا لأنه استعمل هذا القول بدل قوله طويبة
التي وكذلك قول الآخر:

يأدار أين طبائك اللبس قد كان لي في أنسها أنس
إنما صار شعرا لأنه أقام الدار مقام الناطق لمخاطبتها وأبدل
لفظ النساء بالظباء وآتى بموافقة الأنس والأنس في اللفظ وأنت
إذا تأملت الأسماء المحركة وجنتها يهذو الخال وما عدا هذو
التفصيرات فليس فيه من معنى الشعرية إلا الوزن فقط والتفصيرات

تَكُونُ بِالْمُؤَاذَةِ وَالْمُدَافَعَةِ وَالْإِبْدَالِ وَالْتَشْبِيهِ وَبِالْجُمْلَةِ بِإِخْرَاجِ الْقَوْلِ
غَيْرِ مُخْرِجِ الْعَادَةِ مِثْلُ الْقَلْبِ وَالْحَذْفِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ وَالْتَقْدِيمِ
وَالْتَأْخِيرِ وَتَغْيِيرِ الْقَوْلِ مِنَ الْإِيجَابِ إِلَى السَّلْبِ وَمِنَ السَّلْبِ إِلَى
الْإِيجَابِ وَبِالْجُمْلَةِ مِنَ الْمُقَابِلِ إِلَى الْمُقَابِلِ وَبِالْجُمْلَةِ يَجْمَعُ
الْأَنْوَاعَ الَّتِي تُسَمَّى عِنْدَنَا بِحِجَازًا فَالْحَذْفُ مِثْلُ قَوْلِ الْقُرْآنِ وَأَسَالِ
الْقُرْيَةِ. وَقَوْلِهِ: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ
الْأَرْضُ أَوْ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ قَوْلِ الْقَائِلِ: فَلَنْ يَمُنَّ
أَجَلَ بَنِيهِ لَا بَنُوهُ مِنْ أَجْلِهِ وَالشُّكُّ سَبَبُ الْإِنْسَانِ لَا الْإِنْسَانُ
سَبَبُ الشُّكِّ. وَالتَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ مِثْلُ قَوْلِهِ: وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيَامًا.
وَقَوْلِهِ: وَإِذْ أَتَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ. وَالزِّيَادَةُ مِثْلُ قَوْلِهِ: تَبَّتْ بِالذَّهْنِ
وَمِثْلُ قَوْلِهِ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَمِثْلُ قَوْلِهِ وَلَا طَائِفٌ يَطِيرُ بِحَاجَتِهِ
وَمِثَالُ التَّغْيِيرِ مِنَ الْإِيجَابِ إِلَى السَّلْبِ قَوْلُ الْقَائِلِ: مَا فَعَلَ أَحَدٌ
إِلَّا أَنْتَ بِدَلَ قَوْلِهِ: أَنْتَ فَعَلْتَهُ وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ النَّبِيِّ:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ عِوَضًا أَنْ سُوِّفَهُمْ بَيْنَ قَوْلٍ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ
فَأَنَّهُ أَوْجَبَ لَهُمُ الْفَضَائِلَ لِيَتَنَفَّى الْعُيُوبُ وَاسْتَقْنَى بِهَا مَا لَيْسَ
بِغَيْبٍ عَلَى جِهَةِ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِاسْمِ ضِدِّهِ. وَمِنَ التَّغْيِيرَاتِ الَّتِي دَقَّ
جَمْعُ الْأَشْدَادِ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ كَقَوْلِهِ:

فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ لَخِصْمٌ وَالْحَكْمُ

وَكُونُ الضِّدِّ سَبَبًا لِضِدِّهِ كَقَوْلِهِ: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ وَلَيْسَ
يَحْقُقُ عَلَيْكَ أَنْوَاعُ الْبَسِيطَةِ وَالْمُرَكَّبَةِ الْمُحْصُورَةِ فِي هَذِهِ الْكُلِّيَّاتِ

وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ إِحْصَاءُ أَنْوَاعِهَا الْأَخِيرَةِ عَسِيرًا جِدًّا وَلِذَلِكَ
 اقْتَصَرَ هُنَا عَلَى الْكَلِمَاتِ قَطْعًا. وَالْفَاضِلُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ أَنْ
 يُسْتَعْمَلَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَا هُوَ أَبْيَنُ وَأَظْهَرُ وَأَشْبَهُ وَهَذَا لَا
 يُوجَدُ إِلَّا فِي النَّادِرِ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ اسْتِعْمَالَ الْأَبْيَنِ مِنْ
 هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَالْأَشْبَهُ هُوَ دَلِيلُ الْهَمَارَةِ. وَهَذَا الصِّفْتُ هُوَ الَّذِي
 يَجْمَعُ إِلَى جُودَةِ الْإِفْهَامِ فَصْلَ الْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ اعْنِي تَحْرِيكَ
 النَّفْسِ وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْإِبْدَالَ إِذَا كَانَ شَدِيدَ الشَّبهِ أَفَادَ جُودَةَ
 التَّخْيِيلِ وَالْإِفْهَامِ مِمَّا وَرَبَّمَا عَرَضَ مِنَ الْإِبْدَالِ الْمُنَاسِبِ قَوْلُهُمْ
 عِنْدَ الْإِدَامِ مِنَ السَّامِعِينَ كَمَا عَرَضَ فِي قَوْلِهِ: حَتَّى يَتَّيْنُ لَكُمْ الْخِيطُ
 الْأَبْيَضُ مِنَ الْخِيطِ الْأَسْوَدِ أَنْ ظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ الْخِيطُ الْحَقِيقِيُّ
 فَذَكَرَتْ مِنَ الشَّجَرِ. (قَالَ) وَالْأَسْمَاءُ الْمُرَكَّبَةُ تُضَلُّ لِلْوِزْنِ الَّذِي
 يُشْتَقُّ فِيهِ عَلَى الْأَخْيَارِ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ
 هِيَ قَلِيلَةٌ الْوُجُودِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَهِيَ مِثْلُ قَوْلِهِمُ الْعَبْسِيُّ
 الْمُنْسُوبُ إِلَى عَبْدِ شَمْسٍ. وَأَمَّا اللَّغَاتُ فَتُضَلُّ لِلشَّعْرِ الَّذِي يُذَكَّرُ فِيهِ
 أَمْرُ الْعُلَاوِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَكَانَ صِنْفًا مِنَ الشُّعْرِ عِنْدَهُمْ
 مَعْرُوفًا. وَأَمَّا الْأَسْمَاءُ الْمُنْقُولَةُ الْغَرِيبَةُ فَتُخْتَصُّ بِالشُّعْرِ الَّتِي تُقَالُ
 فِي الْأَمْثَالِ وَالْحِكْمِ وَالْقِصَصِ الشُّهُورَةِ



البحث الثامن

في صناعة الاشعار القصصية

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) قَفِيًّا قَلَنَاهُ فِي صِنَاعَةِ الْدَلِيمِ وَفِي الْأَشْيَاءِ الْمَشْتَوَكَةِ
لِأَصْنَافِ الْأَشْعَارِ بِنِ الثَّشِيبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ كِفَايَةً. وَالْأَشْعَارُ الْقَصَصِيَّةُ
سَيَاهَا فِي الْأَجْزَاءِ الَّتِي هِيَ الْمَبْدَأُ وَالْوَسْطُ وَالْخَاتِمَةُ سَبِيلُ أَجْزَاءِ
صِنَاعَةِ الدَّلِيمِ وَكَذَلِكَ فِي الْحِكَاكَةِ إِلَّا أَنَّ الْحِكَاكَةَ لَيْسَ تَكُونُ
لِلْأَفْعَالِ فِيهَا وَإِنَّمَا تَكُونُ لِلْأَزْمَنَةِ الْوَاقِعَةِ فِيهَا تِلْكَ الْأَفْعَالُ وَذَلِكَ
أَنَّهُ إِنَّمَا يُحَاكَى فِي هَذِهِ كَيْفَ كَانَتْ أَحْوَالُ الْمُتَقَدِّمِ مَعَ
أَحْوَالِ الْمُتَأَخِّرِ وَكَيْفَ تُنْقَلُ الدُّوَلُ وَالْمَمَالِكُ وَالْأَيَّامُ. وَحِكَاكَةُ
هَذَا النَّوعِ مِنْ الْأَوْجُودِ قَلِيلٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَهُوَ كَثِيرٌ فِي
الْكُتُبِ الشَّرْعِيَّةِ. وَذَكَرَ مُجِيدِينَ فِي هَذَا الصَّنْفِ مِنْ شُعْرَانِهِمْ
وَأَتْنَى ثَمَاءَ عَامَا عَلَى أُوْمَيْدُوشَ. وَمِنْ جَيْدٍ مَا فِي هَذَا الْمَعْنَى لِلْعَرَبِ
قَوْلُ الْأَنْوَدِ بْنِ يَعْفَرٍ:

مَاذَا أُوْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرَّتِي	تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ
أَرْضِ الْخَوَزَنِيِّ وَالسَّدِيِّ وَبَارِقِ	وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
تَرَلُّوا بِأَنْقَرَةِ يَسِيلُ عَلَيْهِمِ	مَاءُ الْفُرَاتِ يُجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ
جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ	فَكَانَتْهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
فَارَى الْعَيْمُ وَكُلَّ مَا يُلْعَى بِهِ	يَوْمًا يَصِيدُ إِلَى بَلَى وَنَقَادِ

(قَالَ) وَأَجْزَاءُ هَذَا التَّنَوُّعِ هِيَ أَجْزَاءُ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ الْغَفِيَّةِ
 مِنَ الْإِدَارَةِ وَالْأَسْتِدْلَالِ وَالتَّزْكِيَةِ مِنْهَا. وَرُبَّمَا كَانَ بَعْضُ أَجْزَائِهَا
 أَنْفِعَالِيًا كَالْحَالِ فِي صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ. وَصَنَائِعُ الشِّعْرِ وَأَحْكَامُهَا فِي
 التَّلْحِينِ وَالنِّعَاءِ أَحْكَامُ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ. وَذَكَرَ فُرُوقًا بَيْنَ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ
 وَبَيْنَ صَنَائِعِ الشِّعْرِ الْآخَرِ عَنْهُمْ وَخَوَاصَّ تَخْتَصُّ بِهَا تِلْكَ الْأَشْعَارُ
 الْآخَرُ فِي الْأَوَازِ وَالْأَجْزَاءِ وَالْحَاكَاةِ وَالْقَدْرِ وَأَنَّ هَاهُنَا أَوْزَانًا
 هِيَ الْيَقِينُ بِبَعْضِ الْأَشْعَارِ مِنْ بَعْضٍ وَذَكَرَ مِنْ أَجْلَادِ مِنَ الشُّعْرَاءِ
 فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَمِنْ لَمْ يُجِدْ وَأَتْنَى فِي هَذَا كُلِّهِ عَلَى أُوْمِيدُوشَ
 وَكُلُّ ذَلِكَ خَاصٌّ بِهِمْ وَغَيْرُ مَوْجُودٍ مِثَالُهُ عِنْدَنَا إِمَّا لِأَنَّ ذَلِكَ الَّذِي
 ذَكَرَ غَيْرُ مُشْتَرَكٍ لِلْأَكْثَرِ مِنَ الْأُمَمِ وَإِمَّا أَنَّهُ عَرَضٌ لِلْعَرَبِ فِي
 هَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَمْرٌ خَارِجٌ عَنِ الطَّبَعِ وَهُوَ آيِنُ قَلْبُهُ مَا كَانَ لِيُثْبِتَ
 فِي كِتَابِهِ هَذَا مَا هُوَ خَاصٌّ بِهِمْ بَلْ مَا هُوَ مُشْتَرَكٌ لِلْأُمَمِ الطَّبِيعِيَّةِ

البحث التاسع

في كيفية التخلص الى ما يراد محاكاته

(من الكتاب نفسه)

وَيَتَبَنَّى أَنْ يَكُونَ مَا يَأْتِي بِهِ الشَّاعِرُ مِنَ الْكَلَامِ يَسِيرًا
 بِالإِضَافَةِ إِلَى الْكَلَامِ الْحَاكِمِيِّ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أُوْمِيدُوشُ قَلْبُهُ إِنَّمَا
 كَانَ يَفْعَلُ صَدْرًا يَسِيرًا ثُمَّ يَتَخَلَّصُ إِلَى مَا يُرِيدُ مُحَاكَاتَهُ مِنْ غَيْرِ
 أَنْ يَأْتِيَ فِي ذَلِكَ بِشَيْءٍ لَمْ يُتَدَلَّكَ لَكِنْ مَا قَدْ أَتَيْتَ فَإِنَّ غَيْرَ الْمُعْتَادِ

مُسْكِرٌ وَإِنَّا قَالَهُ ذَلِكَ فَيَا أَحْسِبْ لَأَنِّ لِلْأَمْرِ فِي تَشْبِيهَاتِهِمْ عَوَائِدُ
خَاصَّةٌ وَمِثْلُ قَوْلِ أَمْرِءٍ الْقَيْسِ :

يُحْسِلُ وَيُذِرِي ثُرْبَهَا وَيُيَبِّدُهُ إِثْلَارَةَ نَبَاتِ الْهَوَاجِرِ مُحْسِرِ
وَكَذَلِكَ تَشْبِيهِهُمْ الضَّبَّ بِالثَّوْنِ لِمَكَانِ السَّرَابِ الْمَوْجُودِ فِي
بِلَادِهِمْ وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ : وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ
(قَالَ) وَمَتَى طَالَ الْكَلَامُ وَلَيْسَ فِيهِ تَغْيِيرٌ وَلَا مُحَاكَاةٌ فَيَنْبَغِي
أَن يُعْتَنَى فِي ذَلِكَ بِإِبْرَادِ الْأَلْفَاظِ اللَّيِّنَةِ الدَّلَالَةِ وَهِيَ الَّتِي تَدُلُّ
عَلَى أَشْيَاءَ بِأَعْيَانِهَا لَا عَلَى أَشْيَاءَ مُتَضَادَّةٍ أَوْ مُخْتَلِفَةٍ وَأَن يَكُونَ
تَرْكِيبُهَا عَلَى الْمَشْهُورِ عِنْدَهُمْ وَتَكُونَ سَهْلَةً عِنْدَ النُّطْقِ. وَيُشَبِّهُ أَن
يَكُونَ هَذَا هُوَ أَكْثَرُ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ أَسْمُ الْقَصَاحَةِ
إِلَّا أَن يَكُونَ ذَلِكَ الْقَوْلُ ظَاهِرَ الصِّدْقِ وَمَشْهُورًا فَإِنَّ الصِّدْقَ
الَّذِي يَتَضَمَّنُهُ يَشْفَعُ لَنَا فِيهِ مِنْ قِلَّةِ الْقَصَاحَةِ وَقِلَّةِ التَّغْيِيرِ وَالْمُحَاكَاةِ

البحث العاشر

في أنواع المحاكاة غير المقبولة

(من الكتاب نفسه)

وَالْقَلَطُ الَّذِي يَقَعُ فِي الشَّعْرِ وَيَجِبُ عَلَى الشَّاعِرِ تَوْبِيحُهُ
فِي سِتَّةِ أَصْنَافٍ. أَحَدُهَا أَن يُحَاكِيَ بغيرِ مُمَكِّنٍ بَلْ مُتَمَتِّعٍ وَمِثَالُ
هَذَا عِنْدِي قَوْلُ أَزْهَبِ الْغَمِّ يَصِفُ الْقَمَرَ فِي تَنْقُصِهِ :
أَنْظُرْ إِلَيْهِ كَرُورَتِي مِنْ فَضَّةٍ قَدْ أَثْقَلَتْهُ حُمُولَةٌ مِنْ مَنَبَرِ

فَإِنَّ هَذَا مُتَّبِعٌ. وَإِنَّمَا آتَيْنَاهُ بِذَلِكَ شِدَّةَ الشَّيْءِ وَإِنَّهُ لَمْ يُقْصَدْ
 بِهِ حَتٌّ وَلَا نَهْيٌ بَلْ إِنَّمَا يُجِيبُ أَنْ يُحَاكِيَ بِمَا هُوَ مَوْجُودٌ أَوْ يُظَنُّ
 أَنَّهُ مَوْجُودٌ مِثْلُ مُحَاكَاةِ الْأَشْرَارِ بِالشَّيَاطِينِ أَوْ بِمَا هُوَ مُمَكِّنُ الْوُجُودِ
 فِي الْأَكْثَرِ لَا فِي الْأَقَلِّ أَوْ عَلَى التَّسَاوِي فَإِنَّ هَذَا النَّوعَ مِنَ
 الْوُجُودِ هُوَ الَّذِي بِالْخَطَايَا مِنْهُ بِالشَّعْرِ وَالْمَوْضِعُ الثَّانِي مِنَ غَلْطِ
 الشَّاعِرِ أَنْ يُخْرِفَ الْمُحَاكَاةَ وَذَلِكَ مِثْلُ مَا يَعْزِضُ لِلْمُصَوِّرِ أَنْ
 يَرِيدَ فِي الصُّورَةِ عَضْوًا لَيْسَ فِيهَا أَوْ يُصَوِّرَهُ فِي غَيْرِ الْمَكَانِ الَّذِي
 هُوَ فِيهِ كَمَنْ يُصَوِّرُ الرِّجْلَيْنِ فِي مُقَدِّمِ الْحَيَوَانِ ذِي الْأَرْبَعِ وَالْيَدَيْنِ
 فِي مُؤَخَّرِهِ وَيَتَّبِعِي أَنْ يُتَّقَدَّ مِثَالُ هَذَا فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَقَرِيبٌ
 مِنْهُ عِنْدِي قَوْلُ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ يَصِفُ الْقُرْسَ :

وَعَلَى أذُنِهِ أَذُنٌ ثَالِثَةٌ مِنْ سِنَانِ السَّنَهْرِيِّ الْأَزْدَقِ
 وَالْمَوْضِعُ الثَّالِثُ أَنْ يُحَاكِيَ النَّاطِقِينَ بِأَشْيَاءَ غَيْرِ نَاطِقَةٍ فَإِنَّ
 هَذَا أَيْضًا مِنْ مَوَاضِعِ التَّوْبِيخِ وَذَلِكَ أَنَّ الصَّدَقَ فِي هَذِهِ الْمُحَاكَاةِ
 يَكُونُ قَلِيلًا وَالْكَذِبُ كَثِيرًا إِلَّا أَنْ يُشَبَّهَ مِنَ النَّاطِقِ صِفَةً
 مُشْتَرَكَةً لِلنَّاطِقِ وَغَيْرِ النَّاطِقِ وَقَدْ تَوَسَّسْتُ بِمِثْلِ هَذَا الْعَادَةَ مِثْلُ
 تَشْبِيهِ الْعَرَبِ النِّسَاءِ بِالطَّبَّاءِ وَيَقَرُّ الْوَحْشُ وَالْمَوْضِعُ الرَّابِعُ أَنْ
 يُشَبَّهَ الشَّيْءُ بِشَيْءٍ ضِدِّهِ أَوْ بِضِدِّ نَفْسِهِ وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ الْعَرَبِ
 سَقِيَمَةُ الْجَفُونِ فِي الْحَسَنَةِ الْقَاضِيَةِ النَّظَرِ وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُهُمْ :

رَاحُوا كَانَهُمْ مَرَضَى مِنَ الْكُرَمِ

وَقَوْلُ الْآخَرِ :

وَمُحَرِّقَ عَهْدِهِ أَتَمِصُّ نَحْلَهُ وَنَسَطَ الْيُوتِ مِنْ الْحَيَاءِ سَقِيًّا
فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا هِيَ أَصْدَادُ الصِّفَاتِ الْحَسَنَةِ وَإِنَّمَا آنَسَ بِذَلِكَ
الْعَادَةُ. وَالْمَوْضِعُ لِلْخَلِيسِ أَنْ يَأْتِيَ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْمُتَضَادِّينَ
بِالسَّوَاءِ مِثْلُ الصَّرِيمِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَالْقَرَّ وَالْجَلْدُ وَغَيْرِ ذَلِكَ يَمَّا
قَدْ ذَكَرَهُ أَهْلُ اللُّغَةِ. وَالْمَوْضِعُ السَّادِسُ أَنْ يَتْرُكَ الْحَاكَاةَ الشَّعْرِيَّةَ
وَيَنْتَقِلَ إِلَى الْإِقْتَاعِ وَالْأَقَابِلِ التَّصْدِيقِيَّةِ وَبِخَاصَّةٍ مَتَى كَانَ الْقَوْلُ
هَيْئَةً قَلِيلَ الْإِقْتَاعِ وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ يَتَذَرُّ عَنْ
جُنَيْهِ:

وَمَا جَبُنْتُ خَيْلِي وَلَكِنْ تَذَكَّرْتُ مَرَايَهَا مِنْ بَرِيصٍ وَمَيْسَرَا
وَقَدْ يَحْسُنُ هَذَا الصِّنْفُ إِذَا كَانَ حَسَنَ الْإِقْتَاعِ أَوْ صَادِقًا
مِثْلُ قَوْلِ الْآخَرِ يَتَذَرُّ عَنْ الْفِرَارِ:

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى رَمَوْا قَرِيبي بِأَشَقِّ مُزِيدِ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَابِلْتُ وَاحِدًا أَقْتُلُ وَلَا يَنْكِى عُدُوِّي مَشْهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَجِبَةُ فِيهِمْ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمِ مُنْفِذِ
فَإِنَّ هَذَا الْقَوْلَ إِنَّمَا حَسَنَ فِي الْأَكْثَرِ لِصِدْقِهِ لِأَنَّ التَّنْصِيدَ
الَّذِي فِيهِ يَسِيرُ وَلِذَلِكَ قَالَ الْقَائِلُ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَقَدْ حَسَنْتُمْ
كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْفِرَارَ (قَالَ) وَإِذَا كَانَتْ مَوَاضِعُ الْقَلَطِ سَيِّئَةً
وَمَوَاضِعُ التَّوْبِيخِ مُعَابِلَتًا فَجِبُّ أَنْ تَكُونَ مَوَاضِعُ الْقَلَطِ الذَّائِقِ
وَالْتَّوْبِيخِ الْخَاصِي. اثْنِي عَشَرَ مَوْضِعًا سَيِّئَةً أَغْلِيطُ وَسَيِّئَةً تَوْبِيخَاتُ
وَأَمِثَّةُ التَّوْبِيخَاتِ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ عِنْدَنَا إِذَا كَانَ شَعْرَاؤُنَا لَمْ تَمَيِّزْ

لَمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ وَلَا شَعَرُوا بِهَا فَهَذَا هُوَ مَا تَأْدَى إِلَى فَهِنَا عَمَّا
 ذَكَرَهُ أَرِسْطُو فِي كِتَابِهِ هَذَا مِنَ الْأَقَابِيلِ الْمُشْتَرَكَةِ لِجَمِيعِ أَصْنَافِ
 الشَّعْرِ وَالْخَاصَّةِ بِالْمَدِيحِ أَعْنِي الْمُشْتَرَكَةَ مِنْهَا أَيْضًا لِلْكَثَرِ أَوْ
 لِلْجَمِيعِ وَسَائِرُ مَا ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ هَذَا مِنَ الْفُصُولِ الَّتِي بَيْنَ سَائِرِ
 أَصْنَافِ الشَّعْرِ عِنْدَهُمْ وَبَيْنَ صِنْفِ الْمَدِيحِ فَهُوَ خَاصٌّ بِهِمْ وَمَعَ
 ذَلِكَ فَلَسْنَا نَجِدُهُ ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْوَأَوَّلِ إِلَّا بِنَا
 إِلَّا بَعْضَ ذَلِكَ. وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَمْ يَتَرَجَمَ عَلَى
 النَّسَامِ. وَأَنَّهُ بَقِيَ مِنْهُ التَّكْلُمُ فِي سَائِرِ فُصُولِ أَصْنَافٍ كَثِيرَةٍ مِنْ
 الْأَشْعَارِ عِنْدَهُمْ وَقَدْ كَانَ هُوَ وَعَدَ بِالتَّكْلُمِ فِي هَذِهِ كُلِّهَا فِي
 صَدْرِ كِتَابِهِ. وَالَّذِي نَقَصَ بِمَا هُوَ مُشْتَرِكٌ هُوَ التَّكْلُمُ فِي صِنْفَةِ
 الْحِجَاءِ لَكِنْ يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ الْوُقُوفُ عَلَى ذَلِكَ بِقُرْبٍ مِنْ
 الْأَشْيَاءِ الَّتِي قِيلَتْ فِي بَابِ الْمَدِيحِ إِذْ كَانَتْ الْأَضْدَادُ يُعْرَفُ
 بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ. وَأَنْتَ تَبَيَّنَ إِذَا وَقَفْتَ عَلَى مَا كَتَبْنَاهُ
 هَاهُنَا أَنَّ مَا شَعَرَ بِهِ أَهْلُ لِسَانِنَا مِنَ الْقَوَائِنِ الشَّعْرِيَّةِ بِالْإِضَافَةِ
 إِلَى مَا فِي كِتَابِ أَرِسْطُو هَذَا وَفِي كِتَابِ الْخَطَابَةِ زُرَّ يَسِيرُ كَمَا
 يَقُولُهُ أَبُو نَصْرِ. وَلَيْسَ يَحْتَجُّ عَلَيْكَ أَيْضًا كَيْفَ تَرْجِعُ تِلْكَ الْقَوَائِنَ
 إِلَى هَذِهِ وَلَا مَا ذَكَرُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ بِمَا ذَكَرَ عَلَى
 غَيْرِ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَلَوْفَقُ لِلصَّوَابِ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ



الفصل الثاني

في معرفة الشعراء

البحث الاول

في القدماء من الشعراء

(من كتاب الزهر في علوم اللغة للعلامة جلال الدين السيوطي)

وَمِنْ قَدَمَاءِ الشُّعْرَاءِ أَعْصَرُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ قَيْسٍ عَيْلَانَ بْنُ مُضَرَ
وَهُوَ مُنَبِّهٌ أَبُو بَاهِلَةَ وَغَنِيٌّ وَالطُّفَاوَةُ . وَمِنْهُمْ أَلَسْتُوَيْرُ بْنُ رَيْعَةَ
أَبْنُ كَسْبٍ بْنُ نَهْدٍ وَكَانَ قَدِيمًا وَبَقِيَ بَقَاءً طَوِيلًا حَتَّى قَالَ :
وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا وَأَزْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ السِّتِينَ مِثْلًا
مِائَةً أَتَتْ مِنْ بَعْدِهَا مِائَتَانِ لِي وَأَزْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهُورِ مِثْلًا
وَمِنْهُمْ زُهَيْرُ بْنُ جَنْبٍ الْكَلْبِيُّ كَانَ قَدِيمًا شَرِيفًا وَهُوَ
الْقَائِلُ :

إِذَا قَالَتْ حَذَامُ فَصَدَّقُوهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامُ
وَمِنْهُمْ جَذِيعَةُ الْأَبْرَشِ وَالجِّيمُ بْنُ صُصْبٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ
أَبْنِ وَائِلٍ وَهُوَ الْقَائِلُ :

مِنْ كُلِّ مَا تَالَ الْفَتَى قَدْ بَلَغَتْهُ إِلَّا الْهَيْجَةُ

وَقَالَ أَمْرُوهُ الْقَيْسُ بْنُ خُجْرٍ:

عُوجًا عَلَى طَلَلِ الدِّيَارِ لَمَّا تَبَكَّى الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حَذَامٍ
وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ طَيْفِهِ لَمْ تَسْمَعْ شِعْرَهُ الَّذِي بَكَى فِيهِ وَلَا
شِعْرًا غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي ذَكَرَهُ أَمْرُوهُ الْقَيْسُ . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ
قَصَّدَ الْقَصَائِدَ وَذَكَرَ الْوَقَائِعَ الْمَهْلُولُ بْنُ رَيْمَةَ التَّنْطَلِيُّ فِي قَتْلِ
أَخِيهِ كَلَيْبٍ قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

وَمَهْلُولُ الشُّعْرَاءِ ذَلِكَ الْأَوَّلُ

وَذَمَّتِ الْعَرَبُ أَنَّهُ كَانَ يَتَكَثَّرُ وَيَدَّعِي فِي قَوْلِهِ أَكْثَرُ
مِنْ فِطْلِهِ . وَكَانَ شُعْرَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ فِي رَيْمَةَ أَوَّلُهُمُ الْمَهْلُولُ وَهُوَ خَالَ
أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ خُجْرٍ الْكِنْدِيِّ وَالْمُرْقَشَانِ وَالْأَكْبَدُ مِنْهَا عَمُّ
الْأَضَرِّ وَالْأَضَرُّ عَمُّ طَرْقَةَ بْنِ الْعَبْدِ . وَأَمُّ الْأَكْبَدِ عَوْفُ بْنُ سَعْدٍ
وَأَمُّ الْأَضَرِّ عَمْرُو بْنُ حَرْثَةَ وَقِيلَ رَيْمَةَ بْنُ سُقْيَانَ . وَمِنْهُمْ
سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ وَطَرْقَةُ بْنُ الْعَبْدِ وَعَمْرُو بْنُ قَسَّةَ وَالْمُهَلِّسُ وَهُوَ خَالَ
طَرْقَةَ . وَالْأَعَشَى وَالْمُسَيْبُ بْنُ عِلْسٍ وَالْحَرْثُ بْنُ حِلْزَةَ . ثُمَّ
تَحَوَّلَ الشُّعْرُ فِي قَيْسٍ فَنُفِهُمُ النَّابِغَتَانِ وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى وَأَبْنَةُ
كَعْبٍ وَلَيْدٌ وَالْحُلَيْتَةُ وَالشَّخَّاءُ وَأَخُوهُ مُزَرَّدٌ وَخِدَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ
ثُمَّ آلُ إِلَى يَتِيمِهِمْ فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ إِلَى الْيَوْمِ وَمِنْهُمْ كَانَ أَوْسُ بْنُ
خُجْرٍ شَاعِرٌ مُضَرٌّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَتَقَدِّمَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَتَّى نَشَأَ النَّابِغَةُ
وَزُهَيْرٌ وَأَحْمَلَاهُ وَبَقِيَ شَاعِرُ يَتِيمِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ غَيْرَ مُدَافِعٍ . وَكَانَ
الْأَضَمِيُّ يَقُولُ أَوْسُ أَشْعَرُ مِنْ زُهَيْرٍ وَلَكِنْ النَّابِغَةُ طَاعًا مِنْهُ

وَكَانَ دَاوِيَةَ أَوْسٍ زُهَيْرٌ وَكَانَ أَوْسٌ زَوْجَ لَمْ زُهَيْرٍ (قَالَ عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ)
 فِي طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ: لِلشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ أَوَّلٌ لَا يُوقَفُ عَلَيْهِ وَقَدْ اخْتَلَفَ
 فِي ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ وَأَدَّعَتْ الْقَبَائِلُ كُلُّ قَبِيلَةٍ لِشَاعِرِهَا أَنَّهُ الْأَوَّلُ وَلَمْ
 يَدَّعُوا ذَلِكَ لِقَائِلِ الْبَتَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ لِأَنَّهُمْ لَا يُسَوُّونَ ذَلِكَ شِعْرًا فَأَدَّعَتْ
 الْبَتَيْنِ لَأَمْرِئِ الْقَيْسِ وَبَنُو أَسَدٍ لِمَيْدٍ بْنِ الْأَبْرَصِ وَتَغْلِبُ لِمَهْلُولٍ
 وَبَكْرٌ لِعَمْرٍو بْنِ قَمْصَةَ وَالْمُرْقَشُ وَالْأَكْخَرُ وَإِيَادُ لِأَيِّ دُوَادٍ (قَالَ)
 وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْأَفْوَ الْأَوْدِيَّ أَقْدَمُ مِنْ هَؤُلَاءِ وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ
 قَصَدَ الْقَصِيدَ (قَالَ) وَهَؤُلَاءِ أَتَفَرُّوا لِدَعَايِهِمْ أَلْتَقَدُّمُ فِي الشُّعْرِ
 مُتَقَارِبُونَ لَعَلَّ أَقْدَمَهُمْ لَا يَسْبِقُ الْعَجْرَةَ عِائَةً سَنَةً أَوْ تَحْوَاهَا
 (وَقَالَ ثَلَبٌ فِي أَمَالِيهِ) قَالَ الْأَضَمِيُّ: أَوَّلُ مَنْ يُرْوَى لَهُ كَلِمَةٌ
 تَبْلُغُ ثَلَاثِينَ بَيْتًا مِنَ الشُّعْرِ مَهْلُولٌ ثُمَّ ذُوَيْبُ بْنُ كَسْبٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ
 عَجِيمٍ ثُمَّ صَنْرَةُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَالْأَضْبَطُ بْنُ مُرَاجٍ (قَالَ)
 وَكَانَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَبَيْنَ الْإِسْلَامِ أَرْبَعِيَانَةُ سَنَةٍ وَكَانَ أَمْرُهُ الْقَيْسِ
 بَعْدَ هَؤُلَاءِ بِكَثِيرٍ (وَقَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ فِي كِتَابِ لَيْسَ) أَوَّلُ مَنْ
 قَالَ الشُّعْرَ ابْنُ حَذَّامٍ (وَقَالَ ابْنُ رَشِيْقٍ فِي الْعَمْدَةِ): الْمَشَاهِيرُ
 مِنَ الشُّعْرَاءِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِمْ عَدَدٌ وَمِنْهُمْ مَشَاهِيرُ قَدْ طَلَرَتْ
 أَسَاءَتُهُمْ وَسَارَ شِعْرُهُمْ وَكَثُرَ ذِكْرُهُمْ حَتَّى غَلَبُوا عَلَى سَائِرِ مَنْ كَانَ
 فِي زَمَانِهِمْ وَلِكُلِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ تُغْضِلُهُ وَتَتَعَصَّبُ لَهُ وَقَلَّمَا
 تَجْتَمِعُ عَلَى وَاحِدٍ إِلَّا مَا رَوَى عَنِ الرَّسُولِ فِي أَمْرِئِ الْقَيْسِ
 أَنَّهُ أَشْعَرُ الشُّعْرَاءِ وَقَالَتْهُمْ إِلَى النَّارِ يَعْنِي شُعْرَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْمُشْرِكِينَ

قَالَ دُعِلُ بْنُ عُلَيٍّ الْخَرَّاجِيُّ: وَلَا يَقُودُ قَوْمًا إِلَّا أَمِيرُهُمْ. قَالَ
 عُمرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ وَقَدْ سَأَلَهُ عَنِ الشُّعْرَاءِ: أَمَرُوهُ
 الْقَيْسَ سَابِقَهُمْ خَسَفَ لَهُمْ عَيْنُ الشَّعْرِ فَأَقْتَرَعَ عَنْ مَعَانٍ عَوْرٍ أَصَحَّ
 بَصَرًا (قَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ) خَسَفَ مِنْ الْخَسْفِ وَهِيَ الْبُذْرُ الَّتِي
 خُفِرَتْ فِي حِجَارَةٍ فَخَرَجَ مِنْهَا مَاءٌ كَثِيرٌ. وَقَوْلُهُ أَقْتَرَعَ أَيَّ فَحَّحَ وَهُوَ
 مِنْ أَقْتَرَ وَهُوَ قَمُ الْقَنَاقَةِ وَقَوْلُهُ: عَنْ مَعَانٍ عَوْرٍ يُرِيدُ أَنَّ أَمْرًا الْقَيْسَ
 مِنْ أَلَيْسَ وَأَنَّ أَهْلَ أَلَيْسَ لَيْسَتْ لَهُمْ فَصَاحَةٌ تَرَارٍ جَعَلَ لَهُمْ مَعَانِي
 عَوْرًا فَكَانَ فَحَّحَ أَمْرِي الْقَيْسِ أَصَحَّ بَصَرًا فَإِنَّ أَمْرًا الْقَيْسِ يَأْتِي
 النَّسَبَ تَرَارِي الدَّارِ وَالْمَنْشَأِ وَفَصَلَةُ عَلِيٍّ بِأَنَّ قَالَ: رَأَيْتُهُ أَحْسَنُ
 نَادِرَةٍ وَأَسْبَغُهُمْ بِلَادَةٍ وَأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ لِرُغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ (وَقَدْ قَالَ
 الْعُلَمَاءُ بِالشَّعْرِ) إِنَّ أَمْرًا الْقَيْسِ لَمْ يَتَقَدَّمَ الشُّعْرَاءُ لِأَنَّهُ قَالَ مَا
 لَمْ يَقُولُوا وَلَكِنَّهُ سَبَقَ إِلَى أَشْيَاءَ فَاسْتَحْتَنَاهَا الشُّعْرَاءُ وَاتَّبَعُوهُ فِيهَا
 لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ لَطَفَ الْعُلَمَاءُ وَمِنْ اسْتَوْقَفَ عَلَى الطَّلُولِ وَوَصَفَ
 النِّسَاءَ بِالطِّبَاءِ وَالْمَهْمَى وَالْبَيْضِ وَشَبَّهَ الْخَيْلَ بِالْعِيقَانِ وَالْعِجِيَّ وَفَوَّقَ
 بَيْنَ النَّسِيبِ وَمَا سِوَاهُ مِنَ الْقَصِيدَةِ وَقَرَّبَ مَا خَذَ الْكَلَامَ قَصِيدَ
 الْأَوَابِدِ وَأَجَادَ الْأَسْتِعَارَةَ وَالنَّشِيئَةَ وَحَكَى مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ
 الْجَحْمِيُّ: إِنَّ سَائِلًا سَأَلَ الْفَرَزْدَقَ مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ فَقَالَ ذُو
 الْقُرُوحِ (وَسُئِلَ كَيْدٌ): مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ فَقَالَ الْمَلِكُ الضَّيْلُ
 قِيلَ ثُمَّ مَنْ قَالَ: الشَّابُّ الْقَتِيلُ قِيلَ: ثُمَّ مَنْ قَالَ: الشَّيْخُ أَبُو عَقِيلٍ
 يَعْنِي نَفْسَهُ. وَكَانَ الْخُذَّاقُ يَقُولُونَ: الْخُحُولُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثَلَاثَةٌ

مُتَشَابِهُونَ زُهَيْرٌ وَالْفَرَزْدَقُ وَالنَّابِغَةُ وَالْأَخْطَلُ وَالْأَعَشَى وَجَرِيرٌ
وَكَانَ خَلْفَ الْأَخْمَرِ يَقُولُ: أَجْمَعُهُمُ الْأَعَشَى. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو أَمِنُ
الْعُلَاءِ: مَثَلُهُ مَثَلُ الْبَازِي يَضْرِبُ كَبِيرَ الطَّيْرِ وَصَغِيرَهُ. وَكَانَ أَبُو
الْخَطَّابِ الْأَخْفَشُ يُقَدِّمُهُ جِدًّا لَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ أَحَدًا. وَحَكَى
الْأَصْبَغِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي طَرَفَةَ: كَفَاكَ مِنَ الشُّعْرَاءِ أَرْبَعَةُ زُهَيْرٌ
إِذَا رَغِبَ وَالنَّابِغَةُ إِذَا رَهَبَ وَالْأَعَشَى إِذَا طَرِبَ وَعَشْرَةٌ إِذَا
كَلِبَ وَزَادَ قَوْمٌ: وَجَرِيرٌ إِذَا غَضِبَ. وَقِيلَ لِكَثِيرٍ أَوْ لِنَصِيبٍ
مَنْ أَشْرَ الْعَرَبِ فَقَالَ: أَمْرُوهُ الْقَيْسُ إِذَا رَكِبَ وَزُهَيْرٌ إِذَا رَغِبَ
وَالنَّابِغَةُ إِذَا رَهَبَ وَالْأَعَشَى إِذَا شَرِبَ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُقَدِّمُ
النَّابِغَةَ وَيَقُولُ هُوَ أَحْسَنُهُمْ شِعْرًا وَأَعْدَبُهُمْ بَحْرًا وَأَبَدُهُمْ قُرًّا.
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْخَطَّابِ فِي كِتَابِهِ الْمَوْسُومِ بِجَهَنَّمَ أَشْعَارُ
الْعَرَبِ إِنَّ أَبَا عَيْدَةَ قَالَ: أَصْحَابُ السَّبْعِ الَّتِي تُسَمَّى السُّنْطُ أَمْرُوهُ
الْقَيْسُ وَزُهَيْرٌ وَالنَّابِغَةُ وَالْأَعَشَى وَلَيْدٌ وَعَمْرٌو وَطَرَفَةُ. (قَالَ)
وَقَالَ الْمَفْضَلُ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ فِي السَّبْعِ الَّتِي تُسَمَّى السُّنْطُ لِأَحَدٍ
غَيْرِ هَؤُلَاءِ فَقَدْ أَطْلَلَ وَأَسْطَطَا مِنْ أَصْحَابِ الْمُطَلَقَاتِ مَعْدَّةً
وَالْحَوْثِ بْنِ جِلْزَةَ وَآثِبَةَ الْأَعَشَى وَالنَّابِغَةَ وَكَانَتْ الْمُطَلَقَاتُ تُسَمَّى
الْمُذَهَّبَاتِ وَذَلِكَ أَنَّهَا اخْتَبِرَتْ مِنْ سَائِرِ الشُّعْرَى فَكُنِيَتْ فِي
الْقَبَاطِي بِمَا أَلْزَمَ وَعُلِقَتْ عَلَى الْكَمَةِ فَلِذَلِكَ يُقَالُ مُذَهَّبَةٌ
فُلَانٍ إِذَا كَانَتْ أَجْوَدَ شِعْرًا. ذَكَرَ ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ
وَقِيلَ بَلْ كَانَ أَلَمِكُ إِذَا اسْتَحْيَدَتْ قَصِيدَةً يَقُولُ: عَلِقُوا لَنَا هَذِهِ

يَسْكُونُ فِي خِزَانَتِهِ (وَقَالَ الْجَحْمِيُّ) سَأَلَ عِكْرَمَةُ بْنُ جَرِيرٍ أَبَاهُ
جَرِيرًا. مِنْ أَشْعَرِ النَّاسِ قَالَ: أَعَنْ الْجَاهِلِيَّةُ تَسْأَلُنِي أَمِ الْإِسْلَامُ.
قَالَ: مَا أَرَدْتُ إِلَّا الْإِسْلَامَ فَإِذَا ذَكَرْتَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ
أَعْلَاهَا قَالَ: زُهَيْرٌ شَاعِرُهُمْ (قَالَ) قُلْتُ: فَأَلَا إِسْلَامٌ قَالَ:
الْفَرَزْدَقُ بُعْثَ الْأَشْعَرِ قُلْتُ: وَالْأَخْطَلُ قَالَ: يُجِيدُ مَدْحَ أَمْثَلِكِ
وَيُصِيبُ صِفَةَ الْخَمْرِ قُلْتُ: فَمَا تَرَكْتَ لِنَفْسِكَ قَالَ: دَعْنِي فَارْتَبِ
بِحَوْتِ الْأَشْعَرِ بِحَرًّا (وَسُئِلَ) الْفَرَزْدَقُ مَرَّةً: مَنْ أَشْعَرُ الْعَرَبِ
قَالَ بِشَرِّ بْنِ أَبِي خَازِمٍ. قِيلَ لَهُ: يَمَازَا. قَالَ: بِقَوْلِهِ:

تَوَى فِي مُحَدٍّ لَا بَدْءَ مِنْهُ كَفَى بِالْمَوْتِ نَأْيًا وَأَعْدَا أَبَا
ثُمَّ سُئِلَ جَرِيرٌ فَقَالَ: بِشَرِّ بْنِ أَبِي خَازِمٍ. قِيلَ لَهُ: يَمَازَا. قَالَ
بِقَوْلِهِ:

رَهْبِنُ بَلَى وَكُلُّ فَتَى سَيْلِي فَشَقِي الْحَيْبَ وَأَنْحِي انْحِبَابَا
فَأَتَقَفَا عَلَى بِشَرِّ بْنِ أَبِي خَازِمٍ كَمَا تَرَى (وَكُتِبَ) الْحَاجُّ بْنُ
يُوسُفَ إِلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْعَرِ الشُّعْرَاءِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
وَأَشْعَرِ شُعْرَاءِ وَقْتِهِ فَقَالَ: أَشْعَرُ الْجَاهِلِيَّةِ أَمْرُوهُ الْقَيْسُ وَأَضْرِبُهُمْ
مَثَلًا طَرَفَةً. وَأَمَّا شُعْرَاءُ الْوَقْتِ فَالْفَرَزْدَقُ وَالْخُرَّمُ وَجَرِيرٌ وَأَهْجَاهُمْ
وَالْأَخْطَلُ أَوْصَفُهُمْ (وَأَمَّا الْخَطِيبَةُ) فَسُئِلَ مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ فَقَالَ
أَبُو دُوَادٍ حَيْثُ يَقُولُ:

لَا أَعُدُّ الْإِقْتَارَ عَدْمًا وَلَكِنْ قَعْدٌ مَنْ قَدْ رُزِنَتْهُ الْإِعْدَامُ
وَهُوَ كَانَ فَخْلًا قَدِيمًا وَكَانَ أَمْرُوهُ الْقَيْسُ يَتَوَكَّأُ عَلَيْهِ

وَيُرَوِّي شَعْرَهُ فَلَمْ يَقُلْ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ الثَّمَادِ مَقَاةَ الْخَطِيئَةِ (وَسَاةُ
 ابْنِ عَبَّاسٍ مَرَّةً أُخْرَى) فَقَالَ الَّذِي يَقُولُ:
 وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَرْفُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ

يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّمَّ يُشَمُّ
 وَلَيْسَ الَّذِي يَقُولُ:

وَكُنْتُ بِمُسْتَقْبَرِ أَخَا لَا تَلُثُّهُ عَلَى شَعْرِ أَيِّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ
 وَلَكِنَّ الضَّرَاعَةَ أَفْسَدَتْهُ كَمَا أَفْسَدَتْ جَرَّوَلًا وَأَلَّوْ لَوْلَا
 وَلَوْلَا لَكُنْتُ أَشْعَرَ الْمَاضِينَ. وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَلَا أَشْكُ إِلَى أَشْعَرِهِمْ
 (وَدَعَمَ) ابْنُ أَبِي الْخَطَّابِ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو يَقُولُ أَشْعَرُ النَّاسِ: أَرْبَعَةٌ
 أَمْرُو الْقَيْسِ وَالنَّائِبةُ وَطَرَقَةُ وَمُهْلِلٌ وَقَالَ الْمُفَضَّلُ: سِئِلَ الْقُرَزْدِيُّ
 فَقَالَ: أَمْرُو الْقَيْسِ أَشْعَرُ النَّاسِ وَقَالَ جَرِيرٌ: النَّائِبةُ أَشْعَرُ النَّاسِ
 وَقَالَ الْأَخْطَلُ: الْأَعَشَى أَشْعَرُ النَّاسِ وَقَالَ ابْنُ أَحْمَرَ: ذُهَيْرٌ أَشْعَرُ
 النَّاسِ وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ: لَيْدٌ أَشْعَرُ النَّاسِ وَقَالَ نَضْرَبُ بْنُ شُمَيْلٍ:
 طَرَقَةُ أَشْعَرُ النَّاسِ وَقَالَ الْكُمَيْتُ: عَمْرُو بْنُ كُثُومٍ أَشْعَرُ النَّاسِ
 وَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَهْوَاءِ وَقَلْوِ الْإِلْتِفَاقِ. وَكَانَ ابْنُ
 أَبِي رَاسِحٍ وَهُوَ عَالِمٌ نَازِدٌ وَمُقَدَّمٌ شَهُورٌ يَقُولُ: أَشْعَرُ الْجَاهِلِيَّةِ
 الْمُرْقَشُ الْأَكْبَرُ وَأَشْعَرُ الْإِسْلَامِيِّينَ كَثِيرٌ وَهَذَا غُلُوٌّ مُفْرِطٌ
 غَيْرَ أَنَّهُمْ مُجْتَمِعُونَ عَلَى أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَطَالَ الدَّخَ (وَقِيلَ) لِنُصَيْبٍ
 مَرَّةً: مَنْ أَشْعَرُ الْعَرَبِ فَقَالَ: أَخُو عِمِّمٍ بِنِي عُلَقَمَةَ بْنِ عَبْدِ وَقِيلَ
 أَوْسَ بْنَ حَجْرٍ. وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ بَعْدَ أَمْرِ الْقَيْسِ مَا

لُزْهَيْرٍ وَاللَّائِقَةِ وَالْأَعَشَى فِي الثَّنُوسِ . وَعُلَمَاءُ الْبَصَرَةِ كَانُوا يُقَدِّمُونَ
 أَمْرًا الْقَيْسَ وَأَهْلَ الْكُوفَةِ كَانُوا يُقَدِّمُونَ الْأَعَشَى وَأَهْلَ الْحِجَازِ
 وَالْبَادِيَةَ كَانُوا يُقَدِّمُونَ زُهَيْرًا وَاللَّائِقَةَ وَكَانَ أَهْلُ الْعَالِيَةِ لَا
 يَنْدِلُونَ بِاللَّائِقَةِ أَحَدًا كَمَا أَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ لَا يَنْدِلُونَ بِزُهَيْرٍ أَحَدًا .
 قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : قَالَ أَهْلُ النَّظَرِ كَانَ زُهَيْرٌ أَحْصَاهُمْ شِعْرًا
 وَأَبَدَهُمْ مِنْ سَخَفٍ وَاجْتَمَعَهُمْ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي قَلِيلٍ مِنْ
 الْأَنْطِقِ . وَأَمَّا اللَّائِقَةُ فَقَالَ مَنْ يَخْتِمْ لَهُ كَانَ أَحْسَنَهُمْ دِيبَاجَةَ شِعْرِ
 وَكَثْرَتُهُمْ رَوَى كَلَامَ . وَأَجَزَلُهُمْ بَيْنًا كَانَ شِعْرُهُ كَلَامَ لَيْسَ
 فِيهِ تَكَافُفٌ . وَزَعَمَ أَصْحَابُ الْأَعَشَى أَنَّهُ أَكْثَرُهُمْ عَرُوضًا وَأَذْهَبُهُمْ
 فِي قُوتِ الشِّعْرِ وَأَكْثَرُهُمْ طَوِيلَةَ جَيْدَةٍ وَمَدَحًا وَهَجَاءً وَتَحْوًا
 وَصِفَةً (وَقَالَ بَعْضُ مُتَقَدِّمِي الْعُلَمَاءِ) الْأَعَشَى أَشْعَرُ الْأَرْبَعَةِ قِيلَ
 لَهُ : قَائِنَ الْخَبَرِ عَنِ النَّبِيِّ . إِنَّ أَمْرًا الْقَيْسَ يَسِدُّهُ لَوَاءُ الشِّعْرِ
 فَقَالَ : يَهَذَا الْخَبَرُ صَحَّ لِلْأَعَشَى مَا قُلْتُ وَذَلِكَ أَنَّهُ مَا مِنْ حَامِلٍ لَوَاءٍ
 إِلَّا عَلَى رَأْسِ أَمِيرٍ فَأَمَرُوهُ الْقَيْسَ حَامِلُ الْوَاءِ وَالْأَعَشَى الْأَمِيرُ
 (وَسُئِلَ) حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ فَقَالَ : أَرْجُلَا أَمَ حَيًّا
 قِيلَ بَلْ حَيًّا قَالَ : أَشْعَرُ النَّاسِ حَيَّا هَذِيلٌ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ .
 الْجَحْمِيُّ وَأَشْعَرُ هَذِيلٍ أَبُو ذُؤَيْبٍ غَيْرَ مُدَافِعٍ (وَقَالَ الْأَضْمِيُّ)
 قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْمَلَاءِ : أَفْضَحُ الشُّعْرَاءِ السَّنَا وَأَعْرَبُهُمْ أَهْلُ
 السَّرَوَاتِ وَهُنَّ ثَلَاثٌ وَهِيَ الْحِجَالُ الْأَطْلَةُ عَلَى تِهَامَةٍ بِمَا يَلِي
 أَلْسِنَ فَأَوَّلُهَا هَذِيلٌ وَهِيَ تَلِي الرَّمْلَ مِنْ تِهَامَةٍ ثُمَّ عَلَيْهِ السَّرَاوُ

الْوُسْطَى وَقَدْ شَرَكْتَهُمْ تَقِيفٌ فِي نَاجِيَةٍ مِنْهَا . ثُمَّ سَرَاةُ الْأَزْدِ
 أَزْدَشْنُوهُ وَهُمْ بَنُو الْحَرْثِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ الْحَرْثِ بْنِ نَضْرٍ بْنِ
 الْأَزْدِ وَقَالَ أَبُو عَمْرِو أَيْضًا : أَفْصَحُ النَّاسِ عَلِيًّا يَمِمْ وَسُغْلَى قَيْسٍ
 وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : أَفْصَحُ النَّاسِ سَافِلَةُ الْعَالِيَةِ وَعَالِيَةُ السَّافِلَةِ يَعْنِي
 هَوَازِنَ وَأَهْلَ الْعَالِيَةِ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَمَنْ يَلِيهَا وَدَنَا مِنْهَا
 وَلَقَبَهُمْ لَيْسَتْ يَتْلُكَ عِنْدَهُ . وَقَوْمٌ يَرَوْنَ تَقْدِيمَةَ الشَّعْرِ لِلْيَسْرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
 بِأَمْرِى الْقَيْسِ وَفِي الْإِسْلَامِ بِحَسَّانَ بْنِ كَابِتٍ وَفِي الْمَوَازِينِ
 بِالْحَسَنِ بْنِ هَانِيٍّ وَأَشْعَرُ أَهْلِ الْمَدْرِ بِإِجْمَاعٍ مِنَ النَّاسِ
 وَأَتَقَفَا حَسَّانُ بْنُ كَابِتٍ . وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ : خُتِمَ الشَّعْرُ
 بِبُذِي الرُّمَّةِ وَالرَّجَزِ بِرُؤْبَةِ بْنِ الْحَجَّاجِ . وَزَعَمَ يُوسُفُ : أَنَّ الْحَجَّاجَ
 لَيْسَ فِي شَعْرِهِ شَيْءٌ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ : لَوْ كَانَ مَكَاهُ
 غَيْرُهُ لَكَانَ أَجْوَدَ (وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ) إِنَّمَا كَانَ الشَّاعِرُ يَقُولُ
 مِنَ الرَّجَزِ الْبَيْتَيْنِ وَالْأَثَلَاةِ وَنَحْوَ ذَلِكَ إِذَا حَارَبَ أَوْ شَاتَمَ أَوْ
 فَلَاحَ حَتَّى كَانَ الْحَجَّاجُ أَوَّلَ مَنْ أَطَالَهُ وَقَصَّدهُ وَشَبَّ فِيهِ وَذَكَرَ
 الدِّيَارَ وَاسْتَوْفَى الرِّكَابَ عَلَيْهَا وَاسْتَوْصَفَ مَا فِيهَا وَبَكَى عَلَى
 الشَّبَابِ وَوَصَفَ الرَّاحِلَةَ كَمَا فَعَلَتِ الشُّعْرَاءُ بِالْقَصِيدِ فَكَانَ فِي
 الرَّجَازِ كَأَمْرِى الْقَيْسِ فِي الشُّعْرَاءِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : أَوَّلُ مَنْ طَوَّلَ
 شَعْرَ الرَّجَزِ الْأَغْلَبُ الْأَنْجَلِيُّ وَهُوَ قَدِيمٌ . وَزَعَمَ الْأَنْجَلِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ أَوَّلُ
 مَنْ رَجَزَ . وَقَالَ آبَنُ رَشِيقٍ فِي الْعُمَةِ : وَلَا أَظُنُّ ذَلِكَ صَحِيحًا لَهُ
 لِأَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ وَنَحْنُ نَحْبِذُ الرَّجَزَ أَقْدَمَ مِنْ ذَلِكَ .

وَكَانَ أَبُو عُمَيْدَةَ يَقُولُ: أَفْتَحِ الشَّعْرُ بِأَمْرِ الْقَيْسِ وَخُتْمَ بَابِ
 هَرَمَةَ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: الشُّعْرَاءُ ثَلَاثَةٌ جَاهِلِيٌّ وَإِسْلَامِيٌّ وَمَوْلَدٌ
 فَجَاهِلِيٌّ أَمْرُهُ الْقَيْسُ وَالْإِسْلَامِيُّ ذُو الرِّمَّةِ وَالْمَوْلَدُ ابْنُ الْمُعْتَرِ
 وَهَذَا قَوْلٌ مَنْ يُفَضِّلُ الْبَدِيعَ وَخَاصَّةً النَّشِيبَ عَلَى جَمِيعِ قَوْمِ
 الشَّعْرِ. وَطَائِفَةٌ أُخْرَى تَقُولُ بِلِ الثَّلَاثَةِ الْأَعَشَى وَالْأَخْطَلُ وَأَبُو
 الْقَوَارِسِ وَهَذَا مَذْهَبُ أَصْحَابِ الْخَمْرِ وَمَا نَسَبَهَا وَمَنْ يَقُولُ
 بِالْتَّحْصُرِ وَقِلَّةِ التَّكَلُّفِ. وَقَالَ قَوْمٌ بِلِ الثَّلَاثَةِ مُهْلِكٌ وَابْنُ أَبِي
 رَيْعَةَ وَعَبَّاسُ بْنُ الْأَخَنْفِ وَهَذَا قَوْلٌ مَنْ يُؤَيِّرُ الْأَنْقَةَ وَسُهُولَةَ
 الْكَلَامِ وَالْقُدْرَةَ عَلَى الصَّنْعَةِ وَالْجَوِيدِ فِي قَنْ وَاجِدٍ وَلَيْسَ فِي
 الْمَوْلَدِينَ أَشْهُرُ أَمَّا ابْنُ الْحَسَنِ ثُمَّ حَبِيبٌ وَالتَّجْرِي. وَيُقَالُ لِهَاتِمَا
 أَحْمَلَا فِي زَمَانِهِمَا خُسَيَّةٌ شَاعِرٌ كُتِبَ لَهُمْ مُجِيدٌ ثُمَّ تَبِعَهُمَا فِي
 الْأَشْهُارِ ابْنُ الرُّومِيِّ وَابْنُ الْمُعْتَرِ وَطَارَ اسْمُ ابْنِ الْمُعْتَرِ حَتَّى صَادَ
 كَالْحَسَنِ فِي الْمَوْلَدِينَ وَأَمْرُ الْقَيْسِ فِي الْقَدَمَاءِ. ثُمَّ جَاءَ الْمُتَنَبِّئُ
 فَمَلَأَ الدُّنْيَا وَهَذَا كُلُّهُ كَلَامُ ابْنِ دُرَيْقِ

قَالَ صَاحِبُ الْأَقْلَامِ:

وَيَمُنُّ صَنَعَ مِنْ أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ فَاجَادَ وَأَحْسَنَ وَبَرَعَ
 وَتَقَدَّمَ أَهْلَ عَصْرِهِ فَضْلًا وَشَرَفًا وَأَدَبًا وَشِعْرًا وَظَرْفًا
 وَتَصَرَّفًا فِي سَائِرِ الْأَدَابِ أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَرِ بِاللَّهِ
 وَأَمْرُهُ مَعَ قُرْبِ عَصْرِهِ هَذَا مَشْهُورٌ فِي فَضَائِلِهِ وَأَدَابِهِ. وَشِعْرُهُ
 وَإِنْ كَانَ فِيهِ رِقَّةٌ الْمُلُوكِيَّةُ وَغَزَلُ الظُّرَفَاءِ وَهَلْهَلَةُ الْمُحَدِّثِينَ

فَإِنَّ فِيهِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً تَجْرِي فِي أُسْلُوبِ الْمُحِيدِينَ وَلَا تُقْصَرُ
عَنْ مَدَى السَّابِقِينَ وَأَشْيَاءَ ظَرِيفَةً مِنْ أَشْعَارِ الْمُلُوكِ فِي جِنْسِ
مَا هُمْ بِسَبِيلِهِ لَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْشَبَهُ فِيهَا بِحَوْلِ الْجَاهِلِيَّةِ. فَلَيْسَ
يُمْكِنُ وَاصِفًا لِبُصُوحِ فِي مَجْلِسِ شَكْلِ ظَرِيفٍ بَيْنَ نُدَايَ وَقِيَانٍ
وَعَلَى مَيَادِينِ مِنَ التَّوَدِّ وَالْتَفَتِجِ وَالزَّرْجِسِ وَمَنْضُودٍ مِنْ أَمْثَالِ
ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ مَا ذَكَرْتُهُ مِنْ جِنْسِ الْجَلَالِ وَقَاخِرِ الْقُرَشِ وَمُخْتَارِ
الْأَلَاتِ وَرَقَّةِ الْحَدَمِ أَنْ يَعْدِلَ بِذَلِكَ عَمَّا يُشَبَّهُ مِنْ الْكَلَامِ.
السُّبْطُ الرَّفِيقُ الَّذِي يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ حَضَرَ إِلَى جَدِّ الْكَلَامِ.
وَوَحْشِيَّةٍ إِلَى وَصْفِ الْيَدِ وَالْمَاهِمِ وَالظُّبَاءِ وَالْأَظْلَمِ وَالنَّاقَةِ وَالْجَمَلِ
وَالْدَيَارِ وَالْعِقَارِ وَالْمَازِلِ الْحَالِيَةِ السَّجُورَةِ وَلَا إِذَا عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ
وَأَحْسَنَ قِيلَ لَهُ مُسِيءٌ وَلَا أَنْ يُفْطَ حَتَّى كُلُّهُ إِذَا أَحْسَنَ
الْكثيرَ وَتَوَسَّطَ فِي الْبَعْضِ وَقَصَرَ فِي الْبَاقِي وَنَسَبَ إِلَى التَّقْصِيرِ
فِي الْجَمِيعِ لِشَرِّ الْمَكَايِجِ وَطَيِّرِ الْحَاكِمِينَ. فَلَوْ شَاءَ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا
كُلُّ أَحَدٍ بِمَنْ تَقَدَّمَ لَوْ جَدَّ مَسَاغًا وَلَوْ أَنْ قَاتِلًا أَرَادَ الطُّغْنَ عَلَى
صُدُورِ الثُّغَرَاءِ لَقَدَّرَ أَيُّ أَنْ يَطْلُنَ عَلَى الْأَعَشَى وَهُوَ أَحَدٌ مِنْ
يُقَدِّمُهُ الْأَوَائِلُ عَلَى سَائِرِ الثُّغَرَاءِ بِقَوْلِهِ :

فَأَصَابَ حَبَّةَ قَلْبِهِ وَطَحَّاهَا

وَيَقُولُهُ :

وَقَدْ كَانَ إِنْ يَأْمُرُهُمْ كُلُّ لَيْلَةٍ بِقِيَتِهِ وَتَقْلِيْقِهِ فَقَدْ كَادَ يَسْبِقُ
وَأَمْثَالُ هَذَا كَثِيرَةٌ. وَإِنَّمَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُحْفَظَ مِنْ

الشَّيْءَ أَحْسَنَهُ وَيُلْغِي مَا لَا يُسْتَحْسِنُهُ فَلَيْسَ مَأْخُذًا بِهِ وَلَكِنَّ أَقْوَامًا
 أَرَادُوا أَنْ يَرْفَعُوا أَنْفُسَهُمْ أَلَوْضِيعَةً وَيَشِيدُوا بِذِكْرِهِمُ الْخَالِمِ
 وَيُمْلُوا أَقْدَارَهُمُ السَّاقِطَةَ بِالطُّغْنِ عَلَى أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْقُدْحِ فِيهِمْ
 فَلَا يَزْدَادُونَ بِذَلِكَ إِلَّا ضَمَّةً وَلَا يَزْدَادُ الْآخَرُ إِلَّا ارْتِفَاعًا. أَلَا تَرَى
 إِلَى ابْنِ الْمُعْتَزِّ قَدْ قُتِلَ أَسْرًا قَتْلَهُ وَدَرَجَ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ خَلْفٌ يَرْطُهُ
 وَلَا عَيْبٌ يَرْفَعُ مِنْهُ وَمَا يَزْدَادُ بِأَدَبِهِ وَشِعْرِهِ وَفَضْلِهِ وَحُسْنِ إِخْبَارِهِ
 وَتَصَرُّفِهِ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنَ الْعُلُومِ إِلَّا رِفْعَةً وَعُلُوًّا وَلَا ظَهَرَ إِلَى اضْدَادِهِ
 كُلَّمَا أَزْدَادُوا فِي طُغْنِهِ وَتَفْرِيطِ أَنْفُسِهِمْ. وَأَسْلَفُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا
 مِثْلَهُمْ فِي ثَلْبِهِ وَالطُّغْنِ عَلَيْهِ زَادُوا سُقُوطًا وَضَمَّةً وَكُلَّمَا وَصَفُوا
 أَشْعَارَهُمْ وَقَرُطُوا أَدَابَهُمْ زَادُوا بِهَا ثِقَلًا وَمَمَقًا فَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ
 الْحُصْلُ الْمَوَاتِقُ عَدَلُوا عَنْ ثَلْبِهِ فِي الْأَدَابِ إِلَى التَّشْنِيعِ بِأَمْرِ
 الَّذِينَ وَجَّهُوا إِلَيْهِ طَالِبٌ وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَشَنَعَ بِهِ عَلَى
 آلِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ الْمُكْتَفِي حَتَّى نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَدَلُوا عَنْ عَيْبِ
 أَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ إِلَى عَيْبِهِ وَارْتَكَبُوا أَكْثَرَ مِنْهُ. وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ
 حَسَنَ الْعِلْمِ بِصِنَاعَةِ الْمَوْسِقِيِّ وَالْكَلَامِ عَلَى النَّثَمِ وَعِلَلِهَا وَلَهُ فِي
 ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَدَابِ كُتُبٌ مَشْهُودَةٌ وَمُرَاسِلَاتٌ جَرَتْ
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُمَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَبَيْنَ بَنِي حَمْدُونَ
 وَغَيْرِهِمْ تَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ وَغَزَاةٍ عَلَيْهِ وَأَدَبِهِ وَلَقَدْ قَرَأْتُ بِحَظِّ عُمَيْدِ
 اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ رُفْعَةً إِلَيْهِ بِحَظِّهِ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ بِرِسَالَةٍ إِلَى ابْنِ
 حَمْدُونَ فِي أَنَّهُ يُجَوِّزُ وَلَا يُنْكِرُ أَنْ يُعَيِّرَ الْإِنْسَانُ بَعْضُ نَعَمِ الْعَمَاءِ

الْقَدِيمِ وَيَسِيلَ بِهَا إِلَى مَا يَحْسُنُ فِي خُلُقِهِ وَمَنْعَبِهِ وَهِيَ رِسَالَةٌ
طَوِيلَةٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ ذِكْرِهَا

البحث الثاني

في المقلين من الشعراء

(من الكتاب نفسه)

ثُمَّ قَالَ: وَلَا كَانَ الشَّاهِدُ مِنَ الشُّعْرَاءِ كَمَا قَدَّمْتُ أَكْثَرَ
مِنْ أَنْ يُخْصُوا ذَكَرْتُ مِنَ الْمُقْلِينَ مَنْ وَسِعَ ذِكْرُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ
فَقُنْهُمْ طَرَقَةُ بْنُ الْبَدِيدِ وَعُمَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ وَعَلَقَمَةُ الْخَلَلُ وَعَدِيُّ
أَبْنُ زَيْدٍ. وَطَرَقَةُ فَضَّلَ النَّاسَ بِوَاحِدَةٍ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ وَهِيَ الْمَلَقَةُ:
لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ يُرَفِّقُهُ تَهْمِدُ

وَلَهُ سِوَاهَا يَسِيرٌ لِأَنَّهُ قُتِلَ صَغِيرًا حَوْلَ الْعِشْرِينَ فِيمَا رُوِيَ
وَأَصَحُّ مَا فِي ذَلِكَ قَوْلُ أُخْتِهِ تَرْثِيهِ:

عَدَدُ نَالَ سِتًّا وَعِشْرِينَ حِجَّةً فَلَمَّا تَوَقَّاهَا أَسْتَوَى سَيِّدًا ضَخْمًا
فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَابَهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ لَا وَلِيدًا وَلَا فُحْمًا
أَنشَدَهُ الْمُبَرَّدُ وَالْقَهْمُ الْمُسْتَاهِي فِي السِّنِّ. وَعُمَيْدُ قَلِيلُ الشُّعْرِ
فِي أَيْدِي النَّاسِ عَلَى قَدَمِ ذِكْرِهِ وَعَظَمَ شُهْرَتُهُ وَطَوَّلَ عُمرُهُ يُقَالُ
إِنَّهُ عَاشَ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ وَكَذَلِكَ أَبُو دَوَادٍ. وَلِعَلَمَةُ الْخَلَلِ ثَلَاثُ
قَصَائِدَ مَشْهُورَاتٍ إِحْدَاهَا قَوْلُهُ:

(ذَهَبَتْ مِنَ الْعَجْرَانِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ وَالثَّانِيَةُ قَوْلُهُ (طَلْحَا بِكَ قَلْبُ

فِي الْحَسَنِ طَرُوبُ) وَالثَّالِثَةُ قَوْلُهُ (هَلْ مَا عَدِيتَ وَمَا اسْتَوْدَعْتَ مَكْتُومًا)
وَأَمَّا عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ فَمَشْهُورَاتُهُ أَرْبَعُ قَوْلُهُ: (أَرَوَّاحُ مَوْدِعٍ أَمْ
بُكُورُ) وَقَوْلُهُ (أَتَعْرِفُ رَسْمَ الدَّارِ مِنْ أَمْرِ مَعْبَدٍ) وَقَوْلُهُ (لَيْسَ
شَيْءٌ عَلَى الْمَثُونِ بِبَاقٍ) وَقَوْلُهُ:

لَمْ أَرِ مِثْلَ الْفَتَيَانِ فِي غَيْرِ أَلَا مَ يَأْمُ يَنْسُونَ مَا عَوَّقِيهَا
وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: عَدِيُّ بْنُ الشَّعْرَاءِ مِثْلُ سُهَيْلٍ فِي النُّجُومِ
يُعَارِضُهَا وَلَا يَجْزِي مَعَهَا هُوَلَاءُ أَشْعَارُهُمْ كَثِيرَةٌ فِي ذَاتِهَا قَلِيلَةٌ
فِي أَيْدِي النَّاسِ ذَهَبَتْ بِذَهَابِ الرُّدَاةِ الَّذِينَ يُحْمِلُونَهَا .
وَمِنْ الْفَتَيَيْنِ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ وَحَصِينُ بْنُ الْحَكَمِ الْمُرِّيُّ
وَالْمُتَلِّسُ وَالْمُسَيْبُ بْنُ عَلَسٍ كُلُّ أَشْعَارِهِمْ قَلِيلٌ فِي ذَاتِهِ جَيِّدُ
الْجُمْلَةِ وَيُرْوَى عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ قَالَ: اتَّفَقُوا أَنَّ أَشْعَرَ الْفَتَيَيْنِ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثَلَاثَةٌ الْمُتَلِّسُ وَالْمُسَيْبُ بْنُ عَلَسٍ وَحَصِينُ بْنُ الْحَكَمِ
الْمُرِّيُّ . وَأَمَّا أَصْحَابُ الْوَاحِدَةِ فَطَرَّةُ أَوَّلُهُمْ وَبَنِيهِمْ عَنَتْرَةُ وَالْحَرْثُ
ابْنُ حِلْزَةَ وَعَمْرُو بْنُ كُثُومٍ أَصْحَابُ الْعَلَقَاتِ الْمَشْهُورَاتِ وَعَمْرُو بْنُ
مَعْدِي كَرَبٍ وَالْأَشْعَرُ بْنُ حَمْرَانَ الْجَنْجِيَّةِ وَسُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ
وَالْأَسْوَدُ بْنُ يَغْرُبَ وَكَانَ أَمْرُوهُ الْقَيْسُ مُقْبَلًا كَثِيرَ الْمَنَافِي
وَالْتَصَرَّفَ لَا يَصِحُّ لَهُ إِلَّا ثِنْفٌ وَعَشْرُونَ شِعْرًا بَيْنَ طَوِيلٍ وَقِطْعَةٍ



البحث الثالث

في المغلّين من الشعراء

(من الكتاب نفسه)

وَأَمَّا الْمَغْلَبُونَ فَتَنَّهُمْ نَابِئُهُ بْنُ جَسَدَةَ وَمَعْنَى الْمَغْلَبِ الَّذِي لَا
ذَالَ مَغْلُوبًا قَالَ أَمْرُوهُ الْقَيْسُ :

فَلَمَّكَ لَمْ يَنْحَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ وَلَمْ يَنْلِكَ وَثْلُ مُغْلَبٍ
يَعْنِي إِذَا قَدَّرَ لَمْ يُتَّقِ وَقَدْ غَلَبَ عَلَى الْجَعْدِيِّ أَوْسُ بْنُ مَفْرَاءَ
وَلَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ وَغَيْرُهُمَا وَقِيلَ إِنَّ مَوْتَ الْجَعْدِيِّ كَانَ بِسَبَبِ لَيْلَى
الْأَخِيلِيَّةِ قَوْمٍ بَيْنَ يَدَيْهَا قَاتَ فِي الطَّرِيقِ مُسَافِرًا . وَالْمَغْلَبُونَ
الزُّبُرَانُ غَلَبَهُ عَمْرُو بْنُ الْأَظْهَرِ وَغَلَبَهُ الْمَغِيلُ السَّعْدِيُّ وَغَلَبَهُ الْخَطِيبُ
وَقَالَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ كَانَ الْبَيْتُ مُغْلَبًا فِي الْخُطْبِ

قَالَ ابْنُ رِشْقٍ فِي الْعَمْدَةِ فِي بَابِ الْقُدَمَاءِ وَالْمُحْدَثِينَ :
كُلُّ قَدِيمٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ فَهُوَ مُحْدَثٌ فِي زَمَانِهِ بِالْإِضَاقَةِ إِلَى مَنْ
كَانَ قَبْلَهُ وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْأَعْلَاءِ يَقُولُ لَقَدْ حَسُنَ هَذَا الْمَوْلَدُ
حَتَّى تَهَمُّتُ أَنْ أَمُرَّ صِنَانًا بِرَوَايَتِهِ يَتَنِي بِذَلِكَ شِعْرَ جَرِيرٍ
وَالْفَرَزْدَقِ فَجَعَلَهُ مُوَلَّدًا بِالْإِضَاقَةِ إِلَى شِعْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْمُحَضَّرِينَ
وَكَانَ لَا يَدُّ الشُّعْرَ إِلَّا مَا كَانَ لِلْمُتَدَرِّجِينَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : جَلَسْتُ
إِلَيْهِ عَشْرَ حَجَجٍ فَمَا سَمِعْتُهُ يَتَعَمَّقُ بَيْتَهُ إِسْلَامِيٍّ وَسُئِلَ عَنْ
الْمَوْلَدِينَ فَقَالَ : مَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ فَقَدْ سُبِقُوا إِلَيْهِ وَمَا كَانَ مِنْ

قَبِيحٌ فَهُوَ مِنْ عَدِيمٍ لَيْسَ أَلَسَطُ وَاحِدًا هَذَا مَذْهَبُ أَبِي عَمْرٍو
 وَأَصْحَابِهِ كَمَا لَأَصْعَمِي وَأَبْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَعْنِي أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
 يَذْهَبُ فِي أَهْلِ عَصْرِهِ هَذَا الْمَذْهَبَ وَيَقْدِمُ مَنْ قَبْلَهُمْ وَلَيْسَ
 ذَلِكَ لَيْتِي إِلَّا لِحَاجَتِهِمْ فِي الشَّعْرِ إِلَى الشَّاهِدِ وَقَلَّةِ ثِقَتِهِمْ بِمَا يَأْتِي
 بِهِ الْمَوْلَدُونَ فَأَمَّا أَبُو قَتَيْبَةَ فَقَالَ: لَمْ يَقْصِرِ اللَّهُ الشَّعْرَ وَالْعِلْمَ
 وَالْبَلَاغَةَ عَلَى زَمَنٍ دُونَ زَمَنٍ وَلَا خَصَّ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ بَلْ جَعَلَ
 ذَلِكَ مُشْتَرَكًا مَقْشُومًا بَيْنَ عِبَادِهِ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَجَعَلَ كُلَّ قَدِيمٍ
 حَدِيثًا فِي عَصْرِهِ. ثُمَّ قَالَ أَبُو رَيْثِقٍ فِي بَابٍ آخَرَ: طَبَقَاتُ
 الشُّعْرَاءِ أَرْبَعٌ جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ وَنَحْضَرٌ وَهُوَ الَّذِي أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ
 وَإِسْلَامِيٌّ وَنَحْدَثٌ ثُمَّ صَارَ الْمُحَدِّثُونَ طَبَقَاتٍ أُولَى وَثَانِيَّةٌ عَلَى
 التَّدْرِجِ هَكَذَا فِي الْمُبْرُوطِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا فَلْيَعْلَمِ الْمُتَأَخِّرُ مِقْدَارَ مَا
 بَقِيَ لَهُ مِنَ الشَّعْرِ مُتَصَفِّحًا أَشْعَارَ مَنْ قَبْلَهُ لِيَنْظُرَ كَمْ بَيْنَ النَّحْضَرِ
 وَالْجَاهِلِيِّ وَبَيْنَ الْإِسْلَامِيِّ وَالنَّحْضَرِ وَأَنْ لِلنَّحْدَثِ الْأَوَّلِ فَضْلًا
 عَنْ بَعْدِهِ فِي الْمَثَلَةِ. فَعِنِّي الْجَاهِلِيَّةُ وَالْإِسْلَامِيَّةُ مِنَ ذَهَبِ
 بِكُلِّ مَلَاةٍ وَرَشَاقَةٍ وَسَبَقَ إِلَى كُلِّ طُلَادَةٍ وَبَلَاةٍ (قَالَ) أَبُو
 الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ: يُقَالُ مَا خَضِرُ إِذَا تَنَامَى فِي الْكَثَرَةِ
 وَالسَّهَةِ فَتَنَةُ سُبَى الرَّجُلِ الَّذِي شَهِدَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ مُحْضَرًا
 كَأَنَّهُ اسْتَوَى الْأَمْرَيْنِ (قَالَ) وَيُقَالُ: أُذُنٌ مُحْضَرَةٌ إِذَا
 كَانَتْ مَقْطُوعَةً فَكَأَنَّهُ انْقَطَعَ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى الْإِسْلَامِ
 (وَحَكَى) أَبُو قَتَيْبَةَ عَنْ الْأَصْعَمِيِّ قَالَ: أَسْلَمَ قَوْمٌ فِي

الْجَاهِلِيَّةَ عَلَى إِبِلٍ قَطَعُوا آذَانَهَا قُسِيَتْ كُلُّ مَنْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ
 وَالْإِسْلَامَ مُحْضَرًا وَزَعَمَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مُحْضَرًا حَتَّى يَكُونَ
 إِسْلَامُهُ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ وَقَدْ أَدْرَكَهُ كَثِيرًا فَلَمْ يُسَلِّمْ (قَالَ) ابْنُ
 رَشِيْقٍ : وَهَذَا عِنْدِي خَطَأٌ لِأَنَّ النَّابِغَةَ الْجَعْدِيَّ وَلَيْدًا قَدْ وَقَعَ
 عَلَيْهَا هَذَا الْإِسْمُ قَاطِمًا عَلَى ابْنِ الْحَسَنِ كِرَاعٌ فَقَدْ حَكَى شَاعِرُ
 مُحْضَرٌ بِحَاءٍ غَيْرِ مُجَنَّبَةٍ مَاخُذٌ مِنَ الْخَضِرَةِ وَهِيَ الْخُلْطَةُ لِأَنَّهُ خَلَطَ
 الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ وَقَالُوا : الشُّعْرَاءُ أَرْبَعَةٌ : شَاعِرُ خِنْدِيزٍ وَهُوَ
 الَّذِي يَجْمَعُ إِلَى جُودَةِ شِعْرِهِ رِوَايَةُ الْحَجْدِ مِنْ شِعْرِ غَيْرِهِ . وَسُئِلَ
 رُؤْبَةُ عَنِ الْخُلُوفِ فَقَالَ : هُمْ الرُّوَاةُ . وَشَاعِرٌ مُفْلِقٌ وَهُوَ الَّذِي لَا
 رِوَايَةَ لَهُ إِلَّا أَنَّهُ مُجَوِّدٌ كَالْحِنْدِيزِ فِي شِعْرِهِ . وَشَاعِرٌ قَطَطٌ وَهُوَ
 قَوْقُ الرَّدِيِّ بِدَرَجَةٍ وَشُعْرُودٌ وَهُوَ لَا شَيْءَ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :
 يَا رَاجِعَ الشُّعْرَاءِ كَيْفَ هَجَوْتَنِي وَزَعَمْتَ إِنِّي مُنْجَمٌ لَا أَفْلِقُ
 وَقِيلَ بَلْ هُمْ شَاعِرٌ مُفْلِقٌ مُطَبَّقٌ وَشَوَيْعِرٌ وَشُعْرُودٌ وَالْمُفْلِقُ
 الَّذِي يَأْتِي فِي شِعْرِهِ بِالْفَلَقِ وَهُوَ الْحَبُّ وَقِيلَ الدَّاهِيَةُ (قَالَ
 الْأَضْمِيُّ) الشَّوَيْعِرُ خُحْرَانُ بْنُ أَبِي خُحْرَانَ سَمَاءُ بِذَلِكَ أَمْرُ
 الْقَيْسِ وَمِثْلُ عَبْدِ الرَّزِيزِ الْمَعْرُوفِ بِالشَّوَيْعِرِ . قَالَ الْجَاهِظُ :
 وَالشَّاعِرُ عَبْدُ بَالِيلٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ بَنٍ لَيْثٍ وَقِيلَ أَنَّهُ رَيْمَةُ بْنُ
 عُثْمَانَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ شَاعِرٌ وَشَوَيْعِرٌ وَشُعْرُودٌ . قَالَ الْعَبْدِيُّ فِي شَاعِرٍ
 يُدْعَى الْمَعْرُوفِ مِنْ بَنِي ضَبَّةٍ ثُمَّ مِنْ بَنِي حَمِيسٍ :
 لَا تَنْتَهَى سَرَاةُ بَنِي حَمِيسٍ شَوَيْعِرَهَا قُوَيْلِيَّةُ الْأَفَايِي

فَسَاءَ شُوعِرًا. وَقَالَةُ أَلَا فَعِي دُوَيْتُهُ فَوْقَ الْخَفَسَاءِ فَصَرَّهَا تَحْتِيرًا بِهِ
وَرَعَمَ الْحَايِمِي أَنْ النَّابِغَةَ سَيْلَ مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ قَالَتْ مَنْ أَسْتَحِيدُ
جَيْدُهُ وَأَضْحَكَ رَدِيئُهُ كَانَ مِنْ سَفَلَةِ الشُّعْرَاءِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ
فِي الْهَجَاءِ خَاصَّةً وَقَالَ الْخَطِيبَةُ:

الشُّعْرُ صَبٌّ وَطَوِيلُ سُلَّةٍ وَالشُّعْرُ لَا يَنْطِيعُهُ مَنْ يَظْلُمُهُ
إِذَا ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَظْلُمُهُ ذَلَّتْ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهُ
يُرِيدُ أَنْ يُعْرَبَهُ فَيُخْجَمَهُ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

الشُّعْرَاءُ قَالَعَيْنَ أَرْبَعَةٍ فَشَاعِرٌ لَا يُرْتَجَى لِنَفْسِهِ
وَشَاعِرٌ يُنْشَدُ وَسَطُ الْجَمْعَةِ وَشَاعِرٌ آخَرٌ لَا يُجْرَى مَعَهُ
وَشَاعِرٌ يُقَالُ خَمَرٌ فِي دَعَا

قَالَ ابْنُ رَشِيْقٍ: وَإِنَّمَا سُمِّيَ الشَّاعِرُ شَاعِرًا لِأَنَّهُ يَشْعُرُ بِمَا لَا
يَشْعُرُ بِهِ غَيْرُهُ. قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ فِي شَرْحِ الدَّرِيدِيِّ يَقَالُ:
أَنشَدْنَاهُ مُقَلَّدَاتِ الشُّعْرَاءِ أَيَّ آيَاتِهِمُ الطَّنَانَةِ الْمُسْتَحْسَنَةِ وَيَقُولُ
آخَرُونَ: إِنَّ الْمُقَلَّدَ مِنَ الشُّعْرِ مَا كَانَ أَسْمُ الْمُدْحُوحِ فِيهِ مَذْكُورًا
فِي قَافِيَتِهِ وَيُقَالُ: هَذَا أَلَيْتُ عُقْرُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ أَيَّ أَجُودَ بَيْتٍ
فِيهَا كَمَا يُقَالُ: هَذَا بَيْتٌ طَنَانٌ. اهـ. وَفِي الْمَقْصُورِ وَالْمُدْحُودِ
لِلْقَائِلِي: قَالَ أَبُو عِيْدَةَ فِي قَوْلِ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيَّةِ:

يَصْدُ الشَّاعِرُ اثْنَانُ عَنِّي صُدُودَ الْبَكْرِ عَنْ قَوْمِ الْهَجَانِ
قَالَ اثْنَانُ الَّذِي هُوَ شَاعِرٌ وَأَبُوهُ شَاعِرٌ كَتَمَ ابْنُ زُهَيْرٍ

وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ وَرُوْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ. وَقَالَ أَبُو غَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ
 اثْنَيْنِ الَّذِي يُسْتَقْتَى قِيَالُ مَا فِي الْقَوْمِ أَشْعَرُ مِنْ فُلَانٍ أَلَا
 فُلَانٌ فُلَانٌ أَلَسْتَقْتَى هُوَ الْأَفْضَلُ الْأَشْعَرُ. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ اثْنَيْنِ
 الَّذِي تُشْتَى عَلَيْهِ الْخَاصِرُ فِي الْعَدَدِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ
 هُوَ الَّذِي يُسْتَقْتَى مِنَ الشُّعْرَاءِ لِأَنَّهُ دُونَهُمْ. وَقَالَ غَيْرُهُ اثْنَيْنِ
 الضَّعِيفُ. وَقَالَ الْقَالِي: اثْنَيْنِ عِنْدِي الَّذِي يُسْتَقْتَى مِنَ الْقَوْمِ
 رَفِيعًا كَانَ أَوْ ضَعِيفًا قِيَالُ لِلدُّونِ وَالضَّعِيفِ ثْنَيْنِ وَلِلرَّفِيعِ
 وَالشَّاعِرِ ثْنَيْنِ (وَقَالَ الْقَالِي) فِي الْقُصُورِ وَالْمَسَدُودِ. حَدَّثَنَا
 أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ قَالَ ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَأَحْسِبُ الْأَصْمَعِيَّ قَدْ
 ذَكَرَهُ أَيْضًا قَالَ لَقِيتِ السَّعْلَةَ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ فِي بَعْضِ
 طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ غُلَامٌ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ الشَّعْرَ فَبَرَكْتَ عَلَى صَدْرِهِ
 وَقَالَتْ أَنْتَ الَّذِي جُوعَ قَوْمُكَ أَنْ تَكُونَ شَاعِرُهُمْ قَالَ: نَعَمْ.
 قَالَتْ: فَأَنْشِدْنِي ثَلَاثَةَ آيَاتٍ عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ وَلَا تَقْتُلْكَ فَقَالَ:
 إِذَا مَا تَرَعَرَعَ فِينَا الثَّلَاثُ قَامَ إِنْ يُقَالُ لَهُ مَنْ هُوَ
 إِذَا لَمْ يَسُدَّ قَبْلَ شَيْءٍ قَدْ مَلَكَ فِينَا الَّذِي لَا هُوَ
 وَلِي صَاحِبٌ مِنْ بَنِي الشَّيْبَانِ نَحْنُ أَقْرَبُ وَجِينَا هُوَ
 فَحَلَّتْ سَيْلَهُ وَقَالَتْ: أَوَّلَى لَكَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ السَّعْلَةُ
 سَاحِرَةٌ لُجْنٌ
 (قَائِدَةٌ) قَالَ أَبُو اسْحَقَ الْبَطْلِيُّ: وَقَدْ أَنْشَدَ قَوْلَ
 الْقُرْذَقِيِّ:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا تُمَلِّكَ أَبُو أُمِّهِ حَتَّى أَبُوهُ يُسَارِبُهُ
هَذَا وَآمَالُهُ وَإِنْ كَانَ جَائِزًا فِي الْأَعْرَابِ فَلَيْسَ يَحْسُنُ فِي
الشَّعْرِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ بِمَا فِيهِ مِنْ وَهْمِ الشَّخْصِ وَالْأَضْطِرَابِ .
وَالشَّعْرُ إِذَا أَخْرَجَ إِلَى شَرْحٍ لَمْ يَعُدَّ فِي قَاخِرِ الْمَسَاقِ . وَلَا قَامَ
فِي الْإِحْسَانِ عَلَى سَاقٍ . وَلَا عَذَبَ فِي الْمَذَاقِ . فَهُوَ مَكْرُوهٌ عِنْدَ
الْحَدَّاقِ . وَيَحْتَاجُ الشَّعْرُ إِلَى أَنْ يَسْبِقَ مَعْنَاهُ لَفْظُهُ . فَتَسْلُكُ النَّفْسُ
رِوَايَتَهُ وَحِفْظُهُ . وَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لِلشَّاعِرِ وَالْمُتَكَلِّمِ بَيَانُ مَا يُجَاوِلُهُ
لِلْعَالِمِ وَالْمُتَكَلِّمِ . فَإِنْ تَكَلَّمَ بِمَقْلُوبٍ . بَحْتَهُ الْأَنْشَاعُ وَالْقُلُوبُ . وَلَمْ
يَحْصُلْ مِنْهُ الْفَرَضُ الْمَطْلُوبُ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ أَمَا تَرَى فِي الْأَشْعَارِ
آمَالًا هَذَا كَقَوْلِهِ :

لَهَا مُقَلَّتَا آدَاءٍ طَلَّ خَبِيئَةً مِنْ الْوَحْشِ مَا يَنْفَكُ يَرْغَى عَرَاهَا
قِيلَ لَهُ وَهَذَا أَيْضًا قَدْ أَحَالَ وَمِنْ تَكَلَّفٍ شَلَّ هَذَا لَمْ
يُخَفَّفْ عَنْ نَفْسِهِ الْكُفَاةَ وَالْإِلَامَ . وَتَعَرَّضَ لِأَنْ يَلَامَ . وَتَرَكَ
بَيْنَ الْكَلَامِ . وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُ الْكَلَامُ وَالشَّعْرُ بِحُسْنِ الْبَيَانَةِ
وَالدِّيَابِجَةِ . وَرَدَّ فِي الْقَصَاحَةِ حَتَّى تَكُونَ الْقَاطِطُهَا كَانُزْجَابَةِ . وَإِلَّا
فَالْعَامِي مُعَرَّضٌ لِكُلِّ جِيلٍ مِنْ أَهْلِ التَّوْجِيدِ وَالشَّرِكِ حَتَّى
لِلزُّنَحِ وَالنَّحْرِ وَالتَّوَكُّلِ لِكَيْتُمْ قَصُرَتْ يَوْمَ السِّتْمِ عَنْ بُلُوغِ
مَارَأَمُوهُ مِنْ أَرَبٍ . قَدْ تَوَيَّأَ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ . وَأَقْلَ مَا يَجِبُ عَلَى
الْمُتَكَلِّمِ أَلْيَانُ لِحَاطِهِ . وَإِلَّا كَانَ كَحَاطِطِ اللَّيْلِ وَحَاطِطِهِ يُحَاطِبُ
الْعَرَبِيَّ بِالْعَجِيَّةِ وَيُحَاطِبُ الْعَجَبِيَّ بِالْعَرِيَّةِ . وَصِنَاعَةُ الشَّعْرِ أَشَدُّ

حَضَرًا. وَأَمَدَّ عَصَاً وَذَلِكَ أَنَّ الشَّاعِرَ إِذَا هُوَ رَاغِبٌ رَاهِبٌ أَوْ
مُعَاتِبٌ بَيْنَ يَدَيْ مَلِكٍ فَإِنْ حَكَمَى عَنْ نَفْسِهِ وَإِلَّا كَانَ جَدِيرًا
بِأَنْ يَمْلِكَ فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو جُنَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ
زَكَرِيَّا حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْغِلَاظِيُّ حَدَّثَنَا هَدِيدُ بْنُ سَائِقٍ قَالَ:
دَخَلَ الثَّابِتُ عَلَى الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ فَقَالَ:

تَحِفُّ الْأَرْضُ إِنْ تَفْعِدَكَ يَوْمًا وَتَبْقَى مَا بَقِيََتْ بِهَا ثَقِيلًا
فَنَظَرَ إِلَيْهِ الثُّعْمَانُ فَظَرَ غَضَبَانِ . وَكَانَ كَتَبُ بْنُ زُهَيْرٍ حَاضِرًا
فَقَالَ: أَضْلَحَ اللَّهُ أَلْمَلِكُ إِنْ مَعَ هَذَا يَتَا ضَلَّ عَنْهُ هُوَ

لِأَنَّكَ مَوْضِعُ الْقِسْطِ مِنْهَا فَتَمْنَعُ جَانِبَيْهَا أَنْ يَمِيلَا
فَضَحِكَ الثُّعْمَانُ وَأَمَرَ لَهَا بِجَارَتَيْنِ قَالُوا لَا كَتَبُ كَانَ قَدْ هَلَكَ .
فَإِنْ كَانَ الشَّاعِرُ مُحَاطًا مِنْ دُونِ الْمَلِكِ الْأَشْمِ بِمَا لَا يَفْقَهُمْ وَكَانَ
رَاغِبًا فِي دِرْهِمٍ كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِيُطْلَانَ حَاجَتِهِ وَأَسْتَهْجَانِ شِعْرِهِ
وَتَحْتِيزِ أَمْرِهِ وَالْقَدَمَاءُ فِي هَذَا أَعْدَرُوا لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ



الفصل الثالث

في فنون الشعر

البحث الاول

في المطبوع والمصنوع

(من كتاب العمدة لابن رشيق)

وَمِنْ الشَّعْرِ مَطْبُوعٌ وَمَصْنُوعٌ فَأَلْطَبُوعُ هُوَ الْأَصْلُ وَضَعَ عَلَيْهِ
أَوَّلًا وَعَلَيْهِ الدَّارُ وَالْمَصْنُوعُ وَإِنْ وَقَعَ عَلَيْهِ هَذَا الْأِسْمُ فَلَيْسَ
مُتَكَلِّفًا تَكَلَّفَ أَشْعَارُ الْمُؤَلِّدِينَ. لَكِنْ وَقَعَ فِي هَذَا النَّوعِ
الَّذِي سَمَوْهُ صَنْعَةً مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا تَعَمُّلٍ لَكِنْ بِطَبَاعِ الْقَوْمِ
عُنُوا وَاسْتَحْسَنُوهُ وَمَالُوا إِلَيْهِ بَعْضَ الْيَمْلِ بَعْدَ أَنْ عَرَفُوا وَجْهَ
اخْتِيَارِهِ عَلَى غَيْرِهِ حَتَّى صَنَعَ زُهَيْرُ الْحَوَلَاتِ عَلَى التَّشْبِيهِ وَالتَّخْفِيفِ
يَضَعُ الْقَصِيدَةَ ثُمَّ يُكَرِّرُ ظَرْفَهَا خَوْفًا مِنْ التَّمَعُّبِ بَعْدَ أَنْ
يَكُونَ قَدْ فَرَّغَ مِنْ عَمَلِهَا فِي سَاعَةٍ أَوْ لَيْلَةٍ. وَرَبَّمَا قَصَدَ إِقَامَةَ
نَشَاطِهِ قَبَاطًا عَمَلُهُ لِذَلِكَ. وَاعْرَبُ لَا تَنْظُرُ فِي اعْطَافِ شِعْرِهَا بِأَنْ
تُحْسِنَ أَوْ تُطَاقِي أَوْ تُقَابِلَ فَتَذْكُ لَفْظَةً لِلْفُظَّةِ أَوْ مَعْنَى لِفْظِي كَمَا
يَقُولُ الْمُحَدِّثُونَ وَلَكِنْ ظَرْفُهَا فِي فَصَاحَةِ الْكَلَامِ أَوْ جَزَائِلِهِ

وَبَسْطِ الْمَعْنَى أَوْ إِبْرَازِهِ وَاتَّمَانِ بَيْتَ الشَّعْرِ وَاحْكَامِ الْقَافِيَةَ
وَتَلَاوُحِ الْكَلَامِ بَعْضِهِ يَنْغُضُ حَتَّى عَدُّوا مِنْ فَضْلِ صَنْعَةٍ
أَخْطِئَتْ حَتَّى نَسَقَ الْكَلَامَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ :

فَلَا وَآيِكَ مَا ظَلَمْتَ قُرَيْعُ بِأَنْ يَبْنُوا الْمَكَارِمَ حَيْثُ شَاؤُوا
وَلَا وَآيِكَ مَا ظَلَمْتَ قُرَيْعُ وَلَا عَنُقُوا بِذَلِكَ وَلَا أَسَادُوا
فَإِنَّ الْجَارَ مِثْلَ الضَّيْفِ يَفْذُو لَوَجْهِهِ وَإِنْ طَالَ الثَّرَاءُ
وَرَأَيْ قَدْ عَلِقَتْ بِجَبَلٍ قَوْمُ أَعَانَهُمْ عَلَى الْحَسَبِ الثَّرَاءُ
وَأَسْتَظَرُّوا مَا جَاءَ مِنَ الصَّنْعَةِ نَحْوَ الْبَيْتِ وَالْبَيْتَيْنِ فِي الْقَصِيدَةِ
بَيْنَ الْقَصَائِدِ يُسْتَدَلُّ بِذَلِكَ عَلَى جُودَةِ شِعْرِ الرَّجُلِ وَصِدْقِ حَيْثُ
وَصَفَاءِ خَاطِرِهِ . وَأَمَّا إِذَا كَثُرَ ذَلِكَ فَهُوَ عَيْبٌ يَشْهَدُ بِخِلَافِ الطَّبَعِ
وَيَاثِرُ الْكُلْفَةِ وَلَيْسَ يُجْهِزُ الْبَيْتَ أَنْ يَأْتِيَ مِنَ الشَّاعِرِ قَصِيدَةٌ
كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا مُتَّصِعٌ مِنْ غَيْرِ قَصِيدٍ كَالَّذِي يَأْتِي مِنْ أَشْعَارِ
مَيْبِ وَالْجُثْرِيِّ وَغَيْرِهِمَا وَقَدْ كَانَا يَطْلُبَانِ الصَّنْعَةَ وَيُؤَلِّمَانِ بِهَا . فَأَمَّا
حَيْبٌ فَيَذْهَبُ إِلَى حُزُونَةِ اللَّفْظِ وَمَا يَلُغُ الْأَسْمَاعَ مِنْهُ مَعَ التَّصْنِيعِ
الْحَكْمَ طَوْعًا وَكَرْهًا يَأْتِي الْأَشْيَاءَ مِنْ بُعْدٍ وَيَطْلُبُهَا بِكُلْفَةٍ
وَيَأْخُذُهَا بِقُوَّةٍ . وَأَمَّا الْجُثْرِيُّ فَكَانَ أَعْلَمَ وَأَحْسَنَ مَذْهَبًا فِي
الْكَلَامِ يَسْلُكُ مِنْهُ دِمَائَةً وَسَهُولًا مَعَ احْكَامِ التَّصْنِيعِ وَقُرْبِ
الْمَأْخِذِ لَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ كُفَّةٌ وَلَا مَشَقَّةٌ . وَمَا أَعْلَمَ شَاعِرًا أَكْمَلَ
وَلَا أَعْلَمَ صَنَعًا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَرِّزِ فَإِنَّ صَنْعَتَهُ حَيَّةٌ لَا تَكَادُ
تَظْهَرُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ إِلَّا لِلْبَصِيرِ بِدَقَائِقِ الشَّعْرِ وَهُوَ عُدِي

أَخْلَفُ أَصْحَابُ شِعْرًا وَأَكْثَرُهُمْ بَدِيًّا وَأَقْنَانًا وَأَقْرَبُهُمْ قَوَائِي
وَأَوْزَانًا وَلَا أَرَى وَرَاءَهُ غَايَةً لِطَالِيهَا فِي هَذَا الْبَابِ . غَيْرَ أَنَّا لَا نَحْدُ
الْمُبْتَدِئِ فِي طَلَبِ التَّصْنِيعِ وَمِنْ أَوَّلَةِ الْكَلَامِ أَكْثَرُ اتِّفَاعًا وَنَهْ
يُطَالَعَةُ شِعْرِ حَبِيبٍ وَشِعْرِ مُسْلِمٍ بِنِ الْوَلِيدِ لَا فِيهَا مِنْ الْقُضِيَّةِ
لِبَتْنِهَا وَلَا نَهْ طَرَنًا إِلَى الصَّنْعَةِ وَمَعْرِفَتِهَا طَرِيقًا سَابِقَةً وَكَثَرًا مِنْهَا
فِي أَشْعَارِهَا تَكْثِيرًا سَهْلًا عِنْدَ النَّاسِ وَحَسْرَةً عَلَيْهِمْ عَلَى أَنَّ مُسْلِمًا
أَسْهَلَ شِعْرًا مِنْ حَبِيبٍ وَأَقْلُ تَكْلُفًا وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّفَ
الْبَدِيعَ مِنَ الْمَوْلَدِينَ وَأَخَذَ نَفْسَهُ بِالصَّنْعَةِ وَكَثُرَ مِنْهَا وَلَمْ يَكُنْ فِي
الْأَشْعَارِ الْمُحْدَثَةِ قَبْلَ مُسْلِمٍ إِلَّا التُّبْدُ الْيَسِيرَةُ . وَهُوَ هَيْدُ الْمَوْلَدِينَ
كَانَ يُطْلَى فِي صَنْفِهِ وَيُجِيدُهَا . وَقَالُوا : أَوَّلُ مَنْ فَتَى الْبَدِيعَ
مِنَ الْمُحْدَثِينَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ وَهُوَ سَاقَةُ الْعَرَبِ وَآخِرُ مَنْ
يُسْتَشْهَدُ بِشِعْرِهِ ثُمَّ اتَّبَعَهَا مُقْتَدِيًا بِهَا كُلُّهُمْ بِنِ عَمْرِو الْعِتَابِي
وَمَنْصُورُ الدَّرِي وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ وَأَبُو نُوَاسٍ وَآتَعَ هُوَلَاءُ أَبُو
تَمَّامٍ وَالْجُبَرِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَرِّ فَأَتَتْهُ عِلْمُ الْبَدِيعِ وَالصَّنْعَةِ وَخُتِمَ
بِهِ . وَشَبَّ قَوْمٌ أَبَا نُوَاسٍ بِالنَّاقَةِ لِمَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْجَزَالَةِ مَعَ الرِّشَاقَةِ
وَحُسْنِ الدِّيَابِجَةِ وَالْمَرْقَةِ يَمْدَحُ الْمُلُوكَ . وَأَمَّا بَشَّارُ فَقَدْ شَبَّهُ
بِأَمْرِئِ الْقَيْسِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى الْمَوْلَدِينَ وَأَخَذِهِمْ عَنْهُ . وَمِنْ كَلَامِهِمْ :
بَشَّارُ أَبُو الْمُحْدَثِينَ . وَسَمِئًا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ غَيْرَ مَرَّةٍ يَقُولُ : إِنَّمَا سَمِي
الْأَعَشَى صَنَاجَةُ الْعَرَبِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ ذَكَرَ الصَّنْعَ فِي شِعْرِهِ . قَالَ
وَيَقَالُ بَلِ سَمِي صَنَاجَةُ لِقُوَّةِ طَبْعِهِ وَجَلِيَّةِ شِعْرِهِ يُحِيلُ إِلَيْكَ إِذَا

أَنشَدَهُ أَنَّ آخِرَ يُنْشِدُ مَعَكَ . وَمِثْلُهُ بَشَارُ بْنُ بُزْدٍ تُنْشِدُ أَقْصَرَ شِعْرَهُ
عَرُوضًا وَآلِيَهُ كَلَامًا مُجِيدُهُ فِي نَفْسِكَ هَزَّةٌ وَجَلْبَةٌ مِنْ قُوَّةِ الطَّلَعِ
إِنْ مَضَى كَلَامُ عَبْدِ اللَّهِ وَرَجَعْنَا إِلَى الْقَوْلِ فِي الطَّلَعِ . وَالتَّصْنِيعِ .
فَإِذَا كَانَ الشَّاعِرُ مُصْنِعًا فَإِنَّ جَيْدَهُ مِنْ سَائِرِ شِعْرِهِ كَأَنَّهُ بِمِثْلِهِ
قَصَارٌ مَحْضُورًا مَعْرُوفًا بِأَعْيَانِهِ فَإِذَا كَانَ الطَّلَعُ غَالِيًا عَلَيْهِ لَمْ يَبَيِّنْ
جَيْدَهُ كُلَّ الْبَيِّنَاتِ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْ قَرِيبِ كَالْبُحْثِيِّ . وَمَنْ شَاكَهُ
وَقَدْ نَصَّ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي بَعْضِ تَسْطِيرَاتِهِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي
حَكِيمَةَ الشَّاعِرِ حِينَ عَابَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فِي الْفَرَسِ مِنْ قَصِيدَةٍ رَأَى
بِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ظَاهِرٍ :

قَلَّ شَهَامَةٌ سُودَنِيكَ بِأَكْبَرِ وَخَوَافِرُ خُفْرٍ وَرَأْسُ صَتَعٍ
وَذَكَرَ قَوْلَ أَبِي تَمَّامٍ (بِخَوَافِرِ خُفْرٍ وَصَلْبِ صَلْبٍ) فَخَلَّ بِهِ وَاعْتَدَرَ
لَهُ وَخَرَجَ الْفَخَّارُ الْجَلَسَانِ وَذَكَرَ أَنَّ الْخَافِرَ الْوَأْبَ وَالْخَافِرَ الْمَقْعَبَ
وَنَحْوَهُمَا أَشْرَفُ فِي اللَّفْظِ مِنَ الْخَافِرِ الْآخِرِ إِلَّا أَنَّ أَبَا تَمَّامٍ
كَانَ يَطْلُبُ الْمَعْنَى وَلَا يُبَالِي بِاللَّفْظِ حَتَّى لَوْ تَمَّ لَهُ الْمَعْنَى بِالْفُظَّةِ
بَطْنِيَّةٍ لَأَتَى بِهَا . وَالَّذِي أَرَاهُ أَنَّ ابْنَ الرُّومِيِّ أَبْصَرَ بِأَبِي تَمَّامٍ
وَعَبَّرَ مِنْهُمَا وَأَنَّ التَّسْلِيمَ لَهُ وَالرُّجُوعَ إِلَيْهِ أَخْرَمَ . غَيْرَ أَنِّي لَوْ شِئْتُ
أَنْ أَقُولَ وَلَسْتُ رَادًّا عَلَيْهِ وَلَا مُعْتَرِضًا بَيْنَ يَدَيْهِ أَنَّ الْمَعْنَى
الَّذِي أَرَادَهُ وَآشَارَ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ أَبِي تَمَّامٍ إِنَّمَا هُوَ مَعْنَى الصَّنْعَةِ
مِثْلُ التَّطْيِيقِ وَالْتَجْنِيسِ وَمَا أَشْبَهَهَا لَا مَعْنَى الْكَلَامِ الَّذِي هُوَ
رُوحُهُ . وَأَمَّا اللَّفْظُ الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ لَا يُبَالِي بِهِ إِنَّمَا هُوَ قَصِصُ

الْكَلَامَ وَمُسْتَعْمَلُهُ وَيَذُكُّ عَلَى صِحَّةٍ مَا ادَّعَيْتُهُ عَلَى ابْنِ الرَّوْمِيِّ
 قَوْلُهُ إِنَّ أَخَافِرَ أَلْوَابٍ وَالْمَقْبَبَ أَشْرَفُ فِي اللَّفْظِ مِنَ الْخَافِرِ الْآخِرِ .
 فَكَلَامُهُ رَاجِعٌ إِلَى مَا قُلْتُهُ فِي أَبِي نَعَامٍ غَيْرُ مُخَالِفٍ لَهُ وَإِنْ كَانَ
 فِي الظَّاهِرِ عَلَى خِلَافِهِ لَسَاعَ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ عَلَى مَا قَالَ
 وَإِنَّا هُوَ هَذَا مَعْرِضٌ لِلْكَلَامِ لَا مُخَالَفَةَ . وَقَالَ تَلَاخِظُ: كَمَا لَا
 يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ عَامِيًّا وَلَا سَاقِطًا سُوقِيًّا فَكَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي
 أَنْ يَكُونَ وَحْشِيًّا إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمُسْكَلُ بِهِ بَدْوِيًّا أَعْرَابِيًّا فَإِنَّ
 الْوَحْشِيَّ مِنَ الْكَلَامِ يَفْهَمُهُ الْوَحْشِيُّ مِنَ النَّاسِ كَمَا يَفْهَمُ
 السُّوْقِيُّ رِعَايَةَ السُّوْقِيِّ (قَالَ) وَأَنْشَدَ رَجُلٌ قَوْمًا شِعْرًا فَأَسْتَرْبُوهُ
 فَقَالَ: رَأَيْتُمْ مَا هُوَ غَرِيبٌ وَلَكِنَّكُمْ فِي الْأَدَبِ غُرَبَاءُ . وَعَنْ غَيْرِهِ أَنَّ
 رَجُلًا قَالَ لِأَبِي نَعَامٍ فِي مَجْلِسٍ قَدْ حَفَلَ وَارَادَ تَبْكِيَّتَهُ لَمَّا أَنْشَدَهُ:
 يَا أَبَا نَعَامٍ لِمَ لَا تَقُولُ مِنَ الشِّعْرِ مَا يُفْهَمُ . فَقَالَ لَهُ: وَأَنْتَ لِمَ لَا
 تَفْهَمُ مِنَ الشِّعْرِ مَا يُقَالُ فَفَحَّحَهُ . وَيُرْوَى أَنَّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ
 كَانَتْ مَعَ أَبِي الْقَسِيمِ وَصَاحِبَيْنِ لَهُ خَاطَبَاهُ فَاجَابَهُمَا . وَقَالَ بَعْضُ
 مَنْ نَظَرَ بَيْنَ أَبِي نَعَامٍ وَأَبِي الطَّيِّبِ إِنَّمَا أَبُو نَعَامٍ كَالْقَاضِي الْعَدْلُ
 يَضَعُ اللَّفْظَةَ مَوْضِعَهَا وَيُسْطِي الْمَعْنَى حَقَّهُ بَعْدَ طَوْلِ النَّظَرِ وَالنَّجْثِ
 عَنِ الْبَيْتَةِ أَوْ كَالْفَقِيهِ الْوَرَعِ يَتَحَرَّى فِي كَلَامِهِ وَيَتَحَرَّجُ . وَأَبُو الطَّيِّبِ
 كَالشُّجَاعِ الْجَرِيءِ يَغْمُ عَلَى مَا يُرِيدُهُ لَا يُبَالِي مَا لَيْقَى وَلَا حَيْثُ
 وَقَعَ . وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَقُولُ زُهَيْرٌ وَالنَّابِغَةُ مِنْ عَسِيدِ الشَّعْرِ يُرِيدُ
 أَنَّهُمَا يَتَكَلَّفَانِ إِصْلَاحَهُ وَيُشْغِلَانِ فِي خَوَاطِرِهِمَا وَحَوَاسِهِمَا . وَمِنْ

أَصْحَابَهَا فِي التَّعَجُّبِ وَفِي التَّحْفِيفِ وَالتَّحْكِيكِ طَقِيلُ الْقَتَوِيِّ. وَقَدْ
 قِيلَ إِنَّ زُهَيْرًا أَيْضًا رَوَى لَهُ وَكَانَ يُسَمَّى مُحَبَّرًا لِحَسَنِ شِعْرِهِ .
 وَمِنْهُمْ الْخَطِيبَةُ وَالْأَنْبِرِيُّ بْنُ تَوَلَّبٍ وَكَانَ يُسَمِّيهِ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ
 الْكَتِيسَ. وَكَانَ بَعْضُ الْخُذَّاتِ يَقُولُ: قُلْ مِنْ الشِّعْرِ مَا يُجَدُّمُكَ وَلَا
 تَقُلْ مِنْهُ مَا تُجَدُّمُهُ وَهُوَ مَعْنَى كَلَامِ الْأَصْمَعِيِّ. وَسَأَحْكِي هَذَا
 الْبَابَ مِنْ كَلَامِ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ بِحِلْيَةٍ تَكُونُ لَهُ زِينَةً قَائِمَةً
 وَأَخْتُهُ بِحَاظِمَةٍ تَكْسُوهُ حُلَّةً رَائِقَةً لِأُذُنِي بِذَلِكَ بَعْضَ مَا صَنَعْتُ
 وَأَقْضِي بِهِ حَقَّ مَا شَرَطْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ سَنَةً
 ١٠٠ يَتَشَوَّقُ أَهْلُهُ:

وَلِي كَيْدٌ مَكْلُومَةٌ لِفِرَاقِكُمْ أَطْلَأَ مِنْهَا صَبْرًا عَلَى مَا أَجَبَتْ
 تَمَيُّزُكُمْ شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَعَمِيوَةٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يُبْدِيَ لَهَا مَا تَمَنَّتِ
 وَعَيْنٌ جَفَاهَا النَّوْمُ وَأَعْتَادَهَا الْبُكَاءُ إِذَا عَنْ ذِكْرِ الْغَيْرِ وَإِنْ أَسْتَلَّتِ
 قَالُوا أَنْ أَعْرَافِيًا تَذَكَّرُ نَجْدًا لَحْنٌ بِهِ إِلَى الْوَطَنِ أَوْ تَشَوَّقَ فِيهِ
 بَعْضُ السَّكَنِ مَا حَبِيبُهُ يَرِيدُ عَلَى مَا أَتَى بِهِ هَذَا الْوَلَدُ الْخَضِرِيُّ
 الْمَتَاجِرُ الْخَضِرُ. وَمَا أَنْحَطُ فِي هَذَا التَّمْيِيزِ فِي هَوَايَ وَلَا أَتَمَعُ بِهَذَا
 الْقَوْلِ عِنْدَ مَوْلَايَ وَلَا الْخَدِيعَةِ بِمَا نَظُنُّ بِهِ وَلَا فِيهِ وَلَكِنْ قَدْ
 رَأَيْتُ وَجْهَ الْحَقِّ فَعَرَفْتُهُ وَالْحَقُّ لَا يَتَأَمَّرُ وَمَا هُوَ فِي بِلَاعَتِهِ وَإِيجَازِهِ
 إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَحْمَرُ السَّمْدِيُّ فِي وَصْفِهِ:
 مِنْ الْقَوْلِ مَا يَكْفِيهِ الْخَصِيبُ قَلِيلُهُ
 وَمِنْهُ الَّذِي لَا يَكْفِيهِ الدَّهْرُ قَائِلُهُ

يَصُدُّ عَنِ الْغَفَىٰ فَيَعْلَمُ مَا نَجَا
وَيَذْهَبُ فِي التَّصْيِيرِ مِنْهُ طَاوِلُهُ
فَلَا تَكُ مَكْتَارًا تَرِيدُ عَلَى الَّذِي
عُنِيتَ بِهِ فِي خَطْبِ امْرِئٍ تَرَاوِلُهُ

البحث الرابع

في اقسام الشعر

(من الكتاب نفسه)

قَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ يَجْمَعُ أَصْنَافَ الشِّعْرِ أَرْبَعَةُ الْمَدِيحُ وَالْهَجَاءُ
وَالْحِكْمَةُ وَاللَّهُوُ ثُمَّ يَتَفَرَّقُ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنْ ذَلِكَ فَنُونَ فَيَكُونُ
فِي الْمَدِيحِ الْمُرَائِي وَالْإِفْتِحَارُ وَالشُّكْرُ ثُمَّ يَكُونُ مِنَ الْهَجَاءِ اللَّذَمُّ
وَالْعِتَابُ وَالْإِسْتِغْثَاءُ وَمِنْ الْحِكْمَةِ الْأَمْثَالُ وَالنَّصِيحَةُ وَالْمَوْاعِظُ
وَيَكُونُ مِنَ اللَّهِوِ الْقَزَلُ وَصِفَةُ الْخَمْرِ وَالْحَمْدُ. وَقَالَ قَوْمُ الشِّعْرِ
كُلُّهُ نَوْعَانِ مَدْحٌ وَهَجَاءٌ فَالْيَاسُ الدَّحْرُ يَرْجِعُ إِلَيْنَا وَالْإِفْتِحَارُ وَالشُّكْرُ
وَمَا تَقَاقُ بِذَلِكَ مِنْ تَحْمُودِ الْوُضْعِ كَصِفَاتِ الْحَمْدِ وَالْأَثَرِ
وَالنَّشِيئَاتِ الْحَسَنَةِ وَكَذَلِكَ تَحْسِينُ الْخَلْقِ كَالْأَمْثَالِ وَالْحِكْمِ
وَالْمَوْاعِظِ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَالْهَجَاءُ يَنْدُ ذَلِكَ كُلُّهُ غَيْرَ أَنَّ
الْعِتَابَ حَالٌ مِنَ الْخَالِئِينَ فَهُوَ طَرَفٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَكَذَلِكَ
الْإِعْرَاءُ لَيْسَ بِمَدْحٍ وَلَا هَجَاءٍ لِأَنَّكَ لَا تُغْرِي بِإِنْسَانٍ فَمَقُولُ إِنَّهُ
حَقِيرٌ وَلَا ذَلِيلٌ إِلَّا كَانَ عَلَيْكَ وَعَلَى الْغَفَى الدَّرَكُ وَلَا تَقْصِدُ

أَيْضًا بِدَعِهِ أَثَاءٌ عَلَيْهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِهِ . وَأَلَيْتُ مِنْ
 الشِّعْرِ كَأَلَيْتُ مِنَ الْإِنِّيَّةِ وَالشَّعْرِ قَرَارُهُ الطَّبَعُ وَسَكَنُهُ الرِّوَايَةُ
 وَدَعَائِيهِ الْقَلَمُ وَبَابُهُ الذَّرْبَةُ وَسَاكِنُهُ الْمَعْنَى وَلَا خَيْرَ فِي بَيْتٍ غَيْرِ
 مَسْكُونٍ . وَصَارَتْ الْأَعَارِضُ وَالْقَوَائِي كَالْمَوَازِينِ وَالْأَمَثِلَةِ لِلْإِنِّيَّةِ
 أَوْ كَالْأَوَاجِي وَالْأَوْتَادِ لِلْأَخْيَةِ . وَأَمَّا مَا سَوَى ذَلِكَ مِنْ مُحَاسِنِ
 الشِّعْرِ فَلَنَا هُورِيَّةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ لَوْ لَمْ تَكُنْ لَأَسْتَفِي عَنْهَا . قَالَ
 الْقَاضِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْغَرِيزِ الْخُرَجَانِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ الْوَسَاطَةِ :
 الشِّعْرُ عِلْمٌ مِنْ عُلُومِ الْعَرَبِ يَشْتَرِكُ فِيهِ الطَّبَعُ وَالرِّوَايَةُ وَالذِّكَاةُ
 ثُمَّ تَكُونُ الذَّرْبَةُ مَادَّةً لَهُ وَقُوَّةً لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَسْبَابِهِ فَمَنْ
 اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْخِصَالُ فَهُوَ الْحَسَنُ الْمُبَرِّزُ وَيَقْدِرُ نَصِيبُهُ مِنْهَا
 تَكُونُ مَرْتَبَتُهُ مِنَ الْإِحْسَانِ . قَالَ وَلَسْتُ أَفْضَلُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ
 بَيْنَ الْقَدِيمِ وَالْمُحَدَّثِ وَالْجَاهِلِيِّ وَالْمُحَضَّرِ وَالْأَعْرَابِيِّ وَالْمَوْلَدِ إِلَّا
 أَنِّي أَرَى حَاجَةَ الْمُحَدَّثِ إِلَى الرِّوَايَةِ أَمْسَ وَأَجْدُهُ إِلَى كَثْرَةِ
 الْخِفْظِ أَقَرَّ فَإِذَا اسْتَكْشَفْتَ عَنْ هَذِهِ الْحَالَةِ وَجَدْتَ سَبِيلَهَا وَالْعِلَّةَ
 فِيهَا أَنَّ الْمَطْبُوعَ الَّذِي لَا يُمَكِّنُهُ تَنَاوُلُ الْقَاطِرِ الْعَرَبِ إِلَّا رِوَايَةً
 وَلَا رِوَايَةً وَلَا طَرِيقَ إِلَى الرِّوَايَةِ إِلَّا السَّمْعَ وَمَلَكَ السَّمْعِ
 الْخِفْظُ . وَقَالَ دِعْبَلُ فِي كِتَابِهِ مَنْ أَرَادَ الْمَدِيحَ فَلْيَرْغَبْ وَمَنْ أَرَادَ
 الْعِجَاءَ فَلْيَبْغِضْ وَمَنْ أَرَادَ التَّشْيِيبَ فَلْيَشْوِقْ وَالْعُشْقَ وَمَنْ أَرَادَ
 الْمُمَاتَةَ فَلْيَسْتَطِغْ : فَقَسَّمَ الشِّعْرَ كَهَذِهِ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةَ وَكَانَ
 الرِّثَاءُ عِنْدَهُ مِنْ بَابِ الْمَدْحِ عَلَى مَا قَدَّمْتُ . إِلَّا أَنَّهُ جَعَلَ الْعِتَابَ

بَدَلًا مِنْهُ وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ: الشِّعْرُ مَا اشْتَمَلَ عَلَى التَّمَثِيلِ
السَّائِرِ وَالْإِسْتِعَارَةِ الرَّابِعَةِ وَالْأَشْبَهِ الْوَاقِعِ وَمَا سَوَى ذَلِكَ فَإِنَّمَا
لِقَائِهِ فَضْلُ الْوَزْنِ

البحث العاشر

في صناعة المدح

(من الكتاب نفسه)

وَسَبِيلُ الشَّاعِرِ إِذَا مَدَحَ مَلِكًا أَنْ يَسْلُكَ طَرِيقَةَ الْإِفْصَاحِ
وَالْإِسَادَةِ بِذِكْرِ الْمَدْحِ وَأَنْ يَجْعَلَ مَعَانِيَهُ جَزَلَةً وَالْفَاظَةَ نَقِيَّةً
غَيْرَ مُبْتَدَلَةٍ سَوْفِيَّةٍ وَيَحْتَنِبَ مَعَ ذَلِكَ التَّقْصِيدَ وَالتَّطْوِيلَ فَإِنَّ لِلْمَلِكِ
سَامَةً وَصَخْرًا وَرُبَّمَا عَابَ مِنْ أَجْلِهَا مَا لَا يُرِيدُ جِرْمَانَهُ وَقَدْ
رَأَيْتُ عَمَلَ الْبُخْتَرِيِّ إِذَا مَدَحَ الْخَلِيفَةَ كَيْفَ يُقَلُّ الْآيَاتُ وَيَنْزِرُ
وُجُوهَ الْمَعَانِي فَإِذَا مَدَحَ الْكُتَّابَ عَمِلَ طَائِفَتُهُ وَبَلَغَ مُرَادَهُ. وَقَدْ
حُكِيَ عَنْ عَمْرَةَ أَنَّ جَدَّهُ جَرِيرًا قَالَ: يَا بُنَيَّ إِذَا مَدَحْتَمْ فَلَا
تُطِيلُوا الْمَادْحَةَ وَإِذَا هَجَوْتُمْ فَخَالِفُوا. وَحَكَى آخَرُ قَالَ: دَخَلَ
الْقُرَزْدُقُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَمِيرِ أَمْرِ الْحَكَمِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ:
يَا أَبَا فِرَاسٍ ذَعْنِي مِنْ شِعْرِكَ الَّذِي لَيْسَ يَأْتِي آخِرُهُ حَتَّى يُنْسَى
أَوَّلُهُ وَقُلْ فِيَّ بَيْتَيْنِ يَمْلِكَانِ بِالرَّوَايَةِ وَأَنَا أُعْطِيكَ عَطِيَّةً لَمْ
يُسْطِكْهَا أَحَدٌ قَبْلِي فَعَدَا عَلَيْهِ وَقَالَ:

وَأَتَتْ أَبْنُ بَطْلَوَى قُرَيْشٍ وَإِنْ تَشَاءُ
تَكُنْ مِنْ تَعْنِيفِ سُبُلِ ذِي حَذِرٍ عُمَرُ
وَأَتَتْ أَبْنُ سَوَارِ الْيَدَيْنِ إِلَى الْعَلَا

تَلَقَّتْ بِكَ الشَّيْءُ الْهَيْئَةُ لِلْبَدْرِ
قَالَ لَهُ: أَحْسَنْتَ وَأَمَرَ لَكَ بِشَرِّهِ آفَ. وَإِذَا كَانَ الْمَدُوحُ
مِلْكَائِمَ يُبَالِ الشَّاعِرُ مَا قَالَ فِيهِ وَلَا يَكْفِ أَطْنَبَ وَذَلِكَ مُحَمَّدُ
وَسِوَاهُ الْمَذْمُومُ. فَإِنْ كَانَ سُوءُهُ قَائِمًا وَالْحَاوِزُ بِهِ خُطْئُهُ قَائِمًا مَتَى
تَحَاوَزَ بِهِ خُطْئُهُ كَانَ كَمَنْ نَقَصَهُ مِنْهَا وَكَذَلِكَ لَا يُجِبُ أَنْ يُقَصِّرَ
بِهِ عَمَّا يَسْتَحِقُّ وَلَا أَنْ يُعْطِيَ صِفَةً غَيْرَهِ فَيَصِفَ الْكَاتِبُ بِالشَّجَاعَةِ
وَالْقَاضِي بِالْحَيَّةِ وَالْمُهَاجِرُ. وَكَثِيرًا مَا يَمِيعُ هَذَا لِشِعْرَاءَ وَقَتْنَا وَهُوَ
خَطَاؤُهُ إِلَّا أَنْ تَصْحَبَهُ قُرَيْبَةٌ تَدُلُّ عَلَى صَوَابِ الرَّأْيِ فِيهِ وَكَذَلِكَ
لَا يَحْجُوزُ أَنْ يُمدَحَ الْمَلِكُ بِبَعْضِ مَا يَمُحُّ فِي غَيْرِهِ مِنَ الرُّدْسَاءِ وَإِنْ كَانَ
فَضِيَّةً وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ الْبُخْتَرِيِّ فِي مَدْحِ الْمَعْرِ:

لَا أَلْذَلُّ يَرُدُّهُ وَلَا مِثْلُ التَّعْنِيفِ عَنْ كَرَمٍ يَصُدُّهُ
قَائِمًا بِمَا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عُيَيْدٍ أَقْبُو قَالَ:
وَمَنْ ذَا يُعِيفُ لَطِيفَةً عَنِ الْكَرَمِ أَوْ يَصُدُّهُ. هَذَا بِالْهَجَاءِ أَوَّلَى
مِنْهُ بِالْمَدْحِ. وَغَيْبٌ عَلَى الْأَخْطَلِ قَوْلُهُ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ
هَذَا الْبَيْتُ:

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْخِلَاقَةَ مِنْهُمْ
لَا يَبْضُ لَا عَارِي الْجَوَانِ وَلَا جَذْبُ

وَقَالُوا: لَوْ مَدَحَ بِهَذَا حَرِيصًا لَبَدِ الْمَلِكُ لَكَانَ قَصْرٌ بِهِ
وَأَجُودُ مِنْهُ فِي مَعْنَاهُ قَوْلُ حَسَّانَ فِي الرَّجْفَةِ:
يَسْعُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيضَ عَلَيْهِم.

وَرَدَى يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
وَيُرَدَى مِنْكَ. وَعَابُوا عَلَى الْأَخْوَصِ قَوْلَهُ لِلْمَلِكِ:
وَأَدَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ

مَذَقُ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ
قَالُوا لِأَنَّ الْمُلُوكَ لَا تُمدَحُ بِمَا يَلْزَمُهَا فِعْلُهُ كَمَا تُمدَحُ بِالعَامَّةِ
وَأِنَّمَا تُمدَحُ بِالْإِغْرَاقِ وَالْتَفَضُّلِ لَا بِمَا يَسْبَحُ غَيْرُهُمْ لِيَذِلَّهُ. وَمِنْ هَذَا
النُّوعِ قَوْلُ كَثِيرٍ:

رَأَيْتُ ابْنَ كَلْبٍ يَعْتَرِي صُلْبَ مَالِهِ
مَسَائِلُ شَيْءٍ مِنْ غَيْبِي وَمُضْرِمِ
مَسَائِلُ إِنْ تَوَجَّدَ لَدَيْكَ تَجَدَّ بِهَا

يَدَاكَ وَإِنْ ظَلَمَ بِهَا تَتَظَلَّمُ
لِأَنَّ هَذَا إِنَّمَا يُقَالُ لِمَنْ دُونَ الْخَلِيفَةِ وَالْمَلِكِ وَإِنَّمَا أَخَذَهُ
مِنْ قَوْلِ زُهَيْرٍ فِي هَرَمٍ: وَلَيْسَ بِكَ فِلْذِكَ حَسَنَ قَوْلُهُ:

هُوَ أَجْرَادُ الَّذِي يُضْلِكُ نَائِلُهُ عَفْوًا وَيُظْلَمُ أَحْيَا مَا قِيْظِلِمُ
يُرِيدُ أَنَّهُ يُسَالُ مَا لَيْسَ قِبَلَهُ فَيَحْمَلُهُ. وَحُكِّيَ عَنِ الصَّوْلِيِّ أَنَّهُ
مَرَّانَ بَنَ أَبِي حَفْصَةَ كَانَ يُعَدِّمُ كَثِيرًا فِي الْمَدْحِ عَلَى جَرِيهِ
وَالْقُرْذَقِ. وَإِنَّمَا قُدِّمَ بِهِ زُهَيْرٌ قَوْلُهُ:

لَوْ كَانَ يَتَعَدُّ قَوْقَ النَّجْمِ مِنْ كَرَمٍ

قَوْمٌ بِأَوْلِيهِمْ أَوْ تَجِدُهُمْ قَعْدُوا

وَقَدَّمَ قُدَّامَهُ بَنُ جَعْفَرِ الْكَاتِبِ فَقَالَ فِي كِتَابِهِ نَعْدُ الشَّعْرَ

لَوْ كَانَتْ قَضَائِلُ النَّاسِ مِنْ حَيْثُ هُمْ نَاسٌ لَا مِنْ طَرِيقِ مَا هُمْ

مُشْتَرِكُونَ فِيهِ مَعَ سَائِرِ الْحَيَوَانِ عَلَى مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْأَلْبَابِ مِنْ

الْإِتِّفَاقِ فِي ذَلِكَ إِنَّمَا هِيَ الْقَتْلُ وَالْعَقَّةُ وَالْمَدَاةُ وَالشَّجَاعَةُ كَانَ

الْقَاصِدُ لِلدَّخْرِ بِهَذِهِ الْأَرْبَعَةِ مُصِيبًا وَيَمَاسِيهَا مُخْطِئًا. وَقَدْ قَالَ زُهَيْرٌ:

أَخِي ثَمَعٌ لَا يُتْلَفُ الْخَيْرَ مَا لَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُتْلَفُ أَمَالٌ كَانَتْ لَهُ

لِأَنَّهُ قَدْ وَصَفَهُ بِالْعَقَّةِ لِقَوْلِهِ إِمَامَانِهِ فِي اللَّذَاتِ وَأَنَّهُ لَا يَتَعَدُّ

فِيهَا مَا لَهُ بِالنِّسَاءِ لِأَهْلَاكِ مَا لَهُ فِي الْوَالِ وَاتِّجَارِهِ فِي ذَلِكَ عَنْ

اللَّذَاتِ وَذَلِكَ هُوَ الْمَدْلُ (قَالَ) ثُمَّ قَالَ :

تَرَاهُ إِذَا مَا جَشَهُ مُتَمَلِّلاً سَكَتَكَ تُطْطِئُهُ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

أَرَادَ أَنْ قَرَحَهُ بِمَا يُطْطِئُ أَكْثَرُ مِنْ قَرَحِهِ بِمَا يَأْخُذُ قَرَادَ فِي وَصْفِ

النِّسَاءِ مِنْهُ بِأَنَّهُ جَعَلَهُ يَبْسُ وَلَا يَلْعَنُهُ مَضْضٌ وَلَا تَكْرَهُ لِيَفْعَلُوهُ

ثُمَّ قَالَ :

وَمَنْ مِثْلُ حِضْنٍ فِي الْخُرُوبِ وَمِثْلُهُ

لِإِنْكَارِ ضَمِّهِ أَوْ لِأَمْرِ يُحَاوِلُهُ

وَيُرَوَّى أَوْ لِحَصْمِهِ يُجَادِلُهُ. فَآتَى فِي هَذَا الْبَيْتِ بِالْوَصْفِ مِنْ

جِهَةِ الشَّجَاعَةِ وَالْقَتْلِ فَاسْتَوْفَى فِي ضَرْبِ الْمَدْحِ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي هِيَ

قَضَائِلُ الْإِنْسَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَزَادَهَا بِهَذَا وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا فِي

الْأَرْبَعَةُ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُ وَجْهَ دُخُولِهِ فِيهَا حَيْثُ قَالَ :
 (أَخِي رُفْعَةُ) قَوْصَةُ بِالْوَقَاءِ وَالْوَقَاءُ دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الْقَضَائِلِ
 الَّتِي قَدْ مِمَّا وَقَدْ يَحْدُثُ هَذَا لِلشُّعْرَاءِ فَيَعُدُّونَ أَنْوَاعَ الْقَضَائِلِ الْأَرْبَعِ
 وَأَقْسَامَهَا وَكُلٌّ دَاخِلٌ فِي جُمْلَتِهَا مِثْلَ أَنْ يَذْكُرُوا الْمَرْفُوعَةَ وَالْحَيَاءَ
 وَالْيَبَانَ وَالنِّيَاسَةَ وَالصَّدْعَ بِالنَّجْجَةِ وَالْعِلْمَ وَالْجِلْمَ وَغَيْرَ ذَلِكَ بِمَا
 يَجْرِي هَذَا الْجَرَى . وَهِيَ مِنْ أَقْسَامِ الْعَقْلِ . وَكَذَلِكَ هِيَ الْقَنَاعَةُ وَقِفَةُ
 الشَّرِّ وَطَهَارَةُ الْأَرْزَاقِ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَهِيَ مِنْ أَقْسَامِ الْعِفَّةِ . وَكَذَلِكَ هِيَ
 الْإِمَامِيَّةُ وَالْأَخَذُ بِالْأَثَرِ وَالِدِقَاقِ عَنْ الْجَارِ وَالنَّكَايَةِ فِي الْعَدُوِّ وَقَتْلُ
 الْأَقْرَانِ وَالْمُهَابَةِ وَالسَّيْرِ فِي الْمُهَابَةِ وَالْعِفَارِ الْمَوْجِسَةِ وَمَا شَاكَلَ
 ذَلِكَ وَهِيَ مِنْ أَقْسَامِ الشَّجَاعَةِ . وَكَذَلِكَ هِيَ السَّمَاعَةُ وَالْتِمَازُ وَالْإِظْلَامُ
 وَالْتَبَدُّعُ بِاللَّائِلِ وَاجَابَةُ السَّائِلِ وَقَرَى الْأَضْيَافِ وَمَا جَانَسَ هَذِهِ
 الْأَشْيَاءَ وَهِيَ مِنْ أَقْسَامِ الدَّلِيلِ

وَأَمَّا تَرْكِيبُ بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ فَحَدَّثُ مِنْهُ سِتَّةُ أَقْسَامٍ : يَحْدُثُ
 مِنْ تَرْكِيبِ الْعَقْلِ مَعَ الشَّجَاعَةِ الصَّبْرِ عَلَى اللَّيْلَاتِ وَتَوَازُلِ الْخُطُوبِ .
 وَعَنْ تَرْكِيبِ الْعَقْلِ وَالشَّجَاعَةِ الْإِبْرَ وَانْجَازُ الْوَعْدِ وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ . وَعَنْ
 تَرْكِيبِ الْعَقْلِ وَالْعِفَّةِ التَّلَذُّو وَالرَّغْبَةُ عَنِ الْمُسْتَوْ وَالْإِقْتِصَادُ عَلَى
 أَدْنَى مَعِيشَةٍ وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ . وَعَنْ تَرْكِيبِ الشَّجَاعَةِ مَعَ الشَّجَاعَةِ
 الْإِتْلَافُ وَالْإِسْرَافُ وَمَا جَانَسَ ذَلِكَ . وَعَنْ تَرْكِيبِ الشَّجَاعَةِ مَعَ
 الْعِفَّةِ انْكَارُ الْقَوَاحِشِ وَالْقِيَرَةُ عَلَى الْحَرِيمِ . وَعَنْ الشَّجَاعَةِ مَعَ الْعِفَّةِ
 الْإِسْكَافُ بِالْقُوَّةِ وَالْإِسْكَافُ عَلَى النَّفْسِ وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ . قَالَ وَكُلُّ

وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْقَضَائِلِ الْأَرْبَعِ أَلْتَقَدَّمَ ذِكْرُهَا وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ
مَذْمُومَيْنِ وَمِنْ أَلَدِيمِ النَّصُوصِ عَلَيْهِ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

وَفِيهِ مَقَامَاتُ حَسَنٍ وَجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَةٌ يَتَلَبَّاهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
وَأَنْ جِشْتَهُمُ أَلْقَيْتَ حَوْلَ يُوتِيهِمْ مَجَالِسَ قَدْ يَشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ
عَلَى مَكْثِهِمْ رِزْقُ مَنْ يَنْقَرِيهِمْ وَعِنْدَ الْمُتَلَيِّنِ السَّامَةِ وَالْبَذَلُ
سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَكْبِي يُدْرِكُوكُمْ فَلَمْ يَقْطَعُوا وَلَمْ يُبْلِسُوا وَلَمْ يَأْلُوا
وَلَمْ يَكُ مِنْ خَيْرِ أَثْوَةٍ وَإِنَّمَا تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ
وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيئُ إِلَّا وَشِجَّةً وَتُفْرَسُ إِلَّا فِي مَنَائِبِهَا الْخَلُّ
وَقَوْلُهُ :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِيَلَتِهِ هَرِمًا يَلْقَى السَّامَةَ مِنْهُ وَالْتَدَى خُلُقًا
أَيْثُ بَعْدَ يَضْطَاطُ الرِّجَالُ إِذَا مَا كَذَبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا
يَطْلُغُهُمْ مَا أَرْتَمُوا حَتَّى إِذَا طَلَعُوا ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا أَعْتَمًا
لَوْ نَالَ حَمِيٌّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَرَلَةٍ أَفْنَى السَّمَاءِ لَنَالَتْ كَمُّهُ الْأَفْعَا

وَيَلْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَصْدُ الشَّعْرِ فِي مَدْحِ الْوَزِيرِ وَالْكَاتِبِ
عَلَى مَا اخْتَارَهُ قُدَامَةُ وَغَيْرُهُ مَا نَاسَبَ حُسْنَ الرُّوْيَةِ وَسُرْعَةَ الْخَاطِرِ
بِالصُّوَابِ وَشِدَّةِ الْحَزْمِ وَفَقَّةِ التَّفَقُّهِ وَجُودَةِ النَّظَرِ لِلْحَلِيقَةِ وَالنِّيَابَةِ عَنْهُ
فِي الْمُفْضَلَاتِ بِالرَّأْيِ أَوْ بِالذَّاتِ كَمَا قَالَ أَبُو تَوَّاسٍ :

إِذَا تَابَهُ أَمْرٌ قَامًا كَفَيْتَهُ وَإِمَامًا عَلَيْهِ بِالْكَفَى تُشِيرُ
وَبِأَنَّهُ مَحْمُودُ السِّيَرَةِ حَسَنُ السِّيَاسَةِ لَطِيفٌ فَإِنْ أَصَافَ إِلَى
ذَلِكَ ذِكْرَ الْبَلَاغَةِ وَالْخَطِّ وَالتَّفَنُّنِ فِي الْعِلْمِ كَانَ غَايَةً وَأَفْضَلَ مَا

مُدِحَ بِهِ الْقَائِدُ الْجُودَ وَالشَّجَاعَةَ وَمَا تَفَرَّعَ مِنْهَا مِنَ الْإِفْرَاطِ فِي التَّجَدُّعِ
وَسُرْعَةِ الْتَعَشُّيِّ وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ. وَيُمَدِّحُ الْقَاضِي بِمَا نَاسَبَ الْعَدْلَ
وَالْإِنصَافَ وَتَقْرِيبَ الْبَعِيدِ فِي الْحَقِّ وَتَبْعِيدَ الْقَرِيبِ فِي الْأَخْذِ
لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ وَالْمُسَاوَاةَ بَيْنَ الْقَعِيرِ وَالْقَنِيِّ بِسَطِّ الْوَجْهِ
وَلَيْنِ الْجَانِبِ وَقِلَّةِ الْمُبَالَاهِ فِي إِقَامَةِ الْحُدُودِ وَاسْتِخْرَاجِ الْحَقُوقِ
فَإِنْ زَادَ إِلَى ذَلِكَ وَذَكَرَ الْوَرَعَ وَالنَّهْجَ وَمَا شَاكَلَهُمَا قَدْ بَلَغَ
الْتَّيَّاهَ. وَصِفَاتُ الْقَاضِي كُلُّهَا لَا نَقُتُّ بِصَاحِبِ الْمَظَالِمِ وَمَنْ كَانَ
دُونَ هَذِهِ الثَّلَاثِ الطَّبَقَاتِ سِوَى طَبَقَةِ أَلَلِكٍ فَلَا أَرَى لِدُنْجِهِ وَجْهًا
فَإِنْ دَعَتْ إِلَى ذَلِكَ ضَرُورَةٌ مُدِحُ كُلِّ إِنْسَانٍ بِالْقَضْلِ فِي
صَيَّاتِهِ وَالْمَعْرِفَةِ بِطَرِيقَتِهِ الَّتِي هُوَ فِيهَا. وَكَثُرَ مَا يُعُولُ عَلَى
الْقَضَائِلِ النَّفْسَانِيَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا قَدَامَةٌ وَإِنْ أُضِيفَتْ إِلَيْهَا فَضَائِلُ
عَرَضِيَّةٍ أَوْ جَسِيَّةٍ كَالْجَمَالِ وَالْأَلْبَهَةِ وَبَسْطَةُ الْخُلُقِ وَسَعَةِ الدُّنْيَا
وَكثْرَةُ الْعَيْشِ كَانَ ذَلِكَ جَيِّدًا. إِلَّا أَنْ قَدَامَةٌ قَدْ آبَى مِنْهُ وَأَنْكَرَهُ
جُمْلَةً وَلَيْسَ ذَلِكَ صَوَابًا وَإِنَّمَا الْوَالِجُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ: الْمَدْحُ
بِالْقَضَائِلِ النَّفْسَانِيَّةِ أَشْرَفُ وَأَصَحُّ قَامًا إِنْكَارًا مَا سِوَاهَا جُمْلَةً
وَإِجْدَةً قَمَا أَظُنُّ أَحَدًا يُسَاعِدُهُ فِيهِ وَلَا يُوَاهِدُهُ عَلَيْهِ وَقَدْ صَوَّرَهُ
الْحَذَّاقُ أَنْ يُدَحَّ الْمُلُوكُ بِمَا نَاسَبَ قَوْلَ مُوسَى شَهَوَاتٍ وَيُرْوَى
لِقَائِهِ:

أَنْتَ نَعَمُ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيهَا بَدَأٌ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرُ أَنَّكَ قَانِي

وَحُكْمِي عَنْ بَعْضِ الْمُلُوكِ أَنَّهُ قَالَ مَا لِهَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءِ قَاتَلَهُمْ
 اللَّهُ رَبِّمَا دَكَّرُوا شَيْئًا نَحْنُ أَكْثَرُ لَهُ ذِكْرًا مِنْهُمْ فَيَنْتَقِصُونَ بِهِ عَلَيْنَا
 أَوْ قَاتَلَتْ لَدَائِسًا يَبْنِي بِذَلِكَ الْمَوْتَ. وَمَنْ أَبْشَعَ مَا فِي ذَلِكَ قَوْلُ
 أَبِي تَمَّامٍ :

فَلَيْطَلَّ عَمْرُهُ فَلَوْ مَاتَ فِي طَوْنٍ مِنْ مُقِيمَاتِ فَسَاغَرِيَا
 مَا أَلْذِي دَعَاهُ إِلَى ذِكْرِ الْمَوْتِ هَهُنَا إِلَّا التَّكْدُ وَالْبَغَاضَةُ
 وَاجْمَعَ النَّاسُ عَلَى تَقْدِيمِ قَوْلِ كَتَبَ بَنُو زُهَيْرٍ بِعَدْحِ الرَّسُولِ :
 تَحْمِيلُهُ النَّفَاةُ الْأَدَمَاءُ مُتَعَجِّرًا بِالْبُرْدِ كَالْبَذْرِ جَلَى لَيْلَةٍ أُنْظِمَ
 وَفِي عِطَافِهِ أَوْ أَثْنَاءَ رَيْطَانِهِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينِهِ وَمِنْ كَرَمِهِ
 وَلِلْجَهَالِ يُرَوِّونَ أَلَيْتَ لِأَبِي دُعَيْلٍ الْجَحْمِيِّ وَيُنَاسِبُهُ قَوْلُ
 الْعَلَّاجِ :

يُحْمِلُنَ كُلُّ سُودِدٍ وَتَحْرِ يُحْمِلُنَ مَا نَذَرِي وَمَا لَا نَذَرِي
 قَالَ الْأَصْمَعِيُّ أَضَهُ مِنْ قَوْلِ الْحَارِثِ بَنِي جِلْزَةَ :
 وَفَطَّاسِيهِمْ كَمَا عَلِمَ اللَّهُ مَ وَكَانَ لِلْحَاشِيَةِ دِمَاءُ
 قَالَ وَلَمْ يُقَلَّ شَعْرٌ قَطُّ أَحْسَنُ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْعَلَايِي. قَالَ
 أَبُو الْعَبَّاسِ الْبُرْدُ : مِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ يُحْمِلُ الْمَدْحَ فَيَكُونُ ذَلِكَ وَجْهًا
 حَسَنًا لِلْبُؤْسِ الْإِرَادَةِ مَعَ خُلُوقِهِ مِنَ الْإِطَالَةِ وَبُعْدِهِ عَنِ الْإِكْتَارِ
 وَدُخُولِهِ فِي الْإِخْتِصَارِ وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِ الْخَطِيبَةِ :

تَرُدُّ فَنِي يُعْطِي عَلَى الْحَمْدِ مَا لَهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْفَرَّاءَ غَيْرُ مُجْلَدٍ
 كُتُوبٌ وَتَنَلَفُ إِذَا مَا سَأَلَتْهُ تَهَلَّلُ وَأَهْتَدُ أَهْتَدَا أَلْهَمْدُ

مَتَى تَأْتِيَهُ تَشْوِي إِلَى صَوْنِهِ نَارِهِ تَحْذَرُ نَارَ عِنْدَهَا خَيْرٌ مُوقِدٌ
تَصَرَّفَ فِي آيَاتِهِ هُذِي فِي أَصْفَادِ الْمَدِيحِ وَأَتَى بِجَمَاعِ
الْوَصْفِ وَنَجْمَةِ الْمَدْحِ عَلَى سَبِيلِ الْإِقْتِصَادِ فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ. وَمِثْلُهُ
قَوْلُ الشَّاعِرِ :

رَأَيْتُ عُرَابَ الْأَرَبِيِّ يَسُو إِلَى الْخِيَرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ
إِذَا مَا رَأَيْتُ رُفْعَتَ لِحْجِدِ تَلَقَّاهَا عُرَابٌ بِالْيَسِينِ
وَأَفْضَلَ مَدْحٍ مُدِيحٍ إِلَهُ الْمُلُوكِ وَكَثْرَهُ إِصَابَةُ الْقَرَضِ مَا
يُنَاسِبُ قَوْلَ ابْنِ هَرَمَةَ فِي الْمَنْصُورِ :

لَهُ لَحْظَاتٌ عَنْ جَفَافِ سَرِيرِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ
فَأَمَّا الَّذِي آمَنَتْ أَمْنُهُ الرَّدَى وَأَمَّا الَّذِي أَوَعَدَتْ بِأَكْشَلِ تَاكِيلُ
وَقَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ يَدْحُ الْعَادِي :

يَضْطَرِبُ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ إِذَا حَرَكَ دُوسَى الْقَضِيبَ أَوْ فَكَّرَ
وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْحَزِينِ الْكِنَانِيِّ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
ابْنِ مَرْوَانَ وَتُرْوَى لِلْقُرَذِيِّ فِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَقِيلَ بَلْ قَالَهَا
فِي اللَّعِينِ الْقُتَيْبِيِّ وَقِيلَ هِيَ لِدَاوُدَ بْنِ مُسْلِمٍ فِي قُتَمِ بْنِ الْعَبَّاسِ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ :

فِي كَتَمِهِ خَيْرٌ رَأَى رِيحَهُ عَيْقُ مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ فِي عَرْنِينِهِ شَمُّ
يُنْفِضِي حَيَاءً وَيُنْقِضِي مِنْ مَهَابَتِهِ قَمَا يُكَاثِمُ إِلَّا جَيْنَ يَبْتِمُ
وَأَجْتَمَعَ الشُّعْرَاءُ بِبَابِ الْمُتَعَمِّمِ فَبَثَّ إِلَيْهِمْ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ
يُحْسِنُ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ قَوْلِ مَنْصُورِ التَّمِيمِيِّ فِي الرَّشِيدِ :

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَهُ أَهْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ
 إِذَا رَقَمْتَ أَمْرًا قَالَهُ رَامُهُ وَمَنْ وَضَعَتْ مِنَ الْأَقْوَامِ مُنْضِعُ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ بِأَمِينٍ اللَّهُ مُنْتَصِمًا فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَنْتَفِعُ
 إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ لَمْ تَخْلَفْ أَمَامُهُ أَوْ صَاقَ أَمْرٌ دَكْرَاهُ قَبِيسُ
 فَلْيَدْخُلْ. فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَهْبٍ: فِينَا مَنْ يَقُولُ خَيْرًا مِنْهُ
 وَأَنْشُدَ:

ثَلَاثَةُ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهِمْ شَمْسُ الصُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
 تَحْكِي أَفَاعِيَهُ فِي كُلِّ نَابِيَةِ الْغَيْثِ وَالْأَلَيْثِ وَالصَّمَامَةِ الذَّكْرُ
 فَأَمَرَ بِإِدْخَالِهِ وَأَحْسَنَ صِلَتَهُ
 وَقَالُوا لَأَمْحَضَتِ الْخَطِيئَةُ الْوَفَاةُ قَالَ: بَلِّغُوا الْأَنْصَارَ أَنَّ
 أَخَاهُمْ أَمَدَحُ النَّاسِ حَيْثُ يَقُولُ:
 يُغْشُونَ حَتَّى مَا تَهْرُ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْقَبِيلِ
 قَالَ ثَلَبٌ بَلْ قَوْلُ الْأَعَشَى:
 فَتَى لَوْ يُبَادِي الشَّمْسَ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا

أَوْ الْقَمَرَ الشَّارِي لَأَلْقَى الْقَالِدَا
 أَمَدَحُ مِنْهُ. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ: بَيْتُ جَرِيدٍ
 أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الطَّيَّارَ وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونُ رَاحِ
 أَسِيرَ مَا قِيلَ فِي الْمَدْحِ وَأَسْهَلُهُ. وَقَالَ غَزِيَّةُ: بَلْ قَوْلُ
 الْأَخْطَلِ:

شَمْسُ الْمَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَخْلَامًا إِذَا قَدُّوا

وَقَالَ دُعِلْ بِلَ قَوْلِ أَبِي الطَّحَّانِ الْقَتِينِ.

أَخْنَأَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ

دُحِيَ اللَّيْلُ حَتَّى ظَهَمَ الْجُرْعَ صَاحِبُهُ

قَالَ : وَقَدْ تَنَازَعَ فِي هَذَا أَلْبَيْتِ يَعْني بَيْتَ أَبِي الطَّحَّانِ قَوْمٌ

وَفِي بَيْتِ حَسَّانٍ فِي آلِ جَعْفَةَ وَبَيْتِ النَّابِغَةِ :

يَا نَكَّ شَسْرُ وَأَلْمَلُوكَ كَوَارِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَدُ مِنْهُنَّ كَوَكِبُ

وَبَيْتُ أَبِي الطَّحَّانِ أَشْرُهَا. قَالَ الْخَلَّاتِيُّ : بَلْ بَيْتُ زُهَيْرٍ :

تَرَاهُ إِذَا مَا جَشَّهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُطْطِئُهُ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

وَحَكِي عَنْ عَلِيٍّ بْنِ هَارُونَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ : أَجْمَعَ أَهْلُ

أَهْلِهِمْ أَنَّ بَيْتِي أَبِي نَوَاسٍ أَجْوَدُ بَيْتَيْنِ فِي الْمَدِيحِ لِلْمَوْلُودِينَ وَهُمَا :

أَنْتَ الَّذِي تَأْخُذُ الْأَيْدِي بِبُحْزَرٍ

إِذَا أَلْزَمَانُ عَلَى أَنْيَابِهِ كَلْحَا

وَكَلَّتْ بِالْذَّهْرِ عَيْنَا غَافِلَةٍ

مِنْ جُودِ كَفِّكَ تَأْسُو كُلَّمَا جَرَحَا

وَحَكِي الْخَلَّاتِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى

قَالَ : سَمِعْتُ أَبْنَ الْأَعْرَابِيَّ يَقُولُ : أَمْدَحُ بَيْتَ قَالَةَ مَوْلَدُ قَوْلُ

أَبِي نَوَاسٍ :

تَنَطَّيْتُ مِنْ ذَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَمَسَّنِي تَرَى ذَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي

فَلَوْ تَسَالُ الْأَجْدَاثُ مَا أُنْسِي مَا دَرَّتْ

وَأَيْنَ مَكَلَانِي مَا عَرَفَنَ مَكَلَانِي

قَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ: تَمَحَّنْ إِلَى الْأَنْصَافِ أَخَوْجُ مِنْهَا إِلَى
 الْمَكَابِرَةِ وَالْخِلَافِ وَأَبُو نُوَاسٍ ذَهَبَ مَذْهَبًا لَطِيفًا يُخْرِجُ لَهُ فِيهِ الْعُذْرُ
 وَالتَّأْوِيلُ وَالْأَقَا فِي صِفَةِ الْخُفُولِ أَشَدُّ بِمَا ذُكِرَ لَاسِيًا عَلَى
 رِوَايَةٍ مَنْ رَوَى (قَالَ تَسَالُ الْأَيَّامُ) . وَمِنْ جَيْدٍ مَا سَمِعْتُ لِمُحَمَّدٍ
 وَأَطْلَهُ لِابْنِ الرُّومِيِّ فِي عِيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ وَرَأَيْتُ
 مَنْ يَرْوِيهِ لِأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبِ أَبِي الْحَسَنِ:

إِذَا أَبُو قَالِمٍ جَادَتْ يَدَاهُ لَنَا

لَمْ يُجْمَدِ الْأَجُودَانِ النَّجْرُ وَالْمَطَرُ
 وَإِنْ أَضَاءَتْ لَنَا أَنْوَارُ غُرَّتِهِ

تَضَاعَلِ الْبُيُوتَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 وَإِنْ مَضَى رَأْيُهُ أَوْ جَدَّ عَزَمَتُهُ

تَأَخَّرَ الْمَاضِيَانِ السَّيْفُ وَالْقَدَرُ
 مَنْ لَمْ يَبْتَ حَذِرًا مِنْ سَطْوِ صَوْلَتِهِ

لَمْ يَذَرِ مَا أَلْمَزَ عِجَانِ السَّيْفِ وَالْحَذَرُ
 يَبَالُ بِالْأُظُنِّ مَا يَمِيزُ الْإِيَانُ بِهِ

وَالشَّاهِدَانِ عَلَيْهِ الْعَيْنُ وَالْآثَرُ
 كَنَاهُهُ وَزِمَامُ الدَّهْرِ فِي يَدِهِ

يَرَى عَوَاقِبَ مَا يَأْتِي وَمَا يَسْتَدِرُّ
 قَالَ خَلْفُ الْآخَرِ: أَخْلَبَ الْمَذْحِ وَأَكْثَرُهُ مَلَقًا قَوْلُ زُهَيْرِ بْنِ

أَبِي سَلَمَةَ:

تَرَاهُ إِذَا مَا جَشَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُنْطِيه الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
 أَخُوَيْعَةٍ لَا تُتْلَفُ الْخَيْرُ مَالُهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُتْلَفُ أَمَالُ نَائِلُهُ
 غَدَوْتُ عَلَيْهِ غُدُوَّةَ فَرَأَيْتُهُ مُعْوَدًا لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَازِلُهُ
 يُقَدِّينُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا يَلْمُهُ وَأَعْيَا قَمَا يَذِيرُنْ أَيْنَ مَحَاطِلُهُ
 فَأَعْرَضَ عَنْهُ عَنْ كَرِيمٍ مُرَدًّا جُمُوعٍ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ قَابِلُهُ
 وَقَوْلُ طَقِيلٍ :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَرْكَلَتْ بِمَا تَلَعْنَا فِي الْوَاطِنِ وَزَلَتْ (١)
 أَبَوَا أَنْ يَمْلُوكَا وَلَوْ أَنَّ أَمَنَا تُلَاقِي الَّذِي لَا قُوَّةَ مَنَا لَمَلَّتْ
 وَسَالَ الرَّشِيدُ الْفَضْلَ الضَّيِّقَ : أَيَّ بَيْتٍ قَالَتْ الْعَرَبُ أَمَدَحَ
 فَقَالَ :

أَغْرُ أَبْلَحُ تَأْتُمُ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَامٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ
 قَالَ سَرَّاحِيلُ بْنُ مَعْنٍ بْنِ زَائِدَةَ : كُنْتُ أَسِيرٌ تَحْتَ قُبَّةٍ يَحْتَجِي
 أَمِيرُ خَالِدٍ وَقَدْ حَجَّ مَعَ الرَّشِيدِ وَعَدِيدُهُ أَبُو يُوسُفَ الْقَاضِي إِذْ
 أَعْرَاجِي مِنْ بَنِي أَسَدٍ كَانَ يَلْقَاهُ إِذَا حَجَّ فَيَدْعُهُ فَأَنْشِدُهُ شِعْرًا
 أَنْكَرَ يَحْتَجِي مِنْهُ بَيْتًا فَقَالَ : يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ وَشْلِ
 هَذَا الشِّعْرِ أَلَا قُلْتَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

بَدُو مَطَرٍ يَوْمَ الْإِقْلَاءِ كَأَنَّهُمْ لِجَارِهِمْ بَيْنَ التَّجَاكِينِ مَزُولُ
 بِهَالِيلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ كَأَوَّلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
 هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَلَجَزَلُوا

وَلَا يَسْتَطِيعُ الْقَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي اللَّائِيَاتِ وَاجْتَلَوْا
 فَقَالَ أَبُو يُوسُفَ لِمَنْ هَذَا الشِّعْرُ أَضَلَّكَ اللَّهُ قَمَاسِيَتْ أَحْسَنَ
 مِنْهُ فَقَالَ يُحْيَى يَقُولُهُ ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ فِي أَبِي هَذَا أَلَفْتَنِي وَأَوْمَأَ إِلَيَّ
 فَكَانَ قَوْلُهُ أَسْرَى إِلَيَّ مِنْ جَلِيلِ الْقَوَائِدِ ثُمَّ أَلَفْتَنِي إِلَيَّ وَقَالَ
 يَا شَرَجِيلُ أَتَشِدُّنِي أَجُودَ مَا قَالَهُ ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ فِي أَبِيكَ
 فَأَنْشَدْنَاهُ:

مَعَهُ الْمَسَاحُ لِزَاهِبٍ وَلِرَاجِبٍ مِنْ نُصَيْبٍ حَوَائِجُ الْأَزْمَانِ
 مَعْنَى نُنْ رَانِدَةَ الَّذِي زَيْدَتْ بِهِ شَهَقًا إِلَى شَرَفِ بَنُو شَيْبَانَ
 إِنْ عُدَّ أَيَّامُ الْقَاءِ فَلَنَمَّا يَوْمَاهُ يَوْمٌ نَدَى وَيَوْمٌ طَنَّانِ
 يَكْسُو الْأَيْسَرَةَ وَالْخَبَرَ بِهَجَّةٍ وَيَزِيهَا بِجَهَارَةٍ وَيَبَانِ
 تَمْحِي أَسِنَّتَهُ وَيَسْفِرُ وَجْهَهُ فِي الْحَرْبِ عِنْدَ تَغْيِيرِ الْأَلْوَانِ
 نَفْسِي فِدَاكَ أَمَا الْوَلِيدُ إِذَا بَدَا رَمَحُ السَّيَابِكِ وَالرَّيَاحُ دَوَانِ
 فَقَالَ يُحْيَى أَنْتَ لَا تَذَرِي جَيْدَ مَا مُدِحَ بِهِ أَبُوكَ وَأَجُودُ مِنْ
 هَذَا قَوْلُهُ:

تَشَابَهَ يَوْمَاهُ عَلَيَّا فَاشْكَلَا فَلَا تَحْنُ تَذَرِي أَيُّ يَوْمِهِ أَفْضَلُ
 أَيُّومُ نَدَاهُ الْعَمْرُ أَمْ يَوْمٌ بِأَسِيهِ وَمَا مِنْهَا إِلَّا أَغْرُ مُجْجَلُ
 وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ يَقُولُ الْمَدِيحَ عَنْ رَجُلٍ إِلَى رَجُلٍ وَكَانَ
 ذَلِكَ ذَابَ الْجُبَّتِيِّ وَقَعَلَهُ أَبُو تَمَّامٍ فِي قَصَائِدِ مِنْهَا:

فَذَكَ الْأَنْبِيَّ أَرَبَيْتَ فِي الْقُلُودِ

نَقَلَهَا عَنْ يُحْيَى بْنِ ثَابِتٍ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ حَسَّانِ الصَّنَعِيِّ

البحث الرابع

في الافتخار

(من الكتاب نفسه)

الِافْتِحَارُ هُوَ الْمَدْحُ بِسِنِّهِ إِلَّا أَنَّ الشَّاعِرَ يُخَصُّ بِهِ نَفْسَهُ وَقَوْمَهُ
فَكُلَّمَا حَسَنَ فِي الْمَدْحِ حَسَنَ فِي الْإِفْتِحَارِ وَكُلَّمَا قَبِجَ فِيهِ قَبِجَ
فِي الْإِفْتِحَارِ فَمِنْ آيَاتِ الْإِفْتِحَارِ قَوْلُ الْقَرَزْدَقِ :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَانِيهِ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ ثَعْلَبَةَ : أَخْرَجْتُ بَيْتَ قَائِنَةَ الْعَرَبِ قَوْلُ
أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

مَا يُنْكِرُ النَّاسُ مِنَّا جِنَ تَمْلِكُهُمْ كَانُوا عَيْدًا وَكُنَّا نَحْنُ أَرْبَابَا
وَقَالَ دَعِيلُ أَخْرَجُ الشَّعْرَ قَوْلُ كَتَّابٍ :

وَيَسِيرُ بَدْرٌ إِذْ يَرُدُّ وَجُوهَهُمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا وَ مُحَمَّدٌ
وَقَالَ الْحَافِي : قَوْلُ الْقَرَزْدَقِ :

تَرَى النَّاسَ مَا يَسِرْنَ يَسِيرُونَ خَلْقًا وَإِنْ نَحْنُ أَوْ مَا نَأْتِي النَّاسَ وَقَفُوا
قَالَ وَيَتْلُوهُ قَوْلُ جَرِيرٍ :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو عَيْمٍ وَجَدْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابَا
وَقَالَ آخَرُ : بَلْ قَوْلُ الْقَرَزْدَقِ :

وَنَحْنُ إِذَا عَدَّتْ مَعْدٌ قَدِيمَا مَكَانَ الْوَوَاحِي مِنْ وَجُوهِ السَّوَابِقِ
وَقَالَ غِيْثُ : بَلْ قَوْلُ الْقَرَزْدَقِ لَجَرِيرٍ :

فَإِذَا قَطَرَتْ رَأَيْتَ قَوْكَ دَارِمًا وَالشَّمْسَ حَيْثُ تَقَطَّعُ الْأَبْصَارُ
وَقِيلَ بَلْ قَوْلُ ابْنِ مِيَادَةَ:

وَلَوْ أَنَّ قَيْسًا قَيْسَ غِيلَانَ أَقْسَمَتْ

عَلَى الشَّمْسِ لَمْ يَطْلُعْ عَلَيْكَ حِجَابُهَا
وَأَخْرَجَتْ بَيْتَ صَنْعَةٍ تُحَدِّثُ عَنْهُمْ قَوْلُ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ:
إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضَبَةً مُضَرَّةً

هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا (١)
إِذَا مَا أَعْرَفْنَا سَيِّدًا مِنْ قَيْلَةٍ دَرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمًا
وَمِنْ جَيْدِ الْأَفْخَارِ قَوْلُ بَكْرِ بْنِ الْأَطَّلَحِ:

وَمَنْ يَفْتَقِرُ مِمَّا يَعْشُ بِجَسَامِهِ وَمَنْ يَفْتَقِرُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ يَسْأَلُ
وَيَحْنُ وَصِفْنَا دُونَ كُلِّ قَيْلَةٍ بِأَسْ شَدِيدٍ فِي الْكِتَابِ الْمَذْلُومِ
وَأَمَّا لَتَلَهُوْا فِي الْحُرُوبِ كَالهَيْتِ قَتَاةٌ يَعْشُرُ أَوْ مِخَابٍ قَرْنُفُلِ
يَعْنِي قَوْلَ الْقُرْآنِ: سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ. وَيَسَبِّحُ
هَذَا الشَّعْرُ وَأَشْبَاهُهُ طَلَبَهُ الرَّشِيدُ أَشَدَّ طَلَبٍ فَقَالَ: كَيْفَ تَفْتَقِرُ عَلَى
مُضَرٍّ وَمَنْهُمْ النَّبِيُّ. فَهَذَا الْأَفْخَارُ بِالشَّجَاعَةِ خَاصَّةً. وَمِنْ أَفْخَرَ
بِالْكَثْرَةِ أَوْسُ بْنُ مَفْرَاءٍ فَقَالَ:

مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ إِلَّا عِنْدَ أَوَّلِنَا وَلَا تَغِيْبُ إِلَّا عِنْدَ آخِرِنَا
وَقَدْ أَنْكَرَ قَدَامَةً أَنْ يَمْدَحَ الْإِنْسَانُ بِأَبَاهِهِ دُونَ أَنْ يَكُونَ
مَمْدُوحًا بِنَفْسِهِ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَكُونُونَ كَأَبَائِهِمْ. وَالَّذِي

ذَهَبَ إِلَيْهِ حَسَنٌ. وَأَنْكَرَ لِمَوْلَايَ عَلَى أَبِي الطَّيِّبِ قَوْلَهُ :
مَا بِقَوْمِي شَرُّتُ بَلْ شَرُّوْا بِي بَلْ بِنَفْسِي فَحَزْتُ لَا يَجْدُوْدِي
وَقَالَ إِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ عَلِيٍّ بْنِ جَبَلَةَ حَيْثُ يَقُولُ :

وَمَا سَوَّدَتْ عَجَلًا مَا بَرُّ عِندَهُمْ وَلَكِنْ بِهِمْ سَادَتْ عَلَى غَيْرِهَا عَجَلُ
قَالَ وَهَذَا مَعْنَى سُوءِ يَغْضُ مِنْ حَسَبِ الْمَدْحِ وَيُخَفِّرُ مِنْ شَأْنِ
سَلَفِهِ وَإِنَّمَا طَرِيقَةُ الْمَدْحِ أَنْ يَجْعَلَ الْمَدْحُ لِشَرَفِ آبَائِهِ وَالْآبَاءُ
تَزْدَادُ شَرَفًا بِفَيْضِ كُلِّ مِنْهُمْ فِي الْفَخْرِ حَقًّا وَفِي الْمَدْحِ
فَضِيلًا. وَإِذَا حُضِلَتِ الْحَقَائِقُ كَانَ التَّصْيَانُ مَقْشُومِينَ بَلْ كَانَ
الْكُلُّ خَالِصًا لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ لِأَنَّ شَرَفَ أَوَالِدِ جُزْءٍ مِنْ
مِيْرَانِهِ وَمُتَقَبِّلٌ إِلَى وَلَدِهِ كَأَنْتَقَالَ إِلَيْهِ قَادًا رُحْمِي وَحُرْثٌ ثَبَتَ
وَأَزْدَادٌ وَإِنْ أَهْمِلَ وَضُيْعَ هَلَكَ وَكَذَلِكَ شَرَفُ أَوَالِدٍ يَغْنُمُ الْقَيْلَةَ
وَلَوْلَدِهِ مِنْهُ الْقَيْمُ الْأَوْفَرُ وَلِلْخَطِّ الْأَكْبَرُ

قَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ : وَالَّذِي يَقَعُ عَلَيْهِ الْإِخْتِيَارُ عِنْدَهُمْ مَا
نَاسَبَ قَوْلَ الْمُتَوَكِّلِ اللَّيْثِيِّ :

لَنَا وَإِنْ أَحْسَابًا كَرَّمَتْ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَكْبَلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا
وَقَوْلَ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ :

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنُ سَيِّدِ عَامِرٍ وَفِي الْبَرِّ مِثْلَهَا وَالصَّبْرُ الْمُهَذَّبُ
فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وَرَاقَتِهِ أَجَلُ اللَّهِ أَنْ أَسُو بِأَمْرِ وَلَا أَبِ
وَمِنْ أَفْخَرِ مَا قَالَ الْمُؤَلَّدُونَ قَوْلُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْوَصْلِيِّ :

يَغْفُرُ بَوْلَايَةَ مِنْ خَزِيَّةَ بْنِ خَازِمٍ الْهَشَلِيِّ :

إِذَا مَضَرُ الْحَرَاءِ كَانَتْ أَرُومَتِي وَقَامَ بِمَضْرِي خَازِمٌ وَأَبْنُ خَازِمٍ
عَطَسْتُ بِأَنفِي شَاخِجٌ وَتَنَاوَلَتْ يَدَايَ الْكُرْيَا قَاعِدَا غَيْرِ قَانِمٍ
وَمِنْ قَوْلِ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ يَغْفُرُ بِقَوْمِهِ بَنِي شَيْبَانَ .

يَا آلَ شَيْبَانَ لَا غَارَتْ نُجُومُكُمْ وَلَا خَبَتْ نَارُكُمْ مِنْ بَعْدِ تَوْقِيدِ
أَنْتُمْ دَعَانِي هَذَا أَلَلُّكَ مُذَرَّكَتْ قَبْلُ الْخِيُولُ لِإِبْرَاهِمَ وَتَوَكِيدِ
أَلْنَعْمُونَ إِذَا مَا أَزْمَةُ أَزَمَتْ وَالْوَاهِبُونَ عَيْقَاتِ الْمَرَاوِدِ
سُوفُكُمْ أَقَدَّتْ كَسْرَى مَرَاذِبُهُ فِي يَوْمِ ذِي قَارِ إِذْ جَاؤُوا لِمَوْعِدِ
فَهَذَا هُوَ الْفَخْرُ الْحَلَالُ غَيْرُ الْمُدْعَى فِيهِ وَلَا الْمُنْتَحَلِ .
وَعَابَ الْأَصْمَعِيُّ وَغَيْرُهُ قَوْلَ عَامِرِ بْنِ مُعْسِرٍ بِنِ اسْتَحْمَ يَصِفُ
أَسِيرًا :

ظَلَّ نُجَالِسُ الْمَذَكَاتِ فِينَا يُعَادُكَ كَأَنَّهُ جَمَلٌ رَيْقُ
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ وَصَفَ أَسِيرَهُمْ بِأَنَّهُ جَانِعُ نُجَالِسِ الْقَلِيلِ الْمَذُوقِ
مِنَ اللَّبَنِ إِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الْجَهْلِ . وَمِنْ أَحْوَدِ قَصِيدَةِ أَفْخَرَ فِيهَا شَاعِرُ
قَصِيدَةُ السَّمَوَالِ بْنِ عَادِيَاءَ فَلَهُ قَدْ جَمَعَ فِيهَا ضُرُوبَ الْمَدَاحِ
وَأَنْوَاعِ الْمَفَاحِرِ وَهِيَ مَشْهُورَةٌ



البحث الخامس

في الرثاء

(من الكتاب نفسه)

وَلَيْسَ بَيْنَ الرِّثَاءِ وَالْمَدْحِ قَرْنٌ إِلَّا أَنْ يُخْلَطَ بِالرِّثَاءِ شَيْءٌ
يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ مَيِّتٌ مِثْلُ كَانَ أَوْ عَدِينًا كُنْتَ وَكُنْتَ
أَوْ مَا شَاكَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ مَيِّتٌ. وَسَبِيلُ الرِّثَاءِ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرَ
الْتَجَمِعَ بَيْنَ الْحَسْرَةِ مَخْلُوطًا بِالتَّهْنِ وَالْأَسَفِ وَالْإِسْتِغْثَامِ. إِنْ
كَانَ أَلَمْتُ مَلِكًا أَوْ رَئِيسًا كَبِيرًا كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ فِي حِصْنِ بَنِي
حَذَافَةَ :

يَقُولُونَ حِصْنٌ ثُمَّ تَأْتِي نَفْسُهُمْ وَكَيْفَ بِحِصْنٍ وَالْجِبَالُ تُجُوحُ
وَلَمْ تَلْفُظِ الْمَوْتَ الْقُبُورُ وَلَمْ تُرَلِّ تُجُوحُ السَّمَاءُ وَالْأَدِيمُ صَحِيحُ
فَمَا قَلِيلٌ ثُمَّ جَاءَ نَعِيهُ فَظَلَّ بَدِي الْقَوْمِ وَهُوَ يُنُوحُ
فَهَذَا وَمَا شَاكَهُ رِثَاءُ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ لِحُجَّةٍ وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ
أَبُو الْعَتَاهِيَةِ حِينَ قَالَ : (مَاتَ الْخَلِيفَةُ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ) فَرَفَعَ النَّاسُ
رُؤُوسَهُمْ وَفَتَحُوا عُيُونَهُمْ وَقَالُوا: أُنْعَاهُ إِلَى الْحَجْرِ وَالْإِنْسِ ثُمَّ قَالَ:
(فَكَأَنِّي أَنْطَرْتُ فِي رَمَضَانَ) يُرِيدُ إِلَيَّ مُجَاهَرَّتِي بِهَذَا
الْقَوْلِ كَأَنَّمَا جَاهَرْتُ نَهَارًا بِالْأَنْطَارِ فِي رَمَضَانَ فَكُلُّ أَحَدٍ
يُسَكِّرُ عَلَيَّ ذَلِكَ وَيَسْتَغْظِمُهُ مِنْ فِعْلِي وَهَذَا مَعْنَى جِدِّ غَرِيبٍ فِي
لَفْظِ رَدِيَّةٍ غَيْرِ مُغْرِبٍ عَمَّا فِي النَّفْسِ. وَمِنْ أَفْضَلِ الرِّثَاءِ قَوْلُ

أَلْحَسِينَ بْنَ مَطِيلٍ يَرْبِي مَعْنَى زَائِدَةً وَيُرَوَّى لِابْنِ أَبِي حَفْصَةَ:
قِيَا قَبْرَ مَعْنَى أَنْتَ أَوَّلُ بَعْثَةٍ

مِنَ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلنَّاسِ مَوْضِعًا
وَيَا قَبْرَ مَعْنَى كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ

وَقَدْ كَانَ وَنَهُ الْبَرُّ وَالْبِرُّ مُتَرَدِّدًا
عَلَى قَدْ وَسِمْتَ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيْتٌ

وَلَوْ كَانَ حَيًّا عِشْتَ حَتَّى تَصَدَّعَا
فَتَى عِيشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ

كَثَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعًا
وَمِمَّا قَصَرَ بِهِ أَبُو تَمَّامٍ فِي رِثَائِهِ مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ بِالقَصِيدَةِ الَّتِي
يَقُولُ فِيهَا:

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ عَطَلَتْ لَهُ فِجَاجُ سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْتَعَرَ النَّعْرُ
وَقَدْ آجَدَ أَيْضًا فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي رَتَّى بِهَا أَدْرِيسُ بْنُ بَدْرِ
يَقُولُ فِيهَا:

وَلَمْ أَنْسَ سَعَى الْجُودِ خَلْفَ سَرِيرِهِ بِكَسْفٍ بِالْوَيْسِقِلِ وَيَطْلُعُ
وَأَبُو تَمَّامٍ مِنَ الْمُعْدُودِينَ فِي إِجَادَةِ الرِّثَاءِ وَمِثْلُهُ دِيكَ الْحِنْ
وَهُوَ أَشْهُرُ فِي هَذَا مِنْ أَبِي تَمَّامٍ لَهُ فِيهِ طَرِيقٌ قَدْ أَنْفَرَدَ بِهَا قَالَ
فِي عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ:

قَدْ أَسْتَوَى النَّاسُ وَمَاتَ الْكَمَالُ وَصَاحَ صَرْفُ النَّهْرِ أَيْنَ الرِّجَالِ
هَذَا أَبُو الْقَلِيمِ فِي نَشِئِهِ قَوْمُوا أَنْظَرُوا كَيْفَ تَسِيرُ الْحِبَالِ

وَمِنْ عَادَةِ الْقَدَمَاءِ أَنْ يَضْرِبُوا الْأَمْثَالَ فِي الْمَرَاثِي بِالْمُلُوكِ
 الْأَعَزَّةِ وَالْأَنْمِ السَّالِقَةِ وَيَالُوْعُولِ الْمُسْتَعَةِ فِي قُلُلِ الْجِبَالِ وَالْأَسُودِ
 الْحَادِرَةِ فِي الْغِيَاضِ وَحُمُرِ الْوَحْشِ الْمُتَصَرِّقَةِ بَيْنَ الْقَعَارِ وَالنُّسُورِ
 وَالْعُقْبَانِ وَالْحَيَاتِ بِأَسْهَائِهَا وَطُولِ أَعْمَارِهَا وَذَلِكَ فِي أَشْعَارِهِمْ كَثِيرٌ
 مَوْجُودٌ لَا تَكَادُ تَحُلُو مِنْهُ. قَامَا الْمُحَدِّثُونَ فَهَمُّ إِلَى غَيْرِ هَذِهِ
 الطَّرِيقَةِ آمِيلٌ وَمِنْهُمْ فِي الرَّثَاءِ أَمَثَلُ فِي وَقْتِ هَذَا وَقَبْلَهُ وَرَبَّمَا
 جَرُوا عَلَى سُنَنِ مَنْ قَبْلَهُمْ أَقْتِدَاءَ بِهِمْ وَأَخْذًا بِسُتْبِهِمْ كَالَّذِي صَنَعَ
 أَبُو نَوَاسٍ فِي رِثَائِهِ أَبَا الْوَلِيدِ الْأَعْرَابِيِّ وَخَلَقًا الْأَحْمَرَ وَمَرَاثِيهِ
 فِيهَا مَثَلَاتٌ قَوَافٍ مَشْهُورَاتٌ

وَكَمَا صَنَعَ ابْنُ الْأَعْتَرِ يَرْتِي أَبَاهُ بِالْقَصِيدَةِ الْأَلَمِيَّةِ الْمَقِيدَةِ
 فِي الرِّثْمِ أَوَّلَهَا :

رُبَّ حَتَفٍ بَيْنَ أَثْنَاءِ الْأَمَلِ وَحَيَاةِ الْمَوْتِ ظِلٌّ مُتَقِيلٌ
 وَهِيَ مَرُوءَةٌ وَلَوْ لَا أَشْهَادُ هَذِهِ الْقَصَائِدِ وَوُجُودُهَا وَخِيعَةُ التَّطْوِيلِ
 لَأَثْبَتْنَا بِهَذَا الْمَوْضِعِ وَلَيْسَ مِنْ عَادَةِ الشُّعْرَاءِ أَنْ يَقْدِمُوا قَبْلَ
 الرَّثَاءِ نَسِيبًا كَمَا يَصْنَعُونَ فِي الْمَدْحِ وَالْحِجَاءِ. قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ
 وَكَانَ عَلَامَةً لَا أَعْرِفُ مَرِئَةً فِي أَوَّلِهَا نَسِيبٌ إِلَّا قَصِيدَةً دُرَيْدِ بْنِ
 الصَّمَّةِ فِي رِثَاءِ أَخِيهِ خَالِدٍ :

أَرَتْ جَدِيدَ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ لِعَاقِبَةٍ أَوْ أَخْلَقْتَ كُلَّ مَوْعِدٍ
 وَحَكَى الْحَاسُ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْأَخْوَلِ
 أَنَّ الْقَصِيدَةَ الَّتِي لِابْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْأَخْوَلِ
 أَنَّ الْقَصِيدَةَ الَّتِي لِابْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْأَخْوَلِ

وَأَسْمَاهُ الدَّعْجَاءُ. وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْمُتَعَارِفَ عِنْدَ أَهْلِ الْفَتْوَا أَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَرْثِيَّةٌ أَوْ لَهَا تَنْسِيبٌ إِلَّا قَصِيدَةُ ذُرَيْدٍ. وَأَنَا أَقُولُ إِنَّهُ الْوَاجِبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا وَمِنْ بَعْدِهِ لِأَنَّهُ لَا يَأْخُذُ فِي الرِّثَاءِ بِحُجُبٍ أَنْ يَكُونَ مَشْغُولًا عَنِ النَّسِيبِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْحَسْرَةِ وَالْأَهْتِسَامِ بِالْمُصِيبَةِ وَإِنَّمَا تَنْزُولُ ذُرَيْدٍ بَعْدَ قَتْلِ أَخِيهِ بَسَنَةَ وَحِينَ أَخَذَ بِثَارِهِ وَادْرَكَ طَائِلَتَهُ

وَمِنْ الْعَجِيبِ أَنَّ يَقُولَ عَبْدِ بْنِ الطَّيِّبِ فِي تَأْيِينِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ الْفَرَقِيَّ :

عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ وَرَحْمَةُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَكَهَا
وَيَقُولُ الْكَمِيتُ فِي تَأْيِينِ النَّبِيِّ هَذَا الْقَوْلَ فَهَلَّا قَالَ مِثْلَ
قَوْلِ فَاطِمَةَ :

اغْبِرْ أَفَاقُ السَّمَاءِ وَكُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانِ
وَالنِّسَاءُ انْتَحَى النَّاسُ قُلُوبًا عِنْدَ الْمُصِيبَةِ وَأَشَدُّهُمْ جَزَاعًا عَلَى
هَالِكٍ بِمَا رَكَّبَ اللَّهُ تَعَالَى فِي طِبَاعِهِمْ مِنْ عُصْفَرِ الْعَزِيمَةِ
فَأَنْظُرْ إِلَى قَوْلِ جَلِيلَةٍ بِنْتِ مَرْثِي دَوَّجَهَا كَلِيمًا حِينَ قَتَلَهُ
أَخُوهَا جَسَّاسٌ مَا انْتَحَى لَفْظُهَا وَأَظْهَرَ الْفُحِيمَةَ فِيهِ وَكَيْفَ يُشِيرُ
إِلَّا تَحْجَانِ وَيَمْدَحُ شَرَّ الدِّينَانِ وَذَلِكَ :

يَا أَبْنَةَ الْأَقْوَامِ إِنْ كُنْتَ فَلَا تَهْجِي بِاللُّومِ حَتَّى تَسْأَلِي
وَمِنْ أَشَدِّ الرِّثَاءِ صُعُوبَةً عَلَى الشَّاعِرِ أَنْ يَرْتِي طِفْلًا أَوْ امْرَأَةً
لِضَيْقِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ فِيهَا وَقَوْلُ الصِّفَاتِ. لَا تَرَى مَا صَنَعُوا بِأَيِّ

الطَّبِيبُ وَهُوَ تَحْلُ مُجَرَّدٌ إِذْ ذَكَرَ الْخُذُّونَ فِي قَوْلِهِ يَذْكُرُ أَمْ سَيَفِ
الدُّوَلَةُ :

صَلَاةُ اللَّهِ خَالِقَنَا حُطُوطٌ عَلَى الْوَجْهِ الْمَكْنَنِ بِالْجَمَالِ
وَقَالُوا مَا لَهُ وَلِهَذِهِ الْعُجُوزُ يَصِفُ جَمَاهَا وَقَالَ الصَّاحِبُ بْنُ
عَبَادٍ : هَذِهِ اسْتِعَارَةٌ جَدَادٍ فِي عُرْسٍ قَانَ كَانَ أَرَادَ الصَّاحِبُ
بِالْاسْتِعَارَةِ الْخُطُوطَ فَقَدْ وَافَقَ ظَلَمٌ وَتَصَفَّ وَإِنْ كَانَ أَرَادَ
اسْتِعَارَةَ الْكَنْنِ لِحِمَالِ الْعُجُوزِ فَقَدْ اعْتَرَضَ فِي مَوْضِعٍ اعْتَرَضَ
إِلَى مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مَا يَتَحَقُّ كُلُّ رُتَبَةٍ وَيُعْنِي كُلُّ
إِسَاءَةٍ . قَالَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَادٍ وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى مَرِيضَةٍ لَهُ فِي
أَمِّ سَيَفِ الدُّوَلَةِ تَدُلُّ مَعَ فَسَادِ الْحُسْنِ عَلَى سُوءِ آدَبِ النَّفْسِ
وَمَا ظَنُّكَ بِنِجَاطِ بُلْبُلٍ فِي أَمِّهِ يَقُولُهُ :

رِوَاقُ الْغُرِّ فَوْقَكَ مُسْبِطٌ وَمُلْكُ عَلِيٍّ آيُنُكَ فِي كَمَالٍ
وَلَمَّا لَفَظَ الْأَسْبَطَارُ فِي مَرَاثِي النِّسَاءِ مِنَ الْخِذْلَانِ الصَّفِيقِ
الرَّقِيقِ . وَأَنَا أَقُولُ إِنَّ أَشَدَّ مَا هَجَّنَ هَذِهِ اللَّفْظَةَ وَجَعَلَهَا مَقَامَ
قَصِيدَةٍ هِجَاءٍ أَنَّهُ قَرَنَهَا بِفَوْقَكَ فَجَاءَ عَمَلًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ إِلَّا قِصَاءُ
وَمِنْ أَصَابِ الزَّمَانِ أَيْضًا جَمْعُ تَفْزِيَةٍ وَتَهْنِئَةٍ فِي مَوْضِعٍ
قَالُوا : لَمَّا مَاتَ مُعَاوِيَةُ اجْتَمَعَ النَّاسُ بِبَابِ بَرِيدٍ فَلَمْ يَمُدَّ أَحَدٌ عَلَى
الْجَمْعِ بَيْنَ التَّفْزِيَةِ وَالتَّهْنِئَةِ حَتَّى آتَى عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ هَمَّامٍ السَّائِلِيُّ
فَدَخَلَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرَكَ اللَّهُ عَلَى الرِّبَا . وَبَارَكَ لَكَ
فِي الْحُلِيِّ . وَأَعَاكَ عَلَى الرَّعِيَّةِ . فَقَدْ رُزِيَ عَظِيمًا وَأُعْطِيَ فَاشْكُرْ

اللَّهُ عَلَى مَا أُعْطِيَ وَاصِرٌ عَلَى مَا رُزِيَ قَدَّتْ خَلِيقَةُ اللَّهِ وَأُعْطِيَ
خِلَافَةَ اللَّهِ فَقَارَتْ جَلِيلًا وَأُعْطِيَ عَظِيمًا إِذْ قَضَى مُعَاوِيَةُ نَجْبَهُ
وَوَكَّيْتُ الرِّئَاسَةَ وَأُعْطِيَ النِّيَّاسَةَ فَأَوْرَدَهُ اللَّهُ مُوَارِدَ السُّرُورِ
وَوَقَّكَ لِصَالِحِ الْأُمُورِ :

فَاصْبِرْ يَرِيدُ فَقَدْ قَارَتْ ذَا ثِقَةٍ

فَأَشْكُرْ جَاءَ الَّذِي بِأَمْلِكِ أَصْعَاكَ
لَا رُزْءَ أَصْبَحَ فِي الْأَيَّامِ تَعْلَمُهُ كَمَا رُزِيَ وَلَا عُثِيَ كَعُثْبَاكَ
فَقَتَحَ لِلنَّاسِ بَابَ الْقَوْلِ وَعَلَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ جَرَى الشُّعْرَاءُ بَعْدَهُ
قَالَ أَبُو نُوَاسٍ يُعْزِي الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ وَبِهِتِيهِ بِالْأَمِينِ :
قَرَّ أَبَا الْعَبَّاسِ عَنْ خَيْرِ هَالِكٍ بِأَكْرَمِ حَمِيٍّ كَانَ أَوْ هُوَ كَانَ
حَوَادِثُ أَيَّامٍ تَدُورُ صُرُوفُهَا لَهْنٌ مَسَاوِيْرَةٌ وَمَحَاسِنُ
وَفِي الْحَمِيِّ بِأَلَيْتِ الَّذِي غَيْبَ الْغَرَى

فَلَا أَمْلِكُ مَغْبُونٌ وَلَا أَلَمْتُ غَابِنُ
وَيُرَوَّى فَلَا أَنْتَ مَغْبُونٌ. وَاتَّبَعَهُ أَبُو تَمَّامٍ بِالْقَصِيدَةِ الَّتِي أَوَّلَهَا
(مَا لِلدَّمْعِ ثَرَمٌ كُلُّ مَرَامٍ) يَقُولُ فِيهَا لُؤْلُؤَانِي بَعْدَ الْمَتَمِّمْ صَرَفَ
فِيهَا الْكَلَامَ حَيْثُ شَاءَ وَأَطْلَبَ كَمَا أَرَادَ وَأَحْتَجَّ وَأَسْهَبَ وَتَقَدَّمَ
فِيهَا عَلَى مَنْ سَلَكَ هَذِهِ النَّاحِيَةَ مِنَ الشُّعْرَاءِ. وَأَرَادَ ابْنُ الرُّيَّانِ
مُجَارَاتَهُ فَعَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ التَّقْصِيرَ فَأَقْتَصَرَ عَلَى :

قَدْ قُلْتُ إِنَّ غَيُوبَكَ وَأَضْطَقَّتْ عَلَيْكَ أَيْدٍ بِالْأَرْبِ وَالطَّيْنِ
إِذْ هَبَ فَنِعْمَ أَلْمِينُ كُنْتَ عَلَى الْأُذُنِ نِيَا وَنِعْمَ الظُّهَيْرُ لِلدِّينِ

لَنْ يُجِبَ اللَّهُ أُمَّةً قَدَّتْ مِثْلَكَ إِلَّا بِغُلِّ هَارُونِ
وَمِنْ جَيْدٍ مَا رُئِيَ بِهِ النِّسَاءُ وَأَشَدُّهُ تَأْثِيرًا فِي الْقَلْبِ وَثَارَةً
لِحُزْنِ قَوْلِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ هَذَا فِي أُمِّ وَلَدِهِ :
أَلَا مَنْ رَأَى الطِّفْلَ الْمَفَارِقَ أُمَّهُ

بُعْدَ الْكَرَى عَيْنَاهُ بَقْتَدِرَانِ

يَقُولُ فِيهَا :

أَلَا إِنَّ سَجَلًا وَاحِدًا قَدْ أَرَقْتُهُ مِنْ الدَّمْعِ أَوْ سَجَلَيْنِ قَدْ شَفَّيَانِي
وَأَنَّ مَكَانًا فِي الْأَذَى خُطَّ لِحَدِّهِ

لَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ

وَمِنْ أَشْجَى الشَّعْرِ رِثَاءُ قَوْلِهِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

فَهَبْنِي عِدَمَتُ الصَّبْرِ عَنْهَا لِأَنِّي جَلِيدٌ قَمْنٌ بِالصَّبْرِ لِأَبْنِ ثَمَانٍ
فَهَذِهِ الطَّرِيقُ هِيَ الَّتِي تَجْرِي حُدُوقُ الشُّعْرَاءِ إِلَيْهَا وَيَقْتَبِدُونَ
فِي الرِّثَاءِ عَلَيْهَا مَا لَمْ تَكُنِ الْمَرْثِيَّةُ مِنْ نِسَاءِ الْمَلِكِ وَبَنَاتِ
الْأَشْرَافِ وَغَيْرِ ذَوَاتِ مَحَارِمِ الشَّاعِرِ فَإِنَّهُ يُجَنَّبُنِي عَنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ
إِلَى أَرْفَعِ مَنِهَا نَحْوُ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

وَلَوْ أَنَّ النِّسَاءَ كَمَنْ قَدَّنَا لَفَضَّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ

وَقَوْلِهِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

مَشَى الْأُمَرَاءُ حَوْلَهَا حُفَاةً كَانَ الرُّومَ مِنْ زِفْرِ الرِّيَالِ

وَقَوْلِهِ لِأَخْتِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

يَا أُخْتَ خَيْرِ أَمْرِ يَا بِنْتَ خَيْرِ آبٍ كِتَابَةٌ يَهْمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ

الْعَاقِبَةِ لَعْنُوهُمُ الْعِلَاءُ. وَأَبْنُ الْعَتَرِ يُسْتَبِي هَذَا النَّوعَ مَرْحًا
يُرَادُ بِهِ الْجِدُّ وَهُوَ:

أَصَابَتْ عَلَيْنَا جُودَكَ أَلَيْنُ يَا عَمْرُ قَحْنُ لَهَا نَبْغِي التَّمِيمَ وَالْشَّرَّ
سَرَوَيْكَ بِالْأَشْعَارِ حَتَّى تَمْلَهَا فَإِنْ لَمْ تُفِقْ مِنْهَا رَقِيكَ بِالشَّوَرِ
وَكُنْتَ مَنَعْتُ فِي الْإِسْتِطَاءِ:

أَحْسَنْتَ فِي تَأْخِيرِهَا مَنَةً لَوْ لَمْ تُؤَخِّرْ لَمْ تَكُنْ كَامِلَةً
وَكَيْفَ لَا يَحْسُنُ تَأْخِيرُهَا بَعْدَ يَقِينِي أَنَّهَا حَاصِلَةٌ
وَجَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ يُدْعَى بِهَا آجَةٌ لِلْعَرَّةِ لَا عَاجِلَةٌ
لَكِنَّمَا أَضَعَفَ مِنْ شَيْئِي أَيَّامُ عَمْرٍو دُونَهَا رَأَيْتُ
وَالْعِتَابُ أَوْسَعُ جِدًّا مِنَ الْإِقْتِضَاءِ لِأَنَّهُ يَكُونُ مِثْلُهُ بِسَبَبِ
الْحَاجَاتِ وَقَدْ يَكُونُ بِسَبَبِ غَيْرِهَا كَثِيرًا وَالْإِقْتِضَاءُ لَا يَكُونُ
إِلَّا فِي حَاجَةٍ

البحث السابع

في العتاب

(من الكتاب نفسه)

وَأِنْ كَانَ حَيَاةُ الْمَوَدَّةِ وَشَهِيدَ الْوَفَاءِ قَائِمٌ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ
الْحَدِيدَةِ وَسَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ الْقَطِيعَةِ وَالْجَنَاءِ وَإِذَا قُلْتُ كَانَ دَاعِيَةً
الْأَلْفَةِ وَقَيْدَ الصُّحْبَةِ وَإِذَا كَثُرَ خَشَنُ جَانِبِهِ وَثَقُلَ صَاحِبُهُ. وَلِلْعِتَابِ
طُرُقٌ كَثِيرَةٌ وَالنَّاسُ فِيهِ ضُرُوبٌ مُخْتَلِفَةٌ فَقَدْ مَا يَمَارِجُهُ الْإِسْتِعْطَافُ

وَالْإِسْتِثْلَافُ وَمِنْهُ مَا يَدْخُلُهُ الْإِخْتِجَاعُ وَالْإِتِّصَافُ . وَقَدْ يَفْرَضُ
فِيهِ الْاِتْنُ وَالْإِنْجَافُ . مِثْلَ مَا يَشْرُكُهُ الْإِعْتِدَارُ وَالْإِعْتِرَافُ . وَأَحْسَنُ
النَّاسِ طَرِيقًا فِي عِتَابِ الْأَشْرَافِ شَيْخُ الصَّنَاعَةِ وَسَيِّدُ الْجَمَاعَةِ أَبُو
عِبَادَةَ الْجُبَيْرِيُّ الَّذِي يَقُولُ :

يُرِيدُنِي الشَّيْءُ تَأْتِي بِهِ	وَأَكْبَرُ قَدْرَكَ أَنْ أَسْتَرِيَا
وَأَصْرَهُ أَنْ أَمَادَى عَلَى	سَبِيلِ اعْتِدَارٍ قَالَتْ شُعْبَا
أَكْذَبُ ظَنِّي بِأَنْ قَدْ سَخَطْتُ	وَمَا كُنْتُ أَعْدُ ظَنِّي كَذُوبًا
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ سَاقِطًا لَمْ أَكُنْ	أَذْمُ الزَّمَانِ وَأَشْكُو الْخُطُوبَا
وَلَا بُدَّ مِنْ لَوْمَةٍ أَنْتَ بِي	عَلَيْكَ بِهَا مُحْطًا أَوْ مُصِيَا
أَيُضِجُ وَرَدِي فِي سَاحَتِكَ	طَرَفًا وَمَرْعَايَ مَحَلًّا جَدِيَا
فَنِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا مَوْقِفٌ	يُشَقُّ فِيهِ الْوَدَاعُ الْجُيُوبَا
وَالَّذِي يَقُولُ :	

وَأَعِيدَ إِنْ نَازَعْتَهُ الْخَطَّ رَدَّهُ	كَأَيْلًا وَإِنْ رَاجَعْتَهُ الْقَوْلَ جَجَمَا
ثَنَاهُ الْعِدَا عَنِّي فَأَصْبَحَ مُعْرِضًا	وَأَوْهَمَهُ الْوَأَشُونَ حَقِّي تَوَهَّمَا
وَقَدْ كَانَ سَهْلًا وَاضِحًا فَتَوَعَّرَتْ	رُبَاهُ وَطَلَقًا ضَاحِكًا فَجَهَّمَا
يُخَوِّفُنِي مِنْ سُوءِ رَأْيِكَ مَعَشَرٌ	وَلَا خَوْفَ إِلَّا أَنْ تَجُودَ وَظَلَمَا
أَعِيدُكَ أَنْ أَخْشَاكَ مِنْ غَيْرِ حَادِثٍ	

تَبَيَّنَ مِنْ جُرْمِهِ إِلَيْكَ تَقَدَّمَ مَا
أَلَسْتُ أَلُوَالِي فِيكَ فَظَمَ قَصَائِدِ
هِيَ الْأَنْجَمُ أَتَادَتَ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجَمَا

فَهَذَا أَعْتَبُ كَمَا قَالَ :

عَتَابُ بِأَطْرَافِ الْقَوَائِي كَأَنَّهُ طَعَانٌ بِأَطْرَافِ الْقَنَا أَلْتَكْتَبِرُ
وَقَدْ لَحُوتُ أَنَا بَعْضَ هَذَا النَّحْوِ فِي كَلِمَةٍ عَاتَبْتُ بِهَا الْقَاضِيَّ
جَعْفَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيَّ قُلْتُ فِيهَا :

وَقَدْ كُنْتُ لَا آتِي إِلَيْكَ مُحَايِلًا لَدَيْكَ وَلَا أُثْنِي عَلَيْكَ تَصْنَعًا
وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْمَدْحَ فِيكَ فَرِيضَةً عَلَيَّ إِذَا كَانَ الْمَدِيحُ تَطَوُّعًا
فَقَسَمْتُ بِمَا لَا يَجْتُمِعُ عَنْكَ مَكَانُهُ مِنَ الْقَوْلِ حَتَّى ضَاقَ مِثْمًا تَوْسَعًا
إِلَى أَنْ أَقُولَ :

فَوَاللَّهِ مَا طَوَّلْتُ بِاللُّومِ فِيكُمْ لِسَانِي وَلَا عَزَّوْتُ لِلذَّمِّ مِنْمَعًا
أَلُوذُ بِإِكْتِسَافِ الرَّجَاءِ وَأَتَّقِي شَمَاتَ الْعِدَا إِنْ لَمْ أَجِدْ فِيكَ مَطْمَعًا
وَمِنْ مُعَاتَبَاتِ أَبِي تَمَّامٍ قَوْلُهُ لِأَبْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْزَّيَّاتِ :

تَقَطَّعْتَ الْأَنْسَابُ إِنْ لَمْ تُعْرِهَا قُوَى أَوْ يَصِلْهَا مِنْ يَمِينِكَ وَاعْمِلْ
مِثْرَى مَطْلَبٍ يَنْضَى الرَّجَاءُ بِطَوْلِهِ

وَمُخْلِقُ أَخْلَاقِ الْجُلُودِ الْوَسَائِلُ وَقَدْ تَأَلَّفُ الْعَيْنُ الدُّخَى وَهُوَ قَيْدُهَا

وَيُرْجَى شِفَاءُ السَّهْمِ وَالسَّمُّ قَاتِلُ إِلَى قَوْلِهِ :

وَأَنَّ أَلْمَالِي يُسَدِّمُ بِذَاوِهَا وَشَيْكََا كَمَا قَدْ تُسَدِّمُ أَلْمَازِلُ
مَتَحَنِّكُهَا تُشْنِي لُجْوَى وَهُوَ لَا عِجْ وَتَبَعْتُ أَشْجَانَ الْفَتَى وَهُوَ ذَاهِلُ

تُرْدُ قَوَائِمَهَا إِذَا هِيَ أُرْسِلَتْ هَوَامِلُ مَجْدِ الْقَوْمِ وَهِيَ هَوَامِلُ
فَكَيْفَ إِذَا حَلَّتْهَا بِحَانِيهَا تَكُونُ وَهَذَا حُسْنُهَا وَهِيَ عَاطِلُ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ لِأَبِي الصَّغِيرِ يُعَاتِبُهُ فِي قَصِيدَةٍ جَدِيدَةٍ:
عَذْرُكَ لَوْ كَانَتْ سَمَا تَقَشَّعَتْ سَحَابَتُهَا أَوْ كَانَ رَوْضًا تَصَوَّحَا
فَيَا لَكَ بَجْرًا لَمْ أَجِدْ فِيهِ مَشْرَعًا وَإِنْ كَانَ غَيْرِي وَاجِدًا فِيهِ مَسْجَعًا
مَدِينِي عَصَا مُوسَى وَذَلِكَ أَنِّي صَرَبْتُ بِهِ نَجْرَ أَلْدَى فَتَضَخَّعَا
إِلَى أَنْ يَقُولَ:

سَامِدُ بَعْضِ الْبَاخِلِينَ لَمَلَهُ إِذَا اطَّرَدَ الْإِقْيَاسُ أَنْ يَلْتَسَحَا
فَهَذَا هُوَ الَّذِي لَا يُبْلَغُ جُودَةٌ وَلَا يُجَارَى سَبْقًا. عَلَى أَنَّ
الْجُثْرِيَّ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَى بَعْضِ الْمُتَنَبِّئِينَ فِي قَوْلِهِ لِلشَّحْمِ بْنِ خَاقَانَ:
تَعَامُ خَطَا فِي صَوْبِهِ وَهُوَ مُسْبِلٌ وَبَجْرٌ عَدَا فِي قَيْضِهِ وَهُوَ مُنْعِمٌ
وَبَدْرٌ أَضَاءَ الْأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعُ رَحْلِي وَمِثْلُ أَسْوَدُ أَقْمٌ
وَمَا يَجْلُ الْفَتَحُ بْنُ خَاقَانَ بِأَلْدَى وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ تُعْطِي وَتَحْرُمُ
فَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ فَكَانَتْ فِي طَبْعِهِ غِلْظَةٌ وَفِي عِتَابِهِ شِدَّةٌ
وَكَانَ كَثِيرَ الْحَاكَمِ ظَاهِرَ الْكِبَرِ وَالْأَنَفَةِ وَمَا ظَنُّكَ بِعَنْ يَقُولُ
لِسَيْفِ الدَّوَلَةِ:

يَا أَعْدَا النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي فَيْكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكَمُ
أَعِيدُهَا ظَرَائِمُكَ مِنْكَ صَادِقَةٌ أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمُ فِي مَنْ يُحْمُهُ وَرَمُ
وَمَا أَتِفَاعُ أَخِي أَلْدَى بِأَنْظَرِهِ إِذَا أَسْتَوَتْ عِندَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
وَفِيهَا يَقُولُ:

إِذَا رَأَيْتَ ثُيُوبَ اللَّيْلِ بَارِدَةً فَلَا تَطْلُنَّ أَنَّ اللَّيْلَ مُبْتِمٍ
 هَذَا الْكَلَامُ فِي نَهْيَةِ الْجُودَةِ غَيْرَ أَنَّهُ مِنْ جِهَةِ الْوَاجِبِ
 وَالنِّيَاسَةِ غَايَةً فِي الْقُنْجِ وَالرَّدَاءَةِ وَإِنَّا عَرَضَ بِقَوْمٍ يَنْتَقِصُونَ
 عِنْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَيُعَارِضُونَ فِي أَشْعَارِهِ . وَالْإِشَادَةُ سُلْطَانًا إِلَى
 سَيْفِ الدَّوْلَةِ . ثُمَّ قَالَ بَعْدَ آيَاتٍ :

يَا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُ وَجَدْنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ
 مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِكَرَمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمٌّ
 وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةً إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّحْيِ ذِمٌّ
 كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيُغَيِّرُكُمْ وَاللَّهُ يَكْرَهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ
 مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ مِنْ شَرِّ فِي

أَنَا الْفُرْيَا وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ
 وَلَيْسَ هَذَا عِتَابًا لِكُنْهُ سَبَابٍ وَيَسَبُّ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ كَادَ
 يُقْتَلُ بَعْدَ أَنْصَرَفِهِ مِنْ مَجْلِسِ انْشَادِهَا . وَأَمَّا عِتَابُ الْأَصْفَاءِ
 وَأَهْلِ الْمَوَدَّاتِ مِنَ الظُّرَفَاءِ فَهُوَ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبَّاسٍ الصَّوَلِي
 يُعَاتِبُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّيَّاتِ وَقَدْ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ كَمَا وَرَدَ :
 وَكُنْتَ أَخِي بِأَخَاءِ الزَّمَانِ فَلَمَّا نَبَا صِرْتَ حَرْبًا عَوَانَا
 وَكُنْتُ أَذَمُّ إِلَيْكَ الزَّمَانِ فَاصْبَحْتُ فِيكَ أَذَمُّ الزَّمَانِ
 وَكُنْتُ أَعْدُكَ لِلنَّائِيَاتِ فَهَا أَنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الْإِيمَانَا
 وَهَذَا عِنْدِي مِنْ أَشَدِّ الْعِتَابِ وَأَوْجَعِهِ . وَمِنْ أَكْرَمِ الْعِتَابِ
 قَوْلُ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ :

وَأَيُّ لَأْطَرِي كُلِّ خَلٍّ صَحِيحُهُ وَأَنْتَ تَرَى سَنِيَّ بَعْدَ حَيَاءٍ
وَمِنْ مَلِجٍ مَا سَمِعْتُ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ يُعَاتِبُ صَدِيقًا
لَهُ :

أَقْلَبُ عِتَابَكَ قَالِقَاءَ قَلِيلٍ وَالْدَّهْرُ يَعْدِلُ مَرَّةً وَيَمِيلُ
لَمْ أَبْكُ مِنْ دَمْعٍ دُمْتُ صُرُوفُهُ إِلَّا بَكَيْتَ عَلَيْكَ حِينَ يَزُولُ
وَلِكُلِّ نَائِبَةٍ آتَتْ مُدَّةٌ وَلِكُلِّ حَالٍ أَقْبَلَتْ تَحْوِيلُ
وَلَمَّا تَوَلَّوْا إِلَى الْإِخَاءِ عَصَابَةٌ إِنْ حَصَلُوا أَفْنَاهُمْ التَّخْصِيلُ
وَلَعَلَّ أَحْدَاثَ الْاَلْنِيَّةِ وَالرَّدَى يَوْمًا سَتَصْدَعُ بَيْنَنَا وَتَحُولُ
فَلَمَّا سَبَقْتُ لَتُكَبَّنَ بِحُجْرَةٍ وَلَيْسَ كَثُورٌ عَلَيَّ مِنْكَ عَوِيلُ
وَتَتَجَمَّنُ بِمُخْلَصٍ لَكَ وَابِقٍ حَبْلُ الْوَفَاءِ بِجَبَلِهِ مَوْضُولُ
وَلَمَّا سَبَقْتُ وَلَا سَبَقْتُ لِمَضِيٍّ مَنْ لَا يُشَاكِلُهُ لَدَيَّ خَلِيلُ
وَلَمَّا هَبَّتْ بِهِاءُ كُلِّ مُرُوءَةٍ وَلَقِيقَدَنَّ جَمَاهَا الْجَهْمُولُ
وَأَرَاكَ تَكْلَفُ بِالْعِتَابِ وَوُدَّ نَا صَافٍ عَلَيْهِ مِنَ الْوَفَاءِ دَلِيلُ
وَدَّ بَدَا لَذَوِي الْإِخَاءِ كَمَا هُ وَبَدَتْ عَلَيْهِ بِهَجَةٍ وَقَبُولُ
وَلَعَلَّ أَيَّامَ الْإِخَاءِ قَصِيرَةٌ فَعَلَامَ يَكْثُرُ عَتَبُنَا وَيَطُولُ
وَأَيُّ هُنَا أَوْ مَا أَبُو الطَّيِّبِ يَقُولُ :

دَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَسَعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا فَفَرَّقَ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعَمْرُ
وَأَشَارَ إِلَيْهِ أَيْضًا يَقُولُ وَارْدَتْ أَلْبَيْتَ الْآخِرَةِ :
وَصَلِيًّا فَصْلِكَ فِي هَذِهِ الدُّ : يَا فَإِنَّ الْقَلَامَ فِيهَا قَلِيلُ
وَأَجْمَعُ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ فَلَا تَكُنْ مُجَنِّبًا

أَنَّ الصُّدُودَ هُوَ الْفِرَاقُ الْأَوَّلُ
حَسْبُ الْأَجَبَةِ أَنْ يَفْرَقَ بَيْنَهُمْ رَيْبُ الْتَمُونِ فَمَا لَنَا نَسْتَحْجِلُ
إِلَّا أَنْ آتَيْنَ حَمِيدٍ قَدْ فَتَنَ وَبَيَّنَ وَشَرَحَ مَا أَجْمَلَ غَيْرُهُ بِقَوْلِهِ:
لَيْنَ سَبَقْتُ أَنَا وَلَيْنَ سَبَقْتَ أَنْتَ وَلَا سَبَقْتُ فَلَهُ بِذَلِكَ فَضْلٌ بَيْنُ
الرُّجْحَانِ ظَاهِرٌ. وَمَا أَحْسَنَ إِيحَارَ الَّذِي قَالَ:
الْعُمُرُ أَقْصَرُ مُدَّةٍ مِنْ أَنْ يُعْتَقَى بِالْعِتَابِ
وَقَالَ أَبُو الْخَدَّثَيْنِ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ:

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقِ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ

البحث الثامن

في الوعيد والانذار

(من الكتاب نفسه)

كَانَ الْعُقَلَاءُ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَذَوُو الْحَزَمِ يَتَوَعَّدُونَ بِالْهَجَاءِ
وَيَحْذَرُونَ مِنْ سُوءِ الْأَحْدُوثِ وَلَا يُخْضُونَ الْقَوْلَ إِلَّا اضْطِرَّةً حِينَ
لَا يَخْشَنُ السُّكُوتُ. قَالَ آتَمُ الْمُعَلِّينِ:

بَنِي عَامِرٍ مَا تَأْمُرُونَ لِشَاعِرٍ تَحِيدَ آيَاتِ الْكِتَابِ هَجَائِيَا
أَغْفُوا كَمَا يَغْفُو الْكَرِيمُ فَإِنِّي أَرَى الشَّعْبَ فِيمَا بَيْنَنَا مُتَدَانِيَا
أَغْضُ بَيْنَ الْفَحْمِ وَالْجِلْدِ غَمَضَةً بِبَرْدِ رُومِي يَغْطِ الْوَأَصِيَا
فَأَمَّا سُرَاقَاتُ الْهَجَاءِ فَلَانَهَا كَلَامُ تَهَادَاهُ اللَّتَامُ تَهَادِيَا

وَعَيْدِي الدَّهْمُ لَوْ أُحِلَّ عَقَالُهَا فَتَضَجَّ لَمْ تَعْدَمِ مِنَ الْحَيْنِ حَادِيَا
 شَبَّ لِسَانُهُ يَبْدُو رُوحِي لِضَاهٍ وَشَبَّ الْقَصِيدَةُ أَلَّتِي لَوْ شَاءَ
 هِجَاءُ هُمْ بِهَا بِالدَّهْمِ وَهُوَ الدَّاهِيَةُ. وَأَعْلُ ذَلِكَ أَنَّ الدَّهْمَ نَاقَةُ عَمْرُو بْنِ
 زَبَانَ الثَّعْلَبِيِّ أَلَّتِي حَمَلَتْ رُؤُوسَ بَنِيهِ مُعَلَّقَةً فِي عُنُقِهَا فَجَاءَتْ بِهَا أَلْحِي
 فَضَرَبَ بِهَا أَلْمَثْلُ لِلدَّاهِيَةِ. وَقَالَ جَرِيرٌ لَبَنِي خَنِيفَةَ وَكَانَ مِثْلَهُمْ
 مَعَ الْقَرَزْدَقِ عَلَيْهِ :

أَبْنِي خَنِيفَةَ حَكِمُوا سُفَهَاكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا
 قَوْلُهُ حَكِمُوا أَيِ كُفُّوا. وَقَالَ لَتَيْمِ الرَّبَّابِ رَهْطِ عَمْرُو بْنِ لَجَا :
 يَا تَيْمَ تَيْمَ عَيْدِي لَا أَبَا لَكُمْ لَا يُفَيْسُكُمْ فِي سَوَاءٍ عَمْرُ
 وَمِمَّا قُلْتُهُ فِي هَذَا الْبَابِ :

يَا مُرْجِي شَتَا عَلَى أَنَّهُ لَوْ تَرَكْتُ الْبَرْغُوثَ مَا أَوْجَعَا
 كُلُّهُ لَهْ مِنْ نَفْسِهِ آفَةٌ وَآفَةُ الْخَلْقِ أَنْ تَلْسَعَا

البحث التاسع

في الهجاء

(من الكتاب نفسه)

يُرْوَى عَنْ أَبِي عَمْرُو بْنِ الْعَلَاءِ أَنَّهُ قَالَ : خَيْرُ الْهَجَاءِ مَا تُنْشِدُهُ
 الْعَذْرَاءُ فِي خِدْرِهَا فَلَا يَتَّبِعُ بِمِثْلِهَا نَحْوَ قَوْلِ جَرِيرٍ :
 لَوْ أَنَّ ثَعْلَبَ جَمَّتْ أَحْسَابُهَا يَوْمَ التَّفَاخُرِ لَمْ تَرَنْ مِثْقَالَ
 وَقَوْلِ الْآخَرِ :

فَقَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُسَيْرٍ فَلَا كُفَا بَأَقْتٍ وَلَا كِلَابًا
وَلَمَّا أَطْلَقَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْخَطِيْبَةَ مِنْ حَبْسِهِ إِيَّاهُ بِسَبَبِ
هِجَاؤِهِ أَلْزَمَ بَرْقَانَ قَالَهُ: تَدْعُ الْهَجَاءَ الْمُقْدِعَ. قَالَ: وَمَا الْهَجَاءُ الْمُقْدِعُ.
قَالَ: الْمُقْدِعُ أَنْ تَقُولَ هُوَلَاءَ أَفْضَلُ مِنْ هُوَلَاءَ وَأَشْرَفُ وَتَبْنِي
شِعْرًا عَلَى مَدْحِ لِقَوْمٍ وَذَمٍّ لِبَنِي يَمَادِيهِمْ. قَالَ: أَنْتَ وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ مِنِّي بِمَذَاهِبِ الشِّعْرِ لَكِنِّي حَبَانِي هُوَلَاءَ قَدْ خُتِمُ
وَحَرَمَنِي هُوَلَاءَ قَدْ كَرْتُ حِرْمَانَهُمْ وَلَمْ أَنْلِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ شَيْئًا
وَصَرَفْتُ مَدْحِي إِلَى مَنْ أَرَادَهُ وَرَغِبْتُ بِهِ عَلَى مَنْ كَرِهَهُ وَزَهَّدَ
فِيهِ. يُرِيدُ قَصِيدَتَهُ الْمَهْمُودَةَ وَهِيَ أَخْبَثُ مَا صَنَعَ وَفِيهَا أَوْ مِنْ أَجْلِهَا
قَالَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ: أَشَدُّ الْهَجَاءِ أَعْنَهُ وَأَصْدَقُهُ. وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى:
مَا عَفَّ لَفْظُهُ وَصَدَقَ مَعْنَاهُ. وَمِنْ كَلَامِ صَاحِبِ أَلْوَسَاطَةِ: فَأَمَّا
الْهَجْوُ فَأَبْلَغُهُ مَا قَرُبَتْ مَعَانِيهِ وَسَهَّلَ حِفْظُهُ وَاسْرَعَ عُلوُّهُ
بِالْقَلْبِ وَلِصَوْفِهِ بِالنَّفْسِ فَأَمَّا الْقَذْفُ وَالْفُحْشُ فَبَابُ مُحَضٍّ وَلَيْسَ
لِلشَّاعِرِ فِيهِ إِلَّا أَقْلَمَةُ الْوِزْنِ. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَهُ صَاحِبُ
أَلْوَسَاطَةِ وَحُسْنِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ إِعْجَابُ الْخُدَّائِ مِنَ الْعُلَمَاءِ
وَفُرْسَانِ الْكَلَامِ بِقَوْلِ زُهَيْرٍ فِي تَشْكِكِهِ وَتَهْزِيلِهِ وَتَجَاهُلِهِ فِيمَا
يَعْلَمُ:

وَمَا أَذْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَذْرِي أَقَوْمُ آلِ حِضْرٍ أَمْ نِسَاءُ
فَإِنْ هَذَا عِنْدَهُمْ مِنْ أَشَدِّ الْهَجَاءِ وَأَمْضِهِ. وَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيبَةُ بَعْدَ
وَقْعَةِ حُسَا سَأَلَ بَنِي دِيَّانَ مَا قُلْتُمْ لِأَمِيرِ بْنِ الطُّفَيْلِ وَمَا قَالَ

لَكُمْ . فَأَنشَدُوهُ . فَقَالَ : أَنَحْشُثُمْ عَلَى الرَّجُلِ وَهُوَ شَرِيفٌ لَا يُقَالُ
لَهُ مِثْلُ هَذَا وَلَكِنِّي سَأَقُولُ ثُمَّ قَالَ :

فَإِنْ يَكُ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلًا فَإِنَّ مَظِنَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ (١)

فَلَمَّا بَلَغَ عَامِرًا قَوْلُ النَّابِغَةِ شَقَّ عَلَيْهِ وَقَالَ جَعَلَنِي الْقَوْمُ رَئِيسًا
وَجَعَلَنِي النَّابِغَةُ سَفِيهَا جَاهِلًا وَتَهَكَّمَ بِي . وَرَوَى أَنْ شَاعِرًا مَدَحَ
الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ فَأَجَزَلَ مَطِيئَتَهُ فَلَمَّ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ : أَتَرَوْنِي خِفْتُ
أَنْ يَقُولَ : لَسْتُ أَبْنَى قَاطِئَةً وَلَا أَبْنَى عَلِيٍّ . وَلَكِنْ خِفْتُ أَنْ يَقُولَ :
لَسْتُ كَالرُّسُولِ وَلَسْتُ كَعَلِيٍّ . فَيَصُدُّ وَيُحْمَلُ عَنْهُ وَيَبْقَى مُحْمَلًا فِي
الْكِتَابِ مُحْفُوظًا عَلَى السِّنَةِ الرُّوَاةِ . فَقَالَ الشَّاعِرُ : أَنْتَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَنِّي بِالْمَدْحِ . وَقَدْ وَقَعَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ بِبَعْضِ مَا قَالَ فِيهِ أَبُو
عَاصِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ حُمْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ الْمَدَنِيُّ :

لَهُ حَقٌّ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ وَنَهْمًا قَالَ فَالْحَسَنُ الْجَمِيلُ
وَجَمِيعُ الشُّعْرَاءِ يَرَوْنَ قَصْرَ الْهَجَاءِ أَجْوَدَ وَتَرَكَ الْفُحْشَ أَصَوَّبَ
الْأَجْرِيًّا فَأَنَّهُ قَالَ لِنَبِيهِ : إِذَا مَدَحْتُمْ فَلَا تُطِيلُوا وَإِذَا هَجَوْتُمْ
فَخَالِفُوا . وَأَنَا أَرَى التَّنْغِيزَ أَهْجَى مِنَ التَّصْرِيحِ لِإِتْسَاعِ الظَّنِّ فِي
التَّنْغِيزِ وَشِدَّةِ قَلْقِ النَّفْسِ بِهِ وَالتَّجَنُّبِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَطَلَبِ حَقِيقَتِهِ
فَإِذَا كَانَ الْهَجْوُ تَصْرِيحًا أَحَاطَتْ بِهِ النَّفْسُ عِلْمًا وَقَلَّتْهُ يَقِينًا فِي أَوَّلِ
وَهْلَةٍ وَكَانَ كُلُّ يَوْمٍ فِي نَقْصٍ لِنِسْبَانٍ أَوْ مَلَلٍ يَعْزُضُ . وَهَذَا الْمُنْتَقَبُ
الصَّحِيحُ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَعْجُزُ ذَا قَدَرٍ فِي نَفْسِهِ وَحَسَنِهِ . فَأَمَّا

(١) انظر تسمية هذه القصيدة في ترجمة النابغة من كتاب شعراء النصارية

إِنْ كَانَ يُمْنُ لَا يُوقِظُهُ التَّلَوُّجُ وَلَا يُؤْمِلُهُ إِلَّا التَّصْرِيحُ فَذَلِكَ .
 وَلِهَذَا أَلِمَهُ اخْتَلَفَ هِجَاءُ أَبِي نُوَّاسٍ وَكَذَلِكَ هِجَاءُ أَبِي الطَّيِّبِ فِيهِ
 اخْتِلَافٌ لِاخْتِلَافِ مَرَاتِبِ الْمُهْجُومِينَ فَمِنْ التَّفْصِيلِ فِي الْهِجَاءِ قَوْلُ
 رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرَّقِّي :

لَشَتَانُ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى يَرِيدُ سُلَيْمٍ وَالْأَعَزَّ بْنَ حَاتِمِ
 فَهَمْ أَلْقَى الْقَيْسِيَّ انْكَافُ مَالِهِ وَهُمْ أَلْقَى الْقَيْسِيَّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
 فَلَا يَحْسِبُ الشُّنَامُ أَبِي هَجُوتَهُ وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْكَادِمِ
 وَمِنْ الْأَخْصَارِ وَالْإِسْتِحْفَافِ قَوْلُ زَيْدِ الْأَعْمَى :

قُمْ صَافِرًا يَا شَيْخَ جُرْمٍ فَإِنَّا يُقَالُ لَشَيْخٍ الصَّدَقُ قُمْ غَيْرَ صَافِرٍ
 فَنَ أَنْتُمْ إِنَّا نَسِيْنَا مِنْ أَنْتُمْ وَرِيحُكُمْ مِنْ أَيِّ رِيحٍ الْأَعَاصِرِ
 أَنْتُمْ أَوْلَى جِثْمٍ مَعَ الرِّيحِ وَالْأَدْبَا فَطَارَ وَهَذَا شَيْخُكُمْ غَيْرُ طَائِرٍ
 قَضَى اللَّهُ خَلْقَ النَّاسِ ثُمَّ خُلِقْتُمْ بَقِيَّةَ خَلْقِ اللَّهِ آخِرَ آخِرِ
 فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا بَيْنَ كَانَ قَبْلَكُمْ

وَلَمْ تُذَرِكُوا إِلَّا مَدَقَّ الْحَوَافِرِ

أَخَذَ مِنْهُ الطَّرِمَاحُ هَذَا أَلْمَعَى فَقَالَ :

وَمَا خُلِقْتَ تَمَّ وَعَبْدُ مَنْائِيَا وَضَّةُ إِلَّا بَعْدَ خَلْقِ الْقَبَائِلِ
 وَنَ الْأَخْتِقَارِ قَوْلُ جَرِيرٍ فِي تَمَّ :
 وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَنْصِبُ تَمَّ وَلَا يُسْتَأْذَنُونَ وَهُمْ شُهُودُ
 وَإِنَّكَ لَوَ رَأَيْتَ عَيْدَ تَمَّ وَيَمَّا قُلْتَ أَيُّهَا الْيَسِيدُ
 وَمِنْ مَلِجِ التَّمِّ قَوْلُ أَبِي هَفَّانَ :

سُلَيْمَانُ مَيُونُ النَّعِيَّةِ حَازِمٌ
وَفِيهِ يَقُولُ ابْنُ الرُّومِيَّةِ :

قَرَنَ سُلَيْمَانَ قَدْ أَضَرَّ بِهِ
كَمْ يَبْعِدُ الْقَرْنَ بِاللِّقَاءِ وَكَمْ
شَوْقٌ إِلَى وَجْهِهِ سَيَلْفُهُ
يَكْذِبُ فِي وَعْدِهِ وَيُخْلِفُهُ

أَخَذَ مَعْنَى الْبَيْتِ الْأَخِيرِ مِنْ قَوْلِ الْحَارِجِيِّ وَقَدْ قَالَ لَهُ
الْمَنْصُورُ : أَيُّ أَصْحَابِي كَانَ أَشَدَّ إِقْدَامًا فِي مُبَارَزَتِكُمْ فَقَالَ : مَا
أَعْرِفُ وَجُوهَهُمْ وَلَكِنْ أَعْرِفُ أَقْفَاءَهُمْ . وَأَجُودُ فِي الْهَجَاءِ أَنْ
يَسْلُبَ الْإِنْسَانُ الْقَضَائِلَ النَّفْسِيَّةَ وَمَا تَرَكَبَ مِنْ بَعْضِهَا . فَأَمَّا مَا
كَانَ فِي الْخَلْقِ الْخِلْمَانِيَّةِ مِنَ الْعَلَائِبِ فَإِنَّ الْهَجَاءَ بِهِ دُونَ مَا تَقَدَّمَ
وَقُدَّامَهُ لَا يَرَاهُ هَجُورًا الْبَتَّةَ وَكَذَلِكَ مَا جَاءَ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَهْلَاتِ مِنْ
النَّفْصِ وَالنَّسَادِ لَا يَكُونُ عَيْنًا وَلَا يُعَدُّ الْهَجَاءُ بِهِ صَوَابًا وَكَانَ
النَّايَةُ الْجَعْدِيُّ يَقُولُ إِنِّي وَأَوْسًا لَنَبْتَسِدِرُ بَابًا مِنْ الْهَجَاءِ فَمَنْ غَلَبَ
مَنَا إِلَيْهِ غَلَبَ صَاحِبُهُ فَلَمَّا قَالَ أَوْسُ بْنُ مَفْرَاءَ :

لَعَنَكَ مَا تُبْلَى سَرَائِلُ عَامِرٍ مِنْ الْأَوْمِ مَا دَامَتْ عَلَيْهَا جُلُودُهَا
قَالَ النَّايَةُ : هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي كُنَّا نَبْتَدِرُهُ . وَالَّذِي أَرَاهُ عَلَى
كُلِّ حَالٍ أَنَّ أَشَدَّ الْهَجَاءِ مَا أَصَابَ الْقَرَضُ وَوَقَعَ عَلَى الثُّكْتِ وَهُوَ
كَمَا قَالَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ بَعِينُهُ



البحث العاشر

في الاعتذار

(من الكتاب نفوس)

وَيَبْغِي الشَّاعِرُ أَنْ لَا يَقُولَ شَيْئًا يَحْتَاجُ أَنْ يَتَعَذَّرَ مِنْهُ فَإِنْ
اضْطَرَّهُ الْقُدَارُ إِلَى ذَلِكَ وَأَوْقَعَهُ فِيهِ الْقَضَاءُ فَلْيَذْهَبْ مَذْهَبًا طَيِّبًا
وَلْيَقْصِدْ مَقْصِدًا عَجِيبًا وَلْيَعْرِفْ كَيْفَ يَأْخُذُ قَلْبَ الْمُتَعَذِّرِ إِلَيْهِ مِنْ
بَابِ الْإِحْتِجَاجِ. وَأَقَامَةِ الدَّلِيلِ لَا يَسِيئًا مَعَ الْمُلُوكِ وَذَوِي السُّلْطَانِ
وَحَمَّةُ أَنْ يُطِيفَ بِرُهَانِهِ مُدْرَجًا فِي التَّضَرُّعِ. وَالْدُّخُولِ تَحْتَ عَفْوِ
الْمُلُوكِ وَاعَادَةِ النَّظَرِ فِي الْكُشْفِ عَنْ كَذِبِ النَّاقِلِ وَالْحَاسِدِ قَامًا
مَعَ الْإِخْوَانِ قِتْلِكَ طَرِيقَهُ أُخْرَى وَقَدْ أَحْسَنَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَصْبَهَانِيُّ
حَيْثُ يَقُولُ :

وَقَدْ أَسَأْتُ فَبِالْتَّعَمُّي الَّتِي سَلَقْتُ إِلَّا مَنَنْتَ بِعَفْوِ مَا لَهُ سَبَبُ
وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ لِلْمَأْمُونِ مِنْ آيَاتٍ يَقْتَضِرُ إِلَيْهِ :
اللَّهُ يَطْلُمُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهَا جَهْدُ الْآلِيَةِ مِنْ مُقَرَّرٍ خَاضِعٍ
مَا إِنْ عَصَيْتُكَ وَالْقِرَاةُ تُبَدِّلُنِي أَسْبَابُهَا إِلَّا بِنَيْتِ طَالِعٍ
وَقَدْ سَلَكَ أَبُو عَلِيٍّ الْبَجِيدُ مَذْهَبَ الْحُجَّةِ وَأَقَامَةَ الدَّلِيلِ بَعْدَ
ارْتِكَابِ الْخِلَايَةِ فَقَالَ :

لَمْ أَجْنِ ذَنْبًا فَإِنْ زَعَمْتَ بِأَنْ جَنَيْتُ ذَنْبًا فَقِيرٌ مَعْتَبِدٌ
نَحَوْتُ هَذَا النُّحْوَ قُلْتُ :

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ أَبَا جَعْفَرٍ دَعَاةٌ يَثُ عَلَى نَارِهَا

وَأِنْ تَأَذَّيْتُ قِيَارُبًا تَأَذَّتِ الْعَيْنُ بِأَشْفَارِهَا

وَأَجَلُ مَا وَقَعَ فِي الْأَعْتِدَارِ مِنْ شَهُورَاتِ الْعَرَبِ قَصَائِدُ النَّابِغَةِ

الْثَّلَاثُ إِحْدَاهُنَّ «يَا دَارَ مَيَّةَ بِاللَّيَاءِ بِالسَّنَدِ» يَقُولُ فِيهَا:

فَلَا لَعْنُ الَّذِي مَسَّحَتْ كَعْبَتَهُ وَنَاهَرِيْقَ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ

وَالْمُؤْمِنِ الْعَانِدَاتِ الطَّيْرِ تَنْسَحُهَا وَكَبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْفِيلِ وَالسَّعْدِ

مَا قُلْتُ مِنْ سَيِّءٍ بِمَا آتَيْتَ بِهِ إِذَا فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَى يَدِي

إِلَّا مَقَالَةَ أَقْوَامٍ شَقِيَتْ بِهَا كَانَتْ مَقَالَتُهُمْ قَرَعًا عَلَى الْكَيْدِ

أَنْتِ أَنْ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى ذَاكِ مِنَ الْأَسَدِ

وَالثَّانِيَّةُ (أَرْسًا جَدِيدًا مِنْ سَعَادَ تَجَنَّبُ) يَقُولُ فِيهَا مُعْتَذِرًا

مِنْ مَذْحِرِ آلِ جَفَّةَ وَنُحَجَّجًا بِأَخْسَانِهِمْ إِلَيْهِ:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

لَئِنْ كُنْتُ قَدْ بُلِغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لَمَلِغَكَ الْوَأَيْشِي أَغْشُ وَأَكْذِبُ

وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا لِي جَانِبُ مِنْ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَدَادٌ وَمَنْهَبُ

مُلُوكُ وَإِخْوَانُ إِذَا مَا آتَيْتُهُمْ أَحْكَمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ

كَفْعِكَ فِي قَوْمِ أَرْهَافِكَ أَطْطَنْعُهُمْ فَلَمْ تَرَهُمْ فِي شُكْرِ ذَلِكَ أَذْنُبُوا

فَلَا تَذَرُكُنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنِّي إِلَى النَّاسِ طَلِبِي بِهِ الْقَلَارُ أَجْرَبُ

لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَالِكَ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ

بِأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهَا كَوَاكِبُ

وَالثَّالِثَةُ (عَفَا ذُو حُسَى مِنْ قَوْمِنَا فَالْقَوَارِعُ) يَقُولُ فِيهَا بَعْدَ

قَسَمَ قَدَمُهُ عَلَى عَادَةٍ :

لَكَلَّفْتَنِي ذَنْبَ أَمْرِي وَتَرَكْتَنِي كَذِي الْعَرِ يُكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعُ
فَلَنْ كُنْتُ لَا ذُو الصُّغْرِ عَنِّي مُكَدِّبُ

وَلَا حَلْفِي عَلَى الْبَرَاءَةِ نَافِعُ
وَلَا أَنَا مَأْمُونُ بِشَيْءٍ أَقُولُهُ وَأَنْتَ بِأَمْرِ لَا مَحَالَةَ وَاقِعُ
فَأَنْتَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ أَلْتَمَتْنِي عَنْكَ وَاسِعُ
وَقَدْ عَلِقَ بِهَذَا أَلْفَنِي جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ سَلَمُ الْخَاسِرُ
يَتَذَرُ إِلَى الْإِهْدِي :

إِنِّي أَعُوذُ بِخَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَأَنْتَ ذَاكَ بَلَا ثَاقِي وَتَجَنَّبُ
وَأَنْتَ كَالدَّهْرِ مَبْنُوتًا حَبَائِلُهُ وَالْدَّهْرُ لَا مَلْجَأَ مِنْهُ وَلَا هَرَبُ
وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

وَإِنِّي وَإِنْ حَدَّثْتُ نَفْسِي بِأَنْتِي أَفْوَتْكَ إِنْ أَلْزَمْتَنِي لَعَازِبُ
وَالِي هَذِهِ النَّاجِيَةِ أَشَارَ أَبُو الطَّيِّبِ بِقَوْلِهِ :

وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيَّةٌ قَاعُكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ
غَيْرَ أَنَّهُ حَرَّفَ الْكَلَامَ عَنْ مَوَاضِعِهِ . وَاخْتَارَ الْكَلِمَاءُ بِهَذَا الشَّانِ
قَوْلَ عَلِيٍّ بْنِ جَبَلَةَ :

وَمَا لِأَمْرِي حَادِلَةٌ عَنْكَ مَهْرَبُ وَلَوْ رَفَعْتُهُ فِي السَّمَاءِ لَطَالَعُ
بَلَى هَارِبُ لَا يَتَدَيَّ لِمَكَانِهِ ظِلَامٌ وَلَا ضَوْءٌ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعُ
لِأَنَّهُ قَدْ أَجَادَ مَعَ مُعَارَضَتِهِ الثَّابِتَةَ وَزَادَ عَلَيْهِ ذِكْرَ الضُّمِيرِ
وَإِظْهُهُ أَقْتَدَى بِقَوْلِ الْأَنْسَمِيِّ فِي بَيْتِ الثَّابِتَةِ : لَيْسَ اللَّيْلُ أَوَّلِي

بِهَذَا التَّمْلِيزِ مِنَ الْهَارِ . وَفِي هَذَا الْأَعْرَاضِ كَلَامٌ يَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ
 مِنْ هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَأَفْضَلُ مِنْ هَذَا كَلِمَةُ قَوْلُ
 الْقُرْآنِ : إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
 فَانْفُذُوا . وَوَجَدَ الْفَضْلُ بْنُ يُحْيَى عَلَى أَبِي الْهَوَلِ الْحَمِيرِيِّ فَدَخَلَ
 إِلَيْهِ فَأَنْشَدَهُ :

كَسَابِي وَعَيْدُ الْفَضْلِ ثَوْبًا مِنَ الْبَلِي

وَأِعَادَهُ عُنْدِي الَّذِي مَا لَهُ رَدُّ
 تَجِدُ بِالرِّضَى لَا أَبْتَنِي مِنْكَ غَيْرَهُ وَرَأَيْكَ فِيمَا كُنْتَ عَوَّدْتَنِي بَعْدُ
 فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ عَلَى مَذْهَبِ الْكِتَابِ فِي تَحْرِيرِ الْخَطَابِ : لَا
 أَحْتَسِلُ وَاللَّهِ قَوْلَكَ (وَرَأَيْكَ فِيمَا كُنْتَ عَوَّدْتَنِي بَعْدُ) فَقَالَ أَبُو
 الْهَوَلِ : لَا تَنْظُرْ إِلَى قَصْرِ بَاعِي وَقَلِّهِ تَمِيزِي وَأَفْضَلُ لِي مَا أَنْتَ
 أَهْلُهُ . فَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ جَسِيمٍ وَرَضِيَ عَنْهُ وَقَرَّبَهُ

وَفِي اسْتِغْنَائِي الْأَعْدَاءِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ أَحَدُهَا أَنْ نَكُونَ مِنْ
 الْحَوَارِ كَمَا نَكُنْ مَحْوَتِ آثَارِ الْمَوْجِدَةِ مِنْ قُوهِمِ اعْتَدَرَتِ الْمَنَازِلُ إِذَا
 دَرَسَتْ وَأَنْشَدَ قَوْلَ ابْنِ خُجْرٍ :
 أَوْ كُنْتَ تَعْرِفُ آيَاتٍ فَقَدْ جَعَلْتَ

أَطْلَالُ الْفِكَ بِالْوَدَّكَ . قَشِيرُ
 وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الْإِنْقِطَاعِ كَمَا نَكُنْ قَطَعْتَ الرَّجُلَ عَمَّا أَمْسَكَ
 فِي قَلْبِهِ مِنَ الْمَوْجِدَةِ وَيَقُولُونَ اعْتَدَرَتِ الْيَمَاهُ إِذَا انْقَطَعَتْ :
 وَأَقُولُ الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْخَجَرِ وَالْتَمَعِ . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ

يُكَالُ عَذْرُ الدَّابَّةِ أَيِ جَعَلَتْ لَهَا عِذَارًا يَخْجُزُهَا مِنَ الشَّرَادِ
قَمْنِي أَعْتَدَرُ الرَّجُلُ أَخَجَّزَ وَعَذْرَتُهُ جَعَلَتْ لَهُ حَاجِزًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْعُورَةِ أَوْ الْقَتَبِ وَمِنْهُ تَعَذَّرَ الْأَمْرُ وَأَخَجَّزَ أَنْ يُقْضَى وَمِنْهُ جَارِيَةٌ
عَذْرَاءُ

البحث الحادي عشر

في سيورة الشعر والحظوة في المدح

(من كتاب العملة لابن رشيق)

كَانَ الْأَعشىَ أَسَدَ النَّاسِ شِعْرًا وَأَعْظَمَهُمْ فِيهِ حَظًّا حَتَّى كَادَ
يُنْسِي أَحْكَامَهُ الْمَذْكُورِينَ مَعَهُ وَقَبْلَهُ زُهَيْرٌ وَالتَّائِبَةُ وَأَمْرُوهُ الْقَيْسُ
وَكَانَ جَرِيرٌ بَاقِعَةً سَائِرَ الشِّعْرِ مُظْفَرًا. قَالَ الْأَخْطَلُ لِلْفَرَزْدَقِ وَأَنَا
وَأَلَّهُ أَشْعَرُ مِنْ جَرِيرٍ غَيْرَ أَنَّهُ رُبِّقَ مِنْ سَيُورَةِ الشِّعْرِ مَا لَمْ أُرْزَقْهُ
وَقَدْ قُلْتُ بَيْتًا لَا أَحْسَبُ أَحَدًا قَالَ أَهْجَا مِنْهُ

وَلَيْسَ مِنَ الْعَرَبِ قِيَّةٌ إِلَّا وَقَدْ نِيلَ مِنْهَا وَعُدَّتْ وَهَيَّجَتْ فَحَطَّ
الشِّعْرُ مِنْهُمْ بَعْضًا بِمُؤَافَقَةِ الْحَقِيقَةِ وَمَضَى صَفْحًا عَلَى الْآخَرِينَ لَأَمْ
يُؤَافِقُ الْحَقِيقَةَ وَلَا صَادَفَ مَوْضِعَ الرِّيَّةِ. فَمِنْ الَّذِينَ لَمْ يُحْكَمْ فِيهِمْ هِجَاءُ
إِلَّا قَلِيلًا عَلَى كَثْرَةِ مَا قِيلَ فِيهِمْ تَقِيْمُ بْنُ مُرَّةَ وَبَكْرُ بْنُ وَائِلَ
وَأَسَدُ بْنُ خَزِيمَةَ وَظُرَّادُ هَمٍّ مِنْ قَبَائِلِ الْيَمَنِ. فَأَمَّا مَنْ شَعُّوا بِالْهِجَاءِ
وَمَزَمُوا كُلَّ مُزَمِّي عَلَى تَقْدِيمِهِمْ فِي الشُّجَاعَةِ وَالْفَضْلِ أَحْيَاءُ مِنْ قَيْسِ
تَحَوُّغِي وَبَاهِلَةَ بْنِ أَنْصَرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ غِيلَانَ وَأَسْمُ غَيْيَةَ

عَرُوثُ وَكَانُوا مَوَالِي عَامِرِ بْنِ صَعْمَةَ يَحْمِلُونَ عَلَيْهِمُ الذَّبَاتِ وَالنَّوَابِ
وَنَحْوُ مُحَارِبِ بْنِ خُضَمَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ غِلَانَ وَجَسْرِ بْنِ مُحَارِبِ
وَمِنْ وَلَدِ طَالِحَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ تَمَّ وَعُكْلُ أَبَا عَبْدِ مَنَاءَ
وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّبُّ فِي أَجَاهِلِيَّةٍ فَأَسْتَهَانَتِ الْعَرَبُ بِهِمْ وَأَنْطَحَ الْعَجَّاءُ
فِيهِمْ وَعَدِيُّ بْنُ عَبْدِ مَنَاءَ كَانُوا قَطِينًا لِحَاجِبِ بْنِ ذُرَّادَةَ وَأَرَادَ أَنْ
يَسْتَمْلِكَهُمْ مَلِكٌ رَقِيٍّ بِحِجَلٍ مِنْ قَبْلِ الْتَنْذِيرِ وَالْحِطَّاتِ وَهُمْ وَلَدُ
الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عِمِّمْ وَسُمِّيَ الْحِطُّ لِعَظَمِ بَطْنِهِ شَبَوهُ بِالْحِمْلِ
الْحِطُّ وَهُوَ الَّذِي أَتَشَعَّ بَطْنُهُ مِنْ كَلَامٍ يَسْتَوِيهِ . فَأَمَّا السَّوْلُ فَقَدْ
قَالَ فِيهِمْ أَبُو زَيْدٍ الْكِلَابِيُّ : كِرَامٌ مِنْ كِرَامِ سَعْمَةَ لَمْ يُخَالَفُوا فِي
أَسْرِ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي صَفَارٍ وَإِنَّمَا كَلِمَةُ عَامِرِ بْنِ الطَّقِيلِ هِيَ الَّتِي
شَامَتْهُمْ يُرِيدُ قَوْلَهُ : أَغْدَةَ كَغْدَةِ الْبَعِيرِ وَمَوْتًا فِي بَيْتِ سُلُوبَةٍ .
قُلْتُ أَمَّا عَامِرٌ فَقَدْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ حِينَ دَعَا عَلَيْهِ الرَّسُولُ فَمَا
يَضَعُ يَقُولُ السَّمَوَالِ بْنِ عَادِيَاءَ :

وَأَنَا لَقَوْمٌ لَا تَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَّوْلُ

وَالسَّمَوَالُ فِي زَمَانِ أَمْرِ الْقَيْسِ وَبَيْنَ أَمْرِ الْقَيْسِ
وَمَبْعَثِ الرَّسُولِ مِثَّةً وَارْبَعٍ وَخَمْسُونَ سَنَةً . قَالَ الْحَاجِظُ لَمْ يَمْدَحْ
قَبِيلَهُ فِي أَجَاهِلِيَّةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَمَا مَدَحَتْ تَحْزِيمُ . قَالَ وَكَانَ عَبْدُ
الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ أَخْطَا فِي الشَّعْرِ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ خُلَفَائِهِمْ . وَمَا
أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ نِعْمَةً بَعْدَ وَلَايَةِ اللَّهِ أَكْظَمَ مِنْ أَنْ يَكُونَ
الرَّجُلُ مُمَدِّحًا . قُلْتُ آتَا : أَمَّا هَذِهِ النِّعَةُ فَقَدْ أَحَلَّهَا اللَّهُ مُضَاعَفَةً

عِنْدَ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ وَقَرَنَاهَا مِنْهُ بِالْإِسْتِحْقَاقِ قَعَرَتْ مَقَرَّهَا
وَزَلَتْ مَازِلُهَا الْخُتَارَ لَهَا . وَأَحْيَا اللَّهُ بِهَ لَبَنِي شَيْبَانَ حَمْدًا لَمْ
يَشْبُهُ ذَمٌّ وَجُودٌ لَمْ يُقْبِهِ نَدَمٌ يَمَّا زَادَ عَلَى يَزِيدَ وَلَمْ يَدْعُ لَبَنٍ مَعْنَى
فِي الْجُودِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَلَاءِ تَمْدُوحًا وَفِيهِ يَقُولُ
بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ :

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ إِنْ جِشَهُ نَصِيحًا وَلَا غَيْرَ فِي أَلْتَمِهِمْ
إِذَا أَيْقَطَتْكَ حُرُوبُ الْعِدَا فَتَبَهُ لَهَا عُمَرَاءُ ثُمَّ ثُمَّ ثُمَّ
فَتَى لَا يَبِيتُ عَلَى دِمْنَةٍ وَلَا يَشْرَبُ أَلَاءَ إِلَّا بِدَمٍ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

إِنَّ الظَّالِمَ تَشْتَكِيكَ لِأَنَّهُ قَطَعْتَ إِلَيْكَ سَبَابًا وَرِمَالًا
قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : لَمْ يَدْعُ أَحَدٌ قَطُّ بَنِي كَلْبٍ غَيْرَ
الْخَلِيفَةِ :

لَعَمْرُكَ مَا الْجَاوِزُ فِي كَلْبٍ يُمِصُّ فِي الْحَوَارِ وَلَا مُضَاعَ
وَكَاثَتْ قَنِسٌ تَنْفَخُ عَلَى نَمِيمٍ لِأَنَّ شُعْرَاءَ نَمِيمٍ ضَرْبُ الْمَثَلِ
يَقْبِالُ قَنِسٌ وَرِبَالُهَا . فَأَقَامَتْ نَمِيمٌ دَهْرًا لَا تَرْفَعُ رُؤُوسَهَا حَتَّى
قَالَ لَيْدُ بْنُ رَيْمَةَ :

أَبْنِي كَلْبٍ كَيْفَ تُنْفِىَ جَعْفَرُ وَبَنُو ضَيْمَةَ حَاضِرُوا الْأَجْنَابِ
قَتَلُوا أَبْنَى عُرْوَةَ ثُمَّ لَطَوُا دُرَّةَ حَتَّى يُحَاكِمَهُمْ إِلَى جَوَابِ
يَرْعَوْنَ مُتَحَرِّقَ اللَّذِيدِ كَانَهُمْ فِي الْغَزَى أُسْرَةً حَاجِبٍ وَشِهَابِ
مُظَاهِرُ حَتَّى الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ كَبَنِي زُرَّادَةَ أَوْ بَنِي عَتَابِ

قَوْمٌ لَهُمْ عَرَفَتْ مَعَدُّ فَضْلِهِمْ وَالْفَضْلُ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ
وَقَالَ آئِينَ مِنْظُورِ بْنِ سَيَّارِ الْقَزَّازِيِّ :

فَجَادُوا بِمَجْمَعٍ مُجْزِلٍ كَانَتْهُمْ بَنُو دَارِهِمْ إِذْ كَانَ فِي النَّاسِ دَارُهُمْ
فَتَكَلَّمْتُ نَيْمٌ وَاتَّخَذْتُ لِمَكَانِ هَذَيْنِ الشَّاعِرَيْنِ الْأَعْظَمَيْنِ
قَدَرًا فِي قَيْسٍ فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ قَيْسًا أَخْطَى بِالذَّخْرِ مِنْ نَيْمٍ .
وَالْأَوَايِدُ مِنَ الشُّعْرِ الْآيَاتُ السَّائِرَةُ كَالْآيَاتِ وَالْأَكْثَرُ مَا
تُسْتَعْمَلُ الْأَوَايِدُ فِي الْهَجَاءِ يُقَالُ : رَمَاهُ بِأَيِدَةٍ فَتَكُونُ الْآيِدَةُ
هَهُنَا الدَّاهِيَةُ . قَالَ لِلْجَاحِظِ : الْأَوَايِدُ الدَّوَاهِي وَمِنْهُ أَوَايِدُ الشُّعْرِ
حَكَاهُ عَنْ أَبِي زَيْدٍ وَحَكَى : الْأَوَايِدُ الْإِبِلُ الَّتِي تَتَوَحَّشُ فَلَا
يُشَدُّ عَلَيْهَا إِلَّا بِالْعَقْرِ . وَالْأَوَايِدُ الطَّيْرُ الَّتِي تُعَيِّمُ صَيْفًا وَشِتَاءً .
وَالْأَوَايِدُ الْوَحْشُ فَإِذَا جُمِلَتْ آيَاتُ الشُّعْرِ عَلَى مَا قَالَ لِلْجَاحِظِ
كَانَتْ الْمَعَانِي السَّائِرَةُ كَالْإِبِلِ الشَّارِدَةِ الْمُتَوَحَّشَةِ وَإِنْ شِئْتَ
الْمُقَسِّمَةِ عَلَى مَنْ قِيلَتْ فِيهِ لَا تُفَارِقُهُ كَقَامَةِ الطَّيْرِ الَّتِي لَيْسَتْ
بِقَوَاطِعَ . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي بُعْدِهَا مِنَ الشُّعْرَاءِ وَامْتِنَاعِهَا عَنْهُمْ
كَالْوَحْشِ فِي نِفَارِهَا مِنَ النَّاسِ . وَأَمَّا الْمُجَدِّدُونَ فِي الْكُتُبِ
بِالشُّعْرِ وَالْخَطِّوَغَةِ عِنْدَ الْمُلُوكِ فَهُمْ مُسْلِمٌ الْحَاسِرُ مَاتَ عَنْ مِائَةِ
أَلْفٍ دِينَارٍ وَلَمْ يَتْرِكْ وَارِثًا وَأَبُو الْعَتَاهِيَةِ صَنَعَ :

تَعَالَى اللَّهُ يَا مُسْلِمُ بْنُ عَمْرِو أَذَلَّ الْخِرَاصَ لَعَنَاقَ الرِّجَالِ
وَكَانَ صَدِيقَةً يَدًّا . فَقَالَ مُسْلِمٌ : وَيَلِي مِنْ هَذَا الرَّجُلِ جَمْعُ
الْقَطَايِرِ مِنَ الذَّهَبِ وَقَدْ نَسَبَنِي إِلَى مَا تَرَوْنَ مِنَ الْخِرَاصِ . وَلَمْ

يُرَدُّ ذَلِكَ أَبُو الْقَتْلِيَّةِ وَمَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ لُعْطِي مِائَةَ أَلْفٍ
 دِينَارٍ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً وَكَانَ لَا يُقَابِلُ إِلَّا بِالْكَثِيرِ وَهُوَ لَعْنَرِي مِنْ
 ذَوِي أَلْيُوتَاتٍ وَالْمَعْرُوفِينَ فِي الْكُتُبِ وَالشِّعْرِ . وَكَانَ أَبُو نُؤَاسٍ
 مَحْظُوظًا لَا يُدْرَى لِمَا وَصَلَ إِلَيْهِ لِكِنَّهُ كَانَ مُتَلَفًا سَخِيًا وَكَانَ
 يَتَسَاجَلُ فِي الْأَنْفَاقِ هُوَ وَعَبَّاسُ بْنُ أَحْنَفَ . وَكَانَ الْبُخَيْرِيُّ مِلِيًّا
 قَدْ قَاضَى كَسْبُهُ مِنَ الشِّعْرِ . وَكَانَ يَرْكَبُ فِي مَوْكَبٍ مِنْ عِيْدِهِ .
 وَأَمَّا أَبُو ثَعْلَبٍ فَمَا وَفَى حَقَّهُ مَعَ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ لِأَنَّهُ تَبَدَّلَ
 وَجَابَ الْأَرْضَ وَكَذَلِكَ أَبُو الطَّيِّبِ

البحث الثاني عشر

في ما اشكل من المدح والهجاء

(من كتاب المدة لابن رشيقي)

أَنْشَدَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْخَوْفِيُّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ
 الْحُسَيْنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَمْدِيِّ لِرَجُلٍ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ
 تَمِيمٍ :

تَضَيَّفَنِي وَهَذَا قَتَلْتُ أَسَاقِي إِلَى الزَّادِ شَلْتُ مِنْ يَدَيَّ الْأَصَابِعُ
 وَلَمْ تَلْقَ لِلسَّعْدِيِّ ضَيْفًا بِقَفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ إِلَّا وَهُوَ غَرِيَانُ جَانِعُ
 لَمْ يُرَدْ أَنَّهُ يَسْبِقُ ضَيْفَهُ إِلَى الزَّادِ فَيَكُونُ قَدْ هَجَا نَفْسَهُ
 لِكِنَّهُ وَصَفَ ذُبَابًا لَيْقَهُ لَيْلًا فَقَالَ : أَتَسْبِقُنِي أَنْتَ إِلَى الْأَكْلِ
 أَيُّ تَأْكُلُنِي شَلْتُ إِذَا أَصَابَنِي إِذَا لَمْ أَرْمِكَ فَأَقْتَلَكَ وَأَكُلَ
 لَحْمَكَ . ثُمَّ قَالَ عَلَى الْأَمْلِ : لَمْ تَلْقَ لِلسَّعْدِيِّ يَنِينِي نَفْسَهُ ضَيْفًا فِي

قَمَرَةٌ يَفْنِي الذُّبَابَ إِلَّا هُوَ جَانِعٌ فَهُوَ لَا يُتَعَبَى عَلَيَّ لِأَنِّي أَقْتُلُهُ قَبْلَ
أَنْ يَشْبَعَ مِنْ لَحْمِي . وَمِنْ أَتَشِيدُهُمْ :

أَبُوكَ الَّذِي نَبْتُ يُحْبِسُ خَيْلَهُ غَدَاةَ اللَّذَى حَتَّى يَجِفَّ لَهَا الْبَقْلُ
قَالُوا إِذَا أَخَذَ مَطَرُ الصَّيْفِ الْأَرْضَ أَتَبَّتْ بَقْلًا فِي أَصُولِ
بَقْلِ قَدْ يَبَسَ فَذَلِكَ الْأَخْضَرُ هُوَ النَّشْرُ وَهُوَ الْقَعِيدُ فَتَأْكُلُهُ
الْأَيْلُ فَيَأْخُذُهَا السَّهَامُ وَلَا سَهَامَ فِي الْخَيْلِ فَعَابَهُ بِالْجَهْلِ بِالْخَيْلِ .
قَالَ الْأَضْمِيُّ : هَذَا الْقَوْلُ خَطَأٌ بِلَا مَدْحَةٍ بِمَعْرِفَةِ الْخَيْلِ لِأَنَّ
النَّشْرَ وَذِي كُلِّ مَا أَكَلَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَحْمُ سَهَامَ . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ
قُبَةَ فِي رِثَاءِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَذَكَرَ آلَ الرَّسُولِ :

أُرَانِكَ قَوْمٌ لَمْ يَشِئُوا سُيُوفَهُمْ وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سَأَتِ
قَالَ قَوْمٌ أَرَادَ لَمْ يَغِيدُوا سُيُوفَهُمْ إِلَّا بَعْدَ كَثْرَةِ الْقَتْلَى بِهَا كَمَا
تَقُولُ لَمْ أَضْرِبِكَ وَلَمْ تَجْنِ عَلَيَّ إِلَّا بَعْدَ أَنْ جَنَيْتُ عَلَيْكَ . وَقَالَ
آخَرُونَ : أَرَادَ لَمْ يَسْلُوا سُيُوفَهُمْ إِلَّا وَكَثُرَتْ بِهَا الْقَتْلَى كَمَا
تَقُولُ : لَمْ أَلْقَ وَلَمْ أَحْسِنْ إِنَّكَ أَيُّ إِلَّا وَقَدْ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ
وَالْقَوْلَانِ مَعًا صَحِيحَانِ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَضْدَادِ وَيُشَدُّونَ قَوْلَ الْآخِرِ :
هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْمَهُ كَلْبَهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْجُ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَاجٍ
وَيُرْوَى :

دَفَعْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْتُوُ كَلْبَهُ أَلَا كُلُّ كَلْبٍ لَا أَبَاكَ نَاجٍ
وَأَنشَدَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ :

فَجَنِبْتَ الْجِيُوشَ أَبَا حَبِيبٍ وَجَادَ عَلَى مَحَلَّتِكَ النَّحَابُ

وَرَوَى أَنَّ أَبَا زَيْبٍ قَالَ: إِنْ دَعَا لَهُ قَائِمًا أَرَادَ أَنْ يُعَافِيَ مِنْ
الْجِيوشِ وَأَنْ يَجُودَهُ السَّحَابُ فَتُخَصَّبَ أَرْضُهُ وَإِنْ دَعَا عَلَيْهِ قَالَ:
لَا أَجِبُ لَكَ خَيْرًا قَطْمَعُ فِيهِ الْجِيوشُ فَهِيَ تَجَبُّ دِيَارَكَ لِغُلَامِهِمْ
بِقَوْلِهِ الْخَيْرُ فِيهَا وَيَدْعُو عَلَى مَحَلَّتِهِ بِأَنْ تَذُرْسَهَا إِلَّا طَارَ . وَقَالَ
غَيْرُهُ: إِنَّمَا مَعْنَاهُ جَادَ عَلَى مَحَلَّتِكَ السَّحَابُ فَأَخْصَبَتْ وَلَا مَاشِيَةَ
لَكَ فِيهَا فَذَلِكَ أَشَدُّ لِهَيْكَ وَعَمَكَ وَيَكُونُ الْمَعْنَى حِينَئِذٍ كَقَوْلِ
الْآخِرِ:

وَحَيْفَاءُ أَلْقَى اللَّيْثُ فِيهَا ذِرَاعَهُ قَسَرَتْ وَسَاءَتْ كُلُّ مَاشٍ وَمُضْرِمٍ
أَيُّ سَرَتْ كُلُّ ذِي مَاشِيَةٍ وَسَاءَتْ كُلُّ قَعِيرٍ . وَأَنْشَدَ أَبُو عَبْدِ
اللَّهِ أَيْضًا:

إِنِّي عَلَى كُلِّ إِيسَارٍ وَغَسْرَةٍ أَدْعُو حَيْثَا كَمَا تُدْعَى ابْنَةُ الْجَبَلِ
وَرَوَى الْمُبَرَّدُ حَيْفَاءُ يُرِيدُ أَنَّهُ يُجِيبُهُ بِسُرْعَةٍ كَالصَّادِ وَهُوَ ابْنَةُ
الْجَبَلِ وَقِيلَ ابْنَةُ الْجَبَلِ الصَّخْرَةُ الْمُتَحَدِّدَةُ مِنْ أَعْلَاهُ . وَزَادَ أَبُو
زَيْدٍ فِي رِوَايَتِهِ بَيْتًا وَهُوَ:

إِنْ تَدْعُهُ مُوهِنًا يَجْلُ بِجَانِبِهِ عَارِي الْأَسَاجِعِ يَسْعَى غَيْرَ مُشْتَبِلٍ
فَهَذَا مَدْحٌ لَا عِمَالَةَ وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى قَوْلِ الْآخِرِ:
كَأَنِّي إِنْ دَعَوْتُ بَنِي حَنِيفٍ دَعَوْتُ بِدَقْوَتِي لَمْ أَلْحِصَا لَا
وَرَوَاهُ قَوْمٌ بَنِي سُلَيْمٍ قَدْ مَدَحَ جَلَّةً مِثْلَ الْأَوَّلِ فِي سُرْعَةِ
الْإِجَابَةِ وَمَنْ دَمَّ نَسَبُهُمْ إِلَى الْقَلْبِ عَنْ إِجَابَتِهِ مِثْلَ الْحِبَالِ . وَمِنْ
الدُّعَاءِ الَّذِي يَدْخُلُ فِي هَذَا الْبَابِ:

تَفَرَّقَتْ غَنِيَّيَ يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذِّئْبَ وَالضَّبْعَا
 قِيلَ لِهَاتِمَا إِذَا اجْتَمَعَا لَا يُؤْذِيَانِ وَشَغَلَ كُلُّهُمَا الْآخَرُ
 وَإِذَا تَفَرَّقَا أَذَى وَقِيلَ : إِنَّ مَعْنَاهُ فِي الدُّعَاءِ عَلَيْهَا : قَتَلَ الذِّئْبُ
 الْأَخْبَاءَ عَبَثًا وَاسْكَنَ الضَّبُّ الْأَمْوَاتَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا بَقِيَّةٌ . وَمِنْ
 لَطِيفِ مَا وَقَعَ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْقَائِلَةِ الدُّيَّانِي :

يَصُدُّ الشَّاعِرُ الثَّنِيَّانَ عَنِّي صُدُودُ الْبَكْرِ عَنْ قَوْمِ الْعُجَّانِ
 وَلَمْ يُرِدْ أَنَّهُ يَطْلُبُ الثَّنِيَّانَ وَلَا يَطْلُبُ الْفُحْلُ لَيْكِنَ أَرَادَ التَّضْمِيرَ
 بِالذِّي هَاجَاهُ فَجَعَلَهُ ثُنَيَّانًا . وَقَالَ آخَرُ :

وَمَنْ يَفْخَرُ بِبَيْتِ أَبِي وَجَدِّي يَجِي قَبْلَ السَّوَابِقِ وَهُوَ ثَانٍ
 أَرَادَ وَهُوَ ثَانٍ مِنْ عَيْنِهِ لَا يُسْبِقُ مُتَمَهِّلًا . وَمِمَّا يَمْدَحُ بِهِ وَيَذَمُّ
 قَوْمُهُمُ بَيْضَةُ الْبَلَدِ فَمَنْ مَدَحَ أَرَادَ أَنَّهَا أَصْلُ الطَّائِرِ وَمَنْ ذَمَّ أَرَادَ أَنَّهَا
 لَا أَصْلَ لَهَا . قَالَتْ أُخْتُ عَمْرُو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ فِي عَلِيٍّ لَمَّا قَتَلَ أَخَاهَا :
 لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرُو غَيْرَ قَاتِلِي لَقَدْ بَكَيْتُ عَلَيْهِ آخِرَ الْأَبَدِ
 لَكِنَّ قَاتِلَهُ مَنْ لَا يُسَابُ بِهِ مَنْ كَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بَيْضَةُ الْبَلَدِ
 فَهَذَا أَمْدَحُ كَمَا تَرَاهُ وَقَالَ الرَّاعِي التَّمِيدِيُّ يَهْجُو عَدِيَّ بْنَ
 الرَّقَاعِ الْعَامِلِيَّ :

لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ تُهْجِي هَجْوَكُمْ

يَا أَبْنَ الرَّقَاعِ وَلَكِنْ لَنْتَ مِنْ أَحَدٍ

تَأْتِي قُضَاعُهُ أَنْ تَرْضَى بِكُمْ نَسَبًا

وَأَبْنَا زَرَارٍ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ

وَأَنْشَدَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ:

وَإِنِّي لَطَلَامٌ لَأَشْتِ بِأَسِ

عَرَارًا وَمَقْرُورًا يَرَى مَالَهُ الدَّهْرُ

وَجَارٍ قَرِيبٍ الدَّارِ أَوْ ذِي جَنَائِدٍ

غَرِيبٍ بَعِيدِ الدَّارِ لَيْسَ لَهُ وَقْرٌ

يُظَنُّهُ السَّامِعُ هَجَا نَفْسِهِ يَظْلَمُ هُوَلَاءَ الَّذِينَ ذُكِرُوا إِنَّمَا

مَدَحَهَا بِأَنَّهُ يَظْلَمُ الْإِنْفَاقَ فَيُخَوِّرُ لِلضِّيَاقَةِ فَصِيلَهَا مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ وَلَا دَاءٍ

هَذَا هُوَ الْأَشْتُ وَالْجَارُ وَأَشْبَاهُهُمَا

البحث الثالث عشر

في البديهة والارتجال

(من كتاب السدة لابن رشيقي)

الْبَدِيْهَةُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُؤَسِّمِينَ يَعْلَمُ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ فِي
بَلَدِيَّتَا وَمِنْ أَهْلِ عَصْرِنَا هِيَ الْأَرْتِجَالُ وَلَيْسَتْ بِهِ لِأَنَّ الْبَدِيْهَةَ
فِيهَا الْفِكْرُ وَالْثَبَاتُ . وَالْأَرْتِجَالُ مَا كَانَ أَنَّهُمَا وَتَدْفَعُ لَا يَتَوَقَّفُ
فِيهِ قَائِلُهُ كَأَنَّكَ صَنَعَ الْقَرَزْدَقُ وَقَدْ دَفَعَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ أَسِيرًا مِنَ الرُّومِ لِيَقْتُلَهُ فَدَسَّ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْسٍ سَيْفًا
كَهُمَا قَتَبًا حِينَ ضَرَبَ بِهِ وَصَحَّكَ سُلَيْمَانُ فَقَالَ الْقَرَزْدَقُ أَرْتِجَالًا
فِي مَقَالَةٍ يَتَعَدَّرُ أَنْفُسِهِ وَيَعْتَدُّ بِبَنِي عَبْسٍ بِأَنَّهُ سَيْفٌ وَرَقَاءُ بْنُ
زُهَيْرٍ عَنْ رَأْسِ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ :

فَإِنْ يَكُ سَيْفٌ خَانَ أَوْ نَبَا حَدُّهُ

لِتَأْخِذِ نَفْسٍ حَيْنَهَا غَيْرَ شَاهِدٍ

فَسَيْفٌ بَنِي عَبَسَ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ

نَبَا يَدَيَّ وَرَقَاهُ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ

كَذَلِكَ سُيُوفُ الْمُنَدِ تَتَّبِعُ ظُبَاهَا

وَيَقْطَعْنَ أَحْيَانًا مَنَاطَ الْقَلَائِدِ

وَلَوْ شِئْتُ قَطَّ السَّيْفُ مَا بَيْنَ أَنْفِهِ

إِلَى عَرَقِ دُونَ الشَّرَاسِيفِ حَاسِدٍ

ثُمَّ جَلَسَ وَهُوَ يَقُولُ:

وَلَا تَقْتُلِ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفْسُكُمْ

إِذَا شَغَلَ الْأَعْيَادُ حَمْلُ الْمَغَارِمِ

وَأَعْظَمُ أَرْجَالِهِ وَقَعَ قَصِيدَةُ الْحَارِثِ بْنِ حِلْزَةَ بَيْنَ يَدَيْ عَمْرِو

ابْنِ هِنْدٍ فَإِنَّهُ يُقَالُ أَلَى بِهَا كَالْحُطْبَةِ . وَكَذَلِكَ قَصِيدَةُ عُبَيْدِ بْنِ

الْأَبْرَصِ . وَقِيلَ : أَفْضَلُ الْبَدِيَّةِ بَدِيَّةُ أَمْرِ وَرَدَتْ فِي مَوْضِعٍ

خَوْفٍ فَمَا ظَنُّكَ بِالْأَرْجَالِ وَهُوَ أَسْرَعُ مِنَ الْبَدِيَّةِ . وَكَانَ أَبُو

ثَوَاسٍ قَوِيَّ الْبَدِيَّةِ وَالْأَرْجَالِ لَا يَكَاذُ يَنْقَطِعُ وَلَا يَزُولُ إِلَّا فَاتَةً .

وَيَزُولُ أَنَّ الْحُطْبَةَ قَالَ لَهُ مَرَّةً يَمَارِجُهُ وَهُوَ بِالتَّحْنِيطِ الْجَامِعِ :

وَأَنْتَ غَيْرُ مَدَافِعٍ فِي الشَّعْرِ وَلَكِنَّكَ لَا تَحْطُبُ . فَقَامَ مِنْ فَوْرِهِ

يَقُولُ مَرْتَجِلًا :

مَتَحْتَكُمْ يَا أَهْلَ مِصْرَ نَصِيحَتِي أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ نَاصِحٍ بِصِيبٍ

رَمَاكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَيَّةٍ أَكُولٍ لِحَيَاتِ الْبِلَادِ شُرُوبٍ
فَإِنْ يَكُ بَاقِي سَخْرِ فِرْعَوْنَ فِيكُمْ فَإِنَّ عَصَا مُوسَى بِكَفِّ خَطِيبٍ
ثُمَّ أَلْفَتَ إِلَيْهِ : وَأَقْبَهُ لَا يَأْتِي بِمِثْلِهَا خَطِيبٌ مَضْمَعٌ فَكَيْفَ
رَأَيْتَ فَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فَخَلَفَ : إِنْ كُنْتُ إِلَّا مَازِحًا . وَسَمِعَتْ جَمَاعَةٌ
مِنَ الْعُلَمَاءِ يَقُولُونَ : كَانَ مُسْلِمٌ بَنُ الْوَلِيدِ قَظِيرَ أَبِي نُوَّاسٍ فِي
وَقُوفِهِ عِنْدَ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ فِي أَشْيَاءٍ إِلَّا أَنَّ أَبَا نُوَّاسٍ
فَهَرَ بِالْبِدِيَّةِ وَالْإِرْتِجَالِ مَعَ تَقْبُضِ كَانَ فِي مُسْلِمٍ وَإِظْهَارِ تَوْفِيهِ
وَكَانَ صَاحِبَ فِكْرَةٍ وَرَوِيَّةٍ لَا يَبْتَدِهُ وَلَا يَرْتَجِلُ فَكَانَ أَبُو
الْمَتَاهِيَةِ فِيمَا يُقَالُ أَقْدَرَ النَّاسِ عَلَى الْإِرْتِجَالِ وَبِدِيَّةِ الْقُرْبِ مَاخِذِهِ
وَسُهُولَةِ طَرِيقِهِ

وَأَجْتَمَعَ عِدَّةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ فِيهِمْ أَبُو نُوَّاسٍ فَشَرِبَ أَحَدُهُمْ مَاءً
ثُمَّ قَالَ أَجِيزُونَا : بِرَدِّ الْمَاءِ وَطَابَا . فَكُلُّهُمْ تَلَعَمَ حَتَّى طَلَعَ أَبُو
الْمَتَاهِيَةِ . قَالَ : فِيمَ أَنْتُمْ فَأَنْشَدُوهُ . فَقَالَ وَمَا تَرَدَّدَ : حَبْدًا الْمَاءِ
شَرَابًا . فَأَتَى بِالتَّقْسِيمِ شِبْهًا بِصَاحِبِهِ . وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَعُوذُ الْقَوْمَ لَا
وَزْنَ الْكَلَامِ . وَحَبِيبَ رِقْعَةٍ فَسَمِعَ زَقَاءَ الدُّيُوكِ . فَقَالَ لِرَفِيقِهِ :
هَلْ رَأَيْتَ الْأَضْحَجَ لَاحًا . قَالَ نَعَمْ . قَالَ : وَسَمِعْتَ الَّذِيكَ صَاحًا .
قَالَ نَعَمْ . قَالَ :

إِنَّمَا بَكَى عَلَى اللَّهِ تَرَّ بِالْدُّنْيَا وَتَاحَا

فَاسْتَيْقَظَ رَفِيقُهُ لِلْكَلَامِ أَنَّهُ شِعْرُ فِرَوَاهُ . فَاجْرَى هَذَا الْبَحْرَى
فَهُوَ الْإِرْتِجَالُ . وَأَمَّا الْبِدِيَّةُ فَبَعْدَ أَنْ يُفَكِّرَ الشَّاعِرُ يَسِيرًا وَيَكْتُبَ

سَرِيحًا إِنْ حَضَرَتْ آلَةُ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ بَطِيءٍ وَلَا مُتَرَاخٍ فَإِنْ أَطَالَ
حَتَّى يُفْرِطَ أَوْ قَامَ مِنْ تَحْلِيلِهِ لَمْ يَعْذُ بِدِينِهِ
وَقَالُوا اجْتَمَعَ الشُّعْرَاءُ بِيَابِ الرَّشِيدِ فَادَّعَى لَهُمْ وَقَالَ: مَنْ
يُخَيِّرُ هَذَا الْقَسِيمَ وَلَهُ حُكْمُهُ. قَالُوا: مَا هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ:
الْمَلِكُ لِلَّهِ وَحْدَهُ. فَقَالَ الْحَمَّازُ: وَلِلْخَلِيفَةِ بَعْدَهُ وَلِلْحَبِ إِذَا مَا
حَيَّيْتُمْ بَاتَ عِنْدَهُ. فَقَالَ: أَحْسَنْتَ وَأَقَيْتَ عَلَى مَا فِي نَفْسِي وَأَمَرَ
لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ. وَقَدْ كَانَ أَبُو الطَّيِّبِ كَثِيرَ الْبَدِيهِ
وَالْأَزْجَالِ إِلَّا أَنَّ شِعْرَهُ فِيهَا نَازِلٌ عَنْ طَبَقِهِ جَدًّا وَهُوَ لَمَعَرِي فِي
سَعَةٍ مِنَ الْقَنَدِ إِذْ كَانَتْ الْبَدِيَةُ كَمَا قَالَ ابْنُ الْأَوزَمِيِّ فِيهَا:
نَارُ الرُّوِيَّةِ نَارٌ جَدُّ مُنْخَبِجَةٍ وَلِلْبَدِيَةِ نَارٌ ذَاتُ تَلَوِّجٍ
وَقَدْ يُفْضِلُهَا قَوْمٌ لِعَاجِلِهَا لَكِنَّ عَاجِلَهَا يَخِيءُ مَعَ الرِّجِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ:

وَالْقَوْلُ بَعْدَ الْبَكْرِ يُؤْمَنُ زَيْفُهُ شَتَانٌ بَيْنَ رَوِيَّةٍ وَبَدِيَّةٍ
وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ شِعْرُهُ فِي الرُّوِيَّةِ وَالْبَدِيَّةِ سَوَاءٌ وَعِنْدَ
الْأَمْنِ وَالْخَوْفِ الْقُدْرَةُ وَسُكُونُ جَأَشِهِ وَقُوَّةُ غَرِيْبَتِهِ كَهَدِيَّةِ ابْنِ
الْحَشْرَمِ الْغُذَرِيِّ وَطَرَقَةُ ابْنِ الْعَبْدِ الْبَكْرِيِّ وَمُرَّةُ ابْنِ مُحْكَانَ
السَّعْدِيِّ إِذْ يَقُولُ وَقَدْ أَمَرَ مُضْعَبُ بْنُ الرَّبِيعِ رَجُلًا مِنْ بَنِي
أَسَدٍ بِقَتْلِهِ:

بَنِي أَسَدٍ إِنْ تَقْتُلُونِي تَحَارِبُوا تَمِيمًا إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ أَشْعَلَتْ
وَأَنْتُ وَإِنْ كَانَتْ إِلَيَّ حَيَاتِي يَبَاكَ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا تَوَلَّتْ

وَهَذَا شِعْرٌ لَوْ تَرَوِي فِيهِ صَاحِبُهُ حَوْلًا كَامِلًا عَلَى أَمْنٍ وَدَعَةٍ
وَقَرَطٍ شَهْوَةٍ أَوْ شِدْقٍ حَيَّةٍ لَمَا أَتَى بِهِ فَوْقَ هَذَا وَكَذَلِكَ عَبْدُ
يَاغُوثَ بْنِ صَلَاةٍ إِذْ يَقُولُ فِي كَلِمَةٍ لَهُ طَوِيلَةٍ :

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ أَمَعَشَرَ تَمِيمٍ أَطْلَقُوا مِنْ لِسَانِيَا
أَيَا رَاكِبًا إِمَامًا عَرَضَتْ فَبَلَعَنَ نُدَائِي مِنْ تَحْرَانِ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
وَكُنُوا شَدُّوا لِسَانَهُ خَوْفًا مِنَ الْهَجَاءِ فَمَاهَدَهُمْ فَأَطْلَقُوهُ
لِيُنْجَحَ عَلَى نَفْسِهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي فِدَائِهِ أَلْفَ نَاقَةٍ فَأَبَوْا إِلَّا
قَتْلَهُ فَقَالَ :

فَإِنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُونِي بِخَيْرِكُمْ وَإِنْ تُطْلِقُونِي تَحْرُبُونِي بِمَالِيَا
وَهَذِهِ شَهَامَةٌ عَظِيمَةٌ وَشِدَّةٌ . وَمِنْ قَوْلِهِ طَرَقَهُ بْنُ الْعَبْدِ لَمَّا
أَيَقَنَ بِالْمَوْتِ :

أَبَا مُنْذِرٍ كَأَنْتَ غُرُورًا صَحِيفَتِي
وَلَمْ أَنْطِكُمْ فِي الطُّلُوعِ مَالِي وَلَا عِرْضِي
أَبَا مُنْذِرٍ أَقْبَلْتَ فَأَسْتَبَقَ بَعْضَنَا

حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
وَأَيْنَ هُوَلَاءِ مِنْ عُيَيْدِ بْنِ الْأَبْرَصِ وَهُوَ شَجٌّ مِنْ شُبُوحِ
الصَّنَاعَةِ وَمُقَدَّمٌ فِي السِّنِّ عَلَى الْجَمَاعَةِ إِذْ يَقُولُ لَهُ اتُّعْمَانُ يَوْمَ
بُؤْسِهِ : أَنْشِدْنِي . قَالَ : حَالُ الْجَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ . قَالَ : أَنْشِدْنِي
قَوْلَكَ أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ . فَقَالَ :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ عَيْدُ قَالِيَوْمَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ

قَبَلْتُ ۖ حَالُ الْجُرْعِ إِلَى مِثْلِ هَذَا عَلَى أَنَّ فِي طَرَفِ
بَعْضِ الصَّرَافَةِ

حَكَى عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ الْمُتَوَكِّلِ إِذْ آتَاهُ رَسُولُ
إِسْحَاقَ بْنِ إسماعِيلَ قَامَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ يَخْطُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَقُولُ:
أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ رَسُولٍ جِئْتَ بِمَا يَشْفِي مِنَ الْقَلِيلِ
رَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ إسماعِيلَ

فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ أَلْقُوا هَذَا الْجَوْهَرَ لَا يَضِيعُ . وَاشْتَقَّاقُ الْبَدِيهِ
مِنْ بَدَءٍ بِمَعْنَى بَدَأَ أُبْدِلْتُ الْهَمْزَةُ هَاءٌ كَمَا أُبْدِلْتُ فِي أَشْيَاءَ
كَثِيرَةٍ لِقُرْبِهَا مِنْهَا . فَقَدْ قَالُوا: مَدَحَ وَمَدَّ وَلَهُكَ تَفْعَلُ كَذَا
بِمَعْنَى لِأَنَّكَ وَمِثْلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ . وَالْأَرْجَالُ مَاخُذٌ مِنَ السُّهُلَةِ
وَالْأَنْصَابِ . وَمِنْهُ قِيلَ: شَعَرَ الرَّجُلُ إِذَا كَانَ شَعْرُهُ سَبْطًا مُسْتَقِيمًا
غَيْرَ جَعْدٍ . وَقِيلَ هُوَ مِنْ أَرْجَالِ الْبُحْرِ وَهُوَ أَنْ تَرْتَمِلَهَا بِرِجْلِكَ مِنْ
غَيْرِ حَبْلِ

البحث الرابع عشر

في آداب الشاعر

(من كتاب العمدة لابن رشيق)

مِنْ حِكْمِ الشَّاعِرِ أَنْ يَكُونَ حُلُوَ الشَّمَائِلِ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ
طَلَقَ الْوَجْهَ بَعِيدَ الْقَوْرِ مَأْمُونًا لِلْجَانِبِ سَهْلَ النَّاحِيَةِ وَطَيَّ
الْأَكْتَفَ فَإِنَّ ذَلِكَ بِمَا يُحِبُّهُ إِلَى النَّاسِ وَيُرِيَّتُهُ فِي عُيُونِهِمْ وَيَقْرَبُهُ

مِنْ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ شَرِيفَ النَّفْسِ لَطِيفَ الْخِصْرِ عَرُوفَ
 الْهَيْبَةِ حَلِيفَ الْبِرَّةِ أَرْفَا لِهَيْبَتِهِ الْعُلَمَاءُ وَيَدْخُلُ فِي جُمْلَةِ الْخَاصَّةِ فَلَا
 تَجِبُهُ أَبْصَارُهُمْ سَخَّ الْيَدَيْنِ وَالْأَفْهَامُ كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي قَتَنِ:
 وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِاللَّوْمِ شَاعِرٌ يَلُومُ عَلَى الْجُلِّ الرِّجَالُ وَيَجَلُّ
 وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى ذَهَبَ الطَّائِفِيُّ بِقَوْلِهِ:

أَلُومٌ مَنْ يَجَلُّ يَدَاهُ وَلَعَنَدَى لِلْجُلِّ جَرِيًّا سَاءَ ذَاكَ صَنِيعًا
 وَالشَّاعِرُ مَأْخُودٌ بِكُلِّ عِلْمٍ مَطْلُوبٌ بِكُلِّ مَكْرُمَةٍ لَا تَسَاعُ
 الشُّعْرُ وَأَحْتِمَالُهُ كُلُّ مَا جُمِلَ مِنْ نَحْوِ وَلَعَنَهُ وَقَعَهُ وَجَبَرِ وَحَسَابِ
 وَفَرِيضَةٍ وَأَحْتِيَاجِ أَكْثَرِ هَذِهِ الْعُلُومِ إِلَى شَهَادَتِهِ وَهُوَ مُكَيِّفٌ
 بِذَاتِهِ مُسْتَعْتَبٌ عَمَّا سِوَاهُ وَلِأَنَّهُ قَيْدٌ لِلْأَخْبَارِ وَتَجْدِيدٌ لِلْآثَارِ وَصَاحِبُهُ
 الَّذِي يَذُمُّ وَيُحْمَدُ وَيَفْجُو وَيَعْدُحُ وَيَعْرِفُ مَا يَأْتِي النَّاسَ مِنْ مَحَاسِنِ
 الْأَشْيَاءِ وَمَا يَذَرُوهُ فَهُوَ عَلَى نَفْسِهِ شَاهِدٌ وَبِحُجَّتِهِ مَأْخُودٌ. وَلَيَأْخُذُ
 نَفْسُهُ بِحِفْظِ الشُّعْرِ وَالْخَبَرِ وَمَعْرِقَةِ النَّسَبِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ يَسْتَعْمِلُ
 ذَلِكَ فِيمَا يُرِيدُهُ مِنْ ذِكْرِ الْآثَارِ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ لِيَعْلَقَ قَسْمُهُ
 بَعْضَ أَنْفَاسِهِمْ وَيَقْوَى بِقُوَّةِ طَبَاعِهِمْ. قَعَدَ وَجَدْنَا الشَّاعِرَ مِنْ
 الْمَطْبُوعِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ يَفْضَلُ أَصْحَابُهُ بِرِوَايَةِ الشُّعْرِ وَمَعْرِقَةِ الْأَخْبَارِ
 وَالتَّلَسُّدَةِ لِمَنْ قُوَّةُ مِنَ الشُّعْرَاءِ قِيَمُولُونَ: فَلَانُ شَاعِرٌ رَاوِيَةٌ
 يُرِيدُونَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ رَاوِيَةً عَرَفَ الْمَقَاصِدَ وَسَهَّلَ عَلَيْهِ مَأْخُذُ
 اللَّفْظِ وَلَمْ يَضِقْ بِهِ الذَّهَبُ وَإِذَا كَانَ مَطْبُوعًا لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا رِوَايَةَ
 ضَلَّ وَاهْتَدَى مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ وَرَبَّمَا طَلَبَ الْمَعْنَى فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ

وَهُوَ مَائِلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ لِيُضَعِفَ إِلَيْهِ كَأَلْقَعِدٍ يُجِدُّ فِي نَفْسِهِ الْقُوَّةَ عَلَى
النَّهْوِ فَلَا تُسَيِّئُهُ الْآلَةُ . وَقَدْ سُئِلَ رُوَّةُ بْنُ الْحُجَّاجِ عَنِ النَّحْلِ
مِنَ الشُّعْرَاءِ . فَقَالَ : هُوَ الرَّاوِيَةُ يُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا رَوَى اسْتَحْلَ . قَالَ
يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ : وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَجْمَعُ إِلَى جَيْدِ شَعْرِهِ مَعْرِفَةً
جَيْدَ غَيْرِهِ فَلَا يَحْسِلُ نَفْسُهُ إِلَّا عَلَى بَصِيرَةٍ . وَقَالَ رُوَّةُ فِي
صِفَةِ شَاعِرٍ :

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ سَاجِرًا رِوَايَةً مُرًّا وَمُرًّا شَاعِرًا
وَأَسْتَظْمَ حَالَهُ حَتَّى قَرَنَاهَا بِالسَّخْرِ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : لَا يَصِدُّ
الشَّاعِرُ فِي قَرِيضِ الشَّعْرِ فَحَلَا حَتَّى يَرَوِيَ أَشْعَارَ الْعَرَبِ وَيَسْمَعَ
الْأَخْبَارَ وَيَعْرِفَ الْمَلَائِيَّ وَتَدَوَّرَ فِي مَسَابِعِهِ الْأَلْقَاطُ . وَأَوَّلُ ذَلِكَ
أَنْ يَعْرِفَ الْعَرُوضَ لِيَكُونَ مِيزَانًا عَلَى قَوْلِهِ وَالنَّحْوُ يُضْلِجُ بِهِ لِسَانَهُ
وَيُقِيمُ بِهِ إِعْرَابَهُ وَالنَّسَبَ وَأَيَّامَ النَّاسِ لِيَسْتَعِينَ بِذَلِكَ عَلَى مَعْرِفَةِ
الْمَنَاقِبِ وَالْمَثَالِبِ وَذِكْرِهِمَا بِمَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ . وَقَدْ كَانَ الْفَرَزْدَقُ
عَلَى فَضْلِهِ فِي هَذِهِ الْجِنَاةِ يَرَوِي لِلْحُطَيْيَةِ كَثِيرًا وَكَانَ الْحُطَيْيَةُ
رَاوِيَةً ذُهَيْرَ وَكَانَ ذُهَيْرُ رَاوِيَةً أَوْسَ بْنَ حَجْرٍ وَطَقِيلَ الْقَنْوِيَّ جَمِيعًا .
وَقَدْ تَرَلَ أَشْعَى بَنِي قَيْسٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ بَيْنَ يَدَيْ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيَّ
يُسَوِّقُ عُكَّازَ وَانْشَدَهُ قَدَمَهُ . وَانْشَدَهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَابْنُ
أَبْنِ رَيْبَعَةَ فَمَا عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَلَا غَضٌّ مِنْهُمْ . وَكَانَ كَثِيرُ رَاوِيَةٍ
جَمِيلٍ مُفْضِلًا لَهُ . وَكَانَ أَبُو حَيَّةَ النَّسْرِيُّ دَأْسُهُ أَلْهِيْمُ بْنُ الرَّبِيعِ
وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ شِعْرًا وَأَظْلَفِهِمْ كَلَامًا مَوْتَانَا بِالْفَرَزْدَقِ

أَخِذًا عَنْ كَثِيرٍ مُتَصَبًا لَهُ . وَلَا يَسْتَعْنِي الْمَوْلَدُ عَنْ تَصَحُّحِ أَشْعَارِ
الْمَوْلَدِينَ لِمَا فِيهَا مِنْ حَلَاوَةِ اللَّفْظِ وَقُرْبِ الْأَخْذِ وَإِشَارَاتِ الْمُلْحِ
وَوُجُوهِ الْبَدِيعِ الَّذِي مِثْلُهُ فِي شِعْرِ الْمُتَقَدِّمِينَ قَلِيلٌ وَإِنْ كَانُوا هُمْ
فَتَحُوا بَابَهُ وَفَتَحُوا جِلْبَابَهُ . وَلِلْمُسْتَعْبِ زِيَادَاتٌ وَأَفْسَاكٌ . لَا عَلَى أَنْ
تَكُونَ عُدَّةُ الشَّاعِرِ مُطَالَعَةً مَا ذَكَرْتُهُ آخِرَ كَلَامِي هَذَا دُونَ مَا
قَدَّمْتُهُ فَإِنَّهُ مَتَى قَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنْ أَلَمَةٍ وَفَضْلِ الْقُوَّةِ مَا
يَنْلُغُ بِهِ طَائِفَةٌ مِنْ تَبَعِ فَيْجَارِيَّةٍ . وَإِذَا آتَاكَ فَصَاحَةُ الْمُتَقَدِّمِ وَحَلَاوَةُ
الْمُتَأَخِّرِ أَشَدَّ سَاعِدُهُ وَبَعْدَ مَرَامِهِ قَلَمٌ يَقَعُ دُونَ الْقَرَضِ وَسَعَى
أَنْ يَكُونَ أَوْثَقَ سِهَامًا وَأَحْسَنَ مَوْعِدًا يَمُنُّ لَوْ عَوَّلَ عَلَيْهِ مِنْ
الْمُخَدِّينَ لَقَصَرَ عَنْهُ وَوَقَعَ دُونُهُ . وَلِيَجْعَلَ طَلَبُهُ أَوَّلًا لِلسَّلَامَةِ فَإِذَا
صَحَّتْ لَهُ طَلَبُ التَّجْرِيدِ جِينَدٌ وَلِيَرْغَبَ فِي الْحَلَاوَةِ وَالطَّلَاوَةِ دَغْبَةً
فِي الْحِرَالَةِ وَالْفَحَامَةِ . وَلِيَجْتَنِبَ السُّوقِيَّ الْقَرِيبَ وَالْوَحْشِيَّ الْقَرِيبَ
حَتَّى يَكُونَ شِعْرُهُ حَالًا بَيْنَ حَالَيْنِ كَمَا قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ فَلَانَهَا نَجَاةٌ وَلَا تَرْكِبْ دُلُولًا وَلَا صَعْبًا
وَأَوَّلُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ بَعْدَ الْحِذِّ الَّذِي هُوَ الْعَالِيَةُ وَفِيهِ
وَحْدَهُ الْكَفَايَةُ حُسْنُ التَّنَاقُيِّ وَالسِّيَاسَةِ وَعِلْمُ مَقَاصِدِ الْقَوْلِ فَإِنْ
نَسَبَ ذَلِكَ وَخَضَعَ وَإِنْ مَدَحَ أَطْرَبَ وَأَسْعَى وَإِنْ هَجَا أَقْلٌ
وَأَوْجَعُ وَلِتَكُنْ غَايَتُهُ مَعْرِفَةُ أَغْرَاضِ الْمُخَاطَبِ كَانًا مَنْ كَانَ
لِيَدْخُلَ إِلَيْهِ مِنْ بَابِهِ وَيَدْخُلَهُ فِي ثِيَابِهِ فَذَلِكَ هُوَ سِرُّ صِنَاعَةِ
الشِّعْرِ وَمَغْزَاهُ الَّذِي تَفَاوَتَ النَّاسُ فِيهِ تَفَاضُلًا . وَقَدْ قِيلَ : يَكُنْ

مَقَامٍ مَقَالٍ. وَشِعْرُ الشَّاعِرِ لِنَفْسِهِ وَفِي مُرَادِهِ وَأُمُورٌ ذَاتُهُ مِنْ مَدْحٍ
وَعَزْلِ وَمُكَاتَبَةٍ وَتُجُونٍ وَخَمْرِيَّةٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ غَيْرُ شِعْرِهِ فِي
قَصَائِدِ الْخَلِّ الَّتِي يَوْمٌ بَهَا بَيْنَ السِّمَاطِينَ. يُقْبَلُ مِنْهُ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ
غَفْرُ كَلَامِهِ وَمَا لَا يَتَكَلَّفُ لَهُ وَلَا أَلْقَى بِهِ بَالًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ
فِي هَذِهِ إِلَّا مَا كَانَ مُحْكَمًا مُعَاوَدًا فِيهِ النَّظَرُ جَيِّدًا لَا غَثَ
فِيهِ وَلَا سَاقِطَ وَلَا قَلْبَ. وَشِعْرُهُ لِلْأَمِيرِ غَيْرُ شِعْرِهِ لِلزَّوْجِرِ وَالْكَاتِبِ
وَالْمُحَاطَبَةِ لِلْعِصَاةِ وَالْفُقَهَاءِ بِخِلَافِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ.
وَالْمُتَأَخَّرُ مِنَ الشُّعْرَاءِ فِي الزَّمَانِ لَا يَضُرُّهُ تَأَخُّرُهُ إِذَا أَجَادَ
كَمَا لَا يَنْفَعُ الْمُتَقَدِّمُ تَقَدُّمُهُ إِذَا قَصَرَ وَإِنْ كَانَ لَهُ فَضْلُ السَّبْقِ
فَعَلَيْهِ دَرَكُ التَّغْصِيرِ كَمَا أَنَّ لِلْمُتَأَخَّرِ فَضْلَ الْإِجَادَةِ وَالزِّيَادَةِ. وَلَا
يَكُونُ الشَّاعِرُ حَازِقًا مُجَوِّدًا حَتَّى يَتَفَقَّدَ شِعْرَهُ وَيُعِيدَ فِيهِ نَظْرَهُ
فَيُسْقِطَ رَدِيهَ وَيُثَبِّتَ جَيِّدَهُ وَيَكُونُ بِالرَّكِيكِ مُطَرِّحًا لَهُ رَاغِبًا
عَنْهُ. فَإِنَّ بَيْتًا جَيِّدًا مَقَامَ أَلْفِ رَدِيٍّ. وَقَالَ أَمْرُوهُ الْقَيْسِ وَهُوَ
أَوَّلُ مَا رَزَعُوا أَنَّهُ اخْتِيرَ لَهُ وَعُلِمَ بِهِ أَنَّهُ أَفْضَلُ الشُّعْرَاءِ وَالْقَدَمُ
عَلِيمٌ:

أَذُودُ الْقَوَائِي عَنِّي ذِيَادَا ذِيَادُ غُلَامٍ جَرِيءٍ جَرَادَا
قَلَمًا كُتِبَ وَعَنْتَنِي تَحْيَرٌ مِنْهُنَّ سِتًّا حِيَادَا
فَاعْزَلْ مَرْجَانَهَا جَانِبًا وَاخْذُ مِنْ دُرِّهَا الْمُسْتَجَادَا
وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا نُوَّاسٍ كَانَ يَفْعَلُ هَذَا الْفِعْلَ وَيُنْقِي الْجَيْدَ
وَيَلْتَمِسُ لَهُ مِنَ الْكَلَامِ مَا سَهْلٌ وَمِنْ أَلْفَنِي مَا كَانَ وَاجِبًا جَلِيًّا

يَعْرِفُ بَدِيًّا . فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ : شَرُّ الشُّعْرِ مَا سُئِلَ عَنْهُ .
وَكَانَ الْخَطِيئَةُ يَقُولُ : خَذُ الشُّعْرَ الْحَوْلِيَّ الْحَكَّكَ . أَخَذَ فِي ذَلِكَ
بِمَذْهَبِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سَلَمَى وَآوُسٍ وَطُفَيْلٍ . وَلَا يَجُوزُ لِلشَّاعِرِ
كَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِقَائِهِ أَنْ يَكُونَ مُعْجِبًا بِنَفْسِهِ مُثْنِيًا عَلَى شِعْرِهِ وَإِنْ
فَضِيحَةً ظَاهِرَةً كَانَ غَنِيًّا عَنْهَا . وَكَانَ فِي الْبُحْتَرِيِّ اعْجَابٌ شَدِيدٌ إِذَا
أَنْشَدَ يَقُولُ : مَا لَكُمْ لَا تَحْبِبُونَ مَا أَحْسَنَ مَا تَسْمَعُونَ . فَأَنْشَدَ
الْمُتَوَكِّلُ يَوْمَ مَا قَصِدَتْهُ :

عَنْ أَيِّ شَعْرِ تَبْتِمُّ وَبِأَيِّ طَرْفٍ تَحْتَكِمُ
وَأَبُو الْعَبَّاسِ الصِّيرِيُّ حَاضِرٌ فَلَمَّا رَأَى اعْجَابَهُ قَامَ حِذَاءَهُ
وَقَالَ :

مِنْ أَيِّ سَلَحٍ تَلْتَمِمْ وَبِأَيِّ كَفٍ تَلْتَظِمُ
فَوَلَّى وَهُوَ غَضَبَانُ . فَقَالَ : وَعَلِمْتُ أَنَّكَ تَنْهَزِمُ . فَصَحَّحَ
الْمُتَوَكِّلُ حَتَّى فَحَصَ بِرَجْلَيْهِ وَأَعْطَى الصِّيرِيَّ جَائِزَةً سِنِيَّةً

البحث الخامس عشر

في عمل الشعر وشمخ القريحة

(من كتاب الممثلة)

لَا بُدَّ لِلشَّاعِرِ وَإِنْ كَانَ فَخْلًا حَازِقًا مُبِيرًا مُقَدِّمًا مِنْ قَدَرِهِ
تَعَرَّضَ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَوَاقَاتِ إِمَّا لِشُغْلٍ طَرَأَ أَوْ مَوْتٍ قَرِيبَةٍ أَوْ
نُبْرٍ طَبَعَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ أَوْ ذَلِكَ الْيَمِينِ . وَقَدْ كَانَ الْقُرْزُدِيُّ

وَهُوَ فُحْلٌ مُضَرٌّ فِي زَمَانِهِ يَقُولُ : تَمُرُّ عَلَيَّ السَّاعَةُ وَقَلْعُ ضَرْسٍ مِنْ
 أَضْرَاسِي أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ عَمَلِ يَتِّ مِنْ الشَّعْرِ فَإِذَا تَمَادَى ذَلِكَ
 عَلَى الشَّاعِرِ قِيلَ : قَدْ أَصْفَى كَمَا يُقَالُ أَصْفَتِ الدَّجَاجَةُ إِذَا
 انْقَطَعَ يَنْضَاهَا وَكَذَلِكَ يُقَالُ لَهُ أَجْبَلَ كَمَا يُقَالُ لِلْحَافِرِ أَلْبَدِ
 إِذَا بَلَغَ جَبَلَ تَحْتَ الْأَرْضِ لَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْءٌ أَجْبَلَ . وَلَقَدْ
 أَشَاعِرُ عَلَى أَفْعَلٍ وَقَالُوا : هُوَ مِنْ فَحِمٍ الصَّيِّ إِذَا انْقَطَعَ صَوْتُهُ مِنْ
 شِدَّةِ الْبُكَاءِ . فَإِنْ سَاءَ لَفْظُهُ وَقَسَدَتْ مَعَانِيهِ قِيلَ لَهُ أَهْتَزَّ فَهُوَ
 مُهْتَزٌّ . وَقَدْ قِيلَ فِي الذُّبْيَانِي إِنَّهُ كَانَ شِعْرُهُ ظَفِيرًا مِنَ الصُّوبِ
 لِأَنَّهُ قَالَ كَثِيرًا وَمَاتَ عَنْ قُرْبٍ وَلَمْ يَهْتَزَّ وَكَثُرَ مَا جَاءَ الْإِهْتَارُ
 فِي صِفَةِ الْكَبِيرِ الَّذِي يَخْتَلِطُ كَلَامُهُ . وَقَوْلُهُمْ فِي شِعْرِ النَّافِةِ
 إِنَّهُ قَالَ كَثِيرًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ هَذَا يُسَمَّى نَافِةً كَمَا عِنْدَ أَكْثَرِ
 النَّاسِ لَا لِقَوْلِهِ : « قَدْ بَنَتْ لَنَا مِنْهُمْ شُؤْنٌ » كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ
 قَوْلِ بَعْضِهِمْ . وَيُقَالُ أَخْلَى الشَّاعِرُ كَمَا يُقَالُ أَخْلَى الرَّامِي إِذَا
 لَمْ يُصِيبْ مَعْنَى

وَيُحْكَمُ عَنِ الْجُبْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : فَادْرُسْتُ عَلَيَّ بَنَ الْجَهْمِيِّ فِي
 الشَّعْرِ وَذَكَرَ اشْتِمَعَ السَّلْمِيُّ قَالًا : إِنَّهُ يُجْلِي . فَلَمْ أَفْهَمْهَا وَارِنْتُ
 أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهَا . فَلَمَّا أَنْصَرَفْتُ فَكَّرْتُ فِيهَا وَظَهَرْتُ فِي شِعْرِ
 اشْتِمَعَ فَإِذَا هُوَ رَبَّمَا مَرَّتْ بِهِ الْآيَاتُ مَفْسُوءَةٌ لَيْسَ فِيهَا بَيِّنَةٌ
 رَاضِعٌ

ثُمَّ إِنَّ لِلنَّاسِ فِيهَا بَعْدَ ضَرْبٍ مُخْتَلِفَةٍ يَسْتَدْعُونَ بِهَا الشَّعْرَ

فَقَسَّحْتُ الْقَرَائِحَ وَتَبَّخْتُ الْخَوَاطِرَ وَتَلَّيْتُ عَرِيكَةَ الْكَلَامِ وَتَسَهَّلَ
طَرِيقَ الْغَنَى بِكُلِّ أَمْرٍ يُجَسِّبُ تَذْيِيرَ طَبِيعِهِ وَأَطْرَادَ عَادَتِهِ .
وَسَيَّأَتِي ذَلِكَ فِي أَقَاوِيلِ الْعُلَمَاءِ بِمَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِيهِ هِدَايَةٌ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

قَالَ بَكْرُ بْنُ الْأَطَّلَحِ الْخَنَفِيُّ: الشَّعْرُ مِثْلُ عَيْنِ الْمَاءِ إِنْ تَرَكْتَهَا
تَضَبَّتْ وَإِنْ اسْتَهْتَمْتَهَا هَتَكَتْ . وَلَيْسَ مُرَادُ بَكْرٍ أَنْ تُسْتَهْتَمَ بِالْعَمَلِ
وَحَدَهُ لِأَنَّا نَجِدُ الشَّاعِرَ تَكِلُ قَرِيحَتَهُ مَعَ كَثْرَةِ الْعَمَلِ مُرَادًا وَتَذَرِفُ
مَادَّتُهُ وَتَقْدُ مَعَانِيَهُ فَإِذَا جَمَّ طَبِيعُهُ أَيَّامًا وَدَبَّأَ زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ
صَنَعَ الشَّعْرَ جَاءَ بِكُلِّ آيَةٍ وَأَتَمَّ بِكُلِّ قَافِيَةٍ مُارِدَةً وَفَجَّ لَهُ
مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَافِ مَا لَوْ رَامَهُ مِنْ قَبْلِ لَأَسْتَغْلِقَ عَلَيْهِ وَأُنْهِمَ
دُونَهُ . لَكِنْ بِالْمَذَاكِرَةِ مَرَّةً فَأَتَاهَا تَقْدُحُ زِنَادِ الْخَاطِرِ وَتُخْجِرُ عُيُونَ
الْمَعَانِي وَتُوقِظُ أَبْصَارَ الْفِتْنَةِ وَيُطَالِمَةُ الْأَشْعَارِ كَرَّةً فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ
الْجَسَدَ وَتَوَلَّدَ الشَّهْوَةُ . وَسُئِلَ ذُو الرِّمَّةِ كَيْفَ تَفْعَلُ إِذَا انْتَقَلَ
دُونَكَ الشَّعْرُ . فَقَالَ: كَيْفَ يَنْقَلُ دُونِي وَعِنْدِي مَفَاتِحُ . قِيلَ لَهُ:
وَعَنْهُ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ . قَالَ: الْخُلُوفُ يَذْكُرُ الْأَحْبَابَ وَلَعَمْرِي أَنَّهُ إِذَا
انْتَفَحَ لِلشَّاعِرِ نَسِيبُ الْقَصِيدَةِ قَدَّ وَلَجَ مِنَ الْأَبَابِ وَحَطَّ رِجْلُهُ فِي
الرِّكَابِ عَلَى أَنْ ذَا الرِّمَّةِ لَمْ يَكُنْ كَسِيرِ الْمَدْحِ وَالْعِجَاءِ وَأَنَا
كَانَ وَاصِفَ أَطْلَالٍ وَكَادِبَ أَطْلَانٍ وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَهُ مِنْ طَبَقِ
الْفُحُولِ . وَقِيلَ لِكُثَيْرٍ كَيْفَ تَضَعُ الشَّعْرَ إِذَا عَسَرَ عَلَيْكَ . قَالَ:
أَطُوفُ فِي الرِّيَاضِ الْمَشْجُبَةِ فَيَسْهَلُ عَلَيَّ صَعْبُهُ وَيُسْرِعُ إِلَيَّ

أَحْسَنُهُ . وَقَالَ الْأَضْمَعِيُّ : مَا اسْتَدْعَيْ شَارِدُ الشَّعْرِ بِشَلِّ الْمَاءِ
الْجَارِي وَالشَّرَفِ الْعَالِي وَالْمَكَانِ الْخَالِي . وَقِيلَ الْخَالِي يَعْنِي الرُّوضَ
وَحَدَّثَنَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا مِنْ أَهْلِ الْمَهْدِيَّةِ . وَقَدْ مَرَرْنَا بِمَوْضِعٍ
بِهَا يُعْرَفُ بِالْكِنْدِيَّةِ وَهُوَ اشْرَفُهَا أَرْضًا وَهَوَاءً . قَالَ : جِئْتُ هَذَا
الْمَوْضِعَ مَرَّةً فَإِذَا عَبْدُ الْكَرِيمِ عَلَى سَطْحٍ هُنَاكَ قَدْ كَشَفَ الدُّنْيَا .
قُلْتُ : أَبَا مُحَمَّدٍ . قَالَ : نَعَمْ . قُلْتُ : مَا تَصْنَعُ هَاهُنَا . قَالَ : أُلْقِ
خَاطِرِي وَاجْلُؤْ خَاطِرِي قُلْتُ : فَهَلْ نَتَجَّ لَكَ شَيْءٌ . قَالَ : مَا تَقَرُّ بِهِ
عَيْنِي وَعَيْنُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَنْشَدَ شِعْرًا يَدْخُلُ مَسَامَ الْقُلُوبِ
رَقَّةً . قُلْتُ : هَذَا اخْتِيَارٌ مِنْكَ اخْتَرْتَهُ . قَالَ : بَلْ يَرَاهِي
الْأَضْمَعِيُّ

وَقَالُوا كَانَ جَرِيرٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُؤَيِّدَ قَصِيدَةً صَنَعَهَا آيَلًا يُشْعِلُ
سِرَاجًا وَيَعْتَرِلُ أَهْلَهُ وَرُبَّمَا عَلَا السَّطْحَ وَحْدَهُ وَغَطَّى رَأْسَهُ رَغَبَةً فِي
الْخُلُوةِ فِي نَفْسِهِ . فَحُكِيَ أَنَّهُ صَنَعَ ذَلِكَ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَخْرَجَ
بِهَا بَنِي عُثَيْرٍ

وَرُوِيَ أَنَّ الْقُرَزْدَقَ كَانَ إِذَا عَصَتْ عَلَيْهِ صَنَعَةُ الشَّعْرِ رَكِبَ
نَاقَةً وَطَافَ وَحْدَهُ مُنْفِرِدًا فِي شِعَابِ الْحِجَالِ وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ
وَالْأَمَاكِنِ الْخَالِيَةِ فَيُغْطِيهِ الْكَلَامُ قِيَادَهُ . فَحُكِيَ ذَلِكَ فِي قَصِيدَتِهِ
الْقَائِيَةِ :

عُرِفْتُ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كُنْتُ تُعْرَفُ
وَذُكِّرَ أَنَّ قَتِيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ فَخَرَّ بِأَيَاتِ حَسَّانَ بْنِ
ثَابِتٍ :

لَنَا الْجَنَّاتُ الْفَرُّ يَلْمَنَ فِي الصُّحَى

وَأَسَافُنَا يَطْرُونَ مِنْ تَجْدَةٍ دَمَا
وَأَنْظَرَهُ سَنَةً قَضَى حَيَاتًا وَطَالَتْ لَبَّتُهُ لَمْ يَضَعْ شَيْئًا فَلَمَّا كَانَ
قُرْبَ الصَّبَاحِ أَتَى جَبَلًا بِالْمَدِينَةِ يُقَالُ لَهُ ذُبَابُ قَنَادَى : أَخَاكُمْ
أَخَاكُمْ يَا بَنِي لَيْنَا صَاحِبِكُمْ صَاحِبِكُمْ صَاحِبِكُمْ وَتَوَسَّدَ ذِرَاعَ
نَاقَتِهِ فَاتَّكَأَتْ عَلَيْهِ الْقَوَارِي وَجَاءَ بِالْقَصِيدَةِ بُكْرَةً وَقَدْ اعْجَزَتْ
الشُّعْرَاءُ وَبَهَرَتْهُمْ طُولًا وَجُودَةً

قَالَ أَمِنْ قُتَيْبَةَ : وَلِلشُّعْرِ أَوْقَاتٌ تُسْرِعُ فِيهَا قَوَافِيهِ مِنْهَا أَوَّلُ
اللَّيْلِ قَبْلَ تَغَيُّهِ الْكَرَى وَمِنْهَا صَدْرُ اللَّيْلِ وَقَبْلَ الْعِدَاءِ وَمِنْهَا
يَوْمُ شُرْبِ الدَّوَاءِ وَمِنْهَا الْخُلُوءُ فِي الْخَبْسِ . فَلِهَذَا الْأَسْبَابِ
تَخْتَلِفُ أَشْعَارُ الشَّاعِرِ وَرَسَائِلُ الْمُرْسَلِ . وَحُكِيَ عَنْ أَبِي تَمَّامٍ
وَقَدْ سَأَلَهُ الْبُخَّارِيُّ عَنْ أَوْقَاتِ صِنْعَةِ الشُّعْرِ فَقَالَ قَرِيبًا مِنْ هَذَا
لَا أَحْفَظُهُ وَلَا أَشْكُ أَنَّ أَمِنْ قُتَيْبَةَ بِهِ أَقْنَدَى وَإِنْ كَانَ بِمَا
رَوَاهُ

وَمَا يَجْمَعُ الْفِكْرَةَ فِي طَرِيقِ الْفَلَسَفَةِ اسْتِغْلَاءُ الْمَوَدِّ عَلَى ظَهَرِهِ
وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَلَيْسَ يَنْفَعُ مُقْتَلِ الْخَوَاطِرِ مِثْلُ مُبَاكَرَةِ الْعَمَلِ
بِالْإِسْحَارِ عِنْدَ الْمُهُوبِ مِنَ النَّوْمِ لِكُونَ النَّفْسِ مُجْتَمِعَةً لَمْ يَتَفَرَّقْ
جِسْمًا فِي أَسْبَابِ اللَّهِ أَوْ أَلْعِيْشَةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ وَإِذَا هِيَ مُسْتَرْجِحَةٌ
جَدِيدَةٌ كَأَنَّمَا نَشَأَتْ نَشَاءً أُخْرَى وَلِأَنَّ السَّحَرَ الطَّيِّفُ هَوَاءٌ وَارِقٌ
نَسِيمًا وَاعْدَلْ مِيزَانًا بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْعَيْشِيُّ كَالسَّحَرِ

وَهُوَ عَيْدُهُ فِي التَّوَسُّطِ بَيْنَ طَرَفِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِدُخُولِ الظُّلُمَةِ
فِيهِ عَلَى الصِّيَاءِ بَعْدَ دُخُولِ الصِّيَاءِ بِالسَّحْرِ عَلَى الظُّلُمَةِ وَلِأَنَّ النَّفْسَ
فِيهِ كَالْمُرِيضَةِ مِنْ قَبْلِ النَّهَارِ وَتَصَرُّفِهَا مُحْتَاجَةً إِلَى قُوَّتِهَا مِنْ
النَّوْمِ وَتَشْوِيقَهُ نَحْوَهُ فَالسَّحْرُ أَحْسَنُ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَضَعَ . فَأَمَّا لِمَنْ
أَرَادَ الْحِفْظَ وَالدرَاسَةَ وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ فَاللَّيْلِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ
أَمَدُنِ اللَّيْلِ : إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً . وَهَذَا
الْكَلَامُ لَا مَطْنٍ فِيهِ وَلَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ . وَكَانَ أَبُو تَمَّامٍ يُكْرَهُ
نَفْسَهُ عَلَى الْعَمَلِ حَتَّى يَظْهَرَ ذَلِكَ فِي شِعْرِهِ . حَكَى ذَلِكَ عَنْهُ بَعْضُ
أَصْحَابِهِ قَالَ : اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ وَكَانَ لَا يَسْتَرِعُ عَنِّي فَأَذِنَ لِي
فَدَخَلْتُ فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتِ مُصْرَجٍ قَدْ غُبِلَ بِالْمَاءِ يَتَقَلَّبُ عَيْنًا
وَيَسْأَلُ قُلْتُ : لَقَدْ بَلَغَ بِكَ الْحَرُّ مَبْلَغًا شَدِيدًا . قَالَ : لَا وَلَكِنْ غِيْرُهُ .
فَمَكَثَ سَاعَةً ثُمَّ قَامَ كَأَنَّمَا أُطْلِقَ مِنْ عِقَالِهِ فَقَالَ : الْآنَ الْآنَ
أَرَدْتُ . ثُمَّ اسْتَمَدَّ وَكَتَبَ شَيْئًا لَا أَعْرِفُهُ ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرِي مَا
كُنْتُ فِيهِ مِنْذُ الْآنَ . قُلْتُ : كَلَّا . قَالَ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :
« كَالْدَهْرِ فِيهِ شِرَاسَةٌ وَلِيَانٌ » زَاوَلْتُهُ حَتَّى أَنْصَحَنَ اللَّهُ مِنْهُ
فَعَمِلْتُ :

شَرِسْتُ بَلْ لَيْتَ بَلْ فَأَيَّتَ ذَلِكَ نَدَى

فَأَنْتَ لَا شَكَّ فِيهِ السَّهْلُ وَالْجَلِيلُ
وَلَعَنَرِي لَوْ سَكَتَ هَذَا الْحَاكِي لَمْ يَكُنْ هَذَا الْبَيْتُ يَمَا كَانَ
دَاخِلَ الْبَيْتِ لِأَنَّ الْكُلْفَةَ فِيهِ ظَاهِرَةٌ وَالتَّعَمُّلُ بَيِّنٌ . عَلَى أَنَّ مِثْلَ

حِكَايَةِ أَبِي تَمَّامٍ وَأَشَدَّ مِنْهَا وَقَعَتْ لَكِنْ لَا يَتَّهَمُ وَهُوَ جَرِيءٌ صَنَعَ
الْقُرْذُقُ شِعْرًا يَقُولُ فِيهِ:
قُلْتُ أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي هُوَ ذَاهِبٌ

بِنَفْسِكَ فَأَنْظِرْ كَيْفَ أَنْتَ مُحَاوِلَةٌ
وَحَلَفَ بِالطَّلَاقِ أَنَّ جَرِيءًا لَا يَمْلِكُهُ فِيهِ فَكَانَ جَرِيءٌ يَتَمَرَّغُ
فِي الرِّمَاءِ وَيَقُولُ: أَنَا أَبُو حَرْزَةَ حَتَّى قَالَ مِنْ آيَاتِهِ لَهُ
مَشْهُورَةٌ:

أَنَا الدَّهْرُ يُغْنِي الْمَوْتَ وَالْدَّهْرُ خَالِدٌ

فَحِينِي مِثْلُ الدَّهْرِ شَيْنًا يُطَاوِلُهُ
وَكَانَ أَبُو تَمَّامٍ يَنْصَبُ الْقَافِيَةَ لِلْبَيْتِ لِيُطْلِقَ الْأَعْيَادَ بِالْأَصْدُورِ
وَذَلِكَ هُوَ التَّصْدِيرُ فِي الشَّعْرِ وَلَا يَأْتِي بِهِ كَثِيرًا إِلَّا شَاعِرٌ مُتَّصِعٌ
مُحْسِبٌ وَظُرَّاهُ وَالصَّوَابُ أَنْ لَا يَخْنَعَ الشَّاعِرُ بَيْنًا لَا يَعْرِفُ قَافِيَتَهُ
غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ ذَلِكَ فِي طَبْعِي وَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْبَسَّةَ بَلْ أَضَعُ
الْقِسِمَ الْأَوَّلَ عَلَى مَا أُرِيدُهُ ثُمَّ أَلْتَمِسُ فِي نَفْسِي مَا يَأْتِي بِهِ
مِنَ الْقَوَائِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَبْنِي عَلَيْهِ الْقِسِمَ الثَّانِي أَضِلُّ ذَلِكَ فِيهِ
كَمَا يَفْعَلُ مَنْ يَبْنِي الْبَيْتَ كُلَّهُ عَلَى الْقَافِيَةِ وَلَمْ أَرِ ذَلِكَ يَجْلُ عَلَى
وَلَا يُزِيحُنِي عَنْ مُرَادِي وَلَا يُغَيِّرُ عَلَيَّ شَيْئًا مِنْ لَفْظِ الْقِسِمِ الْأَوَّلِ
إِلَّا فِي التَّنْذَرَةِ الَّتِي لَا يُعْتَدُّ بِهَا عَلَى وَجْهِ التَّقْصِيرِ الْمَغْرُطِ

وَمِنَ الشُّعْرَاءِ مَنْ يَسْتَقِي إِلَيْهِ بَيْتٌ وَأَثْمَانٌ وَخَاطِرُهُ فِي
غَيْرِهَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ ذَلِكَ بِآيَاتٍ وَذَلِكَ لِقُوَّةِ طَبْعِهِ وَأَنْبِعَاتِ

خَاطِرُهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْصِبُ قَافِيَةَ بَيْتَيْنَا لِلْبَيْتِ بَيْنَهُ مِنَ الشَّعْرِ
مِثْلَ أَنْ تَكُونَ ثَلَاثَةٌ أَوْ رَابِعَةٌ أَوْ تَحْوِ ذَٰلِكَ لَا يَنْدُو بِهَا ذَٰلِكَ
الْمَوْضِعَ إِلَّا ائْتَحَلَ عَلَيْهِ ظَلَمَ آيَاتِهِ وَذَٰلِكَ عَيْ فِي الصَّنْعَةِ شَدِيدٍ
وَنَقْصُ بَيْتٍ لِأَنَّ الشَّاعِرَ يَصِيدُ مُحْضُورًا عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ بَيْنَهُ مُضِيًّا
عَلَيْهِ وَدَاخِلًا تَحْتَ حُكْمِ الْقَافِيَةِ . وَكَانُوا يَقُولُونَ لَيْكُنِ الشَّعْرُ
تَحْتَ حُكْمِكَ وَلَا تَكُنْ تَحْتَ حُكْمِهِ

وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا أَخَذَ فِي صَنْعَةِ الشَّعْرِ جَمَعَ مِنَ الْقَوَائِفِ مَا
يَضِلُّ لِدَٰلِكَ الْوِزْنِ الَّذِي هُوَ فِيهِ . ثُمَّ أَخَذَ مُسْتَعْمَلَهَا وَشَرِيفَهَا وَمَا
سَاعَدَ مَائَتَهُ وَوَاقَعَهَا وَأَطْرَحَ مَا سِوَى ذَٰلِكَ إِلَّا أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ
يَجْمَعَهَا لِيُكَوِّرَ فِيهَا فَظْرَهُ وَيُعِيدَ عَلَيْهَا التَّخَيُّدَ فِي حِينِ الْعَمَلِ .
هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ حَدَاقُ الْقَوْمِ

وَمِنَ الشُّعْرَاءِ مَنْ إِذَا جَاءَهُ الْبَيْتُ عَفْوًا أَتَبَهُ ثُمَّ رَاجَعَ فِيهِ
فَتَحَّهُ وَسَمَّاهُ مِنْ كَدَرِهِ وَذَٰلِكَ لَسَرَعُ وَأَخَفُ عَلَيْهِ وَأَصَحُّ لِنَظَرِهِ
وَأَخَفُ لِبَالِهِ . وَآخَرُ لَا يُثَبِّتُهُ إِلَّا بَعْدَ إِحْكَامِهِ فِي نَفْسِهِ وَتَثْقِيفِهِ
مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ وَذَٰلِكَ أَشْرَفُ لِلْهَيْمَةِ وَأَدْلُ عَلَى الْقَدْرِ وَأَظْهَرُ
لِلْكُلْفَةِ وَأَبْدُ مِنَ السَّرِقَةِ . وَسَأَلْتُ شَيْخًا مِنْ شُيُوخِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ
فَقُلْتُ : مَا يُعِينُ عَلَى الشَّعْرِ . قَالَ : زَهْرَةُ الْبُسْتَانِ وَرَاحَةُ الْحَمَامِ
وَقِيلَ : إِنَّ الطَّعَامَ الطَّيِّبَ وَالشَّرَابَ الطَّيِّبَ وَسَمَاعَ الْغَنَاءِ يَرْزُقُ
الطَّبْعَ وَيُصْنِي الزَّجَالَ وَيُعِينُ عَلَى الشَّعْرِ . وَلَمَّا أَرَادَتْ قُرَيْشُ
مُعَارَضَةَ الْقُرْآنِ عَكَفَ مُصْحَاؤُهُمُ الَّذِينَ تَعَاظَرُوا ذَٰلِكَ عَلَى بَابِ

أَبْرَ وَسَلَافِ الْخَيْرِ وَلَحْمِ الضَّانِ وَالْخَلْقَةِ إِلَى أَنْ بَلَّغُوا مَجْهُدَهُمْ .
فَلَمَّا سَمِعُوا قَوْلَ الْقُرْآنِ : وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ
أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا
لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . يَتَسَوَّأُ بِمَا طَعِمُوا فِيهِ وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ بِكَلَامِ مَخْلُوقٍ .
وَقِيلَ : مَقْعِدُ الشَّجَرِ الْعِتَابُ . وَذُكِرَ عَنْ أَبِي الطَّيِّبِ أَنَّ مُشَرِّفًا
تَشَرَّفَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَضَعُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِي أَوَّلِهَا « جَلَّالًا كَمَا
بِي فَلَيْكَ التَّبَرُّجُ » وَهُوَ يَتَغَنَّى وَيَضَعُ فَإِذَا تَوَقَّفَ بَعْضُ التَّوَقُّفِ
رَجَعَ بِالْإِنْشَادِ مِنْ أَوَّلِ الْقَصِيدَةِ إِلَى حَيْثُ انْتَهَى مِنْهَا . وَقَالُوا :
الْحَيَّةُ إِكْلَالُ الْقَرِيحَةِ أَنْتِظَارُ الْحَمَامِ . وَهَذَا عِنْدِي أَجْمَعُ الْأَقْوَالِ
وَبِهِ أَقُولُ وَإِلَيْهِ أَذْهَبُ . وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزَّيْنِيُّ : لَا
تَكْدُوا الْقُتُوبَ وَلَا تُهَيِّئُوهَا وَخَيْرُ الْفِكْرِ مَا كَانَ عَنْ عَقِبِ الْحَمَامِ
وَأَسْخَدُوا الْقُتُوبَ بِالْمَذَاكِرَةِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ إِصَابَةِ الْحِكْمَةِ إِذَا
أَمْتَحَنَتْكُمْ بَعْضُ الْإِسْتِفْلَاقِ فَإِنَّ مَنْ أَدَمَّنَ قَرَعَ أَلْبَابِ وَصَلَ .
وَقَالَ الْخَلِيعُ : مَنْ لَمْ يَأْتِ شِعْرُهُ مَعَ الْوَحْدَةِ فَلَيْسَ بِشَاعِرٍ .
وَقَالُوا يُرِيدُ الْحَاوَةَ وَرَبَّمَا أَرَادَ الْقُرْبَةَ كَمَا قَالَ دِيكُ الْجِنْدِ : مَا
أَصْفَى شَاعِرٌ مُقَرَّبٌ قَطُّ

وَبِمَا لَا يَسَعُ تَرْكُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ صَحِيفَةٌ كَتَبَهَا بِشَرُّ بْنُ
الْمُعْتَبِرِ ذَكَرَ فِيهَا أَبْلَغَةً وَدَلَّ عَلَى مَظَانِّ الْكَلَامِ وَالْفَصَاحَةِ يَقُولُ
فِيهَا : خُذْ مِنْ نَفْسِكَ سَاعَةً قَرَأْتَكَ وَفَرَاغَ بَالِكَ وَاجَابَتَهَا إِيَّاكَ فَإِنَّ
قَلِيلَ تِلْكَ السَّاعَةِ أَكْرَمُ جَوْهَرًا وَلَشَرَفُ جِنْسًا وَأَحْسَنُ فِي الْأَسْمَاعِ

وَاخْلَى فِي الصُّدُورِ وَأَسْلَمَ مِنْ فَاحِشِ أَخْطَاءِ وَاخْلَبَ بِكُلِّ
عَيْنٍ وَغَرَّةٍ مِنْ لَفْظٍ شَرِيفٍ وَمَعْنَى بَدِيعٍ

وَأَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ أَجْدَى عَلَيْكَ مِمَّا يُعْطِيكَ يَوْمَكَ الْأَطُولُ
بِالْكَدِّ وَالْجَاهِدَةِ وَبِالتَّكَلُّفِ وَالْمُعَانَدَةِ وَمِمَّا أَخْطَاكَ لَمْ يُخْطِئَكَ
أَنْ يَكُونَ مَقْبُولًا قَصْدًا أَوْ حَقِيقَةً عَلَى اللِّسَانِ سَهْلًا كَمَا خَرَجَ مِنْ
يَتْبُوهُ وَتَحْمٍ عَنْ مَعْنَاهِ وَإِيَّاكَ وَالتَّرَعُّ فَإِنَّ التَّرَعُّ يُسَلِّكُ إِلَى
التَّعْقِيدِ وَالتَّعْقِيدُ هُوَ الَّذِي يَسْتَهْلِكُ مَعَانِيكَ وَيَشِينُ الْقَائِظَ . وَمَنْ
أَرَاكَ مَعْنَى كَرِيمًا فَلْيَتَسَنَّ لَفْظًا كَرِيمًا فَإِنَّ حَقَّ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ
الْلَفْظُ الشَّرِيفُ وَمِنْ حَقِيقَتِهَا أَنْ يَصُونَهَا عَمَّا يُفْسِدُهَا وَيُجْهِئُهَا
وَعَمَّا يَعُودُ مِنْ أَجْلِهِ أَسْوَأَ حَالًا مِنْكَ قَبْلَ أَنْ يَتَسَنَّ إِظْهَارُهَا
وَتَرْهَنَ نَفْسَكَ فِي مَلَابَسَتِهَا وَقَضَاءِ حَقِيقَتِهَا وَكُنْ فِي إِحْدَى ثَلَاثِ
مَنَازِلَ فَإِنَّ أَوَّلَ الثَّلَاثِ أَنْ يَكُونَ لَفْظُكَ رَشِيقًا عَذْبًا أَوْ فَحْمًا
سَهْلًا وَيَكُونَ مَعْنَاكَ ظَاهِرًا مَكْشُوفًا وَقَرِيبًا مَعْرُوفًا . إِمَّا عِنْدَ
الْخَاصَّةِ إِنْ كُنْتَ لِلْخَاصَّةِ قَصَدْتَ . أَوْ لِلْعَامَّةِ إِنْ كُنْتَ لِلْعَامَّةِ
قَصَدْتَ وَالْمَعْنَى لَيْسَ يَشْرَفُ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ مَعَانِي الْخَاصَّةِ
فَكَذَلِكَ لَيْسَ يَتَّصِفُ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ مَعَانِي الْعَامَّةِ وَإِنَّمَا مَدَارُ
الشَّرَفِ مَعَ الصَّوَابِ وَإِخْرَاجِ الْمَنْفَعَةِ وَمَعَ مُوَاقِفَةِ الْحَالِ وَمَعَ
مَا يَجِبُ لِكُلِّ مَقَامٍ مِنَ الْمَقَالِ . وَكَذَلِكَ الْلَفْظُ الْعَامِّيُّ وَالْخَاصِّيُّ
فَإِنْ أَمْسَكَكَ أَنْ تَبْلُغَ مِنْ بَيَانِ لِسَانِكَ وَبَلَاغَةِ قَلَمِكَ وَلُطْفِ
مَدَاخِلِكَ وَاقْتِدَارِكَ فِي نَفْسِكَ عَلَى أَنْ تُفْهَمَ الْعِلْمَةُ مَعَانِي

لِحَافَةِ وَتَكْسُوَهَا أَلْفَاطُ الْمُتَوَسِّطَةِ الَّتِي لَا تَلْطَفُ عَنِ الدِّهْمَاءِ
وَلَا تَحْقِي عَنِ الْأَكْفَاءِ فَإِنَّتِ الْبَلِيغُ الثَّامُ فَإِنْ كَانَتْ الْمَرْثَةُ
الْأُولَى لَا تَوَاتِيكَ وَلَا تَمَرِّدُكَ وَلَا تَسْمَحُ لَكَ عِنْدَ أَوَّلِ ظَرْفِكَ
فِي أَوَّلِ تَكَلُّفِكَ وَتَحْذُ الْفَلْظَةَ لَمْ تَقْعْ مَوْقِعَهَا وَلَمْ تَسْمَحْ إِلَى
قَرَارِهَا وَإِلَى حَتْمِهَا مِنْ أَمَاكِينِهَا الْمُقْسُومَةِ لَهَا وَالْقَافِيَةِ لَمْ تَحِلَّ مِنْ
مَوْكِرِهَا فِي نِصَابِهَا وَلَمْ تَتَّصِلْ بِشَكْلِهَا وَكَانَتْ قَلَقَةً فِي مَكَانِهَا
نَافِرَةً عَنْ مَوْضِعِهَا فَلَا تُكْرِهْهَا عَلَى انْتِصَابِ مَكَانِهَا وَالْأَوَّلِ فِي
غَيْرِ أَوْطَانِهَا فَإِنَّكَ إِذَا لَمْ تَتَّعَاطِ قَرْضَ الشَّعْرِ الْمَوْزُونِ وَلَمْ تَتَكَلَّفْ
اخْتِيَارَ الْكَلَامِ الْمَشُورِ لَمْ يَبْعَكَ بِتَرْكِ ذَلِكَ أَحَدٌ فَإِنْ أَنْتَ
تَكَلَّفْتُمَا وَلَمْ تَكُنْ حَازِقًا مَطْبُوعًا وَلَا مُحْكِمًا لِشَأْنِكَ بَصِيرًا بِمَا
عَلَيْكَ وَلَكَ عَابَكَ مَنْ أَنْتَ أَقْلُ مِنْهُ عَيْنًا وَرَأَى مَنْ هُوَ دُونَكَ
أَنَّهُ فَوْقَكَ فَإِنْ أَنْتَ أَبْتَلَيْتَ بِأَنْ تَتَكَلَّفَ الْقَوْلَ وَتَتَّعَاطَى
الصَّنْعَةَ وَلَمْ تَسْمَحْ لَكَ الطَّبَاعُ فَلَا تَحْجَلْ وَلَا تَضْجِرْ وَدَعِ بَيَاضَ
يَوْمِكَ وَسَوَادَ لَيْلِكَ وَعَادِدُهُ عِنْدَ نَشَاطِكَ وَفَرَاغَ بَالِكَ فَرُبَّمَا لَا تَقْدَمُ
الْإِجَابَةُ وَالْوَأَاةُ إِنْ كَانَ هُنَاكَ طَبِيعَةٌ أَوْ جَرِيَتْ فِي الصَّنْعَةِ عَلَى
عُرْفٍ فَإِنْ تَمَنَّعَ عَلَيْكَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ حَادِثٍ شُغْلٍ وَمِنْ غَيْرِ
طُولِ إِهْمَالٍ فَالْمَرْثَةُ الثَّالِثَةُ أَنْ تَتَحَوَّلَ عَنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ إِلَى
أَشْغَى الصَّنَاعَاتِ إِلَيْكَ وَأَخْفَى عَلَيْكَ

إِلَّا أَنَّ الْفُؤْسَ لَا تَجُودُ بِمَكْنُونِهَا مَعَ الرِّغْبَةِ وَلَا تَسْمَحُ بِخُزُونِهَا
عِنْدَ الرُّهْبَةِ كَمَا تَجُودُ مَعَ الشَّهْوَةِ وَالْحُبَّةِ . وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ

الآدَبُ : حَسْبُ الشَّاعِرِ عَوْنًا عَلَى صِنَاعَتِهِ أَنْ يَجْمَعَ خَاطِرُهُ بَعْدَ أَنْ
يُنْظِرَ قَلْبُهُ مِنْ فُضُولِ الْأَنْفَعَالِ وَيَدْعَ الْأَمْتِلَاءَ مِنْ أَلْطَامِ
وَالشَّرَابِ ثُمَّ يَأْخُذُ فِيهَا يُرِيدُ . وَأَفْضَلُ مَا اسْتَعَانَ بِهِ الشَّاعِرُ غِنَى
أَوْ فَضْلُ طَمَعٍ وَالْفَقْرُ آفَةُ الشِّعْرِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَنَّ الشَّاعِرَ إِذَا صَنَعَ
الْقَصِيدَةَ وَهُوَ فِي غِنَى وَوُسْعَةٍ نَفَحَهَا وَأَمِنَ النَّظَرَ فِيهَا عَلَى مَهَلٍ
وَإِذَا كَانَ مَعَ ذَلِكَ طَمَعٌ غَنَى قَوَى أَنْبِعَاءَهَا مِنْ يَتْبُوعِهَا وَجَاءَتْ
الرَّغْبَةُ فِيهَا فِي نَهَايَتِهَا مُحْكَمَةً . وَإِذَا كَانَ قَتِيرًا مُضْطَرًّا رَضِيَ بِغَفْرِ
الْكَلَامِ وَأَخَذَ مَا أَمَكْنَهُ مِنْ نَتِيجَةِ خَاطِرِهِ وَلَمْ يَتَدَبَّرْ فِي بُلُوغِ
مُرَادِهِ وَلَا بَلَغَ مَجْهُودَ نَفْسِهِ لِما يُخْفِرُهُ مِنَ الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ فَجَاءَ
دُونَ عَادَتِهِ فِي سَائِرِ أَشْعَارِهِ وَزَبَا قَصَرَ عَنْ دُونِهِ بِكَثِيرٍ . وَمِنْهُمْ
مَنْ تَحْيَى الْحَاجَةَ خَائِبُهُ وَتَبَثُّ قَرِيبَتُهُ فَيَجُودُ فَإِذَا أَوْسَعَ آيَفَ
وَصَعِبَ عَلَيْهِ عَمَلُ الْآيَاتِ الْبَسِيرَةِ فَضَلًا عَنِ الْكَثِيرَةِ وَالْعَادَةِ
فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فِعْلٌ عَظِيمٌ وَهِيَ طَبِيعَةٌ خَامِسَةٌ كَمَا قِيلَ فِيهَا

البحث السادس عشر

في المقاطع والمطالع

(من كتاب الصمد لابن رشيقي)

اِخْتَلَفَ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ فِي الْمَقَاطِعِ وَالْمَطَالِعِ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ :
هِيَ الْقُصُورُ وَالْوُصُولُ بِمَعْنَاهَا . فَأَلْقَا طَمَعُ أَوَاغِرُ الْقُصُورِ وَالْمَطَالِعِ
أَوَائِلُ الْوُصُولِ . وَالْقُصُلُ آخِرُ جُزْءٍ مِنَ الْقِيَمِ الْأَوَّلِ كَمَا قَدْ دُنْتُ

وَهُوَ الْعَرُوضُ أَيْضًا . وَالْوُضُولُ أَوَّلُ جُزْءٍ يَلِيهِ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي .
وَقَالَ غَيْرُهُمْ : الْقَاطِعُ مُنْقَطِعُ الْآيَاتِ وَهِيَ الْقَوَافِي وَالطَّالِعُ
أَوَائِلُ الْآيَاتِ . وَقَالَ قُدَّامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ فِي بَعْضِ تَأْلِيْفِهِ وَقَدْ ذَكَرَ
التَّصْرِيعَ وَهُوَ أَنْ يَتَوَخَّى تَصْيِيرَ مَقَاطِعِ الْأَجْزَاءِ فِي الْبَيْتِ عَلَى سَجْعٍ
أَوْ شَيْءٍ بِهِ أَوْ مِنْ جَنْسٍ وَاحِدٍ فِي التَّصْرِيفِ . فَأَشَارَ بِهَذِهِ
الْعِبَارَةِ إِلَى الْقَاطِعِ أَوْ آخِرِ أَجْزَاءِ الْبَيْتِ كَمَا تَرَى . وَقَدْ نَحَدُّ مِنْ
الشِّعْرِ الْمَرْصُوعِ مَا يَكُونُ سَجْعُهُ غَيْرَ مَقَاطِعِ الْأَجْزَاءِ نَحْوَ قَوْلِ أُمِّ
مَعْدَانَ فِي مَرَثِيَةِ لَهَا :

فَلِ الْجَلِيلِ وَتَفْرِجِ الْجَلِيلِ رَاءَ مَطَاءِ الْجَزِيلِ الَّذِي لَمْ يُطِهِ أَحَدُ
فَالسَّجْعُ فِي هَذَا الْبَيْتِ اللَّامُ الْمَطْرُودَةُ فِي ثَلَاثَةِ أَمَاكِنَ مِنْهُ
وَأَخِرُ الْأَجْزَاءِ الَّتِي هِيَ الْقَاطِعُ عَلَى شَرِيطَةِ الْبَاءِ الَّتِي قَبْلَ اللَّامِ .
اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُجْعَلَ السَّجْعُ هُوَ الْبَاءُ الْمَلْتَزِمَةُ فَحِينَئِذٍ عَلَى أَنَّا لَا نَعْلَمُ
حَرْفَ السَّجْعِ يَكُونُ إِلَّا مُتَأَخِّرًا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكَانِ وَمِثْلُ هَذَا
فِي أَنْوَاعِ الْأَعَارِضِ كَثِيرٌ

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَطُنُّ أَنَّ الْمَقْطَعَ وَالْمَطْلَعَ أَوَّلُ الْقَصِيدَةِ
وَأَخِرُهَا وَلَيْسَ ذَلِكَ بِشَيْءٍ لِأَنَّا نَحْدُّ فِي كَلَامِ جَهَايِذَةِ النَّقَّادِ
إِذَا وَصَفُوا قَصِيدَةً قَالُوا : حَسَنَةُ الْمَقَاطِعِ حَمِيدَةُ الْمَطَالِعِ . وَلَا
يَقُولُونَ الْمَقْطَعَ وَالْمَطْلَعَ . وَفِي هَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ لِأَنَّ الْقَصِيدَةَ
إِنَّمَا لَهَا أَوَّلٌ وَاحِدٌ وَأَخِرٌ وَاحِدٌ وَلَا يَكُونُ لَهَا أَوَائِلُ وَأَوَاخِرُ إِلَّا
عَلَى مَا قَدَّمْتُ مِنْ ذِكْرِ آيَاتِ الْآيَاتِ أَوْ الْأَقْسِمَةِ وَأَنْتَاهَا

وَسَأَلَتِ الشَّيْخَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ السَّيْنِ عَنْ
هَذَا فَقَالَ : الْقَاطِعُ أَوَاخِرُ الْآيَاتِ وَالْمَطَالِعُ أَوَائِلُهَا . قَالَ وَمَعْنَى
قَوْلِهِمْ : حَسَنُ الْقَاطِعِ جَيِّدُ الْمَطَالِعِ أَنْ يَكُونَ مُنْقَطِعُ الْبَيْتِ وَهُوَ
الْقَافِيَةُ مُتَمَكِّنًا غَيْرَ قَلْبٍ وَلَا مُتَعَلِّقٍ بِغَيْرِهِ وَهَذَا هُوَ حُسْنُهُ . وَالْمَطَالِعُ
هُوَ أَوَّلُ الْبَيْتِ وَجُودُهُ أَنْ يَكُونَ دَلَالًا عَلَى مَا بَعْدَهُ كَالْتَضْدِيرِ
وَمَا شَاكَاهُ . وَرَوَى الْجَلِيزُ أَنَّ حَبِيبَ بْنَ شُبَّةٍ كَانَ يَقُولُ : النَّاسُ
مُؤَكَّلُونَ بِتَفْضِيلِ جُودَةِ الْإِتِّدَادِ وَيَعْدِمُ صَاحِبِهِ وَأَنَا مُوَكَّلٌ
بِتَفْضِيلِ جُودَةِ الْقَطْعِ وَيَعْدِمُ صَاحِبِهِ . وَحَظُّ جُودَةِ الْقَافِيَةِ وَإِنْ
كَانَتْ كَلِمَةً وَاحِدَةً أَرْفَعُ مِنْ حَظِّ سَائِرِ الْبَيْتِ أَوْ الْقَصِيدَةِ . حَكَاهُ
الْجَلِيزُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقَطْعَ آخِرُ الْبَيْتِ أَوْ الْقَصِيدَةِ وَهُوَ بِالْبَيْتِ
الْيَقِي لِيَذْكُرَ حَظَّ الْقَافِيَةِ

وَحَكِي أَيْضًا عَنْ سَدِيقٍ لَهُ أَنَّهُ قَالَ لِلْعَلَاءِيِّ مَا أَلْبَلَاغُهُ . قَالَ :
كُلُّ كَلَامٍ أَفْهَمَكَ صَاحِبُهُ حَاجَتُهُ فِيهِ مِنْ غَيْرِ إِعَادَةٍ وَلَا حُسْنَةٍ
وَلَا اسْتِعَانَةٍ فَهُوَ بَلِيغٌ . قَالَ : قُلْتُ قَدْ عَرَفْتُ الْإِعَادَةَ وَالْحُسْنَ فَأَا
الْإِسْتِعَانَةَ فَقَالَ : أَمَّا تَرَاهُ إِذَا تَحَدَّثَ قَالَ عِنْدَ مَقَاطِعِ كَلَامِهِ
يَا هَذَا أَسْمِعْ مِنِّي وَأَسْتَمِعْ إِلَيَّ وَأَفْهَمْ وَالسَّتْ تَفْهَمْ هَذَا كُلُّهُ
عَمِّي وَفَسَادٌ

قَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ وَهَذَا الْقَوْلُ مِنَ الْعَلَاءِيِّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
الْقَاطِعَ أَوَاخِرُ الْفُصُولِ . وَمِثْلُهُ مَا حَكَاهُ الْجَلِيزُ عَنِ الْمَأْمُونِ أَنَّهُ
قَالَ لِسَعِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ وَأَفْهَمَ إِنَّكَ لَتُضْغِي لِجَدِيدِي وَتَقِفُ عِنْدَ

مَقَاطِعَ كَلَامِي. وَإِذَا جُمِلَ الْمَقْطَعُ وَالْمَطْلَعُ مُضَدَّيْنِ بِمَعْنَى الْقَطْعِ
وَالطَّلُوعِ كَانَتْ أَطْلَاءً وَاللَّامُ مَفْتُوحَتَيْنِ وَإِذَا أُريدُ مَوْضِعُ الْقَطْعِ
وَالطَّلُوعِ كَثُرَتْ اللَّامُ خَاصَّةً وَهُوَ مَسْنُوعٌ عَلَى غَيْرِ الْقِيَاسِ

البعث السابع عشر

في المبتدأ او الخروج والنهاية

(من كتاب السدة لابن رشيقي)

قِيلَ لِبَعْضِ الْحَدَاقِ بِصَاعَةِ الشِّعْرِ لَقَدْ طَارَ أَسْكَ وَأَشْتَهَرَ
فَقَالَ لَأَنِّي أَقَلْتُ الْحَقَّ وَأَصَبْتُ مَقَامِعَ الْكَلَامِ وَقَوَّيْتُ نَصَّتَ
الْأَغْرَاضِ بِحُجْرِ الْفَوَاحِشِ وَالْحَوَاتِمِ وَلَطَفْتُ الْخُرُوجَ إِلَى الْمَذْحِ وَالْهِجَاءِ
وَقَدْ صَدَقَ لِأَنَّ حُسْنَ الْإِفْتِيحِ دَائِمَةٌ الْإِنْشِرَاحِ وَمَطِيَّةُ التَّجَاوُزِ
وَلَطَافَةُ الْخُرُوجِ إِلَى الْمَذْحِ سَبَبُ ارْتِيَاحِ الْمَذْحِ وَخَاتِمَةُ الْكَلَامِ
أَبْقَى فِي السَّمْعِ وَالْحَقُّ بِالنَّفْسِ لِقُرْبِ الْعَهْدِ بِهَا فَإِنْ حَسُنَتْ حُسْنَ
وَأِنْ قُبِحَتْ قُبُحًا وَالْأَعْمَالُ بِحَوَاتِمِهَا. وَيَتَّبِعِي الشَّاعِرُ أَنْ يُجَوِّدَ أَيْدَاءَ
شِعْرِهِ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا يُقْرَعُ السَّمْعُ بِهِ وَبِهِ يُسْتَدَلُّ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ
أَوَّلٍ وَهَلْهُ. وَقَدْ اخْتَارَ النَّاسُ كَثِيرًا مِنَ الْإَيْدَاءَاتِ سَادَ كُرُهَا مَا
أَمْكَنَ مِنْهَا لِيُسْتَدَلَّ بِهِ نَحْوُ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ «فَقَا نَبِكَ مِنْ
ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَثُولِ» وَهُوَ عِنْدَهُمْ أَفْضَلُ أَيْدَاءَ قَالَهُ شَاعِرٌ لِأَنَّهُ
وَقَفَ وَاسْتَوْقَفَ وَبَكَى وَاسْتَبَكَى وَذَكَرَ الْحَبِيبَ وَالْمَثُولَ فِي
مِضْرَاعٍ وَاحِدَةٍ. وَقَوْلُهُ «الْأَعْمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي» وَمِثْلُهُ

قَوْلُ الْقَطَائِي « إِنَّا مُحْبُوكٌ فَأَسْلَمَ أَيُّهَا الطَّلُّ » وَكَقَوْلِ النَّابِغَةِ :
 كَلِّبْنِي لَهُمْ يَا أُمَيَّةُ فَاصْبِرْ وَلَيْلِ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ
 وَقَوْلُهُ :

كَتَشْتُكَ لَيْلًا بِالْجُمُومِ بَيْنَ سَاهِرَا وَهَمَّيْنِ هَمَّا مُسْتَكِينَا وَظَاهِرَا
 هَذَا بَعْضُ مَا اخْتِيرَ لِلْقَدَمَاءِ وَمِمَّا اخْتِيرَ فِي الرَّثَاءِ قَوْلُ أَوْسٍ
 ابْنِ حَجْرٍ :

أَيُّهَا النَّفْسُ أَخْلِي جَزَعَا إِنَّ الَّذِي تُخَذِّرِينَ قَدْ وَقَعَا
 وَمِمَّا اخْتِيرَ لِلْمُخَذَّرِينَ قَوْلُ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ « أَبِي طَلُّلٌ بِالْجَزْعِ
 أَنْ يَتَكَلَّمَا » وَهُوَ عِنْدَهُمْ أَفْضَلُ أَيْتِدَاءٍ قَالَهُ مُحَدِّثٌ . وَقَوْلُ أَبِي
 نُوَاسٍ :

لَمِنْ دَمْنٍ تَرْدَادُ طِيبَ نَسِيمِ
 عَلَى طُولِ مَا أَقَوْتُ وَحُسْنِ دُسُومِ
 وَقَوْلُهُ :

رَسْمُ الْكَرَى بَيْنَ الْجَبُونِ مَحِيلُ عَمَّى عَلَيْهِ بُكَاءُ عَلَيْكَ طَوِيلُ
 وَقَوْلُهُ :

أَعْطَيْتُكَ رَيْحَانَهَا الْعُقَارُ وَحَانَ مِنْ لَيْلِنَا أَنْسِفَارُ
 وَقَوْلُهُ :

دَعِ عَنكَ لَوْعِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاهُ وَدَاوِي نِي بِأَلْيِ كَانَتْ هِيَ أَلْدَاهُ
 وَمِمَّا أَشْبَهَ ذَلِكَ لَوْ تَعَصَّيْتُهُ لَطَالَ وَكَثُرَ . وَلْيَرْغَبْ عَنِ التَّمْقِيدِ
 فِي الْإَيْتِدَاءِ فَإِنَّهُ أَوَّلُ أَلْيِي وَدَلِيلُ أَلْفِهِ . وَقَدْ حُكِيَ أَنَّ دِعْبِلَ

أَبْنَى عَلَيَّ الْخَوَاعِي وَرَدَّ خِصَّ قَصَدَ دَارَ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ رَغْبَانَ
 دِيكَ الْجَنِّ فَصَمَّ نَفْسَهُ عَنْهُ خَوْفًا مِنْ قَوَارِصِهِ فَقَالَ : مَا لَهُ
 يَسْتَرُّ وَهُوَ أَشْرُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَيْسَ الْقَائِلُ :
 بِهَا غَيْرُ مَسْدُولٍ فِدَاً وَحَمَلَهَا وَهَلْ بِبَشِيَّاتِ الْقُبُورِ ابْتِكَارُهَا
 فَظَهَرَ إِلَيْهِ وَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَاحْسَنَ . ثُمَّ تَنَاشَدَا فَأَنشَدَ دِيكَ
 الْجَنِّ أَتِيْدَاءَ قَصِيْدَةٍ :

كَأَنَّمَا مَا كَانَتْهُ خَلْلُ الْخَلَّةِ وَقَفُّ الْمُلُوكِ أَنْ بَعَسَا
 فَقَالَ لَهُ دِغِيلُ : أَسَكْتَ قَوَائِدَ مَا ظَنَنْتُكَ تُتِمُّ أَلِيَّتَ إِلَّا وَقَدْ
 غَشِيَتْ عَلَيْكَ أَوْ تَشَكَّيْتَ دِمَاغَكَ وَكَكَأَنَّكَ فِي جَهَمٍ تُحَاطَبُ
 أَلْزَابِيَّةً أَوْ تُحَبِّطُكَ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ . وَإِنَّمَا أَرَادَ أَلَيْكَ أَنْ
 يَهْوَلَ عَلَيْهِ وَيَقْرَعَ سَمْعُهُ عَنِّي أَنْ يُرْجِحَهُ أَوْ يَرُوعَهُ فَسَجَّ مِنْهُ مَا
 كَرِهَ . وَلَعَنِي مَا ظَلَمْتَهُ دِغِيلُ وَلَقَدْ أَبْعَدَ مَسَاقَةَ الْكَلَامِ وَخَالَفَ
 الْعَادَةَ وَهَذَا يَتُفَضِّلُ مِنْ جِهَاتٍ . نَهَا إِخْخَارَ مَا لَمْ يُذَكَّرْ قَبْلُ وَلَا
 جَرَتْ الْعَادَةُ عَلَيْهِ فَيَعْتَذِرُ وَلَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فَيُشْهِرُ مَعَ إِحَالَةِ
 التَّشْبِيهِ عَلَى تَشْبِيهِ ثَقُلِ تَجَانُّسُهُ الَّذِي هُوَ حَشْرٌ فَلِئْسَ لَوْ طُرِحَ مِنْ
 أَلِيَّتِكَ كَانَ أَحْزَمَ وَأَسْتَدْعَى قَافِيَةَ لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِقَسَادِ الْغَنَى وَاسْتِحَالَةِ
 التَّشْبِيهِ مَا الَّذِي يُرِيدُ بِنَاقِهِ فِي تَشْبِيهِ الْوَقْفِ وَهُوَ السَّوَارُ وَلَمْ
 كَانَ وَقَفُ الْمُلُوكِ خَاصَّةً . وَمِثْلُهُ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْزُّبَايَ
 بَصَفَ رَقَّتَهُ فِي أَوَّلِ قَصِيْدَةٍ مَدَحَ : الْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ :

كَأَنَّمَا جِئْتُ تَمَآئِي خَطُوهَا أَبْرَزَ مَرِيءٍ الشُّوَى يَرَعَى الْهَقْلُ

فَالَيْتُ الْأَوَّلُ فِي مُحَالَفَةِ الْمَادَةِ لَا زِمَ وَمَعَ ذَلِكَ قَوْلُهُ « حِينَ
تَنَامِي خَطُوهَا » فَقَصَّرَ بِهَا وَهُوَ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ « حِينَ تَدْنَى
خَطُوهَا » وَخَالَفَ جَمِيعَ الشُّعْرَاءِ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَصِفُونَ الْمَاءَ بِالْظُّلُمِ
وَالْحِمَارِ وَالثَّوْرِ بَعْدَ الْكَلَالِ غُلُوبًا وَمُبَالَغَةً فِي الْوَصْفِ . هَذَا هُوَ
الْجِدُّ فَإِنْ لَمْ يَعْمَلُوا لَمْ يَذْكُرُوا أَنَّهَا بَدَلَتْ جَهْدَهَا وَاسْتَفْرَعَتْ جَمِيعَ
مَا عِنْدَهَا بَلْ يَدْعُونَ التَّأْوِيلَ مُحْتَمِلَ الزِّيَادَةِ . ثُمَّ قَالَ « تَرَعَى
الْقُلَّ » وَالْثَّوْرُ لَا يَرَعَى قُلَّ الْحِمَالِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ الْوَعْلُ لِأَنَّهُ لَا يُسْهَلُ
وَالْثَّوْرُ فِي السُّهُولِ وَمَوَاضِعِ الرِّمَالِ إِلَّا أَنْ يُرِيدَ بِالنَّبَاتِ أَعَالِيَهُ
فَرُبَّمَا أَنْ يَكُونَ الْقُلُّ نَبَاتًا بَيْنَهُ أَوْ مَكَانًا قَدْ يُعْكِنُ وَمَا سِيفَتْ
بِهَا

وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ يَقْطَعُ الْمَضْرَاعَ الثَّانِي مِنَ الْأَوَّلِ إِذَا أَبْتَدَأَ
شِعْرًا وَاصْنَعُوا مَا يَقَعُ ذَلِكَ فِي النَّسَبِ كَأَنَّهُ يَدُلُّ بِذَلِكَ عَلَى
وَلَهُ وَشِدَّةُ حَالِهِ كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

جَلَسَ كَمَا بِي قَلْبِكَ التَّبَرُّجُ أَغْذَاءُ ذَا الرِّشَاءِ الْأَعْنَ الشَّيْخُ
فَهَذَا اعْتِدَارُ مَنْ اعْتَدَرَ لَهُ لَوْ وَقَعَ مِثْلُ هَذَا فِي الرِّثَاءِ
وَالْتَفْجِعُ لَكَانَ مَوْضِعُهُ أَيْضًا وَكَذَلِكَ عِنْدَ الْعُظَمَاءِ مِنَ الْأُمُورِ
وَالْتَوَازِلِ الشَّدِيدَةِ . وَلِيَحْتَسِبْ بِمَا يَنَالُهُ فِيهِ زِيَادَةٌ أَوْ يَقَعُ عَلَيْهِ مَطْعَنٌ
فَإِنَّ أَبَا نَعْمَانَ أَمْتَدَحَ أَبَا دَلْفٍ مُحَضَّرَةً مِنْ كَانَ يَكْرَهُهُ وَأَفْتَحَ
أَصِيدَتُهُ الْمَشْهُورَةَ « عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَايِبٍ » وَكَانَتْ فِيهِ
جُبْنَةٌ شَدِيدَةٌ . فَقَالَ الرَّجُلُ لَهْهُ اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ .

فَدَهِشَ أَبُو تَمَّامٍ حَتَّى تَبَيَّنَ ذَلِكَ عَلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَأْخُوذٍ بِمَا قِيلَ
وَلَا هُوَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ عَيْنًا. وَلَا يَلْزُمُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا أَنْ الْحَوَاطَةِ
وَالْحَمَاطِ مِنَ النُّجْمَةِ الْبَارِدَةِ أَفْضَلُ وَالتَّغْرِيطُ أَرْدَلُ وَأَخْبَثُ.
وَدَخَلَ جَرِيْدٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَأَنْشَدَهُ « أَتَضْحَكُ أَمْ فُؤَادُكَ
غَيْرُ صَاحِي » فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: بَلَى فُؤَادُكَ يَا ابْنَ الْقَاعِ لَوْ كَانَتْهُ
يَسْتَنْقِلُ هَذِهِ الْمَوَاجِهَةَ وَالْأَفَقَ قَدْ عَلِمَ أَنَّ الشَّاعِرَ إِنَّمَا خَاطَبَ نَفْسَهُ
وَمِنْ هَذِهِ لِحْجَةٍ بَيْنَهَا عَابُوا عَلَى أَبِي الطَّيِّبِ قَوْلَهُ لِكَافُورٍ أَوَّلُ
لِقَائِهِ مُبْتَدِئًا وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا يُخَاطَبُ نَفْسَهُ لَا كَافُورًا:
كُنَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى أَلَمْتَ شَافِيَا

وَحَسْبُ الْمَنَاسِكَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا
فَالْعَيْبُ مِنْ بَابِ التَّأْدِبِ وَحُسْنِ السِّيَاسَةِ لَا زِمٌ لِأَبِي الطَّيِّبِ
فِي هَذَا الْإِتِّدَاءِ لَا سِيَّمَا وَهَذَا النُّوعُ أَعْنِي جُودَةَ الْإِتِّدَاءِ مِنْ
أَجْلِ مُحَاسِنِ أَبِي الطَّيِّبِ وَأَشْرَفِ مَآثِرِ شِعْرِهِ إِذَا ذُكِرَ الشِّعْرُ.
وَدَخَلَ ذُو الرِّمَّةِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَانْتَشَدَهُ شَيْئًا مِنْ
شِعْرِهِ فَانْشَدَهُ « مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا أَلَاءُ يَنْسَكِبُ » وَكَانَ بَيْنَ
عَبْدِ الْمَلِكِ وَرِيشَةَ فَهِيَ تَدْمَعُ فَتَوَهَّمُ أَنَّهُ خَاطَبَهُ أَوْ عَرَضَ بِهِ فَقَالَ:
وَمَا سُؤَالُكَ يَا جَاهِلٌ عَنْ هَذَا وَمَقْتَهُ وَأَسْرَ بِإِخْرَاجِهِ وَكَذَلِكَ فَعَلَ
أَبْنَةُ هِشَامٍ بِأَبِي النُّجْمِ وَقَدْ أَنْشَدَهُ فِي أَرْجُوزَةٍ:

صَفْرَاءُ قَدْ كَادَتْ وَآلَا تَفْعَلِ فَكَانَتْهَا فِي الْأَفْقِ عَيْنُ الْأَحْوَلِ
وَكَانَ هِشَامُ أَحْوَلَ قَامَرَ فَحُجِبَ عَنْهُ مُدَّةٌ وَقَدْ كَانَ قَبْلَ

ذَلِكَ مِنْ خَاصِّهِ يَسْمُرُ عِنْدَهُ وَهُوَ يَمَازِيحُهُ وَإِنَّمَا يَأْتِي الشَّاعِرُ بِهِذِهِ
الْأَشْيَاءَ إِمَّا مِنْ غَفْلَةٍ فِي الطَّلَبِ أَوْ مِنْ اسْتِفْرَاقٍ فِي الصَّنْعَةِ
وَشُغْلٍ هَاجِسٍ بِالْعَمَلِ يَذْهَبُ مَعَ حُسْنِ الْقَوْلِ حَيْثُ ذَهَبَ
وَالْفُطْنُ الْحَادِثُ يُخْتَارُ لِلْأَوْقَاتِ مَا يُشَاكِلُهَا وَيَنْظُرُ فِي أَحْوَالِ
الْمُحَاطَيْنِ فَيَقْصِدُ مُحَاجَّتَهُمْ وَيَعْمَلُ إِلَى شَهَوَاتِهِمْ وَإِنْ خَالَتْ شَهَوَاتُهُ
وَيَتَقَنَّدُ مَا يَكْرَهُونَ سَمَاعَهُ فَيَجْتَنِبُ ذِكْرَهُ . أَلَا تَرَى أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ
قَالَ لِأَحَدِ الشُّعْرَاءِ وَقَدْ أوردَ بَيْتًا ذَكَرَ فِيهِ «لَوْ خُلِدَ أَحَدُ أَكْرَمِ
لَكُنْتُ مُخْلِدًا بِكَرَمِكَ» وَقَالَ كَلَامًا نَحْوَ هَذَا . فَقَالَ الْمَلِكُ : إِنْ
أَلَمْتُ حَقًّا وَلَنَا مِنْهُ صَيْبٌ . غَيْرَ أَنَّ الْمُلُوكَ تَكَرَّرَ مَا يُسَكِّدُ عَيْنَهَا
وَيُنْقِصُ لَذَّتَهَا فَلَا تَأْتِيهَا بِشَيْءٍ مِمَّا تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ

وَمِنْ الْمَشْهُورِ أَنَّ الثُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْدِرِ أَتَى شَجَرَةَ ظَلِيلَةٍ مُلْتَمَّةٍ
الْأَغْصَانِ فِي تَرْجٍ حَسَنٍ كَثِيرِ الشَّقَائِقِ وَكَانَ مُحِبًّا بِهَا وَإِلَيْهِ
أَضِيقَتْ قَيْلٌ شَقَائِقُ الثُّعْمَانِ . فَقَالَ قَامِرٌ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ
فَأُخْضِرَا وَجَلَسَ لِلدَّهْنِ . فَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ الْعَبَّادِيُّ وَكَانَ كَاتِبُهُ :
أَتَعْرِفُ آيَةَ اللَّعْنِ مَا تَقُولُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ . قَالَ : وَمَا تَقُولُ . قَالَ
تَقُولُ :

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْنَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِأَلَاءِ الزُّلَالِ
عَطَفَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ فَسَوَدَا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالٌ بَعْدَ حَالٍ
مَنْ رَأَى فُلْيُوطَانَ نَفْسَهُ إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَى قُرْطِ الزُّوَالِ
كَأَنَّهُ قَصَدَ مَوْعِظَتَهُ فَنَعَسَ عَلَيْهِ مَا كَانَ فِيهِ وَأَمَرَ بِالطَّعَامِ

وَالشَّرَابِ قَرُفًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَاتَّخَلَ مِنْ قُورِهِ وَلَمْ يَتَمَنَّجْ بَقِيَّةَ
يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ . فَهَذَا شَأْنُ الْمُلُوكِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا وَمِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ أَكْثَرُ
النَّاسِ مِنَ الدُّعَاءِ لَهُمْ بِطُولِ الْعُمُرِ حَتَّى يَبْلُغُوا بِهِمْ مَا لَا يُحِبُّونَ
فَعَالُوا : عِشْ أَبَدًا وَاسْلَمْ مَدَى الدَّهْرِ وَابْقِ بَقَاءَ الزَّمَانِ . وَاعْتَرَضَ
الْتِقَادُ فِي ذَلِكَ وَاخْتَلَفُوا بِحَسَبِ مَا يَتَّخِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي قَوْلِ
أَبِي نُوَّاسٍ :

يَا أَمِينَ اللَّهُ عِشْ أَبَدًا دُمْ عَلَى الْأَيَّامِ وَالزَّمَنِ
أَنْتَ تَبْقَى وَالْقَنَاءُ لَنَا فَإِذَا أَفْنَيْتَنَا فَكُنْ

وَفِي كَثِيرٍ مِثْلِهِ فَإِذَا خَرَجَ الْكَلَامُ عَنْ حَدِّ الْإِمْكَانِ قَانَمَا
يُرَادُ بِهِ بُلُوغُ النَّسَابَةِ لَا غَيْرُ ذَلِكَ . وَمِنْ قَبِيحٍ مَا وَقَعَ لِأَبِي نُوَّاسٍ
الَّذِي أَسَاءَ فِيهِ آدَبُهُ وَخَالَفَ بِهِ مَذْهَبَهُ أَنْ بَعْضَ بَنِي بَرْمَكٍ بَنَى
دَارًا اسْتَفْرَعَهَا بِهَا مَجْهُودُهُ وَاسْتَقَلَّ إِلَيْهَا . فَضَمَّ أَبُو نُوَّاسٍ لِذَلِكَ
الْحَيْنِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ قَصِيدَةً يَدْعُو بِهَا وَيَقُولُ أَوَّلُهَا :

أَرْبَعٌ إِلَيَّ إِنْ لُخِشَ لَبَادٍ عَلَيْكَ وَإِنِّي لَمْ أَخُكْ وَدَادِي
وَحَتَمَهَا أَوْ كَادَ يَقُولُ :

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا قُذِّمْتُمُ بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ رَانِحِينَ وَغَادِي
قَطِيرَ الْبَرْمَكِيِّ وَأَشَارَ ثُمَّ قَالَ : نَعَيْتَ إِلَيْنَا أَنْفُسَا يَا أَبَا
نُوَّاسٍ فَمَا كَانَتْ إِلَّا مُدِيدَةً حَتَّى أَوْقَعَ بِهِمُ الرِّشِيدُ وَصَحَّتْ بِهِمُ
الطَّيْرَةُ . وَزَعَمَ أَنَّ أَمَّا نُوَّاسٍ قَصَدَ الشَّارِئُ لَهُمْ لَيْشِيءَ كَانَ فِي نَفْسِهِ
مِنْ جَعْفَرٍ وَلَا أَظُنُّ ذَلِكَ صَحِيحًا لِأَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنْ جِيدِ شِعْرِهِ

الَّذِي لَا أَشْكُ أَنْ يُحْتَمَلَ لَهُ. اَللَّهُمَّ اَلَا أَنْ يَضَعَ ذَلِكَ حِيلَةً لَهُ وَسِتْرًا
عَلَى مَنْ قَصَدَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ. وَلِلشُّعْرَاءِ مَذَاهِبُ فِي افْتِتَاحِ الْقَصَائِدِ
بِالنَّسِيبِ إِلَى مَا فِيهِ عَطْفُ الْقُلُوبِ وَاسْتِدْعَاءُ الْقَبُولِ بِحَسَبِ مَا
فِي الطَّبَاعِ مِنْ حُبِّ الْقَزْلِ وَالْمِيلِ إِلَى الْهَوِ فَإِنَّ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ
إِلَى مَا بَعْدَهُ. وَمَقَاصِدُ النَّاسِ تَخْتَلِفُ فَطَرِيقُ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ذِكْرُ
الرَّحِيلِ وَالْإِتْقَالِ وَتَوَقُّعُ الْبَيْنِ وَالْإِشْقَاقُ مِنْهُ وَصِفَةُ الطَّلُولِ
وَالْحُمُولِ وَالْإِبِلِ وَلَمْعُ الْهَوَى وَمَرَّ النَّسِيمِ وَذِكْرُ الْيَأْسِ الَّتِي يَلْتَقُونَ
عَلَيْهَا وَالرِّيَاضِ الَّتِي مِنْ خَزَائِمِ وَأَحْجَانِ وَهَيَاكِ وَعَوَارِ وَمَا أَشْبَهَ
مِنْ ذَهْرِ الْبَرِّيَّةِ. وَأَهْلُ الْحَاضِرَةِ يَأْتِي تَعَزُّلُهُمْ فِي الصُّدُودِ
وَالْهَجْرَانِ وَالرُّقْبَاءِ وَمَنْعَةُ الْحُوسِ وَالْأَبْوَابِ وَفِي ذِكْرِ الشَّرَابِ
وَالنَّدَامَى وَالنَّسْرِينَ وَالْقُلُوفِ وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ مِنَ التَّوَارِيدِ الْبَلَدِيَّةِ
وَالرِّيَاحِينَ الْبُسْتَانِيَّةِ فِي تَشْبِيهِ الثَّقَاحِ وَالْأُحْيَةِ بِهِ وَدَسِ الْكُتُبِ
وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ يَمَّا هُمْ مُنْفَرِدُونَ بِهِ

وَالْعَادَةُ أَنْ يَذْكُرَ الشَّاعِرُ مَا قَطَعَ مِنَ الْمَقَاوِزِ وَمَا أَنْضَى مِنَ
الرَّكَائِبِ وَمَا تَجَسَّمَ مِنْ هَوْلِ اللَّيْلِ وَسَهْرِ وَطُولِ النَّهَارِ وَهَجِيرِهِ
وَقِلَّةِ الْمَاءِ وَغُورِهِ. ثُمَّ يُخْرِجُ إِلَى مَدْحِ الْمَقْصُودِ لِيُوجِبَ عَلَيْهِ حَقَّ
الْقَصْدِ وَذِمَامَ الْقَاصِدِ وَيَسْتَحِقَّ مِنْهُ الْمَكَافَاةَ. وَكَانُوا قَدِيمًا أَصْحَابَ
خِيَامٍ يَنْتَقِلُونَ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى آخَرٍ فَلِذَلِكَ كَانَ أَوَّلُ مَا يَبْتَدِئُونَ
أَشْعَارَهُمْ بِذِكْرِ الدِّيَارِ وَتِلْكَ دِيَارُهُمْ وَلَيْسَتْ كَأَنِّيْنَةِ الْحَاضِرَةِ
فَلَا مَعْنَى لِذِكْرِ الْحَضَرِيِّ الدِّيَارِ إِلَّا بَحَاذَا لِأَنَّ الْحَاضِرَةَ لَا تَنْسِفُهَا

الرَّيْحُ وَلَا تَحْمَوْهَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ لَا يُمَكِّنُ
أَنْ يَعِيشَهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْحَيْلِ وَأَحْسَنُ مَا اسْتَعْمَلَهُ الْمُؤَلَّدُونَ
الْخُدُونُ مَا نَأْسَبُ قَوْلَ ابْنِ الرُّومِيِّ :

سَمَى اللَّهُ قَصْرًا بِالرَّصَاقَةِ شَاقِنِي بِأَعْلَاهُ قَصْرِي الدِّيَارِ رُصَا فِي
أَشَارَ بِقُضْبَانٍ مِنَ الدُّرِّ قُبِعَتْ يَوَاقِيتُ خُمْرًا فَاسْتَبَاحَ عَمَّافِي
وَكَانَتْ دَوَائِبُهُمُ الْإِبِلَ بَكَثَرَتِهَا وَعَدَمَ غَيْرِهَا وَصَدِيرَهَا عَلَى
الْتَمَعِ وَقِلَّةِ أَلْمَاءِ وَالْعَلَفِ فَلِهَذَا أَيْضًا خَصَّوْهَا بِالذِّكْرِ دُونَ غَيْرِهَا وَلَمْ
يَكُنْ أَحَدُهُمْ يَرْضَى بِالْكَذِبِ قَيْصَ مَا نَاسَ عَنْدهُ كَمَا يَفْعَلُ
الْخُدُونُ أَلَا تَرَى أَمْرًا الْقَيْسَ لَمَّا كَانَ مَلِكًا كَيْفَ ذَكَرَ خَيْلَ
الْبَرِيدِ وَالْفَرَاقِي عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَسْتَعْنِ عَنْ ذِكْرِ الْإِبِلِ لِلْعَادَةِ الَّتِي
جَرَتْ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ فَقَالَ يَصِفُ رَجُلُهُ إِلَى قَيْصَرٍ :

إِذَا قُلْتُ رَوْحًا أَرَنْ فُرَاقِي

عَلَى هَزَجٍ وَاهِي الْأَبَاجِلِ أَبَدًا

عَلَى كُلِّ مَقْصُوصٍ الذُّنَابِيُّ مُعَاوِدِ

بَرِيدَ الشَّرَى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْرِ بَرَرَا

إِذَا دُعِيَ مِنْ جَانِبَيْهِ رَكْلَيْهَا

مَشَى الْمِيدَتَى فِي دَقِّهِ ثُمَّ قَرَفَا

كَانَتْ لِحَيْلُ الْبَرَبْرِ تَهْلُبُ أَذْنَاهَا كَالْبِقَالِ لِتَدْخُلَ مَدَاحِلَهَا

فِي خِدْمَةِ الْبَرِيدِ وَلِيَعْلَمَ أَنَّهَا لِلْمَلِكِ . وَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ فِي ابْنِ

هُبَيْرَةَ لَمَّا كَانَ أَمِيرًا :

جَاءَتْ بِهِ مُعْتَجِرًا يَبْدُو سَفَوًا تَرْدِي بَلْسَجٍ وَحْدِهِ
تَفْدَحُ قَيْسُ كُلُّهَا بِرَنْدِهِ
إِلَّا أَنْ مِنْهُمْ مَنْ خَالَفَ هَذَا كُلَّهُ فَوَصَفَ أَنَّهُ قَصْدُ الْمَمْدُوحِ
رَاجِلًا إِمَّا إِخْبَارًا بِالْصِّدْقِ وَإِمَّا تَعَاظِي صَعْلَكَةٍ . قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ
لِلْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى :
إِلَيْكَ أَبَا الْعَبَّاسِ مِنْ بَيْنِ مَنْ مَشَى

عَلَيْهَا أَمْتُنِيَا الْخَضْرَمِيَّ الْمَلْنَسَا
قَلَانِصُ لَمْ تَعْرِفْ حَيْثَا عَلَى طَلَا

وَلَمْ تَدْرِ مَا قَرَعَ الْقَنَاقِ وَلَا أَلْمَسَا
فَذَكَرَ أَنَّ قَلَانِصَهُمُ الَّتِي أَمْتَطَلُوا إِلَيْهِ مَشْدُودَةٌ بِالْبَعَالِ
وَأَخْرَجَهُ كَمَا تَرَى مُخْرَجَ الْقَزِّ وَاتَّبَعَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ :
لَا تَأْتِي تَحْمِيلُ الرَّدِيفِ وَلَا السُّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أَجْهَدُهَا
شِرَاكُهَا كُحُودُهَا وَمِشْفَرُهَا زَمَانُهَا وَالشُّوعُ مِقْوَدُهَا
وَقَالَ كَرَّةٌ أُخْرَى فِي مِثْلِ ذَلِكَ يَتَشَكَّى :

وَمَهْمَ جُبْنُهُ عَلَى قَدَمِي تَحْجُزُ عَنْهُ الْعَرَامِيسُ الدُّلُلُ
وَلَوْ شَاءَ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ فَإِنَّ أَبَا نُوَّاسٍ لَمْ يُرِدْ مَا ذَهَبَ
إِلَيْهِ أَبُو الطَّيِّبِ لَكِنْ أَرَادَ أَنَّهُ مَعَهُ فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ قَصْدُهُ فِي حَاجَتِهِ
مُخْتَذِيًا عَلَيْهِ لَكَانَ أَظْهَرَ وَجْهًا مَا لَمْ يَكُنِ الْخَضْرَمِيُّ مِنَ الْبُلُودِ
مُخْصُوصًا بِهِ الْمَسَافِرُ دُونَ الْحَاضِرِ . وَظَاهِرُ الْكَلَامِ أَنَّ مَقْصِدَ
الشَّاعِرَيْنِ وَاحِدٌ . وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو الطَّيِّبِ الْخَيْلَ فِي كَثِيرٍ مِنْ شِعْرِهِ

وَكَانَ يُؤْثِرُهَا عَلَى الْأَيْلِ لَمَّا يَقُومُ فِي نَفْسِهِ مِنَ التَّهَيُّبِ بِذِكْرِ
الْحَيْلِ وَمَطَايِ السَّجَاةِ . قَالَ يَذْكُرُ قُدُومَهُ إِلَى مِصْرَ عَلَى خَوْفٍ
مِنْ سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

وَيَوْمَ كَلِيلِ الْمَاشِيقِ كَسَتْهُ

أُرَاقِبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَغْرُبُ
وَعَيْنِي إِلَى أُذُنِي أَعْرُ كَأَنَّهُ

مِنْ اللَّيْلِ بَلَّيَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكَبُ
وَلَيْسَ مِنْ عَادَةِ بَلَدًا خَاصَّةً شَيْءٌ مِنْ هَذَا كُلِّهِ إِلَّا مَا يُعَدُّ
قَهًّا فَالْوَاجِبُ اجْتِنَابُهُ إِلَّا مَا كَانَ مِنْهُ حَقِيقَةٌ لَا مِيسَا إِذَا كَانَ
الْمَدْحُ مِنْ سُكَّانِ بَلَدٍ الْمَدْحُ يَرَاهُ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ فَمَا أَفْجَحَ ذِكْرُ
النَّاقَةِ وَالْفَلَاةِ

وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ يَعْجُمُ عَلَى مَا يُرِيدُهُ مُكَامَحَةً وَذَلِكَ عِنْدَهُمْ
هُوَ الْوُثْبُ وَالْبَتْرُ وَالْقَطْعُ وَالْكَنْعُ وَالْإِقْتِضَابُ كُلُّ ذَلِكَ يُقَالُ
وَالْقَصِيدَةُ إِذَا كَانَتْ عَلَى تِلْكَ لَحَالِ بَتْرَاءِ كَالْخُطْبَةِ الْبَتْرَاءِ
وَالْقَطْعَاءِ وَهِيَ الَّتِي لَا يُبْتَدَأُ فِيهَا بِمَحْدِ أَفْوٍ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الْخُطْبِ
كَمَا قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ « إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّيِّبُ الْمُقَدَّمُ » فَانْكُرُوا
النَّيِّبَ وَزَعَمُوا أَنَّ أَوَّلَ مَنْ قَفَّ هَذَا الْبَابَ وَقَفَّى هَذَا الْقَفَى أَبُو
نُورٍ يَقُولُهُ « لَا تَبْكُ لَيْلِي وَلَا تَطْرُبْ إِلَى هَيْدِ » وَقَوْلُهُ عِنْدَ
الْحَاقِمِيِّ فَمَا رَوَى بَعْضُ أَشْيَاخِهِ أَفْضَلُ أَيْتَادِ صَنْعَةِ شَاعِرٍ مِنْ
الْقُدَمَاءِ وَالْخُدَيْرِ :

أَعَزَّ شَعْرَكَ الْأَطْلَالَ وَالْمَذُولَ الْقَفْرَا

قَدْ طَالَ مَا إِنْ رَأَيْتُكَ أَحْمَرَا

دَعَانِي إِلَى نَمَتِ الطُّلُولِ مُسَلَّطَا

يَضِيقُ ذِرَاعِي أَنْ أَرُدَّ لَهُ أَسْرَا

فَسَمَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَطَاعَةً

وَأَنْ كُنْتُ قَدْ جَسَمْتَنِي مَرْكَبَا وَغَرَا

نَجَاءً هُوَ بِأَنْ وَصَفَ الْأَطْلَالَ وَالْقَفْرَا إِنَّمَا هُوَ مِنْ خَشْيَةِ

الْإِمَامِ وَالْأَفْوَى عَنْهُ فَرَاغَ وَجْهَهُ. وَإِنْ فِي اللِّسَانِ وَكَثْرَةُ وَلَوْعِهِ

بِالشَّيْءِ لِشَاهِدًا عَدَلًا لَا تُرَدُّ شَهَادَتُهُ وَقَدْ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ « لِسَانُ

الْمَرْءِ مَنْ خَدَّمَ الْفَوَادَا » وَمِنْ عُيُوبِ هَذَا الْبَابِ أَنْ يَكُونَ النَّسِيبُ

كَثِيرًا وَالْمَدِيحُ قَلِيلًا كَمَا يَضَعُ بَعْضُ أَهْلِ وَقْتِنَا

وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ لَا يُجِيدُ الْإِبْتِدَاءَ وَلَا يَتَكَلَّفُ لَهُ ثُمَّ يُجِيدُ

بَاقِيَ الْقَصِيدَةِ وَكَثَرَتْهُمْ فَعَلَا لِذَلِكَ التَّجَوُّزِيُّ كَانَ يَضَعُ الْإِبْتِدَاءَ

سَهْلًا وَيَأْتِي بِهِ عَفْوًا وَكُلَّمَا تَعَادَى قَوِيَّ كَلَامُهُ وَلَهُ مِنْ جَيْدِ

الْإِبْتِدَاءِ كَثِيرٌ لِكثْرَةِ شِعْرِهِ وَالْقَائِلُ عَلَيْهِ مَا قَدَّمْتُ غَيْرَ أَنَّ

الْقَاضِي الْجَرَجَانِي فَضَلَ بِجُودَةِ الْإِسْتِهْلَالِ وَهُوَ الْإِبْتِدَاءُ عَلَى أَبِي

تَمَّامٍ وَأَبِي الطَّيِّبِ وَقَدْ فَضَاهُمَا بِالْخُرُوجِ وَالْحَاطِمَةُ وَلَسْتُ لَرَى

لِذَلِكَ وَجْهًا إِلَّا كَثْرَةَ شِعْرِهِ كَمَا قَدَّمْتُ فَإِنَّهُ لَوْ حَاسِبَهُمَا آتِئَاءَ

جَيْدًا بِإِبْتِدَاءِ لَارْتِي وَقَصْرًا عَنْ عَدِيدِهِ

وَأَمَّا الْحَاطِمَةُ فَإِنَّهُ يَقْضُ مِنْ أَبِي عِبَادَةَ غَضًّا شَدِيدًا وَيَجُودُ

عَلَيْهِ جَوْزًا بَيْنًا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ وَلَا يُسَلَّمُ إِلَيْهِ . وَكَانَ أَبُو تَمَامٍ قَحْمَ
الْأَيْدَاءِ لَهُ رَوْعَةٌ وَعَلَيْهِ أُبَيْهَةٌ كَقَوْلِهِ :

الْحَقُّ الْبَلَجُ وَالسُّيُوفُ عَوَارِدُ فَحْذَارٍ مِنْ أَسَدِ الْعَرِينِ حَذَارٍ
وَقَوْلِهِ أَيْضًا :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ

فِي حَدِيثِهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْحَدِّ وَاللَّعِبِ

وَقَوْلِهِ « يَا رُبَّعُ لَوْ رُبَّعُوا عَلَى ابْنِ هُمُومٍ » وَالْغَالِبُ تَحْتَ الْفَلْظِ
وَجَهَادَةُ الْإَيْدَاءِ

وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ بَشْرِ الْأَيْدِي يُفَعِّلُ أَيْدَاءَاتِ
الْبُحْثَرِيِّ جِدًّا وَهُوَ الَّذِي وَضَعَ كِتَابَ الْمَوَازِنَةِ وَالْتَّرَجِيمِ بَيْنَ
الطَّائِفَيْنِ وَنَوَّهَ فِيهِ بِالْبُحْثَرِيِّ أَكْثَرَ تَنْوِيهِ وَمِنْ جِدِّ أَيْدَائِهِ
قَوْلُهُ :

عَارَعْنَا أَصْلًا فَصَلْنَا الرَّبَّ حَتَّى أَضَاءَ الْأَقْحَوَانُ الْأَشْبُ
وَقَوْلُهُ « كَمَا عَلَى عَيْنِكَ أَبِي لَا أَسْلُو » وَقَوْلُهُ « نَرَى عِنْدَهُمْ
عِلْمًا بِسُجُوبِي وَأَدْمِي » فَلَمَّا الْخُرُوجُ فَهُوَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ بِالْإِسْطِرَادِ
وَلَيْسَ بِهِ لِأَنَّ الْخُرُوجَ إِنَّمَا هُوَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ نَيْسَبَرٍ إِلَى مَدَنٍ أَوْ
غَيْرِهِ بِطُفٍّ تَحِيلٍ ثُمَّ تَمَادَى فِيمَا خَرَجْتَ إِلَيْهِ كَقَوْلِ أَبِي عِبَادَةَ
الْبُحْثَرِيِّ :

نُعِيتُ رَبَّاكَ بِكُلِّ غَيْثٍ جَاعِلٍ مِنْ وَبَلِهِ حَقًّا لَهَا مَعْلُومًا
وَلَوْ أَنِّي أُعْطِيتُ فِيهِنَّ أَلْمَنَى لَسَقَيْتُهُنَّ بِكَفِّ إِبْرَاهِيمَا

وَأَكْثَرُ النَّاسِ اسْتِعْمَالًا لِهَذَا الْقَوْلِ أَبُو الطَّيِّبِ فَإِنَّهُ مَا يَكَادُ
يَشُدُّ عَنْهُ حَتَّى رُبَّمَا قَبِجَ سُقُوطُهُ فِيهِ نَحْوَ قَوْلِهِ:
هَذَا فَاطْزُرِي أَوْ قَطِيتِي بِي تَرَى حَرْقًا
مَنْ لَمْ يَذُقْ طَرَفًا مِنْهَا فَقَدْ وَآلَا

عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعُ لِي
إِلَى آلِي تَرَكْتَنِي فِي أَلْهَى مَسَلَا
فَقَدْ غَنَى أَنْ يَكُونَ الْأَمِيرُ لَهُ قَوَادَا وَلَيْسَ هَذَا مِنْ قَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ:
سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ هَوَانًا لَمَلَّ الْفَضْلُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
فِي شَيْءٍ لِأَنَّ أَبَا نُوَّاسٍ قَالَ: يَجْمَعُ بَيْنَنَا ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ ذِكْرَ
الْمَاءِ وَالسَّحَابَةِ فَقَالَ:

أَمِيرُ رَأَيْتُ أَلْمَالَ فِي نَقْمَاتِهِ ذَلِيلًا مَهِينَ النَّفْسِ بِالضَّمِّ مُوقِنًا
وَكَاَنَّهُ أَشَارَ إِلَى أَنَّ جَمْعَهُ بَيْنَهُمَا بِالْمَالِ خَاصَّةً يَفْضُلُ عَلَيْهِ
وَيُجْزَلُ عَطِيَّتُهُ فَيَتَذَوُّجُهَا أَوْ يَسْرَاهَا. وَأَبُو الطَّيِّبِ قَالَ لِيَشْفَعُ
وَالشَّفَاعَةُ رَغْبَةٌ وَسُؤَالٌ. ثُمَّ أَتْبَعَ بَيْتَهُ بِمَا هُوَ مُعَوِّ لِعَنَاءِهِ فِي
الْقِيَادَةِ فَقَالَ:

أَيَقُنْتُ أَنَّ سَعِيدًا طَالِبٌ بِدَيْمِي لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالزُّمَحِ مُعْتَمِلًا
فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَشْفَعُ فَإِنْ أُجِيبَ إِلَى مُسَاعَدَةِ أَبِي الطَّيِّبِ
فَذَلِكَ وَالْأَرَجُ إِلَى الْقَهْرِ وَالَّذِي يُشَاكِلُ قَوْلَ أَبِي نُوَّاسٍ قَوْلُهُ:
أُحِبُّ الَّذِي فِي الْبَدْرِ مِنْهُ مِثَابُهُ

وَأَشْكُو إِلَى مَنْ لَا يُصَابُ لَهُ شَكْلٌ

فَلَفْظَةُ الشَّكْوَى تُحْمَلُ عَنْهُ كَمَا حُمِلَتْ عَنْ أَبِي نُوَّاسٍ
وَأَوَّلَى الشَّعْرِ بِأَن يُسَى تَخْلَصَ مَا تَخْلَصَ فِيهِ الشَّاعِرُ عَنْ مَعْنَى
إِلَى مَعْنَى ثُمَّ عَادَ إِلَى الْأَوَّلِ وَآخَذَ فِي غَيْرِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ
فِيهِ كَقَوْلِ الثَّابِتِ الذَّيَّانِي آخِرَ نَسِيبِ قَصِيدَةِ اعْتَذَرَ بِهَا إِلَى
الْثُّمَّانِ :

فَكَفَفْتُ مِنِّي عِدَّةً فَوَدَدْتُهَا
عَلَى الْخَمْرِ مِنْهَا مُسْتَهْلٌ وَدَارِعُ
عَلَى حِينَ عَانَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبِي
وَقُلْتُ أَلَّا أَخْجُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ
ثُمَّ تَخْلَصَ إِلَى الْأَعْتِذَارِ فَقَالَ :

وَلَكِنْ هُمَا دُونَ ذَلِكَ دَاخِلًا مَكَانَ الشَّغَابِ يَتَّبِعُهُ الْأَصَابِعُ
وَعِيدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ
ثُمَّ وَصَفَ حَالَهُ عِنْدَ مَا سَمِعَ مِنْهُ ذَلِكَ فَقَالَ :
فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتُ ضَيْبَةً مِنْ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعُ
يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ النَّسَامِ سَلِيلُهَا لِحْظِي الْإِسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاكِعُ
فَوَصَفَ الْحَيَّةَ وَالسَّلِيمَ الَّذِي شَبَّ نَفْسَهُ بِهِ مَا شَاءَ ثُمَّ تَخْلَصَ
مِنَ الَّذِي كَانَ فِيهِ فَقَالَ :

أَتَانِي أَبَيْتَ اللَّعْنُ أَنْكَ لَتْنِي وَتَلَكَ أَتَيْتُكَ مِنْهَا الْمَسَامِحُ
ثُمَّ أَطْرَدَ لَهُ الْقَوْلُ مَا شَاءَ مِنْ تَخْلُصٍ إِلَى تَخْلُصٍ حَتَّى انْقَضَتْ
الْقَصِيدَةُ وَهُوَ مَا اشْمَرْتُ إِلَيْهِ غَيْرُ خَافٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَقَدْ

يَقَعُ مِنْ هَذَا التَّوَعُّ شَيْءٌ يَنْتَرِضُ فِي وَسْطِ التَّسْيِبِ مِنْ مَذَحٍ
مَنْ يُرِيدُ الشَّاعِرُ مَذَحَهُ بِتِلْكَ الْقَصِيدَةِ ثُمَّ يَمُودُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَا
كَانَ فِيهِ مِنَ التَّسْيِبِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْمَذَحِ كَمَا فَعَلَ وَمِنْ قَوْلِ
أَبِي تَمَّامٍ يَمْدَحُهُ الَّذِي تَمَادَى فِيهِ مُنْقَطِعًا وَذَلِكَ فِي وَسْطِ التَّسْيِبِ
مِنْ قَصِيدَةٍ :

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ التَّوَى

مُرٌّ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ

مَا ذَلْتُ عَنْ سَبِّ الْوَدَادِ وَلَا غَدْتُ

نَفْسِي عَلَى النَّبِ سِوَاكَ تَحْمُومُ

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ :

بِحَمْدِ بْنِ الْهَيْثَمِ بْنِ شَبَّانَةَ حَجَّدْتُ إِلَى جَنْبِ الْجَاكِ مُقِيمٌ

وَيَسْتَسِي هَذَا التَّوَعُّ الْإِلَامَ. وَكَانَتْ الْعَرَبُ لَا تَذْهَبُ هَذِهِ

الْمَذَاهِبَ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَذَحِ بَلْ يَقُولُونَ بَعْدَ فَرَائِهِمْ مِنْ نَعْتِ

الْأَبْلِ وَذِكْرِ الْقَبْلِ وَمَا هُمْ بِسَيْلِهِ دَعَا وَوَعْدَ عَنْ ذَا وَيَأْخُذُونَ

فِيمَا يُرِيدُونَ أَوْ يَأْتُونَ بِإِنَّ الْأَشْدَدَّ أَيْدَاءَ لِلْكَلامِ الَّذِي يَقْصِدُونَهُ

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ خُرُوجُ الشَّاعِرِ إِلَى الْمَذَحِ مُتَّصِلًا بِمَا قَبْلَهُ وَلَا مُنْقَطِعًا

يَقُولُهُ دَعَا وَوَعْدَ عَنْ ذَا وَتَحْوِ ذَلِكَ سُبْحِي طَفْرًا وَأَنْعِطَاعًا. وَكَانَ

الْمُجْتَرِي كَثِيرًا مَا يَأْتِي بِهِ كَقَوْلِهِ :

لَوْلَا الرَّجَاءُ لَمْتُ مِنَ أَلَمِ الْهَوَى لَكِنَّ قَلْبِي بِالرَّجَاءِ مُوَكَّلٌ

إِنَّ الرِّعْيَةَ لَمْ تَرَلْ فِي سِيدَةِ مَحْمُودَةٍ مَذْ سَأَهَا الْمُتَوَكِّلُ

وَرَبَّمَا قَالُوا بَعْدَ صِفَةِ النَّاقَةِ وَالْمَنَازَةِ إِلَى فُلَانٍ قَصَدْتُ وَحَقِّي
 تَرَكْتُ بِفَنَاءِ فُلَانٍ وَمَا شَاكَ ذَلِكَ . وَأَمَّا الْإِنْتِهَاءُ فَهُوَ قَاعِدَةٌ
 الْقَصِيدَةِ وَآخِرُ مَا يَتَعَيَّ مِنْهَا فِي الْأَنْشَاعِ وَسَبِيلُهُ أَنْ يَكُونَ مُحْكَمًا
 لَا يُمَكِّنُ الزِّيَادَةَ عَلَيْهِ وَلَا يَأْتِي بَعْدَهُ أَحْسَنُ مِنْهُ . وَإِذَا كَانَ أَوَّلُ
 الشِّعْرِ مُفْتَحًا لَهُ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ آخِرُهُ قَفْلًا عَلَيْهِ . وَقَدْ أَرْنَى أَبُو
 الطَّيِّبِ عَلَى كُلِّ شَاعِرٍ فِي جُودَةٍ هَذِهِ الْأَبْوَابِ الثَّلَاثَةِ إِلَّا أَنَّهُ
 رَبَّمَا عَقَّدَ أَوَائِلَ الْأَشْعَارِ ثِقَةً بِنَفْسِهِ وَاغْرَابًا عَلَى النَّاسِ كَقَوْلِهِ أَوَّلُ
 قَصِيدَةٍ :

وَقَالُوا كَمَا كَالَرَّبْعِ انْجَاهُ طَالِسُهُ بِأَنْ تُسْعِدَا وَالْدَمْعُ انْجَاهُ سَائِحُهُ
 فَإِنَّ هَذَا يَحْتَاجُ الْأَضْمِيَّ إِلَى أَنْ يُفَسِّرَ مَعْنَاهُ . وَيَقَعُ لَهُ فِي
 الْخُرُوجِ مَا كَانَ تَرْكُهُ أَوَّلِي بِهِ وَأَشْعَرُ لَهُ وَإِنَّمَا أَدْخَلَهُ فِيهِ حُبُّ
 الْإِغْرَابِ فِي بَابِ التَّوَلِيدِ حَتَّى جَاءَ بِالْقَفْلِ الْبَارِدِ وَالشَّيْبِ الْمُسْكَلِ
 نَحَرَ قَوْلِهِ :

أُجِلكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ غُلٍّ شِدًّا وَآثِنُ إِزْهِيمَ رَيْسَا
 فَهَذَا مِنَ الْبَشَاعَةِ وَمِنْ الشَّنَاعَةِ بِحَيْثُ لَا يَحْتَجِي عَلَى أَحَدٍ . وَمَا
 أَخْطَأَهُ سَرَقَ هَذَا اللَّعْنَى الشَّرِيفَ إِلَّا مِنْ كِذْبَةٍ كَانَ أَوْرَدَهَا أَبُو
 النَّبَسِ الصَّمِيرِيُّ عَلَى لِسَانِ رَجُلٍ فَرَّغَ أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَجُلًا
 نَامَ فَجَرَهُ الثَّمَلُ ثَلَاثَةَ فَرَاسِخَ . وَقَدْ جَعَلَ أَبُو الطَّيِّبِ مَكَانَ الرَّجُلِ
 جَبَلًا وَإِنْ عَلِمْنَا الْإِغْرَابَ فِي مُرَادِهِ وَلَفْظِهِ . وَقَالَ أَيْضًا :
 أَغْرَ مَكَانَ فِي الدُّمَا سَرَجٌ سَائِحٌ وَخَيْدٌ جَلِيسٌ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ

وَبَجَرُ أَبُو الْمَسْكِ الْحِصَمُ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ بَجَرٍ زَخْرَةٌ وَعُكَابٌ
يُرِيدُ وَخَيْرُ بَجَرٍ أَبُو الْمَسْكِ وَهَذِهِ غَايَةُ التَّصْنَعِ وَالتَّكْلِيفِ. وَمِنْ
الْعَرَبِ مَنْ يَنْجُمُ الْقَصِيدَةَ فَيَقْطَعُهَا وَالنَّفْسُ بِهَا مُتَعَلِّقَةٌ وَفِيهَا رَاغِبَةٌ
وَلَهَا مُشْتَبِهَةٌ وَيَبْقَى الْكَلَامُ مَنْشُورًا كَأَنَّهُ لَمْ يَتَعَدَّ جُفْلَهُ خَاتَمَةً
كُلُّ ذَلِكَ رَغْبَةٌ فِي اخْتِذِ الْعَفْوِ أَلَا تَرَى مُعَلِّقَةً أَمْرِي الْقَيْسَ كَيْفَ
خَتَمَهَا بِقَوْلِهِ يَصِفُ السَّيْلَ عَنْ شِدَّةِ الْمَطَرِ :

كَانَ السَّبَاعُ فِيهِ غَرَقَى غُدِيَّةٌ بِأَرْجَانِهِ الْقُصُورَى عَنَابِيشُ غُنْضُلٍ
فَلَمْ يَقْعُلْ لَهَا قَاعِدَةٌ كَمَا قَعَلَ غَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِ الْمُعْلَقَاتِ
وَهِيَ أَفْضَلُهُنَّ. وَقَدْ كَرِهَ الْخُذَّاقُ مِنَ الشُّعْرَاءِ خَتَمَ الْقَصِيدَةِ بِالْإِدْعَاءِ
لِأَنَّهُ مِنْ عَمَلِ الضَّعْفِ أَلَّا لِلْأُلُوكِ فَإِنَّهُمْ يَشْتَهُونَ ذَلِكَ كَمَا قَدَّمْتُ
مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ جِنْسِ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ يَذْكُرُ الْخَيْلَ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ
فِي آخِرِ قَصِيدَةٍ لَهُ :

فَلَا هَجَمْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى ظَفَرٍ وَلَا وَصَلْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى أَمَلٍ
قَالَ هَذَا يُشَبِّهُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَغِيضٍ كَانَ يُصَاحِبُ الْأَمِيرَ
فَيَقُولُ « لَا صَحَّحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ بِعَافِيَةٍ » وَيَسْكُتُ سَكَنَةً ثُمَّ يَقُولُ
« إِلَّا وَمَسَاءً بِأَكْثَرٍ مِنْهَا » وَيَأْسِيهِ فَيَقُولُ « لَا مَسَى اللَّهُ الْأَمِيرَ
بِنِعْمَةٍ » ثُمَّ يَقُولُ « إِلَّا وَصَحَّحَهُ بِأَكْثَرٍ مِنْهَا » وَتَحْوُ هَذَا فَلَا يَدْعُو
لَهُ حَتَّى يَدْعُو عَلَيْهِ وَمِثْلُ هَذَا قِيمٌ لَا يَسِيَا مِنْ مِثْلِ أَبِي الطَّيِّبِ



فهرس

المقالات

وجه

١٢ الجذيرة بالخطيب

البحث الثاني في وسائل الاقتناع التي

يتخذها الخطيب البليغ ٢٥

الفصل الثالث في الاقاييل

٢٨ المقنة

البحث الاول في ان الخطيب لا بد له

للاقتناع من معرفة القياس وهلم

المنطق ٢٨

البحث الثاني في الطريق اي الدليل

وتقسيمه ٣٠

البحث الثالث في المواضيع ٣١

البحث الرابع في التعريف والمحد

والرسم ٣٣

البحث الخامس في الكلي

والجزئي ٣٧

البحث السادس في الجنس والنوع ٣٩

البحث السابع في تعريف الملة

والمعلول ٤١

وجه

القسم الاول في علم الخطابة ١

الفصل الاول في تعريف الخطابة

واقسامها ومانعها ١

البحث الاول في تحديد الخطابة وما

تشتمل عليه بوجه الاجمال ١

البحث الثاني في تعريف الخطابة

وموضوعها ٣

البحث الثالث في المناسبة الموجودة

بين الجدل والخطابة ٤

البحث الرابع في ان الخطابة تحرر

للتصديق اكثر منها للتأثير ٥

البحث الخامس في فوائد علم

الخطابة ٧

البحث السادس في ان الخطابة صناعة

اصلها في طبع الانسان ١١

الفصل الثاني في بلاغة الخطيب ١٢

البحث الاول في تعريف البلاغة

وجه

البحث الاول في مبادئ الخطابة

٨٩

والافتتاحات

البحث الثاني في القضية والقياس

٩٠

البحث الثالث في القياس واقسامه

٩٢

وانواعه

البحث الرابع في ملحقات القياس

٩٥

البحث الخامس في القياسات المستعملة

في الخطابة واخصها القياس الاضماري

٩٧

والتمثيل

البحث السادس في مقدمات القياسات

١٠٢

الخطبية

الفصل السابع في التقيد

١٠٨

البحث الاول في المناظرة

١٠٨

والجدال

البحث الثاني في آداب

١١١

المناظرة

البحث الثالث في الجوابات على

١١٢

المصم

البحث الرابع في المغالطة

١١٥

البحث الخامس في مقاطيع

١١٩

الكلام

الفصل الثامن في التعبير

١٢٢

وجه

الفصل الرابع في آداب الخطابة

البحث الاول في آداب كلام

٢٢

الخطيب

البحث الثاني في خصال الخطيب

٢٦

البحث الثالث في طباع الناس على

٢٩

اختلاف اطوار الحياة

البحث الرابع في سياسة الخطيب مع

٣٢

الجمهور ومواجهة طباعهم

الفصل الخامس في الاخلاق

٥٩

والامور

البحث الاول في تعريف

٥٩

الاخلاق

البحث الثاني في الاخلاق الحسنة

٦٢

البحث الثالث في الاخلاق

٦٩

الرديئة

البحث الرابع في بعض الاخلاق التي

تكون في بعض الناس فضيلة وفي

٧٢

بعضهم رذيلة

البحث الخامس في الارتياض بمكارم

٧٩

الاخلاق

الفصل السادس في تنسيق الخطابة

٨٩

وبيان القضية والقياس

وجه

١٦٢

والسادة

البحث الثامن في انه ينبغي للخطيب

المشير ان يعرف الاشياء النافعة

وفي مقابلة الخير مع التافع ومقابلة

الخير مع بعضها ١٧٢

البحث التاسع في اشارة الخيور وفي

شروط تفضيل بعضها على بعض

والاسباب الموجبة لذلك ١٨١

البحث العاشر في ان الخطيب المشوري

ينبغي ان يعرف اصناف السياسات

وفي بيان اجناس هذه السياسات

الاربعة ١٩٤

البحث الحادي عشر في ما ينبغي

للخطيب ان يعرفه في النوع التثبيتي

وفي الفضيلة والنقصة والمدح والذم

وتصرف الخطيب فيهما وفي انواع

الامور الفاضلة والنافعة ١٩٨

الفصل العاشر في انواع الخطب ومن

برع فيها ٢١١

البحث الاول في خطب التهانى ٢١١

البحث الثاني في خطب التقليد ٢١٢

البحث الثالث في الارشاد والبدعة

واشارات الخطيب ٢١٤

وجه

البحث الاول في خواص تبصير

الخطيب ١٢٤

البحث الثاني في بلاغة كلام العرب

وكلام العجم ١٢٦

الفصل التاسع في اجناس الخطابة

الثلاثة ١٣٧

البحث الاول في تقسيم الخطب الى

ثلاثة اجناس ١٣٧

البحث الثاني في غايات الاجناس

الخطبية الثلاثة وانواع مقدماتها ١٣٩

البحث الثالث في مقدمات الجنس

المشوري ١٤٢

البحث الرابع في خمسة امور يدور

عليها البحث في النوع المشوري وفي

القياسات المختلفة جا ١٤٥

البحث الخامس في السبب الذي من

اجله يشير الخطيب وهو سعادة

السامع وفي مابة السعادة وانواع

الخير التي من مجموعها تتولد

السعادة ١٥٠

البحث السادس في الفرق بين الخير

والسعادة ١٦١

البحث السابع في اقسام الخير

وجه

البحث الثامن في اسقطات الاقاول
الشعرية ٢٨٤

البحث التاسع في صناعة الاشعار
القصبة ٢٩٤

البحث العاشر في كيفية التخلص الى
ما يراد بما كانه ٢٩٥

البحث الحادي عشر في انواع
الحاكة غير المقبولة ٢٩٦

الفصل الثاني في معرفة الشعراء ٣٠٠

البحث الاول في القدماء من
الشعراء ٣٠٠

البحث الثاني في الخلقين من
الشعراء ٣١٢

البحث الثالث في الخلقين من
الشعراء ٣١٤

الفصل الثالث في فنون الشعر ٣٢١

البحث الاول في الملبوع
والمصنوع ٣٢١

البحث الثاني في اقسام الشعر ٣٢٧

البحث الثالث في صناعة المديح ٣٢٩

البحث الرابع في الاختصار ٣٤٣

البحث الخامس في الرثاء ٣٤٧

وجه

البحث الرابع في خطب الوعاظ ٢١٦

البحث الخامس في غاية الوعظ ٢٢١

البحث السادس في فوائد الوعظ
وجعل كثيرين من الخطباء في
هذا الفن ٢٢٣

البحث السابع في الخطب عند
العرب ٢٣١

القسم الثاني في علم الشعر ٢٤٠

الفصل الاول في تعريف الشعر
وانواعه وفوائده ٢٤٠

البحث الاول في تحديد الشعر ٢٤٠

البحث الثاني في صناعة الشعر وانواع
الاشعار ٢٤٣

البحث الثالث في المديح والمجود ٢٤٧

البحث الرابع في العلاب المولدة
للشعر ٢٤٩

البحث الخامس في وزن الشعر
ولحنه ٢٥٣

البحث السادس في صناعة المديح
واجزائها ٢٥٨

البحث السابع في اجزاء صناعة
المديح من جهة الكمية ٢٦٦

وجه

البحث الثالث عشر في البديعة

٣٨٠ والارتجال

البحث الرابع عشر في اداب

الشعر ٣٨٥

البحث الخامس عشر في عمل الشعر

٣٩٠ ونخذ القرينة

البحث السادس عشر في المقاطع

والمطالع ٤٠١

البحث السابع عشر في المبتدا او

المخرج والنهاية ٤٠٤

وجه

البحث السادس في الاقتضاء

٣٥٤ والاستنجاز

البحث السابع في العتاب ٣٥٦

البحث الثامن في الوعيد

والانذار ٣٦٢

البحث التاسع في الهجاء ٣٦٣

البحث العاشر في الاعتذار ٣٦٨

البحث الحادي عشر في سيرة

الشعر والخطوة في المدح ٣٧٢

البحث الثاني عشر في ما اشكل

من المدح والهجاء ٣٧٦



منتخب
١٣٥١

